

**THE BOOK WAS
DRENCHED**



كتاب الروضة في أخبار الدولتين
تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الصدر الكامل
الأوحد فرید عصره وحید دهره مجموع الفضائل
شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
ابن ابراهيم الملقب بشي الشافعي
رحمه الله تعالى
برحمته
آمين

٢

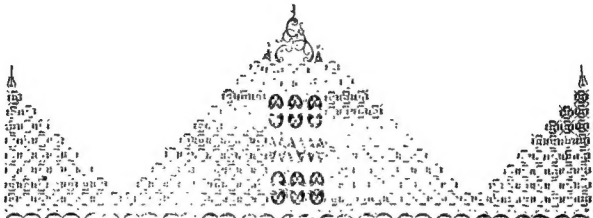
رواية الشيخ الامام محمد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي سماعته

﴿الجزء الاول﴾

(طبعة جديدة)

مطبعة وادي النيل بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٧



(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)
(النوريه والصلاحيه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بلطقه تسخّل الاعمال * ويكرهه وجوده فذكر الآمال * وعلى وفق مشيئته تنصرف الافعال * ويزادته
تغير الاحوال * واليه المصير والمرجع والمآل * سبحانه هه الباقى بلا زوال * والمزيد عن الحول والانتقال *
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * ذوالعرش والمعرج والذوالكرام والجلال * نحمده على ما أسبغ
من الانعام والافضل * ومن يمن الاحسان والبرال * حمد الاتوازنه الجبال * ملء السموات والارض وعلى
كل حال * وفصل على رسوله ونبيه * وبيرتقا من خلقه وصميمه * وخلقه ووليه * وجيبه المفضل * سيدنا أبى
القاسم محمد بن عبد الله ذى الشرف الباذخ * والفضل الشامخ * والعلم الرايح * والجمال والكمال * صلى الله عليه وعلى
الملائكة المقربين * والانباء والمرسلين * وعترتهم الطيبين * ما أفل كوكب وطمع هلال * وعلى آل محمد وصحبه خير
صحب وأكرم آل * وعلى تابعيهم باحسان وجسيمه * والاباء والابدال * وعفا عن المقصرين من أمته أولى الكسل
والمال * وحشرنا في زمرة * * * مسكين بشريه * * * مقتدين بسنته * متعطين بما ضرب من الامثال * من جدين تحت
لوائه * في جلة أوليائه * يوم لا بيع فيه ولا لال * (أما بعد) فانه بعد ان صرفت جل عمرى * ومعظم فكري * في
اقتباس الفوائد الشرعية * واقتناص الفرائد الادبيه * عن لى أن أصر فى علم التاريخ به * فأحوز بذلك سنة
العلم وفرضه * اقتداء بسيرة من مضى * من كل عالم مضى * قتل امام من الأئمة الاوىحكى عنه من أخبار من سلف
فوائد جمه * منهم امامنا أبو عبد الله الشافعى رضى الله عنه قال مصعب الزبيرى ما رأيت أحدا أعلم بآيام الناس من
الشافعى ويرى عنه انه اقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة وقال ما أوردت بذلك الا الاستعانة على الفقه
قلت وذلك عظيم الفائدة * جليل العائد * وفى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفة
وأبناء القرون الخالفة * ما فيه عبر لاوى البصائر * واستعدادا لوم تبلى السرائر * قال الله عز وجل وهو أصدق
القولين * وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين * وقال
سبحانه وتعالى ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من درج حكمة بالغة فما غن النظر * وحديث النبى صلى الله عليه وسلم

كتاب الروضتين (٣) في أخبار الدواوين

بحدث أمذر وغيرهما جرى في الجاهلية * والأيام الاسرائيلية * وحكى عجائب ما رآه ليلة أسرى به وعرج * وقال
 حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج * وفي صحيح مسلم عن سالم بن عبد الله بن جابر قال قتل جابر بن سمرة * كنت فجالس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا * كان لا يقوم من مصلاته الا صلى فيها الصبح والعداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت
 قام وكانوا يجثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم * وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله
 عنهم قال كان بني الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى نصبح ما يقوم الا الى عظم صلاه * قلت ولم تزل
 الصحابة والتابعون فمن بعدهم يتفانون في حديث من مضى * ويتذاكرون من ماضيهم من الاخبار وانقضت *
 ويستشدون الاسعار * ويتظلمون الآثار والاخبار * وذلك بين من أفعالهم * لمن أطلع على أحوالهم * وهم السادة
 القعود * فلنا بهم اسوه * فاعتنيت بفلك وتصحته * وبجنت عنه مدد وطلبة * فوقفت والحمد لله على جملة كبيرة
 من أحوال المتقدمين والمتأخرين * من الانبياء والمرسلين * والصحابة والتابعين * والخلفاء والسلاطين * والفقهاء
 والمحدثين * والاولياء والصالحين * والشعراء والنحويين * وأصناف الخلق الباقين * ورأيت أن أطلع على أخبار
 المتقدمين * كأنه قد عاصرهم جميعا * وادعيت أن أكون في أحوالهم * وتذكرهم * كأنه كان مشاهداً لهم ومحاضراً لهم *
 فهو قاطع له مقام طول الحياة * وإن كان مهجلاً الوفاة * قال نعم بن حماد كان عبد الله بن المبارك كثيراً الجلوس في بيته
 فمئله لا انسته وحش فقال كيف أستوحش وأماع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي رواية قال قبل لابن المبارك
 يا أبا عبد الرحمن تذكر القعود في البيت وحده * قال أنا وحدي وأماع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في
 الحديث وفي رواية أخرى وأماع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان قلت وقد أشدت لبعض
 الفضلاء كتاب أطالعهم مؤنس * أحب الى من الاتسه
 وادرسه فيرني اقرو * نحضروا وأعظمهم دارسه

وقد اختار الله سبحانه أن يكون آخر الأمم وأطلعنا على أنباء من تقدم لتعظ بما جرى على القرون الخالية * وتعلم أنذن
 وأعيه * فعمل ترى لهم من باقه * ولنفقدي من تقدمنا من الانبياء * والآلئة الحكماء * ونرحو توفيق الله عز وجل ان
 نجمع بين يدخل الجنة منهم * ونذكرهم بما نعمل الدنيا هم * وذلك على رغم أنف من عدم الادب * ولم يكن له في هذا العلم
 ارب * بل أقام على غيه واكب * والمرع مع أحب * هذا وان الجاهل يعزم الترخي كظهور عياء * خابط خبط
 عشواء * ينسب الى من تقدمه * ارمي تأخره * ويعكس ذلك ولا يتنبه * وان رد عليه وجهه لا تأثر * وان ذكر لظلمه
 لا يتذكر * لا يفرق بين بحاي وتايح * وحفي ومالكي وسافعي * ولا بين خليفة وأمر * وسلطان ووزير * ولا يعرف
 من سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم أكثر من النبي مرسل * فكيف له بمعرفة أصحابه وذلك الصدر الاول * الذين يذكرونهم
 ترناح النقوس * ويذهب البوس * ولقد رأيت جناسا * جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا * وفيهم فاضل قضاء ذلك الزمان *
 وغيره من الاعيان * جفري يهزم وأبا سمع * كرم تحرم عليه الصدقة وهم : ذو القرنى المذكورون في القرآن * فقال
 جهم بن وهانم وبنو عبد المطلب * وعدلوا بجمعهم في ذلك مما يجب * تهجبت من جهلهم حيث لم يترقوا بين عبد
 المطلب والمطلب * ولم يندوا أن المطلب هو عم عبد المطلب * وان عينا المطلب هو ابن هاشم * فأحقهم بلوم كل
 لأثم * هذا أصل من أصول السيرة قد أهملوه * وباب من أبواب العلم جهلوه * ولزم من قولهم أخرج بنى المطلب من
 هذه الفضيلة * فابتغيت الى الله تعالى الوسيلة * وأنشئت لنفسى من ذلك المقام * فأخذت بعلم أخبار الامام * وتصحیح
 نسبتها * وايضا صححت بها * فان كثير من يحفظ شيئا من الوقائع يفوته معرفة نسبته الى أربابها * وان نسبها خلط فيها
 وصرفها عن أصحابها * وهو باب واسع غرر القوائد * صعب المصادر والموارد * بزلت فيه قدم كثير من نقله الاخبار *
 ورواها الآثار * ثم أردت ان اجمع من هذا العلم كتابا يكون حاوا بالمحصلة * وأتقن فيه ما خبرته * فعمدت الى أكبر كتاب
 وضع في هذا الفن على طريقة المحدثين * وهو تاريخ مدينة دمشق جامعها الله عز وجل الذي صنفه الحافظ الثقة أبو
 القاسم علي بن الحسن العسكري رحمه الله وهو ثمانمائة جزء في ثمانين مجلدا فاختصرته وهديته * وزدته فوائد من
 كتب آخر جليله واقفته * ووقف عليه العلماء * وسعته الشيوخ والفضلاء * ومررت فيه من الماثل المتأخرين * ترجمة
 الملك العادل نور الدين * فاطر بني مارأيت من آثاره * وصحبت من أخباره * مع تأخر زمانه * وتغير حاله * ثم وقعت

كتاب (٤) الروضين

بعد ذلك في غير هذا الكتاب على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهم في المتأخرين * كالعمر بن
رضي الله عنهم في المتقدمين * فان كل ثامن من الفريقين هذا حذو من تقدمه في العدل والجهاد * واجتهد في اعزاز
دين الله أي اجتماع * وهما لكما بلدنا * وسلطانا خطتنا * خصنا الله تعالى بهما * فوجب علينا القيام بذكر فضلهما *
فهزمت على افراد كردولتهما بتصنيف * يتضمن التقرين لمعاو التريف * قلعه يقف عليه من الملوك * من
يسلك في ولايته تلك السلوك * فلا يبعد انما حجة من الله على الملوك المتأخرين * وذكروا منه سبحانه فان الذكرى
تنفع المؤمنين * فانهم قد يمتدعون من أنفسهم طريفة الحلفاء الراشدين * ومن هذا حذوهم من الاثقة السابقين *
ويقولون نحن في الزمان الاخير * وما لا ذلك من نظيره فكان لما قدر الله سبحانه من سيرة هذين الملكين الزمان الحجة
عليهم بمن هو في عصرهم * من بعض ملوك دهرهم * فلن يجزعن التشبيه ما احدهما * وفق الله الكريم وسدده *
واخذت ذلك من قول أبي صالح شعيب بن حرب المدائني رحمه الله * وكان أحد السادة الاكابر في الحفظ والدين *
قال اني لاحسب بجاءا بغير ان الثوري يوم القيامة حجة من الله على هذا الخلق يقال لهم ان لم تذكروا انبياءكم فقد رأيتم
سفيان الا انه يدعيتم به وكذلك أقول هذان الملكان حجة على المتأخرين * من الملوك والسلاطين * فلهذا ذكرهما من ملكين
تعاقب على حسن السيرة * وجعل السرير * وهما حنفي وسافعي * شفي الله بهما كل عي * وظهرت بهما
من خالفهما الغنايه * فقرار باحتي في العمر ومدة الولاية * وهذه نكتة قل من نقان لها ونبه عليها * ولطيفة هداي الله
بتوقيفه اليها * وذلك ان نور الدين رحمه الله ولاسته احدى عشرة وخمسة مائة * وتوفي سنة تسع وستين * وولد صلاح الدين
رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة ونوفى سنة تسع وثمانين * فكان نور الدين أسن من صلاح الدين بسنة واحدة
وبعض أخرى وكلاهما لم يتكامل ستين سنة * فانظر كيف اتفق ان بين وفاتيهما عشر بن سنة * وبين مولديهما احدى
وعشرين سنة ومولك نور الدين دمشق سنة تسع وأربعين * ومولك هلال الدين سنة سبعين * فثبت دمشق في المملكة
الثورية عشرين سنة * وفي المملكة الصلاحية تسع عشرة سنة * فحي فيها البيعة وتكتب الحسنة * وهذا من عجيب
ما اتفق في العمر ومدة الولاية ببلدة معينة للملكين متعاقبين مع قرب السبب بينهما في سيرتهما والفضل للتقدم فكانت
زيادة مدة نور الدين كالنبي على زيادة فضله * والارشاد الى عظم محله * فانه أصل ذلك الخبر كله * مهذا الامور بعده
وجهاه * وهبته في جميع بلاده * مع شدة العتق * واتساع الحرق * ونجح من البلاد * ما استهين به على مداومة
الجهاد * فبان على من بعده على الحقيقة * سلوك تلك الطريقة * لكن صلاح الدين أكثر جهادا * وأعظم بلادا * صبر
وصابر * ورباط وثابر * وذر الله له من الفتوح أنفسه * وهو الذي فتح الارض المقدسة * فرضي الله عنهم * فأحقهما
بقول الشاعر

(كم ترك الاول لآخر)

وأليس الله هاتيك العظام وان * يلين تحت الثرى عفو وغفرانا
يسقي ترى أودعوه رحمة ملات * منوى قبورهم روحا ورحمنا

وقد سبقني الى تدوين تأريخها جماعة من العلماء والاكابر الغضلاء * وقد ذكر الحافظ الثقة أبو القاسم علي بن الحسن
الدمشقي في تاريخه ترجمة حذو نور الدين محمود بن زكي رحمه الله ولا جله ثم ذلك الكتاب وذكر اسمه في خطبته
وذكر الرئيس أبو يعلى حزين أسد التميمي في مليل الساريح الدمشقي قطعة صالحة من أوائل الدولة النورية الى سنة
خمس وخمسين وخمسة مائة * وصنف الشيخ الفاضل عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري عرف
باب الاثر مجلدة في الايام الانابكة كلها وما جرى فيها وقبه شيء من أخبار الدولة الصلاحية لتعلق احدى الدولتين
بالأخرى لكونهما متفرعة عنها * وصف الفاضل بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي عرف باب
شذاد قاضي حلب مجلدة في الايام الصلاحية وسياق ما تيسر فيها من الفتوح واستفتح كتابه بشرح مناقب صلاح
الدين رحمه الله تعالى * وصف الامام العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني كائين
كلها مسجوع متقن بالانفاظ الفصيحة والمعاني العجيبة أحدها الفتح القدسي اقتصرفه على فتوح صلاح
الدين وسيرته فاستفقه بسنة ثلاث وثمانين وخمسة مائة والثاني البرق الشامي ذكر فيه الوقائع والحوادث من النزوات
والفتوحات وغيرهما ما وقع من سنة زور ودهد دمشق وهي سنة اثنتين وخمسين وخمسة مائة الى وفاة صلاح الدين وهي

في أخبار (٥) الدولتين

سنة تسع وعثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن العماد في كتابه طو بل النفس في الجمع والوصف على الناطق فيه وبذلك طالب معرفة الوقائع السابقة من القول وبنيته في حذفت تلك السماع الا قليلا منها المستحسن منها في مواضعها ولم تلّ خارجة عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقائع نحو ما ستراه في أخبار فتح البيت المقدس شرفه الله تعالى وانزعت المقصود من الاخبار من بين تلك الرسائل الطوال * والاسماع المقضية الى الملل * وأردت ان يفهم الكلام الخاص والعام واخترت من تلك الاسعار الكثيرة قليلا مما يتعلق بالقصص وشرح الحال وما فيه من تكتة غريبة وفائدة لطيفة ووقفت على مجلدات من الرسائل الفاضلة * وعلى جملة من الاسعار العمادية * مما ذكره في ديوانه دون برقة وعلى كتب اخرى من دواوين وغيرها ما لم تقط منها أشياء مما يلقى بالذليلين أو باحديهما وبعمته سمعت من أقواء الرجال البقاء * ومن المدرسين تلك الاوقات * فاختصرت جميع ما في ذلك من أخبار الدولتين وما حدث في مدينتيهما من وفاء خليفه أو وزير * أو أمير كبير * أو ذي قدر خطير * وغير ذلك * فجاء بجموع الطيف * وكذا نظريفا * يتصل بمظالم الملوك والاكابر * من ذوي المآثر والمفاخر * وسميته (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) ولله ذحبيب بن أوس حدث يقول

ثم انقصت تلك السنون وأهلها * فكأنها * وإنهم أحلام

(فصل) أما الدولة النورية: فسلطانها الملك العادل نور الدين أنور انعم محمود بن عماد الدين انبلك وهو أبو سعيد زكي بن قسم الدولة آق سنقر التركي ولقب زكي أيضا بلقب والده قسم الدولة ويقال لنور الدين بن القسم ومنه تكم على أخبار أسلافه عند بسط أوصافه وقدمت من اجل أحواله ما يستدل به على أفعاله ذكر الحافظ أبو العباس في تاريخه انه ولد سنة احدى عشر وخمسمائة وان جده آق سنقر ولي حلب وغيرهما من بلاد الشام ونشأ أبوه زكي بالعرش ثم ولي ديار اوصل والبلاد الشامية وظهورت كفايته في مقامه العدو عند نزوله على شيز رختي رجع خائبا وفتح اراها والعزوة كفرطاب وغيرهما من الحصون الشامية واستنقذهما من أيدي الكفار لما انقضى أجله قام ابنه نور الدين منعه من ذلك سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم قصد نور الدين حلب فلكه واخرج غازيا في أعمال تل بلشر فاستخ حصونا كثيرة من جملتها قلعة عزاز ومرعش وتل خالد وكبر ابرنس انطاكية وقتله ولثلاثة آلاف فرسخي معه وأظهر بحلب السنة وغير البدعة التي كانت لهم في الأنا بوقعها الرافضة وبنيها المدارس ووقف الاوقاف وظهر العدل وطاعه دمشق مرتز وفتحها في الثالثة فبسط أمورها وحسن سورها وبنيها المدارس والمساجد وأصلح طارقيها وسوم أسواقها ومنع من أخذها كان يؤخذ منهم من المغارم بدار البطنج وسوق النعم والكيلة وغيرها وعاقب على شرب الخمر واستنقذ من العدو نغري بايلاس والمنيطرة وغيرها وكان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يعدم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسأل الله تعالى ان يحضره من بطون السباع وحواصل الطير ووقف رحمه الله ووقفه في المرضى وعلى الخط والقرآن وسأكني الحردين وأقطع أمراء العرب ثلاثا بقرضوا الحاج وأمرها بأكمل سور المدينة واستخرج العيون انني بأحد وبني الربط والجسور والحنائن وحشد كثير من قتي السبيل وكذا صنع في غير دمشق من البلاد التي ملكها ووقف كتب كثيرة وحصل في أسره جماعة من أمراء الفرنج وكسر الروم والأرمن والفرنج على جازم وكان عدتهم ثلاثين ألفا ثم فتح جازم وأخذ كثير من انطاكية ثم فتح ديار مصرية وكان العدو قد أشرف على أخذها ثم أظهر بها السنة وانقعت البدعة وكان حسن الخط كثير المظالم للكتب الدينية متبعالا لكار النبويع مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على تلاوة القرآن حرصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصد في الانفاق متحرر في المطاعم والمالبس لم تسع منه كلمة فحش في رضاه ولا في شجره واشتهى ما اليه كلمة حتى سمعها أو أراشاد في سنة يتبعها وقال أبو الحسن بن الأثير قد طاعت تواريخ الملوك المقدمين قبل الاسلام وفيما اليوم هذا فلزم اربعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن سيرة من الملوك العادل نور الدين ولا كثر تحري بالعدل والانصاف منه قد نصر ليله ونهارة على عدل ينشره وجهاد يتجهزه ومظلة يزلبها وعبادة يقوم بها واحسان يوليه وانعام يسديه ونحن نذكر ما علم به محله في أمر دينه وأخراه فلو كان في امه لا فقرته به فكيف يبت واحد اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة خاثر بلاده وأمواله الايا كل ولا يلبس ولا

كتاب (٦) الروضة

يتصرف فيما يخصه الامن ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنية وس الاموال المرصدة لتصلح المساكين احضر
الفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحل له من ذلك فاحذما أقره ولم يتعدوا الى غيره لأئبته ولم يلبس قط ما حرمة الشرع
من حرير او ذهب او فضة ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلادهم ومن ادخلها الى بلاد ما وكان يحد شار بها الحد
الشرعى كل الناس عنده سوا

حدثني صديق لسابدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجة نور الدين ووزر بها قال كان نور الدين اذا
جاء اليها يجلس في المكان المختص به ويقوم في خدمته لا تتقدم اليه الا ان يأذن في أخذ نسيابه عنه ثم تقتل عنه الى
المكان الذي يختص به او يتفرده وتارة يطالع رفاع أصحاب الاشغال أو في مطالعة كتاب أو أنه يحجب عنه ما وكان
يصل في طيل الصلاة وله أو راد في النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء نام يستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء
والصلاة الى بكر فيظهر الركوب ويستقل بهام الدولة قال وانما قلت علم النطق وليكن بما كان قرره لها فارسلتني
اليه اطلب منه زبادة في وظائفها فلما تلت له ذلك شكر واحمر وجهه ثم قال من أين أعطيها اما بكنيتها ما لها والله
لا أخوض نارجهم في هواها ان كانت تظن ان الذي سدى من الاموال الى قدس الظن بما هي أموال المسلمين
مرصدة لمصلحتهم ومعدة لتفقد ان كن من عدو الاسلام وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها ثم قال في مدينة حصن ثلاثة
دكاكين ملكا وقد وهبتها اياهما فأتاها فلما أخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فلا
الابنية حسنه كان بالجيزة رجل من الصالحين كثير العبادات والورع شديد الاعتداع عن الناس وكان نور الدين
يكاتبه ويرسله ويرجع الى قوله ويعتد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمى القلب بالكرة فكاتب اليه
يقول ما كتبت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكاتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يجني
على القلب بالكرة اللهم والبطر وانما نحن في شر العدو قريب منا وبنا ونحن جلوس اذ نقع صوت قتر كفي في القلب
ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد ليدلنا اننا ارستنا وصيفا اذ لا يدمى الراحة للجنود متى تركنا الخيل على مراتبها صارت
جمالا لا قدرة لها على ايمان السير في الضباب ولا معرفة لها ايضا بسرعة الاعتطف والطاعة لراكبها في الحرب
فهذا والله الذي يعتنى على القلب بالكرة فقال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك العدم الظاهر ان الذي يقبل في أصحاب
الزوايا المتقطعين الى العبادات منسله فان من ينجي الى القلب يفعله بنية صالحة حتى يصير من اعظم العبادات واكبر
القربات يقل في العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه افعال العباد الصالحين العالمين
وحكى عنه انه جل البه من مصر عامه من القصب الرقيق مذهب في يحمصه ما عندده فوصفته فلم يلبثت اليها
وبيناهم معه في حديثها واذا جاءه رجل صوفي فاحمر بهاله فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولو اعطى غيرها كان
أنفع له فقال اعطوها له فاني أرجو ان اعوض عنها في الاخرة فسلبت اليه فصارم الى بغداد فباعها لثمانية دينار اميرى
أو سبعمائة دينار قلت قرأت في حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المصطفي اياها قال اعطاه الشيخ
الصوفي عام الدين ابي الفتح بن جويده بغير طلب ولا رغبة فبعها اليه هذان فيبعث بألف دينار قال ابن الاثير وحكى
لدا المير بهاء الدين على بن السركى وكان خصيصا بخدمته نور الدين قد سمعه من الصبا وأنس به وله معه انبساط
قال كنت معه يوما في الميدان بالرها والشمس في ظهورنا فكلما سرتنا فتننا الظل فلما عدا ناصرا ظننا انوارا وظهورنا
فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي اتردى لى شئ أجري فرسى وألقت ورائي قلت لا فال قد شبهت ما نحن فيه
بالذي اتهم به من بطلها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عنك بغيرك في مثل هذا وقد أنشدت بيتين في هذا
المعنى
مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا * فاذا ولت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعنى نور الدين رحمه الله صلى كثير من الليل ويدعو ويستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى
ان يركب جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن الخراب في الخراب
قال وكان عارفا بالحقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضى الله عنه لم يس عند تعصب بل الانصاف سجيته في كل
شئ وسمع الحديث وأجمعه طلبا للآجر وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للولك اتباع سنة العدل والانصاف وترك

في أخبار (٧) الدينين

الحمرات من الماء كل والمرير والمليس وغير ذلك فأنهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية هم أحدتهم بظنه وفرجه لا يعرف معروفوا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولهم فوقف مع أمر الشرع ونواهيهم والزهم بذلك اتباعه وذوبه فاقضى به غيره منهم واستحبوا أن يظهروا عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة قال فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له المالك الفسيحة ويحبي إليه الأموال الكثيرة فليذكرني الله سليمان ابن داود عليه السلام مع ملكه وهوسيد الزاهدين في زمانه وبيننا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حزموت والبن والخنزير والجحش وجميع خيرة العرب من حدود الشام إلى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وإنما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا لا خلو البدن عنها قال وأما عدله فإنه كان أحسن الملوكة سيرة وأعدلهم حكما فمن عدله أنه لم يترك في بلد من بلاد ضريبة ولا مكنس أو لا عشر أبدا بل الله جميعه في بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واهلها وادي رم وغيرهما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا وهذا لم يتسعه له نفس غيره وكان يخبر العدل وينصف المظلوم من الظالم كان من كان القوي والضعيف عنده في الحق سواء وكان يجمع شكوى المظلوم ويتولى كسفه حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير فلا يجرم سار ذكره في شرب الارض وغيره بالمال ومن عدله أنه كان يعظام الشريرة المظهور فوقف عنده أحكامها ويقول نحن سخر لها غصني أو أظهرها فمن اتبعه أحكامها أنه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى انسانا يجسدت آخره ويومئ إليه به فأرسل إليه يسأله عن حاله فقال له مع الله العادل حكومة وهذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم كما كنتي على الملك الذي فعدا إليه ولم يمتع امران يترفعه ما زال ذلك الرجل وعاد بكتمه فاقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالتقى الجوثان من يده وخرج من الميدان وسار إلى القاضي وهو جئذ كمال الدين ابن التهمز وروى وأرسل إلى القاضي يقول له انني قد جئت محبا كما فاسلكه في مثل ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى وجهه وما كنه في ثبث عاينه حتى رؤى الملاء لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولئن حضر هل ثبت له عندي حق قالوا لا فقال اشهدوا اني تدوم له هذا الملك الذي قد حكم عليه وهو له دوني وقد كنت أعلم انه لا حق له عندي وإنما حضرت معه كذا لظن اني فليت ظهر ان الحق لي وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة ورأى فرحم الله هذه النفس الزكية الناهرة المتقدمة للحق الموافقة معه قلت وهذا مستكرم من ملك متأخر بعد فيه زمنة وترقى الكلمة والافتقار إلى المصطفى إلى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمرد على رضي الله عنهم حكى نحو ذلك عن أبي جعفر المنصور وقد قلنا ذلك كله في التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قرب إلى الحسن بن أحمد بن الحارثي عنده ولم يرض إليه وقد لغني ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى يجلب إلى الحكم بنفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متجلبوا عليه ان رسول الحاكم يلباب فانكر عليه فنجبه فقام رحمه الله رجاو جدي أن شاء طريقه ما منعهم العيون من حفر جب بعض الحسوس واستخرج ما فيه فوكل من ثم وكلا لم عدله شاهدين بالتركيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله أنه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوكة لئلا الاعتصام على الفتنة والتهمة بل يطلب التمس ويدعى المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية غير تعذد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولا يجمع سدة السياسة والمبالغة في العقوبة احتجابا للفتنة وأمنت بلادهم مع سعتهم وقل المفلسون ببركة العدل واتسع الشرع المظهر قال وحكى لي من أتق به أنه لم يوما إلى خزنة المال فرأى فيها ما أنكره فقال عنه فقيل ان القاضي كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال هذا المال ليس لنا ولا يبيت المال في هذه الجهة شيء وأمر برده واعادته إلى كمال الدين مرة على صاحبه فأرسله إلى الخزنة إلى كمال الدين فردّه إلى الخزنة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقو لواله عني انه قد فدخل نور الدين خزنة مرة أخرى فرأه فانكر على التزاد وقال ألم أفت لك بعاد هذا المال على أصحابه فذكر واليه قول كمال الدين له اليه وقال لارسل قل لك كمال الدين أنت تقدر على حل هذا المال وأما أفرقتي دقيقة لا أطيق حمله والمخاضمة بين يدي الله تعالى بعام قولا واحدا قال ومن عدله أنه مضاعفتموه وهم من أعجب ما يصح ان انسانا كان بدمشق استوطنوا وأقام بها إلى ما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفي تعذى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه

كتاب (٨) الروستين

إن نصف قنزل من القلعة وهو يستغيث ويسكن وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين لورأيتنا وما نحن فيه من الظلم
 جتنا من عندك وقد ستر به نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يسكن ويصيح فوصل الخبر إلى صلاح الدين
 قبل له أحفظ البلد والريعية والآخر ج عن يدك فأرسل إلى ذلك الرجل وهو عند ربة نور الدين يسكن والناس معه
 طبيب قلبه وهوبه شيئا ونصفه فبكى أشد من الأول فقال له صلاح الدين لم يبك بك قال أبكى على سلطان عدل فنيابعد
 موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكما ترى فينا من عدل فنه تعاد قلتم وعدله ان بني دار العدل قال ابن
 الاثر كان نور الدين رحمه الله أول من بنى دار العدل كشف وسماها دار العدل وكان سبب بناءه لما طال مقامه
 بدمشق وأقام بها أمراؤه وفيهم أسد الدين شيركوه وهو أكبر أمرهم معه وقد عظم شأنه وعلامة مكانه حتى صار كانه شريك
 في الملك واقتنوا الاملاك وكثروا وتوذي كل واحد منهم على من يجاوره في قريته أو غيرها فكثرت النساكوى
 إلى كمال الدين فانصف بعضهم من بعض ولم يقدم على الانصاف من أسد الدين شيركوه فانهم إلى نور الدين
 قاهر حيث يذهباء دار العدل لما سمع أسد الدين بذلك أحضر ثوابه جميعهم وقال لهم اعدوا لنور الدين ما أمر ببناء
 هذه الدار الاسبى وحدي والآخر هو الذي يمتنع على كمال الدين والولد لنور الدين أحضرته إلى دار العدل بسبب أحدكم
 لأصلبته فامضوا إلى كل من ينكم وينه منازعة في ملكنا فاصفوا الحال معه وأرضوا به شيء تمكن ولو أتى ذلك على جميع
 ما يبدي فقالوا له ان الناس اذا علموا هذا استطوا في الطلب فقال خروج املاكك عن يدي أسهل على من ان برا
 نور الدين يعين أبنى ظالم أو يساوي بني وبس أحد العامة في الحكومة فخرج أحد بنيهم من عنده ففعلوا ما أمرهم وأرض
 خصمهم هم وأنشدوا عليهم فلما فرغ دار العدل جلس نور الدين فيها ليعصل الحكومات وكان يجلس في الاسيو
 يومين وعند القاضي والقضاة ويقضي كذلك مدة فليحضر عنده أحد يسكنكم من أسد الدين فقال نور الدين لك كمال الله
 ما أرى أحد يسكنكم من شيركوه ففرقه الحال فسجدت شكر الله تعالى وبالله الحمد الذي جعل أبنينا يشفقون
 أنفسهم قبل حضورهم عندنا قال ابن الأثير فأنزلني هذا المعلقة ما أحسنها وإلى هذه الهبة ما أعظمها
 السياسة ما أسدتها هدامها كان لا يرقى دما ولا يبالغ في عذوبة وأما كان يفعل هذا صدقة في عدله
 قال وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيها فانه أعبر الناس في الحرب وأحسنهم كيدة ورأيا
 معرفة بأموال الجناد وأحوالهم وبه كان يضرب الممل في ذلك سمعت بها كثير من الناس لا أحصيه يقول
 لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه كمنما خلق عليه لا يترك ولا ينزل وكن من أحسن الناس لعبا بالكره
 عليها لم يرجو كانه يعا على رأسه وكان رجا يضرب الكرة ويمجى الفرس وينتالها بدمى الهواء ويرها
 الميدان وكانت يده لا ترى والجو كان فيها ل تكون في كم قبائه اسنانه باللعب وكان اذا حضر الحرب أخذ
 وترك شين وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما تفرقت للمهاد فله أدر كما سمع يوما الامام قطب
 النيسابوري الفقيه الشافعي وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك وبالا سلام والمسلمين فالتف عيادهم
 اصبت والعباد بالله في معركة لا يقي من المسلمين أحد الا أخذ السيف وأخذت البلاد فقال باقطب الدين ومن
 حتى يقال له هذا أقبل من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو قال وكان رحمه الله يكثر أعمال الج
 والمكر والخداع مع الفرس فخذله الله تعالى وأكره ما مله من بلادهم ومن جيد الرأي ما سلكه مع ملج بن ليو
 ملك الارمن صاحب الدروب فانه ما زال يخذله ويستميله حتى جعله في خدمة مسفرا وحضر او كان يقاتل به الاخر
 وكان يقول انما جلتي على اسمائته ان بلاد حصينة وعزها اسلاك وقلاع منيعة وليس له الا الطارق وهو يختر
 منها اذا أراد فينزل من بلاد الاسلام فادخلها فاجتمع عليها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيئا من
 الاقطاع على سبيل التالف حتى أجاب إلى طاعته او خدمتنا وساعدنا على الفرس فخرج قال وحدثتوني نور الدين رحمه الله
 وسلك غيره غير هذا الطريق ملك المتولى الارمن بعد ملج كثير من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منهم ذر عطا
 وخرق واسع لا يمكن رقه قال ومن أحسن الاراء ما كان يفعله مع أجناده فانه كان اذا تولى أحد هم وخلف ولدا
 الاقطاع عليه فان كان الولد كبيرا استبد بنفسه وان كان صغيرا رتب معه رجلا قاتلا يلقى اليه فتولى أمر
 يكبر فكان الجناد يقولون هذه أملاكنا برها الولد عن الولد فخص تقابل عليها وكان ذلك سببا عظيما

الموجبة للصبر في المشاهدة والحروب وكان ايضا ثبت اسماء احنا ذلك أمير في ديوانه وسلاحهم خوفا من حرص بعض
الامراء وشحنه من محله على ان يقتصروا على بعض ما هو مقرر عليه من العدد ويقول نحن كل وقت في الشرف فاذالم يكن
أجناس كافة الامراء كماله العدد والعدد دخل الوهن على الاسلام قال ولقد صدق رضى الله عنه فيما قال وأصاب
فيما فعل فلقد رأيت ما يخافه عينا قال وأما فعله في بلاد الاسلام من المصالح مما يعود الى حفظها وحفظ المسلمين فكثير
عظيم من ذلك انه بنى أسوارهم من الدمام جمعها وقلاعها فنهاجها لمجود وجسم ودمشق وبارن وشيزرو ومنج وغيرها
من القلاع والحصون وحصنها وحكمها وخرج عليها من الاموال ما لا تمسح به النفوس وبني ايضا المدارس بمحلب
وجاه ودمشق وغيرها المشافعة والخففة وبني الجوامع في جميع البلاد فجمعها في الموصل الى النهاية في الحسن
والاقتان ومن أحسن ما فعل فيه انه فوض أمر عمارته والخروج عليه الى الشيخ عمر الملا رجه الله وهو رجل من
الصالحين فقبل له ان هذا لا يتسلخ لئلا هذا العمل فقال اذا وليت العمل بعض أصحابي من الاجناد والكاتب اعلم انه
ينظم في بعض الاوقات ولا يفي الجاسع بظلم رجل مسلم وادارت هذا الشيخ غلب على خشي انه لا ينظم فاذا ظلم
كان الاثم عليه لا على قال وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم وبني ايضا مدينة حجابا معا على نهر العاصي من
أحسن الجوامع وأزهرها وجد في غيرها من عمارات الجوامع ما كان قد تم ما برز له أو غيرها وبني البيمارستانات
في البلاد من اعظام البيمارستان الذي تاه دمشق فانه عظيم كثيرا الخرج جدا بلغني العلم يجعله وقعا على الفقراء
حسب بل على كافة المسلمين من غنى وفقير فأت وقدوة في كتاب وفيه فزاره مسعرا بذلك وانما هذا كلام شاع
على ألسنة العامة لتفجع ما قد ربه الله تعالى من مناجاة الاغنياء لفقراء فيه والله المستعان وانما اصرح بأن ما عجز وحده
من الادوية الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتاج اليه من الاغنياء والفقراء فحين ذلك فلا ينبغي ان يتعدى
الى غيره لاسيما وقد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمنفذين وقال بعد ذلك من جاء اليه مستوصفا فراضه
أعطى وروى ان نور الدين رجه الله شرب من شراب البيمارستان فيه وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف من جاء اليه
مستوصفا فراضه أعطى والله أعلم وبلغني في أصل كتابه نادرة وهي ان نور الدين رجه الله وقع في أسر بعض أكابر ملوك
الفرنج خذله الله تعالى قطع على نفسه في فدائه ما لا عظميا فشاو نور الدين أمره اذ فكل أشار بعدم اطلاقه
كان فيه من الضرر على المسلمين وما ل نور الدين الى الردى بعدما استخار الله تعالى فاطل قلع ليل لثلاث ليال احصاه
وتسلم المال فلما بلغ النفر فمضى ما منه مات وبلغ نور الدين خبره فاعلم بحبائه فقهره رامن لطف الله تعالى بالمسلمين حيث
جمع لهم الحسنيين وهما الفداء وموت ذلك المعين فبني نور الدين رجه الله ببلد المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء
لانه لم يكن عن ارادتهم كان قال ابن الاثير وبني ايضا الحسانات في الطرق فأت من الناس وحفظت أموالهم وباروا في
الشتاء في كس من البرد والمطر وبني ايضا الابراج على الطرق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم
الطوبى المرادى فاداروا من العدو واحدا أرسلوا الطوبى فآخذ الناس حذرهم واحدا طوا لانفسهم فبلغ العدو
منهم غرضا وكان هذا من اذاف العكر وأكدها فاعمال وبني الزبط والحقا فها في جميع البلاد للصوفية ووقف
عليها الوقوف الكثيرة وأدر عليهم الادارات الصالحة وكان يحضر مشيختهم عنده ويقر بهم ويدينهم ويسطهم
ويتواضع لهم فاذا أقبل أحدهم اليه يقوم له منتفع به عليه ويعتقه ويجلسه معه على سجادة ويقبل عليه بحديثه
وكذلك كان ايضا يفضل بالعلماء من التعظيم والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر في قصده من البلاد
الشاسعة من خراسان وغيرها وبالجملة كان أهل الدين عنده في أعلى محل وأعظمه وكان أمره يحسدونهم على ذلك
وكانوا يعرفون عنده ففهم فيهم وهم واذنوا لعن انسان عيا يقول ومن المعصوم وانه الكامل من تعذبه قال وبلغني
ان بعض أكابر الامراء حسد ظلم الدين التيسابورى الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه من خراسان وبالغ في
أكرامه والاحسان اليه فسده ذلك الأمر فقال منه يوما عند نور الدين فقال له يا هذا ان ما قول فيه حسنة تغفر كل زلة
تذكرها وهي العلو والدين وأنت واهما بك فقيمك أضعاف ما ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها لو عقلت لشئت لك
عيبك عن غيرك وأنا أحتل سياكم مع عدم حسناتكم أفلا أجل سيرة هذا ان صحبت مع وجود حسنة على اني والله
لا أصدق فيما تقول وان عذرت ذكرته أو غير ذلك فذلك كف مخالف ابن الاثير هذا والله هو الاحسان والفعل

الذي ينبغي ان يكتب على العمود بماء الذهب وبني دمشق أيضا دار الحديث ووقف عليها وعلى من بها من المستقلين بعلم الحديث ووقفا كبيرا وهو أول من بنى دار الحديث فيما عتساه وبني أيضا في كثير من بلاد مكاتب اللايتام وأجرى عليهم وعلى معلمهم الجرايات الوافر وبني أيضا جديرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن قال وهذا فعل لم يسبق اليه بلغنى من عارف بما عمل الشامان ووقف نور الدين في وقتنا هذا وهو سنة ثمان وستة مائة كشهر تسعة آلاف دينا صورة بليس فيها غير ملك صحيح شرعى ظاهر او باطن فانه وقف ما انتقل اليه ووزن ثمنه أو ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار سهمه قال وأما هيئته ووفاره فاليه النهاية فيهما ولو قد كان كما قيل شديد في غير عنف رقيقا في غير صنف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فانه ضابط ما موسا المتمع أجناده وأصحابه الى غاية لا من يد علمها وكان يازهمهم بوظائف الخدمة الصغرى منهم والكبرى ولم يجلس عنده أمر من غير ان يأمره بالجلوس الا نعم الدين الأيوب والصلاح الدين يوسف وأما من عداه كاسد الدين شير كرهه وحمد الدين بن الداي وغيرهما فانهم كذا اذا حضروا عنده يقفون قتياما الى ان يأمرهم بالوقوف وكان مع هذه العظمة وهذا التماس من التماس ادا دخل عليه نفسه أو الصوفى أو الالفير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كما يدأرب الناس اليه وكان اذا أعزى أحد منهم شيئا يقول ان هؤلاء هم في بيت المال حق فاذا أقضعت انما يصرفه فاهم المنة علينا وكن في الله كاري في حقبة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكيمه لا يؤمن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يدرك فيه العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو لا يتعدى هذا بلغنى ان الحافظ ابن عساكر المديني رضي الله عنه حضر مجلس صلاح الدين يوسف بامامك دمشق فرأى فيهم من اللغات وسوء الادب من الجلوس فيه ما لا حد عليه فصرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكنه لا اختلاف من المحدثين وقوله استماعهم فقام وبني مدة لا يحضر المجلس الصلحي وتكرار من صلاح الدين الطالب له فصرع فاعته صلاح الدين يوسف على انقطاعه فقال زهت نفسي عن مجلسك فانتى رأيت كبعض مجالس السوق لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد جواب مدكلم وقد كالبنا لاس محضر مجلس نور الدين فكنا كافيلا كما على رؤسنا الذين تعلوا الهيبة والوار فاذت كلم أنصتنا واذت كما ناسعنا فقدم صلاح الدين الى أصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضروا الحافظ قال ابن الاثير في هذا كانت أحواله جميعا رحمه الله مضبوطة بقانونه وأما حفته أصول انذبات فانه كان من اعيانها لا يملكها ولا يمكن أحد من الناس من ان يدار بها بخلاف الحق ومتى أقدم مقدم على ذلك أدبه بما ياسب بدعته وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحتفظ بالحق من لمر وواجب داري وبالأذى الحاصل من ما قرب فلا نحتفظ الدين ونغتنع عنه ما ينقضه وهو الاصل دال وحكي ان اناسا بدسقي يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والاسك وقد كثر اتباعه أظهر شتما من الشبه فبلغ خبره نور الدين فاحضر وأركبه حمارا وأمر بصفحه فطيف به في البلاد جميعه ونوى عليه هذا اجزاء من أظهر في الدين البديع فقام من دمشق فقصده حران وأقام بها الى ان مات قال ويسوق الله القصار الاعمار الى البلاد الوجهة تلت ذكر الجمادى الكاتب في أول كتابه بالرق الشاى انه تقدم دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين وخمس مائة في دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وأخذ في وصفه بكل ما له المسموع فقال كان ملك بلاد الشام وما لكها والذي يدهمها الملك العادل نور الدين أعف الملوك وأتقاهم وأتقهم بأوأقاهم وأعد لهم وأعبد لهم وأزهدهم وأجهدهم وأطهرهم وأقذرهم وأصلحهم وأفسد لهم وأملأ وأرجمهم وأما وأخوهم وأيا وأصد هم قولا وأتصد هم طولا وكان عصره فاضلا ونصره واصل وحكمه عادلا وقضيه شاملا وزمانه طيبا واحسانه صيبا والقابض بها يتسه ومحبته بمقتله والنفس بباطنة وعارفته مقتله وأوامرهم مقتله وخدمته من عز العزل ونوايه في أمن من العزل ردولته مأموه مأموه وروضته مصوبة مصونة والرياسة كماله والياسة شاملا والزيادته زائده والمعادمة ساعده والعيشة ناضره والشيعة ناصره والانصاف صاف والاسعاف عاف وأزاد الدين قوى وظما الاسلام روى وزاد النجى روى والنصر مشرور والحكم مسموع والعدل مولى والظلم معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول ولتقى شروق ومال الصق سوق وهو الذى أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضرر فاستفتح معانها واستخلص عقائلها

وأشاعهم أسعار الشرع في جميع الحبل والعقد والابرام والنقص والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت القرية في أيام غيره على بلاد الأسلام بالسما قد أتت فقهها وعنى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مزارا حتى أسروهم وبثسواهم وحبان الغور منهم وجماعا عنهم وأحياهم الله الدين الدارس ونجى ثلاثا من المدارس وأنشأ الخانات للصوفية وكثر هاق كل بلد وكثر وقوفها وقرى معروفها وأدى إلى الوافين من حتى جنة قطوفها وأجسد الأسوار والحدائق وأنعم المرافق ونجى الحقائق وأمر في الطرقات وبناء الربط والخانات فضافت ضيوف الفضائل وناضت فيوض الافاضل وهو الذي فتح مصر وأعلمها وانه أدولتها ورجاها ثم ذكر العماد في أثناء حوادث سنة تسع وستين وهي السنة التي توفي فيها زراة الدين حال

وفي هذه السنة أكثر نور الدين من الزراف والصفوان وعمار الداءة بحيرة وفتية آثار الأنام واسقاط كل ما يدخل في شبه الحرام فأنق سوي الجزية والمزاج وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهج قال وأمرني بكتب مناسير لجميع أهل البلاد كتب أكثر من ألف منشور وسنما تصدق به على الفقراء في ذلك الشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار وكنت عادة في الصدقة أن يحضر جماعة من أمال البلد من كل شدة ويسألهم عن يعرفون في جوارهم من أغل الحاجة ثم يصرف إليهم صدقاتهم وكان يبرسم نفقة الخاص في كل شهر من خبز أهل الدقة مبلغ ألفي قرطيس يصرفه في كدته وفتته وحوائجه المهمة حتى أجرة خطاطه وجامع كطباخه ويستفضل منه ما يصدق به في آخر الشهر وأما ما كان يهدي إليه من هدايا الملوك وغيرهم فإنه كان لا يتصرف في شيء منه لا قبل ولا كبر بل إذا اجتمع خبره إلى مجلس القاضي ويحصل ثمنه يصرف في عارة الماحد للبحيرة وتقدم بأحصاءه في محال دمشق فاناف على مائة مئة مجدها ثم يمار ذلك كله وعينه له وقوفها قال ولما استغلب ذكر وقوفه صدقته في كل بلد لظال الكتاب وأبلغ إلى أمده شاهدته أبيه الدالة على خاصيته يعني عن خبرها بالعبان وبكى أسوار البلدان عن الربط والدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المراتب في سيرة دوله طول وعمله لم يهرم ولم يقبل وواظب على عقد مجلس الوعاظ ونصب انكراسي لهم في القلعة لآثار والاتعاظ وأكبرهم الفقيه طيب الدين النيسابوري وهو مشغوف ببركة أنفاسه واعتنام كلامه وقابله ووفد من بغداد ابن السخ أبي العجيب الأكبر فبسط له في كل أسبوع المنبر وشاق وعظه وراقه معناه ولفقته وكثله وقد أله من أصبان الفتية شرف الدين عبد المؤمن بن سورة وما عين تلك الأيام وأبرك ذلك السوءة نال بلما أسقط زراة الدين الجنات المحظورة والسبب المحظورة عزل النعمان وصرف عن الرعية بصرفه الممن وقال القاضي كمال الدين ابن السهروردي انظر أنت ذلك واجل أمور الناس فيها على الشريعة فالأول بك مال المزار من الحشر ينحصر ولا تدبره ما تال فجعل زراة الدين ثلاث ما يحصل فيه لكمال الدين الحاشية فوفروه وأكثروهم وان نور الدين بهما من القاضي على شيء من الوقوف ويقول أنا قد قلته على أن يتصرف بالمعروف وما يفضل من مصاريفها وشروطها يأمره بصرفه في بناء الأسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة لا اهرامه منتحلة الامور قالت وحكي الشيخ أن البركان الحسن بن محمد بن هبة الله انه حضر مع الحافظ أبي القاسم رحمه الله مجلس زراة الدين لجماع شيء من الحديث فقرأ أنه الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفه فاستعد نور الدين أمر الميكن يعرفه وقال كن رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه يشير إلى النعيب من عادة الجند اذ هم على خلاف ذلك لانهم بطرندبا واساطعهم حال فلما كان من التذمر رانحت القطعة والناس يتبعون ينظرون ركوب السلطان فوقنا نظر اليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو متقلد للسيف وجميع عسكره كذلك فرجة الله على هذا الملك الذي لربطه في الانتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم يمثل هذه الحالة لما بلغت رجوع نفسه ورد جندته عن عوايدهم أتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فالظن بغير ذلك من الاسن ولقد بلغني انه أمر بإسقاط القبايع الداعية على المنابر ورأى له وزير مصوق في الدين خالدين القيسراني الساعر في عنانه انه بفعل ثيابه وقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوس وقال هذا تصبى منامك وكان في منجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد أن أبط ذلك استخفى من الناس في حل وقال والله ما أخرجناها إلا في جهاد دعا والأسلام يعتذر بذلك إليهم عن أخذها منهم وعلى الجلبة كان نور الدين رحمه الله فردا في زمانه من بين

سائر المملوك ولولم يكن الاستماع للموعظة وبقية له ما وان اشتملت على ألفاظ قد أغلظ له فيها قرأت في تاريخ
أربيل لشرف الدين ابن المستوفي رحمه الله قال المنتخب الواعظ هو أبو عثمان المنتخب بن أبي محمد بن البصري
الواسطي وردار بل ووعظ بها وكان له قبول عظيم وسافر إلى نور الدين محمود بن زنكي من أن يستقر إلى الشام بسبب
الغزاة وأنقله نور الدين رحمه من مال فلم يقبلها ثم ردّها عليه أنشدني له يحيى بن محمد بن صدقة قصيدة علمها إلى نور الدين
وحلف أنه جمعها من لفظه

شعر

مثل وقوفك أيها المفسرور * يوم القيامة والسماء تمور
ان قيل نور الدين رحمت ممل * فاحذر بأن تبقى وما لك نور
أنهيت عن شربها الجور وأنتم من * كأس المظالم طامخ مخور
عطلت كأسات المدام تعففا * وعليك كأسات الحرام تذور
ماذا تقول اذا نقلت إلى البلى * فردا وجهك منكرو ونكير
وتعلقت فيك الخصوم وأنتم في * يوم الحساب مسجوب خور
وتفرقت عنك الجنود وأنتم في * سيق الله وموسد مقبور
ووددت انك ما وليت ولاية * برما ولا قال الامام أمير
وبقيت بعد العز من حفيرة * في عالم الموت وأنتم حقير
وحضرت عننا خزنا باكميا * فلكا وما لك في الامام مجير
أرضيت ان تحمي قلبك دارس * عافي الخراب وجهك المهور
أرضيت ان يحتل سواك بقره * أبدا وأنتم مبعده مهور
مهلت نفسك حجة تجوبها * يوم العادل لك المهدور

قلت ولعل هذه الايات من أقوى الاسباب المحركة لسلطان في ابطال تلك المظالم واختلاص من تلك المآثم رضي الله
عن الواعظ والمتعظ بسببه ووفق من رام الاقتداء به ونقلت من خط الصاحب العالم كمال الدين أبي القاسم عمر
ابن أجد بن هبة الله بن أبي جراد في كتاب تاريخ حلب الذي صنفه وجمعت من لفظه ان نور الدين رحمه الله كان مع
أبيه بحلب فلما حاصر أبوه قلعة جعبر وقتل عليها قصده حلب وصعد قطعها ولبسها في شهر ربيع الاول سنة احدى
وأربعين وخمسمائة وأحسن إلى الرعية وثبت العدل ورفع الجور وأبطل البدع واشتغل بالفرز وفتح قلاع كثيرة
من عمل حلب كانت بيد الفرنج وحدثت بحلب ومشق عن جماعة من العلماء أجازوا لهمهم أبو عبد الله بن رفاعه بن
غدير السعدي المصري روى عنه جماعة من شيوخنا مثل أبي الفضل أجد وأبي البركات الحسن وأبي منصور
عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال ووقفت على رقعة بخط الوزير خالد بن محمد بن نصر
ابن صغير القيصراني كتبها إلى نور الدين بن جواربها من نور الدين على رأس الورقة وبين السطور نقلت جميع ما فيها
قال وكان رحمه الله كتب رقعة يطلب من ابن القيصراني ان يكتب له صورة ما يدعي له به على المنابر حتى لا يقول
الخطيب ما ليس فيه ويصونه عن الكذب وعن ما هو مخالف لحاله ونسخة الورقة بخط خالد

أعلى الله قدر الملوك في الدارين وبلغه أماله في نفسه وذريته وختم له بالحق في العاجلة والآجلة بمنه وجوده وفضله وحده
وقب المملوك على الرقة وتضاعف دعاؤه واشتهر إلى الله تعالى بان يرضى عنه وعن والديه وان يصل له السلاوك
إلى رضاه والقرب منه والفرز عنده انه على كل شيء قدير رأى المملوك ما عرضه على العلم الاشراف زاد الله شرفا
وهول يذكرا الخطيب على المنبر اذا أراد الدعاة الأولى اللهم صلح عبدك الفقير إلى رحمتك الخاضع لهيبتك العتصم
بقولك المجاهد في سبيلك الم رابط لا علماديتك أبا القاسم محمود بن زنكي بن أحمد بن قراصر أمير المؤمنين فان هذا جميعه
لا يدخله كذب ولا يزاد ولا يرى أعلى وأسمى ان شاء الله تعالى فكتب نور الدين على رأس الرقة بخطه ما هذا صورته
مقصودى ان لا يكذب على المنبر المتبخل لا أفرح عمالا أعمل قلة عقل عظيم النى كتب جيدا كتب به
نمض حتى نسير إلى جميع البلاد وكتب في آخر الرقة ثم بدأ بالدعاء اللهم أرحم الحق اللهم اسعده اللهم انصره اللهم وقه

من هذا الجنس قال وحدثنني والدي قال استدعانا نور الدين وأبو غانم وشرف الدين بن أبي عصرون إلى الميدان الأول وأشهدنا عليه بوقف حوائث على سبور حص فلما شهدنا عليه التفت إلينا وقال بالله انظروا أي شيء علمتموه من أبواب البر والخير دوننا عليه وأثر كنونا في الدواب فقال شرف الدين بن أبي عصرون والله ما ترك المولى شيئاً من أبواب البر إلا وقد فعله ولم يترك لأحد من بعده فعل خيراً إلا وقد سبقه إليه وقال قال لي والدي دخل في أيام نور الدين إلى حلب تاجر موسرفاتهم وأخطبها ولد أصغرهما ولا كثيراً فكتب بعض من تحلب إلى نور الدين يذكر له أنه قد مات هاهنا رجل تاجر موسر وخلف عشرين ألف دينار أوفوها وله ولد وعشرون سنين وحسن لأن يرغم المال إلى الخزانة إلى أن يكبر الصغير يرضى منه شيء ويسلك الباقي للخزانة فكتب على رقبته أما الملت فرحمه الله وأما الولد فاشاء الله وأما المال فخرد الله وأما الساعي فلغنه الله قال وباغتني هذه الحكاية عن غير نور الدين أيضاً وحدثنني الحاج عمر بن سنقر عتيق شاذنخت النوري قال سمعت الطراني شاذنخت الخادم يحكي لنا قال كنت يوماً أنا وسنقر جواراً واقفين على رأس نور الدين وقد صلي المغرب وجلس وهو مفكر فكنا أعظيما وجعل يكتب بأصبعه في الأرض فتعجبنا من فكره وقتنا ترى في أي شيء يفكر في عالمه أوفى وفاء دينه فكانه نطافنا فرغم رأسه وقال ما تقرأن قلتما ما قلنا شيئاً فقال بجاني قولاً لي قلنا تعجبنا من إفراط مولانا في الفكر وتلقاه في عالمه أوفى بنفسه فقال انني أفكر في وال ولينه أمر من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم أو يمين نظلم المسلمين من أصحابي وأعواني وأخاف المطالبة بذلك فبالله عليكم والاختبري عليكم حرام لأن زمان تمتد رفع إلى أو تعلمان مظلة الأوعلى إلى به أو أرفعها إلى

وسمعت فاضى القضاء بها الدين أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال كان نور الدين ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمار المشايخ يظفر عليه فكان ينفذ إليه الأكياس فيها القنيت والرفاق وغير ذلك فكان نور الدين يظفر عليه وكان إذا قدم الموصل لأباً كل الأمن طعم الشيخ عمار المظالم وكان نور الدين لما صارت له الموصل قد أمر كشتكين شحنة الموصل أن لا يعمل شيئاً إلا بالشرع إذا أمر بالقاضي به وأن لا يعمل بالقاضي والتواب كاهم شيئاً إلا بأمر الشيخ عمار الملا قال وكان لا يعمل بالسياسة وطلبت الشحنة في أكبر الدولة وقالوا لكه كين قد كثر الدعار وأرباب الفساد ولا يجي من هذائى إلا بالقتل والصلب فلو كتب إلى نور الدين وقلت له في ذلك فقال لهم ألاً أكتب إليهم في هذا المعنى ولا أجسر على ذلك فقولوا للشيخ عمار يكتب إليهم فصره وأعدده وذكره الله ذلك فكتب إلى نور الدين وقال له أن الدعار والمفسدين وقذاع الطريق قد كثروا واحتجوا إلى نوع سياسة قتل هذا لا يجي إلا بالقتل والصلب وجنرب وإذا أخذ مال إنسان في البر يمينه من يجي يشهد له قال فكتب نور الدين كتابه وكتب على ظهره ما نال الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وأن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه التكامل فيها ولو علم أن على الشريعة زاد في المصلحة لشرعه فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى قال فجمع الشيخ عمار المأهل الموصل وأفرغهم السكاب وقال انظروا في كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد وسمعت صقر بن يحيى بن صقر لم يقل يقول سمعت مقلداً يعني الدولعي يقول لما مات الحافظ المرادى وكنا جماعة الفقهاء قسمين العرب والأكراد فنام مال إلى المذهب وأردنا أن نستدعي الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون ودان بالموصل ومنهم مال إلى علمنا نظر والخلاف وأراد أن يستدعي القطب النبه البوري وكان قد جاء وزار البيت المقدس ثم عاد إلى بلاد الجعم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووتعت فتنة بين الفقهاء فجمع نور الدين بذلك فاستدعي جماعة الفقهاء إلى القلعة يجلب وخرج إليهم محمد الدين يعني ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما أردنا إنشاء المدارس الأنشر العلم وحض البدع من هذه البلدة وأظهرا الدين وهذا الذي جرى بينك لا يحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن رضى الطائفتين ونستدعي شرف الدين بن أبي عصرون وقطب الدين النسابوري فاستدعاهما جميعاً وولى مدرسة ابن أبي عصرون لشرف الدين ومدرسة النفرى لقطب الدين قال وعلقت أسامان خط قتيه كان معيدا بالنظامه يقال له أبو الفتح بنجيح بن أبي الحسن بن بنجيح الأشرى وكان من وردهم في جمع لنور الدين سيرة مختصرة قال كان نور الدين يقعد في الأسبوع أربعة أيام وأربعة أيام في دار العدل للنظر في أمور الرعية وكشف الظلامة لا يطلب بذلك درهما ولا دينار ولا زاد ترجع إلى خزانته وإنما يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله وللبالثلث والربيع في الآخرة

[illegible]

فقالوا هذا الصبي ابن الشيخ أبي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في ججرة لا وقت له قدرة على الاجرة وقد حبسه وكيل الوتر لانه اجمع عليه اجرة. فنه فقال الملك العادل كم اجرة السنة فقالوا ثمانية وخمسون قرطاسا وذكروا سيرته وطريقته وقدرته فرق له وأقم على هؤلاء نحن نعطيه كل سنة هذا القدر لمصر في الاجرة وقد فعلوا بتهمة بذلك واخرجاه من المجلس فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كان الانعام كان في حقه اخبرنا ان شاعر النذر عبد المطلب الهاماني قال كان عند القاضي تاج الدين عبدالغفور بن اتمان الكركري فاذني حلب غلام قد جعله المجلس الحاكم يدعى سويدا يحضرنا انصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار واذا في له على نور الدين دعوى فقال الكركري له سويدا بالذكري افاض الى نور الدين وادعاه الى مجلس الحكم وشرقه انه حضر شخص يدعى سويدا حضره وكان نور الدين في الميدان فحاضره الى باب الميدان فخرج اسماعيل المختار فوجده مقدم سويدا اليه وقال سيرني تاج الدين يعني القاضي وذكرا انه حضر تاجروا ذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد انقضت تاج الدين وقال لي كذا وكذا اخبرني اسماعيل المختار وادخل على نور الدين صاحبها فقال له من هن تاجروا يقول المولى فقال لي ابي فقال حضره سويدا غلام تاج الدين الكركري وقال ان تاج الدين اوسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فانكر نور الدين على اسماعيل استزاده وقال تسترئى بطلي الى مجلس الحكم وقال نور الدين بحضرته فرسى حتى ترك اليه السمع والطاعة قال الله تعالى انما كن قول المؤمنين اذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا ثم من وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا رناله امضى الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل له اني جئت الى هذا زادته الامور ثم رجعوا حاج في الحاضر الى الله الى ساول هذه الازمة وقم الايمان وهذا وكلي سمع الاعزى وان توجع عتبت من احضرنا الله تعالى الى مجلس الحكم الوكيل وسمع الدعوى ونرجعت اليهم فقال الكركري قد رجعت اليهم طرأ خبر فبايع نور الدين ذلك وعاد الله لا مودة مع حضور مجلسه للذين استدعى ذلك الساجد وأسلح الامر بما بينهم وبينه وأمره وسعت فادعى العضاضها الذين يقولون حكمي السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال أرساني الملك العادل نور الدين الى عي أسد الدين شيركود وكان لا يفعل شيئا الا بشؤره فقال امض وتلى لاسد الدين ففعل ما اراد في هذه الضمانات باصرها والمؤمن والمكوس واخذوا منه في ذلك قال فثبت اليه وانتهت ما كان في قال امض وتلى لايامه لا نال افعلت ذلك فالاجناد الذين أراهم على هذه الجبهات من ابن عظيم ونحتاج اليهم للفرار فخرجوا اليهم كمال السلطان صلاح الدين فقلنا يا بني هذا أمر تدأله الله اياك فساعدته عليه فسادت في ذلك امض اليه وقل ما اقول قال فعدت الى نور الدين وانتهت اليه ما قال عي فقال امض اليه وقل له انا انتم من هذا الجبهة انتم كادتموه ولا تخرج قال فعدت الى عي وامت ما قال فقال قل له ان زكوتك تعذبني فهو قراجه من ان لا يابى عليه قال فقال في وقال امض اليه وقل له ما اقول لان ثبت اليه وقلت له ذلك فرك ذلك مدة ثم عدى ما كان عزم عليه قال له فخرج من عي بلقيان ان موقف الذين خالدا رأى في الزم كان نور الدين دفع اليه ثيابا له في اوقف مناه على زراة فخرج نور الدين فقل مرقق الذين وبق اياما على غاية من الخلل فاستدعاه يوما نور الدين وقال تعالى قد أنزلنا نكتسب ذلالمون والمكوس والاعشاروا كتب المسلمين اني ترفع عني كما مره الله تعالى عنكم واثبت عليكم ما أثبتته الله عليكم قال فكتب موقف الذين فيهم ما سمعت خليفة ابن سليمان بن خليفة قال فيه يقول سمعت أبي يقول لما كسر نور الدين يعني كسرة البقية تكم البرهان البلخي فقال أريدون ان تفسروا وفي عكم كما تجرور والظهور والزمه وكلا ما مع ذلك اسمع نور الدين فامزج عنه ثيابه ثلاث وثلاثين الله تعالى على التربة ونسرع في ابطال المكوس الى ان خرج في توبة حارم وكسر الاقرع فسمعت صديقنا شمس الدين اسماعيل بن سرور كبر بن عبد الله النوري وكان ابوه احمدا حيا اليك نور الدين فاعتقه بقر سمعت والذى يقول كان نور الدين محمود رجه الله بليس في الليل مسحا ويقوم يصلي فيه قطعة من الليل قال وكان يرفع يديه الى السماء ويكي ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس قال في قاضي القضاة بهاء الدين مسير نور الدين الى بغداد كتابا يعلم الحقيقة بما اطلق وجهه كما اطلق وسأله ان يتقدم الى الوعاظ بأن يسبحه علوا من التجار ومن جميع المسلمين له في حل مما كان قد وصل اليه يعني ما أمواهم فقدم بذلك وجعل الوعاظ على المنابر ينادون بذلك حدثني رضي الدين

أوسام عبد المنعم بن المنذر بن نور الدين حين خرج لأخذ شبر رخرج أبو غانم بن المنذر صحبته فأمره نور الدين بكتابة منشور بإطلاق النظام بحلب ودمشق وحمص وحزان وسنجار والرجة وعزاز وتل بآشرو عداد العرب فكتب عنه توقيعا سخطه

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقرب به إلى الله سبحانه وتعالى صالحا وأطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعا إرعا هم الله لضعفهم عن عمار ما أخر به أي الكفار بأبدهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور كتمهم في العباد رافة بالمسلمين المتأخرين لطفابا للضعفاء المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد واستجهم بمجاورة أهل العناد اختيار الصبرهم واعظاما لأجرهم قصيروا حسبا وأجل الله لهم أجرا وثوبا انما يوفي الصابرون أجورهم بغير حساب وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املا لهم التي أفاء الله عليهم بها من الفتوح الحمريه وأقره في أندولة الاسلاميه بصد مطر أعليها من الظلة المتقدين واسترجع بسيفه من الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهدم أركان التعدي وأقر الحق مقره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء ثم أأعانه الله بعونه وأيد نصره وقعه به عادية الكفر وأظهرهم حسته شعائر الاسلام وأظفره بالفتنة الطاغية وأمكنهم ملوكها الباغية فجعلهم بين قتل غير مقاد وهارب ممنوع الرقاد وآخرين مقرنين في الاصداد هذا عطاؤنا فامنأ وامنأ وأمسك بغير حساب وان له عندنا لوفى وحسن مأب علم ان الدنيا فانيه فاستخدمها لآخر الباقية واستبقى ملكه الزائل بأن قدّمه أمامه وجعله ذخرا للعدا فالتقوى ما قدّره اذا انتفعت المواد وبأذنه وأضحجه حين يلتبس الجواد يوم لا تمكك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فصنع لكافة المسافرين وجميع المسلمين بالضرائب والمكوس وأسقطها من دواوينه وحرمها على كل متاول اليها ومتهافت عليها تجنبيا لأنها اواكتسابا للزنا بها فكان مبلغ ما سحبه وأطلقه وأنفذ الامر فيه **بها** عا لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل سنة من العين مائة ألف وستة وخمسون ألف دينار جهة ذلك حلب خمسون ألف دينار عزاز عن مكس جندة الفرنج خذ لهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار قل بآشرو عشرين ألف دينار المعرفة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما استعجبه أهلها واستصرخ من فيها خروفا على أنفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ما كان يؤخذ منهم في كل سنة وعورسهم بعونه ائفهم عشرين ألف دينار حمص ستة وعشرين ألف دينار حزان خمسة آلاف دينار سنجان ألف الرحبة عشرة آلاف دينار عداد العرب عشرة آلاف دينار وما وقفه وقصده في به وأجره في سبل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدر ثمنه مائتا ألف دينار وتقدر الحاصل من ارماعه في كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الخفية والشافعية والمالكية والحنبلية وأئتمها ومدّر سبوا وقفها ثم اوما وقفه على دور الصربية والربط واليسور والبيمارستانات والجوامع والمساجد والاسوار وما وقفه على السبيل في طريق الحجاز وما وقفه على فكالك الاسرى وتعليم الايتام ومقر القربا وفقراء المسلمين وما وقفه على الاشراف الامواتين والعيامين وما ملكه لجماعة من الاولياء والعزاة والجاهدين هذا جميعه سوى ما أئتم به على أهل الثغور وحرسهم الله تعالى من املا لهم التي قدّمد كرها فانه يضاهي هذا المبلغ وزيادة عليه جعل ذلك ذخيرة عند الله وتقربا اليه مضافا الى ما أنفق في اخراة والجهاد واستتصال شافة أهل الكفر والعناد من خزائنه العمورة وأموال المورثة المدخورة طلبا لما عند الله والله عذره حسن الثواب فالواجب على كل امام عدل وسلطان قادر ان يمدد يوده وبشد عضده ويقوى عزمه وينفذ حكه وعلى كل مسلم ان يواصله بالدعاء أداء الليل والطراف النهار كتبها مدد دولته وغذى نعمته عبد الرحمن بن عبد المنعم بن رضوان بن عبد الواحد بن محمد بن المنذر الحلبي غفر الله له ورحمه ورضي عنه الى كل من يصل اليه من أئمة الدين وفقهاء المسلمين وأصحاب الزوايا والمتعبدين وكافة التجار والمسافرين أحسن الله توفيقهم وسدد الى اغراض الخير توفيقهم ليشرقوا بذلك من حضرمهم من التجار والمتردين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما أئتم الله به عليه وعليهم ولينذروا قومهم ان ارجعوا اليهم وعمدوهم بأديعتهم ويروا ذنوبهم ما سبق من أخذ مؤثمتهم فانه لم يصرف ذلك الا في خدمة وجهه وتجهيز جيشه ومعونة مجاهد وردع كافر ومعاد فهم شركاؤهم في الثواب

قال في رضى الدين أبو اسلم بن المنذر فلما وقف نور الدين على قوله ويبرئ يمتعه مما سبق استحسن ذلك كثيرا
ووعده بقطع حرس حسن وافق موته بعد ذلك قالت ونقلت من خط الشيخ الامين أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسين
ابن الحضرمي الحسين بن عبد الله الأزدي الدمشقي وقف المولى نور الدين يستأنف الميدان سوى القيصية التي من
قبليه بعد عمارته وأصلح ما يحتاج اليه على تطبيق المساجد التي تأتي ككرها وهي جامع دمشق المحروسة
جامع قلعة دمشق مدرسة الخنفة التي جدها نور الدين مسجد ابن عطية داخل باب الجابية مسجد بن يزيد
بالقفار مسجد سوق الرماحين المسجد الملقى بسوق الصاغة مسجد دار البائع الملقى مسجد العباسي بسوق
الاحمد مسجد نور الدين بجوار اربعة اليهود جامع الصالحين بجبل فاسيون يتنازع ذلك عدد وطيب ويترقى على هذه
الاماكن النصف للجامع بدمشق والنصف الثاني ينقسم على احدى عشر جزءا ثلثه للدرسة وتسعة أجزاء تسعة
المساجد الباقية لكل مسجد جزء واحد تطبيق هذه الاماكن في الاوقات الثرىفة ومواسم الاجتماعات وليالي
شهر رمضان والاعيداد أيام الجمع وقت عقد الجمعة في الجوامع وليالي الجمعة والجمعة والاشهر من خطه ايضا
ان نور الدين رحمه الله حضر عند قلعة دمشق يوم الخميس سابع عشر مفرسة أربع وخمسين وخمسمائة القاضي
زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي والقهاء الشيخ شرف الدين بن أبي نصر ون الخطيب عز الدين أبو
البركات بن عبد والامام عز الدين أبو القاسم علي بن الماسح الشافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن
عيسى المالكي وشرف الاسلام نجم الدين عبد الوهاب الحنبلي ورضي الدين أبو غالب عبد المتين بن محمد بن أسد
الهمي رئيس دمشق ونظام الدين أبو بكر الامام الحسين بن أبي المضاوتى الوزارة بدمشق والاعيان من شهود العدالة
بدمشق وهم عبد الصمد بن محمد والواحد بن هلال والفاضل أبو الحسن وغيرهم فسأله نور الدين عن المضاف الى
أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وتفاعليه وان يظهر كل واحد منها ما يعلمه من ذلك ليعمل به
ويقع الاعانة عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيئا الا اذكره ولا ينكر شيئا مما يقوله غيره الا
ويتكره والسأكت منكم مصدق لانا طبق ومصوب لقوله وليس العمل الاعلى ما تتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا
كان الصفاة رضوان الله عليهم يتجمعون ويتشاورون في مصالح المسلمين فكل من الحاضر بن شكر على ما قصده
وأثنى عليه ودعا له بالبقاء ثم أمر نور الدين منولى أوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان وقتي السبيل وما يجري مع
ذلك ان يقر عليه بمحض من المذكرين من رضى الله تعالى عنهم أوقاف موضع ما من غير ما يملكون انه للمصالح دون الوقت
فانتم بالسوق المستبقت المأذنة القرية بجوار البيمارستان فقال الفاضل وابن عجم وابن هلال هذا السوق بكما له
لمصالح المسلمين وليس من وقف الجامع لانه أحدث في طريق المسلمين وقد صرف في الجامع من أجورهم أو في ما غرم
على عمارته من وقفه فصدقههم الحاضر بن علي ما شهد واب ومبلغ ثلاث وخمسين وعشرين عسادة ثم عين للمصالح أيضا
ما في يادها للجامع القبلية وزيادة باب البريد في الصف القبلي والسما من العضاة والحوافيت والخرات طباقتها
وطباق الطريق بمحضتها جميع بيوت الحضرة من قبل الجامع والقرن المسجد باودار الخيل والمساكن والحوافيت
الجاورة لدار الخيل وحافوت الخواصين في الصف الغربي واما عسرة حافوتها من لاصقات في الصف الشرقي تعرف
بالمصاحبات ونصف حافوت والفرجة المستخدمة بمحض دارة وكالة الى سوق على وعدتها ثلاثة عسرة حافوتها ومصطبة
وثلاث حوافيت في الصف الدامي من سوق على ملحق الفرجة من شرقها وحافوت الفسرة في الصف القبلي يعرف
بسكنى ثعلب الفقاع وحوافيت البادين والتي بمحضرة الفسرة وتحت البادين ويسارية العسرة بسوق الاحد وتعرف
بدار الشجرة وحافوتان في الصف الشرقي بمحضرة فسرة الزين من غرب درب التمام وحافوت بقنطرة الشماخين
في الصف الشامي بمحضرة البياطرة وقضعة بجوار المأمونية من غربها العضاة التي في الصف الشامي من سوق الاحد
وهي خمس عشرة عسادة فوسعة أسهم من طاحونة السقفة وذلك كله بمحضرة ميراث عن بني أمية كالخضر اودار
الخيل وبعضه اشترى بمال الوقت والمصالح وبعضه أخذ على يادها للموقوف عليهم ولو كان له مال وبعضه أحدث في
الطريق فلما سددوا جميع ما ذكر وان منافع ذلك وأجور جار يفي المصالح قال نور الدين ان أهم المصالح سدد
تغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والمحتدق للصيانة المسلمين وحرهم وأموالهم فصوروا ما أشار اليه وشكره ثم

كتاب (١٨) الروضتين

سألهم عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار وعمل الخندق للصليحة المتوجهة للمسلمين فافق شرف الدين عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من روى في مهلة النظر وقال الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي لا يجوز ان يصرف وقف مسجد الى غيره ولا وقف معين لجهة الى جهة غير تلك الجهة واذ لم يكن بتمن ذلك فليس طريقة الا ان يقتصر منه الى الامر في بيت مال المسلمين فيصرف في المصالح ويكون القضاء واجبا من بيت المال فوافقه الأئمة الحاضرون معه على ذلك ثم سأل ابن أبي عصرون نور الدين هل أتفق شيء قبل اليوم على سور دمشق وعلى بناء الكلاسة من شام الجامع وعلى إنشاء السقف المقرن تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح الرواق الشامي من الجامع وسائر التعميرات المتعلقة بالجامع المحمور بغير اذن مولانا وهل كان الاميلقا للامر العالي في عمل ذلك فقال نور الدين لم ينق ذلك ولا شيء منه الا باذن وأنا أمرت به وفتح المشهود من الجامع المحمور للذين كانوا مخزنين وكتب مبلغا عنى ومؤد بأمرى قلت وقد رأيت المحضر الذي كتب فيه صورة ما جرى في ذلك المجلس وهو مشتمل على فوائد حسنة وأنا كبدنا نقل من سيرة هذا الملك في وقته مع أوامر الشرع وفي ذلك المحضر خطوط لجامعة الحاضرين وصوره ما كتبه المالكي الفتى (حضرت المجلس المذکور وعمر الله وزينته بالعدل أبدا معاش صاحبه وشهدت على ما تضمنه من المشورة المباركة وما نسب الى الجامعة من الشهادة بالمواضع المشهورة كما نسب اليهم وقد أخل بذكر دار الحجرة وقد كروها في المصالح المشهورة وما نسب الى من الفتوى فقد كتبت قديته بالحاجة وقرأه بيت المال وأضعه فمعى القيام بما يحتاج اليه المسلمون ومهماتهم انبيته كتبه عبد الوهاب بن عيسى بن محمد المالكي)

(فصل) وقد مدح نور الدين رحمه الله تعالى بأشعار كثيرة وأوصافه فوق ما مدح به وكان في أول دولته شاعرا زمانها أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير وأبو الحسن أحمد بن منير ولهما فيهما أشعار فاقته سيأتي جملة منها في مواضعها وقد رأيت ان أقدم منها شيئا هنا فرأيت في ديوان محمد بن نصر القيسرى (كتبت الى نور الدين سلام الله وحنانه ورأفته وامتانه وروحه ويرحمه الله على من عصم بغير العواصم وخدع بمحبه الدهر المخاضم والجم بهيته العائب والواصم الذى انتضى في سبيل الله سوف الجهاد وارضى بغير سلطانه شعرا العباد والزهاد واهتدى الى طاعة الله وليس غير الله من هاد ومن أعجبت أطراف البلاد وأطاد الملكته ومعازل الكفار في عقال ملكته ومركز السكر ما أكر أعلامه وألويته ومن عادت به نفور التام ضاحكة عن نفور النسر ومالك الاسلام متوجه بتيحان النفر وصعاب الامور منقادة اليه بازقة القهر ومن رأى الحكم دراسة فبنى مدارسها والهمم بأبسة فسق منابها ومغارسها والمنابر شامسة فأمكن من صهواتها فوارسها ومن عر رب السن بعد ما عفى وأهتد من الفتن من كان منها على شفا ومن نشر اعلام الفضل وأشر بعد الزفأة أيام العدل ومن أنار برجه الايمان وأخذ الناس به من الزمان توقيع الامان شعر

ذو الجهادين من عدو ونفس * فهو طول الحماية في عبيد
فهو المالك الذى أكرم الناس * سلك الحجج البيضاء
قد هدبت المجرى للعدل لما * سرت في الناس سيرة الخلفاء
فاسما ما لكت في الناس حتى * لقسمت التقي على الاتقاء
تسم الصالحين في جبر الترك * وكمن سكينه في قبا
أنت حين تقاس بالاسد الورود * وحينا تعذب في الاولياء
صاغك الله من صميم المعالي * حيث لا نسب سوى الالاء
وكان القيام منك لما ذم * من الطهر مسجد بقباء
أنت الا تترك نبيها فأتك * الاخلايق الانبياء
وأفة في شهامة وعفاف * في اقتدار وسطوة في حياء
وجال بمنطق يجلال * وكمال متوج بهاء
واذا ما الملوك خافت سهام الذ * نهزرت عليك درع الثناء
أعجب الناس منك في الحر * بشهاب الكنية الشهاب

في أخبار (١٩) الدولتين

وكان السيف من عزمك الما * ضى أواذت ما عندها من مضاه
ولعمري لو استطاع فذل ال * قوم بالامهات والأباه

وله فيه سمر

لله عزمك أي سيف ونحى * طبع مضاربته على القهر
ما زفت الحرب العوان به * الا انجلت عن معقل بكر
هل وجه نور الدين هيرسي * صدى الدجى عن تجلج البدر
ملكها ته طليعتنه * أبدا امام جيوشه تسرى
حكم فل كيدهم بصاعقة * نغلت قلوبهم عن الفسكر
تركت حصونهم مجنونهم * فالقوم قبل الاسرى أسر
عصم العواصم فهي ضاحكة * تجلو الطي ثغرا على الثغر
فاذا سرا ياخي لـ قد قلت * نهضت مرايا الخوف والنعر
ورى القلاع بمثل جندلها * حتى استكان الصخر بالصخر
ياسائل عن نهج سيرته * هل غير مفرقها مه الفجر
عال حقيق من تأمله * ان يحيى العرين بالذكر
وشهامة في الله خالصة * عقلت عليه تمام الاجر
ونسدى ماض واردها * ان لا يبيت مجاور البحر
هذا الخيم في ذرى حلب * وثناؤه أبدا على ظهر

وله فيه وقد وصف داره

دار تغار الشمس في أفق * من حسنات الشمس مغير
يرأر فيها ضيغم ماله * غير سيف الهند أظهار
تمسى وتنتهى وهو جارلها * واقف ذوا العرش له جار
لسيفه الباتر من دهرهال * جائر ما بهوى ويختار
قد ملأ الأسفار من ذكره * نشر له في الارض إسفار
حمد يرضوع الجؤم طيبه * كائنما راويه عذار
ان خطرت في قلبه خيرة * أجاها ماض وخطار
وان دعا داعيه يوم الوغى * سيوفه لبته أقدار
وانما صارمه مرسل * لمن التأيد أنصار
يا مالك الدنيا ولكنها * دنيا لها في الدين آثار
ويا جوادا مالا لاته * غير قضاء الحمد مضمار

وله فيه أيضا

تدارك لمة العسرى ذبا * الى ان عده منه معد
وحل ذرى العواصم وهي نهي * فأجلى النزل حتى ليس ضد
ثني يده عمن الدنيا عفا * ومال بها عن الاموال زهد
رأى حظ المكوس عن الرعايا * فأهدر قبل ما أنشأ بعد
ومد لها رواق العدل شرعا * وقد طوى الرواق ومن بعد
وبان وعند باب العرش منها * لدوتسه دعاء لا يرده
وله فيه

في أخبار (٢٠) الفولتين

ملك أنسبه الملايل فضلا * وشبهه بملك الامر جنته
عم احسانه فاحببته على * شكره في الوري وبدرس حده
فبقى الله ذكره انما حله * ولولا فاته من النصر وفده
وله فيه

نحككت تباكير الصباح كنهيا * قسمت نور الدين خير الناس
المشترى العقي بأنفس نجمة * والبائع الدنيا بغير مكاس
وسرى دماء الخلق بحرس نفسه * ان الثراء بعد في الحراس
راض الخطوب الصم بعد جاحها * ولأن من قلب الزمان القاسي
وأعاد نور الحق في منسكاته * وأقام وزن العدل بالقسطاس
واختار محمد الدين سائس ماله * فحفي الصيامه منه طود راسي
فهو الجبيري بكل داء معضل * بأسوجراح زماننا ويواسي
وأذل سلطان التفاق بعزة * خضعت لها الأساد في الاخياس
وعرته أقران الخطوب فصددها * ألوي بمارسها أشد مراس
ولوان فيض النيل فاقص نيله * لم تقتصر مصر الى مقياس
سكنت شعب الدهر بعد تحيط * وألئت من عطفه بعد نعام
وفتحت باب الخط بعد تاجه * وأذنت للأطماع بعد الياس
حتى منحت الخلق كل مسرة * فالتاس في عرس من الاعراس
وله فيه

سام السام والهام من صفقه * لولاه ما عنت على يد سائم
ولشهرت عنها الثغور وأصبحت * فيها العواصم وهي غير عوام
نلك التي بجمعت على من راضها * ودعوت فانقاد بغير شكائم
واذا سعادتك اجتبت في دولة * فام الزمان لها مقام الخادم
حمن بلادك هيبة لارهبه * فالدرج من عددا الشجاع الحازم
هبات يطمع في محلك طامع * طال البناء على عين الهادم
كلفت همتك السموات خلقت * فكأعماهي دعوة في ظالم
وأظن ان الناس لما لمروا * عدلا كعدلك ارجفوا بالقائم
وله فيه

قلت يقول الله لا تخافا * مع حكم القرآن حكم القرآن
لأراقب النجم ولا سائلا * ما فعل السعدان والنيران
بل غرت للأسلام حتى لقد * دان له من بالطواغيت دان
رعت نواويس نواقيسها * بجلبة الاذان وقت الأذان
نحو تصاور الذي عن يد * تبنى المحارب خلال المجان
هكذا وكما أنشأت من منبر * فارسه فارس مصر البيان
من نال بالانخلاص ما نلتسه * كان من الله مكين المكان
يا شاميا بالشام صوب الحيا * وداننا من كل فاض ودان
هذي معجرف الملك مرفوعة * عن ملك أخباره كالعيان
أوضح سبيل العدل مقننة * فلا يرايا بالقاء اذنان

كتاب (٢١) الروضتين

ألقى حقوفا كاهها باطل * إلى مآل حط مال الضمان
عظفا ورفقا بالرعيا وان * أصبح تأديب ملوك الزمان
كم بين من نام على نشوة * وشاهد في صهوة من حصان
في كل يوم ينثى سيقه * يلبس بكر وأخرى عوان
وقرأت في ديوان أحد بن منير الطرابلسي من قصائد مدحها نور الدين رحمه الله تعالى

يا محبي العدل ويا منزه * من بين أطباق البلى وقد هد
وركن الاسلام الذي وطده * طال وارسي العز فيه ووطد
وشارع المعروف ادلاسه * يجنح للقول ولا تسمع يد
محوت ما أثبتته الجور مضى * عليه ما خلد اليال بخلد
من كل مكاس يظل قاعدا * لما سوه المسلمين بالرصد
كانت لارجاس اليهود دولة * أزالها منك المحصور ذواليد
الملك العدل لفظ طابق الـ * معنى وفي الوصف معار مسترد
خير النعوت ما جرى الوصف على * صفته جرى النسم في الومد
عدل جنيت اليوم حاور به * وسوف يجني لك أحلى منه غد
لا زال لاسلام منك عدة * يقيم منه كل زيغ وأود
الناس أنت والمالوك شرط * تعدد ليشا ويهدون قد
مسلك لا يسفوه زمانه * ومثل ما أوتيت لم يؤت أحد
وله فيه أيضا

أما نوردين خبيرا نوره * ومنشاع عدلك فيه اتقد
وآك الصليب صليب القناة * أمين العشار متين الحمد
تتم قسلبه ما اقتنى * وتدلني بقتلكه ما احتشد
زنتهم أمس عن صرخد * ففضوا كأن فسادا شرد
ويوم العزيمة أقبلتم * عريانا يعلب عنه الاسد
حبست مليكهم في الصفاد * وعفوك عنه أعم الصفد
وقبل ارتفعت في الرها * موازي من قن جرد الجرد
بقيت ترقع خرق الزنا * ن قياما لإنسانه ان تعد
تنقف من زلفه ما التوى * وتصلح من طبعه ما فسد
وله فيه

أيامك الدنيا الحلحل والذي * له الأرض دار والبرية أعبد
وليت بدعوى لا يقوم دليلها * ولكنه الحق الذي ليس يحسد
أخواتك نوات كاله قد تناسقت * تحمل باجساد الجباد وتعد
لسان بذكر الله بكسو نهاره * بهاء وجفن في الذي ليس برقد
وبذل عدل أغرقا وتألها * فلا الورد محمود ولا الباب موصد
مرام سمائي وخزم مستد * ورأى شهابي وعزم مؤيد
وله فيه

أبدا منك عن ضلال سادرا * بتقوي بزنك أوتدل على هذا
سدت الكهول من الملوثر اذفا * وشاوت شديم بالبولزل أمردا

كتاب (٢٢) الروضتين

ان شيدوا صرحا أناف مناره * أو مسجد واللكاس جدد مسجدا
 واذا استنزهتم فلائد معبد * هزته موعظة فعرى معبدا
 قسما بشام الشام منك مهندا * أرضاه مشهورا وراع مقلدا
 وتمسك الاسلام منك بعروة * الله أبرم حيله أفاض مسجدا
 أشفى فكنت شفاء من حادث * غاداه عارضه مردي بالردا
 كنت الصباح لليلة الحادجي * وانغوث كف لنا حين نوقدا
 لله يوم! أطلعك بد النوى * يجتاب من موج الا صافر محدا
 نشوان غنمك الظي مقولة * وأمال عطفك الوشيع قصدا
 في معرك ما قام بأسك دونه * الأافام المشركن وأقعدا
 ولكم مكررت فيه معلما * أرضى الهك والمسيح وأجدا
 يوم العريكة والخطيم وحارم * وشعباب ياسوطا وهاب وصرخدا
 لا يعدم الاشرار جثك انه * ما سئل فيهم حاكيا الا اعتدا
 أهدتهم من بعد ماملا والملا * زجلا فهل كانت سيوفك مرقددا
 طلعت نجوم الحق من آفاقها * وأعادها كرا العصور كما بدا
 وهوى الصليب وحزبه وبخترالا * سلام من بعد التساقف أعيذا
 سبق المحلى للخطي فرضعه * نسق ثم وقد رفعت بالابتدا

وله فيه

مجدد المني على اسلافه * ان زادني حب الحبيب نجار
 ملك اذا تلبت مآثر قومه * كسد اللطم وهجن النوار
 ملا الفرجة جور سيفك فهم * فاهم على سيف المحيط حوار
 يوما يزيك جوف عرقه معلما * جوف له خلف الدروب أوار
 وتجر في الاردن فضله ذبله * نفع بأكناف الانطمار
 اما تبع حريم انطاكية * أو يبدأ الاداروم منك دمار
 عني جهادك رسم كل مخوفة * وصفت بصفوة عندك الاكدار
 ومحا المظالم منك نظرة راحم * لله في خطراته أسرار
 غضبان للاسلام مال عموده * فلنوره مما عراه نوار
 وجذمت كل يد تسور على يد * فاحلت ذاك السور وهو سوار
 لم يبق ما كس مسلم سلقارلا * ساع المظلمة ولاعشار
 همدوا كما همدت ثمود وقادهم * يخسارهم مما أنوه قدار
 الغار في الدنيا شقوا بالياسه * وباسهم يوم الحساب النار
 كم ميرة أحييتها عمرية * رفعت لها في الحاققين منار
 ونزافل صيرتم لوازما * باقها تستعيد الاحرار
 تقطو طريق الصالحين مسابقا * لهم وتطلع نافعك الاررار
 نفس السيادة زهد مثلك في الذي * فيه تفانت يعرب وزرار
 ومتى ادعى ما ندعه محكم * أوهي معاقد دينه دينار
 لله ما ظفرت به منك المني * وتكثفت من ركنك الاستار
 وسقى الغمام ترى أليك فانه * أركي ترى قطرت عليه قطار

في أخبار * (٢٢) * الدولتين

شهدت نصارة عودك انقض الجنى وان الذي استخلصت منه نصار
أمانهارك فقوليل مجاهد * والليل من طول القيام نهار
فلذلك النذر العزيز أدلة * أين اتجهت وللشوح أمار
وأما أيضا فيه رحمه الله تعالى

رأينا الملوكة وقد ساجلو * لئتمنوا منونا وغروا غرورا
أب لك ان يدركوء أب * يرار فينسى الاسود الزئيرا
وجد اذا جد يوم الرها * ن ايني لتاليه جذا عنورا
نصب سأك على من عصاك * يوما عبوسا بها قطريرا
لنقد البس الشام هذا إلأبا * ابروسا من الامن ليناوئيرا
تداوكت أرماقه والقفلو * ب نوافران يستحق الصدر
أقت جشانا وككانت جبا * وسدت قصورا وكانت قهورا
وكذلك من غصية للهدى * تمت الهوى وتجب الذكورا
اذا قلب الياس كانت ردى * وان تحك العقو عادت نشورا
كلت فوقت عشرين الكمال * تبعد السنين وتبقى العصور
وجد لنا بك رب برا * لك لك كفرنا والدن نورا
اذا ما خدمت فولى كرمنا * وأما عدت فعبدا سكورا
امام المحارب برا حصورا * وتحت الحروب هزرا حصورا
تبارك من شاد هذى الخلال * في ظلة الملك طورا وقورا
وألف في مقعد التاج من * لك سطا واسع برا وعة وانميرا
وله فيه

عقل الحق ألسن المدعينا * أنت خير الملوكة دنيا وديننا
وأسد الانام قولا وأفعنا * لا ونفسا ونيسة وبقينا
أنت أسسناهم اما راباه * وأمر أحياء وأمر عحيننا
بسطة الرزق في البسيطة كفاك * فكنا يدك تلقى يمينا
فيمد تحم التواثب عنا * ويد تقيم الرغائب فينا
أيها البحر لو تساجلك الأبحر * عامت في ساحلك سفينا
ولكان المحيط منها محاطا * مثل نون المجاء أو خيل نونا
مشر عامتنا ومنامهنا * وربا عافيا وكنا لبونا
وحيا طلقا ومالا طليقا * واتهجا قصدا وحبلا متينا
بين ذب يمت عادية الشر * لك وهب يحيى به المسلمونا
تسكني من القروح ألوفا * أنت أعلى من أن تعدا المثينا
كلما حزت نوب تضر عزيز * من مر اقبلت قبحا مينا
صرف الله عنك صرف زمان * أنت علمت صرفه ان يهونا
يا من طبق البسيطة آنا * راوعل المتابذة لاجونا
وعدت حصنه على شرح هذا الدين * من شلة الاعادى حصونا
كم تعالي صهيلها في ربي الشا * م فأعلى خلف الخلع الرينا
كان صنوا رشيد أبناك للحك * مة والباس يعده المأمونا

سمع الله فيك دعوة سكين * أوطنوا من جملك حصنا حصينا
غرتهم مدى الخطوب فاحيدت رفاتمن التراب دفيننا
السواعد لك المديح فاخسا * لوانات في وشبه وبنينا
سهرت عينك الكاء وناموا * تحت أكلف رعبا أمنينا
قلت فهذا أنفوخ من أشعار هذين الخلفين فيه مع انهما ماتا في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة قبل ان يقع نور الدين
دمشق وبقى نور الدين حيا بعدها إحدى وعشرين سنة يترقى كل عام في ازدياد من جهاد واجتهاد ولو كانا
أدركنا ذلك لاتبنا وصفه بعبث المدائح مع انه تدنوا في ذلك غيرها ممن لم يبلغ شأوها ولا في المجد المسلم بن الحضر
ابن قسيم الجوري من قصيدة فيه

تبذو الشجاعة من طلاق وجهه * كذل شغل على القساوئ له
ووراء يقظته أنا محجرب * لله سطوة بأسه وسكونه
هذا الذي في الله صبح جهاده * هذا الذي بالله صبح يقينه
هذا الذي يخل الزمان بمثله * والمشتغل إلى العلى عزينه
ملك الوري ملك أغر متوج * لا غدره يخشى ولا تلويته
ان حل ما كسوف التليد أنيسه * أو سار فالظفر الطريف قرينه
فالدهر خال من أراد عتاده * أبدا وجبار السماء معينه
والدين يشهدانه لمعزوه * والشرك يعلم انه لمهينه
ما زال يقسم ان يبدد شمله * والله يذكرك ان تمين عينه
فقم الرها بالامس فانتفعت له * أبواب ملك لا يزال مصونه

وتمادح نور الدين رحمه الله كثيره وذكر الحافظ أبو القاسم انه كان قليل الالتجاج بالشعر ومات حادى عشر شوال سنة
تسعين وستين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل إلى قبرته بدمرسته بجرار الحواصين قلت وقد جرب استحبابه الدعاء
هنا قبره وهذا كطرف من مناقبه جملة ونحن بعد ذلك نأتى بأخباره وأخبار سلطانه مفصلة ثم تبة وما جرى في زمانهم
على سبيل الاختصار ان شاء الله تعالى

(فصل) أصل البيت الألباني هو قسم الدولة التي سنقر جند نور الدين فنذكر دوما في أيامه ثم نذكر ولده
زنكي وما نفي أيامه ثم نذكر ولده محمود بن زنكي ثم نذكر ما بعده وعى الدولة الصلاحية الأيوبية وما نفي أيامها فنقول
كان اق سنقر تركي كان أصحاب السلطان ركن الدين ملك شاه بن البارسلان وه وعمر دقاق بن منش بن الب
أرسلان الذي كان سلطان دمشق وقبره بقبعة الطواويس بن بانيته والمشهد والذنه وكان السلطان ملكشاه من جملة الملوك
السجوقية المتغلبين على البلاد بعد بني به بالعراق فكان تقسم الدولة من أصحابه وأزواجه ومن ربي معه في صفه واستمر
في صحبته إلى حين كره فلما أفضت السلطنة بعد أبيه إليه جعله من أعيان أمرائه وأخص أوليائه واعتمد عليه في
مهماته وزاد قدره علوا إلى ان صار يتيهه مثل نظام الملائكة ووزر مع تحككه على السلطان وتكلمه من الملكة فاشار نظام
الملك على السلطان ان يولي في سنة رمية حلب واعمالها وأراد بذلك ان يعده عن خدمة السلطان ويخذه عنده
يذا بذلك قال ابن الأثير ومن الدليل على علو مرتبته تلقبه قسم الدولة وكانت الانقلاب حينئذ مصونة لا تعطى الا
لشخصها وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة سبر السلطان ملكشاه الوزير خراف الدولة بن جوير وكان زوج ابنة نظام
الملك إلى الموصل وسير معه جيشا عظيما وجعل المتقدم على الجيش قسم الدولة اق سنقر فساروا نحو الموصل وفتحهم في
الطريق إلى الامير اتقى التركاني جند ملوك الحصن وما رزق فاستجمعهم معهم فحصر الموصل وطاروا من بها وتسلموها
وسار صاحبها إلى السلطان ففردها عليه وكانت يومئذ لا حد أمر ابن عميل وهو شرف الدولة مسلم بن قويس بن
بدران العقيلي وكان ملكه من السندية بالعراق على نهر عيسى إلى منبج وما بينهما من البلاد العراقية كيت والانباء
وغغيرها وملا الموصل وديار بكر والجزيرة بأسرها وملك مدينة حلب وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسة

وانفق ان وقع منه وبين صاحب انطاكية خلاف وذلك ان انطاكية كان الروم قد استولوا عليها سنة ثمان وخمسين
 وثلاثمائة ولم ير الوالي الى هذه السنة نفقتهما سليمان بن قيسل وهو حاكم الملك غياث الدين كجسر و صاحب قونية
 وغيرهما وكان لشرف الدولة صاحب حلب على صاحب انطاكية الرومي خيرة يأخذها كل سنة فاقطعت عنه بسبب
 أخذ سليمان البلد فأرسل شرف الدولة يطلب منه ما كان يأخذه من الروم ونهذه فقل أنا في طاعتك وهذا الفتح
 بسعدناك والخطة والسكة لك ولست بكافر حتى أعطيك ما كنت تأخذه من الروم فلحق شرف الدولة في طلب المال
 فالتقى فقتل شرف الدولة وانهرزم عسكر موسار سليمان الى حلب فصرها وسار اليها من دمشق تاج الدولة تنش بن
 الب أرسلان اخو السلطان ملكشاه بالتقى عسكر تنش وسليمان فقتل سليمان وانهرزم عسكره وملك تنش مدينة حلب
 دون النقلة فأرسل أهل القلعة الى ملكشاه ليسأله وهو يومئذ بالرها وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية
 النخيري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار وسأله اليوم فدخلوها وأخبروا الملك جدوا جلاوا المسلمين عنها
 فسار ملكشاه اليها في هذه السنة فصرها وقتلها وأعطى الأمير زان قلا فأرسل أهل القلعة يطلب بالتسليم
 سار اليهم فلما بلغ مسيره الى أخيه تاج الدولة فرحل عن حلب الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وبالقلة سالم بن
 مالك بن بدران العقيلي وهو ابن عم شرف الدولة فسأله الى السلطان بعد قتال وأعطاه السلطان عوضا عنها قلعة جعبر
 وكان قد ملكها في هذه السفرة من صاحبها جعبر النخيري وكان شيخا كبيرا أعمى فبقيت يسد مالم وأولاده الى ان
 أخذها منهم الملك العادل نور الدين كما سيأتي فلما ملك السلطان حلب أرسل اليه الأمير نصر بن علي بن المقلد بن
 منقذ الكاكي صاحب شهرز ودخل في طاعته وسلم اليه الالذقة وقامته وكفر طاب ثم ان نظام الملك أشار على
 السلطان بتسليم قلعة حلب واعمالها وجاه ومنهج والالذقة وما معها الى قسم الدولة آق سنقر فاقطعه الجميع وبقيت
 بيده الى ان قتل سنة سبع وثمانين وأربعمائة كما سيأتي وأقطع السلطان مدينة انطاكية الأمير باغي سغان ولما
 استقر قسم الدولة في الشام ظهرت كفايته وجانته وهربته في جميع بلاده ثم ان السلطان استعد عاد الى العراق
 فقدم اليه في مجل عظيم لم يكن في عسكر السلطان من يقاربه فاستحسن ذلك منه وعظم محله عنده ثم أمره بالعود الى
 حلب فعاد اليها فلما مات السلطان ملكشاه سرق قسم الدولة جيشا الى تكريت فدخلها وافي سنة إحدى وثمانين
 فقصده قسم الدولة شيرز فنهزموا عادا الى حلب وفي سنة ثلاث وثمانين اجتمع قسم الدولة ووزان وحضر وامدنية حصص
 فملكوها ومضى ابن ملاعب الى مصر وفي سنة أربع وثمانين ومائة قسم الدولة حصص فامدنية من الشام وملك الرحبه
 (فصل) وفي عاشر رمضان سنة خمس وثمانين قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن امهاق قتله
 صبي دلي بعد الاطوار وقد ترقى عن طعمه الفقهاء والامراء والعقراء وعوهم من اوصاف الناس وجعل في محفة
 لئلا يقرس كان به الى خيمة الحرم فلقبه صبي دلي مسغينا به فقتله منه لسمع شكواه فقتله وقتل الصبي ايضا خدمت
 الدنيا واحدها الذي لم ترم له وكان تلك الليلة قد حكي له بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
 كأنه أتاه وأخذه من محفته فنتبه فاستبشر بنظام الملك تلك وأظهر السرور به وقال هذا أنبي وأياه اطلب وكن قد بلغ
 من الدنيا مبلغا عظيما لم يبلغه غيره وكان عالما فقيها ذا سخي امتواضا عاد لا يجب أهل الدين ويكرهم ويجزل صلاتهم
 وكان أقرب الناس منه وأحبه اليه العلماء وكان يساظرهم في المحافل ويعت عن غوامص المسائل لانه استعمل
 بالافقه في سال جدا ثم دأب ما صدقته ووقفه فلا حد عليها ومدارسه في العالم مشهورة لم يتخل بلدن شئ منها حتى
 جبر قراين عمر التي هي في زاوية من الارض لا يؤتي لها بيت فيها مدرسة كبيرة وحسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة
 رضى الدين وأعماله الحسنة وصناعاته الجلية لمذكورة في التواريخ يسبقه من كان قبله ولا أدركه من كان بعده وكان
 من جملة عباداته انه لم يحدث الا توشا ولا توشا الاصلى وكان يقرأ القرآن حفظا ويحافظ على أوقات الصلوات ويحافظ
 لا يتقدمه فيها المتفرغون لله ادة حتى انه كان اذا غفل المؤذن أمره بالاذان واذا سمع الاذان أمسك عن كل ما هو
 فيه واشتغل بواجباته ثم بال صلاة وكان تدور للسلطان عضد الدولة الب أرسلان والملك كشاه قبل ان يلى السلطنة في
 حياته ثم السلطان طغرل بك أول الملوك السلجوقية بن دار فلما ترقى طغرل بك سعى نظام الملك في أخذ السلطنة لصاحبه
 الب أرسلان وقام المقام الذي تفرغ عنه الجيوش الكثيرة واستمرت السلطنة له وبقي معه الى ان توفي ثم ورثه بعده

ولده السلطان ملكشاه الى ان قتل وكان قد تم حكم عليه الى حد لا يقدر السلطان على خلافه لكثرة محبائه ومحبة العساكر له والامراء وميل العامة والخاصة اليه لمحسن سيرته وعمله وهذا كلام أبي الحسن بن الاثير وقرأت في كتاب المعارف المتأخر توهمي عنوان السير لمحمد بن عبد الملك بن ابراهيم الحمداني قال وزير نظام الملك ابو علي الحسن ابن علي بن اسحاق الطوسي السلطان البارسلان ولولده السلطان ملكشاه أربعمائة وثلاثين سنة وتدخل بالقرب من نهاوند وعمره ست وسبعون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما اغتاله أحد الباطنية وقد فرغ من قطوره قال وقيل ان السلطان ملكشاه ألف عليه من قتله لانه ستم طول عمره ومات بعده شهر وخمسة أيام وقد تقدم نظام الملك في الدنيا التقدم العظيم وأفضل على الخلق الا فضال الكثير وعم الناس بحرقه وبخى المدارس لا محابب الا شافعي ووقف عليهم الوقوف وزاد في الحلم والدين على من تقدمهم من الوزراء ولم يبلغ أحد منهم عتة في جميع أموره وعبر بحسن موقع على العالم لبطاكية بما يعرف على الملاحين وملك من العثمان الاثر الالوفا وكان جمهور العساكر وشجعانهم وقتا حكم من محبائه قلت وأتشد أبو سعد المعصاني في ذيل تاريخ بغداد فقال أنشدني عبي الامام ابو القاسم أحد بابن منصور المعصاني غير من تمن لفظه لا مير شيل الدولة يعني مقاتل بن عطية ابن مقاتل البكري

سكان الوزير نظام الملك الخوذة * ثمانية صاغها الرجب من شرف

عزت ولم تصرف الايام قيمتها * فردا غيرة منه الى الصدف

(فصل) عاش السلطان ملكشاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوما ومات في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وعمره ثمانية وثلاثين عاما ونصف عام وكانت ملكته قد اتسعت اتساعا عظيما وخطب له من حدود الصين الى الدار ومن أرض الشام وأطباع الصين والجزائر وكان يأخذ الخراج من ملك القسطنطينية وأطباعه صاحب طراز واستيواب وكاشغر وبلاسون وغيرهما من الممالك البعيدة وملك سمرقند وجميع ما وراء النهر ثم ان صاحب كاشغر عصي عليه فسار السلطان اليه فلما قرب كاشغر هرب صاحبها منه فأسرى في طلبه ولم يزل حتى ظفروا وأحسن اليه واستصحبه معه الى أصفهان وعمل السلطان من الحيرات وأبواب الركيزة ما أمناه وأصلحه وعلمه من المصانع بطرق مكة وحفر من الابار وبني مدرسة عند قبر الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه وبني الجامع الذي يظهر بغداد عند دار السلطنة وهو الذي بني منارة الفرون في طرف البرماني الى الكوفة بمكان يعرف بالسبي وبني مثله اسمرقند ايضا قبل ان تخرج سنة من الكوفة لتوديع الحج فباز العذيب وبلغ السبيعة بقرب الواحصة وبني هناك منارة نزل في أناتها قرون الفاني وحوافر الجمل الوحشية التي اصطادها في طريقه وبعدهم وتنازع ابنا تكياروق ومحمد دامت الحروب بينهم لمحو ثنتي عشرة سنة الى ان توفي تكياروق واستقرت السلطنة لمحمد في مدة تلك الحروب ظهرت الفرغ بساحل وملكوا انطاكية أولا ثم غيرها من البلاد وكان السلطان قد أقطع أخاه تاج الدولة تنس مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية والبيت المقدس فلما توفي ملكشاه طمع تاج الدولة في السلطنة فسار الى حلب وهاجمها فحاصرها وراسل بوزان صاحب حران وباغي سغان صاحب انطاكية فسار معه نحو الرحبة ونصبين فأخذها وأرسل صاحب الموصل ابراهيم بن قريش بن بردان يأمره بالخطبة له وان يعطيه طريقا الى بغداد فامتنع فالتقى فنهزم صاحب الموصل وقتل وأخذت بلاده وسار الى ميافارقين فلما كملها واسترد يار بك ثم سار الى أذربيجان فالتقى هو وابن أخيه تكياروق مع ملكشاه فانتقل قسم الدولة وبوزان الى تكياروق فرجع تاج الدولة الى الشام ورجعا الى بلادها بأمر تكياروق لجمع تاج الدولة عن البلادان قصداه فجمع تاج الدولة العساكر وسار عن دمشق نحو حلب فاجتمع قسم الدولة وبوزان وأمداه السلطان بركن الدين تكياروق بالامير كروقا وهو الذي صار فيما بعد صاحب الموصل فالتقوا بالقرب من تل السلطان بينه وبين حلب فحوم سنة فراحق فانهزم جيش قسم الدولة وأخذ أسير أخته تاج الدولة صبرا ودخل برزان وكروقا حلب فصرها تاج الدولة حتى فتحها وأخذها أسيرين وأرسل الى حران والرها وكاتب البرزان فامتنع من بهما من التسليم فقتل برزان وأتخذ أسيرين من البلد وأما كروقا فانه سجنه بمجس فلم يزل الى ان أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة قال ابن الاثير وكان قسم الدولة أحسن الناس سياسة لرعيته وحفظها لمسه وكانت بلاده من عدل عامور خص شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية في بلاده متى أخذ عند

فأخبار (٢٧) الدولتين

أحدهم قتل أو أحدهم الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغت قرية من بلاد القوارح الحالم وناموا آمنين وقام أهل القرية يحرسونهم الى ان يرحلوا فأمنت الطرق وتحدث الركان بحسن سيرته وفي المحرم من سنة سبع وثمانين وأربعمائة توفي الخليفة المقتدى بأمر الله فأتوه وألقاهم عبد الله ابن الامير محمد بن القائم بأمر الله وعمره سبع وثلاثون سنة وعثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشر سنة وخمسة أشهر وأمه تركية وبويع من بعده ولده المستظهر بالله أبو العباس أحمد ولقب بمحمد بن القائم والد المقتدى بالله الذي خبرت في حياته أنه قليل الخلافة

ذكر أخبار زنكي

والد نور الدين رحمه الله تعالى على سبيل الاختصار في فصولي الحسين وفاته ثم يذكر أخبار نور الدين على ترتيب السنين لما قتل قسم الدولة آق سنقر لم يلف من الا ولاد غر واحد وهو عماد الدين بن زنجي والد نور الدين وكان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشرين سنة فاجتمع عليه عماليك والده وأصحابه وفيهم من بن الدين علي وهو صبي أيضا ثم ان الامير كرواقا خلاص من السجن بعد قتل تاج الدولة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وتوجه الى حران وقد اجتمع معه عسكر صالح فلما كان في سار الى نصيبين فلما كان في الموصل فلكها وازال عنها علي بن شرف الدولة العقيلي وسار نحو مardin فلما كان في الموصل فلكها وعظم شأنه وهو في طاعة ركن الدولة تباروق فلما ملك البلاد حضر عماليك قسم الدولة آق سنة روماء هم باحضر عماد الدين زنكي وقال هو ابن أخي وأنا اولي الناس بتربته فاحضره وعند قاطعهم الاقطاعات السنية وجعلهم على عماد الدين زنكي واستعان بهم في حربه وكانوا من الشجعان في أعلى درجاتها فلما رما معه فتوجه بهم الى آمد وصاحبهم أمراء الترك كان فاستجدهم من الدين ستمائة دينار فارتقى جد صاحب الحصن فكسره هم قوام الدولة كرواقا وهو أول مصافح حضر زنكي بعد قتل والده ولم يزل كر بقاء الى ان توفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة وملك بعده موسى التركاني فلم يطل مدته وقتل وملك الموصل خمس الدولة بكر مش وهو ايضا من عماليك السلطان ملكشاه فاخذ زنكي قفره واجبه واتخذ له ولد المرقبة بكاته والده فيقي معه الى ان قتل سنة خمس مائة فلاح من زنكي رعى هذا الجرك مش لما ملك الموصل وغربها من البلاد فانه أخذ ولده ناصر الدين كورقي فاكرمه وقده وقاطعه اقطاعا كثيرا وجعل ينزله أعلى المنازل عنده واتخذ صهره ملك الموصل بعد بكر مش جاولي سقاؤه فاقبل به في اعداء الدين زنكي وقد كبر وظهرت عليه امارات السعادة والشهامة ولم يزل معه حتى عصى على السلطان محمود وكان جاولي قد عير الى الشام ليلكه من الملك غفر الملك رضوان فارس السلطان الى الموصل الامير مودود وواظفها يا هامة اثنين وخمسمائة فلما اتصل الخبر بجاولي فارتد زنكي وغيره من الامراء فلما استقر مودود بالموصل واتصل به زنكي اكرمه وشهد معه حربه فسار مودود الى القزاة الشام ففتح في طريقه قلاعاً لهم من شحشان كانت للفرنج وقتل من كان بها منهم ثم سار الى الرها فحصرها ولم يستطعها فرحل وعبر الفرات فحصر قل بانشر نحو ثمانين يوماً ثم سار الى معرة النعمان فحصرها ثم حضر عنده أنابك طعنين صاحب دمشق فساروا الى طبرية وهاجموها وقتلوا قتلى لا يحصى وظهر من انابك زنكي شجاعا علمه مع ثلثمائة مائة كان في نفره وخرج الفرنج من البلد فحمل عليهم هروم من معه وهو ينظر انهم يتبعونه فقتلوا عنه وتسع مائة وحده وقد انهم من مظاهر البلد من الفرنج فدخلوا البلد ووصل رجعهم الى الباب فآثر فيه وقتلهم عليه وبقي يقتظر وصول من كان معه فغيث لم ير أحدا حتى نفسه وعاد سالما فنجب الناس من أقدامه أولا ومن سلامته آخر ثم اتقى الجمعان فهزم الفرنج لعينهم الله ووصلوا الى مضيق دون طبرية فاجتمعوا به وجاءتهم بجدة فاذا ان المير مودود قد عسكر في الرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع فلما اتفقوا دخل دمشق وأقام بها فخرج يوحى الى الجمعة فلما صلاها وخرج الى معين الجامع ويده بيد طعنين وثب عليه انسان فحضره بكين معه فخرجه أربع درجات وكان صائما فحمل الى دار طعنين واجتهد به ليطفر فله فعل وقال لا لقيت الله الا صائما فأتى ميتا لجماعة السوء افطرت أودعت وتوفي في بقية يومه رحمه الله فقيل ان الباذنية بالشام خافوه فقتلوه وقيل بل خافه طعنين فوضع عليه من دمه وكان خيرا عادلا حسن السيرة

قال ابن الاثير حدثني والدي رحمه الله قال كتب ملك الفرنج الى ملطيين ان امة قتلت عبيدها يوم عيدها في بيت معبودها تحقيق على اقتدان بيدها فلما قتل الامير مودود قطع السلطان بلاد الموصل وغيرها الا امير حبوش بك وسير معه ولده الملك مسعود الى الموصل ثم انه جهز آق سنقر البرمقي في العساكر وسيره الى قتال الفرنج وكتب الى عساكر الموصل وغيرها امرهم بما يسير معه فصاروا وفيهم عماد الدين زنكي وكان يعرف في عساكر الجيوش بركي الشامي فصار البرمقي الى الزهاقي خمسة عشر ألف فارس فحصرها وقتل من بها من الفرنج والارمن وضاعت الميرة عن العسكر فرحل الى السبيسط وهي ايضا للفرنج فان حرب بلدها وبلا سرورج عاد الى بلاد شغنان فان حرب ما فيه للفرنج وأبلى تركي في هذه المواقف كلها بلا حسنة ثم عادت العساكر تتحدث بما فعلوه وعاد البرمقي الى بغداد وأقام تركي بالموصل مع الملك مسعود والامير حبوش بك الى سنة أربع وعشرين وخمسة مائة وقد علا قدره وظهر اسمه

(فصل) وفي سنة إحدى عشر وخمسة مائة ولما ملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وفيها غرقت سفنار من سبيل المطر وهلك منها خلق كثير ومن أعجب ما يمكن ان السيل جل مهدافه طفل قتل في المهد في شجرة وقص الماء فسلم ذلك الطفل وغرق غير من المأخرين بالسباحة وفيها ايضا زلزلت أرض بل وقبرها من البلاد المجاورة لها زلزلة عظيمة وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان غياث الدين محمود بن ملكشاه وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما خطب له بغداد في ذي الحجة سنة ثنتين وسعين وأربع مائة وقطعت خطبته عدة مرار يوتي من المشاق والاختار ما لم يلقه أحد الى أن توفي أخوه تكتاروق فخطبوا استقرت له السلطنة وصفت له ودانت البلاد وأصحاب الاطراف لطاعته وكان اجتماع الناس عليه بعد موت أخيه اثني عشر سنة وستة أشهر وكان عادلا حسن السيرة شجاعا وأطلق للكوس والضرائب في جميع البلاد ومن عهده ان اشترى هذه الممالك من بعض التجار وأمر ان يوفى الثمن من عامل خوزستان فواصل اليه البعض ومثل باقي في خضرتا التاجر مجلس الحكم وأخذ غلام الحاكم ووفى بطريق السلطان وامتنع ان اليه فأمر من يستعمله فصاد الحجاب واعلم السلطان حاله فعظم عليه بمواضيق صدره وأمر في الحال ان يحضر عامل خوزستان ويلزم بمال التاجر ثم انه ندم على تأخره عن مجلس الحكم وكان يقول كثيرا لقد ندمت على تركي حضور مجلس الحكم ولو فعلته لا تنسدى في غيري ولم يمتنع أحد عن لدا الحق

قال ابن الاثير وهذه القضية ذكرها الله تعالى لبيت الاتيكي فان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فعل ما ندم السلطان محمد على تركه وقد تقدم ذلك ولما علم الامر او غيره هم من خلق السلطان بحبة العدل واداه الحق وسكرامية الظلم ومعاقبة من بخله اقتدوا به فاهم الناس وظهر العدل وولى بعد السلطان محمدا بن محمود وعمره يومئذ أربع عشرة سنة فقام باله الطنجة وجرى بينه وبين عمه سبخر حرب انهزم فيها محمود وعاد الى عمه بغير عهد فأكرمه واقطعه من البلاد من حد خر اسان الى الداروم باقمي الشام ومن الممالك هذان واصقهان وبلد الجبال جميعه وبلاد كرمان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان وارمينية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة ودير مصر وديار بريعة والشام وبلاد الروم التي يدق قلع ارسلان وما بين هذه الممالك من البلاد * قال ابن الاثير ورايت منشور هذه وفي سادس عشر ربيع الاخر سنة اثنتي عشرة وخمسة مائة توفي الامام المستظهر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المعتدي بأمرائه وكان عمرا حادي وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلا تهم أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ومضى في أيامه ثلاث سلطين خطب لهم ببغداد من السلجوقيه وهو أخو ملكشاه تاج الدولة نشور كن الدولة تكتاروق بن ملكشاه وأخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر رحمه الله كريم الاخلاق لين الجانب شكور المساعي يحب العلم والعلماء وصنفت له من التماثيل والكثير في الفقه والاصول وغيرها وكان يسارع الى اعمال البر والتقوى حسن الخط جيد التوقيعات ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله ودفن في حجره ككتله باله في القبر في أيامه توفي جماعة من العلماء ففي شعبان سنة ثمان وثمانين وأربع مائة توفي القاضي القضاة أبو بكر محمد بن المنظر الشامي وفي ذي القعدة منها توفي القاضي عبدالسلام بن محمد القزويني المعتزل مصنف حدائق ذات بهجة في تفسير القرآن

يزيد على ثلثهما بمجده قال ابن الاثير رأيت منتمه تفسير الفاتحة في مجلد كبير وفي ذي الحجة توفي الامام أبو نصر الجبدي مصنف الجمع بين الصحيحين وفي شوال سنة احدى وتسعين توفي الكامل تقيب النقيب طراد بن محمد الزينبي وله نحو سبعين سنة وفي سنة اثنين وخمسين ومائة توفي أبو زكريا التبريزي الاقوى وفي ذي الحجة مناهوق أبو القوارس الحسين بن علي بن الخازن صاحب الخط المشهور وفي سنة خمس وخمسة توفي الامام أبو حامد القزالي وفي سنة سبع وخمسة توفي الامام أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الفقير جهم الله أجمعين

(قصص) لما دلى السلطان محمود السلطنة أقرأناه مسعود اهل الموصل مع أنابك جوش بك فبق مطيعا لاخيه الى سنة أربع عشرة وخمسة فحسن له الخرج عن طاعته وطلب السلطنة فانظر العصيان وخطب للآل مسعود بالسلطنة وكان زكريا بشر وطماعة السلطان وترك الخلاف عليه ومخدرهم عاقبة العصيان فلم ينفع فالقي الاخوان في عسكرهم ففهمهم عسكر مسعود واسر جماعة من الامراء والاعيان منهم الاستاذ أبو اسمعيل الحسين ابن اسماعيل الطغرائي وزير مسعود وقتله السلطان محمود وقال قد صعدت عني قسا دا عتقاده دينه وكان قد باورسيتين سنو كان حسن الكتابة جيد الشعر قلت وقيل انه قتل سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وخمسة وأثنى عشرة وخمسة وقيل ان الذي قتله هو السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه ذكر ذلك كله أبو مسعود المعاني في تاريخه ومما له الحسين بن علي بن عبد الصمد الديلمي وأثنى عليه اشعار احسانها

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبد المالك مطيعا

وان لم تكن الدنيا جيعا * كما تهواه فارتكبا جيعا

هاسيا من ملك ونسك * ينيلان الفتي الشرف الرفيعا

ومن يفتن من الدنيا بشئ * سوى هذين يحيى بها وضيعا

ثم استأمن مسعود أنابك جوش بك فأمنه السلطان وأخذ الموصل منها فاقطعها عن سنقر البرسي مع أعمالها كالجزر قوسجبار ونصيين وغيرهما في صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة وأمر بمحفظ عماد الدين زكي وتقديره والوقوف عند اشارته ففعل البرسي ذلك عزاد عليه لمكان زكي من العقل والشجاعة وتقدم والدي في الايام الركينة وكانت سيره قبل كسائه عندهم كالشربة المتبعة فأعظم الناس عندهم أكثرهم اتباعا لبرسي توفي سنة ست عشرة وخمسة اقطع أنابك زكي مدينة واسط وشحنة البصرة وظهر من كفايته في البلد بن مالم بظنه أحد فزاد دأشاه عظم اوهاب الامير ديس بن صدق الايدي صاحب الحلة ناحيته وحرث بينه وبين البرسي حروب ومواقات بهم ديس بقصد بغداد فصار البرسي اليه وتبعه الخليفة المسترشد بالله بنفسه فأنهزم عسكر ديس وقتل منهم وأمر خلق كثير وكان لعماد الدين زكي أثر حسن في هذه الواقعة ايضا بين دي الحليفة فوذلك في قول المحقر سنة سبع عشرة وأما ديس فانه لما انهزم خلق بالملك طغرل بن السلطان محمود وصار معهم خواص أصحابه وكان عاصي لاهل أخيه السلطان محمود وأمر السلطان محمد البرسي ان يرجع الى الموصل فعاد واستدعى زكي عن البصرة فلبس به الى الموصل فقتل زكي لاجابة ديس فخرجنا من فيه كل يوم فذلك البلاد أمير وتوكل بالتصرف على اختياره ولادته ثم تار به العراق وتلوة بالموصل وتارة بالجزيرة وتلوة بالشام فصار من البصرة قالي السلطان محمود فأقام عنده وكان يقف الى جانب تحت السلطان عن يمنة لا تحتم عليه أحد وهو مقام والمقيم له ولده من قبله وبقي ولده من بعده ثم أتى السلطان الحنبلير ان العرب اجتمعت ونهبت البصرة فأمر زكي بالسير اليها واقطعها باهل الملبغ عنه من الحامية لحافي العام الماضي وقت اختلاف العساكر والحروب ففعل ذلك فغفم عند السلطان وزاد محله وكان قد جرى بين رقتش الزكوي شخصنة بغداد وبين الخليفة المسترشد بالله فمرة فمرة المسترشد فصار عن بغداد الى السلطان في رجب سنة تسع عشرة شاكيامن المسترشد وحق السلطان جابه واعلم انه قد جمع للاصاكر عازما على منعه من العراق فصار السلطان الى بغداد جرى بينه وبين المسترشد حروب ووقائع ثم اصطلحا وعادا الى ما كانا عليه وأقام السلطان ببغداد الى عاشر ربيع الآخر ونظر فيمن يصنع ان يلى شحنة بغداد والعراق يؤمن معهم الخليفة وبضبط الامور فولى ذلك زكي مضافا الى ما يمد من الاطعام وسار السلطان عن بغداد وفي سنة عشر بن وخمسة اقطع زكي قسقر البرسي بالجامع

كتاب (٣٠) الروضتين

العنق بالموصل بعد الصلاة يوم الجمعة ناره من الباطنية ما يزيد على عشرة أنفس قتل يده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان عادلا في الاخلاق حسن الشرة وكان يصلي كل ليلة صلاة كبيرة ولا يستعين في وضوءه بأحد فقرر السلطان ولده محمد الدين مسعودا على ما كان لا يهمل الاعمال وهي الموصل وديار الجوز وحب وحماء وجزيرة ابن عمر وغيرها وكان شابا عاقلا فغضب الدلا فلم تطل أيامه وتوفي سنة احدى وعشرين وروى الامر بعده أخوه الصغير وقام بتدبير دولتهما الأمير جاولي وهو مولود تركي من عماليك أبيهما جرت الامور على أحسن نظام

(فصل) في ولاية تركي الموصل وغيرهما من البلاد التي كانت بيد البرسقي وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وعشرين وسبب ذلك ان عز الدين البرسقي لما توفي وقام بالبلاد بعده أخوه الصغير وتولى امره جاولي أرسل الى السلطان محمود بطلب ان يقر البلاد عليه وكان المرسل بذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن النهر زوري وصلاح الدين محمد الياغبساني فحضر ابغداد ليخاطب السلطان في ذلك وكان يخافان جاولي ولا رضيان بطاعته والتصرف بحكمه وكان بين صلاح الدين وبين نصير الدين جفر مصاهرة فأشار عليهم ان يطلبوا البلاد لعاد الدين تركي فعلا وقالوا لوزير قد علمت أنت والسلطان ان بلاد الجزيرة والشام قد استولى القرغج على أكثرها وتمكنوا منها وقويت شوكتهم وكان البرسقي يكف بعض عاديهم فذقتهم ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا تطلب الامن منهم شجاع يذب عنها ويحى حوزتها وقد أنهينا الحال اليكم لتلايخري خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فحصل نحن بالانتم من الله تعالى والوهم من السلطان فأنهى الوزير ذلك الى السلطان فأعجبه وقال من ترين يصلح لهذه البلاد قد كرا جاعه فيهم عماد الدين تركي وعظما محله أكثر من غيره فأجاب السلطان الى توليته لما علم من شهامته وكفانيه فولى البلاد جميعا وكتب مذكوره بها وارسام بغداد الى البواز فخرج ليملكها وبقوتها وبها يجعلها ظهره ان منع جاولي عن البلاد فلما استولى عليها سار عنها الى الموصل فخرج جاولي الى لقائه وعاد في خدمته الى الموصل فسيره الى الرحبة واعمالها وأقام هو بالموصل يصلح أمورها ويقر قواعدها فولى نصير الدين زرداري قلعة الموصل وقوض اليه امر الولاية جميعها وجعل الجزارية في البلاد جميعها له وجعل الصلاح محمد الياغبساني أمير حاجب الدولة وجعل بهاء الدين قاضي قضاة بلادهم جميعا وما يفقه من البلاد ووفاه لهم بما وعدهم وكان بهاء الدين أعظم للناس عنده منزلة وأحكمهم عليه وأكثروا بساططامعه وقربانه وربوا الامور على أحسن نظام وأحكم قاعدة وكانت القرغج قد اتعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامتدت الى بلاد المسلمين أديهم وضعف أهلها عن كف عاديهم وتآذت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطارت في البلاد شرورهم وامتدت ملكتهم من ناحية ماردين وسنجستان الى عرش مصر ليقتله من ولاية المسلمين غير حلب وحماء وحمص ودمشق وكانت مرامياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجوز برنالى نصيبين وراس عين وأما أهل الرقة وحران فقد كانوا منهم في ذلك وهوانوا ونقطت الطرق الى دمشق الاعلى الرحبة والبرنأ زاد الامر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا واثاوة يأخذونها منهم ليكفروا أديتهم عنهم ثم لم يقنعوا بذلك حتى أرسلوا الى المدينة دمشق واستعرضوا الرقيق من أخصى الزوم والارمن وسائر بلاد النصرانية وخبروهم بين المقام عند رايهم والعود الى أوطانهم فمن اختار المقام تركوه ومن أثر العود الى أهلهم أخذوا منهم ما يهله بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغارا وأما أهل حلب فان القرغج أخذوا منها مناصقة أعمالها حتى في الحال التي على باب الجنان وبينها وبين المدينة عشرون خطوة وأما باقي بلاد الشام فكان حال أهلها ستم من حال أهل هذين البلدين فلما انظر الله سبحانه وتعالى الى بلاد المسلمين ولاها عماد الدين تركي فخر القرغج في عقد ديارهم وأخذ للوحد من منهم بنارهم واستنقذ منهم حصونا ومعاقل وسياقي تفصيل ذلك وما فتحهم من البلاد الاسلامة هو وانهم من بعده ان شاء الله تعالى

(فصل) ثم شرع تركي رحمه الله في اخذ البلاد فاتفتح جزيرة ابن عمر ثم مدينة اربل في رمضان سنة اثنين وعشرين ثم عاد الى الموصل وسار في جادى الاولى سنة ثلاث وعشرين الى سنجار فقتلها واسير منها الشهن الى الحابور فملكه ثم قصد الرحبة فملكها فمر اثم اتهم نصيبين وسار الى حران وكانت الراوس وج وغيرهما من ديار الجوز في الفرغج لعنه الله وأهل حران معهم في ضيق عظيم فراسوا تركي بالطاعة واستنجدوه على الوصول اليهم ففعل وهذا

في مدة يسيرة يعلم انه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقي لمن البلاد الشامية والجزيرة وكان اهم الاشياء عنده
 والفرات وملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فلما عبر الفرات ذلك مدينة منبج وحصن رابطة وحااصر
 ثم فتحته فرتب امورها وسارعنا الى حماه فلكها وقبض على صاحب حصن وحصرها وذلك سنة ثلاث
 عشرين وفي سنة اربع وعشرين اتفق صاحب امد مع صاحب حصن كيفا وغيرهم من الملوكة وجعلوا عساكر
 نحو عشرين الفا وقصدوا زنكي فلقينهم فهزمهم وملك سرجة ودارا ثم صمم على الجهاد فنازل حصن الانارب
 كان اضر شيء على اهل حلب فجمع النفر فجمعنا عظيما فهزمهم وقتلهم مقتلة عظيمة بقيت عظام القتلى بتلك
 الارض مدة طويلة ثم رجع الى الحصن فلما كنهت فانهزبه ومحاثره وازال من تلك الارض ضرره ثم رحل
 الى حصن حارم فانقلع من محضر المعركة من الفريخ ومن تخامنها يسألون الصلح وينذون له المناصحة على ولاية
 حارم فاجابهم الى ذلك لان عسكره كان قد كثرت فيها الجراحات والقتل فاراد ان يستريحوا فهاضهم وعادتهم
 وقد ابقى المسلمون بالشام الامن وحاول النصر وسيرت البسائر الى البلاد بذلك وفيها استولى زنكي على مدينة
 حماه وافيها وكان فيها باهاء الدين سونج بن ناج الملوكة يورى فاخذ رجاله ثم طلب في اطلالهم ثمانين ألف دينار
 فانفق حضوره بدين من صدقه بن منبج امير العراق بدمشق من مزا فطلبه زنكي وأطلق من كان عنده من سونج
 وأصحابه ذلك الرئيس أبو يعلى وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة توفي السلطان محمود بمكان وكان عمره
 نحو ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته ما يقارب اربع عشرة سنة وكان حليما كريما عاقلا عادلا كثيرا للاحكام
 وطلب السلطنة بعده ولده داود بن محمود وأخوه مسعود وسليق وشاء أناس محمد وعمره ما سجن من ملكه شاه ومعه
 طغرل بن السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات كثيرة نظفر فيها سجن من ملكه شاه ومعه طغرل بن السلطان
 وخطب لابن أخيه طغرل بالسلطنة في همدان وأصفهان والري وسائر بلاد الجبل وفي سنة سبع وعشرين سار
 الخليفة المسترشد بنفسه الى الموصل في ثلاثين ألف فارس فحصر هائلته أشهر ثم عاد الى بغداد ولم يبلغ غرضه وفي
 سنة تسع وعشرين استولى زنكي على سائر قلاع الجبلية وولاياهم منها قلعة العقير وقلعة سوس وحااصر مدينة
 أمد ثم مدينة دمشق وفيها توفيت والدته بالموصل وفي المحرم سنة تسع وعشرين توفي السلطان طغرل بن محمد
 ابن ملكه شاه فخرج السلطان مسعود والنقي هو والخليفة المسترشد في عسكر بن عظيمين عاشر رمضان فهزم عسكر
 الخليفة وتبعض عليه وعلى خواصه وأخذ السلطان نخعته الى بغداد فقبض جميع أملاك الخليفة وهجم جماعة من
 الباطنية على المسترشد وعرق الخليفة فلهو وكتب السلطان الى نخعته بغداد يأمره بالبيعة لانه في حوزة المنصور
 ابن المسترشد فبايعه في السادس والعشرين من ذي القعدة ولقب بالراشد وكان عمر المسترشد ثلاثا وأربعين سنة
 وثلاثة أشهر وثمانية أيام وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وكان شهيدا شجاعا مقداما فنعصا وتمكن
 في خلافته تمكنا عظيما لم يره أحد من تقدمه من الخلفاء من عهد المنصور بالله الى خلافته الا ان يكون المعتمد
 والمكشفي لان المالكي كانوا قد عجزوا عن الخلفاء ويحكمون عليهم ولم يزلوا كذلك الى ملك الدليم واستيلائهم
 على العراق فزالته هيبته الخلافة بالمره الى انقرض دولة الدليم فلما ملك السلطنة جددوا من هبة الخلافة
 ما كان قد درس لاسيما في وزارة ونظام الملك فانه أعاد الناموس والهيبة الى أحسن حالاتها الا ان الحكم والشحن
 بالعراق كان الى السلطان وكذلك العهد وخمان البلاد لم يكن للخلفاء الا انقطاع يأخذون دخله وأما المسترشد
 فانه استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان محمود معه في كثير من الاوقات سوى الخليفة واجتمع عليه
 العساكر وفاد الجيوش وباتر الحروب وفي سنة ثلاثين وخمسمائة سار الراشد الى الموصل محمدا زنكي ملتحا اليه
 وذلك ان جماعة حسنوا له الخروج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود فاجابهم الى ذلك وظهروا منه تنقل في الأحوال
 وتلون في الاراء وقبض على جماعة من أعيان أصحابه وخافه الباقون وتقدم السلطان مسعود وحصر بغداد واستظهر
 عليها فخرج الراشد ملتحا الى زنكي فسار به الى الموصل ودخل مسعود بغداد وأمر بمخلع الراشد وبيعة عمه أبي عبد
 الله محمد بن المنصور بالله ففعل ذلك ولقب المقتدي لأم الله وأما الراشد فان السلطان سجنه أرسل الى أبيه بآمره
 اخراجه عن بلده فسار الى أذربيجان ثم الى همدان فاجتمع اليه مملوك وعساكر كثيرة فوسار السلطان اليهم فقصافوا

فانهزم الراشد وقصد اصبيان فقتله الباطنية بها في السابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ودفن باصبيان وفي سنة اثنتين وثلاثين ايضا تزوج زنكى بالخانوف صفوة الملك مزة دابة الابرار جولى أم شمس للملك اسماعيل واخوته بنى تاج الملوك بوزى بن طغتكين أنابك وهى أخت الملك دقاق والها ينسب مسجد خانوف الذى هو مدرسة لاصحاب أبى حنيفة بأعلى الشرف القبلى بأرض دمشق بأرض صنعاء وتسلم قلعة حصص

(فصل) في جهاد زنكى للفرنج كان في سنة اثنتين وثلاثين خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق عظيم لايحصون أكثر من الروم والفرنج وغيرهم من أنواع النصارى قصد الشام خافة الناس خوفا عظيما وكان زنكى مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقة الموصل فقصد ملك الروم مدينة بزاغة وحصرها وهى على مرحلة من حلب وفتحها عنوة وقتل القتالة وسبى الذرية في شعبان ثم سارعها إلى شيزر وهى حصن منيع على مرحلة من مدينة حماد فحصرها من نصف شعبان ونصب عليها ثمانية عشر مخنقا وارسل صاحبها أبو العساكر سلطان ابن منقذ إلى زنكى يستجده فقتل على حماد فكان يركب كل يوم في عساكره ويسير إلى شيزر بحيث يراه ملك الروم ويرسل سرا باليخطف من يخرج من عساكرهم ليرة والنهب ثم بعد آخر النهار وكان الروم والفرنج قد نزلوا على شير في شيزر فأرسل إليهم زنكى يقول لهم انكم قد تحصنتم بهذه الجبال فأنتم جوعا عنها إلى الصخرة حتى تلتقي فان ظفرت أخذتم شيزر وغيرها وان ظفرت بك أرحمت المسلمين من شرككم ولكن بهم قوة أكثرتهم وانما كان بفعل هذا زهدا لهم فأشار الفرنج على ملك الروم بقتاله وقاتله وهو نوا أمره فقال لهم الملك أقتلون ان معه من العساكر ما ترون وله السداد الكثير وانما هو يريدكم قتله من معلة تطمعوا وتحمروا له فينبذ ترون من كثرة عسكر ما يهجزكم وكان أنابك زنكى مع هذا يرسل فرنج الشام ويحذرهم ملك الروم ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصنا واحدا أخذ البلاد التي بأيديهم منهم وكان يرسل ملك الروم تهديد و يوجه ان الفرنج معه تاستعمر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوما وترك المجانيق والآلات الحصار يحاها فاسار زنكى خلفهم وظفر بطائفة منهم في ساحة العسكر فقتل منهم قتل وأسر وأخذ جميع ما خلفوه ورفعها إلى قلعة حلب وكفى الله المؤمنين القتال وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم وعلوا ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبقى مسلم معهم مقام لاسيما مدينة حماد لقربها ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء الشهيد أنابك فأكثروا منهم أبو الجعد المسلم بن الحضرمي المسلم بن قسيم الحويلى قصيدة قد ذكرتها في الناريخ أولها

بعزمك أيها الملك العظيم * نذل لك الصعاب وتستقيم
ألم تر ان ككل الروم * تبين انك الملك الزحيم
جاء يطبق الفلوات خيلا * كان الجفيل الذيل البهيم
وقد ترك الزمان على رضاه * فكان لخطبه الخطب الجسيم
حين رميته بك في خيس * تيقن ان ذلك لا يدوم
واصر في المفازة منك جيشا * فاحزن لا يسير ولا يقيم
كانك في العجاج شهاب نور * توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى * وليس سوى الجمال حليم
يؤتمل ان تجود بها عليه * وأنت بها بالذبا كرم
ألبس الفرنج لدايا عفا * وأنت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا * يوم يكتمل القطيم
ولما ان طلبتهم منى الله * حنية جوسلينهم اللثيم
أقام يطوف الافاق حينا * وأنت على معاقله مقسم
فسار وما يعادله مليك * وما يعادله سقيم
انما خطر سيوفك في نفوس * فأول ما يفارقها الجوسم

في أخبار (٢٢) الدولتين

وله أيضا من قصيدة مدح بها صلاح الدين محمد بن أيوب العمادى التوتان صاحب جاء
 وجاء كلب الروم الألتوى * حاة وهل بسطو على الأسد الكلب
 أروا بها ان يملك الشام عنوة * وقد غلبت عنه الضراغة الغلب
 وما ذم فيها العيش حتى صدمته * قال جناح الجيد وانكسر القلب
 قولى وأطراف الرماح كأنها * أنجوم عليه بالنيمة تنصب
 ولا بن منير قصيد ذى مدح أنابك لنرى رحمه الله سأتى بعضها عند ذكر فهم مدينة الرهان شاء الله تعالى ومنها

وما يوم كلب الروم الا أخرانى * أزجت به ما فى الجناح من نيل
 انالك بمنزل الروم حشدا وانه * لينضل اضعاك كبرا عن الرمل
 فقاتله بالله ثم بعزمه * نصك ثلوب العاشقين بما يسلى
 نوه من الشام مرى وما درى * بأنك أمتنى منه فى المنزر والسجل
 فطار وخبر المغنين ذماؤه * اذ رذعته مغنم المال والاھل

قال ابن الاثير ومن عجائب ما يحكى فى هذه الحادثة ان الجبل ما وصل بقصد الروم شيز رفاع الامير شيد بن علي أخو
 صاحبها وهو شيخ محمدا فرعه بعده وقال اللهم بحق من أنزلته عليه ان قضيت بحجى الروم فاقبض اليك فنفوق بعد
 أيام ونزل الروم بعد وفاته ولما عاد الروم الى بلادهم نزل أنابك الى حصن عرته وهو من اعمال طرابلس فحصره وفتح
 عنوة ونهب ما فيه وأسر من به من الفرنج وأخبره وعاد سالما غنا وفيها ملك قلعة دارا من حسام الدين عمرناش وفيها
 توفى بها الدين علي بن القاسم الشهرزورى فاضى الممالك الاناكية وكان أعظم الناس منزلة عنده وفيها ولد صلاح
 الدين يوسف بن أيوب بسكر يت

(فصل) فى فتح شهر زور وبعلبك وحصار دمشق قال ابن الانبار كانت شيز زور وعمالها وما يحاورها من البلاد
 والجبال فى يد قنق من ارسلان تاش التركانى وكان ملكها فاذا الحكم على قاضى التركان وداينهم برون طاعته
 فرضا فتح اقصى المملك قصدوا ليه ولم يخشوا لاهلها صانتها فغلب شأته وازداد جمعه فلما كانت سنة أربع وثلاثين
 بلغ الشهدا تابلك عنه ما اتفق ان يقصد بلادهم فهزم عسكره وملك بلادهم زور وغيرها فاشاقها الى بلاده واصلح
 احوال أهلها وخفف عنهم ما كانوا يقبونه من التركان وعاد الى الموصل عازما على المسير الى الشام فانه كان لا يرى
 المقام بل لا يزال طاعنا المار عدو يقصده واما لقصده بلاد عدو واما لفرغ وسد الثغور وكانت مياثر المروج
 أثر عنده من وثير المهادر والسهرى حراسة المملكه أحب اليه من عرض الوساد وأصوات السلاح الذى سمعه من الناس
 لا يجد لك كلعنا وفى ذى السنة وهى سنة أربع وثلاثين ولد قنق الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب شاذى وفيها
 سار الشهدا فى جنده بعد ملك شهرزورى الى مدينة دمشق فحصرها وصاحبها حينئذ جمال الدين محمد بن بورى بن
 طغتكين وكان يحكمها عليه والغال على أمره معين الدين بن ملوك جططت كين وكان تابلك نذ أمر كمال الدين
 ابا الفضل بن الشهرزورى بمكة جماعة من مقتدى احدائها وناظرتها واستمالهم واعمهم فى الرغائب والصلوات
 ففعل ذلك فأجابهم منهم خلق كثير الى تسليم البلد وخروج ائمة تقيين الى كمال الدين وجند عليهم العهود وتواعدوا واما
 بزحف فيه الضميد الى البلد ليقتواله الباب وبسوا البلد اليه فاعلم كمال الدين الشهدا تابلك بذلك فقال لا أرى
 هذا رأيا فان البلد ضيق الطرق والشوارع ومضى دخل العسكر اليه لا يتكئون من القتال فيه لضيقه وبأكثر لقائون
 لتأخرهم عن مقاومتهم لانهم يقفون على الارض والسطوح واداد خلقنا البلد اضطررنا الى التفرق لضيق المسالك
 فيطمع فينا أهلها وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذره

ومن العجب ان محمد بن بورى صاحب دمشق توفى وأنابك بحصره فضبط آثر الامور وامن البلد فلم يتغير بالناس
 حال وأرسل الى بعلبك فأحضر ولده مجير الدين آتق بن محمد بن بورى ورثه فى الملك مكان أبه فشى الحال بتكئين
 معين الدين آتق وحسن تدبيره هذا مجير الدين آتق هو الذى منه أخذ نور الدين محمود بن زنكى دمشق كما سأتى ولما
 دخل مجير الدين دمشق اقطع بعلبك معين الدين آتق فأرسل اليها ناسه وسلسلها فلما علم الشهدا ذلك سار الى بعلبك

وحصرها عدة شهور فلما كسها عنوة وترك بها نجيم الدين أيوب والصلاح الدين دزدار وعزم على العود عنها إلى دمشق فجاءهم رسول صاحبها يذلل الطاعة والخطة فأجاباه إلى ذلك وعاد عن قصد دمشق وقد خطب له فيها وصار أصحابها في طاعته وتحت حكمه قال يحيى ابن أبي طي الخليلي واتفق أن الأمر لما نزلوا من بعلبك أقصدوا ذخائر ما قبض عليهم أنابك زنكي وخل بعضهم وصلبهم وكان ولي قتلهم صلاح الدين محمد بن أيوب النابغدي فحكى أنه أحضر إليه في جلة الأمر شيخ ملج الشبية ومعه ولده أمر دكانه فلما قرأ فقال الشيخ لصلاح الدين سأنتك بحياة المولى أنابك الاصميتي قبل ولدي ثلثاً وأراه عالج سكرات الموت وبكى وكان نجيم الدين أيوب واقفاً فرحم الشيخ وبكى وسأل صلاح الدين في إطلاقه فقال ما أقبل خوفاً من المولى أنابك فذهب نجيم الدين إلى أنابك وسأله في الشيخ وولده وقص عليه ما قاله فاذن بإطلاقه وأطلق من بقي من الجماعة ووجهه نصف بعلبك وقيل أن نجيم الدين ورد على أنابك وهو قدامك بعلبك فدأله في الأمر أفاطلة هم له ولا بعلبك وكتب له ثلثاً مائة واستقر فيها هو وأهله ولم يزل بها إلى أيام نور الدين محمود بن زنكي فأخرج منها على ما مسند كره ثم أن أنابك بعد ملكه بعلبك سار إلى دمشق فنزل البقاع فوردت هدية صاحب دمشق وبطلب العود وبعطيه خمسين ألف دينار وبعطيه خمس فأسار نجيم الدين على زنكي بقبول ذلك وقال هذا مال كثير وقد حصل بلا تعب وبذل كبير وبلا عناء ودمشق بلد عظيم وقد ألف أهلها هذا البيت فمقتنوا على سياستهم وقد بلغتهم الأحوال التي حرت بعلبك فامتنع زنكي من قبول ما أشار به ففاته ذلك ولم يظفر بفرضه

(فصل) ثم سار أنابك الشهيد في هذه السنة وهي سنة أربع وثلاثين إلى بلاد الفرج فأغار عليها واجتمع ملوك الفرج وساروا إليه فلقبهم بالقرب من حصن بارين وهو الفرج فحصر الفرجان صبراً لم يسمع بجله إلا ما يحكى عن ليله الحرر ونصر الله المسلمين وهرب ملوك الفرج وفرساتهم فدخلوا حصن بارين وفيهم ملك القدس لأنه كان أقرب حصونهم وأسلموا عدة تسلموا وعتادهم وكثرت فيهم الجراح ثم سار الشهيد إلى حصن بارين فحصره حصاراً شديداً فراسلوه في طلب الأمان ليسلوا ويسلوا الحصن فأبى إلا أخذهم قهراً قبله من بالساحل من الفرج فقتلوا إلى الروم والفرج يستجدونهم ويهنون إليهم ما فيه ملوكهم من الحصر فجمعوا وحشدوا وأقبلوا إلى الساحل ومن بالحصن لا يعملون بشئ من ذلك لثقة الحصر عليهم فأعادوا ما أسلته في طلب الأمان فأجابهم وتسلم الحصن وساروا فلقبهم بمداد النصرانية فسالوهم عن حالهم فأخبروهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا انجز عن حظه يوماً أو يومين فلفروا الحصن أن لم تعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حشدنا وأبى إلا أن فلا عيب إلا أخبار عفا غنا فانتكم قد أهلمتم أمرنا فخذنا فادمانا بتسليم الحصن قال ابن الأثير وكان حصن بارين من أضر بلاد الفرج فخرج من المسلمين فأن أهلها كانوا قد خروا ما بين حماه وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل فأزال الله تعالى بالشمس مدحه الله هذا الضر العظيم وفي مدة مقامه على حصن بارين سير جنده إلى المعرة وكسر طاب وثلاث الولايات جميعها فاستولى عليها وملكها وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة ظلت وقد قال القيسري في ذكره رقة الفرج ومجد زنكي قصيدة أولها

حذار منا وإن يقع الحـمـد * وهي الصوامم لا تسبق ولا تذر
وأن نعيم ملوك الشرك من ملك * من خيله النصر لا بل جنده القدر
سلا وسيفاً كاعتماد السيوف بها * صالوا فاعمدوا وصلوا ولا شهروا
حتى إذا ساعد الدين أرقهم * في مازق من سناء يريق البصر
ولو أنضيق لهم ذراعاً سالكهم * والموت لا ملجأ منه ولا وزر
وفي المسافة من دون النخاع لهم * طول وإن كان في أقطارها قصر
وأصبح الدين لا عيناً ولا أترا * يخاف والكفر لا عين ولا أثر
فلا تخف بعدها لا فرج فاطية * فالقوم انفروا أولى بهم فخر
إن قاتلوا اقتلوا أو ساروا حرروا * أو طاردوا طردوا أو ساءوا حصاروا
وطالما استنحل الخطب إليهم بهم * حتى أتى ملك آراءه غرر
والسيف مقترع أيكبار أنفسهم * ومن هنالك قيل الصارم الذكر

في أخبار (٣٥) الدولتين

لما فرقت ظل محي العدل لامة * كالصبح تطوى من الاعداء ما تنهوا
ولاشئى النصر عن أنصار دولته * بحيث كان وان كان به نصره
حتى تعود قهرا السام ضاحكة * كأنما حل في أكافهم عمر
وقال ابن منير

فذلك الملوك وأيامها * ودام لتقضك إرامها
وزلت شعشع أقدامها * وزال لبطشك إقامها
ولو لم تسلم اليك القلوب * بهواها لما صح ما لامها
أيامحي العدل لما نعا * ما أبقى البرايا أو شامها
ومستنفذ الدين من أمة * أزال المخارب أصنامها
فلقت لها تنفيل الأسو * دوالبض والنمر آجامها
جزرت جزيرتها بالسبو * فحتى تشامها شامها
وصارت عواري أكافه * متى شئت أرخص مستامها

قال ابن الاثير ولما وصل الروم والفرنج الى الشام ورأوا الامر قد فاق أمد واجبر مصيبتهم بمنازلة بعض بلاد المسلمين فنزلوا حلب وحصروها فاجل السهيدان بخاطر المسلمين وبافهامهم لانهم كانوا في جمع عظيم فافتحاز عنهم ونزل قرب منهم يمنع عنهم الميرة ويحفظ أطراف البلاد من انتشار العدو فيها والاعارة عليها وأرسل القاضي كمال الدين الشهرزورى الى السلطان مسعود بنهي اليه الحال بأمر البلاد وكثرة العدو ويطلب منه النجدة وارسال العساكر فقال له كمال الدين أخاف أن يخرج البلاد من أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة وينفذ العساكر فإذا توسطوا البلاد ملكوها فقال الشهيدان هذا العدو قد قطع في وان أخذ حلب لم يبق بالشام اسلام وعلى كل حال فالمسلمون أولى بهما من الكفار قال فلما وصلت الى بغداد وأذيت الرسالة وعدنى السلطان بانقاذ العساكر ثم أهل ذلك ولم يغيرك فيه بشئ وكتب الشهيدان الى متصلة يتحدث على المبادرة بانقاذ العساكر وأنأخاطب قلا را د على الوعد قال فلما رأيت عدم اهتمام السلطان بهذا الامر العظيم أحضرت قلاتا وهو فقيه كان يوجب عنه في القضاء فقلت خذ هذه القلانتين وقرقها في جماعة من أوياش بغداد والاعاجم وإذا كان يوم الجمعة وصعدا خطيب المنبر يجمع القصر قاموا وانت معهم واستغاثوا بصوت وأحدوا اسلاما وادين مجده ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطنة مستغيثين ثم وضعت انسا انو بفعل مثل ذلك في جامع السلطان فلما كانت الجمعة وصعدا خطيب المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى عمامته من رأسه وصاح وبه وأولئك التفرد بالصياح والبكاء فلبق بالجامع الامن قام يسكى وطلبت الجمعة وسار الناس كلهم الى دار السلطان وقد فعل أولئك الذين يجامع السلطان مثلهم فاجتمع أهل بغداد وكل من بالعسكر عند دار السلطان ليكون ويصرخون ويستغيثون وخرج الامر عن الضبط وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل له ان الناس قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر الى التزاد فقال أحضروا ابن الشهرزورى قال فحضرت عندوا أناخاف منه الا اني قد عزمت على صدقة وقول الحق فلما دخلت عليه قال فاضى ما هذه الفتنة فقلت ان الناس قد فعلوا هذا خوفا من الفتنة والشر ولا شك ان السلطان ما يعلم كمينه وبين العدو وإنما ينكمضوا سبعون وأخذوا حلب المحذر واليك في القرات وفي البرز ليس ينكمض بل يدعهم عن بغداد وعظمت الامر عليه حتى جعلته كأنه ينظر اليهم فقال اردد هؤلاء العامة عنا وخلص العساكر ما شئت وسر بهم والامداد لتخلصك قال فخرجت الى العامة ومن انضم اليهم فاحترقهم وعزقهم الحال وأمرتهم بالعود فعدوا وتفرقوا وانخبت عن عسكره عشرة آلاف فارس وكتبت الى الشهيدان عرفه الخبر وان لم يبق بغير المسير وأجند استئذانه في ذلك فأمر في بتسبيرهم والحث على ذلك فعبرت العساكر الجانب الغربي فبينما نحن نتجهز للحركة اذا وصل نجاب من الشهيدين خبر بأن الروم والفرنج قد حاولوا عن حلب فاني لم يتناولوا من اغرضنا وأمر في بترك استصحاب العساكر فلما خطوب السلطان في ذلك أصرت على انقاذ العساكر الى الجهاد وقصد بلاد الفرنج وأخذها وكان قصده ان تطاعا كره البلاد بهذه الحجة فليكنها

فأزل أنوصل مع الوزير وأكابر الدولة حتى أعدت العساكر إلى الجانب الشرقي وصرت إلى الشهيد قال ابن الأثير
فاظنر وإلى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة آلاف فارس يعني كمال الدين رحم الله الشهيد فقد كان ذا همة عالية
ورغبة في الرجال ذوي الرأي والعقل يرغبهم بخطبهم من البلاد ويوفرهم العطا (حكى لي والدي) قال قيل الشهيد
إن هذا كمال الدين يحصل له في كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أمره بتغييره ويقع منك بمخيماته
وينار فقال لهم بهذا العقل والرأي تدبرون وتلوني إن كمال الدين يقل له هذا القدر وغيره يكثر له خمسمائة دينار
فإن شغلوا واحد انقوم فيه كمال الدين خير من مائة ألف دينار وكان كمال الدين رحمه الله تعالى

(فصل) قال وفي سنة سبع وثلاثين سار الشهيد إلى بلد الحكارية وكان يبذل الأكراد وقد أكرهوا في البلاد
الفساد إلا أن نصير الدين جعفر نائب السلطان الشهيد بالموصل كان قد ملك كثير من بلادهم فلما بلغها الشهيد حصر
قلعة الشعباني وهي من أعظم قلاعهم وأحصنها فلكها وأخرها وأمر ببناء قاعة العمادية عوضاً عنها وكانت هذه
العمادية حصناً كبيراً عظيماً فأخر به الأكراد لعجزهم عن حفظه فكبره فلما ملك أتاك الله مديد البلاد التي لهم قال إذا
عجز الأكراد عن هذا الحصن فأنا يحول الله لا أنجز عنه فأمر بينائه وكان رحمه الله داعزاً ومنفذاً أمره في الحصن
وسما القلعة العمادية نسبة إلى ذنبه في هذه السنة خطب لا تأمل بأمره وإن قد أرسل إلى صاحبها يطلب
منه الانفصال عن موافقة ركن الدولة وأود صاحب الحصن والالتحاق إلى خدمته والخطبة فأجابته إلى ذلك وفيها
ملك الشهيد مدينة عانة وفيها أحضر مدينة حصن مرة أخرى وفتحها في شوال وقصد ولاية دمشق فشتى بها وفي
سنة ثمان وثلاثين عزم السلطان مريد على قصد الموصل بعساكره وكان قد وقع منه وبين الشهيد وحشة فترددت
الرسول بينهما حتى امتنعت الحال على مائة ألف دينار أممية يجهلها الشهيد إلى السلطان وطلب أن يحضر الشهيد إلى
خدمته فاستمع واعتذر باستغاله بالفرج فحذر مشروط عليه فخرجها وكان من أعظم الأسباب في تأخر السلطان عن
قصد الموصل أنه قيل له إن ملكة البلاد لا يقدر على حفظها من الفرنج غير أتاك عماد الدين فإنها قد ولها قبله مثل
جاولي وسفوقومو ودوحوش بك والبرقي وغيرهم من الأكابر وكان السلاطين يفتنونهم بأمرها كالكثيرة ولا
يقدرون على حفظها ولا يزال الفرنج يأخذون منها البلاد بعد البلاديان ولها أتاك فلم يعمد أحد من السلاطين
بفارس واحد ولا بمال ومع هذا فقد فتح من بلاد العدو عدة حصون ولا يأن هزمهم غير مرة واستضعفهم وعز
الاسلام بهم والاسباب المانعة له أيضاً أن الشهيد كان لا يزال ولده الأبرسي في غازی في خدمة السلطان
معه وبأمر والده وكان السلاطين يحبه ويقربونه بعد علمه وبنق به فأرسل إليه النعمانية بأمره بالهرب والتجى إلى
الموصل وأرسل إلى نائبه بالموصل بأمره أن يمنع من دخول الموصل ومن المسير إليه أيضاً ففعل ذلك وقال له ترسل
إلي والملك تستأذنه في الذي تفعله فأرسل إليه فعاد الجواب أني لا أريدك معهما السلطان ما خط عليك فالزمه بالعود
إليه فعاد ومعه رسول السلطان يقول له انني لما بلغني أن ولدي غارق في الخدمة بغير أني لم أجمع به وردته إلى بابك
فلن هذا عند السلطان عملاً كبيراً وأجاب إلى ما أراد الشهيد بولائه فتقرر الحال جل منه فتعوض عن ألف دينار ثم أن
الأمور تقلبت وعاد أصحاب الأطراف خرجوا على السلطان فاحتاج إلى مداراة الشهيد وأطلق له الباقي استماله
وفي هذه السنة سار الشهيد إلى ديار بكر فتح عتق بلاد منها طرّة وأصفرو ملك مدينة المعدين الذي يجهل منه الفخاس
من أرمينية ومدينة حبيزان وأخذ من أعمال ماردين عدة مواضع ورثب أمور الجميع وملك مدينة تمان وحاصر آمد
وأرسل عسكره إلى مدينة عانة فلكها له وقد تقدم ذكرها في السنة قبلها

(فصل) في فتح الشهيد الرها في جمادى الآخرة من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وكنت لجوسلين وهو
عاني الفرنج وشيطانهم والمعلم على رجا لهم وفرناسهم وكانت مدة حصارها ثمانين يوماً وأعادها إلى حكم
الاسلام وهذا الرها من أشرف المدن عند النصاري وأعظمها عملاً وهي إحدى الكرسي عندهم فأشرفها البيت
المقدس ثم انطاكية ثم رمية ثم قسطنطينية والرها وكان على المسلمين من الفرنج الذين بالرها شر عظيم وملكوا من
نواحي ماردين إلى الفرات على مائتي شعبان هذه حصون كسر وج والبيره وجليل والموزر وكانت غاراتهم تبلغ
مدينة آمد من ديار بكر وماردين ورأس عين والزقة وأما حران فكانت معهم في الحزنى كل يوم قد صبحوها بالقرنة

فلما رأى الشهيد الحال هكذا أنف منهم وعلم أنه لا ينال منها غير ضامادام جوسلين بها فأخفى أعمال الحيل والخداع لعل جوسلين يخرج منها إلى بعض البقاع فتشغل عنها بقصد ما جاوهرامس ديار بكر التي يد الإسلام كسافي وجبل جور وأمد فكان يقاقل من بهاقه لا ينما بقاء وهو يسرحشوا في ارتقاء فهو يعظم ما وعل غير هاجوم ويطلبها وسراها يروم ووكيل بها من يخبره بخبر عن ينهام أساده وفراغ حصنها من أنصاره وأجناده فلما رأى جوسلين استئصال الشهيد يجرب أهل ديار بكر ظن أنه لا فراغ له إليه وأنه لا يمكنه الاقدام عليه فتسارق الرها إلى بلاده الشامية ليلا يحفظ أهله ويتعهد ذخائره وأمواله فأقبل الشهيد بمرعى بعضا كره إلى الرها ثم وصف ابن الاثير الجليش وأنشد

يبيض جاش بالفرسان حتى * طنقت البرججر من سلاح
وأنصنف من العذبات حجر * تحطابنا بأفواء الرياح
وأروع جينسه ليل بهم * وغرته عودلص باح
صفوح عند قدرته ولكن * قليل العصف ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلبا * وهيته جناحا للجناح

وألمع الشهيد في حصاره فله كما عتوة ناسه باحها ونكس صلبانها وأباد قوسها وهرابها وقتل شجعانها وفرسانها وملا الناس أيديهم من النهب والحي ثماء دخل البلاد فرافقه فأقبل منه من الحراب فأمر بأعادة ما أخذ من اثاث ومال وسبي ورجال وجوار وأطال فردا عن آخرهم لم يتقدمهم الا الشاذ والنادر فعاد البلد عامرا بعد أن كان فائرا ثم رتب البلد وأصلح من شأنه وسار به فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المدن والحصون والقربايا كسروج وغيرها وأخلى الديار الجزرية من معرة الفرنج وشرهم وأسمع أهلها بعد الخوف آمين وكان فتحا عظيما طار في الآفاق ذكره وطاب بها نضرة وشهده خلق كثير من الصالحين والأولياء

قال ابن الأثير (حكى) لى جماعة أعرف صلاحهم منهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ أبا عبد الله بن علي بن مهران النقيب الشافعي وكان من العلماء العاملين والزاهد بن في الدنيا المتفغن عنها وله الكرامات الظاهرة ذكر واحدة أنه غاب عنهم في زاوية يومه ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور وعنده من الارتياح ما رموه أنداجا قدمهم قال حدثني بعض اخواني أن أبا بكر بن أبي مدينه سافر الرها وأنه شهد معه فتحها يوم مناهذ ثم قال ما يضرك يا زكري ما فعلت بعد اليوم بردها القول مرارا فنبذوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح ثم أن نفر من الاجناد حضر وأعند هذا الشيخ وداله منذر أنك على السور كبرياء بالفتح وهو ينكر حضوره وهم يقعون منهم وأوهبنا قال وحكى لى بعض العلماء بالاخبار والانتساب وعواهم من رأيت بها قال كان ملك بجزيرة صقلية من الفرنج لما فتح الرها وكان بها بعض الصالحين من المقاربة المسلمين وكان الملك يحضروهم ويكرمه ويرجع إلى قوله وبقية زعمه على من عندهم الزهبا والقبض بين فلما كان الوقت الذي تحت فيه الرها سير ملك الفرنج هذا جاسق الجرا إلى افرقية فنهضوا وغاروا وأسر وأوجعت الاخبار إلى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد نفس وهو شبهه الناس فأيقظه الملك وقال بافته قد فعل أصحاب المسلمين كيت وكيت أين كان محمدر عن نصرتهم فقال له كان قد حضر فتح الرها فتصاحك من عندهم من الفرنج فقال لهم الملك لا تفصكوا فوالله ما قال عن غيرهم واستند هذا الملك فلبعض غير قليل حتى أتاهم الخبر فيجها على السجين فأنساهم شدة هذا الوهن راعناك الخبر لعل منزلة الرها عند النصرانية قال وحكى لى أيضا غير واحد من أتق البهم من رجلا من الصالحين قال رأيت الشهيد بعدة تله في المنام في أحسن حال فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت بماذا أفال يغفر الرها قلت وهناه القيسراني عند فتح الرها بقصيدة أولها

هو السلف لا يفتيك الاجلاده * وهل طرق الاملاة الانجاده
وعن نثره النصر فأتا أخذ القلب * سناها وان خات الصبر انتجاده
سمت قبة الاسلام فخر بطوله * ولم يك يعمودين لولا عماده
وزاد قسم الدولة ابن قسيمها * عن الله ما لا يستطاع زياده
ليهن نبي الايمان أمن ترفعت * رؤاسيه عزوا وطمان مهاده

كتاب (٣٨) الروميتين

وقف حديث في السماع حديثه * شهي الى يوم المعاد معاده
 أراح قلوبا طر عن وكاتها * عليها قواف كل صدر فؤاده
 لقد كان في فتح الرها دالة * على غير ما عند العلوج اعتقاده
 يرجون ميلاد ابن مريم نصرة * ولم يقن عند القوم عنه ولاده
 مدية أفلق منذ خمسين حجة * يقفل حديد الهند عن احداه
 تقوت مدى الابصار حتى لو انها * تزقت اليه خان طر فاسواده
 وجامعة عز الملوك قيادها * الى ان شاهها من يفترياده
 فأوسعها حر القراع مؤيد * بصير يفسر ن الاله لهاده
 كان سنالم الاسنة حوله * سرار ولكن في يديه زناده
 فأضر مهنا نرين حربا وخذعة * فإزعاج الاسورها وأنهداده
 فصدت صدور البكر عند اقتضاضها * وهيأت كان السيف حتماسفاده
 فيانظر اعم البلاد صلاحه * بين كان قد عم البلاد فساده
 فلا مطلق الاوشة وثائقه * ولا موق الا وحل صفاده
 ولا منبر الا ترغ عوده * ولا مصحف الا آثار سداده
 فان يشكل الارز فيمها حياته * والاقفل للجم كيف سهاده
 وابتدأ سرايا القمص قمص دونها * كما تستر عن حريق حراده
 الى أين يأمرى الضلالة بعدها * لقد ذل غاوبكم وعز رشاده
 رويدكم لا مانع من مظفر * يعاند أسباب القضاء عناده
 مصيب سهام الزاوى لوان عزمه * روى سذى القرنين أصمى سداده
 وقل للملوك الكفر تلم بعدها * محال كما ان البلاد بلاداه
 كذا عن طريق الصبح فليته الدجى * فباطلما غال التلاطم امتداداه
 ومن كان املاك السموات جنده * فأبى أرض لم ترضها جواداه
 والله عزم ماء سمه ان ورده * وروضة قسطنطينية مسراده

ولهم نصيدة هنا بها القاضى كمال الدين بن الشهر زورى أتمها
 هي جنة المأوى فهل من خاطب

يقول فيها

ان الصفائح يوم صاغت الرها * عطفت عليها كل اشوس ناكب
 فتح الفتوح مبشرا بتمامه * كالبحر في صدر النهار الآيب
 لله أية وقفة بدرية * نصرت مجاثبا بأعين صاحب
 ظفر كمال الدين ككنت لقاحه * كم ناهض بالحرب غير محارب
 وأمدكم جيش الملايكة نصرة * يكاتب محشوة بكاتب
 جنوا الديور وقد تورج الصبا * جند النبوة هل لها من غالب
 أترى الرها الورها يوم تمتعت * ظنت جوب السور سولة لعب
 لأبن يأمرى المهالك بعدها * ضاق القضاء على نجاة الهارب
 شدا الى أرض الفرنجة بعدها * ان الدروب على الطريق اللاحب
 أفسركم والتار رهن دماثكم * ما كان من اطراق لحظ الطالب
 واذا رأيت الليث يجمع نفسه * دون الفرسة فهو عين الوائب

وقال ابن منبغر

صفات مجدك لفظ جل معناه * فلا استرد الذي أعطاك الله
بإصارها يمين الله قائمه * وفي أعالي أعادى الله حذاه
أصبحت دون ملوك الأرض متفردا * بلا شبيهه إذا ملاك أنسابه
فذاك من حاولت مسعاك همته * جهلا وقصر عن مسعاك سمعاه
قل للأعداء الاموت وابعدا * فآله خيبكم وآله أعطاه
ملك تنام عن العشاء همته * تقي وتسهل للعروف عيناه
ما زال يملك والابام تخدمه * فيما ابتلاه يؤدى ما توداه
حتى تعالت عن الشعرى مشاعره * قدرا وبوزن الجوز انفلا
وقد روى الناس أخبار الكرام مضوا * وأين ما روه ما رأناه
أين الخلاف عن فتح أنعم له * مظلل أفق الدنيا جناحه
على المنار من أنبائه أريج * مقطوبة بقتيق المسك رياه
فتح أعاد على الإسلام بهجته * فافتز بمجمعه واهتز عطفاه
بهذى يمتص بالله قسوته * حدينها أنعم الماضي وأنساه
إن الرها غير عذوبة * من راءها ليس مفزاه
أنت الكواكب عزما بقا أحد * من الملوك لها وقفاواته
حتى دلفت لها بالعزم وشهته * رأى بيت قويق ألهم مسراه
شعرا ونوا الإسلام في شغل * عن بدع غرس لهم أغمار عقباه
يا محبي العدل اذ قامت زلذه * وعامر الجود لما فتح مضاه
بأنعم الله يستصفي المزيها * لساكرين ويستغني صفاه
أبطال الدين والدينه وطوما * من لم يتوكل هذا التاج الا هو

ولابن منبغر ايضا من قصيدة تقدم بعضها

أيامك ألقى على الشرك ككلا * أأخ على أمانه كل كل الشك
بجعت الى فتح الرها سديابه * بجعلك بين النهب والاسر والقتل
هو الفتح أنعم كل فتح حديبه * وتزوج مسطور الرواية والنقل
قضت به نقش الخواتم بسده * جزيت جزاء الصدق عن خاتم الرسل
تجزدت لسلام دون ملوكه * بتلك أسباب المذلة والخذل
أحوال الحرب غذته القراع مقاما * يشوبها قدم الفتى حنكة الكهل
وله من قصيدة أخرى

بعاد الدين أنضحت عروة الدين * معصو بابها الفتح المبين
واستزلت بقسيم الدولة القسيم * من ادحاض كبسد للمارقين
ملك اسهر عينها لم تزل * هبها تنريد همت الراقدين
لاخت من كحل النصر قدس * فتأت غيضا عيون الخاسدين
كل يوم من أيامه * فهو عبيد عائد للسلين
لوجرى الاتصاف في أوصافه * كان أولها أسير المؤمنين
ماروى الراون بل ماسطروا * مثل ما خطته أيدي الصنين
أنا نأخ الشرك في أكنافه * بمأى ألف تلاحا بيمين

كتاب (٤٠) الروضتين

وقعة طاحت بقلب الروم من * قطعة البين الى قطع الوتين
 ان حث مصر قد قام لها * واضح البرهان ان الصين صين
 والرها لولت تكن الاكرا * لكفت قطع الشك المستر ين
 هم قسطنطين ان يفرعها * ومضى لم يحومها قسط طين
 ولكم من ملك حاولها * قصلا الحين وسما في الحبس
 هي أخت النجم الا انها * منه كالنجم رأى البصرين
 منيت منه بليث فائد * بعد ان الذل آساد العرين
 زارها برأى أسدوغي * تبدل الاسد من الزار الانين
 صولوا بالبيض من يضرب تش * الهام في سلطانها نثر الكرين
 بالمهامة تغر أضصكت * من بنى القلف تغور الشامتين
 برنست رأس رفس ذلة * بعدما جاست حوايا جوسلين
 وسروج مذوعت أسراجها * فرقت جماعها عنها عطين
 تلك أفعال رماها الله من * عزمه الماضي ببحر الفاعين
 شام منه الشام برقا ودقه * مؤمن الخوف تخيف الآمنين
 كم كنيس كندت قد رامها * منه بعد الروح في ظل السفين
 دنت الآجال من آجالها * فأخلتها القطا بعد القطين
 ومنار يجتلي صليانه * بين يفض تباري في البرين
 فرغمه البيض حتى بذلت * قرعة الناقوس تشوب الأذن
 بالقسميات مقسوم لها الهدر في عاك لجين أو الحين * بردا من يوم ردت ماردين
 سحلت أمس سيماط بها * نظم جيش منهج الشاظرين
 وغدا يلقى على القدس لها * كل كل يدرسها درس الدرس
 همة تسمى وتضفى عزمة * ليس حصن ان تحطه بحصين
 قل لقوم غزهم امهاله * ستدقون سذاه بعدحين
 انه الموت الذي يدرك من * فترمه فمها للعاملين
 وهو يحيى مسكاعوته * انها جبل لمن باب متين
 من يطعن ويوم بمكر يكن * من غداة عبدة للآخرين
 بك يا شمس المعالي ردت الـ * روح في الميتين من دنيا ودين
 أقسم الجدة بأن تبقى لكى * تلك الارض بينا لايمين
 وتفيض العدل في اقطارها * منسيا مؤلم عسقا الجبارين
 لاتزل دارك كيف انتقلت * كعبة محفوظة بالطاقمين
 كل يوم يجلى جيسدها * من نظم المدح بالذراحمين
 كلما أخلص فيها دعوة * لك قالت ألسن الحلق أمين

(فصل) لما فرغ الشهيد من أخذ الرها واصلاح حالها والاستيلاء على ما وراءها من البلاد والولايات
 سار الى قلعة البصرة وهي حصن حصين مطل على الاقراة وهو لجوسلين أيضا فحصره وضايقه فأثامه الحسير بقتل نائبه
 بالموصل والبلاد الشرقية نصير الدين جعفر بن يعقوب فرحل عنها خوفا من ان يحدث بعده في البلاد فتق محتاج الى
 المسير اليها فلما رحل عنها سار اليها حاصم الدين قمر تاش بن القغازي صاحب ماردين عسكر افسلها الفرنج اليهم

خوفاً من الشهيدان يعود اليهم فياً أخذها وكان قتل النصير في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وسببه ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان مسعود وأصحاب الاطراف يرون ان البلاد التي يدها الملك الب ارسلان وانه نائبه فيها وكان ادا ارسل رسولاً أو أجاب عن رسالة فأنما يقول قال الملك كذا وكذا أو كان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليجمع العساكر باسمه ويخرج الاموال ويطلب السلطنة فعاجلته المنية قبل ذلك وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة وبها نصير الدين وهو ينزل اليه كل يوم فيخدمه ويقف عنده ساعة ثم يعود ففسن المفسدون الملك قتله وقالوا له انك ان قتلت ملكك الموصل وغيره لا يجزأنا بك ان يقيم بين يديك ولا يجمع معك فارسان عليك فوقهم هذا في نفسه وظنه صحباً فلما دخل نصير الدين اليه على عادته وثب عليه جماعة في خدمة الملك فقتلوا وألحقوا رأسه الى أصحابه فلما منهم ان أصحابه اذا رأوا رأسه فترقوا وملك الملك البلاد وكان الامر بخلاف ما ظنوا فان أصحابه وأصحاب أنابك الذين معه لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة الشهيد معلومة بالرجال الاجلاد ذوي الرأي والتجربة فقل تغير عليه بهذا الفتق شئ وكان في جلته من حضر القاضي تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري أخو كمال الدين فدخل الى السلطان ونذعه حتى أصدده الى القلعة وهو يحسن له الصعود اليه وحينئذ بسطة قله ملك البلاد فلما صعد القلعة سجنوه بها وقتل الغلمان الذين قتلوا النصير وأرسلوا الى أنابك يعرفونه الحال فسكن جاشه واطمان قلبه وأرسل زين الدين على بن بككين واليا على قلعة الموصل وكان كثير الثقة به والاعتماد عليه فسلك بالناس غير الطريق التي سلكها النصير وسهل الامر فاطمان الناس وأمنوا وازدادت البلاد معه عماراً ولما رأى الشهيد صلاح أمر الموصل سار الى حلب فلهز منها جيشاً الى قلعة شيزرو وبينها وبين حلب نحو أربعة فراسخ فحصرها قلت كذا وقع في كتاب ابن الأثير وقد هوهم في قوله الب ارسلان المعروف بالخفاجي غير الب ارسلان على ما ذكره العماد الكاتب في كتاب السجوقية فانه قال كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى الب ارسلان وهو في معقل من معاقل سنجار والآخر يسمى قرنخاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل وكان هذا الملك مسلماً الى الامير ديس بن صدقة فاتزعمه زنكي في حرب جرت فكانت زوجة زنكي خاتون السكانية تزييه حتى بلغ وكان النصير يقبض عناناه ويسيطر فيه لسانه ويقول ان عقل والاعقلته وان تقل طبعه ولا تقتله ففبر في قتله مع أصحابه فقطعوه في دحلير ارماء داخل السلام على الملك ثم أصدد القاضي تاج الدين الملك الى القلعة فلهز له أثر والنقط على الكه ثم عطف زنكي على الملك الآخر الب ارسلان فأسفخ رحمن معقله وعنى بتفاصيل أمره وجعله وضرب له نوبتيه ونوباً ورتب له في حالتي ركوبه وجالوسه رتباً وأغرى بتولي أكرامه وتوحيه وغرضه خفاء ما جرى من هلاك أخيه ثم ذكر قصة موت زنكي على قلعة جعبر كما سيأتي وفي سنة أربعين وخمسمائة أرسل أنابك الى زين الدين على يأمره بارسال عسكر الى حصن فنك يحصره فسير خاقاً كثيراً من الفرسان والرجال فأمروا عليه يحصرونه الى ان أتاهم الخبر بقتل الشهيد أنابك وهذا الحصن هو بجوار جسر زابن عمر وهو لا ذكره النشوية وله معهم مدد طويلاً يقولون نحو ثمانمائة تسعة وهومن أمتع الحصون مطل على دجلته ولم يسرب الى عين ماء لا يمكن ان يحال بين أهله وبينها قلت وفي هذه السنة أنشد ابن منير بالرقعة عماد الدين زنكي ينيه بالعاقية من مرض عرض له في يده ورجله قصيدة أولها

يا بذر لأفول ولا يحقاق * ولا يرم مشرقك الاشراف
بالدين والدنيا الذي يشكوهل * بهتز فرع لم يقبه ساق
لن تورق القصب ويجري ماؤها * الا اذا ما التائب الاعراق
ان الرعايا ما سلمت في حيي * للخطيب عن طرقة اطراق
غرست بالعدل لهم خيالها * زرع في حديثها الاحداق
يا فضبة الدين التي عاذبها * فعاد لا تفت ولا ارهاق
للمخطي راحلاً وقافلا * أصبح لاشام ولا عراق
عماد بن مني أظلم زيفه * حي ومات الشرك والتفاق

يا محبي العدل الذي في ظله * تسربت زينتها الآفاق
 يفدك من لان مهاد جنبه * لما تبا يجتنبك الاقلاق
 من كبر اسفلك انبطت له الا * هذب وما عيشته زعاق
 تجزع السم ولولم تجعه * بحسده لغزه الدرياق
 ملوك اطراف حتى اطرافها * عزمك هذا الاحق السباق
 لولم ترق ماء كرى العين لما * ساغت بأفواههم الارياق
 شقق من دونهم مرج الرذا * وشق أ كادهم السفاق
 أقسم لو كلفتهم ان يجمعوا * حديثاً يامك ما أطاقوا
 لما اشتكت رب في أهوائهم * توجس للمع واستراق
 تطاولوا لأعدت أمالهم * قصرا ولا ياتنها الاحقاق
 توهرها غسقا ثم انجلت * والصغوم من مشربهم غساق
 لئن ألم ألم بقدم * خدالسها لتعلم طوراق
 أو كان مديده الي يد * يجري بالآجال والارزاق
 فالتصل يعلى صدأ وقته * حد حسام وسنا رقرق
 رمى الصليب بصلب الراى من * زوراء أو هي نزعه الاغراق
 ونوم من خلف الخلع سهر * والعيش في فرجة سباق
 ماتوا غلاهم ولا اشارة * خوف هموس زاره ازهاق
 لاسبت منك الالي ما كست * ولا عرت جذل الاخلاق

(فصل) في وفاة زكي رحمه الله قال ابن الاثير كنت قطع جبر قد سلمها السلطان ملكشاه الى الامير سالم بن ملك العقيل لما ملك قسم الدولة مدينة حلب فلم تزل بيده ويدا ولاده الى سنة احدى وأربعين فسار لشهيد اليها فحصرها وحصر فنك لا ياتي في وسط بلادها ما هو لغيره وان قل العزم الذي كان عنده والاحتياط وأقام عليه يحصر نفسه الى ان مضى من شهر ربيع خمس ليال فيبناها وناع دخل عليه نفر من عماليه فقتلوه ولم يجهزوا عليه وهر بوا من ليقتلهم الى القلعة ولم يشرع أصحابه بقتله فلما صدأ ذلك التفرا الى القلعة صاحب من بها الى العسكر يعلم بقتله فبادر أصحابه اليه فادركه وأتاهم ويرمق ثم ختم الله به بالشهادة اعماله

لا في الحمام ولم أ كن مستيقنا * ان الحمام يستنلى بحمام
 فاضى وقتناه الامل وأدركه الاجل ويقتل عنه العبيد والحوال فأتى نجح بالاسلام أهل وأى ناصر للايمان رحل
 وأى يجرى غضب وأى يدمر مكرم غرب وأى أسد اقترس ولم ينه قله حصن ولا صوة فرس فكما أجهد نفسه
 لتهميد الملك وسياسته وكما أنبها في حفظه وحراسته فأقام مبيدا لائم ومغنيا في الحسد والقدم فأصابه بعد القهر
 للضلائق مقهورا وبعد وثير المضاجع في التراب معفرا مقبورا ومن حدث لا ينفعه الا ما قدم فلويت مصيقة عمله
 فهو موقوف في صورة تستسلم تحرقن بصفين عنداً بحمايه على أمير المؤمنين على رضى الله عنه مات وذكر العبد الكاتب
 في كتاب السجوقية قال قصدي زكي حصار قلعة جبر فثار لها وكان اذا نام ينام حوله عتق من خدامه الصباح وهو يحجم
 ويعبونه ولكنهم مع الوفا منه يصفونه وهم أنساء النحول القروم من الترك والروم وكان من دأبه انه اذا قم على
 كبير أرباء واقصاء واستبق ولده عنده وأخصاء فنام ليته موته وهو سكر ان فسرع الختام في القعب فزهرهم وزيرهم
 وتوعدهم فقا فوا من سطوته فلما نام ركب كبيرهم وأحمر برقتش فذبحه وخرج معه خاتمه فركب فرس النوبة وموها
 انه مضى في مهم وهو لا ير تأبيه لانه ناصر زكي فأتى الخادم أهل القلعة فأخبرهم وذكر الحديث قلت ثم قل الى
 الرقة فدفن بها وقبره لا ن فيها قال ابن الاثير وكان حسن الصورة مليح العينين قدر خطه الشيب طويلا وليس
 بالطويل الباش وتختلف من الاولاد صيف الذين غلزا يا وهو الذي ولي بعده ونور الدين محمود الملك العادل وقطب

في أنجيل (١٢) الدولتين

الدين مودود وهو أبو الملوكة بالموصل وقصره الدين أمير أميران وشيخا فترض عصف مسحف الدين من الذكور والاثاث ونور الدين من الذكور. لم يبق الملك الا في عقب قلب الدين ولقد أنجب رجحه الله فان أولاد الملوكة لم يكن مثلهم قلت ومن عجيب ما حكى انه لما اشتدت حصار قلعة جبر جافق الليل ابن حسان المنجي ووقف تحت القلعة ونادى صاحبها فأجابته فقال له هذا المولى اتابك صاحب البلاد قد نزل عليك بما كرت الدنيا وأنت جلاوزر ولا معين وأنا أرى ان أدخل في عنتيك وتأخذ لك من المولى اتابك مكانا عوض هذا المكان وان لم يفعل فأى شيء تنتظر فقال له صاحب القلعة انتظر الذي انتظر أبوك وكان بلك بن بهرام صاحب حلب قد نزل على أبيه حسان وحاصره في منج أشد حصار ونصب عليه عدة بمجنين وقال يوما لحسان وقد أحرقه بحجارة المجننين أى شيء تنتظر ما تأمل الحصن فقال له حسان انتظر سهما من سهام الله فلما كان من الغد ينابلك رب المجننين اذا صاح بهم غروب وقع في بيت مغرمتا ولم يكن من جسده شيء ظاهر الا ذلك المكان لانه كان قد ليس الدرع ولم يزرها على صدره فلما سمع ابن حسان ذلك من مقالة صاحب قلعة جبر رجح عنه وفي تلك الليلة قتل اتابك فكان هذا من الانصافات الجبيلة والعبر القريظة ذكرنا ليعي بن أبي طلى في كتاب السيرة الصلاحية

(فصل ١٢) في بعض سيرة الشهيد اتابك زنكي وكانت من أحسن سير الملوكة وكانت رعيته في أمن شامل يعجز القوي عن التمرد على الضيف قال ابن الاثير حدثني والذي قال قدم الشهيد النيا بجزر قان عمر في بعض السنين وكان زمن الشتاء فقل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام وكان في جملة أمرائه الامير عز الدين أبو بكر الديلمي وهو من أكابر أمرائه ومن ذوى الرأي عنده فدخل الديلمي البلد ونزل بدار انسان يهودى وأخرجه منها فاستغاث اليهودى الى الشهيد وهو اكبر فسال عن حاله فأخبره به وكان الشهيد واقفا والديسمى الي جانب ليس فوقه أحد فلما سمع اتابك الخبر نظر الى الديلمي نظرا مضطربا ولم يكلمه كلمة واحدة فأتاه القهقرى ودخل البلد وأخرج خيامه وأمر نصبها خارج البلد ولم تكن الارض تحتل وضع الخيام عليها الكثرة والوحل والطين قال فلقد رأيت الفزاشين وهم يلقون الطين لينصبوا خيمته فلما رأوا كثرة جعلوا على الارض ينالون يقيوها ونصبوا الخيام وخرج اليها من ساعته قال وكان ينهى أصحابه عن اقتنائه الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فأى حاجتنا لكم الى الاملاك فان الاقطاعات تقضي عنها وان خرجت البلاد عن أيدينا فان الاملاك تذهب معها ومضى صارت الاملاك لأصحاب السلطان نلوا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم ثم ذكر ما تجدد في أيامه من عمارة البلاد واسما بالموصل وذلك لحسن سيرته فكان يقصد الناس ويتخذون بلاده دارا فامة وهو الذي أمر ببناء دور الحماكة بالموصل ولم يكن بها السلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل الميدان ثم رفع سورها وعمق خندقها وهو الذي فتح الباب العمادى واليه ينسب قال وكانت الموصل أذل بلاد الله فأكفه وكان الذى يبيع الفواكه يكون عنده مقراض يقص به العنب لقلته اذا أراد ان يرضه فلما عرفت البلاد غلبت البسائين بظاهر الموصل وفي بولانها قال ومن أحسن آرائه انه كان شديد العناية بأنجيل الاطراف وما يجرى لأصحابها حتى في خلواتهم لاسيما دركات السلطان وكان يفرم على ذلك المال الجزيل فكان يطالع ويكتب اليه بكل ما يفقه السلطان في قلبه ونهاره من حرب وسل وهرزل وجد وغير ذلك فكان يصل اليه كل يوم من عيونه عدة فاصدين وكان مع اشتغاله بالامور الكبار من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير وكان يقول اذا لم يعرف الصغير ليجتمع صاوك كبير او كان لا يمكن برسول ملك يعبر في بلاده بغير أمره واذا اشتد أمره رسول في العبور في بلاده اذن له وأرسل اليه من يسره ولا يتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيره فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من أحوالها شيئا وكان يتعهد أصحابه ويمنحهم سل وياخذهم الى طشت داره وقال احفظ هذه فبقي نحو سنة لا يشارك المشكنا تلكه خوفا ان يظلمه منه فلما كان بعد ذلك قال له أين المشكنا تلكه فأخبره بما في منديل وقدمه اليه بيده فاستحسن ذلك منه وقال مثلك ينبغي ان يكون مستغفرا الحصن أمر له بدزارة تعلقة كواشي فبقي فيه الى ان قتل اتابك وكان لا يمكن أحد من خدمه من مفارقة بلاده ويقول ان البلاد كدستان عليه ساج فغن هو خارج السياج بباب الدخيل فاذا خرج منها من يذل على عورتها ويضع العدة ويهازل الناحية وقد طرق الحصن اليها قال ومن صائب رأيته وجدته ان سيرة طائف من التركان الايونانية مع الامير البارق الى الشام وأسكنهم بولاية

حلب وأمرهم بجهاد الفرنج وملكهم كلها استنقذوه من البلاد الفرنج وجعله ملكا لهم فكانوا باعادون الفرنج بالقتال وبرأوحنهم وأخذوا كثير من السواد وسدوا ذلك الثغر العظيم ولم يرل جميع ما فقهوه في أبيهم إلى نحو سنة ستمائة قال ومن أرائه انما اجتمع الاموال الكثيرة أودع بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب وقال ان جرى على بعض هذه الجهات خرق أو حيل بيني وبينه استعنت على سد الخرق بالمال في غيره قال وأما عجايبه وأقدامه فاليه النهاية فيهما وبه كنت تضرب الأمثال ويكفي في معرفة ذلك جملة أن ولا يشه أحد قبحا للعداء والمنازعون من كل جانب الخليفة المسترشد والسلطان مسعود وأصحاب أرمينية وأعمالها بيت سكران وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب مازدين ثم الفرنج ثم صاحب دمشق وكان يتصرف منهم ويغزو كلا منهم في عقود داره ويفتح بلادهم ما عدا السلطان مسعود فانه كان لا يباشر قصده بل كان يحمل أصحاب الاطراف على الخروج عليه فافعلوا عدا السلطان محتاجا اليه وطلب منه ان يجمعهم على طاعته فيصير كالحاكم على الجميع وكل يذاريه ويخضع له وطلب منه ما تسعة القواعد على يده قال وأما غيرته فكانت شديدة ولا سيما على نساء الاجناد فان التعرض اليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها وكان يقول ان جنسدى لا يغفر قونى في أسفارى وقلما يقيمون عند أهلهم فان نحن لم نمنع من التعرض الى حرمهم هل يمكن وفسدن قلت وفي صحيح مسلم من حديث أنى سعيد الخدري وذ كر حديث رجم النبي صلى الله عليه وسلم ما عز احوال ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا قال أو كما أتلفنا غزاة في سبيل الله خلف رجل في عيال له نيب كنيب التيس على الاثني رجل فعل ذلك الا نكاتبه قال ابن الاثير وكان قد أقام بقلعة الجزيرة دزارا اسمه نور الدين حسن البربطي وكان من خواصه وأقرب الناس اليه وكن غير مرضى السيرة فلقعه عنه انه يتعزز بالحرم فأمر حاجبه صلاح الدين الباسغيب الى انه يسير بمجدا ويدخل الجزيرة فاذا دخلها أخذ البربطي وقطاع ذكره ووقع عينيه عقوبة لنظره به سما الى الحرم ثم بصله فسار الصلاح مجدا في شهر الربطى الا وقد وصل الى البلد فخرج الى لقائه فأكرمته ودخل معه البلد وقال المولى اتابك يسلم عليك ويريد ان يعلى قدرك ورفع منزلك ويسلم اليك قلعة حلب وبوليك جميع البلاد الشامية لتكون هنالك مثل نصير الدين فتحجز وتجدد مالك في الماء الى الموصل وتسير الى خدمته ففرح ذلك المسكين فلم يترك له قليلا ولا كثيرا الا تقبل الى السفن ليجدوا الى الموصل في دجلة فحين فرغ من جميع ذلك اخذ الصلاح وأمضى فيه ما أمر به وأخذ جميع ما له فلم يجاسر بعده أحد على سلوك شئ من أفعاله قال وأما صدقائه فقد كان يتصدق كل جمعة عيائة دينار أمري ظاهرا أو يتصدق فيما عاده من الايام سرا مع من يشق به ويركب يوما فعترت به دابته فكاد يسقط عنها فاستدعى أميرا كان معه فقال له كلاما لم يفهمه ولم يجاسر على ان يستفهمه منه فعد عنه الى بيته وودع أهله عازما على الحرب فقال له زوجته ما ذنك وما حلك على هذا الحرب فذكر لها الحال فقالت له ان نصير الدين لم يبك عناية فاذا كرهه قصنك وافصل ما يأمر لك به فقال أخاف ان يعنى من الحرب فاهلك فلم تزل زوجه ترأجه وتقتوى عزه ففترق الا نصير حاله ضحك منه وقال له خذ هذه الصرة الذانير واجعلها اليه فهي التي أراد فقال الله الله في دمي ونفسي فقال لا بأس عليك فانه ما أراد غير هذه الصرة فحملها اليه فحين رآه قال أملك شئ قال نعم فأمره ان يتصدق به فلما فرغ من الصدقة قصد النصير وشكره وقال من أين علمت انه أراد الصرة فقال له انه يتصدق في هذا اليوم بمثل هذا القدر يرسل الى من يأخذ من الليل وفي يومنا هذا يأخذه ثم يلغى ان دابته عثرت به حتى كاد يسقط الى الارض وأرسلت الى فعلت انه ذكر الصدقة قال وحكى لى من شدة هيبته ما هو أشد من هذا قال والذي خرج يوما الشهيد من القلعة بالجزيرة من باب السرخلوه وملاح له نام فألقظه بعض الجنادارية وقال له اتعد فحين رأى الشهيد سقط الى الارض فخر كوه فوجدوه ميتا قال وكان الشهيد قليل اللون والنقل بطيئ الملم والتغير شديد العزم لم يتغير على أحد من أصحابه ملك الى ان قتل بالذنب بوجب التغير والامراء والمقتدون الذين كانوا معه أولا هم الذين بقوا أخيرا من سلم منهم من الموت فلهذا كانوا يسمونه وبذلون تقوسهم له وكان الانسان اذا قدم عسكر لم يكن غريبا ان كان جندا باشتل عليه الاجناد وأضافوه وان كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان وان كان عالما قصد القضاة في الشهر رزرى فيحسونون اليه ويؤنسونه غربة فيعود

في أخبار (٤٥) الدولتين

كانه أهل وسبب ذلك جميعه انه كان يخطب الرجال ذوى اللحم الطيبه والإراء الصائبة والافئس الايبه ويوسع عليهم في الارزاق فيعمل عليهم فضل الجليل واصطناع المعروف قلت وما أحسن ما وصف به أحد بن منير من قوله في قصيدة

في ذرا ملك هو الله * ر عطاء واستلايا
من له كف تيد القه * ث محاور انسكبا
فاغ في وجهه كل * أمة لنصر بايا
ترجف الدنيا انحر * لك للصبر الزكبا
وتحسز المشجرا * ت اختلا لا واضطربا
وترى الاعدا من * هيته تاروى الشعبا
واذا ما فتحتم نا * ر مصاروا صكبا
يا عماد الدين لازا * ت على الدين محبا
جاعلا من دونه * سيفك اندرع حجا
فاليس النعماء في الاء * ن الذي طبت وطبا
وأصف عيشا ن آء * دما لك قد صلوا ترايا

وقال العماد الكاتب استولى زنكي على الشام من سنة اثنتين وعشرين الى أن قتل في سنة اربعين وهو الذي فتح الرها عنه واحتل بها من السعادة نوره فتسنى بفتح ازاها المسلمين وجاس بلاد جوسلين وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت عقود الفرع من ذلك الحين تنفخ وأمورها تنمخ ومعاقلة تفرع وعقالها تفرع وقال الرئيس أبو يعلى التميمي كانت الأعمال بعد قتل زنكي قد اضطربت والمساكن قد اختلت بعد المهية المشهورة والامنة المشكورة وانطلقت أذى التركان والحرامية في فساد الاطراف والعيث في سائر النواحي والاكاف ونظمت في صفة هذه الحال أبيات من قصيدة

كذلك عماد الدين زنكي تنافرت * سعادته عنه ونرت دعائمه
وكريت مال من نضار وجوهر * وأنواع ديباج حوتها مخائمه
وأخفت بأعلى كل حصن مصونة * يحامى عليها جنده وخوادمه
ومن صافيات الخيل كل مطهم * بروع الاعادى طيبه وبراجمه
فلورامت الكتاب وصف شياتها * بأقلامها ما أدرك الوصف ناظمه
وكم معقل قد رماه بسيفه * وشاخ حصن لم تقه غنائمه
وكانت ولادة الارض فيها لامره * وقد أمنتهم كتبه وخواتمه
وأمن من في كل قطر لمحيية * راع بها اعرابه وأعاجمه
وظلم قوم حين يذكر عدله * فقد زال عنهم ظلمه وخصائمه
وأصبح سلطان البلاد بسيفه * وليس له فيها نظير راجمه
وزاد على الاملاك بأسا وسطوة * ولم يبق في الاملا ملك يقاومه
فلما تناهى ملكه وجلاله * براعت ولا فالارض منه لوائمه
أناه قضاء لا ترت سهامه * ظم تجبه أمواله ومغانمه
وأدرصكه العين فيها رجامه * وحامت عليه بلدين حوائمه
وأضفى على ظهر الفرائش مجدلا * صر يعاقول ذبحه فيه خادمه
وقد كان في الجيش اللهم ميته * ومن حوله ابطاله وصوارمه
ومعمر العوالي حوله بأصكهم * تذود الردى عنه وقد نام ناظمه

ومن دون هذا عصبية قد ترتبت * بأسمها يردى من الطير حاتم
 وحكم رام في الأيام راحة مرز * وهمته تصلوا وتقوى شكائمه
 وحكم ملاك السفر آمن سبله * ومصرح حق لن نزاع سوائمه
 وكما تفراسلام حواه بسيفه * من الروم لما أدركه مراجمه
 فمن ذا الذي يأتي ببيبة مثله * وينفذ أقصى البلاد مراحمه
 فلورقيت في كل مصر يذكره * أراقه ذلت هناك أراقه
 فمن ذا الذي ينجو من الدهر ملأه * إذا ما أتاه الأمر واقفه حاتم
 ومن رام صفوا في الحياة فابري * له صفو عيش والجمام يحاومه
 فإياك لا تقبض مليكا بملكه * ودعه فإن الدهر لا شك قاصمه
 وقيل للذي يبنى الحصون لحفظه * رويدك ما تبني فدهرك هادمه
 وفي مثل هذا عبرة ومواعظ * بها يقتاسي المرء ما هو عازمه

قال في ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وصل الحنادم يرتقش القتال لعماد الدين زنكي وانفصل من قلعة جبر خوف صاحبها من طلبه منه فوصل دمشق ميقاته قد آمن به لوم لا يباغضه ولنا منه ان الحال على ما توجه فقبض عليه وأخذ إلى حلب من محبه من حفظه وأوصله فأقام بها أياما ثم حل إلى الموصل وذكر أنه قتل بها قلت والحكم أبي الحكم المغربي قصيدتي مرثية الشهيد عماد الدين زنكي رحمه الله منها

عين لا تذخرى المدامع وأبكي * واستحلى دما على قعد زنكي
 لم يهب شخصه الردى بعد ان كا * نت له هيبة على كل تركي
 خسر ملك ذي هيبته وبها * وعظم بين الأنام بزره
 يهب المال والبياد لمن يح * مه مادما يغمر تلكي
 ان دارا تمسكتنا بالزوايا * هي عندي أحق دار يترك
 فاسكبوا فوق قبره ما ورد * وانفضوه برعفران ومسل
 أى قسك جرى له في الأعدى * بعدما استنفذ الزها أى قسك
 كل خطب أتى به نوب الدهر * ريسرى جنب مصرع زنكي
 بعد ما كاد أن تدن له الرو * مويحوى البلاد من غير شك

(فصل) فيما جرى بعد قتل زنكي من تفرق أصحابه وتلك ولديه غازي ومحمود قال الرئيس أبو يعلى توجيه الملك ولد السلطان المقيم كان معه فحين محبه وانضم إليه إلى ناحية الموصل ومعهم سيف الدين غازي بن عماد الدين أتياك وانتع عليهم الأولى بالموصل على كوجك أياما إلى حين تقرر الحال بينهم ثم فزع الباب ودخل ولده واستقام له الأمر وانتصب منصبه وعاد الأمير سيف الدولة وسور صلاح الدين يعنى مجدين أبو بياغيساني في تلك الحال إلى ناحية حلب ومعهم الأمير نور الدين محمود بن زنكي وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام له الأمر وسكنت الدهاء وقصل عنه الأمير صلاح الدين وحصل بمجاة ولا يتصل على سبيل الاستيهاش والحرف على نفسه من أمر يديره عليه وقال الحافظ أبو القاسم لما راهاق نور الدين لزوم خدمة والده إلى ان انتهت مدته على قلعة جبر وسير في صبيحة الأحد الملك الملب أرسلان بن السلطان مسعود إلى الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه وقال لهم ان وصل أخى سيف الدين غازي إلى الموصل فهى له وأنتم في خدمته وإن تأخرنا أنا أقوم أمور الشام وأتوجه إليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ورزى النواب في القلعة والمدية فقال ابن أبي طي الحلبي لما أتاه قتل أنابك يا سيد الدين خير كودرك من ساعته ومعه خيمة نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد أخطأ عسكر الموصل وعزل على تقديم أخيك سيف الدين وقصده إلى الموصل وقد انضوى إليه جل العسكر وقد أنشأ في جمال الدين وأرادنى على الساق به فزأهر ح عليه وقد رأيت ان أسيرك إلى حلب وتقبلها

كرسى ملكك ويقع في خدمتك عساكر الشام وأنا أعلم أن الأمر يصير جميعه اليك لأن ملك الشام يحصل
ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وأمر أن ينادى في الليل في عداكر الشام لاجتماع فاجتمعوا
وساروا في خدمة نور الدين إلى حلب ودخلوا حاصره سبع الاقل ولما دخلوا حلب جاء أسد الدين إلى تحت القلعة
ونادى باليهاب واصعد نور الدين اليها وقرأ امره ومشي أحواله فكان نور الدين يرى له ذلك وأسد الدين يمن بأنه كان
السبب في توليته وقال ابن الأثير لما قتل أتابك الشهيد ركب الملك البارسلان ابن السلطان مسعود وكان مع الشهيد
واجتمع العساكر عليه وخطبوا فأسل جمال الدين الوزير إلى الصلاح يقول له المصلحان يترك ما كان بينهما وراه
ظهورنا ونفسك طريفاً يبقى به الملك في بلادنا وحبنا ونعم شمسنا لاجلنا لئلا يمانع الملك قد طمع في البلاد
واجتمع عليه العساكر ولئن لم تتلاف هذا الأمر في أوله وتستأركه في بدايته لم يستعز الحرق ولا يمكن رقه فأجابه
الصلاح إلى ذلك وحلف كل واحد منهم بالعصا حبه فركب الجبال إلى الملك فقدموا من له فتح البلاد وأطاعه فيها
ومعه الصلاح وقال لاهل أتابك كان ثامنا منك في البلاد وباسمك صكتنا طعنه قبل قولهم وظنه حقا وقر بهما
طمعان يكونا هوانا له على تحصيل غرضه وأمر سلاطين الدين بالموصل بمنزله تقاتل الشهيد وأمره بالارسل إلى
سيف الدين غازي وهو ولد عماد الدين زنكي الأكبر واحضاره إلى الموصل وكان بشهر رور وهي اقلها من أبيه
فغلب زين الدين ذلك وكان نور الدين محمود بن الشهيد قد سار لما قتل والده إلى حلب فلكها واذك مباشرة أسد الدين
شير كوه عليه بذلك وقال الجبال لذلك أن من أرى أن يسير الصلاح إلى علوك نور الدين يحط به أمره وكانت حماه
اقتطاع الصلاح فأمره فسلم وبقى الجبال وحده مع الملك فأخذوه وقصدوا قفا شغل شرب الخمر والحلوة بالنساء
وأراد أن يعطى الأمر شيئا فتمعه خوفا من أن يغيب قلوبهم اليه وقال لهم الاقطاع الجزيل والتم الوافرة وشرح الجبال
بمسجمل العسكر وبحلف الأمراء لسيف الدين بن أتابك الشهيد واحد بعد واحد وكل من حلف بإمره بالمسير إلى
الموصل هارب من الملك وأقام الملك في الرصعة أيام ثم سار به فخر سنجار وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل
واستقر بها فتوى حينئذ جنان جمال الدين ووصل هو الملك إلى سنجار فأرسل إلى دزدارها وقال له لا تسلم البلد ولا
تمكن أحد منهم دخوله ولكن أرسل إلى الملك وقل له إن أتبع للموصل فتى دخلت للموصل سلمت اليك فضل الدزدار
ذلك فقال الجبال للملك المصلحة اننا نسار إلى الموصل فأنك غازی اذ اسمع بقرنا منتهج إلى الخدمة حينئذ
تقبض عليه وتسلم البلاد فساروا عن سنجار وكثر رحيل العسكر إلى الموصل هاربين من الملك فبقى في قلعه من العسكر
فساروا إلى مدينة بلد وعبر الملك بدجلته هناك فلما عبره دخل الجبال الموصل وأرسل الأمير عز الدين أبي بكر
الديبسي إلى الملك في عسكر وهو في نفر يسير فآخذوا دخله الموصل فكان آخر العهد به واستقر أمر سيف الدين
وأقر زين الدين على ما كان عليه من ولاية الموصل وجعل الجبل وزيره وأرسلوا إلى السلطان مسعود فاستخفوه
لسيف الدين خلفه لمواقره على البلاد وأرسل له الخطباء وكان هذا سيف الدين قد لازم خدمة السلطان مسعود في
أيام أسفروا وحضر أو كان السلطان يحبه كثيرا وبأس به وبسطه فلما خطب في العين وتقرر بالبلاد لم يتوقف
قال ابن الأثير فانتظروا إلى جمال الدين وحسن عهده وكان مروته ورعا يملق قومه وهذا القام الذي ثبت
فيه يعجز عنه عشرة آلاف فارس وقد قل من قال الناس ألف منهم كواحد وهو معد ولا تملهم مثل جمال الدين قال
ولما استقر سيف الدين في الملك أطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان يدبر كركا لعدن وحيزان وأسرده وغير ذلك
فان الجوارين لها تغلبوا عليها قاتل ولما فرغ سيف الدين من اصلاح أمر السلطنة وقفه فنه وتقرر برأى البلاد به
إلى الشام لينظر في تلك التواخي ويقرر القاعدة بينه وبين أخيه نور الدين وهو بحلب وقد تأخر عن الحضور عند أخيه
وخافه فلم يزل يرأسه ويعتمده فكما لم يلب نور الدين شيئا أجابه اليه اسماعيل الثقلي واستقر الحال بينهما على أن
يجمعان راجع العسكر إلى سيف ومع كل واحد منهما مائة فارس فلما كان يوم الميعاد منهم سار نور الدين من حلب
في خمسمائة فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس فلم يعرف نور الدين أن سار سيف الدين حتى قرب منه
فخبره أنه عرفه فترجل له وقبل الأرض بين يديه وأمر أصحابه بالعود عنه فسادوا وقد سار سيف الدين ونور الدين يوم
ان اعتنقا وبكا فقال له سيف الدين لم امتنع من المجي إلى أكنث تحافني على نفسك والله ما نخذل ربي إلى ما نك

فلن أريد البلاد ومع من أعيش ومن اعتضداً أفعلت السومع أخى وأحب الناس إلى فاطمأن نور الدين وسكن روعه وعاد إلى حلب فجهز وعاد بعسكره إلى خدمة أخيه سيف الدين فامر سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال لا غرض لي في مقامك عندي وإنما غرضي أن يعلم المملوك والفرنج اعتقاداً أن يرد السوء بنا يكف عنه فلم يرجع نور الدين ولم أن قضايما كآب عليه وعاد كل واحد منهما إلى بلده قلوباً من قصيدة لابن منير في نور الدين

أباخير المملوك أبا وحدا * وأنفعهم حيا الغليل صاد
علاوا وغلاوا وقال الناس فيهم * شوار من ثناء أو أحاد
وما اقتسموا ولا عمدوا بينهم * منصبتك القسي العجادي
وهل حلب سوى نفس شعاع * تقسمها التماذي والتعادي
نفي ابن عماد الدين عنها له * شكافها صبحت ذات العباد
تختفي كسا وعدل و بذل * مديحة التمام والنجاد
وفي محرابها داود منسه * يهذب حكمة آيات صاد
تجاوزت النجوم فابن تبني * ترق فلا خلوت من أزد باد

(فصل) فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والفرنج المتخذولين قال ابن أبي طي في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل خير مقل أنابك بصاحب انطاكية البيند فرج في يومه بعساكر انطاكية وقسم عسكره قسمين قسماً أنفذه إلى جهة جاءه وقسماً أنار به على جهة حلب وعاث في بلادها وكان الناس أمنين فقتل وسبي عالماً عظيماً وتماذى حتى وصل إلى صلي ونهبها ووصل الخبر إلى حلب فرج أسد الدين شيركوه فمن كان بحلب من العساكر وجث في السير فقاتله الفرنج وأدرك جماعة من الرجالة يسوقون الأسرى فقتلهم واستنقذ كثيرهما كانت الفرنج أخذته وسارجنبنا عن طريق الفرنج إلى أن شن الغارة على بلد رناح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد إلى حلب مظفراً وقال ابن الأثير لما قتل الشهيد سار جبر الدين صاحب دمشق في عسكر إلى بعلبك وحاصره وبهاجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين فسلمها إليه وأخذ منها مالا وملكه كما قرأ ما من أعمال دمشق واتبع إلى أيوب إلى دمشق وأقام بها وقال ابن أبي طي اشتد صاحب دمشق في القتال وصبر يحمي الدين أيوب أحسن صبر فاتفق أن الماء لما شاء الله من حصن بعلبك غارت حتى لم يبق منه شيء فصار أهل القلعة يستمدون من البلد فلما ملك البلد منع من يريد الماء من القلعة فاشتد الأمر فطلبوا الأمان والمصالحة فاستخلف صاحب دمشق نجم الدين وأقره الثلث الذي كان أنابك قد جعله فيها وأقره فيها ولم يبلغ ذلك نور الدين خاف أن يفسد عليه أسد الدين إلى صاحب دمشق بحصول نجم الدين عند موال نور الدين إلى مجده الدين أبي بكر بن الدايه حتى ولده جميع أموره وجميع مملكته فشق ذلك على أسد الدين قال الرئيس أبو علي لما اتصل خبر موت زنكي بجميع الدين أنزاع في التأهب والاستعداد لقد بعلبك وانتار الفرصة فيها بالان الحارب والمخيفات قتل عليها وضاعتها ولم يعض إلا أيام قلائل حتى قتل الماء فيها فادعته إلى التذول على حكمة وكان الوالي هذا خرم وعقل ومعرفة بالأمور فاشترط ما قام له به من اقطاع وغيره وسلم البلد والقلعة إليه وفي له بما قرر الأمر عليه وتسلم ما فيه من غلة وآل في أيام من جادى الأولى من السنة وأرسل معين الدين الوالي بحمص وتقررت بينه وبينه مهادة وموادعة يعودان بصلاح الأحوال وعمارة الأعمال ووقعت المراسلة فيما بينه وبين صلاح الدين بجاءه وتقرر بينهما مثل ذلك ثم انكفأ بعد ذلك إلى البلد عقيب فراغهم من بعلبك وترتيبهم من رتبم لحفظها والإقامة فيها قال ووردت الأخبار في أيام من جادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الأفرنج من ناحية وقصد مدينة الرها على غفلة بما وافقه من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم زهاء عشرة آلاف فارس ووقعت الدوايب الطرقات من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين وأصحابه فيه فهاجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من أرمي الرها والنصارى من قتل وأنهم إلى البرج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من وجوه أصحابه وأحدق بهم السلون وشروعوا

فأخبار (٤٩) الدولتين

في النقب عليهم حتى تعرب البرج فانهزم ابن جوسلين في البقية من أصحابه وأخذ الباقون وبحق بالسيف كل من ظفريه من نصارى الرها واستخلص من كان فيه أسير من المسلمين ونهب منه شيء كثير من المال والاناث والسبي وانكفأ المسلمون بالهائم إلى حلب وسائر الأطراف وبالن ابن الاتي لما قتل زكي كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولاية غربي الأثران في قتل يشر وما جاورها فراسل أهل الرها وكان عامتهم من الأرمين وواعدتهم بوما يصل اليهم فيه فأجابوه إلى ذلك عارفين عا كره اليها ولم يكن لها واعتنت عليه النقلة بمن فيها من المسلمين قبا تلهم وجذفي قتالهم فداغ الحبح نور الدين وهو يومئذ يجلب فساوار اليها بسكره فحرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها ونهبها وسبي أهلها وفي هذه المدة تهنيت وخربت وخلفت من أهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج إلى سيف الدين غازي بالموصل فجز الساسكر إلى الرها فوصل العساكر وقدم ملكها أنور الدين فقيمت يده ولم يعارضه فيها أخوه سيف الدين قال ومن يجيب ماجرى ان نور الدين أرسل من غنائمها إلى الأمراء وأرسل إلى زين الدين على جملة من الجوارى فعملن في الدار ودخل لينظر اليهن فخرج وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال لما فقه للأرهابع الشهيد كان في جملة ما غنمت جارية مالت تقسى اليها فزمت على ان آيت معها فسمعت منادى الشهيد وهو يأمر بإعادة السبي والغنائم وكان مهيبا وفافز أجصر على آتيها وأطلقتها فلما كان الآن أرسل إلى نور الدين سبى من التنية وفيه تلك الجارية فوطنتها خوفا من العود قلت لغيري ان قصيدة مدح بها جمال الدين وزير الموصل ذكر فيها فتح الرها أنها

أما أن أن يرهق الباطل * وإن يعجز العتاة لما طبل
إلى كم يغيب ملوك الضلال * سيف باعنا قها كافل
فلا تعلقن بصوت الذناب * بودة نزار الأسد البلس
وهل يمنع نئين الأفتي * بصول استقاما قيصنا ص
أبا جعفر أثمرت دولة * أضالها بدرك الكامل
فأما نسيبت رفع اسمها * فأنكبا الفعل والفاعل
لبنك ما فرج التصرعنه * ه وما ناله الملك العادل
فقل للعاقا الطريق الطريق * فقد دلفا المكرم البلبل
وجاهد في الله حق الجها * دمحتب بالعلى فافل
وهل يمنع السور من طالع * يشايه لاندرا النزل
فان ياء فسخ الرها بلدة * فسا حلهما اندمر والساحل
فهل علت هلم تلك الدنيا * ران المقصير بها واحل
أرى القمص يأمل فوت الرما * ح ولا يدان يضرب السائل
يقوى معاقله جاهدنا * وهل عاقل بعدها عاقل
وكيف بضبط بولاق الجها * تسلمن فات حسبته الحاصل

ولابن منير من قصيدتي نور الدين

ملك ما أذل بالفتح أرضا * قطا لأعزها اغسله
والوهاب الرها أزعج اليها * عارضا شيب الدجى ابراهه
بلأت جارة اليه فحلى * عطلامن اعناقها اعناقه
تلك بكر الفتوح فالشام منها * شامة والعراق بعدد عراقة
أين كان الملوك عن وجهها التلحق * يرينا امثلة اطلاله
سنتجسها أبوه بقلب الرو * هلما أتلله لرهقه
خافا قاتله إلى أصل عا * جلله دون نيله لخطقه

كتاب (٥٠) الروضتين

تعمت راية المواضي القسيمة * انت وابتر من الهام عرافته
وكذا أنت يا ابنه ما عدا من * خلقه فيك خصلة خللاته
وكفى الحرارة ابن سحاب * ماوى صمحه ولا اصعاته
لمحت من سدوت ثلثه يا * من على الدين كظما شفااته
رهبة لم تدع على الارض تلبا * خلف صدر ينشق عنه شفااته
كلما طن ذكر هامنه في السمع * مع تكافى النافقاء نفاقه
وجهاد عن حوزة الدين لمأ * له ركضه ولا انفاقه

وله فيه من قصيدة أخرى

نور الدين روض كل محل * من الدنيا وجد كل بال
أقام على ثلثة كل خوف * سهاديات بكل كل كال
وصوب عدله في كل أوب * فغوض غاطلا منه بحال
ينكسر رايه رأى المحامى * وتقبل خووفه قبل القتال
لقد أحدث للإسلام عزا * بفوت سنامه يد كل قال
وأصبحت العواصم لمخفات * عصاما غير متناكث الحبال

(فصل) وقفت على توقيع كتب في ذى القعدة سنة احدى وأربعين عن خطيفة مصر يومئذ وهو الملقب بالحافظ وعليه علامته ونصه

(الحمد لله رب العالمين)

الى القاضي الاشرف أبى المجد على بن الحسن بن الحسين البشاني (وهو والد القاضي الفاضل وكان يومئذ متوليا القضاء والحكم بمدينة عسقلان) قد انتهت الى حضرة أمير المؤمنين ان قومنا أهل نجر عسقلان جاء الله قد صاروا يؤدون توقيعات بقبول أوقافهم من غير تركية من شهوده المعروفين بالتركية لهم مع كونهم غير مستوجبين للشهادة ولا مستحقين لسماع القول فانكر أمير المؤمنين ذلك من قطعهم وخرج على أمره بان لا يسمع قول شاهد ولا يتقدم لخطابة ولا لصلاة بالناس ولا تلاوة في موضع شريف الا من زكاه أعيان شهود النجر المحروس وهم فلان وفلان وعبدغانية أنفس عبد الساترين عبد الرحمن عبد العزيز بن مقضل علي بن قريش أحد بن حسن أحد ابن علي عبد الرحمن بن محسن اسامة بن عبد الصمد علي بن عبد الله قلب وهذا الحسن ما يؤرخ عن امام تلك الدولة المباشرة على ما سأتى ان شاء الله تعالى وقال الرئيس أبو يعلى وفي شوال من سنة احدى وأربعين ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين انزال ان استقرت الحال بينهما على اجل صفة واحد من قضية وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين ابنه معين الدين وتأكدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في الثالث والعشرين من شوال وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منه توجهت الرسل عائدة الى حلب في صبيحتهم ائمة معين الدين ومن في جلته من خواص الاصحاب في النصف من ذى القعدة قال وتوجه معين الدين الى ناحية صرخدو بصري بالحيل والرجل والآلات الحرب ونزل على صرخدو وبها المعروف بالتوتاش غلام امين الدولة كشتكين الانايكي الذي كان واليا ولا قلت هو الذي تسب اليه المدرسة الامينية قبلي الجامع بدمشق قال وكانت نفس التوتاش قد حدثته لجهله انه يقاومهم فيكون مستوليا على دمشق وان الافرنج يهينونه على مراده وكان قد نزع من حصن صرخدو الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم وتقرر احوال الفساد معهم فحال معين الدين بينه وبين العود الى أحد الحصنين وراسل نور الدين في انجاده على الكفرة فأجابته وكان مبرز اذ ظهر حلب في عسكره فثنى اليه الاعنة وأجد المسير فوصل الى دمشق في التاسع والعشرين من ذى الحجة فأقام أياما يسيرة (ودخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسائة) فوجه نور الدين نحو صرخدو لم يشاهد احسن من عسكره وهيبته وعدته ووفور عدته واجتمع العسكر ان وارسل من نصر خد اليه ما يتسلحون الايمان والمهابة أياما يتسلم المكان وكان ذلك منهم على سبيل المعالفة والمخاطلة الى ان يصل عسكر الافرنج لترجلهم وقضى الله تعالى ووصول من اخبر بجمع الافرنج

واحتشادهم ونهوضهم في قارسمهم وراجلهم مجدين السير الى ناحية بصرى وعليها فرقة واقر من العسكر محاصرة لها
فنهض العسكر في الحال الى ناحية بصرى فسبقوا الفرج اليها فالتوا بينهم وبينها ووقعت العين على العين فانزمت الكفار
وولوا الادبار وتسلم معين الدين بصرى وعاد الى صرخد فسلها وعاد العسكر الى دمشق فوصلها يوم الاحد
السابع والعشرين من المحرم وفي هذا الوقت وصل التوتاش الذي خرج من صرخد الى الفرج بجعله وصحافة
عقله الى دمشق من بلاد الافرج من غير امان ولا تفرير واستنقذ نومه انه لم يكره ويصطنع بعد الاساءة القبيحة
والارتداد عن الاسلام فاعتقل في الحال وطالبه اخوه خططع بما جناه عليه من غل عينيه وعندهما مجلس حضره
الفقهاء والقضاة واجموا عليه الفخاصس فحمل كائن اخاه واطلق الى داره الى دمشق فاهام بها قتل وقد ذكر ابن
منير وقعة بصرى فخرج غير هامن الوضات التي يأتي ذكرها في عميدة قد تقدم بعضها هنا

أى شأن ادركت يافوزدين السلطان اعني على الملوك لحاقه
نطق الحاسدون بالهز عن ملوك المحلى بالتبيرات نطاقة
فخص ابصارهم لحاق جواد ليس الا الى المعالي سبانه
مل بصرى كما عتقت يوم بصرى من أسارى الموت الزوام عتاقه
كم عرام على المرمية شبت ضاق منه على انصليب خناقه
ولكن هجرة بهاب واختب هالهامكت الاسارى راقه
بسط الفل فوق بسطة باسو ما ولكن طواه عنه ارتفاقه

وفي هذه السنة وليس عليك الملك العادل سيف الدين أوبكر بن أوبى وقيل في سنة فتح زكي الزهاغال أبو يعلى وفي ليلة
الجمعة الثالث من ربيع الاول نوفي اقيه شيخ الاسلام الفخر نصر الدين بن عبد الله النوري المصمى بدمشق
كان بقية الاثمة الفقهاء الملقين على مذهب الامام اشافعي ولم يخلف بعده مثله قال وفي جمادى الاخرة تفرزت
ولاية حصن صرخد للاحد ميراجد الدين برن بن مامين على مبلغ من المال والقلعة وشروط وامن دخل فيها وفام
بها واستبشر أهل تلك الناحية لما هو عليه من جلاله والصلاح والتدين والعفاف قال وفي الحادى والعشرين
من شوال وهو مستهل ثمان اظم الجوزل غيث ساكن ثم اطلبت الارض في وقت العصر فلما شد البحث كان
ذلك كالكوفة بين العشائين وبقيت السماق عبيد النصارى اليها كصفرة اورس وكثلك الجبال وأنصار
العوطة وكل ما ينظر اليهم حيوان وجادونيات ثم جاء في آخر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخناطف والمخدرات
المنجحة والرحقات المعزعة ما راع لها السيب والسيان فكيف الوادان والسران وقلقت لذلك الخيزول في مرابطها
وبقي الامر على هذه الحال الى وقت العشاء الاخرة ثم سكن بدمشق تعالى واصبح على الارض والاشجار وسائر
النبات قبل في رقة القهواء بين البياض والقبعة قال ابن الاثير وفي سنة اثنى واربعين فمير نور الدين لوراج بالسيف
وحصن ياراة وبصرفوت وكفر لا فلو كان الفرج قد طمعوا ووطنوا انهم بعد قتل الشهيد يستردون ما أخذ منهم فلما راوا
من نور الدين هذا الجذع علوا ان ما أملا ويعد

(فصل في نزول الفرج على دمشق ورجوعهم وقد خذهم الله عنها قال الرئيس أبو يعلى وفي هذه السنة
تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الفرج والروم والاهل يظهرهم ملوك الافرج من بلادهم منهم
الامان والفتش وجماعتهم كبارهم في الصدر الذي لا يحصر لقصد بلاد الاسلام بعد ان نادوا في سائر بلادهم
ومعاقلم النفر النفر اليها الاسراع نحوها وخار بلادهم وأعمالهم خالية شاعرة من حاجتها والحظفة طامت استعجروا
من ذخائرهم وأموالهم عددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى بحيث يقال ان عدتهم ألف ألف من الرجال والقروان
وقال أكثرهم ذلك وغلوا على أعمال قسطنطينية واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسلمتهم والقزول على
أحكامهم وحين شاع خبرهم واشتهر أمرهم شرعت ولاذ الأعمال للثمة فتمهلوا اطراف الاسلامية القرية منهم
في التناهب للذافعة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وتصعدوا منافعهم وروى معارهم لكي يتعمدوا منهم العبور
والتفوذ الى بلاد الاسلام واصلوا شتى القارات على أطرافهم واجبة رقلة تسل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم

العدد الأكبر وحل بهم من عدم القوت والعونات والمبر وغلاء السعرا وأجروهم ما أفنى الكثير منهم بالجوع والمرض ولم تزل أخبارهم تتوالى على هلاكهم فإعدادهم إلى آخر سنة أنتدس وأربعين بحيث سكنت النفوس بعض السكون (٥) ودخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (٦) وتوازت الأخبار بوجه ولما كذب الفرنج وحصونهم على سواحل الثغور الساحلية صورو عكا واجتماعهم مع من بهامن الفرنج ويقال أنهم بعد ما فنى منهم بالقتل والمرض والجوع وصل تقدير ثمانمائة ألف وقصدوا البيت المقدس وقضرا حجبهم وعاد من عادتهم إلى بلادهم في البحر وقد هلك منهم بالموت والمرض الخالق العظيم وعك من ملوكهم من هلك وبقي الألمان أكبر ملوكهم ومن هودونه واختلفت الآراء بينهم فيما يقدرون منازلته من البلاد الإسلامية إلى أن استقرت الحال على منازلتهم دمشق وبلغ ذلك معين الدين فاستعذر بهم بقاء في تقدير خمسين ألفا ودوا من السلاطيم قصدوا المنازل المعروفة بنزل العساكر فيها فصادفوا الماء مقطوعا فقصدها ناحية أترقيها عليهم من الماء وزحفوا إلى البلد بجند لهم وورجلهم ووقف المسجونون بأزانيهم في يوم السبت سادس ربيع الأول ونشبت الحرب بين الفريقين وجمع عليهم من الأعمال والاجناد والارزاق والقتال وحدثت البلاد والمطوعة والفرانج الحتم الغفير واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد وغلبوا على الماء وانتشر رأي البسائين وخيموا فيها وقرى بوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما وحديثا منه واستمر هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوى المالكي رحمه الله قريب الزبوة على الماء لوقوفة في وجوههم وترك الرجوع عنهم أنبى أوامر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترى وكذلك عبد الرحمن الحول الراعده الله جري أمره هذا الجري

(فصل ٥) قلت ذكر الابرار أسامة بن منقذ في كتاب الاعتراف لبرن ملك الألمان الفرنجي لما وصل إلى الشام اجتمع اليه كل من بالشام من الفرنج وقصد دمشق فخرج عسكرها وأهلها لقاها وفي جملتهم الفقيه الأندلاوى المالكي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحول رحمه الله وكان من خيار المسلمين فلما فارقه يوم قال الفقيه عبد الرحمن اما هؤلاء الروم قال بل قال في محض وقوف قال سر على اسم الله ففتما فتاحتا حتى تتلا في مكان واحد وجهما الله تعالى ثم قال أبو علي وشرعوا في قطع الاشجار والتحصن بها وحدثوا القطار وبأن ملك الميلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياح لهل ما شاهدوه والروع مما عاينوهما ضعفت يد القلوب وجرحت معه الصدور وبأكرها الظهور اليهم في غدد ذلك اليوم ودعا الله وزحفوا اليهم ووقع الضرايب منهم واستظهر المسلمون عليهم وأكثروا القتل والجراح فيهم وأبلى الأمير معين الدين في حريم بلاعه من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا يبقى في جهادهم ولا ينشئ عن دمارهم ولم تزل رحاء الحرب دائرة بينهم يخيل الكفار شجعة عن الجمل المعروفة لهم حتى تنهيا الفرصة لهم إلى أن مالت الشمس إلى الغروب وأقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم إلى مكانه وبات الجنديان منهم وأهل البلد على أسوارهم للرس والاحتياط وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم وكانت المكاتب قد نفذت إلى ولا الاطراف بالاستصراخ والاستخبار وجعلت خيل الزكيان تواصل روجالة الاطراف تتابع وبأكرهم المسلمون وقد قوت شوكتهم ونفوسهم وزال عنهم وعهم وثبتوا بارائهم وأخذوا قلوبهم السماء ونزل الجرح بحيث يقع في فخيمهم في راجل أو فارس أو فرس أو رجل ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرماة فزادت بهم العدة وتضاعفت العدة فواتصل كل فريق إلى مستقره في هذا اليوم وبأكرهم من غد يوم الثلاثاء وأحاطوا بهم في فخيمهم وقد تحصنوا بأشجار البساتين وأسود ومارشقا بالنشاب وحذبا بالاسلحار وقد أنجموا عن البروز وخافوا وقشوا ولم يظهر منهم أحد وظن أنهم يعملون مكيدة أو يدبرون حيلة ولم يظهر منهم إلا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة خوفا من المهاجمة إلى أن يجندوا لجلتهم بحال ولا يسيدون منهم أحد الاصرع رشقة أو طعنة وطعم فيهم فزاد كثير من رجالة الاحداث والضيايع وجعلوا يقصدونهم في المسالك وقد أنصروا فقتلوا من ظفر وابيه بعض رجون رؤسهم لطلب الجواز عليها وحصل من رؤسهم العدد الكثير وتوارت اليهم أخبار العساكر الإسلامية بالمناوشة إلى جهادهم واستصالحا قسهم فأيقنوا بالهلاك والبرار وحاولوا الدمار وأحاطوا بالاراء بينهم فلم يجدوا نفوسهم خلاصا من الشبكة التي حاصوا فيها غير الزحيل فرحوا وصحروا يوم الاربعاء إلى

مقاولين وحين عرف المسلمون ذلك برزوا اليهم في مكة هذا اليوم وسارعوا في أنارهم بالسهام بحيث تناولوا أعضائهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكبير ووجدوا في آثار منازلهم وطرقاتهم من دغائهم قتلاهم وخيلهم ما لا عدده ولا حصر بلحظه بحيث لها أربع من جيتهم تكاد تنصرف في الجوف وكذا نوافذ أحرقوا الروبة والقبعة المسدودة في تلك الأياف واستبشر الناس بهذه النعمة التي أنعمها الله عليهم وأكثروا من الشكر لمتعالى على ماؤ ولاهم من لجابدهم عاتهم الذي واسوا له في أيام هذه الشدة فقلته الجمل على ذلك والشكر واتفق عقيب هذه الجماعة اجتماع معين الذين من نور الدين عند قرية من دمشق للأنجاد لها وقال ابن الأثير خرج ملك الألمان من بلاد الأفرنج في جيش عظيمه لا تحصى كثرة من الفرنج إلى بلاد الشام فاتفق هو ومن يساحل الشام من الفرنج فاجتمعوا وقصدوا مدينة دمشق ونزلوها ولا يشك ملك الألمان إلا أنه علم كها وغيرهالكثرة جوعه وعساكره قال وهذا الذي عن الفرنج هو أكثرهم عددا وأوسعهم بلادا وملكهم أكثر عندنا وعددا وان كان غير ملكهم أكثر من عندنا وأعظم محلا فلما حاصروا دمشق وبها صاحبها بجير الدين اتقى بن محمد بن بوري ابن طغتكين وليس له من الأمر شيء وإنما كان الأمر إلى يملوك حذره طغتكين وهو معين الذين زفوه وكان الحاكم المديبر للبلو العسكر وكان عاقلا دينا خيرا أحسن السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد وحصرهم الفرنج وزحفوا اليهم سادس ربيع الأول فرجع العسكر وأهل البلد منهم وكان فين خرج الشيخ الفقيه حجة الدين أبو الجراح يوسف بن دوانس المغربي القندلاوى شيخ المالكية بدمشق وكان شيخا كبيرا زاعدا عما يباذله من الجاف فأرى معين الدين قصد دوسل عليه وقال له يا شيخ أنت معذور ونحن نكفيك وليس بك قوة على القتال حال قديمت والسترى ولا تغفيله ولا نستطيع به معنى قول الله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأولاهم بأن لهم الجنة) الآية وتقدم فقتل حتى قتل رحمه الله عند النير بشهيد أقوى أمر الفرنج وتقدموا فزوا باليدان الاخرة وضعف أهل البلد عن ردهم عنه وكان معين الدين قد أرسل إلى سيف الدين يستغيث به ويأخذه ويسأله للتقدم عليه وبعلمه شدة الأمر فجمع سيف الدين عساكره وسار بجندا إلى مدينة حصن وأرسل إلى معين الدين يقول له قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادى فان أجاغت السك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد زبى وأصحابى وكانت الهزيمة والعباد بالله عليه لا يسلم منا أحد بعد بلادنا عنا وحيت ذلك الفرنج دمشق وغيره فافان أردمن أن أقامهم وأقاتلهم فقتلهم البلدان من أنق اليه وأنا حلف لك ان كانت النصره لنا على الفرنج حتى لا أخذ دمشق ولا أقامها الا مع دمارها رجل المدعو عنها وأعود إلى بلادى فها طله معين الدين لينظر ما يكون من الأمر فمضى فأرسل سيف الدين إلى الفرنج أن يأتيهم بدمشق ويعلمهم أنه على قصدهم ان لم يرجعوا وأرسل معين الدين اليهم أيضا يقول لهم قد حضر ملك الشرق ومعهم العساكر ما لا ما تتلقى به فان أنتم رحلتم عنا ولا سلمت البلد لله وجهتد لا تطعمون وفي السلامة من وأرسل إلى الفرنج أن يسلمهم فهم من أولئك الفرنج الخارجين إلى بلادهم ويقول لهم أنتم بين أمرين مدمومين ان ملك هؤلاء الفرنج القرباء شق لا يقرب عليكم ما يديكم من البلاد وان سلمت أنا دمشق إلى سيف الدين فأنتم تعلمون انكم لا تقدرعون على منعه من البيت المقدس وبكل لهم ان يسلم اليهم بانياس ان رجحوا ملك الألمان عن دمشق فأجابوا إلى ذلك وعملا وعدته واجتمعوا ملك الألمان وخوفهم من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع امداده واهرجا لدمشق فلابقى لهم معه مقام بالساحل فاجابهم إلى الرحيل عن دمشق فرحل ورجل فرنج الساحل وتسلطوا حصن بانياس من غير الدين وبقي معهم حتى فقه نور الدين محمود درجة الله كما سنده كره

(فصل ١٠) قلت وكره الحافظ أبو الناسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه ان الفقيه القندلاوى يرى في المنام فقيل له أين أنت قال في جنات عدن على سرر مرتب بالين وقبره الآن برابرقار باب الصغير من ناحية حائط المصلى وعليه بلاطة كبيرة منقورة فيها شرح حاله وأما عبد الرحمن الخحول فقبره في بستان الثالث باني في جهة شرقه وهو المسجد المحاذى لمسجد شعبان المعروف الآن بمسجد طالوت وكان مقامه في حياته في ذلك المكان رحمه الله وقرأت قصيدة شعر في الحكمة الاندلسي شرح فيها هذه القصة منها

نشطى نهر داريا * أسور ما تواتينا * وأقوام رأوا سفلكا * دماء في جلقى دينا
أنا نأما ألف * عبيدا أوزيدونا * فعضمومين اندلس * وبعض من فلسطينا

مكتوب (٥٤) الروضتين

ومن عساكر من صور * ومن صيدا وتبنينا * إذا أبصرتهم أبصر * ت أقواما مجانينا
ولكن حرقوا في عا * جل الحال البساتينا * وباروا المرح والتعدي * ل أيضا والميادينا
تخالمهم وقد ركبوها * قطارها حراذينا * وبين خيامهم دعوا * غنازر والقراينا
ورايات وصلباننا * على مسجد خاتونا * وقانا اذا رأيناهم * لعل الله يكفينا
سماهم معين قد * أعن الحلق والدينا * وقتيان تخالمهم * على الهيا شياطينا
قولوا يطلبون المر * ج من شرق جمرنا * ولكن غادروا اليا * من تحت التراب ندقونا
وشيعا قد لاويا * قهبا بعضنا الديننا * وقتيانا نقانا من * دمشق نحو سبعينا
ومهم ماتنا على * ونبل نحو تسعينا * وباتهم الى الآ * ن من القتل يقرونا
ولفرقة حسان في مدح مجير الدين صاحب دمشق حينئذ قصيدة ذكر فيها هؤلاء الفرنج أولها
عرج على نجد لك مجدى * ينسجها وبذ كر سعدى مسعدي

يقول فيها

من قاتل الا فرنج بدنا غيرة * والحيل مثل السيل عند المشهد
رد الامان بكل ندب باسل * ومن الجياد بكل نهج أجرد
ومن السيوف بكل غضب أبيض * ومن العيالج بكل تقع أسود
حتى لوى الاسلام تحت لوائه * وغدا بمحمد من شر بعة أحمد
وغرأت في ديوان محمد بن نصر القيسراني قصيدة في مدح تاج الملوك بورى جذ مجير الدين أنشدها بها عند كسرة
الفرنج على دمشق في أواخر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهي واقعة تشبه الواقعة في زمن مجير الدين أول للقصيدة

الحق مبتهج والسيوف مبتسم * ومال أعداء مجير الدين مقتسم
قدن الجياد وحصنت البلاد وأه * نت العباد فانت الحل والحرم
وجئت بالحيل من أقصى مرابطها * معاقنا الخرم في أوساطها الخرم
حتى اذا ما أحاط المؤركون بنا * كلاليل يلثم الدنيا له ظلم
وأقبلوا لامن الاقبال في عدد * يؤود حاسبه الاغيا والسام
أجريت بحرا من الماذى معتكرا * أمواجه بأواصي اليأس تلتطم
وسست جندك والرجن يكلؤه * سياسة ما يعنى اثرها ندم
وقفت في الجيوش والاعلام خافقة * بالنصر كل فتاة فوقها علم
يحوطك الله صنوا عن عيونهم * والله يصم من بالله يعتم
حتى اذا بليت الآراء ضاحكة * وأقبلت أوجه الاقبال تبسم
اتجسجت سراياهم مضرة * فبحر انجوم اذا جلا لوعى رجوا
والنصر دان ونيسل الله مقبله * ترجوا الشهادة في الهضام وتقتسم
صاب الغمام عليهم والسهام معا * فنادوا أيما المظلة الدم
سر واليتهموا الاعمار فاشبهوا * قلاويغتهموا الاموال فاغتصموا
وأقبلت خيلنا تزدى بخيلهم * مجنونة وعلى ارمحنا القسوم
وأدبر الملك الطائي رجزه * حر الاسنة وهو البارد الشيم
وافوا دمشق فقتلوا انها جدة * قطار قرها في أيديهم العلم
وأيقنوا مع ضياء الصبح انهم * ان لم يزولوا سراعا زالت الحيم
فنادوا أكثر القربان وانجفوا * ونظفوا كبر الصليان وانهمزوا
مستلين لا يدى المسلمين وقد * أغرى الفنا بتجادى خطفهم بهم

لا يملك الحشم دمعاً عن مقاتله * كانه حين يشاء الردى صم
وخالوا المسجد الاذى فاعبرت * عن مسجد القدم الاصى لهم قدم

(فصل) قال ابن الاثير لما رحل الفرغج عن دمشق صار معين الدين انزلى بطنك وأرسل الى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين يسأله ان يحضر عنده فاجتمعافوصل اليهما كتاب القمص صاحب طرابلس بشر عليهم بما قصد حصن العريمة وأخذهم من فيه من الفرغج وكان سبب ذلك ان ولدا الفتن صاحب حقلية خرج مع ملك الامان الى الشام وتقلب على العريمة وأخذها من القمص وأظهر انه يريد أخذ طرابلس منه ايضاً فوجد هذا الذي يملك العريمة هو الذي غزا افر بيقية وفتح مدينة طرابلس الغرب فلما استولى هناك على العريمة كاتب القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسار اليه مجذبن فصبجها وكتب الى سيف الدين يستجده ويطالبان منه المدد فأمدهما حصراً والحصن وبه ابن الفتن وتقبوا السور فاذعن لافرنج واستسلموا وألقوا بأيديهم فلما المسلمون الحصن وأخذوا كل من به من رجل وفيه وأمر أتوقمهم ابن الفتن وأخروا الحصن وعادوا الى سيف الدين واقتحم نور الدين ايضاً بأسوطه وأجاب وقال الرئيس أبو علي قتل أكثر من كان فيه يعني في حصن العريمة وأسروا وأخذوا ولدا الملك وأنه ذهب ما فيه من العدد والخيول والانات عسكر سيف الدين الى حمية بجس ونور الدين عاد الى حلب ومعه ولدا الملك وأمه ومن أسر معهم ما انكفأ مع سيف الدين الى دمشق قال وروى لنا الاخبار في مرجين ناحية حلب بأن فرار الذين صاحبها كان قد توجه في عسكر الى ناحية الاعمال الاقربجية وقصد اطمية ونظر بعدة من الحصون والمعاقل الاقربجية وبعدة واقرة من الاقربج وان صاحب النطاكية جمع الفرنج وتوجه على حين غفلة منه فقال من عسكر ما أتقاله ذكر اعما وأوجته الاقدار السارلة وانهم زعم نفسه وعسكره وعادوا الى حلب سالما في عسكر لم يفقد منه الا الفرار اليسير بعد قتل جماعة واقرة من الاقربج وأقام بحلب أياماً بحيث جند ما ذهب له من البرك وما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد وذكر ابن أبي أن أسد الدين لما كان في نفسه على نور الدين من تقديم ابن الداية عليه لم يتصرف يومئذ في قصة يثراومر به نور الدين فقال له ما هذا الوقوف والقفلة في مثل هذا الوقت والسيلون فدانكسر واقفال ياخوند ايش تنفع نحن انما يقع عند الدين أبو بكر فهو صاحب الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب أسد الدين بعد ذلك وأرزمجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقواً صلح بينهما ما قال وقتل في هذه الكسر قشاهنشاه بن أيوب أخو الملك لناصر وتيل في كسر القديعة قتل وهو ووالده نور الدين فرخشاد وقي الدين عمر والست عذرا المنسوب اليها العذراوية داخل باب النصر بدمشق وقبر بالان بالربة النجمية جوار المدرسة الحسامية بقبيرة القونية ظاهر دمشق رجهم الله قتل ولا بن منير من قصيدة تمت اعتذر لراعي أبي في هذه التزنا قال

لم يشنه من ماء يفسرا ان تزلالا * الاشبات ذاد عنها ابدلا
كان فيها لث العربن جي الا * شبال متغضبان كائنا رماقه
وشبيه النبي يوم حنين * اذ ذلانا أدواءهم درياقه
وهي الحرب قلها بحسن الكسر * ان عرض بأسها لا يباقي

(فصل) وقال ابن الاثير وفي سنة ثلاث واربعين ايضاً سار نور الدين الى بصرى وقد اجتمع بها الفرنج في قنهم وفضيضهم ونذع زموا على قصد بلاد الاسلام فالتقي بهم هناك واقتتلوا استقتال ثم أنزل الله نصره على المسلمين وانهم الفرنج وكانوا بين قتيل وأسير وفي هذه الوضحة يقول التيسراني من قصيدة أولها

يأيت ان الصدد مصدود * اولاً قليت النوم مرود
المتى تعرض عن مفرم * في خذل طمع اخبود
فالواعيون البيض يسف الظبي * لسو لكن هس مسود
يخاف منها وهي في جفنها * والسيف يخشى وهو مفود

ثم خرج الى المدح فقال

وصكف لاثني على عيشه الا * محمود والسلطان محمود
فلشكر الناس ظلال التي * ان رواق العدل محمود

كتاب (٥٦) الروميين

ونيرات الملك وهاجة * وطالع الدولة مسعود
وصارم الاسلام لا يتنى * الاوشلو الكفر مقدود
مناقب لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه ضيق * عليه تاج الملك معقود
نال المعالي ماله كما * فهو سليمان وداد
ترتشف الافواه اسيافه * ان رصاب العز مورود
وصكم لهمن وقعة يومها * عند ملوك الشرك مشهود
والقوم امامه رق صرعة * اوموق بالقدم مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها * قالت لهم هيته عودوا
طالب بنار ضمنت النقي * فكل ما يمتن مردود
والكفر والقزم حال الوي * فطارد طورا ومطرد
وانما الافرنج من بينها * عادوا ونداء لهادود
قد حصن الحق فاجلحد * في قلبه بأسك مجمود
فكل معربك مستنقع * وكل ثقبك مسدود

وقال ايضا قصيدة في نور الدين واشده اباها بظاهر حلب وقد كسر الافرنج على يفرأ وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الافرنج هزمت المسلمين أولا بهذا الموضع أولها

قني بثمانها البيض الحداد * وتقضى دينها السمر الصداد
وتدرك نارها من كل باغ * فوارس من عزائمها الجداد
ويشقى حومة الهيجاها * يشد بضبعه السبع الشداد
أظنوا ان نار الحرب تحبو * ونور الدين في يده الزناد
وجند كالصقور على صقور * اذا اقتضوا على الابطال صادوا
اذا اخفوا لم يسد عنهم أنفوا * وان ابدوا عداوتهم أبادوا
ونصرة دولة حابيت عنها * وهل يحصى وأنت لها عماد
وان تتسل القوا في ماتلته * بآئيب ما يؤنبها سناد
جرت بالنصر أعلام العواي * وليس سوى التجميع لها مداد
وطالت أروس الاعلاج خصبا * فنادى السيف قد وقع الحصاد
أحطت بهم فكان القتل سيرا * ولا طعن هناك ولا طراد
وللا برنس فوق الرمح رأس * توسدوا السنان لهوماد
ترجل للسلام فترسوه * وليس سوى القنطرة لجواد
غضيب المفلتين ولا نعاس * وعابرها وليس به سهاد
فمر واستوعب الدنيا قنوما * فلا مضرب هناك ولا وهاد
وزر يني الوغي منوى حبيب * فن عن باب مسله ذباد
ولا في باب فارس غير ثكلي * بفارسها يفتى بها الحداد
لانطاصكية يحي ذراها * وقد دانت لسطونك البلاد
واذعنت الممالك واستحيات * مليية لعدوتك العباد

قلت ووقعة أنب هذه كانت عظيمة وقد أكرت لك الشعراء لها وسيا في ذكرها قريبا ان شاء الله تعالى

(فصل) قال أبو علي التيمي وفي رجب من هذه السنة ورد المير من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين ابن أتابك أمر بإبطال حى على شير العمل في أوخر أذن القعدة والتظاهر بسبب الصعبة وقوا نكر ذلك انكارا شديدا وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيليين وأهل التنج وضائقه صدورهم وهاجوا وماجوا ثم سكنوا أو أجموا الخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المخفورة قلت وأئشه ابن منير في رمضان

فذلك من صام ومن أفدرا * ومن سعى سعيك أو قصرا
وما الورى أهلا فتقدي بهم * وهل يوازي عرض جوهر
عبدل تساوى بقتا كافه * منافل العين واسد القري
يا نور دين الله كم حلدث * دجى واسفرت له فأنشري
ولم يحى للمرك لا يمشى الـ * وهم له غادرته مجزرا
يا ملك العصر الذى صدره * انقمص من أقطارها مصدرا
وابن الذى طاول أفلأها * فليجبد من فوقه مظهرا
مناقب تكمر كسرى كلى * تقصر عن ادراكها قصرا
ما عم في اوصافها شاعر * الا رأى أوصافها أسعرا
لله أصل أنت فرع له * ما أطيب الجنى ما أطهرا
ما حلب البضاء مذ صمتها * الاحرام مثل أم الفري
شديد في معمر ارجائها * لكل باغى عمه مشعرا
فاصبح السادى اذا توب الـ * دأى له هلل أو كبرا
لا عدم الاسلام من كفه * كف بل ان رهنى أو احصرا
كما غما ساحته جنة * أجرت بها راحته كوثر
تصرم الشهر الذى كنت في * أوفاته من قلده أشهر
جهاد ليل في نهار غزا * اذ كنت فيه الا صبرا لا شكا
أصدق ما يرشعه سامع * ما هن من أوصافك المتبرا
أبقاك للدين والدين من * خلاك في ايلهم انبرا
حتى ترى عيسى من القدس قد * نجا الى مديقتك مستصرا

قال أبو علي وفي رجب أذن من شاعلى الوعظ بالكل في الجامع المعمور بدمشق على جرى العادة والرم فبدأ من اختلافهم في أحوالهم واغراضهم والخوف من بضاي الحاجة اليهم من المذاب ما أوجب صرفهم عن هذه الحال وإبطال الوعظ لما يتوجهه من الفساد وطمع سفهاء الاعداد وذلك في آخر شعبان منها قال وكثر فساد الفرج المقيمين بصور وعكا والثغور السالمة في الاعمال الدمشقية بعد رحيلهم عن دمشق فاغارهم من الدين على اعمالهم وخيم في ناحية من حوران بالعسكر وكتب العرب واستدعى جماعة واقرب من الزكائن وأطلق أيديهم في نهبهم والقتل بهم فلم يزل على الشكاية فيهم والمضايقه لهم الى أن ألجأهم الى طلب المصالحة

(و) دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة جئدت المهادنة في المحرم مقدستين وأخذ نور الدين الى معين الدين بعلمان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلادهم وظهر بطلبهم الاهاد في الاعمال الحربية وأنه قنبر في عسكره الى ظاهر حلب لقائه والحاجة ماسة الى ما خذته فطلب معين الدين مجاهد الدين زران بن مامين في فريق واقرب من العسكر المسمى للصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته وسناجته وبقى معين الدين في باقى العسكر بناحية حوران قال وفي صفر من السنة وردت البشارة من جهة نور الدين بما أولا الله تعالى له الحمد على حشد الفرج المختول ولم يقلت منهم الامن أخبر بيولارهم وقبيل دمارهم وذلك ان نور الدين اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارسا مقاتلة

سوى الاتباع والسواد فنهض بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بآتب وهسم في تخوار بعمامة فارس وألفرا اجل فقتلهم وغنمهم ووجد العين البرنس مقدمهم صر بعابن جانه وأبطاله عرف وقطع رأسه وحل الى نور الدين وكان هذا العين من أبطال الفرنج المشهورين بالفرسية وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلق مع استنار الهيبة وكثرة السطوة والتناهي في الشر وذلك يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حمانها والذابين عنها ولم يبق فيها غير أهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلدهم وترددت للرسالات بينهم وبينهم في طلب التسليم اليهم ايمانهم وصيانة أموالهم فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا أمر لا يمكنهم للدخول فيه الا بعد انقطاع أموالهم من الناصر لهم والمعين على من قصدهم وجاؤا ما أمكنهم من الخف والمال ثم اسأهوا فامهلوا ثم رتب نور الدين بعض العسكر وللاقامة عليها والمنع من يصل اليها ونهض في بقية العسكر لمنازلتها ومضايقتهم فالتمسوا الامان فأومئوا على أنفسهم وسلوا بالبدق فان من عشرين ربيع الاول وانكسار نور الدين في عسكره الى الحاجة انطاكية وقد انتهت الخبر بنهوض الفرنج من ناحية الساحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها فاقبضت الحال مهادة من في انطاكية وموادعتهم وتقرر ان يكون ما قرب من الاعمال الحليفة وما قرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه التوبة معاحول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغيرها المعاناة الجمة وفصل عنه الأمير مجاهد الدين زن في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الواقعة وإن في جلته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة وأصله الرأى والمعرفة بمواقف الحروب وقال ابن أبي طي حل أسد الدين على حامل صليب الفرنج فقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوهه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به وعاد المسلمون بالتناغم والاسارى وكان لاسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحها بعض الشعراء الجليلين بقصيدة يقول فيها

ان كان آل فرنج أدركوا فلجيا * في يوم فراوا وامنوا الظفر
ففي الحطيم خطبت الكفر منصلنا * أبا المطفر بالصمصامة الذكر
نالوا يفرأنها با واتبنت لنا * على الحطيم نفوس المعسر البتر
واستقودوا الخيل عن باواستقدت لنا * قوامص الكفر في ذل وفي صفر

قال وحصل لاسد الدين من هذه الكمرة سلاح كثير وعدة أسارى وخيول كثيرة فأنفذ لآخيه نجم الدين منها شيئا وفي هذه السنة عظم أمر أسد الدين وقال ابن الأثير ما نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج قصير ومنزب ريشه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن آتب فحصر فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وساروا اليه لمحلوه عن آتب فظروا حل لقيمهم وتصاف الفرنج واقبلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حدة سنة ما تقهر منه الناس وأجملت الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وفيه قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وذوى التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلفه ابنه صغيرا وهو يتندفقي مع أمه بانطاكية فزوجت أمه ميرنس آخر وأقام معها بانطاكية يدبر الجيش ويقودهم ويقاتل بهم الى ان يكبر يتندفان نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة أخرى وهزمهم وقتل فيهم وأسروهم وكان في الاسرى البرنس الثاني زوج أم يتندفيا أسره فملك يتندفيا انطاكية بلدا يمدحون عنه فيق بها الى ان أسره نور الدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة على ما ذكره ان شاء الله تعالى وأكثر الشعراء مدح نور الدين وتنتهت بهذا الفتح وقتل البرنس فمن قال فيه القيصير انى الشاعر من قصيدة أشدها يا هليبحر الحديد الفاصل بين عمل حلب وعمل انطاكية أولها

هذى العزائم لا مأتدعى القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الحمى الا لاني متى خطبت * تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صالحات يابن عاد الدين ذروتها * براحة للساعي دونها تعب
ما زال جئتك يني كل شاهقة * حتى أبتى قبة أوتادها النهب
فله هزمك ما مضى وهلك ما * أنقضت أساعا بما ضاقت به الحقب

في أخبار (٥٩) الدولتين

بإسعاد الطرف والاحضان حاجة وثابت القلب والاحتشاء تضطرب
 أغرت سيوفك بالافرنج راجعة * فولدرومينة الكبرى لم يجب
 ضربت كيشهم مني إقاصمة * أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
 قل للظافة وان صحت سامعها * قولاً لصم القنا في ذكره أرب
 ما يوم أنب والابدا أسلة * من يوم بفرابعد لا ولا كتب
 أغتركم خدعة الآمال ظنكم * كاسلم الجهل ظنا غرنا لكتب
 غضبت لدين حتى لم يقتك رضى * وكان دين الهدى من ضاته الغضب
 طهرت أرض الاعادى من دماهم * طهارة كل سيف عند حاجب
 حتى استطار شرار الزند قاده * فالجرب قضمم والآجال تحطب
 والخيل من تحت قتلها تقر لها * قوائم خاتم الركن والحب
 والنقع فوق صفال البيض منعقد * كما استقل دخان تحته لمب
 والسيف هام على هام بحر كمة * لا للبيض ذومة فيها ولا اليب
 والنبل كالويل هطال وليس له * سوى القصى وأيد قوقه محجب
 والظلي ظفر حلو مذاقته * كأنما الضرب فيما بينهم ضرب
 ولا سنة عما في صدورهم * مصادر أطول تلك أم قلب
 خانوا الخائنات رماح الظعن أديهم * فاستسلموا وعي لا تبع ولا غرب
 كذلك من لم يوق الله مؤتمته * لا في العدى والقنا في كفه نصب
 كانت سيوفهم أوى حتوفهم * باربع مائة منجياتها العطب
 حتى الطوارق كانت من طوارقهم * ثارت عليهم بها من تحتها الثوب
 أحسادهم في ثياب من دماهم * مسالوة وكان القوم ما سلبوا
 أبناء الحمة لوانها ذكورت * فبما مضى نسبت أيامها العرب
 من كان يغزو وأبلاد الميركة كتبها * من الملوكة فنور الدين محتسب
 ذوقرة ما سمع والليل معسكر * الاغترق عن خمس الضبي الحجب
 أفعاله كاسمه في كل حادثة * ووجهه نائب عن وصفه القلب
 في كل يوم لفكرى من وفائمه * شغل فكل مديح فيهم مقتضب
 من باتت الاسد أسرى في سلاسه * هل بأسر الغاب الامن له القلب
 فلكسكو اسلب الأبرنس قاتله * وهل له غير أنطا كية سلب
 من للشيقي بما لاقت فوارسه * وان يشارها من تحته قتب
 عجبت لاصعدة السجاء مثمرة * برأسه ان أنما را القنا عجب
 مما عليها سموا الماء أرهقه * أنبويه في صعوداً صلها صيب
 ما فارقت عذبات التناج مفروقه * الاوى منه لا تاج ولا علب
 اذا القناه ابتخت فبرأسه نفقا * بنا إلى تطلبا من تحره سرب
 كنا نعد جي أطرافنا نفرا * فلكيك الظلي ما ليس تحتسب
 عمت فتوحك بالعدي معالها * كان تسليم هذا عند ناجرب
 لم يبق منهم سوى بعض بلارمق * كما التوى بعد رأس الحية اللتب
 فانهمض الى المهد الاقصى بنى لب * ببوليك أقصى التي فالقدس من قتب
 واتخذن لوحك في تطهير ساحله * فانما أنت بصرى بلسم لب

كتاب (٦٠) الروضتين

يا لمن أعاد ثغور الشام ضاحكة * من الظبي عن ثغور زمانه الشنب
مازلت تلحق عاصمها بطائها * حتى أخذ وأنطاكية حلب
حلفت من عقلها أندى معاذها * فاستجفلت والى ميثاقك الحرب
وأيقنت أنها تسلموا كرها * وكيف ثبت لاجوق ولا طنب
أجريت من ثغر الاعناق أنفسها * جرى الجفون لمرأها بالبحر حسب
ومار كزت القننا لا ومنك على * بسر الحديد هز برغيله اشب
فأسعد عافاته من كل صالحة * بأوى إلى جنة المأوى لها حسب
ان لا يكن أحد الابدال في فلتنا * نقوى فلان تبارى أمك القطب
فلو تساب أفلاك السماء بها * لكان ينكح من عفة نسب
هذا وهل كان في الاملام مكرمة * الا شهدت وعباد الهوى غيب

وله فيه من قصيدة أخرى

ألا لله ذلك أي ذر * صريح جبه بالكرم الصريح
وعسرك الذي استولى مسها * على ما بين فامية وسج
ووقعك التي بنت العوالي * صوادع من قتيل أو جريح
بأنب يوم أبرزت المذاكي * من النقع الغزاة في مسوح
غداة كناغما العاصي احرارا * من الدم عبرة الجفن القريح
وقد وافاك بالارنس حتف * أنزع له من القدر المتج
قتلت أشجعهم بالنفس اذلا * يجود بنفسه غير الشجع
ملأت بهم ضرلهم فامسوا * وليس سوى الفشاع من ضريح
وعدت التي ذرا حلب حمدا * سمو البدر من بعد الجنوح
فان جلبت بفرتك الليالي * فكلمناك من زم ملج
رودك تسكن الهيجا قوافا * بحيث ترجع من تعب المريج
فأنت وان ارحمت الخيل وقتا * فهمك غيرهم المستريح

وقال أحد بن منبسر مدحه وبذ كرتظفه بالبرنس وأصحابه وحمل رأسه إلى حلب وأنشد أيضا ياها بجمهر الحديد

أدوى الضلال واقفرت عرصاته * وعلا الهدى ونبلجت قمماته
واتاش دين محمد محمود * من بعد ما غلبت دما عبراته
رقن على الاسلام عصر شبابه * وثباته من دونه وثباته
ارسى قواعد همد عماده * صعدا وشيد سور سوراته
وأعاد وجه الحق أبيض ناصعا * اصلاته وصلاته وصلاته
لما نوا كل خزبه وقتنا ذلت * أنصاره وقتا صرت خطواته
رفعت لثور الدين نار عزيمة * رجعت لها من طبعها ظلماته
ملك مجالس لهوه شداته * ومشوقه بين المغوف شداته
تقرى بجفنه البراع شاته * ان لا حتمته الكؤوس لداته
وروقه ثغر العدى فان دما * لا الثغر يعبق في ماء لثاته
فصبوحه خمر الطلى وغبوقه * نطف النفوس تديره انشواته
فتح تعممت السماء بفتوره * وهفت على أغصانها عذباته
سبغت على الاسلام ببيض حجوله * واختال في أوضاحها جبهاته

في أخبار (٦١) الدولتين

وانهل فوق الأبطحين غمامه * وسرت الى سكينها ففجته
 لله بلجة ليلة محصت به * واليوم ذبح وشبه ساعاته
 حظ القوامص فيه بعد قاصها * ضرب يوصل في الطلي صعقته
 نبذوا السلاح لضيق عاداته * فرس الفوارس والقناغاياته
 لمجرب عمره غصباته * لله معصية غزواته
 قبح الضيق صفاده اسراره * وتفيض ما يشؤ ونها نفماته
 بين الجبال خواصها أعناقها * كالنود ثابت عن راء حداته
 تشرب على حلب عقود بنودهم * حلل الريح تناسقت زهراته
 روض جناه لها مكر حياده * واستوارت جماله جلته
 مقسدين على الرجال كما أنشئ * شرب امالت هامة قهواته
 لم تنبت الأجسام قبل رماحه * نصبر افروع أصوله لمراته
 فليجد الاسلام ما جلحت له * شرب غرس هذه مخباته
 وسقى صدادك الحيا صوب الحيا * خير الثرى ما كنت أنت نياته
 نصب السرر رومال عنه ومهدت * لقمر من صبك السرى سراته
 ماضة هذا البدر وهو محلق * ان الكواكب في النرى ضراته
 في كل يوم تستطيل قناته * فوق السماء وتنتلى درجاته
 وترى كنعم في الفضي آثاره * مجدا والسنة الزمان رواه
 أين الاولى ملا الطروس زارفا * عن زنف بحر هذه قطراته
 غدقوا بأعناق العواطل ماله * من جوهر فأتهم فذاته
 لو فصلوا سبطا بعض فتوحه * مضرت بما أقبلوا الحم فعلاته
 تسمى قنانيه ذات قيسونه * فوق القوانس والقناقيناته
 صلتان من دون الملوكة تفرها * حرصكاته وتنبها يقظاته
 فقدت بهم عن خطوه هياتهم * وسعت به عن قطولهم هياته
 سكتوا مهذه الجبال وأسكنت * زحل الزحال مع المها هياته
 لولاح للطائي غيرة فقهه * بأنت بجمل تأوه يا آته
 أو هب للطبرى طيب نسيمه * لاحتش من تار يخم حشواته
 صدم الصليب على صلاة عوده * قفرقت ايدى سبا خشباته
 وسقى البرنس وقد تبرس ذلة * بالروح محرم ما جنت غدراته
 فانتقادى خطام المنية أنفه * يوم الخطيم واقصرت رواه
 ومعنى يؤنب تحت أنب همة * أمست زواجر غيها زفراته
 أسد نبوا كالفرق فآته * قتبوا ن طرف السنان شواته
 دون النجوم مغضا ولطالما * اغضت وقد كرت لها الخطاته
 بفاوته تكي الاصادق تحته * بدم انا غصكت له شماته
 تسمى القنائة برأسه وهو الذي * نظمت حذار النير برناته
 لوعائق العيوق يوم رفته * لاراك شاهد خضه اخباره
 ما اتقاد قبلت أنفه بجزامه * كلا ولاهت لها هدراته
 طيان خلف المرح طال ذيره * نطقت سطلا له فطال صماته

كتاب (٦٢) الروضتين

لما بدا مسود رأيك فوقه * مبيض نصرك نكستراياته
ورأى سيفك كالصواعق طارحت * مثل الكرن قتلصت كثراته
ولو قد شربت ظمائك كياته * تحت النجاش والسنه حاته
ترك الكائن والكاس ذاهب * بالبيض نهب ما حواه عفاه
غلاب اروع لا يبت عداته * ذله المطال ولا تعيش عداته
والآن ملق بالعرايقاته * ما كن قبل بصيرده يقاته
اليوم ملكك القراع قلاعه * مقسما ما استشرقت شرفاته
وغدا تحصل لك الخلائل اسهم * متوزعات بينهن بناته
اوطأت اماراى السنايك هامه * فقناذفت بعينها قذافاته
لازال هذا الملك يشمخ شأنه * أبدا وبلقت فى الحضيض وشانه
ما أخطأتك بد الزمان قدونه * من شاء فلتسرع اليه هياته
أنت الذى تقطى الحياه حياته * وتنب أرواح القصيد هياته

(فصل) وقال ابن التبروف قيسا نور الدين الى حصن فامية وهو القصر أيضا وينه من مدينة حماه مائة من حلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحسن القلاع وامنهها وكان من بهمن الفرج يغيرون على أعمال حام وشيزرونيون بها فاهل تلك الاعمال معهم قحت النمل والصغار قسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به القرار ليلادونها راو تابع عليهم القتال ومنعهم الاستراحة فاجتمعت الفرنج من سائر بلادهم وساروا نحو ملين نحو حود منها قلم يصلوا اليه الا قد ملك الحصن وملأ ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال جميع ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب الفرنج سار نحوهم فبين رآوا جده فى قسامهم رجعا واجتمعوا لبلادهم وكان قساراهم ان يصلحوه على ما أخذ ومنحهما لشعرهما واكثر وانهم أبو الحسن أجنين منير حيث قال

اسنى الممالك ما اطلت منارها * وجعلت من هبة الشفارد نازها
وأحق من ملك البلاد وأهلها * رؤف تكلف عدله أفضارها
من عام سام الحاسقين وحامها * منناوز ادهوى نفس نزارها
مضربة طبع مضاربها وان * عدته ذروة فارس اسوارها
آل الرعية وهى تمجى لآلها * وتعا في نطفها وتكر مدارها
فاقر بجمعتها وأنت فيها * وأساع جرعتهما وأثبت زارها
ملك أبوه سماها قسماها * وأجراها فقلت سبلا جرها
نجم السبيل له فأوضح خلفه * وشداله بمى الصلى فانارها
أنتشرت بالمجودلة أحمد * من يعد ماشى البلى اصهارها
ان جانات عدل السنن قوامها * أنانات كان الحسام جبارها
علقت مع العصم العواصم مذغبت * هذى العزائم أسرها واسرارها
وتكفلت لك ضمرة انضيتها * فى صونها ان تسترد ضحارها
كلأت هوامها ورزة مظارها * ما أرى شنه وتفتت أظفارها
كم حاولت من كسبتها غرة * غلب الاسود قتلعت أظفارها
الى وسامى سرحها من لومعت * للفلك بسطته أحال مدارها
فى كل يوم من قسوحك صورة * للدين يحمل سفره أسفارها
ومطيلة قصر المنابر ان غدا ال * خطباء تنثر فوقها تقصارها
هم تجملت المسلولك زارها * بدم العنار وما أقتت آثارها

في أخبار (٦٣) : الحديثين

وعزائم تستور الآسaden * نهش الفرائس ان أحس أوارها
أبد انصراطول مشرفة النرى * بلحرفية أو تطيل قصارها
فقرن اهامسة فما فتمه * كوابل أجناسها الاران بوارها
أرهفت رائك فوق رائك فتمها * خططت من شغفاتها أعذارها
أدركت نارك في البغاة وكنت يا * مختار أمة أحد مختارها
عارية الزمن المتخير سماها * منك المغير فاستر متعارها
زار الحزير قبيست عانها * عصر الضلال وأملت أعيارها
ضاعت نجومك فوقها ولوعا * بانث تنافها النجوم مرارها
أمت مع الشعرى العبروا أصبحت * شعراء تستقل الفحول شوارها
ولكم قرعت بقر راتك مثلها * تلعا وتلدت الكجاء عذارها
حتى اذا اشتلتك أشرق سورها * عزا وحلاها سناك سوارها
خز الصليب وقد علت نجاتها * واستولت صلواته تكارها
لما وعاه سمع انطالكية * مرت الوفا وكتفت أمتارها
فالدموع أمتت تستند بحجيرها * من جوره وغلت تذم جوارها
علت بأن ستدوق جرعة أختها * انذر أطاوق اتجها وزلها
ماض اذا قرع الر كابل بلدة * ألقت له قبل القراع ازولها
واذا بحاقه ركن لمعية الا * حلقاء أجد كالجدر دارها
ملا البلاد مواها ومهابة * حتى استقرت آبه أوارها
بذكي العيون اذا أقام لعينها * أبدا ويضني بالظي أبكارها
أوما لرم التندى فأعاشها * وهما لمابقة للتي فازلها
نبوى تشبيهه لفتوح كائنا * أنصاره رجعت له أنصارها
أحيال صرح سلامها سلمتها * وأمان تحت علمها علمها
ان حارسار وقد تقم جيشه * رجب يسمع في المهي بطارها
أوحل حل حبا القروم هيبه * سلب البدر بدارها البدرها
واذا الملوك تنافسوا درج العلى * اربى بنفس أفرعت منخيارها
ونهى اذا هيضت نذل لجبرها * وسطى نذل اذا عنت جبارها
تهدى لجمود السجايا كاسمه * لوز فاعلة بها لا بارها
الفاعل الضلال ينظم في الدجى * بين النجوم حسودها سمارها
ساع سسى والساقات وراءه * عنقا فصفر منقاه عنلها
كالمضربى اذا بصر مرابيا * خوس الغلب وهابرت أوكارها
عرفت لنور الدين نور وفائع * ينشى اذا أكلت به أيسارها
مشهورة سطعت وفسا ولها الا * لا قدر عجزا ان تشق غبارها
فه وجهك والوحده كائنا * حطت بها أوقار هبت قارها
والبيض تخفى في الصدور صدورها * هبروا تكمل الشفور سفارها
والخيل تدلج تحت أرسية القنا * جنب المواقيع غارها
فيقت تسجل القنوح عرائسا * متلبا صدر العلى وصدارها
في دوة القصر فوق لواثها * زرتق في الطلى أسطارها

كتاب (٦٤) الروشني

فأدين مومة رقت بها الصوى * وحديقة ضمنت يدك إبارها
وله فيه من قصيدة أخرى

خمس الثعالب حين ذبحر معحر * ملأ البلاد هاهما وزيرا
تركوا مشاجرة الزماح لحاذق * جعلت مخافة الفصور قبورا
لرب حرب لم تزل فسلاته * كآله يلزم لفظها التكريرا
أسد اذا ما عاد من ظفر بقرس أحثله انظفورا
يتأذر الاعداء منه سخاوة * ملأ الزمان تعيضا وزفيرا
عرفوا لنور الدين وقع وقائع * وفيها الاسلام أمس ننورا
أبدانها فرك القضاء على الدي * تبقي فزجع ظافرا منصورا
قوضت فانتقع الطهار ظلمة * وقظت فاشتعل الداجر نورا
وعلى العواصم من دفاعك عاصم * ينشئ الرشيد وينشر المنصورا

(فصل) في وفاة معين الدين اربدمشقي وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة قال أبو يعلى النخعي
فصل معين الدين من عسكره بجوران ووصل الى دمشق في آخر ربيع الآخر لاهم أوجب ذلك ودعا اليه وأمن في
الاكل فلم يهتف بذلك انطلاقا لما دعيه وحمله اجتهد فيما يدبره على العدو الى عسكره من حاجة حوران وهو على
هذه الصفة من الانطلاق وقد زاده وضعت قوته وبولده معه من ض في الكيد فأوجب الحال عوده الى دمشق في
محقة لمدائه ووصل وقضى فيه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودفن في ابوان الدار الانابكية التي
كان يسكنها ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها قطب قهر في قبة تقابر العونية شمال دار البطيخ الآن واسمه
مكتوب على بابها فله تعقل من ثم اليها وفيه يقول الامير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وكتب بها اليهم من مصر لما تلقى
الفرنج في أرض بصرى وصرخه من نور الدين وقد تقدم ذلك كتب اليه قصيدة يقول فيها

كل يوم فقم مبين ونصر * واعتلاء على الاعادى وقهر
صدق النعت فيك أنتم معين ال * دين ان النعوت قال وذبحر
أنت سيف الاسلام حقا فلا كل غرايل أيها السيف دهر
لم تزل تضرر الجهاد مصرا * ثم أعلنت حين أمكن جهر
كل ذبحر الملوك يفضي وذبحرا * لكها الباقي ان أجر وشكر

قال وفي يوم الجمعة التاسع رجب قرئ للشورى المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بإبطال الفسة المستفجرة من
الرعة وازالة حكمها وتغيب قوسها وإبطال دار الحرب فكثير دعا الناس له وشكرهم قال واستوحش الرئيس
مؤيد الدولة من مجير الدين استغيا شأنا وجب جمع من أمكنه من سفهاء الاحداث والغوغاة وحمله السلاح من
الجهل العوام وترتيبهم حول داره ودار أخيه زين الدولة خيرة لا حقا بهم من مكروه يتم عليهم ما وذلك في ثالث عشر
رجب ووقعت المراسلات عن مجير الدين بما يسكنها ما يطيب أنفسهم ما فاضوا بذلك وجدوا في الجمع والاحتشاد
من العوام وبعض الاجناد وأثارا التهمة قصدوا باب المجن وكسروا غلافه واطلقوا من فيه واستنفر واجاعة
من أهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وقفلوا مثل ذلك ووصلوا في جمع كثير واملأ بهم الازقة
والدروب في عرف مجير الدين وأصحابه هذه الصورة اجتماعوا في التلعة بالسلاح التاكي وأخرج ما في خزائنه من
السلاح والعدد وقرت على العسكر وعزموا على الزحف على جميع الاوايش والابقاع هم والنكاية فيهم فسأل
جماعة من المقدمين التهل في هذا الامر وترك الجبهة بحيث تحقق الدماء وسلم البلد من التهب والحريق والحوال
عليه الى ان أجاب سؤالهم ووقعت المراسلة والتلذف في اصلاح ذات البين فاشتراط الرئيس وأخوه وطأ اجيبا الى
بعضها وأعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده مؤيد أخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى
القلعة المستدعى اليها وقررت الحال على ذلك وسكنت الدهاء ثم حدث بعد هذا التغيير عودا للحال الى ما كانت
عليه

ليمن العناد وانه الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدمين والراعي وانفلاحين وانتقوا عني
يخف الى القلعة وحصر من بها وطلب من عيين عليهم من الاعداء الا عيان في أوخر رجب ونشبت الحرب بين
فريقين وجرح وقتل بينهم غريمير وعاد كل فريق منهم الى مكانه ووافق ذلك هر وب السلار زين الدين اسماعيل
شحنة وأخيه الى ناحية فعايل ولم تزل الفتنة تثار والمجاعة متممة الى ان اقتضت الصورة ابعادهم التمس ابعاده
من خواص مجير الدين وسكنت الفتنة وأطلقت أيدي النهاية في دار السلارين وأحياهم وجمعها الذهب والخراب
بدعت الضرورة الى طييب نفس الرئيس وأخيه وأطلع عليه ما واعدة الرئيس الى الوزارة والى باستعبث لا يكون
في ذلك معترض ولا مشارك قلت وفي هذا الفتنة يقول العرقه

ذوالاثر والعرى * وكن في حزب من غلبا * يجلق أصبحت قن * تميز الويل والحريا
لنتمت فوا أسفا * وان تغرب فواجبا

يقال في الرئيس لما زحف الى القلعة

زدها وفي المجد بالين على * هكذا من أراد ان يتعالى * قد حوى الدين بما يؤدبه منه * ملك هرز ر اوديعه وهلالا
وغدت جلق تباديك عجبا * هكذا هكذا والاقلالا * جئت في الاطلام خيلا رجلا * وجمت النفوس والاحوالا
لن تبالى من بعده ابعده * انما المكان فنه اعزالا * قد بلغت المراد من كل ضد * وكفى الله المؤمنين القتالا
قال أبو يعلى القمي وفيها ورد الحبر من ناحية مرفوعة المستخلف بها الملقب بالحافظ واسمه عيسى الجعدي بن
الامر من المستنصر في خمس جمادى الآخرة وولى الامر بعده ولده الاصغر ابو منصور اسماعيل ولقب بالظافر
وولى الوزارة امير الجيوش ابو الفتح جمال المغربي

(فصل) في وفاة سيف الدين غازي بن زكي صاحب الموصل وهو اخو نور الدين الاكبر قال ابن الاثير كان
اتابك الشهابي زكي ملك دار اوقيت يده الى ان قتل فاحذها صاحب مارد بن ثم سار اليها سيف الدين بن
الشهابي سنة اربع مائة وأربعين فحاصرها وملكها واستولى على كثير من بلد مارد بن يسيها ثم حاصر مارد بن غازي
على ان يدخل ديار بكر ويستعدها فحاصر البلاد بعد قتل والده ففرق العسكر في بلدها ينهبون ويحرقون فقال
صاحب مارد بن كان كومن اتابك وأبى أيامه فلقد كانت اعيادها فند حصارها غير مرة فلم يتعد هو عسكر محاصر
السلطان ولا اخذوا كفا من اثني بغير عن

ربده ريكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

تم انه راسل سيف الدين وصالحه على ما أراد ووجه ابنته الخاتون ورجل سيف الدين عن مارد بن وعاد الى الموصل
وجهرت الخاتون وسيرت اليه فوصلت الى الموصل وهو مريض فتوفى ولم يدخل بها وذلك في أوخر جمادى الآخرة
وكان عمره نحو أربعين سنة وكن من أحسن الناس صورة وقد فن بالدرسة التي أنشأها ساطن الموصل ونحلف ولدا
ذكر أخيه نور الدين بن محمود فخر بامه فاحسن تربيته وزججته فمقطب الدين محمود وقد فظلا امامه وادركه اجله في
هفتون شبابه فتوفى واقرض عقب سيف الدين وكان كرماء عجبا اذا غرهم وخرم وهو أول من جل على رأسه شحيق
من أصحاب الاطراف فانه لم يكن فيهم من يفعله لاحل السلاطين السلجوقية وهو أول من امر عسكره ان لا يركب
أحدهم الا والسيف في وسطه فما أمر هو بذلك اقتدى به غيره من أصحاب الاطراف حتى بالموصل المدرسة الانباركية
التيقية وهي من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها واقعا على الفقهاء الشافعية والحنفية بصفين وبنى رباط الصوفية
بالموصل أيضا وهو رباط المجاور لباب المشرقة ووقف عليها الوقوف الكثيرة وكان كرماء قصده شهاب الدين
حيص يمس وامتدحه بقصيده المشهورة وهي من جيد شعره فأجازه عنها الشيخ الدين الرازي في سوره الاقامت والعهده
مقدمه وقامه وسوى المطلع والثياب قلت أول تلك القصيدة الى ممرالك في المجد في زى شاهر يقول في آخرها

اتابك ان سميت في المهد غازيا * فساقة معدودة في الشائر

وقوت بها والدين قدما لروقه * وصدة لها والكهراى الشعائر

وعزى أبو الحسين أحد بن منير نور الدين بأخيه قصيدة تقدم بعضها أولها هو ليلتبر التمام للبدور

كتاب (٦٦) الروضتين

سوى كل ما جئت الحادثاً * من ما كنت ظلالاً علينا قمرراً
أساهن وأحسن كثر الهلال * وملا شامتك بدراً منسجراً
إذا نبع البحر أخطأته * فلا غرو أن يتشجن الغديراً
وأصغر بقصدنا الداهية * هي ما عشت نايك ملكاً كبيراً
وما أغمدا الدهر ذاك الحسا * من ما سل حدك عضباً توراً
قسم علاك ونعم القس * من أخ شاف نزا وأعطى كثيراً
وكان نظيرك غار الزما * من من ابى رى لك فيه نظيراً
فدلك نفوسك استوطنت * من الامن نورا وقد كن نوراً
وغيرك يهد بسط العرا * هو يولى المسلمين سمعاً وقوراً
وما نقص الدهر اعدادكم * اذا شاف قطراً وأبقى بحوراً
ولو أنصف المجد موتاكم * لخط لهم في السماء القبوراً
حياتك أحييت رميم الرجا * وأعطت من الجود ناهراً ظهراً
بقيت معزا من الهالكين * توفى الزرد توفى الاجوراً

وللقيراني قصيدة منها

ما أطرق الجوحى أشرق الاق * ان أغمدا السيف فالعصام بأنق
دون الاسى منك نور الدين في حلب * ملك نجلى عن وجهه القسق
هو الشقيق الشفيق الغيب حين نوى * أراق ماء الكرى من جفك الهمرق
تلقى الاسى من لباس الصبر في جن * حصينة فتحها الاحياء تحترق
ومدة الاجل المحتوم ان خفيت * فان أيا من دونها طرق
وانما تحسن في مضمار حليتها * خيل الى غاية الاعمار تستبق
شاو اذا ابتدر الاقوام غابته * كان المؤخر فيها من له السبق
ان كان صنوك هذا قد نوى فذوى * ففي مفاصلك الانهار والورق
أو أصبحت بعده الاهواء نافرة * أيدي سببا فعلى عليك تنفق
ما غاب من غاب عن آفاق مطالعه * الا ليفتر عن أنوارك الاق
ما دام شمسك في نواغير أفقه * فالدين منتظم والمذك منتسق

(فصل) قال ابن الاثير لما توفى سيف الدين غازي كان أخوه قطب الدين مودود بالموصل فاتفتحت
كله جبال الدين ووزن الدين على توليته وملكه بالملك لاسلامته فانه كان لى الجانب حن الاخلاق كثير الحكم كريم
الطباع فاحضره من داره وحلفوه لهم وحلفوا له ونزل بدار الملكة وحلف له الامراء والاجناد واستقر في الملك
وأطاعه جميع ما كان لاخيه سيف الدين لان المرجع كان في جميع المملكة الى جمال الدين وزير الدين ولما ملك
واستقر في الملك تزوج امرأته اخيه التي مات ولم يدخل بها الخاتون ابنة حسام الدين ثم تراث صاحب مارد بن فولدت
لقطب الدين أولاده الذين ملكوا الموصل بعده على ما منذ ذكره ولم يملكها من أولاد قطب الدين أحد غير أولادها
قال وكانت هذه الخاتون يحمل لها ان تضع خاها عند خمس عشر ملكاً من أبنائها وأجدادها وأخوتها وبني أخوتها
وأزواجها وأولادها وأولادها ثم ذكرهم ابن الاثير في كتابه وسماهم وذكر انهم اشبهت في ذلك فاطمة بنت
عبد الملك بن مروان زوج عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لها ان تضع خاها عند ثلاثة عشر خليفة وهم
من معاوية بنى الله عنه الى آخر خلفاء بني أمية سوى آخرهم وهو مروان بن محمد فانه ابن عم لها ليس بمحرم
والباقيون محارم لها ومات له ذلك الاعدد ذكره ان أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية فعوايه جد أمها وزيد جد لها
لأمها ومعاوية بن يزيد بن خنيس لها مروان جد لها لابيها وعبد الملك أبوها والوليد وسليمان وهشام وزيد بن أخوتها وعمير بن

عبد العزيز وجهوا الوليد بن يزيد بن الوليد أولاد أخوتهم هؤلاء كلهم خلفاء وعدتهم تسعة وثلاثون
قلت وهذا كله مبني على أصل فيه خلل وهو أن فاطمة بنت عبد الملك ليست أمها عائكة بنت يزيد بن معاوية
بل أمها امرأته عمة على ما بيناه في ترجمته في تاريخ دمشق ولكن الصواب في ذلك أن يقال كان لفاطمة أن تضع
نخارها عند عشرة من الخلفاء وهم مروان بن الحكم ونسلة سوي مروان بن محمد وأما عائكة فاجتمع محرم لها سوى
عمر بن العزيز ومروان بن محمد بن أبي عائكة خليفة كلهم محارم لها معاوية جدتها ويزيد أبوها ومعاوية بن يزيد
أخوها ومروان جوها وعبد الملك بن جوها والوليد سليمان وهشام أولاد زوجها يزيد بن عبد الملك ابنها والوليد بن
يزيد ابن ابنته ويزيد بن الوليد وباريه بن الوليد ابنا بن جوها والواصف إلى ذلك المملوك من محارم عائكة وأفاطمة
صا الأخوة والأخوات والأم والاختون لضعف العدد تكاليف يزيد بن معاوية بن عائكة وعبد العزيز
ابن مروان وعفاطمة ومسلمة وعبد الله ابني عبد الملك وغيرهم وذلك ظاهر لمن عرف أنساب بني أمية وما ذكره
ابن الأثير من أمر بنت حسان الدين فبنت الشام بنت أيوب أكثر منها محارم من المملوك يجتمع لها من ذلك أكثر من
ثلاثين مملوكا من أخوت الأمومة العظيم وصلاح الدين والعاقل وسيف الإسلام ومن أولادهم وأولاد أولادهم وأولاد
أخيه إلا أكبرها هشام بن أيوب بقي الدين وذريته أحببوا به وفرحوا به وإنه لا يجد صاحب بعلمك

(فصل) قال ابن الأثير ولما مات قطب الدين الموصل والبلاد الجزرية كان أخوه نور الدين يملك وهو أكبر
من قطب الدين في كتابته بعض الأمراء وطلبوا إليهم منهم المقدم والشمس الدين بن المقدم وهو حينئذ زدار سنجار
فصار نور الدين جدي في سبعين فارسا من أكابر دولته منهم أسد الدين شيركوه ومحمد الدين أبو بكر بن الزاوية وغيرهما
فوصلوا إلى ما كسب في ستة أشهر في يوم شديد المطر وعظيم اليباس يعرفهم الذين بالباب وأرسلوا إلى السحنة
وأخبروه بوصول نفر من الأجناد كأنهم تركان فلبسهم الفاصد كلاما معني وصل نور الدين فحين رآه السحنة
قبل يده وخرج عن الدار فزعموا نور الدين حتى لحق به أصحابه وسار مجدا إلى سنجار فوصلها وليس معه إلا نفر يسير
فقتل بظاهر البلد وألقي نفسه على محفورة صغيرة من شدته تعب وأرسل إلى المقدم بالقطعة يعرفه فوصله وكان المقدم
قد استمدى من الموصل لأن خبره مع نور الدين بلغ من بهار فارس إلى فوق عدة أيام فلبس نور الدين قسارا إلى
الموصل وترك أنه نفس الدين بسنجار وقال له أنا أنأخر في الطريق فان وصل نور الدين فارسا من بعني فلما فارق
سنجار وصل نور الدين قسار إلى شمس الدين بوصولهم أرسل فاصدا إلى أبيه بالخبر وأبى الحال إلى نور الدين فخاف
فوات الأمر ووصل القاصد الذي سيره إلى المقدم إلى أبيه فادركه قبل بعث فصاد إلى سنجار وسلمها إلى نور الدين وكانت
خبر الدين قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن يستجده ويذل له قلعة الهيثم فسار إليه يجنده فلما سمع قطب الدين
الخبر جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سنجار ومعه الجبال والزينة ونزلوا ببل بعث وأرسلوا إلى نور الدين يشكرون
عليه أقدامه وأخذهم إلى سدس له وتمتدوه بقصده واتخاذه من البلاد قهرا أن لم يرجع اختيارا فأعاد الجواب إلى أن
الأكبر وأناق أن أقدر أمر أي منكم وجاءت إلى الامتياز إلى كتب الأمر أي ذكر من أهتمم لولا أنكم عليهم
يعني الجبال والزينة فحفت أن يحملهم الغيرة والافتة على أن يخرجوا البلاد من أيديهم فأما بعدكم بأي بالقتال فانا
ما فاتكم إلا يجندكم وكان قد هرب إليه جماعة من أجنادهم فخافوا أن يلقوه لثلاثين من عليهم باقي العسكر ودخل
الأمر إلى الصلح وأشار به جمال الدين الوزير وقال نحن نظهر للسلطان والخليفة أن تسب نور الدين ونور الدين يظهر
للفرنج أنه يحكمنا وهدم بنا فان كاشفناه وسار بناه فان ظفر بنا طمع فينا السلطان وإن ظفر بنا طمع فينا الفرنج
ولنا بالشام حصن وقد صار له عندنا سنجار فهدم أنفع لنا من تلك وتلك أنفع لهن هذه والراي أن نسلم إليه حصن
ونأخذ سنجار وهو في ثربا زاء الفرنج ويتعين مساعدته فاتفق الجماعة على هذا الرأي وسار جمال الدين إلى نور
الدين وأبرم معه الأمر وسلم حصن وسلم سنجار إلى أخيه وعاد نور الدين وأخذ ما كان بسنجار من المال ولما تسلم
قطب الدين سنجار أقطعها الزين الدين لأن حصن كانت لآخيه ينال وهو مقيم بها واتفقت كلمتهم واتحدت آراؤهم
وكل واحد منهم لا يصدوا لآخيه وأخيه وطلب نور الدين أن يكون الجبال عنده فقال له الجبال أنت عندك من
الكفاية ما يستغني به عن وزير ومشير وليس عندك من الأعداء مثل ما عند أخيك لأن عندك كافرا والناس

يدفعونه دابة وأعداء أخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم وإذا كنت عند أخيك فالنعم اليك عائد وأريد من بلاد أخيك معونة على كثرة خرجي فأجابه إلى ذلك فقال له جمال الدين أنت عليك خرج كثير لأجل العكفار فيجب مساعدتك وأنا أقنع منك بعشرة آلاف دينار كل سنة فأمر له بها فكان نائب جمال الدين يقبضها كل سنة ويشتري بها أسرى من الفرنج ويطلقهم قلت وقرأت في ديوان القيسراني وقال في نور الدين عند قدومه وقد استولى على سنجار وأعمال الرحبة والفرات وذلك في منتصف ذي القعدة سنة أربعين وخمسمائة

هذا الذي وُلدت له الأفكار * وتحضت فالأب لا تسار
وجرت له خيل النهي في حلبة * وردت وصعوضها المضاير
وانتبه نذر القوا في برهة * أن القوا في وجها انتذار
حكمت لسيفك بالمائة عنوة * حكم العمرى ما عليه غبار
يا أيها الملك للمطيل نجاده * برّيد ين يديه الأبرار
يا ابن السيوف وهل غرت بسببه * الأسماك للحدود خمار
فارت دار الملك غر مفارق * لك من علاك بكل أرض دار
في عسكر يخفي كواكب ليله * تعافه ظلمها الهنا الخطر
جزار أذبال الهجاج وراءه * وأما صه بل جحفل جزار
تدلك الغابات أكرهمة * نورية هم الملول كبار
حتى ملأت الخافقين مهابة * دانت لعظم نظامها الأقطار
وملكت سنجارا وما من بلدة * الا تمت أنها سنجار
وإسقط بالأموال كفاطما * طالت بها المال وهي قصار
وجرت بأمداد الجياد شعابها * جرى السيول وما سواك قرار
وشئى الفرات إلى يدك عنانه * والبحر ما انفصلت به الأنهار
وملكت رحبة مالك فتبرجت * من العينك كأعب معطار
جاءتك في حلل الربيع وحليها * قبل الربيع شقائق بهار
نثرت عليك هوى القلوب محبة * وتود لوان النجوم تشار
فأفت كالثمس المنيرة أناءت * عن أفتها ظلهابه أثار
من كان نور الدين ثم أخيه * ليل السرى حفت به الأنوار
تدعو البلاد إليك ألسنة الظبي * فيحيبك الانجاد والاعوار
حتى عمدت الدين زان عماده * بقنا أستعما عليه منار
وقفلت من أسفار جدك فادما * كالصبح ثم شغره الأسفار
يقضى البصائر نور وجهك بعدما اعسرتك على قسامة الأبحار
حتى غمرت بكل قلب صدره * حيث الصدور من القلوب قنار
ان تمس في حلب رباح غضة * نلها بانطاكية إعصار
وغدت جيارك بالسأم مقية * ولها بأطراف الدروب مغار
هم سبقت بها إلى موج العدى * صرف الردى ومسيره أحضار
وأرى صياح القمص كن خديعة * فطافى وجار وليس ثم وجار
خان الصنيعة غير محقوق بها * والخبر بهم ما بنى الختار
ذئب إذا ما غبت أقدام عابها * أقدام من لم يدن منه قرار
أضنى السلاح على عدوك بغية * بالعدو يطن في الوغى الغتار

في أنجيل (٦٩) الدولتين

فأحسم عناد ذوى العناد يحفل * كالليل فيمن الصغبر نهار
جند على جرد أمام صدورها * صدر عليه من اليقين صدار
قد بايع الاخلاص بعة نصرة * ولكل هادي آتمة أنصار
ملائكة من عدله ووفائه * جيش به تستفتح الامصار
واذا الملوكة تناقلت عن غايه * وأرادها خفت به الاقدار
وانا انتفضته الى الثغور عزه * قامت مقام جنودها الاخبار
ولابن منير من قصيدة فيه

ترجى مصطف الزوراء لما * دعاك ليرور سفبار لما
وزلزلت المصد وراء مصر * غداة علك في قطن الخيام
رجاء هزتيك وتلك خوف * ولو قد شئت ضمهما قرام
بعيشك يا مبيد الخيل ركضا * حمام هن تحك أم حمام

وقال ابن منير أيضا بهنيه بتسليم قلعة حص من رمال وأنشده في القطعة قصيدة تأولها

ارحها ففى الزلام المعالي * لحن الى الوغى توقا المعالي
أما ومقيلهم بكل قمع * بقوم بالهدى عمر الضلال
وأى سيوفك الجمل الخواشي * مثله متى دعيت نزال
مواض أن سلان حلكن جزا * نداء من الطلى لفظ اعتلال
لقد غلب الصليب ببحر حروب * يشيب أوارها لم العيال
وشمت نصر هذا الدين ناسا * تحرم منه كل حى حلال
وقابع أنزعت في كل فج * وقابع جوهادى العزال
تسائل حص من منى دين * تقاضاء لا تالج الخواشي
قواتك وهى أخت النجم بعدا * ووعدا صغ من مطل مطال
تساعج أنفها عزا وسنت * على أن اتسأل يدا نبال
فما زالت رفاك تجددت قضا * لما تشبه من مرد الحبال
الى ان أطلق الحسناء كرها * وآل الى ملاوحة المالى
يصد الوحش عن شما القت * بدلا ثم ذى باع طوال
شظفت بها يمينك والمواشى * تكفل ان مصرا للشمال
اذا فتح القتال عليك أرضا * أيا حلك أختها ليعن قتال

(فصل ١٠) قال الرئيس أبو على اتصل الخبير ورادين بأفساد الفرنج في الأعمال الحربية بالنهب والسبي
فهمز على التناهب قصدهم وكتب الى من يدمشق يعلمهم عازم عليهم من الجهاد ويستدعى العوضه على ذلك بالقب
فارس تصل اليه مع مقدم يعمل عليه وقد كانوا عاهدوا الفرنج على ان يكونوا اواحدة على من يقصدهم من عساكر
المسلمين فاحتج عليه وغرط فلما عرف ذلك رحل وزل بروج بيوس وبعض العسكر يعصرون فلما قرب من دمشق
وعرف من بها خبره ولم يعلموا ان قصدهم قد كانوا اساءوا الا فرنج يتغيره وقرر واعمهم الانجاد عليه وكانوا قد ضموا
الى ناحية عقلان لعمارة غزوة وصلت أوائلهم الى بانياس وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال لا تعرف
عن جهادهم وهموم ذلك كان أبدي أصحابه عن السيئ والا فساد في الضياع وأمر: احسان الراى في الفلاحين
والتحقيق عنهم والعداهه مع ذلك متواصل من أهل دمشق وأعمالها وائر البلاد وأطرافها وكان التثيت قد انجس
عن حوران والمرج والغوطه مزح أكثر أهل حوران عنها العمل واشتد الامر فلما وصل نور الدين الى بعلبك
اتفق نزول المطر يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة فأقام الحمله فمروا لاسكهم واليهاد وجرت الاودية وزادت الانهار

كتاب (٧٠) الروضتين

ولم تترك حوران ودارت رحيتها وعاد ما صوح من الزرع والنبات طربا وحشدا للناس بالذعان نور الدين
وقالوا له يا بركته وحسن معدته وسيرته شهر حل من منزله بالأعرج ونزل بجسر الخشب المعروف بمنازل العساكر في
السادس والعشرين من ذي الحجة وأرسل إلى مجير الدين والرئيس وقال انتي ما قصدت بنزول هذا المنزل طلبا لمخارتكم
ولا منازلتكم وانما دعاني الى هذا الامر كثرة شكاية المسلمين من أهل حوران والحرابان فان الفلاحين أخذت أموالهم
وسبيت نسائهم وأطفأ لهم بيد الأفرنج وعدم الناصر لهم ولا يسعني مع ما عفا الله وله الجدم من الاكتدار على نصرة
المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ان أقدعهم ولا تصرهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أموالكم والذب
والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالأفرنج على محاربتهم وبذلك لهم أموال الضعفاء المساكين من الرعية
ظلمهم وقد باع عليهم وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا أحد من المسلمين ولا يذم المعونة من ألف فارس من أراخي
العلمة تجرد مع من يوق بشجاعته من المقتضين لتقليص ثغر عسقلان وغزة قال فكان الجواب عن هذه الرسالة ليس
بيننا وبينك الا السيف وسيوافيناس الا فرنج ما يعيننا على دفعه ان قصدنا ونزلت الينا فلما عاد الرسول بهذا
الجواب وقف عليه أكثر التعجب منه والانتكار له وهزم على الزحف الى البلد ومحاربتة في غدد ذلك اليوم فأرسل
الله من الامطار رذا كهاود ما ممانعهم ذلك

ثم دخلت ستة خمس وأربعين في مستهل المحرم بقرار الصلحين نور الدين وأرباب دمشق والسبب في ذلك ان
نور الدين اشفق من سفك دماء المسلمين ان أقام على حربها والمضايقة لها بعد ما اتصل به من أجناد دعوته الى ذلك
واتفق انهم بذلوا له الطاعة وافادة الخطية له على من يرد دمشق بعد الحاقبة والسلطان وكذا السكة ووقعت الايمان
على ذلك وخلع نور الدين على مجير الدين خلعة كاملة بالثوق وأعادهم كمنحدر وأخطب له على من يرد دمشق يوم الجمعة
رابع عشر محرم ثم استدعى الرئيس الى المخيم وخلع عليه خلعة كاملة أيضا وأعاد الى البلد وخرج اليه جماعة من
الأجناد والخواص الى المخيم واختلطوا به ووصل من استباحه من الطلاب والفقراء والضعفاء بحيث ما خاب قاصده
ولا اكدي سائله ورحل عن مخيمه عائدا الى حلب بعد احكام ما قرر وتكبير ما دبر قلت وفي ذلك يقول القيس راني

لأن الله ان حاربت فالنصر والفتح * وان شئت صلحا مع من حرك الصلح
وهل أنت الا لايف في كل حالة * فطور المحمد وما وراه صفح
سقى الردينيان حتى رددتها * نزع من سكر فتميل الفنا تمحو
وما كان كف العز الا اشارة * الى الخرم لول بغضب السيف والرمح
وقد علم الاعداء مذبت بانها * الى السلم ما تنوي بذلك وما نحو
اذا ما دمشق ملكك عنانها * تيقن من في اليها انه الفتح
مضى التف تقع الخلفين على الهدى * فلامهم يحوى الضلال ولا سفع
اذا سار نور الدين في الجيش غازيا * فقول اليل الا ان قد طلع الصبح
ترك غلوب الشرك تشكورا حيا * فلانك الشكوى ولا ندم المرح
صبرت فكان الصبر غير مغية * فسبق اليك الملك بسبي به النجم
كان القنا تحمله وجه امره * ولو أمهلت بلقيس ما غرها الصرح
بدونك القراء أصبح صدها * بما ولولا الحسن ما عرف الفتح
وكم من قسرج القلب لوبات ولردا * مولد هذا العدل ما صه قرح
مخالك هذا الدهر جودا على الورى * على انه مازال في طبعه شع
وقد كان عموسم كل فضيلة * ونحن نراه اليوم بقت ما عمو
بك انتهمج الابواب واتهمج الحى * وأثمرت الآداب واطرد المدح
ولا ذنبك التقوى وعاذت بك العلى * ودانت لك الدنيا وعز بك السرح
فلا قلب الا قد غلصته هوى * ولا صدر الا قد جلا ملك النصح

وما الجود في الاملاك الاتجاره * هن فاته حمد الوري فاته الرج

ولم اختصر ماقلت الا لانتني * اعبر عما لا يقوم به الشرح

(فصل) في فتح عزاز قال أبو يعلى وورد الخبر في الخامس من الحزم من ناحية حلب بأن عسكر هامن التركان

ظفر بابن جوسلن صاحب عزاز وأصحابه ووصلوا في قبضة الاسرى قلعة حلب خسر هذا الفتح كافة الناس وتوجه

نور الدين في عسكره الى عزاز ونزل عليها وضايقها وواظب عليها الى ان سهل الله تعالى ملكها بالامان وهي

على غاية من المنعة والحصانة والرفعة فلما تسلمها رتب فيها من ثقاتهم وثق به ورحل عنها فاضا فرامعروا عائد الى

حلب في أيام من شهر ربيع الاول قلت وذكرا بن منير فتح عزاز وغيرها وأمر دمشق في قصيدة أولها

فدتل القلوب بألبها * وساح المسلول بأربها

كأثب ترمي جنود الصلح * ب منهاب تقطع أصلها

اذا ما انتنت من قراع الكما * هكست وفدها وني أسلاها

تبرنس منها البرنس النيا * ب وحلته من وقع احلاها

عشمة غصت على آتب * نفوس النصاري بغصامها

وفام لأحمد محمودها * يجذع موران أخزها

نجلى لها حيدري المصاع * أغلب مود بغلها

مورث أركاسها من أب * أكحول الفوارس شرها

هيام اذا أعصوبت نوة * دهاها بها شم اعصابها

مضى وجنى لك حلو الشها * دما عطق من صابها

وأوصى دهاك من بعدما * قصير عمحرا وصابها

واقسم جدك ان لا يلب * ق بغيرك ملبس أنوابها

صحت دمشق بمشق الجيا * دزبور الوغى بين أحداها

واصلت رايك قبل الحسا * م محمد جرة اجلها

فاعطت لك ما لم تنله يد * وفازت رقاك باصحابها

وأنت تصرف فضل الزما * ممن حصن تأخير ركابها

تحتونها الجور فاستدركت * بعدلك أغبار ظبطها

وفاجأت قورس بالثلاث * نتج القنا سم اذناها

فأرمت حتى رميت بيضها * البك أزمة ضرابها

وعزت عزاز فادلتها * بحجري مضيق لاسها

باشمخ من أنفها منكبا * وأكثر من عذ طورابها

دلفت ليعطا أم النجو * م في الامر ابطاء أترابها

وعذرا مذعرت ما اهدت * ظنون اليبالي لآخزها

تفرعتها بفروع الوشح * معة همام أوشابها

وعوج اذا انضت انضت * ذكاء لارسال نشابها

ومحدود بات تطير الخطوب * ملاقط ألسن خطاها

تصوب عقبان ريب المتون * متى زفتها باعضها

وما ركعت حول شم الهضا * ب الامجد دن لانصابها

قلانت بجمعهم بالكتا * ب وهوب الممالك سلاها

بغتصمى الذرى والهدى * هوس السرى غير هيلها

على المحل بوصف القو * ح و وصف الثبات وأربابها
وتعجز مذاخه أن يحيط بأدابه فلك آدابها
بدائع لورد دهر رمسين بنات حبيب باحلبها
وإن ابن أوس وآيته * من القلاء أودت بحلبها
من اللامع اعتيق لها * ورد عليها ابن خطلبها
فأياها من حبور تكا * ديطمها قرط اعجبها
لك الفضل إن راسلتك ليليا * د وقامت أدلة أنجبها
أقول لمؤجوه بالغرو * رقت هواها فأهوى بها
حذار فعد انقسام القيو * ثقتنى صواحق الهابها
ولا تتخذوا باقرار البو * ثغانسار في برد ألبها

(فصل) في صفه أسرجوسلين قال ابن الأثير ما نور الدين إلى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمالي حلب
من قبل باشر وعين تاب وعز لز وغيرهما من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فدارس لهم وراح لهم ولنو أنور الدين وكان
بينهم حرب شديدة فاجتلت عن انضمام المسلمين وظفر الفرنج وأخذ جوسلين سلاح داركان لنور الدين أسيرا وأخذ
مأمنه من السلاح فاتفقه إلى السلطان مسعود بن تلج أرسلان السلجوقي صاحب قونية واقصرا وغيرهما
من تلك الأعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وأرسل مع السلاح إليه يقول قد أخذت لك بسلاح صهرك وسيأتيك
بعد هذا غيره فعضمت الحادثة على نور الدين وأعمل الخيلة على جوسلين وعلم أن هو جمع العساكر الإسلامية بقصده
جمع جوسلين الفرنج وحلر وامتنع فاحضر نور الدين جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الاقطاع والاموال
أن هم ظفروا بجوسلين اما قسلا واما ارفا فاتفق أن جوسلين خرج في عسكره وأغار على طائفة من التركان فذهب
وسي فاستحسن من السبي امرأتهم خلا معيات شجرة فهاجله التركان فركب فرسه مليقا ظلمها فاختوه أسيرا
فصانعهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه واجابوه إلى ذلك بؤنة فوأمره عن نور الدين فإرسل جوسلين في احضار المال
فأتى بعض التركان الذي نائب نور الدين بحلب فاعله الحال فسير معه عسكر أخذوا جوسلين من التركان قهرا وكان
نور الدين حينئذ بجحس وكان أسرجوس من أعظم القنوح على المسلمين فانه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد
العداوة للمسلمين وكان هو شقته على الفرنج في فروهم لما يعلمون من شجاعتهم وجود قهرا به وشدة عداوته لله
الإسلامية وقسوة قلبه على أهلها وأصابت النصرانية كافتقارهم وعظمت المصيبة عليهم بفقد موخلت بلادهم من
حاميها وتقوهم من حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بعده وكان كثير القدر والمكر لا يقف على عين ولا يفي بعهده
طالما صالحه نور الدين وهادته فإذا من جانب بالعهود والوالتيق تكث وغدر فظلمه قدره وحاق به مكره ولا يحقق المكر
السبي الا باهله فلما أسر تبصر فرنج كثير من بلادهم وقلاعهم فهاجس عين تاب وعز لز وقرس والراوندان وحسن البارة
وقل خالو كفر لا نواو كفر سوب وحصن نصر فوبيجيل بنى عليهم ودلوك ومرعش وتمر الجوز وبرزج الرصاص خال وكان
نور الدين رجحه اذا فتح حصن المايرحل عنه حتى عملا رجلا لا وذاخر تكهيه عشر سنين خوفا من نصره بفتح الفرنج
على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة إلى شيء وقال الشعرا في هذه الحادثة فأكثرخوا منهم
القيصر إلى قال يمدح نور الدين بصله مدور عن دمشق واستقر لأمرها وذاكر قتل البرص وأسرجوسلين وأخذ بلاد

دعا ما دعى من غروالتى والامر * فالملك الا ما جاك به الامر
ومن ثنت الدنيا اليه عناتها * تصرف فيما شاء عن أدته الدهر
ومن راهن الاقدار في صهوة السلي * ظن ندرك الشعرى معده ولا الشعر
لذا الحمد أسمى دون غايته المسمى * فماذا عسى أن يباغ النظم والنثر
ولم لا بلى أسمى الممالك ملكها * زعيم يحش من طلائعه النصر
ليس بمعتقا أن كرسى ملكها * حي منك صدى راضا عن هه المصدر

وانك نور الدين مسذرت أرضها * سميت ملك حتى انحط عن نمرها النضر
خطبت فلم يجيبك عنها ولها * وخطب العلى بالسيف مادونه ستر
جلاها لك الاقبال حورية السن * عليها من الفردوس أودية خضر
خلوب أكنت من هوالك محبة * نمت فانتمت جهرا وسر المحوى جهر
فسفت اليها الامن والعدل بحلة * فامست ولاسر تخاف ولا امر
فان صاغت بمناك من بعد جبرها * فاحلى السلاقي ما قسمته هجر
وهل هي الاكالمصان تمنع * دلالات وان عز الحيا وغلا المهر
ولكن اذا ما قسمتها بصدانها * فليس له قدر وليس لها قدر
هي الثغر أمسى بالكراديس عابثا * وأصبح عن لب الفردوس يفت
على انها لو لم يجيبك امانة * لارحقها من بأسك الخوف والذعر
فاما وقت الخيل فانه الصدى * على بردا من فوقها الورق النضر
فن بعد ما أوردتها حومة الوشي * وأصدرتها والبعض من علق حجر
وجلاتها نعا أضاع شياتها * فلا شهيق ولا شفرها شفر
علا النهر لما كثر انصب القنا * مكاثرة في كل نحر لها نحر
وقد شرفت أجرافه بدم العدى * الى ان جرى العاصي وضغاضحه غر
صدعتهم صدع الزباجة لا يد * لجبا برها ما كل كسر له جبر
فلا يتخلل من بعدها الفخر دائل * فمن بارز الابرز كان له الفخر
ومن يز انطاكية من عليها * أطاعته الحياظ المثلة الخضر
أحواليت لولا غدره زعت به * الى الذئب لن الذئب شيته القدر
أقرا سره كضا وغودر شاره * وليس سوى عاقب النصوره قبر
وقد كان في استيقا تلك سنة * هي الفتك لولم تغضب البيض والحمر
كما أهدت الاقدار القمص اسره * وأسعد قرن من حواء لك الاسر
طنى وبقي عدوا على غلوائه * فابوقه الكفران عدواه والكفر
والقت بأيدى اليك حصونه * ولولم تجب طوعا لجاء بها القسر
وأمرت عزاز كاسمها بك عسرة * تشق على النسر لو انها الوكر
فسر وعلما الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجى الى دا السنه قمر
كافى بهذا العزم لافل حده * وأقصاء بالاقصى وقد قضى الامر
وقد أصبح البيت المنفردس طاهرا * وليس سوى جارى السماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضا * فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمراج النسي صوارم * مساجدها شفع وساجدها وتر
وان يتيم ساحل البحر مالكا * فلا يجب أن يك الساحل البصر
سلت سيوفا أدكلت كل بلدة * بصاحبها حتى تموتك البلد
اذا سار نور الدين في عزمانه * فقول لا ليل الا فلك قد طلع الفجر
ولو لم يمر في عسكر من جنوده * لكان له من نفسه عسكر جبر
ملك سميت شم المنابر باسمه * كما زهيت تباهيه الاتجم الزهر
فما كعبه مازال في عرصاتنا * مواسم حج لا يرفعها النضر
خلعت على الايام من حلال العلى * ملايس من اعلامها الحمد والشكر

كتاب (٧٤) الروضتين

وتوجت ثمر الشام منك جلالة * تمت لها بفداد لو أنها نثر
فلا تفخر مصر علينا بنبيلها * فيملك يسيل كل مصر بها مصر
رددت الجهاد الصعب سلاسله * وباطلنا أمي ومسلكه وعمر
وأطمعت في الافرنج من كان بأسه * تتخوف أن يعتاده منهم ففكر
وأقحمت جرد الخيل أعلى حصونها * ولولاك لم يهجم على كافر كفر
ومن يدعى في قتلك الشرك شركة * اذالم يكن عند القوافي له ذكر
هي القاتلات الحافظات فر وجهها * فشاهدا عدل وراقتها مصر
ولولم يكن في فضلها وكما لها * سوى انها من يعد عمر الفتى عمر

ولهم قصيدة يصف فيها من وقائعها أولها

أما وتخيال زار من أحبه * لقد هاج من ذكره ما لا أغبه
إذا ما صبا قلب المحب إلى الصبا * ذكرن تسيما بالشغور مبهه
فيا نجات الشام رقفا بهجة * يحايي عليهم مدنف القلب صبه
فلا تسألن الصب أين فؤاده * فان فؤاد المرء مع من يحبه
وفي شعب الاكوار من هو عالم * غداة استطار البرق من طاربه
يشع نور الميزن تهي كأنها * سنا بشر نور الدين نزل صبه
إذا ما سما في مهم الخطب وجهه * تمزق عن بدر الدجى حجب
تولد بين الفيت والبيت والتقى * منافسة أى الثلاثة تر به
بعد مضاء في الظبي لا وضربه * بها قلل الاعداء ما السيف ضربه
مكن الجلى أرضى الزمان بنفسه * الى الآن حتى لان وانقاد صبه
حي قيمة الاسلام بالخيال فاغندت * وأوتادها جرد الطعان وقبه
فكم هبة أو فعن بالكفر وتحتها * فما انقضت الاول والذل جنبه
ك يوم الرها الورهاء والهام بانع * ملئ برى الهند والخر خصبه
وشبهاء هاجتها ونغى صرخية * ثناها وليل الحرب ينقض شهيه
وعارم يوما بالعرمة فاغندت * كوادى عمودا زغا فيه سقبه
وعاصى على العاصى بارعن خاطب * دم الافك حتى أنكج النصل خطبه
بأنبى الكسب المال وانثنى * بصاحب انطاكية وهو كسبه
غداة هوى شطرين للسيف رأسه * والترح حتى توج الرأس قلبه
على حين للخطى فيه عوامل * يعاقبه خفض الحسام ونصيه
وقائس محمودية النصر لم تزل * غر بياها عن موطن السيف غربه
يقوم مقام الجيش فيها وعيده * وتفعل افعال الكائن كنيه
وحين اتضت عزمه من قرابه * مضى وهو نصل والمالك قربه
الى أن دعته بها كل بلدة * فليس من الامصار ما لا يربه
ولما يرى بالقص يحجب هوى به * على أمر رأس البقي والغدر عجب
فاصبح في الجليل ينكر خطوه * بعيد على الرطين في المعى قر به
تعاقبه البشرى بأخذ حصونه * قبا عاتيا ضرب البشرى ضربه
تساجى عزازيا اسمه تل باشر * فيلحنه لعن الصريح وسبه
فان يكن المعهود من تل عرشه * فهذا عمود الكفر قد طاح طنبه

في أخبار (٧٥) الدولتين

قتل ملوك الخاقين نصيحة * كذا عن طريق الليث برأى رطله
 وخلوا عن الافاق فالتحق شره * يحكم الدينيات والترب غربه
 ولا يعتمد بالدرب طاع على الفنا * فان القناني ثغرة التفرده
 رحيب فضاء الحلم عن ذات قدره * اذا ناق من صدر المخرج
 حق عن الجاني يكاد الذي جنى * يكثر به شوقا الى الفوذنيه
 اخذ الاخلاص لله جنة * ومن يعتمد بالله فاقه حسبه
 أبوك استرد الشام بالسيف عنوة * والروم بأس طالمنا غل خطبه
 اذا دب عن أسفاث دنيا ممالك * فانت الذي عن حوزة الدين فيه
 رأيت اتباع الحق خير عفة * فافرح عن رأى يسرك غبه
 وأوجعت ما بين الفريقين سنة * بها عرف المروبي من هوربه
 وبيت نور الدين ما كان يتقى * دليلا بأن الله من أنت خزبه

وقال ابن منبر يمدح نور الدين يظهر حسن

هيأت يصمم من أردت حصار * انى ومن أوهاك الاقدار
 طلعت عليك بموسلين ذريعة * لاصحل انشأها ولا امرار
 وسعاد ما زلت تمرى خلفها * فيشف وهو الناق للندار
 فازيد ما بيني الوقتى وفاؤه * وأرته كيف تحين القصار
 عود أمر على ابارك طلعه * فاحيل ذاك البر وهو يوار
 ما زلت تتم وهو يكفر عاتيا * واقه يهدم ما بيني الكفار
 حتى أتاه لقومه مجزه * ثمود من عقر الفصيل قدار
 اسرى فاصبح فى راثنا ما رما * لازال يدي نظره للاختار
 يب التلا من البلاد وما حوت * ان السحابة الجبار بحار
 يقطن يخشى الله فى خلواته * لامترف لاه ولا جبار
 نصب المراقب للعواقب ناظرا * فيها كذلك تريا الاربار
 لا كاذبين بقوا حسواتها * وتقلسوها يمد وهى خسار
 درجوا وأدرج فى ملفرقاتهم * اسوا تسه لذكرها الا نار
 والمر من يعزى فينشر طيه * ما أوذعته صدورها الا خيار
 قبل لاؤلى ناموا على ناماته * ما كل هبة يارب اعصار
 لا تأمنوا فى الله بطشة نثار * لله مصل سريره اسرار
 صاف اذا كدرا المعادن عادل * ان حاف حكام الملوك وجاروا
 أعلى أبوه العباد وشيدى * صهواتها بما ابتناه منار
 محمود المجد آثارا اذا * نظمت على جيد الدجى الامعار
 دانت له الايام صاغرة كما * دانت له فى ظله الامصار

وله من أخرى أولها (ما الملك الاما حوانه نجاده) يقول فيها

وتدين حسنه لمحكم آيه * والفضل ما شهدت به حساده
 تمنى اذا ما الحرب زرجيوها * حل المعتاد كره وطسراده
 الوى الدجى الشريرة جهده * وأذل ناصية الضلال جهاده
 صق البرنس وقد تلالا برقه * وطار سأكن جاشه ارعاده

كتاب (٧٦) الرضين

ولي وقد سلت فسات صفته * زير تلقى فودهن فزاده
 مستلما مستسما لاعدده * رد المناعنه ولا استعداده
 ولجوسلين احثين فاصبحت * نهى لمن بلاده وتلاذه
 جاءت به بعد النحاس عوايس * قوديلين لعنفه قباده
 وبه تصيدك السعد وقلبا * بغير بخير من أردت مصاده
 داني له قيناه أدهم كفا * غناه طار شمانه عواده
 سلبت عزاز عزاه وبقورس * محجوبة فرشت له اقتاده
 وبسل خالد يوم تل جبينها * خطا الثرى يجبينه اخسلاده
 وغدا يباشر تل باشر قلبه * باشر ما جل القلوب عداه
 منت أمانيه بشارك التي * عادت لمن مأثما أعياده
 وجبوت ملاك من نظم تقوره * حليا تنايه تحتها جياده
 لا يبعد عنك فاغا اصلاح من * يخشى انتشاط خناقه افساده
 أنزله حيث قضت له غدرانه * واحده طغيانه وعناده
 في حيث لا بأوى له سميانه * حثقا ويكشط جاده جلاده
 وثن هدمت بني الضلال يهدمه * وعدت عبادك عنوة عباده
 فتكته به آيات من الحمد * ولدينه ابداه وعواده
 أو انشط اللاد الحرام تواءمت * ثنى عليه تلاعه ووهاده
 ولوان منبره أطلق تكاما * نطقته باهر فضله اعواده
 نام الخليفة واستطال لاديه * عن ذتيه واستطهر رفاه
 رجعت لك العز القديم سيوفه * مازان رونق مائها انماه
 من بعد ما نطق الصليب الحزبه * ورأيت زرع الملك حان حصاده
 اني تميل الحاديات رواقه * بهيوها وابن العماد عاده

(فصل) قال ابن الاثير لما سار نور الدين الى قلاع جوسلين ملك بعضا وأبقى بعضا فاجتمعت الفرنج فالتقوا مع نور الدين بدلوك فهزمهم واستولى على دلوك وغيرها ففيرا بقول أحد بن منير قصيدة منها

هي الخيل خير عتاد الكرى * بهم يحضر لاهم احضارها
 لقت فأدبرت افواهها * وسرت فقلت أظفارها
 الام ولم تبقى مما غرو * ثقلوا تكابد اذ عارها
 أما في مفصل أي القدر * عن ان تضع الحرب أوزارها
 عسى ان تقم لهذا الجا * م أن يتوكر أو كارها
 وما يوم من غلته واحد * فتودعه اللسان أشعارها
 وأين المقاول مما فعلت * ولوشفع الفطراء كئارها
 فكما حطبت خلفك الجناخا * تفصل خفرك فخارها
 أعدت بعصرك هذا الابيق فتوح النبي واعصارها
 وكان مهاجرها تابعيك * وانصار رأيك انصارها
 فجعدت اسلام سلمانها * وعمر جملك عمارها
 وما يوم آتب الاكثيب * لكبل طال بالوبع اشبارها
 وأيامك العرم بعده * بعيد الى الطي اغرارها

في أخبار (٧٧) الدولتين

ولما هبت بصرى سمكت بأهباء خيلاك أنصارها
ويوم على الجون جون السرا * فعزز فسطحها عوارها
صلمت عززتها صدمة * أذابت مع الماء أحجارها
وفي قتل بأشربا رتهم * بزحف تصور أسوارها
وان دالكهم دلو ك فقد * شدت فصدت أخبارها
وشب التدمير حتى طلعت عليها فوئلك أدبارها
مشاهد مشهورة نجت * على صفحة الدهر أسوارها
يلد الا غاني ترجيعها * وتستسفر السفر أسفارها
بنيت فون فلما كعبه * بجبر المعلق أسنارها
ملكك الاراضي مغبره * تكاد تحث أخبارها
فما زلت تدجن حتى محو * تدبها وشعشت أنوارها
وصلت فأعززت مسكنها * وصلت فأثقلت جبارها
وصفت حلى من على أحكت * على عنق الدهر از رارها

قال أبو يعلى وفي رجب وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفر بهسك الاذ فرج النازلين بازائه قريمان تل باشر
وعظيم النكاية فيهم والتمك بهم وامتلائ الايدي من غنائهم وسبيهم واستولى على حصن خلد الذي كان مضائقه
ومنازلهم قال وفي أيام من الحرم وصل جماعة من حجاج العراق وخراسان المأخوذ في طريق الحج عندهم
بجماعة من كفار العربان وحكوا مصيبة ما نزل مثلها بأحد في السنين الخالية ولا يكون أشنع منها وذكر أنه كان في هذا
الحاج من وجوه خراسان وأعيانها وفقهاؤها وعلمائها وقضاةا وخواتين أمه العساكر السلطانية والحرم العدد الكثير
والاموال الجمة والامتنع الوافرة فأخذ جميع ذلك وقتل الاكثر وسلم الاقل وهتك النساء وسلبن وهلك من هلك
بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة فكسا العاري منهم وأطلق لهم ما استعانوا به على عودهم الى اوطانهم
من أسياب المروعة بدمشق ذلك تقدير العزيز العليم

فصل قال وكان مجاهد الدين بن زان قد توجه الى حصنه صرخد ليقتل احواله فعرضت نفريين بجبر الدين
والرئيس بسعيات أصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل ونهك ذلك
بوساطته على شرط إبعاد الحاجب يوسف صاحب مجبر الدين عن البلد مع أصحابه وتوجيهوا ولم يتعرضوا لشيء من
أموالهم وقصد بعلبك فأكرمهم واليها قال ووردت الاخبار من مصر بالخلف المستقرين وزيرها ابن مصال وبين الامير
المظفر ابن السلار ووقع الحرب وسفك الدماء الى ان أسفرت الحال عن قتل ابن مصال الوزير واتصبا ابن
السلار موضعه في الوزارة قال وفيها في سابع عشر رجب توفي القاضي بها الدين عبد الملك ابن الفقيه عبد الوهاب
الحنبلي وكان اماما فاضلا منظر مستقلا مفتيا على مذهب الامامين أجلوبا في حنيفة يحكم كما كان عليه عند اقامته
بخراسان لطلب العلم والتقدم وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي وهو حسن الحديث في الجدل والهلل وكان له يوم
مشهود دفن في جوار أبيه رجه في مقابر الشهداء قال وتوفي عقيب وفاته الشريفة القاضي النقيب فخر الدولة
أبو الحسين بن أبي الجن ونفع الناس بخيرته وشرف بيته

(ودخلت سنة ست وأربعين) ففيها حاد من رز الدين دمشق لما حشد أهلها الفرنج واستنصارهم بهم ومدحه ابن منير
بقصيدة يحرضه فيها عليهم وكتبها اليه من جاء وهو محاصر دمشق وقد تخاف عن الخدمة لرض عرض له منها

اخليفة الله الذي ضمنته * تصديق واصفه سرا المنبر
لا المستطيل بمصر ظل قصوره * والمستطال البه مشقة مصر
يانور دين الله وابن عماده * والكور بن الكور بن الكور
صفر بجند السيف دارا شائب * عقالوا جبال عن تان الاصفر

هم شيدوا صرح النفاق وأوقدوا * ناراً تحش بهم غدا في المحشر
 اذكروا يخلق حرها واستسمرت * لثماها بين الصفا والمشر
 شردتهم من خلفهم مستجدا * ما ظاهرا الكفار من لم يكفر
 لا تفرب من سق الهدى نفس الذي أدرع الضلال على اغرهم * فقلدتهم في الخداع الخيري
 قلده ما هدى على * لمرحب * فقلدتهم في الخداع الخيري
 ما القش بمن أمه نصرانية * لم تحش كالقش من منتصر
 اذ كنت لنا هذى العزائم لا خبت * ما غار من سنن الملوك العبر
 انتقاب اراء المغز وتخلق را * مات العزير وبقطة المستنصر
 شعر قد صمدت اليك رفاها * لا يدرك الغايات غير مشعر
 أولست من ملا البسيطة عدله * واجتب بالمعروف أنف المنكر
 حلب الاب البر الكبير ورأفة الا * دم الحفية بالينيم الاصغر
 باهضة الاسلام من عصمها * يؤمن ومن يتول عنها يكفر
 كانوا على صلب الصليب سادقا * انبت بينه بكل مذكر
 آثارهم انجس اذال المنجدا * لقصي فغن ما دنسوه وطهر
 جارا الخليل ومن بقة هاشم * بلها ملك المتدمشق المنصر
 بعمرهم صلت وعأوه عرى * اسماع جحون وسيف البربر
 يفتر عن ملك الملوك مغل الا * لا نوا على سعد السعد الا كبر
 عن طاعن الفرسان غير مكذب * ومتم الاحسان غير مكذب
 بدر الجافل والمخافل فارس الآ * ساد في غاب الوشج الاسمر
 ملك قساوى الناس في أوصافه * عذرا لقتل وبان عجز المكتر
 يأبها الملك المنادى جوده * في سائر الآفاق هل من معسر
 ان القصائد أصبحت أبكارها * في ظل ملكك غاليات الامهر
 ان كنت أحييت ابن جدان لها * فانا الذي غبرت في وجه السرى
 ولانت أكرم من أناس نوهوا * باسم ابن اوس واستخصوا الجحترى
 ذلت دولتك الرقاب ولا تزل * ان تغر تغصم أو تغتال تغفر

وكتب اليه من حماء أيضا وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها يقول

ابوك اب لو كان للناس كاهم * اباورضوا وطء النجوم لقتدوا
 ومات حتى شد ثمة ملكه * بك الله ترمى مارماه فتصرد
 صدمت ابن ذى اللغدين فاحل عقده * وكالسك قد امسى محل ويعده
 يقرب خلف الجحف عينا سحينة * ويسكي بأخرى ذات شتر ويسد
 ولا غرو قد أتى أبوه وجده * له كل يوم ثوب عجز يجرد
 فيارا كما اما عرضت قبلن * بيوتا على جبرون بالذل تعد
 وقل لمبيد الدين وهو مجيره * برغم له وجه الحقيقة أزد
 حلت الصليب باغيا وبسنته * وشترك مطووس الثبات وأرد
 وماربت حزب الله والله ناصر * لناصره ودين احمد احمد
 تنصرت حينما والبلاء موكل * ولا بد من يوم به تتمود
 وأقسم ماذا اليهود بابليا * وموضعها من تختنصر أسود

في اخبار (٧٩) الدولتين

كبحض الذي جرّعه فصرطته * وأيد فيه من عمالك المؤيد
ولا يشه عزل اليك موجه * وتضيغه قتل عليك مؤيد
رماك بياقلا دمشق فلم تكن * سوى بقلة حقاها بالحق تصد
وجالفت جلادا وأنت مؤث * تذكرت والجلاد أدهى وأجلد
تطاولت لأنفس تسمى ولا أب * وراءك زحفا إنما أنت مقعد
امسحوا نور الدين تبني ودوننا * لسنة تبر والعوامل تصعد
بعمود المحمود سيفا وساهدا * حلت لقلنا جثك صما مؤيد
وهل يستوى سارتأس طاويا * ونشوان يسلم معصا ويزيد
تمصرت أمانا بل تمصت والدا * وعماضرق الكفر فيك مرّد
تختل بني الصوفي اسرا واسر * يصلحوا ما في يديك فأفسدوا
لعري لمنم العبد أنت تجميعه * موالى وتوليه هوانا فيحمد
اليكم بني العلات عن منشاس * له الشام من فاء والعراق مرقد
وامصر الابيض امصاره التي * الى أمره تسقى خاء وتصفد
انثبوا للبه فهو أرحم قادر * له الصفع دين واقبارا التصع ترشدوا
ولا ترشفوا نفس المؤيدانه * عن الخبر يرى أوالى المين يستند
وفروا الى مولاكم والذي له * عليكم أيا د وسهاليس يحمّد
ولا تصكفوه إنما أنتم له * ومنه ويوم عند حوران يشهد
غداة على الجولان جويل وظلي * رعد دفر يص الموت منهن برعد
ولما كفهز اليوم واربتوجهه * وعوز مرهون وفتر ضريد
وأيقن من يبر السدير ويسم * بان الجرار السود بالجور تجرد
ردتهم على بصري صرخ خذ خيله * وقد أبصرت بصري رداها وصرخند
وطاروا تهمز المرهفات طلاهم * كما انصاع من اسد تعام مشرد
وليله ألقي الشرك بالبرج بركه * ومازج نيران الوغى تنوقد
رمى وأخوه مقرب الشمس دونكم * بشرة فاعضبان يعدو ويستد
تهدور دماء الارط مغدة * أنارت بشور اغلة ليس تبرد
أبا سيف شامتة بدمالكا صارما * فيهمد اذ بصري وبصري فيهمد
دمشق دمشق أعما القدس سرحت * ومركها صرح عليها حمرد
جوهالكى بجوا وقد باغ المدى * بهم أجل حتم وعمر محدد
متى انار اطار الفخ صادما * يرفرف في أرجائها وضرود

وله من قصيدة أخرى

تذكرك بالقطنتين قد ضمنت * روتها بصري ومقراها
أطلع لها الشمس من جبينك لم * ترجسوا لها في النوم جفناها
فالتيل صور الى تساهم سمي * هلاطلى في بيت لهاها
دولة من هانت البلاد له * وعمهاتله فأغناها
لا بسواها يليق بهجتها * ولا سواه تبني رعاياها

قال أبو يعلى وفي عاشر المحرم نزلت أوائل عسكر نور الدين على أرض عذرمان عمل دمشق وما والاها وفي التقصد
فريقا فرس منهم ناحية السهم والتيرب وكوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليهم أسرع النذر اليهم فخرهم

وقد ظهر الكمين فظهروا الى البلد وفي القدر نزل نور الدين يصعد على عيون فامر باين عذرا ودومة واعتدوا الى تلك الجهات حتى لو امكن الغنى لراضى حجير او روى على الخلق الكثير والجم الغفير وانسبست ايدى المفسدين من العسكر المشقى والاباش من اهل العيث والفساد فزروع الناس فصدوها وفي النجار فافنوها بالمانع ولا دافع وتحرك السعور وانقضت السابطة ووقع التاهب العصار ووافترسل نور الدين الى ولافة البلد يقول انما أوترا الاصلاح امر المسلمين وجهاد المشركين وخلاص من في ايديهم من الاسارى فان ظهر عصى في عسكر دمشق وتعاذنا على الجهاد فذلك المراد فبعد الجواب اليه بما يرشاه قتل في ارض معجيد القدم وما والا من الشرق والغرب وبلغ منتهى الخيم الى المسجد الجديد قبلى البلدة قلت هو الذى يسمى في زماننا بغيره المعجدين معجيد القدم ومعجيد فلوس قال وهذا منزل منزله احد من مقدى العساكر فيما سلف من السنين واهل الزحف الى البلدا شفا قامن قتل النفوس ووصلت الاخبار بالحناء والفرنج واجتماعهم لانجاد اهل دمشق فضاقت صدور اهل الصلاح وزاد انكارهم لعل هذه الاحوال المتكررة والمساومات في كل يوم متصلة من غير من احضروا ولا عارية فلزل ذلك الى ثالث عشر صفر فرحل العسكر النورى من هذه القرية ونزل في اراضى قلا وبو حقلتين والحسين المصاغة للبلد وما عرف في قديم الزمان من اقدم على انتمى ثم رحل في العشرين من صفر الى ناحية دار البياض الا ان جافى بقرب عساكر الافرنج من البلدة فتوهمهم على قتالهم وصار العسكر النورى في عدد لا يحصى وفي كل يوم يزداد جبايتا واصل من المعينات وطوائف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا يأذن لاحد من عسكره فى التصرع والظهور ولا يهودون الا عشرين مغلوبين واقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الافرنج وعزمهم على قصده واتخذى رأيه الرحيل الى جهة الزباني استقرار الحمد وافرقتهم عسكره فربقا بانهزأ ربعين الف فارس مع جماعة من القسسين ليكونوا في اعمال حوران مع العرب لقصدهم الافرنج وقلتهم وترقبوا لوصولهم وخروج العسكر المسمى اليهم واجتماعهم بهم ثم قطع عليهم واتفق ان عسكر الافرنج رحل فغير حيله الى الاعوج ونزل به في ثالث ربيع الاول ودخل منهم خلق كثيرا الى البلدة لقتله حواشيهم وخرج حجير الدين ومؤيد الدين في خواصهما وجماعة وافرقتهم من الرعية واجتمعوا بهم لقتلهم وخواصه وما اصدافا عند دمشق انما عصى في النفوس من كثر قولا وقوتهم فزعمهم النزل بالعسكرين على حصن بصري لملكه واستغلال اعماله ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ولم يبق اخرج العسكر المسمى اليهم لجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النورى ومن اتضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الافرنج للايقاع بهم والتكاية فيهم والتجاسع عسكر الافرنج الى بناء حوران للاعتصام بهم وفي الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجرم من البقاع عاذا الى دمشق وطالب لقصدهم الافرنج والعسكر المسمى وكان الافرنج حين اجتماع العسكر المسمى قد قصدوا بصري لمنايقتها وعما ريتها فلهذا انما ذلك لهم وظهر اليهم سر خاك واليهامى رجاله وعادوا عنها خاسرين وانكفأ عسكر الافرنج الى اعمالهم واسلموا حجير الدين ومؤيد الدين يتسبون بلى القطيعة المبذولة لهم على رحيل نور الدين من دمشق وقالوا لوالهم نذهب مع رحل عنكم قال ابو مسلم وفي هذا لا يلهم ورد الخبر بوصول الاسطول المسمى الى تنورا الساحل في غاية من القوة وكثر من العدة فذكر ان عذمترا اكه سبعين مركا حورية منهضة تبار الرجال ولم يخرج منه في الستين الحالية وقد اتفق عليه فيما حكى وقرب ثلثمائة الف دينار وقرب من ثلثا من شعور الافرنج فقتلوا وأسروا واخرقوا ما غفر ولية واستولوا على عذرة وافرقتهم مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا شمر عكا فحاربوا معه مثل ذلك وحصل في ايديهم هذه وافرقتهم الى اكب البحرية الفريجية وتسلوا من هاجبهم وغيرهم خطة اعطيتهم وقصدوا قمر صيدا ويربوت وطرابلس وفعلوا في ذلك مثل ذلك ووعد نور الدين بحسيرة الى ناحية الاسطول المذكور لاعتاقه على تدعيم الفريجية فاتفقوا اشتغالهم بدمشق وهدم عليهم لمنايقتها وحشد نفسه بملكها لعله يضعف ليعمل الاجناد والربة اليه وشارتهم لولا يتعمدها لولا ذكر ان نور الدين امر بعض عسكره بفتح كمال ثلاثين ألفا مقاتلة ثم رحل ونزل بالهجمة من عمل البقاع ثم نزل بأرض كوكبا فخرى دخلوا بانه نزل بأرض داريا الى جسر الحشب ونزى في البلدة فخرج الاجناد والاحداث اليه فظهر منهم الى اليسير من كان يخرج أولا ثم تقدمهم نزل للقطيعة وما والاهاون لمنايقتها من قرب من البلد وفتت لثاؤشيين الفريجين من غير زحف

في اخبار (٨١) الدولتين

زحف ولا شئ في محاربة قهر حامي قتل المسلمين وقال لا حاجة لي قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضا وانا اوفرهم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين قال وورد الخبر اني نور الدين بتسلم نائبه الامير حسن المنجي مدينة تل بشار بالامان في الخامس والعشرين من ربيع الاول وورد مع البشير جماعة ممن اعيان تل بشار تقرر الاحوال وتردبت المراسلات في عقد الصلح مع أهل دمشق على شروط واقترحات وترد فيها التقيمه برهان الدين على البلخي والامير أسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين أيوب وتقارب الامر في ذلك اني ان استقر الحال على قبول الشروط المقترحة وقعت الايمان من الجهتين على ذلك والرضى به في عاشر ربيع الآخر ثم دخل نور الدين من الغد الطابا ناحية بصرى للزول عليها واتمس من دمشق ما ندعو اليه الحاجة من آلات الحرب لان واليهاء رهاك كان قد شاع عصبانه وخلافه ومال الى الافرنج فاعتضد بهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانتهى اليه فريقا وافر من عسكره ثلث ولابن منير في نور الدين بذكر وقعه الجولان وغيره اقصيدة أولها

ما برقت يصفك في نعامها * الا وغيث الدين لا يبقاها
محمود المحمود جلد وجدنا * اراخص جلد الارض حكم عامها
ملك ازال الروم عن صلبانها * دفاعه وكب من اصنامها
جال على الجولان امس حولة * صفرت الاذنى من نعامها
والجسون قد جرعها اجونه * وفل مشهودا من اعتزامها
وشد في القذله مليكها * فودعتود القوط في شبامها
وفي الزها صابت له سحابة * صار واجفاه خف في التظامها
وهب في هبابه عواصف * تجهتها الحف من جهامها
وكفر لا الاث في جبينها * لم تلي ايت على اشامها
وقايع برقص تحت وقعها * نظم اثر ياقى فضا مصامها
فساعة البيض اذا عدها * سوط عذاب صب في ايامها
واجب لعصب الشراك لاني * لم يعصب الرشده على احلامها
حكمة استواؤها في غيبها * في قبض ما حصد من ابرامها
مذفر الرايات والراى اذا ال * حرب مشيت تعثر في خطامها
عادت بهخذ العلاء هم * هن النجوم أو نواصي هامها
جلت له الدنيا على زبرجها * عقواف لم يلو على خطامها
رأته وهو الثالث يدى ظفره * اتفه في المشكل من حكاهما
فتوجه العز في مرتبة * غمطق الجوزاء في نظامها
غضبان لا سلام لا يقيمناه * نسلهم القمير من اسلامها
خط على مثل ابطاعتها ال * دناق واستقر في اغتنامها
تصرف الدنيا على اشارة * عراقها مسترد فاشامها
لولا يكن دون منى فأت التي * واتعد الفائر من قوامها
وامنك فيما كبروا ضاع * يقصر باع الدهر عن فظامها
وصار كالبحر الجبار وخلا * من أهله الاشراف من مقامها
ودونها لازلت ترق في سحي * من مؤلم الازداء اولمها
تلبس من الله وشي بمس * بقر آياتك من اعلامها
فانما الدين رضى قطبتها * وبازل مكنت من زمامها
لمتبا الا مال منك كعبة * سلم اليها اية استلامها

بجذلنا صاحب الجدل الحزون * واطلع بفره الفتح المبين
 وفي كنفك سولت الالبالي * وفارق طبعه الزمن الخؤون
 ومنك تعلم القطع المواضي * وقد زفت به الحرب الزبون
 وأنت السيف لم تمسه نار * ولا شحذت مضاربه القميون
 ترقرق فوق صفحته الاماني * ويقطر من غراره المنون
 وقبلك ما سمعت بذى فقار * يثير الفقر كان ولا يكون
 ولا غيث سهاوته سرير * ولا ليل وسادته عرين
 ولا خسر له الهجاء هال * ولا ناج له الدنيا جبين
 جبلت ندى وعفا وانتقاما * وماء كل مجبول وطين
 وملكت عمر الاقطار قطرا * فأمرعت الاواعث والحزون
 تلا لأخته سرر الالبالي * اذ الايام عند سواك جون
 وأنت أقت للبدوى مناوا * يبين لسانه ولا يبين
 وعندك مشرب النعي زلال * اذا عبقث مشاربها الاجون
 تحكم في عطائك كل عاط * وقشيدت من المنع الحصون
 لقد أشعرت دين الله عزا * تبيه له المشاعر والجون
 وقام بنصره والناس فوضى * قوى منك في الجلى أمين
 رجعت ملوكهم وهم خيوف * أسير في صفادك أو كنون
 فبرزت البرنس لفاع خف * وجزع مر جوسك جوسلين
 اذا ما الفعل علّ تلاه حذف * يتاح له سباه أو سكون
 غنوا حتى غزوتهم فغنى الصدى في أرضهم حف القطمين
 وكم عبرا الصليب بهم صليا * فردته فضاك وفيه لين
 وما خطرت بدار الشرك الا * هوى الناقوس وارتفع الاذن
 ملأت عظام ساحهم عظاما * فكل ملا لقولك به جرين
 وبينهم القنا تجرى نجيعا * كان عيون أكعبها عيون
 وبين حرا صرخد ذبن حزا * له في كل حجة كمين
 وفين من العرعة في عرلم * له في جوبها الاقصى وجون
 وكم حرم لحارم غادرته * ودارته لمنسفها درين
 وفي شعراء قورس صغن شعرا * تدار على غراره البجون
 وقائع صرن في صنعاء طيرا * يوتعا على عدن عدون
 نماك أب اذا عد انتسابا * تراق مصعدا والناس دون
 شما لا كان املاك البرايا * وقد قسوا به وهو الجين
 فصار قضاؤه في الارض حتما * فطاعة أهلها البني مدين
 لهذا اليوم تنتخب القواقي * ويذخر نفسه الدرا مصون
 ونحن أحق منك بأن نهني * اذا قررت برؤيتك العيون
 سلمت لنا فانا كل صعب * نواز به بأن تبقي بهون

بأنيس من الفرنج استنقذوا ما أخذوه فعاد التركان عليهم فكمروهم واتصل ذلك بصاحب دمشق فأغضبه فعل التركان لكان الهدنة المنعقدة بينهما وبين الفرنج فأنفذ عسكر إلى التركان استعلا منهم ما أخذوه واتصل خبر التركان بالفرنج فبشوا وخرجوا في جيش عظيم وشنوا الغارة على البقاع والناس غافلون فامتلات أيديهم من الغنائم والاسارى واتصل خبر غارة الفرنج بنجم الدين أيوب وهو في بعلبك وعنده جماعة من عسكر دمشق وأصحابه فقدم عليهم والده شمس الدولة فخرج وأوقع بالفرنج واتفق أنه كان قد أصاب بالفرنج فبلغ عظيم فهلك أكثرهم وجاء شمس الدولة وهم متوزطون فقتل فيهم مقتلة عظيمة وخلص من كان عند الفرنج من الاسارى قال وفي هذه السنة فارق صلاح الدين والده وصار إلى خدمة عمه أسد الدين بحلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه اقطاعا حسنا قال أبو يعلى وفي ثلث شوال وهو الثاني من شباط واقتبيل الظاهر زلزلة اهترت لها الارض ثلاث هزات هائلة وتحركت الدور والحدران ثم سكنت قلت وفي هذه السنة في شرة جمادى الاولى كتب أحد من منبر من حماة إلى نور الدين قصيدة يهنئه بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفة على يد الشيخ شرف الدين بن أبي عسرون ويصف الفرس الاصفر الاسود القوائم والمعارف والسيف العربي أولها

لعل تلك التأييد والتأميل * وللكاك التأييد والتكميل
أبداتهم وتقتنى قتالها * عز الورى ادراكه وتنبيل
اما كتاب يستقل به الككا * ثب أو رسول النجاح رسيل
لكمن أبى سعد رعيم سعادة * قن تفاعل فيك ليس يقيل
نعم الحسام جلوته وبلاوته * برضيك حين يصل ثم يصول
سهم تعوذ في الكانة عودة * ويقصر المطلوب وهو طويل
سددته غضى وقرطس صادرا * كالنجم لا وهل ولا تليل
فتبا القلوب الى ولائك حول * منه بما يجنى رضاك كليل
وأقام ينشر في العراق ودجلة * آيا تأولها مصر النميل
وكسالك من رأى الخليفة جبة * لا النقص يوهيها ولا التليل
كنت الشريف أفضت في نشره * ماء عايه من سنالك دليل
الموسى لما طلع مقرطقا * طمشت حصان واستخف أيل
أم عن سليمان يفرح ثنا حكا * يحف الرواق وضعف الكبول
وملك في المرح أم ملك ساطت * لهبائه عقل وتاه عقول
وبرزت في لبس الخلافة كالهلال جلام في ظل الدجى التمايل
خلع خلعت على القارب مسرة * سد كاتها التعتيم والتجيبيل
نثرت نضارا جامدا أعلامها * وتكاد تجرى رقة وتسيل
لقضى لها ان لا عدل لغيرها * رب براك فلا تلاك عدل
أنت المهند من سلته العلى * لم يجل من مهج عليه تسيل
مذهرفاؤه الامام تألفت * غر رشدخن الملكة وجول
واليت دولته قمت بدولة * مة كل بصعيدها الا كليل
ونصرته خلاك أبيض دونه * صرف الزمان اذا استكمل كليل
تلدته وكلا كامله لدم * غضب قران المتمد المسول
وحبا ركابك حين قر زحفه القرآن واستخدى له الانجيل
ياقرب أصف مشرف المادى له التسميعيل لون والجلال فيميل
قسم الدجى بين القدار والشوى * واعنام روثه الاصيل أصيل

في أخبار (٨٥) الدوئين

وتقسام الزاود متحسكاته * حيزوم مصرف عطف جبريل
تحتال في حبك الحلي مخيلا * ان الشوايح للبدور خيول
من خا الذوائب كالعروس برينه * طرف باطراف الرماح كحيل
تصاعق النعران تحت لبانه * ان شبت زفر واستحب صهيل
لم يحب مثلك مثله مهدولم * يشلل على برق سواه مثليل

وأشده في هذه السنة أيضا بحض قصيدة منها

الدهر أنت ودارك الدنيا ومن * في العذب عدم مؤمل معدود
وأزمنة الاقدار طوع بديل * لا يام جندك والاثام عبيد
فت الوري وعقدت ناصية المدى * بدمر الشمرى فأين تريد
تال أباك فقل سليمان يرى * في الدست مهدي ملكه داود
جلي وسدت مصليا لرفع الـ * معدوم مالم يشفع الموجود
لم يخترم جندك ولا أب * ان التباهة في الخليف خلود
شمنت حنارك في اليفاع وأتمها * من لم يسد فارتبه كيف يسود
وهيب للسلام وهو مصوح * فاهتز اعصاب ورق نجود
وقأت جرة صالمه بصيلم * نصع الاجنة يومها المشهود
خطمتهم فوق الخطين لوافح * نفس الارين لو أرهق برود
ورمواعلى الجولان منك يجولة * توثيدها نسر الضلال وثيد
ولحاعظا مهم بعرقه عارق * مازلت تحض جتوه فيجود
وشلت بالروح السروج وفوقها * نزع لمحصده الرماح حصيد
وعلى عزاز عنواوئل عروشم * ملك مقيد من عصاه مقيد
وبتل باشر باشر وكف عافسوا * أحب الاساود حشوهن أسود
أودوا كما أودى بصادعها * وعقوا كما استغوى الفصيل غود
ان المواقف افا نك صالح * أوأوا غندرا فانك هود
وزعتهم فبكل مهبط تلعة * خدبه من وازع أخذود
وعصبتهم بعصائب ملء الملا * شتى وان خل البسالة عود
أثارها مجودة واثارها * مشهودة وشعارها محمود
لبست من اسمك في الكريمة ملبسا * يلي جليل الدهر وهو جليل
وقصيرة الآجال طول باعها * بوع دسامي هامها وقلود
مظرورة الاسلاب منذرعتها * ناه الهدى وتختار التوحيد
أشرعتها على شريعة أحمد * مما جنته بوارق وعقود
ولكم نثر نظمها في موقف * تعريد صالى حراء التفريد
يجلو سنالك ظلامه ويحل ما * عقدت قناه لوارك المعقود
في هبوط زحم السمائم وادها * والارض ترجف تحتها وعيد
ضربت مخيمها فكان كياتها * أو تاده القصورى وأنت عود
في كل يوم من فتوحك صادق * هزج الغناء وطائر غريد
تهدي لعانة كاسه فرغانه * وتسيغ زبد قماشه زبيد
ففراسيفك ملاحيش محبس * ومشارقك للمعيد صعيد

كتاب (٨٦) الروضتين

لاتعدن هذا المقلد أمة * ملق اليه رعب الاقليد
الورد غرو المسارح رجة * والرفد مذ والضلال مدبد
والعيش أليج مشرق القسمات وال * شجار غرو الاصائل غيد
والملك معدود الرواق منثور ال * فاق وضاء المنى محسود
في دولة مذ هب نشر يريها * نشر الزفات وأثر الجلود
محمودة الا نار مجرى ودية * كل المواسم عندها تعيد

وقال يهنيه ليلة الميلاد ويصف النازلين في الجبل من قلعة حلب بقصيدة منها

هنيئ روزى ذراك صومك والميلاد جاء والسعد في نسق
فذاك انحلت فيه كل يد * وذاك انحلت فيه كل نقي
وجه كصدر الحسام تصبوه العين وينقد القلب من فرق
ومقلدة شوقها ليقتتها * شوق لحسادها الى الارق
ومرتقى نجيب السماء له * اذا استطالت اليه كيف رقى
توجهت شباؤها بمشرفة * مشرفة شهبها على الافق
جوتهادى منه كواكبه * طرفه طرف رجوم مسترق
فوارس تذهل القوارس ان * تهاقت من ارشاقها الرشق
من راصض في الهواء أهوى * ومن الفتح مجر من تحتها لبق
شاد من الخصر لو تحاوله الخضر زلت عن موطن زلق
يقول من ديه الفروس فما * لاقك الا ضرب من الاتق
بدائع تقبض السماء بها الار * ض ويدي الاشفاق في الشفق
في دولة جعت ايايتها * من بند الحسن كل مقترق
تذر أطواقها على ملك * مكتفل ذرق كل مرتق
محمود اسماء ومنسما وندي * واعتصب الدم كل مرتقق
طبق طوقانه فلسن ترى * الا مغنيما شرف على غرق
باجر لا خلق تدعى شهبها * فات المدى ما حوت من خلق
ملكك هذا الذي تملأه * صباه يجرى والدر في طلق

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة) قال أبو يعلى وورد الخبر في المحرم ينزل نور الدين على حصن انطرموس في عسكر موافق حاحله وقتل من كان فيه من الافرنج وطلب الباقين الا امان على النفوس فأجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفظة وعاد عنه وملك عدة من الحصون بالسبي والسيوف والاثواب والاحراق والامان قال وورد أيضا ظفر رجال الحفظة وعسكران بالافرنج المجاورين لهم بغزة بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهمز الباقون ظلت وقرأت في ديوان بن منير مدح نور الدين ويهنيه بفتح انطرموس ويحور وعوده عنهم فاذا كرتصيده منها

ابدا يباشر وجه غزوك ضاحكا * وتؤب منه مؤيدا منصورا
تدني لك الامل البعد سواهم * محقت اهلتها وكن بدورا
مثل السهام لو اتيت ذو اريع * في الحقو مطلبها للكن طمورا
نبئت علاقتها بحصن واعلقت * سحر بمرق عرقه الاظفورا
وعدون صافئاه لاحشواها * قد اتلعت عنقا البلك مشيرا
القلب أنت فان تعامى عن هدى * عضواها بيه قعدا بصيرا
عرفوا مكانك والظهير بينهم * يفرى يياض أديمها الديجورا

في أخبار (٨٧) الدولتين

أين الذبال من العزلة أشرقت * وجهها وطيقت السمطة نورا
 غضبان أقسم لا يشبع حسامه * والارض تجل في الكفور كفورا
 غسل العواصم امس من ادرانهم * واليوم رقبه السواحل بورا
 لم يبق بين الجبلتين وأسد * وزرا المضطغن ولا مورتورا
 انخلى ديارا اشرك من اوثانها * حتى غدا ثالوثهن نكيرا
 رفع القصور على نضائدهامهم * من بعدما جعل القصور قبورا
 يشواحب الالياط نقطوفي الظلا * مقطاوتهم وفي الصباح نشورا
 غادرت انظر سوس كالطرس انمعى * رسما وجرر دعها يمحورا
 وهي الزناد لفتنة كانت على الـ * لسلام احكم كسرها اكسيرا
 همت طربا بسا فاصبح ثغرها الـ بسام من عز الشغور ثغيرا
 اقلبدها كانت وقد انطيته * واسأل به ممن دهته خبيرا
 ان الاولى امنوا وقاعك بعدها * غزوا وقد ركبا الاغتر غزورا
 الق العاصفين أطاع ومن عمى * منهم ودمر أرضهم تدميرا
 لا يلههم ان قد مننت، وشنها * شعواء تصلى الكافرين سعيرا
 باكر بر كزنا تسف اسها * والخييل صوركي تزرل صورا
 وزريك لامعة التريك بساحة * لقصى مطهرة لها تطهيرا
 اولست من قوم اذا هزوا القنا * قتلوا معاصمهم لها تسورا
 واذا هم خطبوا البراع غريرة * ساقوا الشفار على المهاره رورا
 التي قسيماهم اليك ازمة الـ * حلك المظل على السهات أثيرا
 ضحكك لا ياموا كأب العدا * قلقا جفت مبشرا ونذيرا
 لملك الاملاك محمود الذي * تغذ الكاب مظاهرا ووزيرا
 تمشى وراء حدوده احكامه * تأتمهن فيحكم التقديرا
 يقظان ينشر عدله في دولة * جاءنا طوى السماع تشورا
 خلف الخلائق قائما عنهم بما * عيوبه الوى الذ غيورا
 البر والمعصوم والمهدى والمأمون والسفاح والمنصورا
 بشروا به فعهدهم وعهادهم * عمن تحت لوائه منشورا

وأشد يحلب في هذه الامة قصيدة أولها

المجد ما أدبرت ثراكه ضبابه * وثقتك شعوبه وشعابه
 ملك تكف دين أحد كنهه * فأضاء نوره وصاب شهابه
 فالعدل حيث تصرف احكامه * والا من حيث تصرف اسرابه
 متهلل والموت في نبراته * يرجو يرب خوضه وعقابه
 عقد اللوا وسار يقدمه وما * حلت عقود نعيمها الزابه
 اسد فرائسه القوارس والظبي * انظفاره والسمهرية غايه
 طبع الحديد فكان منه جنانه * وسفانه واهابه وثيابه
 ونهش ان كتب الوجوه كانما * اعدا ومقت الوغي احبابه
 نشرته بمحمود شريعة أحمد * وأرى الصهاية ما احتداه محابه

كتاب (٨٨) الروضتين

ما غاب اصلع هاشم فيها ولا * فاروق به يخطبه خطابه
 ابناء قبيلة قائمون بنصره * ان اجلبت من قاسط احرابه
 صبحوا بحلقه البرنس بحالق * حرس العباب من القلوب ضبابه
 ما زال يغلب من بغاه ضلله * حتى انبع من الهدى غلابه
 ملق بوحش الاصر من زيلت * آراؤه وترايلت آلا به
 دون الارنط مضت به فجداته * ونجاده وقراه وقراه
 سلبته درة تاجه يد ضيع * لم تجبه من بأسه اسلابه
 واتته تحلب جوسلين جنائب * هبت قتل الى القتال هبابه
 اسرته لا منعت سراه وغره * بالقناع ان رام الورود سراه
 لا تل باشره ولا كسونه * صدت من عنده ولا عتابه
 ضمنت شفاوته سعادة صافح * غطى على اعناته اعتابه
 ما زال يغدر ثم يغدر قادرا * حتى اناه بجراح اصحابه
 قصر الاماني ان يعلأ عصره * دسلام مضر وباعليه حجابه
 مجر يجر الى الغنائم قبسه * وحى رار على الفتوح قباهه

وانشدته بحلب في شوال من هذه السنة قصيدة منها

لقصد او طأت دين الله عزاء * اديم الشعر بين له رغام
 دعاء وقد تناوش الزايا * له اهاب يوزعها العذام
 فقتل بنصره والناس فودى * فيام ذم ما اقترفت قسام
 جذبت بضيقه من قهرم * له من فوق مقبحة النظام
 وملت على معاقلهم فخرت * ولأه مثل ما انتفض النظام
 بصر خدو الخطم وفي عزاز * وفابح هز مشهدها الانام
 ولولم تعترف وتشم امسى * واصبح لاعراق ولا شام
 صبت على الصليب صليب بأس * قواه تحت كل كلة حطام
 ويوم بالعرعة كان حنقا * على الاشراك أمقره العرام
 لقولك كأن ما سلوه سجع * وما اعتقلوه من خور غمام
 وهاب قوروس ويكفر لانا * ذمت وأنت للجلى ذمام
 صدمتهم بارعن من بحر * كان مطارا نمره غمام
 وأية ليله لم تلف فيها * لهم طيفار ووعيه منام
 بنور الدين أنشر كل عدل * تعفت في الثرى منه الرمام
 وعاد الحق بعد كلال حد * حتى من ان زاعله سوام
 تألق عدله وذكت سطاء * فلاحيف يخاف ولا اهتمام
 بقائك خير ما رجو مرآج * وأقع ما يبسل به أوام

(فصل ١٠) وفي هذه السنة ولا جمن لنور الدين ابن شماعة جد وهنامه ابن منير في بعض قصائده ثم توفي بدمشق وقبره خلف قبر معاوية رضي الله عنه اذ لا دخل الحظيرة في مقابر الباب الصغير وقصيدة ابن منير قد تقدم بعضها في أول الكتاب ومنها في ذكر الملوك

توالت الاعباد لا زلت لها * تبلى دايما البقاء وتجد

في أخبار (٨٩) الدولتين

الفطر والميلاد والولودلو * قابله بدير التمام لسجد
ثلاثة عشرين عن ثلاثة * لملها يذكر حدامن جد
فتح مبين وطلاب مدرك * ودولة ماتت حتى الى آمد
وله من أخرى يقول

وجئت باجد فلات جدا * موارد كان معبها عذا
تهلل وجهه ملكك يوم أهدت * قوابله لك الملك اللبا
شبهك لا يغادر منك شيئاً * سنوا حيا وبذلا واستلا
قسيم الحمد الآن حفا * من اسمك زاد لعمى منا
ألا الله يوم فرغنا * وربك نص بالشري الركبا

قال أبو يعلى في أوخر صفر توجه بجير الدين في العسكر معه مؤيد الدين الوزير الى ناحية حصن بصرى ونزل عليه
محاصرا لسكرائه واليه الخلقته وجورهم وأراد بجير الدين المصير الى حصن صرخد لمشااهدة واستأذن بجهاه الدين
واليه في ذلك فقال له هذا المكان يحكمك وأنافيه وال من قبلك وأنفذ الى ولد مسيف الدين محمد النائب فيه بأعداد
ما يحتاج اليه ويلقى بجير الدين بما يجب له فخرج في أصحابه معه المتتابع وأخلى الحصن من الرجال ودخل اليه في
خواصه وسر بلك وتعب من فعل بجهاه الدين وشكره على ذلك وعاد الى تخيمه على بصرى وحاربها عدة أيام الى
ان استقر الصلح والدخول فمأرا دواعي دمشق وفيها في شوال توفي الامير سعد الدولة أبو عبد الله محمد بن الحسن
ابن المحمي ودفن في مقابر الكهف وكان فيه أدب وافر وكاتبه حسنة ونظم جيد وتقدم والده في حلب في التدبير
والدعاية وعرض الاجناد قال ابن الاثير وفيها توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان وعهد الى ابن أخيه
ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد وخطب له ببلاد الجبل وكان الغالب على البلاد والعساكر أيام السلطان مسعود
خاص بكن بلنكري فقام بامر ملكشاه ولحقه غير قليل حتى قبض عليه وكتب الى أخيه الملك محمد بن محمود وهو
بجوزستان يستدعيه اليه ليخطب له بالسلطنة وكان غرض خاص بكن ان يقبض عليه أيضا فيخلو وجهه من منازع
من السلجوقية وحينئذ يطلب السلطنة لنفسه فلما كتب محمد أجا به الى الحضور عند مسوار اليه وهو بهمدان واجتمع
به وتخدم خاص بكن خدمة عظيمة فلما كان الغد دخل عليه خاص بكن فقتله محمد والنقي رأسه الى أصحابه فترقوا
واستقر محمد وثبت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعا وكان قتل خاص بكن سنة ثمان وأربعين وبقي مطروحا حتى
أكلته الكلاب وكان ابتداء أمره ما كان من بعض أولاد التركان فعدم السلطان قال اليه وقدمه حتى فاق سائر
الامراء واستولى على أكثر البلاد وهو كان السبب في أكثر الحوادث المشاغلة للسلطان مسعود فان الامراء الاكابر
كانوا يأنفون من أتباعه لما كان يقابلهم به من الهوان والاحتشام عليهم وذكر الوزير يحيى بن هبيرة في كتاب
الافصح انما تطاول على الخليفة المتقي أصحاب مسعود وأساؤا الادب ولم يكن المجاهرة بالمحاربة اتفق الرأي
على الدعاء على مسعود بن محمد شهرا كاد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم على رعل وذ كران شهرا فأتى هو
والخليفة سرا كل واحد في موضعه يدعوه وسحر من ليلة تسع وعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وأربعين
وخمسائة واستمر الامر على ذلك كل ليلة فلما كان ليلة تسع وعشرين من جمادى الآخرة كان موت مسعود على
سرر لم ير دعن الشهر يوما ولا يقص يوما وصل القصاد بذلك من همدان الى بغداد في ستة أيام فآزال الله يد ويد
اتباعه عن العراق وأورثنا رخصه ود بارهم وتبارك الله رب العالمين بحبيب دعوة الدين العاين قال وكان الشيخ محمد بن
يحيى يقول لأدل على وجود موجود أعظم من ان يدعى فيجب

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسائة ففها أخذت الفرغ فخذهم الله عسقلان وبقيت في أيديهم الى ان
فيها صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وثمانين كاسيا في ان شاء الله تعالى قال الرئيس أبو يعلى التميمي
وتواصلت الاخبار من ناحية نراندس بقوة عزمه على جمع العساكر والتركان من سائر الاعمال والبلدان للفرغ في احزاب
الشرك والطغيان وانصرة أهل عسقلان على الافرنج النازلين عليها وقد ضاقوا بها لان حفا اليها بالبرج المخدول وهم

في الجمع الكبير ثم اقتضت الحال نوحه بجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جهوز عسكره للتعاضد على الجهاد في ثالث عشر محرم واجتمع معه في ناحية الشمال وقد علمك نور الدين الحصن المعروف بالقيس بالسيف وهو في غاية المنعة والحصانة وقتل من كان فيه من الافرنج والارمن وحصل العسكر من المال والسبي الكثير ونهضوا طالبين ثغرا بانياس ووزلوا عليه في آخر صفر وقد خلا من حماه وتسملت اسباب ملكه وقد توافلت استغاثة أهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فقتضى الله تعالى بالخلق بينهم والقتل وهم في تقدير عشرة آلاف فارس وراجل فاجلوا وعنها من غير طارق من الافرنج ملحقهم ولا عسكر رهنهم ووزلوا على المنزل المعروف بالأعوج وعزموا على معاودة التزول على بانياس وأخذها ثم أجمعوا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وهتروا وعاد بجير الدين الى دمشق ودخلها سالما في نفسه وبلغت سادى عشر ربيع الأول وعاد نور الدين الى حصن وزل بها في عسكره ووردت الاخبار بوصول استول مصر الى عسقلان فقويت نفوس من بها بالمال والرجال والذلال وظفر وابتعدوا فرقة من مرأب الفرنج في البحر وهم على حالهم في محاصرتهم ومضايقتهم والزعف بالبرج الجهم واستمر ذلك الى ان تبصر لهم أسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها فهدموا وجهجما البلد وقتل من الفريقين المطلق الكثير ولحقت الضرورة والغلبة الى طلب الامان فأجيبوا اليوم خرج من أمكنه الحروب في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها وقيل ان في هذا الثغر المفتوح من الهدد الحربية والاموال والميرتو الغلال ما لا يحصر فيذكر وما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه وضافت الصدور وتضاعفت الأفكار بحدوث مثل فجعان من لا يرتاد فقهضاه ولا يدفع محتموم أمره عند نفوذ ومضائه

(فصل) قال عمر بن الخطاب بن النخعي في بيان أخيه عز الدولة عز الدين الدولة مشاحنات ومشاورات اقتضت المساعدة الى جبر الدين في جلدي الاولى فانفذ بجير الدين الى الرئيس بسند عهده الاصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وحل في داره وهم بالحصن عنه باحذات البلاد والقوفا وآلات الحمال الى تمكين زين الدولة منه بمعاونة بجير الدين عليه وتقرر بينهما اخراج الرئيس من البلد ومعاونة الى حصن صر خديع مجاهد الدين بزان واليه بعد ان قرر له بقاء داره وبستانه وما يخصه من حصن أخيه وتقلد أخوه زين الدولة مكانه وأمر ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء الافعال والتحاسر الشاعلى أقل الاعمال ورأى بجير الدين عقيب ذلك التوصل الى بعلبك لطيف نفس والبالعطاء الخادم واستنصحه بمعه الى دمشق لينوب عنه في تدبير الامور وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين بزان ان يثب بجير الدين قد تسيرت فيه فاستوحش من عودا الى البلد بغير عين يخلف له بها على امانه في نفسه فوهدها لاجابة فعاد الى داره بدمشق ثم هجس في خاطر من بجير الدين وأصحابه ما أوحشه منهم فعدا ذلك الى الحروب من البلد سراطيل الصر خديع في عرف خبره اعماض في طلبه وقص أثره فأدركه وقدر قرب من صر خديع قبض عليه واعيد الى القلعة بدمشق واعتقل بها احتقالا لاجل لا ثمجة تدعى الرئيس الوزير حيدر المقدم ذكره ما شيا ظهر عنه مع ما في نفس الملك بجير الدين منه ومن أخيه المسبب من المعرة بالناسي والفساد ما انتضت الحال استدعاءه الى القلعة على حين غفلة عن القضاء النزل به لسوء افعاله وتبع ظلمه وخبثه ثم عدل به الجنازة الى الحمام بالقلعة مستعمل ذى القعدة فوضرت عنقه صبرا واخرج رأسه ونصب على حافة الخندق ثم طيف به والناس يلعنونه ويصفون أنواع ظلمه وتفتنه في الفساد ومقاسمة اللصوص وقطاع الطرق على أموال الناس المستباحة بتقريره وتبذيره ومجانيته وكثرة السرور عصره والتبجح به ثم رخت العامة والقوفا ومن كان من اعوانه على الفساد من أهل القيت الى منازلهم ونزائنتهم وغلبته وانما هو خائره فاتهموا منها ما لا يحصى وغلبوا أعوان السلطان وجنده عليهم بالكثرة فلم يحصل للسلطان من ذلك الا انزال اليسير ورد أمر الرئاسة والنظر في البلد الى الرئيس رضى الدين أبى غالب عبد الممنع بن محمد بن اسدين على التبعي في اليوم المتقدم ذكره فطاف في البلدة اثاره وأهلها وسكنت الدهاء وولق في ارباب منازل النظام وقتل أشخاصا قال وكان عطاء الخادم قد استبد بتدبير الامور ومثله في النظم والاطلاق لسانه بالمجور وافرط في الاختباب وقصر في قضاء الاشغال فقتل بجير الدين باعتقاله وتقيده والاستيلاء على ما في داره ومطالبته بتسليم بعلبك وما فيها من مال وغلال ثم ضربت عنقه ونهبت العوام والقوفا بيوت أسبابه وأصحابه قال وورد الخبر من ناحية مصر بان العادل المعروف بابن السلطان الذي كانت تربته

في أخبار (٩١) الدولتين

قد علت ومنزلته في الوزارة قد تمكنت كان لزوجه ولد يعرف بالامير عباس قد قدمه واعتمد عليه في الاعمال ولعباس هذا ولد قدمه الوزير وانتم عليه موأذن له في الدخول بغير اذن اليه فدخل عليه وهو قائم في فراشه فقطع رأسه وحصل عباس في منصب العادل ثم كان من أمره ما سيأتي ذكره قلت هو أبو الحسن علي بن السلاروز ر خليفة مصر وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بالاسكندرية لتساخف أي ظاهر السلطنة رحمه الله وكان قبله في سادس المحرم بمطاعة من الخليفة الملقب بالظاهر الحافظ وفيها في آخر شعبان توفي الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي الحلبي رئيس الحنفية ودفن في مقابر الباب الصغير الجوار لتقبور الشهداء وكان من التفقه على مذهب ما هو مشهور شائع مع الوريث والدين والعفاف والتصوف وحفظ ما موس العلم والتواضع والتودد الى الناس على طريقة مزية ومجبة محمودة قال دورد الخبير من ناحية حلب بوفاء لاديب أبي الحسين احمد بن منير الشاعر في جادى الاخرة ووصل في ثاني عشر شعبان الى دمشق الاديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسرى من حلب باستدعاء مجير الدين له ومات بعد عشرة أيام في الثاني والعشرين من شعبان تلت هاشا شعر الشام في وقتهم ما قد شبههما العماد الكاتب في كتاب الخريدة بالفردق وجرو كذلك كان اتفق موتهما في سنة واحدة ومات جرو بعد الفردق بقليل وقد سبق من شعرها في مدح نور الدين رحمه الله قصائد حسنة وسيأتي غير ذلك في موضع مقرر من تذكره وعما قاله ابن منير من قصيدة له

أبا سيفاً أعز الدين منه السـ فرار العضب والنوم الفرار
ملا شجوا غل الاقطار رجفا * كان الارض خامر هادوار
علاك حل على الدنيا فتاج * بقرتها وفي يدها سوار
أضاعت شمس عدلتي في دجائها * فكل زمان سا كنهانها
فحرق من عصاك وأنت ماء * وتفرق من رجاك وأنت نار
الاله وجهه لمعوا ناي * مكسلة والبيض اقترار
هتكت حجابها والنصر غيب * ولله بوات طلى واششار
يطعن للقلوب بانتظام * وضرب لرؤس به انتشار
تبادره كان الموت غم * وما من عادة البدر البدار
انخت على الصليب مطا صليبا * به من صك مبرك هدار
بمشرقة المناكب مقربات * لمن يمن كل ونى حصار
جبين بأنتب العناصى * وأضن ولقنا منها غمار
وفي هاب أهبت بها نجلعت * كما أجلي من الكشم الصوار
وكم في نج حارم من حريم * عفته فلا جدير ولا جدار
وانطا أيسة استنت اليها * فاجفل خبطها وله عرار
وصبح في عزاز بها عزاز * فامسى وهو وعث وأخبار
يشق بهادجى الغمران عصفا * جواد لا يشقى له غبار

وله من أخرى

وما يوم الفرقة منك قد * فحصر عدوه خطط الحباب
أجاش الاربعاء لم نجسا * يعبد الغور ملتطم العياب
واحكم بالخطي لمسم خطاما * أمر برعسه مرة الضراب
مشوا معنا ندين الى صليب * بيرقع هبوه الضم الصلاب
تلفهم المنايا فى التنايا * وتغياهم شعوب من الشعاب
أطاشت بهم كبشهم هناة * فبكست ذباب طائشة الذباب

كتاب (٩٢) الرضين

حلات النج عنه وحل ناجا * مكان العقمن عقد الكعاب
 أناف على العقاب فكان أنشئ * وأبهى منه في نزل العقاب
 فاشرف وهو عن شرف معوف * واصعدوهي غاية الانصباب
 تكاثره الشوامت وهو مغض * ثناه مناه عن رجوع الجواب
 بعدد من قراع واقترع * يؤوب له الى يوم الحساب
 وكسوط بجذ لك اقبلاه الصدد * ورفكان سوطا من عذاب
 تركتهم بارض الشام شاما * انظر تقبسه أولناب
 هنكت حجابهم والشمس وسنى * بشمس لاتوارى بالحجاب
 بايض من حبيك الهند صاف * مصون المتن مبتذل الذباب
 له سمة الشيوخ صفاء شيب * وفي خطواته ترف الشباب
 الا يا ماطر الدنيا بعين * أرضه علا بها خدع السراب
 تبطنهم اقلطتها ثلاثا * على عز التلق والخلاب
 فلا ياوى الى رأى شعاع * ولا يننى الى أمل خراب
 ترفع عن مجاوزة الامانى * وحلق عن محاضرة التصابي
 صلاة الله كل درورشمس * على منوى أيبك من التراب
 فقد ألقي الى الاسلام عضبا * يطبق في التواب غير بابي
 تحيش له رواس كرواسي * تمسدها جفان كالجوازي

وله من أخرى

مظفر العزم مدود الوراق على * معالم الدين يرفها وينها
 رة الكائن كدسا للهدى فبنت * نارا الضلال ووارثها انا فيها
 وأورد العلم عددا من اياته * فاستن واقتن عبا في صوافيها
 وبث للشر كاشرا كافا درجت * طريده منه الاستوهقت فيها
 بادر مدأشرفت في الدست غرته * غيث الزعة واخضلت مراعيها
 أقام أحمد من محمودها علما * به استقام على البيتاء سارها
 محي شريعتهم من بعد ما انتهت * واستجبت بعد افصاح معانيها
 شابت مواهبه فيها مهابة * حتى استقرت على سمع سوارها

وله من أخرى

عزت سيدوك فالعراق عراقها * والشام غير مدافعات شامها
 ان أغدت حل العزائم حلها * أوجرت حرم الكرى احرامها
 نخبعت عدالك بها فلا اشراقها * بخفازة منها ولا إعتامها
 سرت فصحبها بها بقطاتها * هدأت فستها بها احلامها
 كالماء الان في رشقانه * نارا حاشاشات النفوس ضرامها
 خفت على أيمانكم أوزانها * يوم الوعى واستشعلتها هامها
 حتى احلن الشام صامصر صرت * فيه جناد بها وصدع هامها
 در حصن اردان الجزرة بعدما * غمرت بها وهدايتها واكمها
 شطرا أبرت ومشله أنظرته * وقع الخطوب تكرها أيامها
 بالخطاطبات الغاب ترأرأسده * والجحفل الحبي اللقاح صياها

في أخمار (٩٢) الدولتين

أوردتها اجبات انطاكية * عتقا وقد شبت الصدا اجلاها
تلقى المشافر في مر اسف كلها * بردت بها الاكباد زادهامها
قضت وقد عز المراح سراها * وتوزعت في كفسها امارها
ومشى الضلال القهقري واستأصل اللذان من رجع الاذان سلامها
وغدا يخالها الخليل مواجبا * عذبا يرمي لها العذاب غمامها
غضب الدين الله حص جناحه * بغيا وأدنى صمغتيه لدامها
فالا نرد النور في نفسه نوره * وانجاب من تلك الهنات ظلامها
محمود المحمود اقداما اذا * خام الكماء وزلزلت اقدامها
الفارج الكرب العظام تضاجت * اشدا ته وقر القلوب ضغامها
وله من أخرى

أما رعايا فانها رشفت * لديل نعي عذبا شايها
سلكت نهج العدل القويم لها * فاجدت دينها ودينها
وكم امنيت خوفا فانها * مالف الخوف خوفك الله
لله أقطارك التي قطرت * لها مناهيها الى منايها
أنب في أنب فوارسها * تزدى فزدى أولك أخرها
أشجبت لها البرنس هيوتها * وكم عتبا عتبا فاشجها
وجوسلين استماع نطقها * فاحتلب الذل تحت مغداها
رذته صفرا من كل ماملكت * يدها أيد ماضل مسراها
جولس جاستك أوجه لارأت * بوسا وباد الحيا محياها
في سرية لوتكون فارسها * يومئذ ما تبعث أشقاها
لازال ظل النعماء عن ملك * مالمس كقواله اذا باها
والله جازيه عن معبده * أعزها الله مذلولاها
محمود المعتز لي اتي فلك * الحمد وثيراله ولاها
أعطا كعجبتك المتوج بالجو * ونفس لله مغزها
نفس عزوف عن الخنا طبع * نزهها الله يوم سواها
أنت الذي سلم الانام له * يعني طباق العلي وسراها
وأنت مول الملوكة فاطمة * من كل فنا خسرو وشاهنشاهها
والشعر هذا لا قول أجده * أوه بديل من دولتي واهها
وله من أخرى

يا ابن الذي لم يال في نجدها * دسلام ادلاج وتهجير
تكيف الشام وقشام بر * ق الخوف انجباد وتغورا
وكف كلب الروم من بعدان * انشبه نايافا ولفسورا
فاهله رقتك ان انصفوا * رفا نجد الشيف مسطورا
بديروى واستخلف الشمس في * دستك اشراقا وتأثيرا

وله من أخرى

ملك كمي الاسلام من ذبه * بردا بديع الظني معلا
من اصبح الشام به شامية * يقطر من قتل عيدا ديا

كتاب (٩٤) الروستين

لؤلؤم عمتك دنه * لم تلق في أقطارها مسلما

وله مدحه بعد مصالحة صاحب جام واهتمامه بالعرس وعوده إلى حلب

الدهر مارضته بالجلود والباس * مقسم بين اغراس واعراس
فتح تصاقبه فتح ومطلب * دافى المنال ومكث ثابت راسي
نصر ابصري وصحاحن جاتلفد * أحضت لداة حملا لها الآسي
يا ابن الذي عنت الدنيا لدولته * من فاطمي اعزته وعباسي
وله فيه أيضا

غدا الدين باسمك سامي العلم * أمين العباد مكين القدم
لذلك لقبك نورا له * وقد أغطش الظلم فيه الظلم
أضأت بـمـلـك آفاقه * وضعت عرى الدين لما ادغم
ولم تمس رهوا لنصر الزها * ومثلك أدرك لما هزم
ويوم بوطا بسطت الجا * م على المحض من ركنها فاندحم
وبصري وصرخد لؤلؤثر * دراكا لكانا رديني أرم
وملقت جيشك في القوطـ * بين خص المصليب ما تنظم
وفي كفر لا تاوهاب حلت عقد البرنس بيض خنم
معودة لها لاتصل الاممقة لقم
ويوم بسر فرد جزعتهم * أجايا غصم واضطم
وفوق العرمة غشاهم * عرام جيوشك سبل العرم
وأنت بكليهم في الكعبو * لمباح الحرم مذل الحرم
واربهم أدنت انها * ابارتهم قليوا بدم
نسوها وأعلوا ولم علوا * بما خط في الفاح منك القلم
وأنت خادم ما أحككو * ومن ديننا راقع ما انخرم
فرفع من بعد خفض هدى * وتخفض من بعد رفع صنم
سبكت المدارس فوق النجو * م فكم منكم تحتها قد نجم
وعاش الخبيث في والشافعي * بما شئت منها وكنا رعم
وان لم تكن هاشمي الاصل * لفانك فرع المنزير الخضم
ومن يدعي في الصلي ما ذعيت وأنت ابن من عزنا الاحتكم
واقم ما غاب ميت سقت * مفارسة عين هذى الشم

قلت وقصائد ابن منير في مدح نور الدين كثيرة وقنفسه فيها طويل ولم يبق بعد موت القيسراني وابن منير دخل من
الشعر له نصف مناقب نور الدين كما ينبغي الابن أسعد الموصلي وسيأتي شيء من شعره إلى ان قدم العماد الكاتب
الاشام في سنة اثنتين وستين تقسم هذا الامر وعبر عن أوصاف نور الدين ومناقبه ومغزواته باحسن العبارات وأعظمها
نظما ونظرا وسيأتي كل ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى قال ابن الاثير وفيها ترقى صاحب مارد بن حسام الدين
تت رايش وليم بعد فهم الدين الذي بن قمر تاش ارتق قلت وقدم مدحه القيسراني والعرقلة وغيرهما من الشعراء
(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة) قال ابن الاثير ففتحها ملك نور الدين دمشق وأخذها من صاحبها مجير
الدين أتق بن محمد وكان الذي حمل نور الدين على الجند في ملكها ان الفريخ ملك كوا في السنة الحادية عسقلان وهي
مدينة فلسطين حصنا وحصانة ولما كانوا يحصرونها كان نور الدين يتلف ولا يقدر على ازواجهم عنها لان دمشق
في طريقه وليس له على غيرها معبر لا هراض بلاد الفريخ في الوسط وقوى الفريخ ملكها حتى طمعوا في دمشق

في اخبار (٩٥) الدولتين

واستضعفوا بحجر الدين وتابعوا الفلوة على اعمالها كثروا الفلك بها والذهب والسبي وزاد الامر بالمسلمين بها الى ان جعل الفرنج على اهل اللد نقطة قطع كل سنة وكان رسولهم يحيى الى دمشق ويحجبهم من اهل البلدة اشدة البلاء على اهلها حين ارسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وابنائهم الذين هموا من سائر بلاد النصرانية وخير وهم بين القيام عندمواليهم والعود الى اوطانهم فمن احب الحقام تركوه ومن احب وطنه سار اليه وزالت مطاعة بحجر الدين عن اهل البلدة ان حصر وفي القلعة مع انسان منهم كان يقال له مؤيد الدين ابن الصوفي فلما كانت الامور بها هكذا خاف اهلها وأنفسه قومن العدو فلما والى الله تعالى ودعوه ان يكشف ما بهم من الخوف فاستجاب لهم وأذن في خلاصهم مما هم فيه على يد احب عباده اليه واحسنهم طريقه وأمنهم سره وهو الملك العادل حقا نور الدين محمود فحسن له السبي في ملك البلدة والقاء في روعه فلما خطر له ذلك أفكر فيه فعزم ان رام ملكه بالقوة والحصار فعز عليه لان صاحبه متى رأى شيئا من ذلك ارسل الفرنج واستعان بهم واستمالهم قلت وقد كان سبق له بذلك سوابق قد تقدم ذكر شيء منها ولذلك قال العزلة يمدح أن يلكه معين الدين أنز من هزيمة

يظن صلاح الدين فرسان جلق * كفر سانه ما الأسد مثل الثعالب
رجال اذا قام الصايب تصلبت * رماحهم في كل ماش وراكب
غدا يطلع السام الفرج فيمليق * مسعودا بطله للصاب
لما التل تقع والاسنة أنجم * فما غير ابطال وغير جنائب

وصلاح الدين المذكور ليس هو يوسف بن أيوب المشهور فان ذلك لم يكن حيث ذكرنا كما يفود الجيوش وانما هذا صلاح الدين محمد بن أيوب الباغيساني صاحب سماء أحد اصحاب زنكي وقد تقدم ذكره مرارا وكانه في مقدمة الجيش النوري كما قصد دمشق في المراتم الاولى اوفى احديهما اوفى زمن حصار زنكي لها والله أعلم قال ابن الاثير وكان انقض الاشياء الى النثر فيمان ملك نور الدين دمشق لانه كان يأخذ حصونهم ومعاقبهم وايسر له دمشق فكيف اذا أخذها وقوى بها وانضاف الى ذلك كراهيته لسفك دماء المسلمين فان الدم كان عنده عظيما لما كان قد جبل عليه من الرأفة والرحمة والعدل فلما رأى الحال هكذا عمد الى اعمال الحيلة فراسل بحجر الدين صاحبها واستماله وواصلها بهذا يا وظواهر له المودة حتى وثق اليه ثم صار بكتابه في بعض الاوقات ويقول له ان فلانا ويذكر بعض الامراء الذين يجير الذين قد كاتبني في الخاضرة عليك فاحذره فتارة بأخذنا قطع أحداهم وتارة يقبض عليه فلما خلد دمشق من الامر اقدم أسيرا كان عنده يسمى عطاب بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه امر دولته وكان نور الدين لا يثق من دمشق معه فقبض عليه بحجر الدين وقتله فقال له عندك له ان الحيلة قد تمت عليك فلا تقلني فانه سيدنزلك ما أقول فلم يصع الى قوله وقتله قلت وفي بعض قصائد ابن منير ما يدل على ان عطاب هذا كان له مع نور الدين في دمشق حديث فانه قال

ودمشق في دمشق رجال سلم * لجور نسائم منهم نساء
هي الفردوس أصبح وهو عاف * من العاني ومن خال خلاه
جنان تعرف الجنان فيها * ولا رأى هناك ولا رواء
لاسمع صعبا ودفن قصاعا * وامكنك اقتياد وامنطاه
وياتم الطمطاه عطاه رب * نوسطه فانسطه عطاه
تخال باسمه فالقال وصد * يكون على نباك به الوفاء
هو السبب الذي شررت قواه * وهذا به خدمتك الصفاء
وسيف أن تسمه تنم حساما * وان يمد فئار بل ذكاء
جنه لك السعادة تطفر رأى * لنقب الخادع بك بهناه

ويجوز انه لم يكن لعطاب في ذلك حديث وانما هذه الايات أوما في معناها كانت سبب قتله بل بلغ بحجر الدين ذلك وعطاب هذا هو الذي ينسب اليه معجزة علمه من ارج الباب الشرقي بدمشق وجورة عطاب بيت آيات وهي أرض فيها أخلب

كبار من الحوزة في أوتار الجامع دمشق وهي وقف عليه وقدمه العرقه وغيره من الشعراء قال ابن الأثير فلما
 جُعل عطاء قوى طمع نور الدين في دمشق فراسل أحداث البلد وناظرته واستأمنهم فأجابوه إلى تسليم البلد فصار اليهم
 نحو مائتي ألف درهم عشرة أيام فكتب بجبر الدين الفرج وبذل لهم الأموال وقطعة بعلبك أن رحلوا نور الدين عنه فأتى أن جمعوا
 وجازوا بلقهم أخذ نور الدين دمشق فعادوا بجني حنين وأما نور الدين فإنه لما حاصره وصيق عليهم نارا لأحداث الذين
 كاتبهم نور الدين وسلاوا إليه البلد من الباب المرقى فدخله بالأمان عاشر صفر وحصر مجبر الدين في القلعة وراسله
 وبذل له الإقطاع الكثير من جلته مدينة حمص فأجاب إلى تسليم القلعة وصار إلى حمص وقال ابن أبي طي أنفذ نور الدين
 أسد الدين شيركوه رسولا إلى صاحب دمشق فخرج في عجل عظيم ومعه ألف فارس عظيم غلب مجبر الدين ذلك وقال
 ما هذه رسالة هذه مكيدة ولم يتجاسر على الخروج إلى لقائه ولا أحسن من أمره دمشق فاستوحش أسد الدين ونزل بمرج
 القصب وأغلظ لصاحب دمشق في المقاتلة وأنفذ إلى نور الدين يعرفه بما جرى عليه فصار نور الدين في عساكر هزحف
 إلى البلد من شرقه وكانت الحرب في عاشر صفر وتولى أسد الدين القتال وأبلى الجبهة كسر عساكر دمشق إلى الأسوار
 من قبلي البلد ولم يكن أحد من المقاتلة على السور من ذلك الجانب لأن نور الدين كان من شرقها ووجل العسكر مقابلته
 ورأى من كان مع نور الدين من الجند راية والحلبيين إلى خلخلة السور من المقاتلة فحصر عو إلى السور وتعلقوا به وحصلوا
 في الحال على الأسوار ويقال إن أمره أن كتبت على السور فدخلت جبالا فسد دافيه وصار على السور جماعة ونصبوا
 السلام وصعد جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين فوقع على أهل البلد المستبذلان وكسر باب البلد
 ودخلت الخيل الفتنه وملك نور الدين دمشق وكان لأسد الدين اليد الطولى في فتحها فولاه نور الدين أمرها وورث إليه
 جميع أحوالها وفي هذا السنة أقطعه نور الدين الرحبة وقال الرئيس أبو يعلى في العشر الثاني من المحرم وصل
 الأمير أسد الدين شيركوه رسولا من نور الدين إلى ظاهر دمشق ونجم بناحية القصب من المرح في عسكر يناهز الألف
 فأنكر ذلك ووقع الاستخوان منه وأهال الخروج إليه لثقله والاختلاط به وتجزرت المراسلات فيما اقتضته الحال
 ولم تسفر عن سداد ولا نيل مراد وغلاسر الأوقات لا تقطاع الواصلين بالقلات ووصل نور الدين في عسكره إلى
 شيركوه ثالث صفر ونجم بعمون الفارس يا عند دومة ورجل في العدو نزل بيت الأبار من القنطرة وحلف إلى البلد من
 شرقه وحلف إليه من عسكره وحادثه الحلق الكبير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين إلى مكانه ثم زحف
 يوما بعد يوم وتآكل ذلك الحف يوم الأحد عاشر صفر وظهر إليه العسكر المدمشق فاندفع بين أيديهم حتى قروا من سور
 باب كيسان والديباغة من قبلي البلد وليس على السور أحد من العسكر وبأبلدية أسوة بتدبير صاحب الأمر غير نفر
 يسير لا يؤبه لهم فتمسرع بعض الرجال إلى السور وعليه أمر أيديهم فأسلته إليه جبالا فصد فيه وحصل على السور
 ولم يشعر به أحد وتبعه من تبعه وطلعو على ما نصبوه على السور وصاحوا ونور الدين يامنصور وامتنع الاجتاد والريعة من
 الجماعة لهم عليه من المحبة لنور الدين وعنده وحسن ذكره وبادر بعض قطاعي الخشب بأهالي الباب المرقى فكسر
 أغلخته وفتح فدخل منه العسكر وسعوا في الطرقات ولم يبق أحد بين أيديهم وفتح باب توما أيضا ودخل الناس منه ثم
 دخل نور الدين ونحو مائتي ألف درهم من كرامة الناس من الاجتاد والعسكرة لئلا يهاجم عليه من الجوع وغلاء الأسعار والخوف من
 منازلة الفرج الكفار وكان مجبر الدين لنا أحسن بالقلية وانتهز في خواصه إلى القلعة وأخذ إليه فأومر على
 نفسه وماله وخرج إلى نور الدين فطيب نفسه ووعدهما الجبل وخل نور الدين ألفة في اليوم القدام ذكره وأمر بالنادية
 بالامان للريعة والمنع من انتهاب شيء من دورهم وتمسرع قوم من الرعايا والباشا إلى سوق على وغيره فأتوا ونهبوا
 وأنفذ نور الدين إلى أهل البلد بما طيبه ففوسهم وأزال نفرتهم وأخرج مجبر الدين ما كان له في دوره بالقلعة والخزان من
 المال والالآت والاثاث على كثرته إلى الدار الأباكية دار جدّه وأقام أياما ثم تقدم إليه بالمسير إلى حمص في خواصه
 ومن أراد الكون معه من أسبائه وأتباعه بعد أن كتب له المنشور باقضاء عهده ضياعا بالعمال حصص رسمه ورسم جنده
 وتوجه إلى حمص على القضية المترتبة ثم حضر نور الدين عند ذلك اليوم أمانا من الريعة من القضاء والقضاة والتجار
 وخوطينا بما زاد في أسامهم ورسومهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح أحوالهم فأكثروا الدعاء له والثناء
 عليه والشكر لله تعالى على ما صرهم إليه ثم تلا ذلك إبطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل وضمان الانهار

وأشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلواتنا الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال وأعلن الناس برقع الدعاء الى الله تعالى بدوام أيامه ونصرة أعلامه وقال ابن الأثير لما استقل نور الدين في البلد عمل مع أهله مكرمة عظيمة وأظهر فيهم عدلا عاملا قلت قد تقدم ذكره في أول الكتاب وسأبى منه أشياء مقربة فيما بعد قال والقي الاسلام حرا به دمشق وثبتت أوثانه وأيقن الكفار بالبوار وهنوا واستكانوا واصل جميع ما بالشام من البلاد الا سلامية يذوقون الدين وأما مجير الدين فإنه أقام بعض وأرسل أهل دمشق في ائمة الفتنة فأنتهى الامر الى نور الدين فخاف ان يحدث ما يشق تلافيه بل رجا اعتدلا سيعام مجاوره الا فرنج فأخذ حصن من مجير الدين وعوضه عنها مدينته بالس فلم رضوا سار عن الشام الى العراق فأقام ببغداد وادبني دارا فجاور المدرسة النظامية وتوفي بها قال ولما ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج وعلموا انه لا يقصده عنهم وعن غزو بلادهم والمبادرة الى قتالهم فرسلوا كل كند وقصص وبنوا اليه ثم ان من شبل باشر اسلوبه بذلوله تسليم اليه فأسرسل الى الامير حسن المنجي وهو من أكابر امره لنور الدين واقطاعه منبج فأمر ان يسلمها منهم فاسار اليها وتسلموا وحسنها ورزع اليها خائرا كثيرة

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى وقد كان مجاهد الدين بن ران أطلق يوم الفتح من الاعتقال وأعيد الى داره ووصل الرئيس مؤيد الدين المنجب الى دمشق مع ولده النائب عنه في صرخد الى داره معولا على زومها ونزك التفرغ لشئ من التصرفات والاعمال فسد ما منه من الاسباب المعربة عن اعمار الفساد والعدول الى خلاف منهاج السداد والرشاد ما كان داعيا الى فساد التبعة فيه وكان في احدي رجليه فتح قد طال به ونسيه ثم لحقه مرض وانطلق متدارك أفرط عليه واسقط قوته مع فواق متصل وقلاع في فيم زائد فقضى نحبه في ربيع الاول ودفن في داره واستبشر الناس بهلاكه والراحته من سوء أفعاله قال ووردت الاخبار بقتل خليفة مصر الملقب بالظافر بن الحافظ وأقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير بناهن ثلاث سنين وبقية بالفائز وعباس الوزير ثم رثه بالخبر بان الامير فارس الدين طلائع بن رنك وهو من أكابر الامراء المقدسين الشجعان للذكورين لما انتهى اليه الخبر وهو غائب عن مصر قلق لذلك واشتد وجع واحشده وقصد العودة الى مصر فلما عرف عباس بما جاع خاف الغلبة فأتاهم للهرب في خواصه واسبابه وجرمه وما من أس ماله وسار معدا فلما قرب من أعمال عسقلان وغرر بخرج اليه جماعة من خيالة الافرنج فاعتز بكنوته من موهبته من قصده فلما جالوا عليه قتل اعيامها وأعاوا عليه وانهمز اقمه حجة هروا به الصغير وأسرا به الكبير الذي قتل العادل بن السلار مع ولده وجرمه وما هو كراهه وحصلوا في أيدي الفرنج ومن هرب لقي من الجوع والعطش شدة ومات العدد الكثير من الناس والدواب ووصل في أثرهم فارس الدين فوضع السيف فيمن ظفريه من أصحاب عباس واتصفت في الوزارة وتدير الامور موضعه ووصل الى دمشق منهم من الجاء افرج على أشنع صفته من العدم والعري في آخر ربيع الآخر قلت وفي ذلك يقول عمارة النبي من قصيدته

لكم يا بني رنك لا زال ظلكم * مواطن معب الموت فيها مواطر

سلمات على عباس بيض صولم * قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الامير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ان نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر ابو عباس كان نصر يعاشر الحليفة الظافر ويخالطه وعاس كارت ذلك مستوحش من ابنه لعله يجذبه اليه القوم وضرب بعض الناس بعض حتى يقتلوه وشرع الظافر مع ابن عباس في حله على أيه ومواصلة بالطايب الكبرية فقلصت في ذلك فنهت فاطم والدته على الامر فاستماله ابو موثق به وقرره قتل الظافر وكان يخرجان مشتركين وهما تان سمنهما واحد فدعاها الى داره ورتب من أصحابه معه في جانب الدار فرائم استقر به المجلس خر حوا عليه فقتلوه وذلك سلخ محرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ورمو بجيب الدار وأصبح عباس جاء الى القصر فحضره بالسلام وحضر في مجلس الوزارة ينتظر جلوس الظافر فلما تجاوز وقت جلوسه استدعى صاحب زمام القصر وقال ما لولا ما جلس للسلام قبله الاستاذ في الجواب فصاح عليه وقال ما لك لا تجاوبني قال يا مولاي ما لولا ما تدرى أن هو قال مثل ما لولا ما يضع ارجع واكشف الحال فحضر ورجع فقتل ما وجدناه ولا اختال بي في الناس بلا خطية اذ دخل الى الموالى اخوته يضر ج منهم واحد ثبا به فحضر وعاد وقال الموالى يقولون لك ما لتاني في الامر شي والذنا عز له عنا وجعل في الظافر والامير ولده بعدد قال أخرجه

مكتاب (٩٨) الرومانيين

حتى نباهه وعباس قد قتل الظافر وعزم على ان يقول لاخته انتم قتلتموه وبه لهم فخرج ولد الظافر ولعل عمره خمس سنين يحمله الاستاذ فأخذهم عباس فجعله وبكى وبكى الناس ثم دخل به الى مجلس أبيه وهو حمله وقه اولاد الحافظ قال ابن منقذ ونحن في الرواق جلوس وفي القصر اكثر من ألف رجل من المصريين قاراضا الا قوم قد خروا لعمرك المجلس مجتمعين الى القاعة فاذا السيوف تختلف على انسان فقلت للغلام لي ارمي انظر من هذا يقول يعني وعاد وقال ما هؤلاء مسلمين هذا امولاى ابرأ الامانة جبريل بن الحافظ قد قتلوه ثم ان واحدا شق بطنه مذهب مصر به ثم خرج عباس وهو أخير رأس الامير يوسف فحقت ابطه وفي رأسه ضرب سيف والدم يفيض منها وأبو البقاء ابن أخيه مع ابنه نصر ثم ادخلوها خزانة في القصر فقتلوهما وفي الخزانة ألف سيف مجز قد قال وكان ذلك اليوم من أشد الايام التي جرت على لاني رأيت من الفمساو البني ما يذكر والله سبحانه وجميع خلقه وذكر الامير أسامة بن منقذ في ديوانه قال كان لعباس أربعة عشر رجلا يحمل أخته الهما تابل وماتت جنب فخار ادا خروا من مصر يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد فام عليه أهل مصر وعسكر بناتها فاسهم وراجلهم تقدم بشد خيله ويقاله وجهه ليحجل ويخرج فلما صاروا الجميع على باب دارموند ملا ثم دخلوا القضاء الى قصر السلطان الى الابوان خرج غلام يقال له عبد بكر كان على أشغاله وعملاته كانهم تحت يده فقال للجاليين والخرسندية والركائبة ورجوا الى بونكم وسيدو الدواب فقلوا لا نأخذناهم اهل المصريين يقتلهم معهم وكان ما جرى من تحصيل الدواب لطفًا من الله تعالى به فانها سدت الطريق بينه وبين المصريين ومنعتهم من الوصول اليه وهم في خلق كثير ونحن في قلعة مانبلغ خمسين رجلا وعلمنا عباس ومعاوية في ألف ومائتي غلام بالجنوب الجياد والصلاح الشام وخمسمائة فارس من الارثا خرجوا كلهم من باب النصر وقفوا في القضاء الذي يتبعون رأس الطاية فرأى من القتال فشرع المصريون في نهب الخيل والجبال والبغال فلما عاوا طرقتهم اليه خرج عباس من باب النصر وياؤا في أثره حتى أفضوا الباب وعادوا الى نهب دور وكان عباس قد أحضر من العرب نحو من ثلاثة آلاف فارس يتقوى بهم على المصريين واستغلهم ووجههم هيات عظيمة فلما خرج من باب مصر غدر وابه وفاتلوه أشد قتال سنة ايام يقتلهم من الفجر الى الليل فاذا نزل أهلوا الى نصف الليل ثم يركبون ويعدون خيلهم على جانب الناس ويصيحون صيحة واحدة فيقبض الخيل وتقطع ويخرج اليهم منها ما فيه منعة وقوة فمأخذوه فكان ذلك سبب هلاك خيله وبمكن الا فرج منه واشتغال عن سلوك طريق لا يقصدهم الفريخ اليه قال ودامت الحرب بينه وبينهم من يوم الجمعة حتى نهار الى آخر يوم الخميس ثم جاؤا اليه واخذوا منه حسابا على أموالهم وأنفسهم ويوتهم ظنا منهم ان له عودة اليهم وأنصر فواعنه وهم اكثر من ثلاثة آلاف فارس ويوم الاحد صبحتهم الا فرج فيج وتدهلك الناس من الجوع والعطش وماتت خيلهم فقتلوا ابنه الاوسط وأسر ابنه الاكبر وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا نساء عباس وخزائنهم وأسر اولاد الصغار وأنصرفوا قتل عباس هذا هو عباس بن ابي الفتوح بن عجم بن المغيرة بن الحيرة ويلقب بالافضل ركن الدين ويكنى بابي الفضل ورأيت علامته في الكتب ايام وزارته الحمد لله وبه أنق وقه يقول أسامة بن منقذ لقد هم جود الافضل السيد الوري * وأغنى غناء الغيث حيث يصوب

ومن آيات لابن أبي أسعد في مقتل الظافر

وأغنى من انعامهم في هلاكهم * وأظهر ما قد كان عنه تناقض

ومندبا قد طوتوها اليهم * وحلت بأهل القصر منه البواقي

سقى ربه كاس المنايا وما انتفى * له الشمر الا وهو لكأس ذاتي

وكان عباس قد قبض من أسامة عند خروجه من مصر لما يعلم بينه وبين الملك الصالح من المودة والمصافاة فاحضره واستقبله انه لا ينفصل عنه ثم لم يقعه ذلك حتى أخذ من أساتذتي دارهم يدخل على حرمه الى داره فأخذ أهله وأولاده فتركهم عندها هله وأولاده وقال دخلت قتلهم عنك لهم أسوة بوالده ناصر الدين يعني ولد ناصر الدين واخواته فلما خرجوا ونهبت دورهم ودوابهم عجز عن حمل من ينصه فاعادهم أسامة من بلبس وانفذ الى الملك الصالح يقول قد قتلنا أهلي وأولادي اليك وانت ولي ما تراه فيهم فأتز لهم في دار وأجرى عليهم الجارى الواسع

وأحسن اليهم غاية الاحسان وكان يكاتب في الرجوع الى مصر وهو لطيف الامير مع قسدا لخلاص أهله وأولاده فلما عرف ذلك منه نسبته الى وحشة قلبه من القصور ونفور من المصريين فأغذاه اليه بقوله تصل الى مكة في الموسم ويلقا الرسول اليها يسلم اليك مدينة أسوان واتخذ اليك أهلاك وأهلك بالاموال وهي كاجلث الثغر بيننا وبين السودان وما يستغلك الثغر مثلك وأكثرت من الوعد وكرهت في قربه ورعايته وما ينمو وينعم من قديم العهبة فاستأذن أسامة في ذلك الملك العادل نور الدين وكان في خدمته فقال يا فلان ما تاووا الى حياة الشتات والرجوع الى الاخطار والبعده عن الاوطان ومنعه من ذلك بأحسانه ووعدته ان تستخلص أهله فكتب أسامة الى الملك الصالح يعزله وبسأله تسير أهله وترددت بينهما مكاتبات وأشعار متصلات الى ان سيرهم وهم سيف وجيوش نجدة في الأكرام والاحترام الى آخر ولايته وذكر ان أهل القصور والامراء أنكروا تسيرهم وقالوا لو كان أهلهم هاشم عندنا لئامن ما يكون منهم ووصله بعض أصحابه من دمشق وهو في العسكر النوري يطلب فأخبره من كان له بمصر من الاهل والاولاد والاصحاب وصلوا وان المرأكب انكسرت بهم في ساحل عكا ونهب الفرج كل ما فيه ولم يصلوا الى دمشق الا بأفئسهم وان عمتك الا فرج أعطاهم خجما فدينار أصله وامنها لهم وأكثروا ظهر الى دمشق قال أسامة

الى الله أشعكو فر قد ميت لها * جفون واذا كنت بالعموم مخيري

فمادت الى ان لاذت النفس بالني * وطارت بها الاشواق كل مطير

فلما قضى الله اللقاء تم رضى * مساء تدهرى في طريق سروري

(قصص) قال أبو يعلى في آخر ربيع الاقل وصل الامير محمد الدين أبو بكر محمد نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقب عودهم من الحج وأقام أياما وعدا الى منصبه في حلب وتدير اعمالها نائب محمد الدين هذا هو ابن الداية وكان نور الدين كثيرا الاعتماد عليه وعلى اخوته وسيتكرر ذكرهم في هذا الكتاب ومحمد الدين أكبر اخوته وقد مدحه الشعراء قال القيسراني من بعض ما قاله فيه

دعوا ما معني من قبل هذا الميعد * فاقسم لولا المجد ما عرف المجد

كرم سمع اوصافا لم يفاته * ترى ان كل اثنين بينهما عقد

محييه والبشرى وعنا والندى * ونجواه والدنيا وتقواه والزهدي

ففي قسره الزلفى وفي وعده التني * وفي نيله الحسنى وفي رايه الرشدي

انذوجه نور الدين فابل مجده * قتل في كمال البدر قابله السعد

وفي موسم هذه السنة توفي أمير الحرمين هاشم بن فليتة وولى للمسلمين ابنه قاسم بن هاشم وهو الذي أرسل عمارة الجبتي الفقيه الشاعر الى الديار المصرية وسيأتي ذكره قال أبو يعلى في ثامن جمادى الاولى ورد الخبر من ناحية مصر ان عذوة أفر من مرأكب الفرج من مقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلة من أهلها فجمعت عليها وقتل وأسرت وسببت ونهبت وعادت بالقنائم بعد ثلاثة أيام وتركها صافرا بعد ذلك عادم كان هرب منها في البحر بعد الحادثه ومن سلم واخفى وضاعت الصدور عند استماع هذا الخبر المكره قال وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين أبي منصور محمد بن عبد الصمد بن الطرسوسي وكان ذاهمة ماضية ومقطة ومروية قاهرة في دار مولده ومن يلعبه من غريب ووافد وقد خفا أمره وتصرقه في اعمال حلب في الايام التورية وأثر في الوقوف أثر احسانا توفر به ارتقاها ثم اعترل عن ذلك أجدا اعترال

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة) فظهرت قسمة نور الدين بطلبك من واليهام خاك ذكر ابن الاثير ان ذلك كان في سنة اثنين وخمسين وقال كان خجلك البقاعي يتوب بطلبك عن صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع خجلك بها ولم يمكن نور الدين محاصرتها فقبضه من الفرج فلفظ الخلال معه الى ذلك الوقت فظلمها واستولى عليها وقال ابن أبي طي لما فتح نور الدين دمشق اتصل ذلك بنجم الدين أبيوب فكانت نور الدين في تسليم بطلبك فاطفا ليو تسلمها منه وألغى بها محابه قال وأبى بعض المؤرخين قد ذكر ابن مجير الدين صاحب دمشق انزل بنجم الدين من القلعة وجعله في البلد وولى القلعة رجلا يقال له خجلك فلما ملك نور الدين دمشق خرج الى بطلبك واستنزل منها خجلكا

مكتتب (١٠٠) الروشتين

وتوسط أسد الدين في أمر أخيه فهم الدين مع نور الدين فأقطعه أقطاعا وسيره إلى دمشق فأقام فيها وورد نظر دمشق إليه وولى وولاه تورانشاه شحنة دمشق فاسمها أحسن سياسة ولم ير لها إلى أن توفي فولى صلاح الدين شحنة دمشق قلت هذا وهم تورانشاه هو الملك المعظم شمس الدولة الذي فتح اليمن في أيام أخيه صلاح الدين فكيف يقول أنه مات قبل أن يلى صلاح الدين شحنة دمشق وأما كونه ولى الشحنة بدمشق قبل صلاح الدين فهذا قريب وقد رأيت ما يؤكده قرأت في ديوان العرقله وقال يهنيها بالشحنة بدمشق وهو في دار عه أسد الدين شريكه بن شاذي

قلب لحساد لكزيد وألقى الحسد * قدسكن الدار وقد حاز البلد
لا تغيثوا أن حل دار عه * لما تحمل الشمس في برج الاسد

وقال في صلاح الدين لما ولى الشحنة

لصوص الزام تو بوا من ذنوب * تركرها العقوبة والصفاد
لئن كان الفساد لك صلاحا * فولاى الصلاح لك فساد

وله فيه أيضا

رويدكم بالصوم الشأم أنى لكم ناصح في مقال
وأيامكم وصمى النبي يوسف بالخي والجبال
فذا الشقم قطع أبدى الله ساء وهذا قطع أبدى الرجال

قال ابن أبي طي - وولى صلاح الدين شحنة دمشق والديوان فأقام فيه أياما ثم تركه وصار إلى حلب لأجل واقعة جرت بينه وبين صاحب الديوان أبي سالم همام فهاهنا نور الدين وأخذ ابن همام وحقا لحيته وطيف به في دمشق قلت وابن همام هذا هو الذي ذكره الشافعي في تصديده وأشار إلى خلق لحيته بقوله

كأنى سالم بن همام * قام للنصع عادي شي ملثم

ثم قال ابن أبي طي - واستخفى نور الدين صلاح الدين وألحقه بخواصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق للناس جميعا في لعب الكر فوكان نور الدين يحب لعب الكرة قال أبو يعلى وزل نور الدين بعسكره بالأعمال المختصة بالملك فخرج أرسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قبيش ملك قوية وما والاها فلكثرت قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك فليح أرسلان وأخوه ذر والنون ودولان مشغولين بحجاز بقاء ولاد الدانئخذ ونصروا عليهم في وقعة كانت باصرة في شعبان فلما عاد فليح أرسلان وعرف ما كان من نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبشع مع ما بينهما من المودة والمهادنة والصهر ورأسه بالكتابة والانتكار والوعيد والتهديد فأجابه نور الدين بحسن الاعتذار وجعل ايقال وبقى الامر بينهما مسترا على هذه الحال وعاد نور الدين من حلب إلى دمشق فالتحق بالأسطول المصري مع تقدم شديد البأس بصير بأشغال البحر فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج والبسهم ثيابهم ونهض بهم في عدة من المراكب الاسطولية وأقطع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الزوم وتعرف أحوالها ثم قصد ميناء صور وقد ذكره ان فيه معتزلة فرسية كبيرة فيها رجال كثير ومال وافر فجمع عليها وملكها وقتل وأسروا وذهب وعاد مصر بالغنائم والأسرى فقلت وفي هذا السنة ورد أمر الخليفة بغداد وهو المتقي إلى أمير الحرمين فاسم بن هاشم بأمره أن يركب على باب الكعبة المكرمة باب ساج حديدا قد أنس جميع خشبه فضة وطلى بذهب وان يأخذ أمير الحرمين حلية الباب القديم لنفسه وسير إليه خشب الباب القديم مجرد اليعمله تابو تاذقن فيه عند موته وذكرك تلك الفقيه عمارة الشاعر وقال سألتني أمير الحرمين أن ابيع له الفضة التي أخذها من الباب في اليمن ومبلغ وزنها خمسة عشر ألف درهم فتوجهت إلى يزيد وعدت من مكة في صفر سنة إحدى وخمسين ووجهت في الموسم منها فدفعت لأمير الحرمين ما هو الوازمني التمر لى عنه إلى مصر يعني مرة ثانية بسبب خبايا جناها خدمه على حاج مصر والشام ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في أخبار (١٠١) الفوتين

حلب بالقرب من انطاكية وضيق على أهلها وهي من أمنع الحصون وأحسنها في تصور المسلمين فاجتعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحو ملعة وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج رجعون الحربة فأرسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والنب عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة وبشر عليهم بالمطاولة وترك اللقاء وقال لهم ان بقيتم معكم وأخلصناكم من غير هارون حفظكم أنفسكم منه أطلقناكم متاع عليه ففعلوا ما أشار به عليهم وراسلوا نورا الدين في الصلح على ان يعطوه حصص من حارم فأبى ان يبيعهم الا على مناصفة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعادوا في ذلك يقول بعض الشعراء من قصيدة وذكر أيا تلحن قصيدة لابن منير وقد سبق ان ابن منير توفي سنة ثمان وأربعين فاما ان يكون ابن منير قال هذا الشعر في غير هذه الفترة واما ان تكون هذه الفترة في غير هذه السنة وقد قرأت في: بولن ابن منير وقال يمدح ويحبه بالعدد من غرارة حارم

ما فوق شأؤك في الصلي مر داد * فعلام يقلق هزمك الاجهاد
هم ضررين على السماء سر داد * فالتشب اطنا بها وعماد
أت الفتى خطبت له حبله * والفضل ما اعترف به الحساد
قام الدليل وسلم الحصن اليه * دوام على لا ترا الاستناد
زهرت دولتك البلاد فروحها * ارج المهلب ودوحها مباد
أجدا ريع العدل ميت بروحها * فالبرض نعيم والحشم مراد
فالعيش الا في جناتك ميتة * والنوم الا في حمالك سهاد
واذا التدي زرعوا التفاق واحدا * كيدا هزمك ناقض حصاد
بالقربان كان فوق متونها * جن الملا وكأنها أطواد
تدأى ومن وحى الكفاة صفورها * فالزجر قيد والندى قياد
محب اذا حبت أرض ذيلها * فالخز سبل والمضاي بوهاد
يهدى التواظر في دجنة قعها * بدر برجك نير وقاد
ألسن دين محمد يأنوره * عزاء له فوق السها اسعد
مازلت تصمكه بمباد القنا * حتى تنشف عوده المباد
لم يبق مذ أرفقت هزمك دونه * عدد براعه ولا استعداد
ان المنار لو تطبق تكلما * جدتك عن خطبائها الاعواد
ولئن جنت منك الاعادي مهلة * ظلم الى المرى الوي معاد
ولكم لكم في أرضهم من مشهد * قامت به لتبناكم الاشهاد
ملك باطراف الفرنجة كل كلا * طرفاء ضرب صادق وجلاد
حاموا غلما عابوا حوض الردي * حاموا برائش كيدهم أوكادوا
وربا البرنس وقد تبرنس ذلة * حرما بحارم والمصاد مصاد
ضجت ثعاليه فأخرس جرسها * بيض تناسب في الحديد حداد
وسلعد ضربت بهن وبالقنا * من دون ملها أحد الاسداد
يركزن في حلب ومن اقناتها * تبني فواككه أمنها بقاد
يا من اذا عصفت زعازع بأسه * خفت بحجم الشرك فهو رداد
بحب التمسوم حاولوك وحاولوا * عودا فوا ناهم اليه مراد
ورأوا الواء النصر فوقك خافقا * فأظام منهم في الضلوع فؤاد
من منك ان تنشف السيل الريا * وأبوه ذاك العارض المداد
أوان يفيدي النجم كاسفة السننا * نار لها ذاك الشهاب زناد

لا ينفع الآباء ما سلكوا من السبل حتى ترفع الأولاد
 ملك يقيد خوفه ورباؤه * ولقبا تنظافر الاضداد
 وقال يمينه بالنمر يوم حارم قصيدة أولها (للكلماء من الدوام) يقول فيها
 حظيت من المعالي بالمعاني * ولذا الناس بعدك بالاسامي
 عزير المثنى على المراقى * بعيد المرتضى على المسامى
 فما أحد الى الطياء يدلى * بمعدك القسي القسامى
 أبوك المعلى فم الاعادى * اذا استعرت مذامرة القمام
 زكاعرق العراق وقد نسكنى * به وأطال من شمع الشأم
 وجدك جدت حتى قال قوم * على الفلك أبتنى عمدا لحيام
 نغمرت ففت أباه عظاما * اذا فخر المنافس بالعظام
 وقفنا والنواظر معجبات * وروح العزذاري الحتام
 أساطر كاز بور مفصلات * كأننا من صلاة في نظام
 لى ملك مجاباه سجال * تعاقب بين عفو وانتقام
 كريم أكثرته أيدى العفافة * وقلت عدد الكرام
 فأهلنا السالف سنى هلال * وكفرنا لضا حكى حسام
 ذهلنا والسماط نخال سبطا * وقد سجد للمقاو للسلام
 هل البست امتقل بليت غاب * أم الفلك ارتدى بدر التمام
 يطربه الى العليا نفس * غروب عن ملاءمة الملام
 وخبر سماعه ضرب مدام * اذا طرب السلوك الى المدام
 سقى الله العوامل من جبال * سعن النفع عن تقع الاوام
 فك انتجت من أمل عقيم * بها وحت من داء عقام
 باب والعال كان ثولا * تطاوح تحت غير من ايام
 مقام كنت قطب رحاه أرجى * مقام بين زمزم والمقام
 رديتهم بار عن مرجح * ابارهم وكنت أبر رام
 وقت وقد تناعس كل راع * وقام وقد تناعس كل حام
 فايدى الخيل تذرع بحرج * من الدم من يد التشنج طام
 أملت الدين فيه وكان هما * عزير القوم معبدل القوام
 وفي شعير اطعم شاجرهم * سواهم كالسهم بكالسهم
 فلو قد مثل الاسلام شخصا * لشف ما وطئت من السلام
 فاكذب مدعين هفوا وغروا * بان الارض تخلو من هام
 أولى الابصاركم هذا التعاشى * عن النور المبين بل التعاشى
 هن القمر الذى يجلوه ظل السواصم في ضيا الليل التهاى
 هو المهدى لامن ضل فيه * كثير واسخف سوى هشام
 وقائم عصرنا لا مامنى * بمن صوغ أضغان المنام
 بنور الدين أنشر كل حق * أطبل نواره تحت الرجام
 وطالت قبة الاسلام حتى استوت بين الفوارس والنعام

تطابق لاسمه لفظ ومعنى * أحله الطباق على الأنام
جري قدامه من سببكتين * وقبل الويل هيبة الرهام
وكان من العوم بحيث نوى * اليه من هنيات التكاثر
وجئت قصار أشيخ ما بناء * لما شيدت الأنعام رقام
أطاعك إذ أعطت الله جنة * ركبت به الزمان بلا زمام
ألا يارعا تفرق الاسامي * وفاضل منها درج التسامى
جنى شرفا من استغوا محنت * اليك وصكم حياة من حرام
ترشفك الكفاة وأنتموت * كالمك من طعان في طعام

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى توفيه نور الدين إلى ناحية حلب في بعض عسكر في الرابع والعشرين من صفر
هذه انتهاء خبر الفرنج إليه بعثهم في أعمال حلب وأفسادهم وبمادة في طريقه إلى مصر بغير عسكر والجلي بالافرنج
الفسدين على حارم وقتل جماعة منهم وأسروهم ووصل مع البشارة فوافقه من رؤس الافرنج المذكورين وطيف بها في
دمشق قال وعاد نور الدين إلى دمشق في بعض أيام رمضان سالها بعد حلب وأعمالها وتقدا حوالها واستقرت
المراعاة بينه وبين والده السلطان مسعود صاحب قونية وزال ما كان حدث فيها وفي شوال تقررت المودة
والهادنة بينه وبين مدني الافرنج مدة سنة كاملة أولها شعبان وإن المقاطعة المحجولة لهم من دمشق ثمانية أشهر بدار
صورية وكتب الموصلة بذلك بعدئذ كيد هابا لا يمان والموانيق المشددة قال وفي العشر الاثني عشر من ذي الحجة غدر
الفرنج وتعضوا ما كان استقر من المودة والمهادنة بحكم وصول عدو كفره من الفرنج في البحر وقوة شوكتهم بهم
ونهبوا إلى ناحية الشعراء المجاورين لانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكرة والاربعين وعوامل فلاح
الضياح ومواشي الحلايين والعرب والفلاحين الشيء الكثير الذي لا يحصى فيذكر الحاجة إلى الرعي بها والمكون
إلى الهدنة المستقرت وقوع للتدوين بحفظه وتصريفاته تهرؤا الفرصة واستاقوا جميع ما وجدوه وأخروا أهلها منه مع من
أسروهم من تركين وغيرهم وعادوا غنائم من ظفر من أميين والله عادل في حكمه بتولى المكافأة لهم والدالة منهم وقد فعل
سبحانه ذلك على ما سياتي في حوادث السنة الآتية وفيما توفي القاضي أبو الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس
كاتب الانشا بالمحضر بالمصرية وأصله من دمياط ذكره النعمان الكاتب في الحريدة وأثنى عليه ومن شعره في رجل
كان يكثر التكبير في آخر الصلاة

وفاتر انيسة عينيها * مع كثرة الرعدة والمهز
مكبر سبعين في مرة * كأنه صلى على حمزة
وله في وصف كتاب

مداده في الطرس لما بدا * ثيله الصب ومن يزهد
صكا غما قد حل فيه ألما * أوزاب فيه البحر الأسود

ولفتي أن القاضي الفاضل كان بعظمه كثير أو سمى هذا البلاغتين وهو أحسن اشتغل الفاضل عليه وكان
لا يتحسكن من اقتباس فوائده غالباً إلا في كرويه من القصر إلى منزله بمصر ومن منزله إلى القصر فيسار بالفاضل
ويجاريه في فنون الكتابة والآداب والشعر قال وفيما في يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول من هذه السنة توفي
الغنيمة الزاهد أبو البیان بن محمد المعروف بابن الحوراني وكان حسن الطرية مقمداً أصيلاً إلى أن قضى متديناً تقياً
عفيفاً مريضاً بالهلال والأدب والمطالعة لغة العرب وكان له عند ترويح سرير لقبره مقابر الباب الصغير المجاورة
لقبور الصابغة من الشهداء رضي الله عنهم يوم مشهور من كثرة التأسفين له والمتنين عليه قلت وفي هذه السنة توفي
بعدها كثرة الزلزلة بالشام قال أبو يعلى في ليلة الثاني والعشرين من ربيع الأول واغترز ليلته هائلة وبات قبلها
وبعداً من هائل في النهار وفي الليل ثياباً بعد ذلك ثلاث دونهن بحيث أحصين ست حرات وفي ليلة الخامس والعشرين
من جمادى زلزلة أرباع الناس من هائل في النهار وآخره تواصلت الأخبار من ناحية حلب وجاء بها بئس ما مضى

كثيرة وانهدم من مرج من أبراج اقامية بهذه الزلازل المباركة وذكر ان الذي احصى عدده منها تقدير الاربعين وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصار الحالية وفي التسامع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزلة آخر النهار وبالليل ثابته في آخره وفي أول شهر رمضان زلزلة مروعة وثانية وثالثة وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل وأخرى وقت الظهر وأخرى هائلة أيقظت النيام وردت الغلوب انتصاف الليل وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق وعند الصباح أخرى وفي الليلة التي يليها زلزالان أولها وآخرها وفي اليوم الذي بعده يومها وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة من عجة وفي ثاني شوال زلزلة أعظم ما تقدم وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل وليلة الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف أهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثر ذلك فيها وانهدم مساكنها وما شيز رفان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير وأما كفرطاب فهرب أهلها منها خوفا على أرواحهم وأما حماه فكانت كذلك وأما باقي الأعمال الشامية فما عرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة والله أعلم بما ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاها أخرى وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها وتواصلت الاخبار من الشام بعظيم تأثير هذه الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت أربع زلازل وضع الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان وترادفت الاخبار من ناحية الشمال بان هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيرا أعرج أهلها وأقلقهم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماد وكفرطاب واقامية وهدمت ما كان بني من مهدوم الزلازل وحكي ان تيماء أثرت فيها هذه الزلازل تأثيرا مهولا وفي رابع رجب فيها رافت بدمشق زلزلة عظيمة لم ير مثلها فيما تقدم ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم ومنازلهم وهر يوم اس الدور والسقايف وانحروا أو أثرت في مواضع كثيرة وروى من فم الجامع الشئ الكثير الذي يجزع عن اعادته ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنت تابعدرة من حركتها ثم تبع ذلك في أول ليلة اليوم المذكور زلزلة توفي وسطه زلزلة وفي آخر زلزلة وفي ليلة الجمعة ثامن رجب زلزلة مهولة أرعبت الناس وتلاها في النصف منها ثانية وعند انسلاج الصبح ثالثه وكذلك في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما اسود معامه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماه وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجم الفقير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير وأما شيز رفان وبضها سلم الا ما كان خرب أولا وأما حصن المشهور فانه انهدم على واليهما ج الدولة بن أبي العساكر بن منقود من تبعه الا اليسير من كان خارجا وأما حمص فان أهلها كانوا قد اختلفوا منها الى ظاهرها فسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها وأما حلب فهدمت بعض دورها وخرج أهلها منها الى ظاهر البلد وكفرطاب واقامية وما والاها ودنامها وبعدها من الحصون والمعاقل الى جبلتها رجيل وأتلفت حليمة وما اتصل بها الى ناحية ارجبة ومجاورها ولوم يدرك العباد والبلا ورجة الله تعالى واطقه ورأفته لكان الخطب أقطع وقد نظم في ذلك من قال

روعتنا زلازل حداثات * بقضاء قضاير رب السماء
هدمت حصن شيز وجماعة * أهلكت أهلها بسوء القضاء
وبلاد كثيرة وصحونا * وقبور أمواتات البناء
واذا مارنت عيون اليها * أجرت الدمع عندها بالدماء
واذا ما ضنى من الله أمر * سابق في عبادته بالفضاء
حارثت قلب اليبس فيهموم كاه * نه فطنة وحسن ذكاء
وتره مسجبا بأكسى العيسس مروعا من سحقته وبلاء
جلد ربى في ملكه وتعالى * عن مقال الجهال والسفهاء

قال وأما أهل دمشق فلما واقعهم الزلزال في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولاء وأجلوا من منازلهم والاماكن المسقفة الى الجامع والاماكن الخالية من البنيان خوفا على أنفسهم وواف بعد ذلك أخرى ففتح البلد وخرج الناس الى مظاهره والبساتين والعصراء وأقاموا عدة ليلال وأيام على الخوف والجوع وسجون وبهلون ورغبون الى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم قال وفي الرابع والعشرين من رمضان وافقت دمشق زلزلة عظيمة تروعت الناس وأزعجتهم والموقع في نفوسهم مما جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها ووافقت الاخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقت من دورها وجدرانها العدد الكبير وانها كانت بحجم أعظم مما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عرقها من بيوت تلجئ اليها وانها دامت فيها أياما كثيرة في كل يوم عدة واخرة من الرفقات الهائلة يتبعها اصحاب مختلفات توفي على أصوات الرعود القاصفة المترجحة فسيحان من له الحكم والامر وتلا ذلك زلزال في ردفات متوالية أخف من غيرهن فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافقت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء آخرها زعج وأظفقت وتلاه في أثرها زلزال خفيفة وكذا في ليلة العاشر من ذي القعدة وفي غدها زلازل وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه أيضا زلازل تفر الناس من هولاء الى الجامع والاماكن المنكشفة وضجوا بالكبير والتهليل والتسليم والدعاء والتضرع الى الله تعالى وفي يوم الجمعة أنسلخ ذي القعدة وافقت زلزلة رجفت لها الارض وازعج لها الناس وقال ابن الاثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزال شديدا ذات رجفات عظيمة متتابعة آخرت البلاد واهلكت العباد وكان أشدها مدينة جاء وحسن شيرزافانها من بابارة وكذا ما جاورها تحصن باريين والمعرة وغيرها من البلاد والقرى اياها هلك ثقب الهدم من الخلق ما لا يحصىه الا الله تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الا فرغ من حصار ولا قتال قال ولقد بلغني من كثرة الهلكى ان بعض المحليين بما ذكرناه فارق المكتب لهم في ان الزلزلة فاخرت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعه قال المصلح فلم يأت أحديسأل عن صبي كان له في المكتب قتل وقرأت في ديوان الامير الفضل مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقود قال في الزلازل التي اهلكت كثيرا من أهل الشام وكان ابتداءها في شهر الله رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وهلك بها من هلك من الخلق وكان نحو ما عشرة آلاف نسمة قال وكتب هذا المكتوب والزلازل الى الآن تتعاهد البلاد

فمنعنا الموت والمعاد وأصبحنا نأمن بالدينين احلاما

فكرتنا هذى الزلازل أى • تيقظواكم بنام من ناما

وقال أيضا

ايها الفقائلون عن سكره ما • تاذل يسوغ في الخلق ريق

كم الى • كهذا التشاغل والتفـ له حارسارى وضل الطريق

انما هزت الزلازل هذى • درى بالفاطلين كي يستفيقوا

وقال في الزلازل أيضا وقد سكن الناس بعد الدور والزهقة في كواخ عموها بالاحشاش ببلات هذال زلازل

بأرحم الراحمين ارحم عبادك من • هذى الزلازل فهي الهلك والعطب

ما جبت بهم أرضهم حتى كأنهم • ركاب بحر مع الانفاس يعطرب

فنصفهم هلك واقفا ونصفهم • لمصرع السلف الماضين يرتب

تقوضوا من مشيدات المنازل • لا كواخ فهي قبور سقطها خشب

كأنها سفن قد أقبلت وهم • فيها فلا ملجأ منها ولا هرب

وقال يرى أهل الذين هلكوا بالزلازل يحسن شيرز قسيدة منها

ما استدرج الموت قوى في هلاككم • ولا تحرمهم مشى ووجدانا

فكنت اصبر عنهم صبر عتسب • وأجد الخطيب فيهم عز او هانا

واقعدى بالورى قبلى فكفقدوا • أنا وكفارقوا أهللا وجيرانا

مكتاب (١٠٦) الروشتين

لكن مقيت المنايا وسط جمعهم * رغاغروا على الاذقان اذعانا
 وفاجأتهم من الايام قارعة * سقتم بكؤوس الموت ذيفانا
 ما تواجعا كرجع الطرف واقترضوا * هل ما ترى تارك اللعين انسانا
 اعزز على بهم من معشر صبروا * على الحفظ قلان ذلولقة لانا
 لم يترك الدهر من بعد قد هم * قلبا أحفهم صبرا وسلاوانا
 فلوروا في لقاولا مات أسعدنا * وعاش لهم هو الاذان اشقانا
 لم يترك الموت منهم من يخبرني * عنهم فيوضح ما قالوه تيسانا
 بادوا جيعا وما شادوا فواجبنا * للخطب اهلك عمارا وعمرانا
 هذى قصوهم أمست قبورهم * كذلك كانوا من قبل سكانا
 ومع الزلازل أفنت معشري فادا * ذكرتهم خلتي في القوم سكرانا
 لا التقي الدهر من بعد الزلازلما * حيث الاكبر القلب حيرانا
 أخذت على معشري الادنين فاصطلمت * منهم كولا وشبانا وولطانا
 لم يجمع حصنهم منها ولا رهيت * بأستبارده الاقران ازمانا
 ان اخفرت شيزر منهم فهم جعلوا * منيع اسوارها يضا ونرصانا
 هم جوها فلوشاهدتهم وهم * بها شاهدت اسادا وخفانا
 زاهم في الوري أسدا ويوم ندى * غيثا مغيثا وفي الظلماء رهبانا
 بنوا بي وبنو عى دى دمهم * وان أرونى مناواة وشنانا
 يطيب النفس عنهم انهم رحلوا * وخلفوني على الازار عجلا

وكتب اليه الصالح نزليل قصيدة يترى عن أهله منها

بابي شخصك الذي لا ينيب * عن عياني فهو البعيد القريب
 يا خيلاي بالشام ان غيبتكم فشقوا اليكم لا ينيب
 غصبتا الايام قره لكم مناولا بد ان تزد القصب
 كره الشام أهله فهو محقو * في بأن لا يقيم فيه لييب
 ان تجلبت عن طحروب قليلا * خلقتما زلازل وخطوب
 رقصت ارضه عشية غنى الرعد في الجوق والكريم طروب
 وثقت حيطاته اذما التها شمال بزمها وجنوب
 لا هبوب لنا ثم من أمابيه وللعاصفات فيها هبوب
 وأرى البرق شامتا ضاحك السن والحو بالانعام قطوب
 ذكروا انه يذوب به المصعب فما المصوب ايضا تذوب
 أبذب أصابها قدرا لله فلا رضى كالا نام ذوب
 ان ظني والظن مثل سهام السرى منها الخطى ومنها المصيب
 ان هذا لأن غدت ساحة القدر * سوا لا سلام فيها نصيب
 منزل الوحي قبل بعث رسول الله فهو المحجوج والمحجوب
 نزلت وسطه المختار برا والخمر وبارى التاقوس فيه الصليب
 لوراء المسبح لمرض فعلا * ذكروا انه له منسوب
 لم يفتنى على ديار من المكان أقوت فليس فيها عجيب
 ان تقصصكم ثواب ملا * لتلكم دون من سوا كمثوب

في الخيل (١٠٧) الدولتين

أبعد الناس عن عبادت رب الناس قوم الالههم مصلوب
فاحسبوا ما أصاب قومك بمجد الدين واصبر لما حدثت من روب
فكذلك التفتا بكسر يوم السرور من مصادرو وتبقى الكعوب

وقرأت في ديوان العرقة كان المولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عبيد غلام المولى وكان عبيدهما موصوفا
بالثقل في بيت بمدينة حماد يوم الزلزلة وقعت المدينة بأسرها سوى ذلك البيت الذي هباه فقال العرقة
قل لصلاح الدين رب الندى * بلغ عبيدا كل ما أصبه
نقل لهما نضاجهما * سلك الله من الزلزلة

وقرآن في بعض كتب أبي الحسين الرازي عن شيوخه أنه وقع دمشق في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين
ولازل عظيمة حكى عنها نحو مما مضى ذكره وأكثر نسال الله تعالى تمام العافية

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى في ثالث عشر ربيع الأول توجه نور الدين إلى ناحية بعلبك لتتقدأحوالها
وتقرر أمر المستحقين لها وتواصلت الأخبار من ناحية حصن وجاما غار تالفرغ الملاحين على تلك الأعمال وفي
خامس عشر ربيع الأول ورد البشركم من العسكر المنصور برأس الماء بأن ناصر الدين أمير أميران لما انتهى إليه خبر
الفرنج أنهم قد أتوا سرية وأفرأه العدد إلى ناحية بانياس لتقويتها بأسرع النهضة اليهم وعدتهم سبعمائة فارس سوى
الرجالة قادرهم قبل الوصول إلى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من جامتها وأوتعهم وقد كان كن لهم في مواضع
كثما من تبعان الأثران واندفع المسلمون بين أيديهم في أول المجال وتظهر عليهم الكثرة فأنزل الله نصره على المسلمين
بحيث لم ينج منهم إلا القليل وصاروا بأجسامهم قتيلا وجرحا ومسلوبا وأسيرا وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم
وسلاحهم وأموالهم وأسراهم ورؤس قلائهم ما لا يحصى وكثرة محقت السيوف عامر جراتهم من الأفرنج ومضى جبل
عاملة المضامين اليهم ووصلت الأسرى ورؤس القتلى والعدد إلى دمشق وطيف بهم وقد اجتمع لسان أهدتهم الخلق
وكان يوم مشهد وادوا فخذ نور الدين إلى بعلبك جماعة من أسرى المشركون فأمروهم بغير أنفاقهم صبرا قال ونبع
هذا الفتح ورد بالبشرى الثانية من أسد الدين باجماع العدد الأكبر إليه من شعبان التركان وأنه قد نافر من المشركون
سرية وأفرأه ظهرت في عاقله من ناحية الشمال فانهزمت وتحتطف التركان منهم من ظفروا به قال ووصل أسد
الدين إلى بعلبك في العسكر من مقدى التركان وابطأ لهم لجهادهم في العدد الكثير والجسم الغضروا جميعا ونور الدين
وتقرر أن الحمال على قصد بلاد المشركون لتدويجها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق في أواخر
آلات الحروب وتجهزها إلى العسكر بحيث يقم أياما بسيرة ويتوجهوا أمر بالبدء بدمشق في الغزاة والمجاهدين فتبعه
من الأحداث والطوطة والفقهاء والصرفية والتمدين خلق كثير وخرج يوم السبت أنصلاخ شهر ربيع الأول وفي
سابع ربيع الآخر عقيب نزول نور الدين على بانياس ومضايقته لها بالاختصاف والحرب سقط بدمشق الطائر من
العسكر المنصور فظاهر بانياس يخضع كتابه الأسلام وورد بالبشركم من عسكر أسد الدين ناحية هون في التركان
والعرب بجان الأفرنج خذلها لله تعالى أنها سارية من أعين مقدسهم وابطأ لهم تريد على مائة فارس سوى أنباهم
لكبس اند كورين ثلثا منهم بأنهم في قل ولم يعاينهم في أوف قلاذوا منهم وثبو اليهم كلابون إلى قرانها فأطبقوا
عليهم بالقتل والامر والسلب ولم يبق منهم إلا الأسير ووصلت الأسرى ورؤس القتلى وعددهم من الخيول المختبة
والطوارق والقتل يات إلى دمشق وطيف بهم في يوم الاثنين تالي اليوم المذ كور قال وتلاهذه الموهبة المتعددة
سقوط الطائر من العسكر المحروس بانياس في يوم الثلاثاء تالوا كوريز كراقتا مدينة بانياس بالسيف فخر اهل
مضى أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذ كور عند تنهاى النقب والاطلاق النار في سقطط البرج المنقوب وهموم
الرجال فيه وبذل السيوف قتل من فيه ونهب ما حواه وانزأ من سلم إلى القلعة والحصار هم بها وان خلعهم بمشقة الله
تعالى لا يبطي والله يسهله ويجهه قال وأحق بعد ذلك أن الفرنج تجمعوا من مقابلهم عازمين على استنقاذ الهنفرى
صاحب بانياس ومن معه من أصحابه المحصورين بدمشق بانياس وقد أشرفوا على الحلاك وبادروا بالوقوف السؤل
لنور الدين الامان ويسألون ما في أيديهم من القلعة وما حوته ليخبروا سائلين فلم يجبههم إلى ما سألوهم وبقوا فيه فلما وصل

ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازل على باناس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها اتفقت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستخلصوا من كان فيها وحين شاهدوا ما عم باناس من احوال سورها ومنازل سكانها يشعرون عجزا عنها بعد خرابها قال وفي التاسع جمادى الاولى سقطت الالمبار والكتب من المعسكر النوري تتعين الاهلام بأن الملك العادل نور الدين اعز الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملاحدين طبرية وباناس نهض في عسكره المنصور من الانزل والعرب وحلف الصير فلما شاركهم وهم غيارين وشاهدوا رايته قدما ظلتهم يادروا بلبس السلاح والركوب واقتربوا أربع فرق وحلوا على المسلمين فمئذ ذلك ترجل الملك العادل نور الدين فترجلت معه الابطال واهقوهم بالسهم ونحرصان الرماح حتى زلزلتهم الاقدام ودهمهم البوار والجمام فانزل الله نصره على المسلمين ونكسهم وامن قريساتهم قتلا واسرا واستأصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكبير فلبثت منهم غير عشرة نفر وقيل ان ملكهم لعنه الله فيهم وقيل انه في جلة القتلى ولم يعرف له خبر ولم يقم من عسكر الاسلام سوى رجلين أحدهما من الابطال المذكورين وقتل عند حضور اجله الى رحمة الله والاخر شريب لا يعرف وكل منهما مضى شيئا من اياها ما جوار رحمة الله وقتل أربعة من شجعان الكفرة واملائات ايدى العساكر من خيولهم وعددهم وكرامتهم واناث سوادهم وحصلت كنيتهم في يد الملك نور الدين بالآلة المشهورة وكان قصاصا من ابطالهم ومعهم اربعة من راياتهم ورؤس انقتل الى دمشق يوم الاحد تالي يوم الفتح وقدرت رواعي كل جبل فارسين من ابطالهم ومعهم اربعة من راياتهم مشهورة وفيها من جلودهم وشعرها عذوة والمقدمون منهم وولاء العاقل والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزرديّة والحوزة وفي يد رايته والرجال كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر في جبل وخرج من أهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عد من الشيوخ والشبان والنساء والصبيان لما شاهدوه ما منح الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المبين وأكثر واشكر الله تعالى والدعاء انور الدين المحامي عنهم المرائي دونهم والثناء على مكارمه والوصف لمحاسنه ونظم في ذلك أبيات في هذا المعنى

ما رأيت فيما تقــدم يوما * كامل الحسن غاص في البها
مثل يوم الفرج حين هتتم * ذلة الاسر والبالد القضاء
وبراياتهم على العيس زفوا * بين ذل وحسرة وعناء
بعد عزهم وهبة تذكر * في مصاف الحروب والمجابه
هكذا هكذا هلاك الاعادى * هتدش الاغارة الشعواء
شؤم أخذ الجشار كان بالا * عمهم في صباحهم والمساء
تعضوا دقة الصلاح يجهل * بعدتنا كيدها بحسن الوفاء
فلقوا بغيبهم عما كان منهم * من فساد يجهلهم واعتداء
لاحي الله شملهم من شلت * بمواض تفوق حد القضاء
جزاء الكفور وقتل وأسر * وجزاء الشكور خير الجزاء
ولرب العباد حمد وشكر * دائم مع تراصل النعماء

قال وشرع نور الدين في قصد اعمالهم لقتلها وتدميرها والله المعين والموفق وقال ابن أبي طي في سنة اثنتين وخمسين اغارت الفرنج على بلد حص وجاوا فسدولوا اكثر والبيت واتصل ذلك بنور الدين فانهض اليهم عسكرا كثيفا فاقامهم وجزهم الى ارض باناس وخرج نور الدين حتى نزل على باناس وحاصرها أشد حصار حتى افتتحها في الثامن والعشرين من ربيع الاول وأخذ جميع ما كان لافرنج فيها وأنفذ النقية والاسارى مع أسد الدين الى دمشق وأنفذ معه مقدار ألفي رأس واتصل ذلك بالفرنج فانهضت الى معارضة أسد الدين قطعت من خيالتها واتصل هذا بأسد الدين وقصدته الفرنج فليس لامتنعوا منهم جماعتهم مما ليكه بين يدي العسكر وأمر الرجال ببقاء الفرنج وناجزهم الحرب فلم تأسسوا بين يديه ورجعوا على أيديهم وتبعهم مقدار فرسخين يقتل ويأسروهم منهم غنيمة حسنة وعاد الى

اصحابه فلما فرأوا توجه في وجهته مؤبدا

(فصل ١٠) قال الرئيس أبو موسى وفي العشرين الثاني من حادي الأجرة توصلت الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كبير للفرق على انطاكية وأوجبت الصورة خمر المهاتمين نور الدين وملك الأفرنج وشكرت المراسلات بينهما والاتراحتوا والشاجرات بحيث فسد الأمر ولم يستقر على مصلحة بوصول نور الدين إلى مقر عزه في بعض عسكره وأقر باقيه ومقدمه مع العرب بأزاء أعمال المشركين قال وفي الثالث رجب توجه نور الدين إلى ناحية حلب وأعمالها لئلا يدمر ما فيها وأعان النظر في حاجتها عند ما علم المشركون فيها وقربت عساكر الملك ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم ذكر نور الدين وهو بوضع في عساكره من دمشق إلى بلاد الشام عند انتهائها الخبر إليه بتجمع أحراب الفرنج خلفهم الله وقصد لهم لها وطعمهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابة لها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في أعمالها ونفورها لما يتبها والذب عنها وإيتاس من مسلم من أهل حصن وشيزر وكفر طاب وجامه وغيرها بحيث اجتمع اليهم العدد الكثير والجمل الكثير من رجال المعافل والأعمال والتركمان ونحوهم بهم لئلا يجمع الفرنج بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الفساد فلما مضت أيامهم من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء امر من حاد فلما اثبت به وخاف منه في نفسه استدعى أخاه نصر الدين أمير أميران وأسند الدين شيركوه وأعيان الأمر الموالقين وأوصى اليهم بالاعتصام بأبيه واستصوبه بوقر معهم كون أخيه نصر الدين القائم في منصبه من بعده والسادة لثمة فقد لا شتهار بالشهامة وشدة اليأس يكون مقبلا بحلب ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصر الدين واستخلف الجباة على هذه القاعدة فلما تقرر استدبه المرضى توجه في محفة إلى حلب وحصل في غلظتها ونوجه أسد الدين إلى دمشق لحفظ أعمالها من فساد الأفرنج وتوصلت الأراجيف بنور الدين فقلقت النفوس وازيجت القلوب فتفرقت جوع الملعين واضطربت الأعمال وطمع الأفرنج قصدوا مدينة شيزر وجمعوها وحصلوا فيها فقتلوا وأسروا ونهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيلية وغيرهم وظهروا عليهم وقتلوا منهم وأخرجوهم من شيزر وأتفق وصول نصر الدين إلى حلب فأغلق وإلى القلعة مجد الدين في وجهه الأبولي وعصى عليه فقاتلوا أحداث حلب وقالوا هذا صاحبنا ومالكنا بعد أخيه فزحفوا إلى السلاح إلى الباب المبلد وكسروا أغلظه ودخل نصر الدين في أصحابه وحصل في البلدة قامت الأحداث على وإلى القلعة باليوم والانتكار والوعيد واقتدروا على نصر الدين اقتراحات من بطنها عادية منهم في التأذين على خير العمل محمد وعلى خير البشر فأجابهم إلى ما رغبوا فيه وأحسن القول لهم والوعيد نزل في داره وأنفذ وإلى القلعة إليه وإلى الحلبين يقول مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان إلى ما قبل حاجة قتل القنبل في ذلك الوقت وإلى مصداق القلعة من شاهد نور الدين حيا ففهم ما يقول وما يقال له فأنكر ما جرى وقال أنا أصغر للاحداث عن هذا الخطل ولا تأخذهم الزلل وما طلبوا الإصلاح حال أخى بولي عهدى من بعدى وشاعت الأخبار وانتشرت البشائر في الاقطار بعاقبته فأنتست القلوب بعد الاستعاش واستعجت النفوس بعد التلقى والازعاج وتزايدت العافية وصرفت الحلم إلى مكاتبات المقتدين بالعدو إلى جهاد الملاحين وكان نصر الدين قدولى مدينة حران وما أضيف إليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الأخبار بالبشائر إلى أسد الدين بدمشق بعاقبة نور الدين واعتزاه على استدعاء العساكر الإسلامية للجهاد سارع النهوض من دمشق إلى حلب ووصل إليها خيله فاجتمع بنور الدين فأكرم لقاءه وشكر مسعاه وشرعوا في حياة الأعمال من شرع نصب الكفر والاضلال قال وتطمت هذه الآيات في هذا المعنى

لقد حسنت صفاتك يا زمانى * وفزت بمجاويز من الامانى

فبك أصبحت منى ناعا لحوف * فبذلك الخلق بالامان

وطابت أرا جيف علك * عظيم الشأن مسعود الزمان

فرقت القلوب من البرايا * وصارت شعاعها مثل الجبان

ونارت قننفة تغشى أذاها * على الاسلام في قاص ودان

ورلى بعد ذلك بشير صدق * بعاقبة الملك مع التبانى

فولى الخوف منهم للبلاني * وعاد الامن معمورا لمخاني

قال ابن ابي ملي وفي هذه السنة كانت الزلزلة التي هدمت شيزون فرج نور الدين وأخذها من بني منقذ وحملها الى مجد الدين بن الداية وسار الى سرمين لانه بلغه حركة الفرع فاعترضه هناك فمرض أشنى منه فاحضر شيركوه وأوصاه بالعساكر وان يكون الامر بعده لانيه نصر الدين أمير أميران قسار أسد الدين الى دمشق وأقام برج الصفر خوفا أن يفرض الفرع الى جهة دمشق أو غيرهما ولو لم يزل هناك حتى تعافى نور الدين فساد الى خدمته مهنتا له بالعافية وكان أخوه نصر الدين قد حاصر قلعة حلب في مدته مرض نور الدين فلما أفاق نور الدين من مرضه سبر ملي حوان وجعل ولي عهده أثناء قطب الدين صاحب الموصل قال وكان مجد الدين جامع في الملك لنفسه فحزم لامره وتوكل على الناس وجعل له أصحاب أخبار وشحن الطرقات والسبل بالرجال بتخيش الخارجين من حلب وغيرها والداخلين إليها قلت ولابن منير عثقتل نور الدين بالعافية من مرض غير هذا

يا خمس لا كسف ولا تكدار * ولا خلعت من نورك الانوار
البدر منقوص وأنت كامل * لك السرايا وله السراير
برؤك للاسلام من ادوائه * بر وفي اعداؤه بوار
ما أنت الا سيف صدا * عن مثته مضربه البشار
لو كان محولا أذى عن منفس * لجلتسه دونك الابصار
ولو فدت أرض سماء ساقط لا * ملوك في قدائك الامصار
أنت خياث محلمهم ان أجذبوا * وخبرهم ان ذكر الحبار
وفي سسر الملك منها ملك * لله في سراته اسرار
خير ملوك الارض جدا واما * ان هز عظمي ماجد تجار
مدح على الدين زوان دولة * تنازعت أسمارها البحار
هلت بناء وحلت في يده * فهي عليه السور والسوار
محمود المحمود عصر ملكه * فلجيا من مرضه اعتصار
يا نور دين أنتك آفاقه * لو لم تبلج هذه الاثار
لله يا ملك ما خطه * بالملك من اسفلها الاسفار
سلمت للاسلام نزع سرجه * اذا دنا رعايته وجاروا
شكوت فالدينا على سكانها * قروا جانبها القسار
كادت تموت الارض من اشفاقها * لولا شفاعة رقا تمار
زوت عليك الترك حبيب نسب * بحمدتها برته نزار
لا همت حنك الاماني رعا * معلى من الاقبال ما ينتار
ما سمح الدهر ان تبني لنا * فكل جرح مسنا جبار
وله من قصيدة أخرى

لا تؤذي لاتم الله شكرا * بك يا أعظم البرية قدرا
روز عشر وافي لاقلاع ذا * جعلا المنة المناة عشرا
أم مفناك ضامنا ان أيا * ملك تغني الاحقاب عصر افصرا
في محل له السما كان سمك * وجدود لها المنحة مجرى
أيما العادل المنظر لا قصصت شبا الدهر من شبا ملك ظفرا
جعل اقمه استهل من الاشهر ينهل في مغازيك نصرا
أبد انظر الثاني على سا * حنك الزهر في اللوامس نصرا

في أخبار (١١١) الدولتين

أنت أسرى الملوكة فما وقفا * والى أسرهم من الطيف أسرى
ملك عنده المشارب تستمرى واخلاف الجود تهرى تخفري
فلك الله من عثر بذر * بصطفى صالحا بمصدرا
عن ملك أصبحت في البيت منه * فوق كسرى عدلا وشعبا وكبرا
تقشر لطيبات القطر فطسرا * وتم الاعداء في النصر نعرا
يقضى من كسالك أنفس ملبو * من وقتيك منه أطول عمرا
أنت على ونحن ننظم ماتن * ثر القوم من مساعيك نثرا
صرف الله عنك عين زمان * بك صارت بعد الاصابة هري
وتوات لك القسوح الى ان * تملأ القافضين نهبا وأمرأ
كلا التبعيت ملابس نعمى * وتعلمين جنتك أخرى

وقال القيسراني من قصيدة

أشرق البدر يا جبين الهلال * فخلال وجهك المتلال
عن ليال حجين عنا سناها * انما غيبة الهلال ليالي
لم يكن عالم بالبحر شكوى * فتنبى لوافد الاقبال
لا ولا كان زائرا من مقام * انما كان طافنا من خيال
وعسكة أظمت وأنت صبح * وصبح النسيم بالاعتلال
أوما هذه السما سرار البدر فيها على طريق الكمال
نعم الله لا يخص بها الخا * لى الامن هكنا منته سبال
ولباس من المثوبة والغفران ألبست صالى الاذبال
فهنيئا لك البقاء وان كا * ن هنا يخص فيه المعاني
والثنى والندى ومعربة الخييل ويض الظبي وسمر العواى
والخلال التي اذا ما تجلت * صدرت منك عن كرم الخلال
ان وقتك النفوس ماتتوقى * خفيق قدى للوالى الموالى
أوقصصت في شعاع من التقوى * فما زلت منه في سرال
فتنى الله من أجل دوائيه صريح الله عامو الابتال
ملكا أبدا المخافة بالامن وأضى بعد في الابدال
وهو تاج الملوك فالملك العا * طل حال به على هكل حال
واذا التبران غا بافتور الدين شمس جفيرة الاصال
قدارت وجهك العلل ما يريها * وهى مرآة صالح الاعمال
وقضى الله ان نجح في الانحسار سام وان جئتك عال
هكل يوم هذا الحيا عجي * بالتهانى على يد الاقبال

(فصل) في ذكر حسن شيرز وولاية بنى متغذال بن الاثير وهو حسن قري بسم الله بينهما نحو من نصف نهار وهو من أمنع القلاع وأحصن على حجر عال له طريق منقور في طرف الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب فاذا قطع ذلك الجسر تعذر الصعود اليه وكان لا من متغذال كتابين يتولونه من أيام صالح ابن مرداس الى ان انتهى الامر الى الامير ابى المرحف نصر بن علي بن القلندر بن نصر بن منقذين نصر بن هاشم بعد أبي الحسن على فبقى بعبق تطوى الى ان مات بشيرز سنة احدى وتسعين وأربعمائة وكان شجاعا كريما صواملا قواما فخل حضر الموت استغفله أنما الامير بالسلامة من شير بن علي وهو والله أصام متغذال واقفه لا طين لولا ان يخرج

مكتاب (١١٢) الرضيتن

من الدنيا كما دخلتها وكان علما بالقرآن والادب كثير المصالح فولاها أثناء أبا العساكر سلطان بن علي وكان أصغر منه فاصطحبها أجل محبة مدة من الزمان فولد أبو سلامة من شدة أولاد د. كورف كبير وأوساد وانهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لأخي سلطان ولد ذكر إلى أن كبر فغاده أولاد فغدا أنه على ذلك فكان كالأمر أي صغارا ولا دوكر كالأولاد أخيه وسيلادتهم ساهم ذلك وخافهم على أولاده وسعى المفسدون بينهم قسيرا وكالمنها على أخيه فكتب الأمير سلطان إلى أخيه شعرا يابيه على أشبه بقلته عنه فأجابها مائة بيت جيدة في معناها وكان أدبيا شاعرا فنها

فصلوم أبت في الظلم الاتماديا * وفي الصد والمجران الاتناها
شكت هجرنا في ذلك والذنب ذنبها * فيا عجباً من ظالم جاعشاً كما
وطاوعت الواشين في وطلنا * عصيت عنولا في هواها وأوشيا
ومال بهاتيه الجبال إلى القلا * وهيات أن أسمى لها الدهر قالبا
ولا تلعبا ما أودعت من عهدها * وإن هي أبنت جفوة وتلعبا
ولما أتاني من قريضك جوهر * جعلت للعالي قبلي والمعاليا
وكنيت هجرت الشعر حيناً لأنه * تولى برغي حين ولي شبايا
وأين من السنين لفظ مفروق * إذا رمت أدنى القول منه عصيا
وقلت أختي برعي بني وأسرق * ويحفظ عهدي فيهم ونمايا
ويجزهم ما لم أكلفه فمسه * لنفسي قد أعددت من زائيا
فما لك لئلا أن حتى الدهر صدقي * ونظم مني صار ما كان ماضيا
تكرت حتى صار برك قسوة * وقربك مني جفوة وتنايا
فاصصت صغر الكف ما رجوت * كذا البأس قد عفي سبيل رجايا
على أختي ما حلت عما عهدت * ولا غيرت هذي السنون ودادا
قلا غير وعند الحادثات فأتني * أراكي بيني والآنم شماليا
تمن بها عدوا لو قرنت بها * فنجوم معام لم تعدد راي
تملت بدم من صفات زانها * كما زان منظوم اللاكي القوانيا
وعش بابنا للهود ما كان واهنا * مشيداً من الاحسان ما كان واهيا

قال وكان الأمر فيه في حياة الأمير بعض السمر فلما مات سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة قلب أخوه ولا ده ظهر المجن وبأدهم بما يسوهم وعمادت الأيام بينهم إلى أن قوى عليهم فخرجهم من شيزو وكان أعظم الأسباب في إخراجهم ما حدثت به عن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد قال كنت من الشعاع والاقدام على ما عمل الناس فينا أنا بشيزو وإذا قد أتاني إنسان أخبرني أن بدجلة يغار بها أسدا ضار بالركبت فرمى وأخذت سيفي وسرت إليه لا قتله ولم أعلم أحد من الناس ثلاثاً منع من ذلك فلما قربت من الاسد نزلت عن فرسي وربطته ومشيت نحوهم فلما رأني قصصوني وشب قسرت به بالديف على رأسه فأنطق ثم أجهزت عليه وأخذت رأسه في مخلاة فرمى وعدت إلى شيزو ودخلت على والدي وألقيت الرأس بين يديها وحدثها الحال فقالت يا بني فجهز الفرع من شيزو فوالله لا يكفك علك من المقام ولا أحد من اخوتك وأنت على هذا الحال من الاقدام والجرأة فلما كان القدام أمر عني بإخراجنا من عنده والزنايه الزاماً له فبه قفرت في البلادة فقصصوا الملك العادل نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عهم فلم يكفهم قصصهم ولا الاخذ بشارهم وأعادتهم إلى وطنهم لاشتغالهم بهاد الفرع وفوقهم أن تسلل شيزو إلى الفرع وبقي في نفسه وتوفي الأمير سلطان وولي بعده أولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرع فاشتد على نفسه وهو ينتظر الفرصة فلما خرجت الخلافة بالفرع ولم يسلم منها أحد كان باليمن فبادر اليها ولكها واضافها إلى بلاده وجرها وسورها وأعادها كما لم تقرب كذلك أيضاً فحل بمدينة حماء وكل

ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كاحسن ما كانت قلت وسأني ذكر اسامتين مرشدتي أنبار سنة
اثنين وسبعين وهي السنة التي قدم فيها دمشق من بلاد الشرق فذلك قبل ما خرج من شيراز سوطن دمشق ثم فارقه
الى الديار المصرية وكتب الى معين الدين ان اياك صاحب دمشق يعاتبني في أسباب الفسار فقصيدة أولها

ولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا * فليتسم حكوا فينا بما عملوا
وامرأ يوما بشكرى ما يرى بهم * ولا سمع في العاصم قدم
ولا صنعت لهم عهدا ولا أطلعت * على ودائعهم في صدري التهم
ظلمت شعري ما استوجبت هجرهم * ما وافضد هم عن وصلي السام
حفظت ما ضيعوا انصفت حين جئوا * وفيت اذ غدروا واصلت انصرموا
حرم ما كنت أرجو من وداهم * ما لزرقي الا الفتى قصري به القسم
وبعد لو قيل لي ماذا تحب وما * فتتار من زينة الدنيا بالقلت هم
لهم جمال الكرى من مقلتي ومن * قلبي محل المني جارا أو اجترموا
تبدلوا بي ولا ابني بهم بدلا * حسي هم انصفوا في الحكم أو ظلموا
يلغ أميرى معين الدين مالكة * من نازح الدار لىكن ودهام
وقل له أنت خير للترك فضلك * عياهم الدين والاقدام والكرام
هل لانت حياء أو محافظنة * من فصل ما نكرته العرب والعجم
استلنا وسيف الهند مفردة * ولم ير سنان السهمى دم
وكنك احب من والاك في حرم * لا يعتر به شيب ولا هم
وما طمان بأولى من اسامة بالوفاء * لكن جرى بالكائن القلم
هنا جنينا ذنوبا لا يكرها * عذرنا ذاجنى الاطفال والحرم
القيتهم في رضى الا فرج متبعا * رضى عدى يخط الرحمن فطهم
جزهم مثل تجري تخبرهم * فلارجال اذا ما جروا قسم

وهي طويلة طمان المذكور خادم تركى كان لا تملك ملائكة الامراء تركى بن اقسقنر هرب من خدمته الى دمشق
فطلبه وبلغ فيه فاشتمل عليه معين الدين الجينية وجاء فلما لج فيه سيرة العرب وقام له بما يحتاج الى ان رده لمقدمته
بدمشق وبقي لاسامة بمصر الى ان خرج منها مع عباس كما سبق ذكره واصر الفرغ اخاه نجم الدولة محمد بن مرشد
وطالب من ابن عمه ناصر الدين محمد بن سلطان صاحب شيراز لاعتاق في فكاك كمثل يفعل قال وادخر الله جهته اجر
خلاصه وحسن ذكره الملك العادل نور الدين رحمه الله فوهبه فارسام من مقدى النادوية يقال له المشطوب قد بدل
للافرنج فيه عشرة آلاف دينار فاستخلص به اخاه من الامر وبلغ اسامة ان القاضى كمال الدين بن الشهرزورى
أنشد نور الدين

ملك بنى متقد تولى * وكان فوق السما اسمكه
فاعتبروا وانظروا وقرلوا * سبحان من لا يزول ملكه
والمرءى ملك بنى برك فقير للثقل المتحل به في غرضه فاجازها اسامة بهذه الايات
وكل ملك الى زوال * لا يسترى ذا اليقين شكه
ان لم يزل يا اتقال حال * ازال ذا الملك عنه هلاكه
والله رب العباد باق * وهالك نده وشركه
فقل ان نظم البرايا * غرنا مهاله وتركه
تسمى ذنوبا عليك الحمى * بمصر هاتقد وحكه
كم تاسك نسكه راء * او رضى للعاد نسكه

كتاب (١١٤) الروشني

فاحذر فما يختفي عليه * من عبده صدقه وافكه

وما أحسن ما قال أسامة في كبره

مع الخائن عاث الضعف في جلدى * وساء لي ضعف رجل واضطر أبدي
إذا كسبت فخطي خط مضطرب * تكلم من تشك الكفين من تعد
فأعجب لضعف يدي عن حملها فلما * من بعد حطم القناني لية الأسد
وان مشيت وفي كفي العصي تقلت * رجلي كاني أخوض الوحل في الجلد
فهل لمن يحسني طول مدته * هنى عواقب طول العمر والمدة

(فصل) في بواقي حوادث سنة اثنين وخمسين قال الرئيس أبو يعلى تنصرفت الاخبار يظهر أمير المؤمنين المقتدي على عسكر السلطان المخالف لأمير المؤمنين ومن انضم إليه من عسكر الموصل وغيره بحيث قتل منهم العدد الكثير ورحلوا عن بغداد مفرقين مفلولين خاسرين بعد المضايقة والتأني في المحاصرة والمصارعة قال ووردت الاخبار في أوائل رجب بوفاة السلطان غياث الدين أبي الحارث خفي عن أبي الفتح بن البارسلان سلطان خراسان عقيب خلاصه من الشدة التي وقع فيها والأسر الذي حصل فيه وكان يحب العدل والإنصاف للربا ويحسن السيرة جميل الفعل وقد علت سنه وطال عمره وصح كان قد ورد كاية في آخر صفر من هذه السنة إلى نور الدين بالتشوق إليه ولا جاد لئلا له وما ينتهي إليه من جميل أفعاله وإعلامه ما من الله عليه به من خلاصه من الشدة التي وقع فيها والأسر الذي يلي به في أيدي الأعداء الكفرة من ملوك الترك كان يحبه دبرها وسياستها حكمها وقررها بحيث عاد إلى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع العساكر المتفرقة عنه عليه قال وفيها في شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ فخلص الدين أبي البركات عبد القاهر بن أبي جرادة الحلبى وهو الأمين على خزائن مال نور الدين وكان كاتباً لميفاع حسن البلاغة نظم ما وثرنا من حسن الفنون من التذهيب اليدى وحسن الخط المحرر على الأصول القديمة المستطرفة مع صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وقال وفيها رابع عشر شوال ورد الخبر من ناحية بصرى بأن واليها نور الدين سركك قتل غيلة بموافقة من أعيان خاصته وكان فيه أفرط في الحرز واستعمال التيقظ ولكن للقضاء لا يغلب ولا يدافع قال وفيها في أوائل ذي القعدة ورد الخبر من حصن بوقاق واليها الأمير للقب بصلاح الدين وكان في أيام شبينته قد حظى في خدمة عماد الدين زنكي وقد قدم عنده بثلثة أمتعة وسداد التبرير وحسن السيرة فوفاه بالرى ولما علت سنه ضعف عن ركوب الخيل والجأته الضرورة إلى الجل في المحبة لتقير الأحوال والنظر في الأعمال ولم يقص من حسبه وفهمه ما ينكر عليه إلى حين وفاته وخلفه من بعده أولاد في منصبه ولا يشه قال ووردت دمشق أمام من أمة قههاه بلغ في غضوان شبابه وغضارة عوده ما رأت أفهم من لسانه بلاغته العربية والفارسية والأسراع في جوابه يبراهته ولا طيش منه قلبي كاتبة أباو الحيات محمد بن أبي القاسم بن عمر السلي وعوظ في جامع دمشق عدة أيام والناس يستصنون وعظمه يستظفون فنه وسلاطة لسانه وسرع عقبيه وحسن خطاطره وصفاء محسه قال ابن الأثير وفيها في ذي الحجة توفي الأمير عز الدين أبي بكر الدينيسى صاحب جزيرة ابن عمر وكان من أكابر الأمراء يأخذ نفسه مأخذ الملوك وكان أقلاً حازماً ذارياً وكيداً مكر وملاك الجزرة قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل أخو نور الدين

شهدت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال الرئيس أبو يعلى في أوائل المحرم تنصرفت الاخبار من ناحية الفرنج المقيمين بالشام خذلهم الله تعالى بمضايقتهم لحسن حارم ومواطبتهم على رمية بحجارة النجاشيق إلى أن ضعف وملاك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات في الأعمال الشامية واطلاق الأيدي في العبث والفساد في معقلها وضياعتها بحكم فرق العساكر الإسلامية والحلف الواقع بينهم باشتغال نور الدين بمعايير المرض العارض له ووقته المشقة التي لا تدافع والأضيق التي لا تمنع وقال وفي صفر ورد الخبر والمدة بتزول نور الدين من حلب متوجه إلى دمشق واتفق الكفرة والملاحين نواز الطمع في شن الغارات على أعمال حوران والأقليم والاطلاق أيدي الفساد والعبث والأحراق والأحزاب في الضياع والذهب والسبي والأسر وقصد دار باوازل عليهم في أنسلاخ صفرو وأحراق منازلها

في أخبار (١١٥) الدولتين

وجوامعها والتناهي في آخرها وظهر اليهم العسكرية والاحداث وهموا بقصدهم والاسراع الى لقائهم وكفهم فنعوا من ذلك بعدان قروا منهم وحين شاهد الكفار خذلهم الله تعالى كثرة العدد الظاهر اليهم رحلوا في آخر الثمار المذكورة الى ناحية الاقليم ووصل نور الدين الى دمشق وحصل في قلعة سادس ربيع الاول سالما في نفسه وطلته ولقي بأحسن زينة وتزيين وتجميل واستبشر العالم بقدمه ما لم يعمدوا بهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والثناء له بدوام ايامهم مشرعى في تدبير أمر الاجناد والتأهب للجهاد قال وفي اواخر ربيع الاول ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق واقر من عسكرها الى غزة وقوسقلان واغاروا على ١٦٠ الف ما خرج اليهم من حكاكين بها من الفريخ الملاعين فاظهر الله تعالى المسلمين عليهم قتلوا واسرعتهم بطلت منهم الا اليسير وغنموا غنما طروا به وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدم التزلف والبحر نافر بعدة من مرابطيهم كبريائين وهي مشهورة بالفريخ قتلوا واسرعتهم العدد الكبير ومازمن اموالهم وعددهم وانتهى بها لا يكاد يحصى وعادوا ظافرا غنائم قتلوا وارسل الى مؤيد الدولة اسامه بن مقدم من مصر ووزرها الملك الصالح ابوا القارات طلائع بن زريق قصيدة يشرح فيها حال هذه الغزاة ويحرض فيها نور الدين على قتال المشركين ويذكره بما من الله تعالى عليه به من العافية والسلامة من تلك المرونة المقدم ذكرها لو كان كبير لايكاتبه بالامانة اعلام نور الدين بالغزاة فلهذا علموا اول هذه القصيدة

الا هكذافي الله تحضي العزائم * وتنضي لدى الحرب السيوف الصولوم
وتستدل الاعداء من طول عزهم * وليس سوى سمر الرماح سلام
وتعزى جيوش الكفر في هقدارها * ويوطى جهاها والا نوفر واغم
ويوبى الكرام لتأذرون بذرهم * وان بثلت فيها النفوس الكرام
نذرنا مسير الجيش في صفرها انستنى نصفه حتى انثى وهو غام
يعتنا من مصر الى الشام قاطعا * مقارون خد العيش فيهن داء
فما هاله بعد البيلار ولا نسي * عز يتجهج الظما والسعائم
يمسر والعصفور في حصر ذكره * ويسرى الى الاعداء والليل نائم
يبارى خيولا ما زال كائنها * اذا ما هي انقضت نسور قشاع
يسير بها ضرغام في كل مارق * وما يصعب الضرغام الا الضراغم
ورقتهم من الزمان وحاتم * ويحيى وان لاقى المشية حاتم
وواجههم جمع الفريخ بجملته * جهون على الشجعان فيا المزامم
فلقوهم زرق الاسنة وانطورا * عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم
وما زالت الحرب العوان اشدها * اذا ما تلاقى العسكر المتضام
يشبههم من لاح جمعهم * بلجة بجر موجها متلاطم
وعادوا الى خز السيوف قطعت * رؤس وحزن للفريخ غلام
فلم ينج منهم يوم ذاك مخبر * ولا قيل هذا وحده اليوم سالم
قتلهم بالرأى طورا وتلوة * تدوسهم منا لئذا كي الصلادم
فقلوا انور الدين لافل حسده * ولا حكت فيه للبلابل القواشم
فجهز الى ارض العدو ولاتين * وتظهر قنور ان مضت منك حارم
فما مثلها تبدي احتقالاته ولا * بعض عليها لالوك الاباهم
فعدك من الطافريك ما به * علنا يقينا انه بك راحم
اعادك حيا بعد ان زعم الورى * بانك تدلا قيت ما الله حاتم
بوقت اصاب الارض ما قد اصابها * وحلت بها تلك الدواهي العظام
ونجم جيش الكفر في ارض شيزر * فسيقت سبايا واسفلت محارم

كتاب (١١٦) الروضتين

وقد كان تاريخ الشام وهلكه * ومن يحتويه انه لك عادم
 ققم واشكر الله الكريم بنهضة * اليهم فشكر الله الخلق لازم
 فحسن على ما قد عهدت زرعهم * ونحلف جهدا اننا لانسلم
 وغاراتنا ليست تفر عنهم * وليس نبي القوم منا الهزائم
 فاسطولنا اصعاف ما كان سائرا * اليهم فلاحسن لهم منه عاصم
 وزجويان يحتاج باقهم به * ونحوى الاسارى منهم والفنائم
 وكتب اليه ايضا

ياسيد اسمعوا بهمة الى الرب العلية
 قينال منها حين يحرق * مفسره أوفى مزيه
 أنت الصديق وان بعد * وصاحب الشيم الرضيه
 يهنيك ان جيوشنا * فعلت فعال الجاهليه
 سارت الى الاعداء من * ابطالها ماتنا سرية
 فتغير هذى بكرة * وتعاود الاخرى عشييه
 فالويل منها للفرنج فقد لقوا جهدا ليليه
 جاءت رؤسهم تلو * ح على رؤس السميره
 وقلائع قد سقطت * بين الجنود على السويه
 وخلاتق كشرت من السرى تقاد الى المنيه
 فانقض قد أنيت مجد الدين بالمال الجليليه
 والمم بنور الدين واعلم بهاتيك القضية
 فهو الذى مازال يخلص منه افعالا ونيه
 ويبيد جمع الكفر بالسبيض الرقاق المشرفيه
 ففساه ينقض نهضة * يفتى بها تلك البقيه
 اما لنصرة دينه * أو ملكه أو الحميه

وكتب اليه ايضا يقول

أيها المفتدى لانت على البعد صدق لنا ونعم الصدق
 ليس فيما تأتيهم من رافعا * لك اللطالبا الحقوق عقوق
 فلهذا نرى مواصلة الكتب تباعا اليك مما يليق
 وتناجيك بالهمم اذ انت بالقائم اليك خليق
 وأهم المهم أمر جهاد الكفر فاسمع فعندنا التحقيق
 واصلتهم منا السرايا فاشجبا * هم يكرموننا لهم وطروق
 وأباحت ديارهم فأبادا السقوم قتل ملازم حريق
 واتخذنا برزخنا نوره نور الدين علمنا بان مسيق
 وهو الآن في أمان من الله وما يستريه امرء يعوق
 مالهذا المهم مثلك مجد الدين فانقض به فانت حقيق
 قل له لاعداءه رأى ولازا * لاديه كل خير طريق
 أنت في حم داء طاعنة الكفار ذلك المرجو والمروم
 فاعنهم بالجهاد أجرك كي تلسق رفيقاه ونعم الرفيق

يا أمير الجيوش ما زال لا سلام ولا دين منك رهك وثيق
أسمعت دعوة الجهاد فلما • هاتيك بالكرامات خلق
ملك عادل أنار به الدين فم الاسلام منه شرور
ماله عن جهل الكفر والعد • له فعل الخيرات شغل يعوق
هو مثل الحسام صدو صقيل • لن مسه وحسد ذليق
ذواناة • قضاها القترهما • لا وفيها خف الاعادى المحيق
فاسل الاسلام كفين ما طرر زوب القتل ام يرق خفوق

وكتب اليه ايضا

قل لابن منقذ الدين • قد سار في الفضل الكمال
فلذلك قد اضي الانا • مهلى مكارمه عيال
حكم قد بينا فحولك • لشر صرعة مجالا
وصدعت عنها حينرا • مت من محاسنك الوصال
هلا فلتنا معا • لاحسين لم تبذل فضلا
مع اتنا فليك صبر راي المودة واحتمالا
وبشك الاخبار ان • أضحت قصارا أو طولا
سارت سراياتنا قصدا الشام تقصف الرمالا
ترجى الى الاهداء جر • والحيل اتباعا أو لا
تخفى خلف القنصا • رجاها وتأتينا قتالا
حتى لقد رام الاعا • دى من ديلهم رقتالا
وعلى الوعيرة معشر • لم يهدوا فيها القتالا
لما نأت عن عمى • يحصف بها يميننا أو شمالا
نهضت اليهم باخيلنا • من مصر فحمل الرجالا
والبيض لامة • ويض المندو الامل التالا
قتلت مكان لم يهدوا • في أرضها حيا حلالا
هنا وفي نيل البحر • لحلا في قتل التلالا
لذ مرمى ليس بلوى • لمحور رقتنا مستحلالا
واستاق عسكرنا له • أهلا بصيم ومالا
وسرى ابن فرج الطا • في طال بهو ومالا
سارت الأرض الخليل فلم تدع فيها خللا
فلو ان نور الدين يعمل فعلنا فيهم مشالا
وسير الاجناد جهرا • صكى بنا زلم نزالا
ورق لنا ولاهل دولته بما قد حكن قالا
رأيت لا فرج طرا • معاقها اعتقالا
وشبهزوا لسير نصو • والتربأ وتصدوا القتالا
وانا أبى الاطرا • حلتنصحة واعتزالا
عدنا بسلام الامو • رلحكم بناتنا قتالا

يا أشرف الوزراء اخلافا وأكرهم فعلا
 نهت عبدا طالما * نهته قدرا وحالا
 وعتبته فانتلته * فخرأوجدا لن ينالا
 لكن ذلك العتب يشعل في جوانبه اشتعالا
 أسفا لم يدخل عنه الى مساءته ومالا
 أما السر يا حنين تر * جمع بعد خضتها ثقلا
 فكذلك عاد وفودها * بك مثقلين ثنا ومالا
 ومسيرها في كل أر * ض تبتني فيها المجالا
 فكذلك فضلك مثل عد * لك في الدنيا سارا وجالا
 فاسلم لنا حتى نرى * لك في بني الدنيا مثالا
 واشدد يدك بدو * والدين والق به الرجالا
 فهو المحامي عن بلا * دالشم جمعان بذالا
 ومبيد املاك الفرنج وجمعهم حالا فخلا
 ملك يتيه الدهر والذنياب دولته اختيالا
 جمع الخلال الصالحا * ت فلم يدع منها خلا
 فاذا بدا لنا ظريبن رأيت عيونهم الكمالا
 فبقينا للساكنين حاما وللنديا جالا

وكتب اليه الصالح من قصيدة تقدم ذكرها في الزلز

ولعمري ان المناصع في الدين على الله أجره محسوب
 وجهاد العدو بالفعل والقو * ل على كل مسلم مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الامرين مذ كنت اذ تشب الحروب
 أنت فيها الشجاع مالك في الطعن ولا في الضرب يوما ضرب
 واذا ما قرنت خالنا شعر المفلق فيما يقوله والخطيب
 واذا ما أشرت فالعزم لا ينكر ان التدبير منك نصيب
 لا ترى بظن ان ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب
 فانهم الا من سرعافا منا * لك ما زال يدرك المطلوب
 ألق منار ساله عند نور الدين ما في القاشما ما ريب
 قل لهدام ملكه وعليه * من لباس الاقبال برد قشيب
 أيها العادل الذي هو الدين شباب وللحروب شبيب
 والذي لم يرزل قديما عن الاسلام بالعزم منه تجلي الكروب
 وغدا منه للفرج اذا لا * قوه يوم من الزمان عصب
 ان يرم زفر حقدهم فلا شطا * ن قناه في كل قلب قلب
 غيرنا من يقول ما ليس بمضيه بفعل وغيرك المكذوب
 قد كتبنا لك ما وضع الآ * ن بما ذاعن الكتاب عجيب
 قصدا ان يكون منا ومنكم * أجل في مسيرنا مضروب
 فلدينا من العساكر ما ضا * قباذاهم الفضاء الرحيب

وعليان يستل على الشا * مكان الغيوش مال صيب
أوتراها مثل المروس تراها * كله من دم العدا مخضوب
لطنين السوف في قلق الصبح على هام أهلها تطرب
ولجع الحشود من كل حصن * سلبهم اللحم ونهوب
ويحول الاله ذلك ومن غا * لبري فانه مغلوب
وكتب اليه ايضا

أيها السائر المجذالى الشا * متبارى ركابه والخيول
خذ على بلدته دار مجدالديسن لاربع ربها المأهول
وتعرف أخباره وأقره مناسلاما فيه العتاب يحول
قل له أنت نم ذر الصديق السيوم لكك الصديق الملول
ما ننسنا بان حالك في القصر * بولا البعد بالملال تحول
لا كتاب ولا جواب ولا ذو * لبه اليقين منا حصول
غير انافا وصل الكتب انقص صر منك البر الكريم الوصول
ذا كرين القمح الذى فتح الله علينا الفضل منه جميل
جاءنا بعد ما ذكرناه في كتبناكم من منار رسول
ان بعض الاسطول نال من الافسر فخرج ما لانه التاميل
سار في قلة وما زال بالله وصدق النيات حتى التليل
وبقايا الاسطول ليس له بعد الى جانب الشام وصول
فحوى من عكا وانطرسوس * عدة لم يحط بها التحصيل
جمع ديوتهم كانت الافسر فخرج تسطو على الورى وصول
قيس في وسطهم مقدمهم * دى البنا وجيده مغلول
بعد مشوى جماعة هلكوا بالسيف منها القرنى والمغلول
هذه نعمة الاله وتعبد بدأدى الاله شئ يطول
بلغوا قولنا الى الملك العا * دل وهو المرجو والمأمول
قل له كم تماطل الدين في الكفا فاحذر ان يغضب المظلول
مر الى القدس واحسب ذلك في الله في السير منك بشئ التليل
واذا ما أبدا مسيرك فالله اذا حسبنا ونم الوكيل

فأجابته أسامة بقصيدة منها

يا أمير الجيوش بأعدل الحكام في فعله وفيما يقول
أنت حليت بالكلام أهل الا * مصر حتى تعرف المجهول
وقسمت الفرع بالفرش طر من فهدا عان وهذا قتيل
بالغ العبد في النيابة والتحريرى وهو الملقوه القبول
فراى من عزيمة الغر وما كا * دتله الارض والجبيل تمين
واذا عاقت القادير فالله اذا حسبنا ونم الوكيل

وكتب الصالح اليه جوابا قصيدته الطائفة التي أولها

هي البدر لكن النري الما قرط * ومن أنجم الجوزاء في نحرها سبط
ذرنا سطاها الفرع لانها * بهم دون أهل الارض أجدر ان تسطو

وقد كتبوا في الصلح لكن جويلهم بحضر تنامت كتب الخط الاخط
سطور خيول لا تقب ديارهم * لهايا المواضي والقنا الشكل والنقط
اذا أرسلت فرعا من النقع فاجا * أينما فاستان الرماح لها مشط
وردناه ابن الفتح عنا وانما * يثبت في سرجه الشد والربط
فقولوا لنور الدين ليس لحائف السجرات الا الكي في الطب والبط
وحسن أصول الاداء أولى بماتل * ليبيب اذا استولى على المدنف الخطط
قدح عنك ميلا ففرج وهدنة * بها أبدأ يخطى سواهم ولم يخطوا
تأمل فكك شرط شرطت عليهم * قد بما وكم غدربه نقض الشرط
وشمر فانا قد اعنا بكل ما * سألتو وجهنا الجيوش ولم يبطوا

قال العماد في كتاب الحريدة الصالح أبو القمارات ثلاثين رزيل سلطان مصر في زمان الفاتح وأول زمان العاضد
ملك مصر واستولى على أم صاحب القصر ونفق في زمانه النظم والنثر وقرب الفضلاء واتخذهم جلساء ورحل
اليه ذوو الرجا وأفاض على الداني والقاضي العطاء وله قصائد كثيرة مستحسنة انفذها الى الشام يذكر فيها قيامه
بضر الاسلام وما يصدق أحدان ذلك شعره بلودته وأحكام معاني حكمته واقسام معاني بلاغته فيقال ان المهذب
أبو الزبير كان ينظم لهو الجليس بن الحباب كان يعينه ولهدويان كبير واحسان كثير ولما جلس في دعوت الوزارة
نظم هذه الايات بديهة

انظر الى ذى الداركم * قد حل ساحتها وزير
ولكم تبختر آمنا * وسط الصقوف بها أمير
ذهبوا فلا واقصا * بيني الصغير ولا الكبير
ولمثل ما صاروا اليه * من الفناء غدا نصير

(فصل) قال أبو يعلى ورد الخبر في خامس عشر ربيع الاول من ناحية حلب بحدوث زلزلة لها الله روعت أهلها
وأزعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدره محر كما سبحانه وتعالى وفي ليلة الخامس والعشرين من
ربيع الاول واقتزل زلزلة في دمشق روعت واقطعت ثم سكنت وفي التاسع من ربيع الاخر زلزلة في دمشق
الى حصار الخشب في العسكر المنصور بالأت الحرب لجهاد الكفر وقد كان أسد الدين قبل ذلك عند وصوله فيمن
جعله من فرسان التركان أغارهم على اعمال صيدا وما قرب منها فغنموا أحسن غنمية وأوفرها وخرج اليهم من كان بها
من خيالة انقرع جرجور جاتها وقد كتبوا لهم فغنمهم وقتلوا أكثرهم وأسر الباقين وفهم هذا المقدم المتولى حصن حارم
وعادوا سالمين بالأسرى ورؤس القتلى والغنية ولم يصب منهم غير فارس واحد قال وفي أوائل شهر ربيع الثاني في الاول
جداى الاخرة من السنة واثى البقاع مطر هطال بحيث حدث منه سيل أحر كما حوت به العادة في قبولها الشاه
ووصل الى برداو وصل الى دمشق وكثر النجس من آثار قدرة الله تعالى بحدوث مثل ذلك في هذا الوقت قال
وفي الليلة الثالثة والعشرين من رجب واقتر زلزلة عند تأذين الغداة ثم أخرى في الليلة بعدها وقت صلاة الغداة وورد
الحصن من العسكر المنصور بان انقرع فجعلوا وزحفوا الى العسكر وان المولى نور الدين تنفض في الحال في العسكر والتقى
الجمعان واتفق ان عسكر الاسلام حصل فيه فشل لبعض المتقدمين فاندفعوا وترقبوا بعد الاجتماع وبقى نور الدين
ثابتا مكانه في عدة يسير قمن شجعان غلغله وباطل خواصه في وجوه الفرج وأطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن
خيولهم العدد الكثير ثم ولوا منهم من خوفهم كين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ونجى الله ولله الحمد نور الدين من
بأسهم بمعونة الله تعالى وشدة بأسه وثبات جاشه ومشهور شجاعته ومعادى في محبة سالما في جاعته ولا من كان
السبب في اندفاعه من يدى انقرع في وتفرق جمع انقرع في الى اعمالهم وراسل ملكهم نور الدين في طلب الصلح
والهادنة وحرص على ذلك وترددت بين الفريقين مراسلات ولم يستقر بينهما محال وعاد نور الدين الى دمشق سالما
قلت وفي عسكر أبو الفتح بن أبي الحسن بن الاسترلى لم يجد كان بالدرسة النظامية في سيرة مختصرة جمعها لنور

الدين وقد قدم شيء منلرحمهما الله قال وبلغنا أن نور الدين خرج إلى الجهاد في سنة ست وخمسين وخمسة مائة ففتى الله بينهم زام عسكر المسلمين وبقى الملك العادل مع شزيمة قليلة وطائفة يسيرة وأقام على تل يقال له تل جبيش وقد قرب عسكر الكفار بحيث اختلط رجال المسلمين مع رجال الكفار فوقف الملك العادل بجداهم مولد أوجهه إلى قبلة الدعاء حاضر الجميع قلبه مناجياريه يقول يا رب العباد أنا ألبد الضعيف ملكتي هذه الولاية وأعطيتني هذه النبيلة عمت بلادك وفتحت عبادك وأمرتهم بما أمرتني به ونهيتهم عما نهيتني عنه فرفعت المنكرات من بينهم وأظهرت شعار دينك في بلادهم وقد نزلهم المسلمون وأمالا أقدر على دفع هؤلاء الكفار أعدائك وبيدك محمد صلى الله عليه وسلم ولا أملاك الانفسى هذه وقد سلمنا إليهم ذابعا من دينك فأنصرا لنبيك فاستجاب الله تعالى دعاءه وأوقع في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم الخذلان فوقفوا مواضعهم وما جسر وأعلى الأقدام عليهم وظنوا أن الملك العادل عمل عليهم الحيلة وإن عسكر المسلمين في الكين فإن أقدموا عليه يخرج عساكر المسلمين من الكين فلا يغلبت منهم أحد فوقفوا وما قدموا عليه قال ولولا أن ذلك إلهام من الله تعالى لكانوا قد استأسروا المسلمين وما كان ينقلب واحد من المسلمين فوقف عسكر الكفار وبرز اثنين منهم يجولان بين الصفين يطلبان البراز من المسلمين فأمر الملك العادل لخطط الزاهد مولى الشهدا بخر وجع إليهم ما خرج وجال بينهم ساعة وجعل على واحد منهم أقتله ثم جال ساعة وعمل حيلة وخدعة ورجع إلى قرب حلف الكفار وجعل على الآخر قتله ورجع إلى الصف قال وحدثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبر شعيب على بيتنا وعليه السلام قال كان أعطاني ملك القدس بقله كنسرا كأطعمه يعني في ذلك اليوم وأقام مع أملك العادل فلما وصل الكفار وقرروا مناشمت بقلتي رائحة خيل الكفار فصلت تطلب خيلهم فمحمصا صيل يظني قضاوا هذا داود راحك على البغلة مع نور الدين واقبل ولولا الحيلة والكين من المسلمين لما وقعوا مع هذه الشزيمة القليلة والطائفة اليسيرة فتحقق ذلك في قلوبهم فوقفوا وما جسر وأعلى الأقدام عليه قال قرحل كل من كان مع الملك العادل وتشفعوا اليوم بأسوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك أنت جميع المسلمين في هذا الموضع وفي هذا الأقليم فإن جرى واليسابا بالله وهن وضع من استيلاء الكفار على المسلمين في الذي يقدر على تداركه قال وحلف هذا الشيخ داود أنهم أخذوا بعين فرسه كرها ورحلوا من ذلك الموضع وما كان في عزم الملك العادل أن يرحل من ذلك الموضع فلما عرف الكفار ذلك وانتهوا ما كان عليهم حيلة ولا كين تدعوا على ذلك ندامة عظيمة قال وكان قبل هذه الواقعة بسنة كسر الملك العادل الكفار وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم خلقا كثيرا على ما حكى عن صلاح الدين صاحب حصن انه قال قد جاز الزركان علينا فحصل في الجريدة ألف أسير مع الزركان هذا ما جاز على بلاد حصن وحده وكان قد انفلت ملك القدس ودخل إلى قلعة فلما جن عليه الليل خرج من القلعة ومضى

في فصل قال أبو بعلب وفي جيب تجمع قوم من السفها العوام وعزموا على الخروج لنور الدين على إعادة ما كان أبطل وسامعه أهل دمشق من رسوم دار البطنج وعمرصة البقل والانهار وصانهم من اعنات دار الضمان وحوالة الاجناد وكروا المصنف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار يرض وكتبوا بذلك حتى أجيبوا إلى ما راموا وشرعوا في فرضه على أرباب الاملاك من القلمين والاعيان والرعايا فاختدوا إلى صواب ولا يتجهم قصد في خطاب لاجواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا وكثروا الضيغ والاستغاة إلى نور الدين فصرف هم إلى النظر في هذا الأمر فختته السعادة واثار العدل في الرعية ألا إعادة إلى ما كان عليه فأمر في عاشر رمضان بإعادة الرسوم المعتادة إلى ما كانت عليه من امانات وتغذية أثر ضمتها وأضاف إلى ذلك تبرعا من نفسه باطل ضمان الحرسة والحين واللين ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس باطل هذا الرسوم جميعها وتغذية ذكرها بالغ انعام عند ذلك في مواصلة الادعية والتنازع عليه والنشر لحاسنه قال وفي الحادي والعشرين من رمضان وصل الحاجب محمود المسترشد من ناحية مصر بجواب ما تجله من المراسلات من الملك الصالح متولى أمرها ومعه رسول من مقدمي أمرها ومعه المال المتقدر رسم الخزانة النورية وأنواع الثياب المصرية والجياد العربية وكانت فرقة من الفرقة خذ الله مقدسها والمهفي المعابر فانظر الله بهم فلم يغلبت منهم الا القليل انتر ثم تلا ذلك وردا تخبر من العسكر المصري بظفره بمجلة واقرة من الفرقة تهاجر أربعا تهاجر من فرقة من ذلك

في ناحية العرش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والامر والسلب قال وقد كانت الاخبار تنصرت من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة بربوز ملك الروم منها في العدد الكثير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى حروج الديار ونهجه فيها وبثعرا بالاعمال غارت على اعمال انطاكية وما والاها من قوما من التركان ظفروا بجبايعتهم هذا بعد ان افتتح من اعمال الارمن ملك الارمن عتق من حصونه ومعاقله ولما عرف نور الدين هذا شرع في مكتبة الولاة بالاعمال والمعاقل باعلامها حدث من الروم وبعثهم على استعمال التيقظ والتأهب للجهاد فيهم والاستعداد للكتابة بمن يظهر منهم قال ابن الاثير وفي سنة ثلاث وخمسين سار الملك محمد بن السلطان محمود فصر بغداد وبها الخليفة العتقي لا م الله ومعه وزيره عيون الدين بن هيرة فكاتب اصحاب الاطراف فحرقوا ووصل الخبر الى الملك محمد بأن أخاه ملك شاه قصد هدم ودخلها في عسكر كبير ونهب وأخذ من معه وأولاهم فاختلط العسكر وتفرقوا وعاد محمد فصور هدمان وخرج أهل بغداد فنبهوا وأخا العسكر المنقطعين وشتموا دار السلطان قلت وفي هذه السنة توفي أبو الوقت عبد الأول المحدث المنشرد بعلور واية كآب الجامع الصحيح البخاري رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة أربع وخمسين) قال أبو يعلى في أول يوم منها افتتحة ليلة عظيمة حتى نهار موت لاهاتان دونها وكان قد عرض لنور الدين مرض تزايد بحيث اضعف قوته ووقع الارباح به من حساد دولته والمفسدين من عوام عديته موارثت الرعايا وابعان الاجناد وضائق صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سويصل اليه لاسيما مع أخبار ازروم والفرنج ولما أحس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص أصحابه وقال لهم اني قد عجزت على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لهما ساعدين مطيعين وبشر وطها عاملين اني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين من يكون بعدي من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان أخى نصره الدين اعرف من اخلاه وسوء فعله ما لا ارضى معه بتوليته امر من امور المسلمين وقد وقع اختياري على أخى قطب الدين مردود شولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وحق اعتقاد خلفائه وأفتد رساله الى أخيه باعلامه مصورة الحال ليكون لهما مستعدا ثم تفضل الله تعالى بابل لاهمن المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الامير محمد الدين النائب في حلب قد قرب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم في منبر جبل حال من أهل دمشق ومعه كتب فأنظفها الى مجد الدين متولى حلب فلما وقف عليها أمر بصلب محملها وأنفذها الى حال الى نور الدين فوجد هاهنا أمين الدين زين الحاج إلى القسم متولى ديوانه ومن عز الدين والى القلعة بملوكه ومن محمد بن جفري احد حجابيه الى أخيه نصره الدين أمير اميران صاحب وان باعلامه بوقوع اليأس من أخيه وبخوضه على المبادرة والاسراع الى دمشق لقسم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترضوا بها فأمرا باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين وورد في الحال كآب صاحب قلعة جبر بجزيرة بقطع نصره الدين الفراء مجد الدين الى دمشق فانقض أسد الدين في العسكر المصور ورد دون منعه من الوصول فاتصل به خبر عودته الى مقره عند معرفته بعاقبة أخيه فهاذا أسد الدين الى دمشق ووصلت رسول الملك العادل من ناحية الموصل يجواب ما تجهلوه الى أخيه قطب الدين وفارقوه وقدر في عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتصل به خبر عاقبة فأنظف ما به حيث هو وأنفذ وزيره جمال الدين أباجعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق يوم السبت الثامن من صفر في أحسن زى ولبى بجل وخرج الى لقائه الخلق الكثير قال وهذا الوزير قد أحلمه الله تعالى من جيل الافعال وحيد الخلال وكرم النفس وانفاق أمواله في أبواب البر والصداقات والصلوات مستحسن الامارى مدينة الرسول عليه السلام ومكة ذات الحرم والبيت العظيم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره وقد ضاعف عليه حده وشكره واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى الى عودته الى جهته بعد الاكرام له وتوفيته حقهم الاحترام وأحبه مريم قطب الدين أخيه وخواصه من الملائكة ما اقتضته الحال بالحاضرة وتوجه معه الامير أسد الدين وقال ابن أبي طي لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاهم كوك نور الدين وفيه وجوه الله وتوكله المدينة وانزل في دار ابن الصوفي واكرم غاية الاكرام وأعيد الى صاحبه شاكرا عن نور الدين

وسير معه الأمير أسد الدين شيركوه رسولاً إلى حلب الدين بالشكر والثناء عليه وأُفْتُخَتْ معه هذا ياسنية فسار وعاد إلى حلب مكرماً فوجد نور الدين غازياً على الخرج إلى دمشق لما بلغه من إفساد الفرنج في بلد حوران فسار في محابته ووصل نور الدين إلى دمشق فأمر الناس بالتحيز لقتال الفرنج ثم إنهم ضلوا في قطعة من العسكر فلا غارت على بلد صيدا فسار وسار معه أخوه منجم الدين أبو بولاد وهو يشهر الفرنج إلا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل وأسر عالماً عظيماً وغنم غنيمة جليلة وعلافاً جمع نور الدين على جسر الحشب قتل وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المرضة الأولى وكان ابن أبي طي جليل المرستين وأحد قطب وأبو يعلى ذكران الأولى بحلب والثانية بدمشق وهو أصح والله أعلم

فصل قال أبو يعلى وكان قد وصل من ملك الروم رسول من معسكره معه هدية أتخف بها الملك العادل ديباج وغير ذلك وجعل خطاب وفصال وقبول بثل ذلك وحكى عن ملك الفرنج خطبه الله أن الهدية الحتمية وبين ملك الروم تقررت والمهادنة انعقدت والله بردياس كل واحد منهما إلى نصره وبنيقه عاقبة غدره ومكره قال ووردت أخبار من ناحية ملك الروم باعترافه على أنطاكية وقصد المعادل الإسلامية فبادر نور الدين بالتوجه إلى البلاد الشامية لئلا يناس أهلها من استيحا شهم من شر الروم والفرنج خذلهم الله تعالى فسار في العسكر صوب حمص وحماة وشيزر قال وفي ثالث ربيع الأول وافتتحت لها ثمانية ماجت أربع موجات وأبقت النيام وانجحت البقلى وخاف كل ذى مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه قال وفي ثامن جمادى الأولى هبت ريح عاصفة شديدة فأقامت يومها ولياتها فالتفت أكثر النجار صيفها وشتموها وانفسدت بعض الأخبار ثم ولقت آخر الليل زلزلة عظيمة ماجت موجتين ازبجت واقلقت قال وتجدت المهادنة المؤكدة لنور الدين مع ملك الروم بعد تكثر المراسلات والاقتراحات في التقررات واجيب ملك الروم إلى ما اتخذه من إطلاق مقتضى الأمر في التجميع في حبس نور الدين فأنهذه بأسرهم وقال ملك الروم هذا الفضل بما يرضاه من الاتخاف بأنواب الديباج الفاخرة المختلفة الأجناس واللوازم العدد من الجوهر النفيس وخيصة من الديباج لها قيمه فاخرة وما استحسن من الخيول الجليبة ثم جعل عقيب ذلك في عساكرهم من منزله عائداً إلى بلاده مشكوراً مجوداً ولم يؤخذ أحد من المسلمين في العشر الأوسط من جمادى الأولى فاطمأنت القلوب بعد أن عاجها وقلتها قال وورد بعد ذلك الخبر بأن نور الدين صنع لأخيه قطب الدين ولعسكره من ورد معه من المقتدين والولاء وأصحابهم الواردين إليها دار وم والأفرنج سماطاً عظيماً ثلاثين ألفاً فيه وفرق من الحصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير ومن الخلع من أنواع الديباج المختلفة وغيره من القنوت الذهب الثنى الكثير الزائد على الكثرة وكان يوماً مشهوداً في الحسن والتجمل واتفق أن جماعة من غرياه التركيان وجدوا من الناس غفلة ناشتة لهم بالسماط واتهم به فسار وأعلى العرب من بني أسامة وغيرهم واستاقوا مواشيهم فلما ورد الخبر بذلك أنهم نور الدين في أثرهم فرقاوا فراراً من العسكر فأدركوهم ثم إنهم استخلصوا منهم جميع ما أخذوه وأعيدوا إلى أرباه قال وتقرر رأى النورى على التوجه إلى مدينة حران لئلا تهاجموا استعدادهم من يد أخيه نصر الدين حبيباً آه في ذلك من الصلاح فرحل في عسكره أول جمادى الآخرة فلما نزل عليها وأحاط بها وقت المراسلات إلى أن تقرر الحال على أمان من مهاولت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فقررنا أحوالها وأحسن النظر في أحوال أهلها وسلمه للامير بن نور الدين على سبيل الإقطاع وفوض إليه تدبير أمورها

ثم دخلت سنة خمس وخمسين قال الرئيس أبو يعلى في صفر توفي الأمير مجاهد الدين بران بن مامين أحد مقتضى أسماء الأكراد وهو من ذوى الوجهة في الدولة موصوف بالشجاعة والبسالة والعمامة مؤتلف على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الزمان في كل عصر يقتضى وأوان جليل المحيا حسن البشري للقاء وحمل من دارميا ب الفاراديس إلى الجامع للصلاة عليه ثم إلى المدرسة المشهورة باسمه فدفن فيها في اليوم ولم يحل من بالك عليه ومؤثر في له ومناصف على فقده لجبل أفعاله وجد حلاله قتل وله أوقاف على أبواب البصرة والمدارس المستوفى بنان إليه أحدهما التي دفن فيها وهي زريق باب الفاراديس المجنحة والآخرى قبله الباب دارسيف

القرشي في صف مدرسة نور الدين رحمه الله وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الحضر بجامع دمشق وغير ذلك يقدمه العرف له وغيره قال أبو يعلى وفي مستهل صفر رفع القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى ابن علي القرشي قاضي دمشق إلى الملك العادل نور الدين رخصة يسألها فيها الاعطاء من القضاء والاستبدال به فأجاب سؤاله وولي قضاء دمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وهو المأمور بالتقدم وقور العلم وصفاء الفهم والمعرفة بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والتزاهة وتجنب الهوى والظلم واستقامه الامر على ما بهواه ونؤثره ورضاه على ان القضاء من بعض أدواته واستقر ان يكون النائب عنه عند اشتغاله ولده قلت ولكمال الدين رحمه الله تعالى الصدة الجارية بعده على الفقراء كل جمعة واليه ينسب الشباك الكمالى بجامع دمشق من الغرب وهو الذى حكيت فيه القضية مدة ويصلون فيها الجمعة في زماننا إلى هاهنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرئيس أبي يعلى التيجي فانه آخر كتابه وفي هذه السنة توفي رحمه الله قال ابن الاثير وفيها توفي أمير المؤمنين الملقب بالامير بالله بن المستظهر بأمر الله ومولده سنة تسع وخمسين وأربع مائة وكانت خلافته أربعين سنة وشهرين وبويع ولده أبو المظفر يوسف ولقب بالمستجد بالله فأقر ابن هبيرة على وزارته قال وفيها زين الدين علي واحسن إلى الناس في طريق مكة وأكثر الصدقات فلما وصل بغداد أكرمه المستجد بالله فلما لبس الخلعة كانت طويلاً وكان قصيراً جداً فذهبته إلى كمراته واخرج ما شد به وسطه وقصر الحية فنظر المستجد إليه واستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والجندى لا ملئكم قلت وفيها توفي المستخلف بصير الملقب بالفاترين الظاهر بن الحافظ وولى بعد دبا بن عمه العاضدين يوسف بن الحافظ وهو أخ خلفاء مصر ووصل من الصالحين رزيق كتاب إلى ابن منقداً اسامه بذلك في كتب اليه

هنا يعنى قل عن قدرها الشكر * وصبراً لرزق لا يقوم به الصبر
مضى الفاتر الطهر الامام وقام بالامامة فينا بعده العاضد الطهر
امام اهدى الله في نقل ذالى * كرامته وفي اقامه ذاسر
فعلش أبدا واسلم لهم يا كفيهم * تدافع عنهم كل حادثة تعرو

لهم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة قال ابن أبي طى في هذه السنة حج اسد الدين من الشام وخرج في تجمل عظيم وشارق ثقة واستحب معهم من الزواد والكمى أشياء عظيمة وقال انه كان معه ألف نفس يجرى عليهم الطعام والشراب ورجع على كوحك المعروف زين الدين من العراق ورجع ملهمم أخو ضرغام وزير مصر فكان الموسم بهؤلاء الثلاثة كثير الخير واستغنى بسببهم أهل الحجاز وعاد أسد الدين سالماً وخرج نور الدين إلى لقائه وكان يوم وروده يوماً عظيماً وقال أيضاً وفيها قتل الصالح بن رزيق بصر وكان سبب قتله ان عمه العاضد علمت على قتله وأنفذت الأموال إلى الامراء فبلغ ذلك الصالح فاستعاد الأموال واحتاط على عمه العاضد فآل وانما كرهته عمه العاضد لاستيلائه على الامور والدولة وحفظه للأموال وقتل الصالح بسببها جماعة من الامراء ونكبتهم وتمكن من الدولة تمكناً حسناً ان عمه العاضد عادت واحكت الحيلة عليه وبذلك تقوم من السودان ما لا جز يلا حتى أوقعوا به الفعل جلسوا له في بيت في دهلز القصر محتفين فيه فلما كان يوم ناسع عشر رمضان ركب إلى القصر ودخله وسلم على العاضد وخرج من عنده فخرج عليه الجماعة وقعت الصيحة فعثر الصالح بإذ ياله فطعنه أحد هم بالسيف في ظاهر رقبته فقطع أحد عمودي الزينة وجعل الحباب القصر وأصيب ولده رزيق في كنفه ولما حصل الصالح في داره أوصى ولده رزيق ومات بعد ساعة من ذلك اليوم قال العماد انكسفت شمس الفضائل ورخص سعر الشعر وانخفض علم العلم وضاق قضاء الفضل وعم رزبان رزيق ومالك صرف الدهر ذاك المليك فلم تزل مصر بعده منجوسة الحظ منجوسة الجدة منجوسة الزاية معكوسة الآية ان ملكها يوسف الثاني وجطه امعان المعاني وانتشر ممها وعاذر نسجها وتسلم قصرها والترم خصرها قال زين الدين الواعظ عمل فارس المسلمين أخو الصالح دعوته في شعبان من السنة التي قتل فيها فعل هذه الايات وسلمها إلى

في شهر (١٢٥) الثوبين

انصب بكم دهرًا قلنا نعلمتم استقرت قلبي وحشة تفرق
وأجبتني أني يوم ينكمم * بقيت وقلبي بين جنبي ما بقي
أرى البعد ما بيني وبين أحبي * كبعدي المدى بين غربي ومشرق
الاجددي يأنف وجدا وحسرت * فهذا قران بعدد سثلتي

قال فلم يبق بعدد الحلم اجتماع في مسرة • وقتل في شهر رمضان قلت ولما رزنا ليني وقبره مدائح في الصالح ومراث
جليلة وقد أني عليه كثير في كتاب الوزراء المصرية ولم يكن مجلس انسه يقطع الا بالمانا حكرة • في أنواع العاصم
الشرعية والادبية وفي هذا كرتوقائع الحروب مع أمر لحوثة قال وكان من ناضق قسم أطراف المعارف وتيزعن
أجلاف الملوك • وكان شاعر أعجب الأدب وأهل به يكره جلوسه ويسقط أنسه ولكنه كان مغرط العصية في مذهب
الامامية وكان من ناضح حصة فادلت في ولايته قتها • السنة وجمع كلامهم قال ودخلت عليه قبل ان يموت بثلاث
ليال وفي يوم قرطاس قد كتب فيه يتيين من شعره • فلهما في ذلك السامه

فحسن في غفلة وزم والسر • نعين يقتلته لانتام
قد رحلنا الى الحام سنينا • ليت شعري متى يكون الحام

قال ومن عجيب الاتفاق اني أنشدت ابنه محمدا لاسلام في داره بعد الدعاء ليلة العادس عشر من شهر رمضان
أو السابع عشر قصيدة أقول فيها

أولك الذي تطو اليائي يحمده • وأنت حين ان سطا وشمال
لرئيسه العظمى وان طال عمره • اليك مصير واجب ومآل
تتألمك الهط للصوت ودوتها • مجلبشرف لا تقضي دجال
فال خاتمتك الملك بعد ثلاث اليه قال ومما رثيته به قولي

أني أهل ذا النادى علم أسائه • فاني لما ذاهب اليك ذاهله
سمعت حديثا أحسد العلم عنده • وبذهل وأعيه وبغرس قائله
قد رايته من شاهد الحال اني • أرى الفتى منصوبا وواقيه كافله
واني أرى فرقا للوجه كتابه • نعل على ان الوجه منوا كاله
دعوني فاهما لما يوف بكائه • سيأتيكم طلل البكاه ووابله
ولم لا بكيه وتنب قسه • وأولادنا أبنائه وأرامه
فيليت شعري بعد نحن قهاله • وقد غاب عنا ما بنا الدهر فاعاله
ايكمرم مني ضيفكم وغريبكم • فيمكن أم تطوي بين مراله

ولمن أتري يرثيهم يذكروا ولايته أنه

طعم المره في الحيات ضرور • وطويل الآمال فيها نصير
ولم قد رافعتي فاته • نويل خط بها التقدير
فض ختم الحياه عنك جام • لا راعي اذا ولا يستشير
لن تخطي أجلا لك اليوم الا • قدر أمره علينا قدير
بالعبر الجيوش هل لك علم • ان حلالنا علينا أمير
ان قبرا جهته لنقى • لن دهرنا فارتكبه لنفقير
انطوى ذلك البساط وعهدي • وهو بالعلم والندى مقور
لاتقان الايام انك ميت • لم يمت من ثلوه منشور
ان مضى كافل فهذا كليل • أو وزير فبها وزير
دولة سليله تنظيرها • دولة عادية لا تقبور

ماشكونا كسر التوائب حتى * قبل في الحال كسر كم مجبور
 نصر الناصر العلي بالعوالي * ولتم المولى ونم النصير
 وقال أبصار ثيه ويزكر انظر بقاتليه ويصف نقل تابوته الى مشهد بالقرافة قصيدة طويلة منها
 قد كنت أشرق من شماد مدامسى * أسفا فكيف وقد طمى التيار
 عم الورى يوم الخميس وخصى * خطب بانق الدهر منه صفار
 ما أوحش الدنيا غدية فارقت * قطبل ربح الدنيا عليه تدار
 خير بدروع المكرمات لواحد * عمرت به الاجداث وهي قفار
 نعش الجلود العازرات مشيع * عشيت برؤية نعشه الابصار
 نعش بوذبات نعش لو غدت * ونظامها أسفا عليه تثار
 شخص الانام اليه تحت جنازة * خفضت لرفة قدرها الاقدار
 سار الامام امامها فعلمت ان * قد شيعتها الخمسة الاربار
 ومشى الملولك بها حفاة بعدما * حقت ملائكة بها أطهار
 فكلمها تابوت موسى أودعت * في جانيه سكة ينة ووقار
 لكنه ماض غميرة الاسلام * وهو الصالح المختار
 اقتنته دار الوزارة رثما * بنيت لنقلته الكرم مقدار
 وقمار الحرمين والحرماني * تابوته وعلى الكرم يثار
 أثرت مصرامنه بالشرف الذي * حسدت قراقته الامصار
 وجعلتها امنا به ومثابة * ترجو مثابة قصدها الزوار
 قد قلت ان نقلوه قهله تظان * تزحت به دار وشط مزار
 ما كان الا السيف جدد غده * بسواه وهو الصارم البثار
 والبدرفارق برجه متبدلا * برجابه تشعشع الاقوار
 والقيث روى بلدة ثم اتى * أخرى فنزهه به مسدوار
 يامسبيل الاستار دون جلاله * ماذا الذي رفعت له الاستار
 مالي أرى الزوار بعد مهابة * فوضى ولاذن ولا استثار
 غضب الاله على رجال أقدموا * جهلا عليك وآخرين أشاروا
 لا تجبال قد ارناقة صالح * فكل دهر رناقة وقدار
 واخجلنا لبيض كيف تطاولت * سفها بايدي السود وهي قصار
 واحمرنا كيف اغردت لاعبد * وعبيدك السادات والاحرار
 رصدوك في ضيق المجال بحيث لا * الخطى متسع ولا الخطار
 ما كان أقصر باعهم عن مثلها * لو كنت متروكا وما تختار
 ولقد ثبت ثبات مقتدر على * خذلانهم لو ساعد المقدار
 وتعبثت أقدامهم بكهية * لولم يكن لك بالذيول عثار
 أحللت دار كرامة لا تنقضي * أبدا وحل بقائك نيك بوار
 ياليت عينك شاهدت أحوالهم * من بعدها ورأت الى ماصاروا
 وقع القصاص بهم وليسوا مقتنا * يرضى وأين من السماء غبار
 ضاقت بهم سعة الفجاج وربما * نام العسود ولا ينام الثار
 ونوهوا ان الفرار مطية * تنجي وأين من القضاء قرار

في اخبار (١٢٧) المولتين

طاروا فغناؤا والتجبع لميدهم * شرك الردي فكأنهم ما طلروا
 قنن الاجر بالبريل وسيتة * درجت عليها قبلك الاخير
 مات الوصي بها وحزرة عمه * وابن البتول وجعفر الطيار
 نلت السعادة والشهادة والي * حيا وميتا ان ذا القفار
 ولقد أقر العين بعدك أروع * لولاه لم يلحقني استقرار
 الناصر الهادي الذي حسنة * عن سينات زماننا أعذار
 ولما استقام لحفظ أمة أحد * عمرت به الاوطان والاوطار

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة هـ قال ابن الاثير فيما جمع نور الدين العساكر وسار الى قلعة طرم وحصرها وحدثني قتالها فامتعت عليه لحصاتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج وجمعياتهم واجتمع الفرنج من سائر البلاد وساروا نحو حلب لحوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه الى ذلك ورأسوه وتلفوا الحال معه فعدا الى بلاده ومن كان معه في هذه القزاة الامير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ وكان من الشعبة في القزاة التي لا مريد عليها فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد سيرا وكان قد دخل في العام الماضي سائر الى الحج فلما دخله من ذلك كتب على حائطه

لئن جلد يا مولاي حكمك منة * على وفصل لا يبيط به شكرى
 نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الفزو موقور النصب من الاجر
 ومنه رحلت العيس في عامي الذي * مضى نحو بيت الله مذى الزكن والجر
 فاذيت بفروسي وأسقطت ثقلما * تجلت من وزر الشبهة عن ظهري

قلت أذكرني هذا ما كتبه أسامة ايضا بعد تصوره وقد دخل دار ابن عقيل فرأها وقد تهدمت وتغيرت زخرفتها فكتب على لوح من رخام هذه الايات

احذر من الدنيا ولا * تغتر بالمر القصير
 وانظر الى آثار من * صر عنه من القصور
 عمر واوشاد ما تزا * ممن المنزل والقصور
 وتحوّلوا من بعد سكنها الى سكنى القبور

قلت ابن عقيل هذا هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن عباس بن أبي عقيل صاحب مورو وبلقب بعين الدولة مات سنة خمس وستين وأربع مائة واستولى على صور لينة النفس والله أعلم

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة هـ قال ابن الاثير فيما جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد الفرنج قنزل البقية تحت حصن الاكراد وهو الفرنج عازما على دخول بلادهم ومنذ ذلك طرابلس فبينا الناس في بعض الايام في خيامهم في وسط النهار لم يرهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه الحصن فكسبهم فأراد المسلمون دفعهم فلم يطقوا فانهزموا ووضع الفرنج السيفوا كثروا القتل والاسر وقصدوا خيمة الملك العادل فخرج عن ظهر خيمته عجلان بصير قافركب فرسانا للثوبه ولسر عتبه كبه وفي جليبه شعبة قتل انسان من الاكراد قطعهما فنجح نور الدين وقتل الكردي فمال نور الدين عن مخلفي ذلك الكردي فأحسن اليهم بزلطفه وكان أكثر القتل في السوقة والعلمان وسار نور الدين الى مدينة حمص فأقام بها ظاهرا وهاوا حضر منها ما فيها من الحياض ونصبها على بحيرة قدس على فرسخ من حمص وجنبا وبين سكان الواقعة أربعة فراسخ وكان الناس يفلنون انه لا يقف دون حلب وكان وجه الله تجمع من ذلك واقرى حمصا ولما نزل على بحيرة قدس واجتمع اليه كل من نجح من المعركة فقال لبعض اصحابه ليس من الرأي أن تقيم هاهنا فان الفرنج يجمعوا عليهم الطمع على الجني الدنيا ونحن على هذا الحال فوجهوا سكتة وقال اذا كان معي ألف فارس فلا بالي بهم قولا أكثر والله لا أستظل بحدار حتى أخذ بثار الاسلام ونارى ثم انه أرسل الى حلب ودعته وأجبر الاموال والحداب والاحسنة والحياض

وساروا محتاج اليه الجند فأكثر وفر فذلك جميعه على من سلم وأمان قتل فانه أفرأطاعه على أولادهم لم يكن له ولد فعلى بعض أهله قعاد العسكر فكانهم لم يفقد منه أحد وأما الفرنج فكانهم كانوا عازمين على قصد حصن بعد المزمعة لأنها أقرب البلاد اليهم فلما بلغهم مقام نور الدين عندها قالوا انهم يفعل هذا الا وعندهم القوتان يمتنعنا وكان نور الدين رحمه الله قد أكثر الخرج الى ان قسم في يوم واحد ما تاتي القدينا رسوى غير هامن الدواب والخيام والسلاح وغير ذلك وقدم الى ديوانه ان يحضر والجند وياسأوا كل واحد منهم عن الذي أخذ منه فكل من ذكر شيئا أعطوه عوضه فحضر بعض الجند وادعى شيئا كثيرا اعلم بعض الثواب كذبه فيما اتعاه لمرقتهم بحالهم فأرسلوا الى نور الدين يبنون اليه القضية ويسأذونه في تخليف الجندى على ما اتعاه فأعاد الجواب لا تكذروا عطاءنا فاني أرجو الثواب والاجر على قليله وكثيره وقال له اصحابه ان لك في بلادك ادراتات كثيرة وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت بها الآن لكان امثل فغضب من هذا وقال والله اني لا رجوايا ولتلك النصر فاما زرقون وتنصرون يضعفانكم كيف أقطع صلوات قوم يقاتلون عني وأنا اناثم في فراشي بسهام لا تقطى وأصرقها الى من يقاتل عني انا انا في بسهام قل تقطى وتصيبهم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال اصرقها اليهم كيف اعطيه غيرهم فسكتوا ثم ان الفرنج أرسلوا الى نور الدين في المهانة فلم يجيبهم اليها فتركوا عند الحصن من يحميهم وعدوا الى بلادهم وتفرقوا فلف في هذه الحادثة تحت حصن الأكراد يقول أبو الفرج عبيد الله بن سعد الموصلي نزيل حصن من جملة قصيدة فاقته يدح بها نور الدين رحمه الله أولها

تلى المواضي واطراف القنا الذيل * ضوا من لك ما حازه من نخل
وكأف لك كاف ما قصاه * عز وعزم وبأس غير متخل
وما يعيبك ما حازه ومن سلب * بالقتل قد تأسر الآساد بالجيل
وانما أخلد واجبنا الى خدع * اذ لم يكن لهم بالجيش من قبل
واسبقوا وأراد الله غفلتك * لينفذ القدر المحتوم في الازل
حتى أتوك كهولا الماذي من أم * ولا الظبي كيت من مرهق يحمل
فتلقا وقي غدير موزة * والخيول عازبة ترمي مع الحمل
ما يصنع الليث لانا وبلا تفسر * بما حو اليه من عفر ومن وعيل
هلا وقد ركب الاسد الصقور وقد * ساء الظبي تحت غابات من الاسل
وانما هم أضاعوا خزمهم ثمة * يجمعهم ولكم من وائق خيل
بني الاسافر ما تلتم بمكرهم * والمكر في كل انسان أخوال الفيل
وما رجعت بأسرى خاب سعيكم * غير الاراذل والاتباع والسفل
سلبتم الجسر دمعا تلبجهم * والسحر مكره في البيض في الخلل
هل أخذنا خيل قدارى فوارسها * مثال أخذها في الشكل والطول
أم صالب الرمح فركوزا كساليه * والحرب دائرة من كف معتقل
جيش اصابتهم عين الكمال وما * يخلو من العين الا غير مكفل
لهم يوم حنين اسوة وهم * خسر الانام وفيهم خاتم الرسل
سيفضيك بضر بعتدا هونه * البيض كالبيض والادراع كالخلل
ملك بعدد من الاناس ذو كلف * بالصدق في القول والاخلاص في العمل
فالسر ما أصبحت والشمس ما أظلت * والسيف مائل والاطواد لم تزل
وكم تجبلى بنور الدين من ظلم * وانجبا ما كان للاضلال من ظلل
وكم عمري كفوا الطرف من جبن * عند اللقاء وغضوا الطرف من نجل
طلبتم السهل تفتون النجاة ولو * لذتم بملككم لذتم الى الجبسل

فداخبار (١٢٩) الدولتين

اسلموه ووليت فاسلحكم • بقتة لوفها الطود لم ينسل
 ققام فردا وقدوت جحافل • فكلن من غصه في بجفل زجل
 في مشهد لوليون القيل تشهده • خرت لاذناتها من شدة الوهل
 وسط العدى وحده ثبت الجنان وقد • طارت قلوب على بعد من الوهل
 يعود عنهم رويدا غير مكترث • بهم وقد كرمهم غير محتفل
 زداد قداما اليهم من يقنه • ان التأخر لا يجي من الاجل
 ما كان اقر بهم من امر ابعدهم • لو انهم لم يكونوا منه في شغل
 ثباته في صدور الخيل اتفدكم • لانتهم سوا ونيات الضم القتل
 ما كل حين تصاب الاسد غافله • ولا يصيب الشد البطر ذوال الشل
 والله عونك فيما أنت من معه • كما أعانك في أيامك الاول
 كود ملكك لهم كل بلا عوض • وحز من بلد منها بلايد
 وكمنيت العوالي من طلي ملك • وكمرت العوا في من قرا بطل
 لا تكبت سمك الاقدار عن غرض • ولا تنفدك الايام عن أمل

قلت حاول ان اسعد في هذه القصيدة محاوله المتني في قوله (غيري بأكثر هذا الناس ينفذ) القصيدة فان كل واحد منهم المعتذر عن أصحابه ومنهم وهم المنزموين وقد احسننا معاني الله عنهم وعبدا لله بن أسعد هذا فتية فاضل وشاعر مفلح كان مدرسا بجمس يعرف بآب الدهان وله ترجمه في تاريخ دمشق وقد كرمه الحمد الكاتب في خبره فاحسن ذكره وأكثراته على علمه وشعره وسما في ذكره أيضا في هذا الكتاب في أخبار سنة سبعين وست وسبعين وثمان وسبعين ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفي عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي محمد بن تومرت صاحب المغرب وولي بعده ابنه يوسف

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة هـ فقبها اسار أسد الدين شيركوه بن شاذي الى مصر المزمرة الاولى وهو من أكابر الامراء الذين في الخدمة النورية غاز ما لي ملك الديار المصرية واستضافها الى الملكة النورية وكان أسد الدين وأخوه نجم الدين أيوب وهو كبريايا شاذي من بلد دوين وهي بلدة من آخر بلاد اذربيجان هما لي الروم وأصلهما من الأكراد الزواذية وهذا القيل هو أشرف الأكراد وقد ما العراق وتقدماء مجاهد الدين بهر وزا الخادم وهو شخصه العراق فرأى في نجم الدين عقلا ورأى بحسن سيره فجعله دزدار ابتكرت وهي بلدة غسار اليها ومعه أخوه أسد الدين فلما انهزم أنابك زكي الشهيد والد نور الدين بالعراق ومعه الخواجه الساسي وهو أنابك داود بن السلطان محمود وذلك من المسترشدين سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل الي تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فغير دجلة وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين محبتهم وسيرهم ثم ان أسد الدين قتل اسما نصرا تابكيت بل للاحاجرت بينهما فارسل مجاهد الدين اليه والى أخيه نجم الدين فأخرجهما من تكريت وقيل ان أيوب كان يحسن الزامية فرمى شخصان بمالك بهر وزيمهم قتلته فغشى على نفسه فتوجه نحو الشام وخدم مع زكي وقيل لما قتل أسد الدين شيركوه ما نصرا في وكان عز راعه بهر وزهر ب الى الموصل وانحق أيوب به وسن وضع هذه القضية ان شاء الله تعالى عند ذكر وفاة أيوب في أخبار سنة ثمان وستين ثم ان أيوب وشيركوه قصد أنابك الشهيد فأحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما وأقطعهما أقطاعا احسنا وصار من جملة جند قلاخ حصن صليك جعل نجم الدين دزدار فيه فلما قتل الشهيد حصره عسكر دمشق نجم الدين فارسل الى سيف الدين غازي وقد قام بالملك بعد والد يمني الحال اليه فلم تفرغ ليعطيك وضاق الامر على من بها وتاف نجم الدين ان تؤخذ عنوة وبنا له أذى فارسل في تسليم القلعة وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة وفي له باحلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من أكابر الامراء وتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل الشهيد وكان يخدمه في أيام والده بقره بن نور الدين واقطعوا رأي منه في حروبه ومشاهدته آثارا يجفر عنها غيره لشجاعته ومروءته فمزمرا اقطاعا

وقربا حتى صارت له حصن والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما انطلقت الحملة النورية بمكة دمشق أمر أسد الدين فراسل أخا نجم الدين وهو بها في ذلك فطلب منه المساعدة على فتحها فأجاب إلى ما يريد منه وطلب هو أسد الدين من نور الدين كثيرا من الاطلاع والاملاك ليلدده في غيرهما فيقبل لهما ما تابا منه وحاف لهما عليه وفي لهما ما ملكتها وصار اعتد في اعلى المنازل لاسيما نجم الدين فان جميع الامراء كانوا لا يقصدون عند نور الدين الا أن يأمرهم واحدهم بذلك الانجم الدين فانه كان اذا دخل اليه فقدم غيران يؤمر بذلك فلما كان سنة تسع وخمسين عزم نور الدين على ارسال العساكر الى مصر ولم ير لهذا الامر الكيفية اقوم ولا أشجع من أسد الدين فسيره وكان سبب ذلك ان شاور بن مجير باشا شجاع السعدي وهو الملقب أمير الجيوش الذي يقول فيه عماره من قصيدة
 صغير الحديد من الحديد وشاور * في نصر آل محمد لم يصغر
 حلف الزمان ليأتين بشمله * حنق حنينك يا زمان فكفر

وهو وزير الملقب بالعادلين الله آخر المستخلفين بمصر كان قد وصل الى دمشق في سنة ثمان وخمسين سادس ربيع الاول الى نور الدين مستعجدا به على من أخذ منه منصبه قهرا وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن دفعه وعرفوا بعجزه وهو القاهر منهم ورتبوه وسكنوه فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزيرهم والملك عنده السلطان وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم مستقيمة وقوا عدهم مستقرة من أهل زمانهم على هذا المثال وكان شاور قد غلب على الوزارة واتزعهما من بني رزيك وقتل العادل بن الصالح ابن رزيك الذي وزير بعده واسمه رزيك وطلب بالنصار أيضا وهو الذي استخضر القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي من الاسكندرية واستخدمه بمصر ثم عين يديه في ديوان الجيش على ما ذكره عمارنا الجني في كتاب الوزراء المصرية وقال غرس من الدولة بل السلة نجرة مباركة تمت ابدتها اسهلها ثابت وفرعها في السما ثم خرج على شاور نائب الباب وهو أمير يقال له ضرغام بن سواد وطلب بالمنصور فجمع له جوعا كثيرة لم يكن له بها قبل فقلبه وأخرجه من القاهرة وولده طيا واسد - ولحق على الوزارة فحل شاور الى الشام فاصد اخذ منه نور الدين مستعجلا به ومستنصرا فأحسن لقاءه وأكرم مشاؤه فطلب منه ارسال العساكر الى مصر ليعود اليها ويكون له فيها حصن ذكره له ويتصرف على امره ونهيه واختياره ونور الدين يقدم في ذلك رجلا ويؤثر أخرى تارة لتحمل رعاية قصد شاور وطلب الزيادة في الملك والتفوي على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الفرنج فيه الا ان يوغوا في البر فيتعرضوا لخطر آخر مع الخوف من الفرنج أيضا ثم استخار الله تعالى وأمر أسد الدين بالتجهز للمصر معه قضاء لحق الوافد المستنصر وحسب البلاد ونظرا على أحوالها وكان هو أسد الدين في ذلك وكان عنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي معه بمخافة فجهز وسار مع شاور في جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين هكذا ذكر ابن الانبير والعماد الكاتب وقال القاضي ابن شداد كان ذلك سنة ثمان وخمسين والقول في ذلك قوله لما فقدني ان قدوم شاور الى الشام كان في سنة ثمان وخمسين وارسال نور الدين العسكر كان في جمادى سنة تسع وخمسين قالوا وأمر نور الدين أسد الدين بأعادة شاور الى منصبه والانتقام ممن نازعه في الوزارة وسار واجعا وصار معهم نور الدين الى اطراف بلاد الاسلام حاملي الفرنج بعساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قصارى الفرنج حقت بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين سالما الى مصر هو ومن معه فهرب المنازع لشاور في الوزارة وقتل وطيف بآسه وعاد شاور وزير او تمكن من منصبه وكان عماره قلمدح ضرغام بقصيدة منها

وأحق من وزير الخلافة من نشا * في حضرة الاكرام والاجلال
 واختص باللقاء وانكشف قلبه * أسرارها بقرائن الاحوال
 وتصرف الوزراء عن افعاله * كنصرف الاسماء بالافعال
 قال عماره فلما جازوا برأسه على الخليج وكتب أسكن صف الخليج بالقاهرة ظلت ارجالا
 أرى حنك الوزارة صار سيفا * يجنب حنك صيد الزفاب
 كلك رايد البلوى والا * بشير بلنية والمصاب

ولمارة البني من قصيدة مدح بها شاو و ذكر وزيرائه قوله

فنصرت في الأوى بضرب زلزل الـقدام وهي شديدة الاقدام
ونصرت في الاخرى بضرب صادق * أنحى يطير به غراب المهام
أدركت نارا وارجمعت وزارة * نزعنا سيفك من يدى صرغام
وكان صرغام أولا من أحباب شاو و أتباعه وتداش لرائى ذلك غمار دق غوله من قصيدته
كانت وزارتك القديمة مشرعا * صفواولكن كذرت غدرانها
غصبت رجال تاجسه وسريره * من بعد ما سمحت له نيجانها
وله من قصيدة أخرى في شاو

وزرغمته الوزارة أولا * وثانية تحقوا بغير طلاب
خفاته في الاولى بظانته وده * ورب حبيب في قبض حباب
وبناء تبغى الصلح نافي مرة * فلمرض الابعه بضرب فباب

ولم يلقب وزير لهم وعاد غير شاو وكان مدة أحد الزار فمته الى ان عادت اليه تسعة أشهر سواء وهي مدة الحمل نص
عمارة على ذلك وقال قتل ولده طي يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان و جازر رأسه على رمح تحت الطيقان والنساء
بولولى بالصراخ وكان فيمن واحدة تحفظ قولى في الصالح

ابنسى وفي العنين صورة وجهه المسمى وعهد الانتمال قريب
فما زالت تذكر حتى رأت رأس صرغام قال وأدرك ساور ناره في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة
فيكون بينهما تسعة أشهر قال وقلت في ذلك

ونزعت مدك من رجال نازعوا * فيه و كنت به أحق واقعه
جذبوا رداءك غاصبين فلم تزل * حتى كوت القوم أردية الردى
وبردت قلبك من حرارة حرقه * أمرت نسيم الليل ان لا يبردا
نار يخبها لثنته في منته * يوما ييوم عبدة لمن اغتدى
جلبت به الايام تسعة أشهر * حتى جعلن له جمادى مولدا
وله فيه أيضا

لله درك مسوتورا اقضى به * دست و سرح واجفان ومضجع
ما غبت الا يسيرا ثم طعت لنا * والثامه تدركك لثامك مرتجع
قضية لم يزل منها ابن ذى برن * الا كما نلت والاثار تبع

قال ابن الاثير وأقام أسد الدين نظار القضاة وغدر به شاو و عاد عما كان قره نور الدين من البلاد المصرية
ولاسد الدين أيضا فارس الى باصرة بعد ما بعاد الى الشام فانف أسد الدين من هذه الحال وأعاد الجواب يطلب ما كان
استقر عليه فحجبه شاو اليه فلما رأى ذلك أرسل توابه فتمسوا بمدينة بليس وحكم على البلاد الشرقية فارس شاو الى
الفرنج يستخذهم ويحتوهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد أبغوا بالهلاك ان ملك كها نور الدين فهم
خائفون فلما أرسل شاو اليهم يستخذهم ويطلب منهم ان يساعدهم على اخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج
لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته والمبادرة الى نصرته وطعموا في ملكه يار مصر وكان قد قبل لهم ما لا على المسير
اليه فجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين خبر تجهيزهم للمسير سار يساكره في أطراف بلاده مما الى الفرنج ليتنعوا
من المسير فلم يتنعوا عليهم ان الخطر في مقامهم اذ ملك أسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم فتركوا
في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقيين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كبير من الفرنج
في الجزائر بآلة البيت المقدس فاستمعان بهم ملك الفرنج فأعانه وسار بعضهم معه وأقام بعض في البلاد لحفظها فلما
قارب الفرنج مصر قاربها أسد الدين وقصد مدينة بليس وأقام بها هو وعسكر وجعلها ظهر انحصن به فاجتمعت

العساكر المصرية والفرنجية وازلوا أسد الدين بجديت بليس وحصر معها ثلاثة أشهر وقد امتنع أسد الدين بها
وسورها من طين قصير جدًا وليس له خندق ولا جيبيل يحجبها وهو يغادهم القتال ويراهم فلم يلحقوا منه غير ضا ولا
نالوا منه شيئاً فبينما هم كذلك إذا بهم الحبر بزعمة الفرنج بحارم وملك نور الدين الحسن ومسيره إلى بانياس حيث نزل
سقط في أيديهم وأرادوا النود إلى البلاد لحفظوها ولطهم يدركون بانياس قبل أخذها فلم يدركوها إلا وقد ملأها
على ما سياتي بيانه أن شاء الله تعالى ورأسوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومغارة مصر وتسليم ما بيده منها
إلى المصريين فأجابهم إلى ذلك لأنه لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج في الساحل قال ابن الأثير فحدثني من رأى أسد
الدين حين خرج من بليس قال رأيت به ودًا خرج أصحابه يدينه ويؤقي في آخرهم ويسد ملت من حديد يحمي ساقاتهم
والمسلمون والفرنج ينظرون قال فأناف فرنجي من الفرنج الغرياء فقال له أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المسلمون والفرنج
قد أطاوك وبأصحابك فلا يبق لك معهم بقية فقال شيركوه باليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله أضع
فيهم السيف فلا اقتل حتى اقتل رجالاً لا حيث نيتهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفي إبطاهم في بلادهم
وبقي من بقي منهم ورائه لو أطاعني هؤلاء يعني أصحابه فخرجت إليكم أول يوم لكنهم امتنعوا فصلب الفرنجي على
وجهه وقال كأنجب من فرنج هذه الدار وبالقسم صفتك وخوفهم منك والآن قد عدلناهم ثم رجع عنه
وسار شيركوه إلى الشام وعاد سالماً وقال العادل الكاتب بوصول شاور إلى نور الدين ملتحجاً بالقام على عدوه معدياً
مشكياً وسير معه أسد الدين على قرار عينه وأمر بدنه وبقية يدركها وخطة يملأها وبجته واختم في الملك يسلكها
فخفي مع نصره وأصفي له مسرعه واسترد له موضعه وأظهره بعلوه وأظفره بقلعه فلما بادى خصمه بدواحه وغدر
بعهده وأخلف في وعده وكان قد راسل الفرنج وهاداهم في حرب الإسلام فوصلوا فقصن شيركوه ومن معه بمدينة
بليس فحاصره شاور بمجنود مصر والفرنج ثلاثة أشهر من سهل رمضان إلى ذي الحجة فبدلوا له قطعة فأنصرف
عنهم وعاد إلى الشام وفي قلبه من شر شاور الأحن وكيف تحت بغير ذلك المحن قلت وقد أشار إلى ذلك عمارة في قوله
في مدح شاور وذكر الأفرنج فقال

وأخذت من مصر عدواً بجملته * ففقه من ظفر قلت وناب
صدمت جوع الكفر والشام صدمة * أقتبها القوم سوق ضراب
وقد جرت أجناد مصر عزانها * مضاربها في الصخر غير زواي
تولوا عن الأفرنج فأنحطها * ودارت رحاها منهم بمضاب
أقامت دروع الجند تسعين ليلة * ثياباً لهم ما بدلت بتياب
وهم بين مطر وحمل * وبين نصيب خصمه ومضاب

وقال القاضي بن شداد سار أسد الدين إلى مصر واستنجد بمعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعله مقدم
عسكره وصاحب رايه وكان لا يفصل أمراً ولا يقرّر حالاً إلا بشورته ورأيه لما لاح له من من أنار الأقبال والسعادة
والفكرة الصحيحة واقترب النصر بمركانه وسكاته فساروا حتى وصلوا مصر وشاور معهم وكان لوصولهم إلى مصر وقع
عظيم وخافه أهل مصر ونصر شاور على خصمه وأعادته إلى منصبه ومرتبة موقر وقواعد وشاهد البلاد وعرف أحوالها
وعلم أنها بلاد يفتبر رجال تثنى الأمور فيها بعدد الإهام والمحال وكان ابتداء رحيله عنها متوجهاً إلى الشام في السابع
من ذي الحجة فافام بالشام مدبر الأمر مفعلاً في كيفية رجوعه إلى البلاد المصرية معذراً بأنفسه مقرراً لقواعد
فلا سمع نور الدين إلى سنة اثنتين وستين قلت وفعل شاور ما فعل مع أسد الدين ومعه الشعر أبا القدر وقصاقيه قبل
قله وبعد على ما سئد كروبيخ مخوفاً من أسد الدين فقال هرقة الكلبي من جهة قصيدته

وهل هم يوم ما شيركوه يخلق * إلى الصيدا الأرانع في مصر شاور
هو الملك المصور والأسد الذي * شذاذ كرمي الشرق والغرب سائر

وفيها في ذي الحجة احترقت جبرون بعد رجوع أسد الدين إلى دمشق فقال العرقة يمدح ويدركوك
جار صرف الردي على جبرون * وسقى أهلها كؤوس المتون

في اختيار (١٣٢) الدولتين

أصبحت جنة وأمت جحما • تنلظى بكل قلب حزين
كيف لا تذرف الدموع عليها • وهي في الشام زهرة لقيون
جدا أحسنها الحصين لقد كا • ن جلالا لكل حسن حصين
أي سيف سطا على دار سيف • وزبون أنى بحسب زبون
خطت نيرانها وكل سلام • نار ليلى تلوح للجنون
كم غنى اليمين أمسى فقيرا • وقبر أمسى غنى اليمين
كل حين لها حريق جديد • ليت شعري ماذا لها بعد حين
كل هذا البلاء عاقبة الفسق • في شر بالبحر والتهجين
ولقد ردها بمنزلة حزن • أسدا لذين غاية المسكين
وحى الجامع المقدس والمشهد • من جرها بما مع السجين
ملك فخره بدخلة والبا • ب فعال الامام في صفين

(فصل) في فتح حارم قال الامام الكاتب في تلك السنة يعني سنة تسع وخمسين اغتحم نور الدين خلوا الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه الله تعالى الا انقام منهم فأسرهم وقتلهم ووقع في الاسار ابرنس انطاكية وقوم من طرابلس وابن الجوسلين ودوك الروم وملك في رمضان وقال في الخريدة كانت نوبة البقرة نوبة عظيمة على المسلمين واغت في نور الدين في أقل من عشرة من عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلاثة أشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم عشرين ألفا واسر من نجبا وأخذ القوم من الابرنس والدوقس وجميع ملوكهم وكان منها عظيماء وفخامينا خال ابن الاثير والسبب في هذا الفتح ان نور الدين لما عدمه من ما على ما سبق من غزوة ناحية حصن الأكراد اقبل على الجند والاجتهاد والاستعداد للجهاد والاختياره وغزو العدو في عقر داره ولم يبق ذلك الفتق وعوضا عنه ما هو من بعيد وبقى الملك فراسل أخاه قطب الدين بالموصل وغزو الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين إلى بماردين وغيرهم من أصحاب الاطراف أما قطب الدين أتاه فانه جمع عساكره وسار مجدا وعلى مقدمة عسكره زين الدين نالبه وأما غزو الدين فمرا ارسلان فانه بلغني عنه انه قال له نحو ما على أي شيء عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشفت من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقى نفسه والناس معه في المهالك وكاهم واقفه على ذلك فلما كان القدامى بالنداء في العسكر يتجهز للفرقة فقال له أراك ما عساك بما بدأ فارتد بالامس على حال وزي الان عزها فقال ان نور الدين قد سلم معي طريقا ان لم اتجد مخرج أهل بلادى عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدى فانه كاتزها دوا وعيادها وانقطعون عن الدنيا بدكرهم الي المسلمين من الفرنج وما نالهم من القتل والأسر والنهب ويستسلمهم الدعاء ويطلب منهم ان يحشوا المسلمين على الفرقة فقد فعل كل واحد من أولئك ومعه اتباعا مع أصحابه وهم يقرؤون كتب نور الدين ويكفون ويلعنون ويدعون على فلا يذمن أجلة دعوته ثم تجهز ايضا وسار الى نور الدين بنفسه وأما نجم الدين الي فانه سبر عسكر اخيه الجمعت العساكر سار نحو حارم قتل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقي من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فشدوا وباءوا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والقنص صاحب طرابلس وأعمالها وابن جوسلين ودهون مشاهير الفرنج وابطالها ودوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجعلوا معهم من الراجل ما لا يقع عليه الا حصان مقدملا والارض وجبوا بقتلهم السماء طرئ نور الدين أصحابه وقرق فائس الاموال على شجعان الرجال فلما قارب الفرنج رحل عن حارم الى ارنناح وهو الى قنصاتهم من ناح وانما رحل طمعان يتبعوه ويتكمن منهم بالقوة فصاروا حتى نزوا على عم وهو على الحقيقة قهيف القوم من القم ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاهه فعادوا الى حارم وقد حرمهم كل خير فبعثهم نور الدين فلما اتقاربوا اصطفاوا القتال وبدأت الفرنج بالحيلة على مينة المسلمين بها عسكر حلب فمرا الدين فبدنوا نظامهم ووزلوا أعداءهم وولوا الادبار وبعثهم الفرنج وكانت تلك الفرقة من المينة عن اتفاق ورأى دبره وسكر العدو مكر وهو ان يعدوا عن ارجلهم فيمل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيف ويرر غواضهم

لا أنوف فاذا عاقد فرسانهم من أثر المنزمن لم يلقوا راجلا لمخون اليه ويعود المنزمنون في آثارهم وتأخذهم سيوف
لله من بين أيديهم ومن خلفهم فكان الأمر على مآبر وأقان الفرج لما تبعوا المنزمن عطف زين الدين في مسكر
الموصل على راجلهم فافتاحهم قتلوا أسرا وعادت خيالاتهم ولم يحتموا في الطلب خوفا على راجلهم من العطب قصادفوا
وراجلهم على الصعيد مغربين وبساتهم مضرجين فسقط في أيديهم ورواؤا لهم قرضلوا ونحسرت رقابهم وهزموا فلما
رجعوا عطف المنزمنون اعنتهم وعادوا فيبقى الصدوق في الوسط وقد احسق بهم المسلمين من كل جانب فينتدحى
الوطيس وبلتر الحرب المروءس والرئيس وقتالوا الفرنج قتال من يرجو باقدا منه النجاة وحاربوا حرب من ايس من
الحياة واتقت العساكر الاسلامية عليهم اقتضاض الصقر على بغاث الطيور فخرقوهم بددا وجعلوهم قندا قال في
الفرنج بأيديهم الى الاسار وعجز واعن الهزيمة والفراروا كثر المسلمون فهم القتل وزادت عدة القتل على عشرة آلاف
ولما الاسرى فلم يهصوا كثرة وبكيفية دليلا على كثرتهم ان ملوكهم أسروا وهم الذين من قبل ذكروا وسار نور الدين
بعد الكسرة الى حارم فلكها في الحادي والعشرين من شهر رمضان واشار اصحابه عليه بالمسير الى انطاكية
ليملكها لاحتوائها من يحيط ويدفع عنها فلم يفعل وقال أما المدينة فأمرها سهل وأما القلعة التي لها هي منيعة
لا تؤخذ الا بعد طول حصار واذا صقنا عليهم ارسلوا الى صاحب القسطنطينة وصلوها اليه وبجاءوه بمن يداحب
الى من مجاوره ملك الروم وبشرا باه في تلك الاعمال والاولا يات فتم واوسوا وأوغلوا في البلاد حتى بلغوا الالاذقية
والسويدا وغير ذلك وعادوا سائرين ثمان نور الدين اطلق بمن يداحب انطاكية بمال جزيل اخذ منه واسرى كثيرة
من المسلمين اطلقهم وقال الحافظ أبو العباس كسر نور الدين الروم والارمن والفرنج على حارم وكان هزتهم ثلاثين
للفا قال ووقع ينفذ في أسره في نوبت حارم وباع نفسه بمال عظيم انفق في الجهاد قتل وبلغني ان نور الدين رحمه الله
لما التقى الجمعان أوقيله انه قد قتل حارم وسجد له عز وجل ومرت وجهه وتضرع وقال يارب هؤلاء عبيدك
وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك فأنصر أولياءك على أعدائك ايش فضول محمود في الوسط يشير الى انك
يلرب ان نصرت المسلمين قد ينسبك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني انه قال
اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكر في أخبار
سنة خمس وستين عند رحيل الفرج عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر هزرائم الله به على نور الدين
والسليبي مع ان جيشه عامئذ كان منه طاقة كبيرة بمصر مع شريكه كما سبق وهذا من عجيب ما وقع وانفق
(فصل) في ذكر وزير الموصل جمال الدين الجواد المجدد ووفاته في هذه السنة رحمه الله وقد ذكره العباد
الكتاب في مواضع من مصنفاته واثني عليه ثناء عظيما حسنا هذا ذكره في كتابه الموصوم بنصرة الفترة وعصره الفترة
في أخبار الوزراء السجوقية ان قال ذكر جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور كان والده من اصقهان يدعى
الكمال علي وهو صاحب الوزير شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبومصور قهباد في عهد السلطان ملكشاه
ابن البارسلان وابنه الكمال ادب بديب وزادت أيلمه في السمو وابانته في الفتو حتى تنافس في استخدام الملوك
او الوزراء واستضعفت برأته في الموائد الاراء وقد حكان زوج بنتا له بعض أولاد أحوال العزيز بنعي عم العباد
لكاتب قال فاشغل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي في الأدب ودرجه في الرتب
قال ما رتبته في ديوان العزم السلطاني المحمودي وغلب في تخطيطه ذكر الابيع فغنته الازراك بالابيع واستقام في
فجائته على المنهج وانفق انما تولى زككي بن اقسنقر الشام تزوج بأمرأة الامير كيد غدي ولدها ثامن بك
ابن كيد غدي من امراء الدولة وابنه الملكة وهو يسير معها فرتبه العزيز بن خا صلبك وزير افسار في النصيحة وكان
مقبلا الوياحه مقبول الفكاهة شهي المشاشة بهي الباشاة فتوفرت مني زككي على منادته وقصر مصباحه ومساهه
على مساهته وعول عليه آخره في اشراف ديوانه وزاد المال وزان المال بمكته ومكانه فلم يظهر لجمال الدين
في زمان زككي جود ولا عرف له موجود فانه كان يقتنع باقواته وترجيه أوقاته ويرفع جميع ما يحصل له الى خزانه
ونكبي استبقاه لبلاده واستعلا على أشباهه فمكته زككي من اصحاب ديوانه فمهم من استغنى بياساته ومنهم من
اتنفها حاسله ولما قتل زككي صار للدولة الاباكية صلاذا وليبيا لاقتسرى معاذنا واستوزره الامير غازي بن

في أخبار (١٣٥) الدولتين

زنى وزيره على كوكبك على وزارته وحلفه على مظاهرته ومظافرة وجرى بين جمال الدين الوزير وبين وزيره
الدين على كوكبك وبين سيف الدين غازي التعاقد على التعاقد والتعاقد على التعاقد وتولى جمال الدين وزارة
الموصل واستولاه فعاشر بسنداء الجلود وعشا الى ناديه الوفود وعادته الموصل فبسة الاجمال وكعبة الامال
فانارت مظالم سعوده وسارت في الافاق صنائع جوده وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبراهلها وجميع بالامن
شملها واجرى بجرالها وادى على الفلاح فصاحت بافضاله الفصاح وانوا اليهم كل فنج عيق
وقصد من كل بلد صديق قصده الغناء ومدحه الشراء ومن وفد اليه ابوالفلورس سعد بن محمد الصفي المعروف
بمحيط ريس قال وانشد في نفسه فيه قصيدة اولها

بالصوارم والزامح القنبل * نصر او من انجده عالم يتخذ
لوشنما ومشيتة بمشنة * جاد الزمان وبالصلى الربضل
فاقنى نفاك يا مجاشع واعلى * انى لكم من همتى في جفيل
انافرس اليومين يوم مقالة * ووغى اصول بصارى وعقولى
تلمت فضائلى المتناول مثلما * تلمت جمال الدين ماوى العيل
مدحوه كى يحو واما نقيب نفسه * قطعت فسانت بالمدائح من عل
فاثبت ابدل ما استطعت ومن يرد * نقل الخضم الى المنزلة يجبل
شمس من الاحسان عم ضياؤها * بل اية جئت بحجة مرسل
يعطى الجزيل لمانلى معروفه * ويجود بالشمى اذالم يسأل
وترى بدشوس الخطوب طلاقة * فيكون اسم ماري فى اللعفل
ثقلت به الاعناق من من الندى * فالهام مطرقة لاذك الثقفل
فاذاتلاق الناس كان حديثهم * عن كل جفرا بالحقالة مسدل
اسر امعروف الوزير فكلهم * عاف ترامطلقا كمكبل
من سمرقند الى تمامه شاهد * فضل الجال على الحيا التمل
الشعب تملط رما تظل وجوده * يسرى ودار مقامه بالموصل
وتفرع بن محمد بمحمد * يحيى دريسى علمه والمقل
معمار مرودة وافظ دينه * وهين امته يجود مسبن
جعل المدينة مصر وبعاهلا * نشوان بحر بالنعم المحصل
فكانها بالخصب من قريانه * ياد على شط الفرات السلسل
فلواته فى عصره نزلت له * فى مدح مسور الكتاب المنزل
عبد اخ في ضيقه ووداده * لا يستحل وسيدى المحفل
خرق نياط قصصه وردائه * بعباب زار وهضبة يذبل

قال العماد وكنيت انا فى ذلك العهد متفهما بعد ادواتى حضورى بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فحضرت
عند جمال الدين بالجامع فى جمعين وتكلمت عنده مع انتهاء فى مساتين وعما مدحته به قصيدة اولها

أظنهم وقد عزموا ارتحالا * نساوعنا جبالا لاجالا
سروا الصبح مبيض الحوائى * فلما حال عهد الوصل حالا
هم اعتادوا اللال فكيف ملوا * وصالحهم وما ملوا البلالا
لأدى عيسهم بالقدرقا * فان السير اورثها الكلالا
وعج نحمو الاراك بها فاني * اراهم لاجتماع الشملالا
سقى صوب الحيات ان تجسد * وحيا بالحي تلك القلالا

كتاب (١٣٦) الروتين

اخلاقي وهل في الناس خصل * به اخلاص من الاخران بالا
 لئن لم أشف صدري من حسودي * ولم أذق العدى داء عضالا
 فلا أدركك من أدبي مرادا * ولا صادفت من حسي مثالا
 ولا وعدت اليك في جمال * ولا وليت مولانا الجبالا
 هو المقتنى اذا ما المرء اقوى * هو المقتنى اذا ما الخطب هالا
 وفائلا في الدنيا كريم * سواء قتل لا وأبى العللا
 اطلت على الوري كراما فخرا * كذلك من حوى هذين طالا
 وزن المجده عن كسب وارث * فيا صدر الوري خزن الكمالا
 خصصت بكل منقبة وفصل * تعالى من جباك به تعالى
 قلت وقد أكثر الشعراء في مدحهم منهم العرفه له قصيدتها

يهوى تجنبه والصدود كما * يهوى المعالي محمد بن علي
 جمال دين الاله خير فتى * للرزق اقله ولا اجل
 معطي القرى والقرى لقاصده * من غير من والحقول والحقول
 مثل فتوح الفاروق نائله * شرفا وغر باق السهل والجليل
 من قال لم يحنوذا ويسكن ذا * اصبح مما يقول في خجبل
 محمد خاتم الكرام كما * سميه كان خاتم الرسل

وفيه يقول أحد بن منير من قصيدة

كسي الحرمين بوسعة شمس * وهاشم غزني نسل الخليل
 وللبدا الامين اجسادنا * تكشف مثله جدت الرسول
 عشرين باولاء الامر عما * اتبع لهم الاثر الجليل
 وطار لها واشتقتم فشدال * سيد بن علي عري المجد الاثيل
 بيوت بالجهازه قسرات * رماها الدهر بالخطب الجليل
 وكان اذا الحسن فصاب صونا * لمن آوته من ولد البتول
 ماثر باقيات يوم يمحى * السحق واليمين طيب المقيبل
 وكم للوصل الحدباها * تقبل يدها من ريف وزيل
 برود الصبح مانع الحولثي * مهيب البطش فراس الدخول

ولأبي المجدد قسم الحموي فيمن قصيدة

اغري صر منه الناس في رجل * والليث في بشر والبدر في غصن
 سما بهتم في المكرمان الى * عليا يقصر عنها همة الزمن
 يلقاك واضلبل الفكر راجع * سل الكلب طاهر ذيل المزولعان
 ماضي العزيمة مجنون النقيبة * يربال الكتيبة عين القائل السن
 اذ انركم واستخفيت غمرته * في محفل رحت سالي العين والاذن
 كأن في الدست من حين تنظره * شمس النهار صوب العارض الحقن

قال ابن الاثير وفيها في شعبان من هذه السنة وهي سنة تسع وخمسين وخمسمائة توفي الوزير جمال الدين محمد
 الاصفهاني. كان قد خدم الشهد فولا قصيين وظهورت كفايته فأضاف اليه الرحبة فأبان

ولم يزل كذلك الى أن قتل الشهيد ثم وزر لولدي الشهيد سيف الدين ثم قطب الدين وكان بينهما وبين زين الدين على كوجهك عهد ومواثيق على المصافاة والاتفاق وكان أصحاب زين الدين يكرهونه ويقعون فيه عند زين الدين فنهاهم وكانت الموصلى في أيامه لمجال كل ملهوف وما منال كل خائف فسي به الحساد الى قطب الدين حتى أغروا صدره عليه وقالوا له انه يأخذ أموالك فيصدق بها فليكرهه أن يصر عليه شيئا بسبب اتفاهه مع زين الدين فوضع على زين الدين من غيرهم عن مصافاته ومواثيقه قبض عليه قطب الدين وحجسه بقلعة الموصل ثم ندم زين الدين على المواقفة على قبضه لأن خواص قطب الدين وأصحابه كانوا يخافون جمال الدين فلما قبض تيسطوا في الامر وأنهى على خلاف غرض زين الدين فبقى جمال الدين في الحبس نحو من سنة ثم مرض ومضى لسبيله عظيم القتل والخطر كريم الورد والصدر عديم النظير في سعة نفس لم ير وفي كنهه الاكابر ان أحدا من الوزراء اتسعت نفسه ومروءته لما اتسعت له نفس جمال الدين فاقد كان عظيم الفتوة كامل المروءة قال ابن الأثير حكي لي جماعة عن الشيخ أبي القاسم الصوفي وهو رجل من الصالحين كان يتولى خدمة جمال الدين في محبته قال لم يزل الجبال مشغولا بأمر آخره مدة حبسه وكان يقول كنت أشتي أن أهمل من الدست الى القبر قال فلما مرض قال لي بعض الأيام يا أبا القاسم اذ لي به طائر أيضا اني الدفر فخرجني فقلت في نفسي قد اختلط الرجل فما كان الغذاء أكثر السؤل عن ذلك الطائر وأد اطاره أيضا لم ير مثله قد سقط فقلت له قد جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق وأقبل على الشهادة وذكر الله تعالى وتوفي فلما توفي طائر ذلك الطائر قال غلبت انه رأى شيئا في معناه ودفن بالموصل نحو سنة وكان قد قال للشيخ في القاسم ان يعني وبين أسد الدين شير كوه بعدا من مات متاقبل صاحبه حمله الحى الى المدينة النبوية على سائر أفضل الصلوة والسلام فدفنه بها في التربة التي علمها فان اتامت فامض اليه وذكره فلما توفي سار الشيخ أبوالقاسم الى أسد الدين في هذا المعنى فأعطاه ما لا يصلح لصلته به الى مكة والمدينة وأمر ان يجمع معه جماعة من الصوفية ومن يقرأين يدى نأوته عند التزول والرجيل وقدمه مدينة تكرون في الطريق وينادون في البلاد بالصلوة على ذلن ففعلوا ذلك فكان يصلى عليه في كل مدينة خلق كثير فلما كان في الحسنة اجتمع الناس للصلوة عليه فاذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى بأعلى صوته

سرى نفسه فوق الرقاب وطالما سرى بره فوق الرقاب وناثله

بمزع على الرادى قنتى رماله عليه وفي التنادى قنكى ارامه

فلما رايكأ أكثر من ذلك اليوم ثم صاوبه الى مكة فصاوبه حول الكعبة وصاوبه على ما حرم وحلوه الى المدينة فصاوبا عليه أيضا ودفنوه ما ياط الذي أنشأها وبينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ذراعا قلت كنا قال ابن الأثير ولقد رأيت المكان ولعله أراد الحفاظ للثرى من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لأنفس القبر الشريف زاده الله شرفا وصلى على ما كنتم قال كان جمال الدين رحمه الله اصغى الناس وأكرهم عطاه وبذل المال لرحمائه بالناس مع تقاطعهم عاد لا فيهم فن أعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الحرف بمى وغرم عليه أموالا عظيمة وبني الخرب بجانب الكعبة ورأيت اسمه عليه ثم غير وبني غيره سنة ست وسبعين وخمسمائة ووزع الكعبة بالذهب والنقرة فكل ما فيها من ذلك فهو ٤ الى سنة تسع وخمسمائة ولما أراد ذلك أرسل الى الامام المقتضى لامر الله هدية جليلة حتى أذن فيه وأرسل الى أمير مكة عيسى بن هاشم خلصانية وهدية كثيرة حتى مكه منه وعمر أيضا المسجد الذى على جبل عرفات وعلى التدرج الذى يصعد فيه اليه وكان الناس يلقبون شذنى صعودهم وعمل يعرفات مصانع لها وأجرى الماء اليهم نفعان في طريق معوله تحت الجبل منبئة بالكلس فحرم على ذلك ما لا كثير وكان يعطى أهل نفعان كل سنة ما لا كثيرا ليركروا الماء ويجري الى المصانع أيام مقام الحجاج يعرفات فكان الناس يجدون به راحة عظيمة قال ومن أعظم الأعمال التي علمها نفعنا بنى سورا على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فانها كانت غير سور بينها الاعراب وكان أهلها في ضحك وضمهم رأيت بالمدينة أناسا يصلى الجمعة فلما فرغ غرهم على جمال الدين ودعاه فسا لئنا عن سبب ذلك فقال يجب على كل من بالمدينة أن يدعو له لئنا نكفى ضره وضيقه ونكده عيش مع العرب لا يتركوا لخدمنا ما يواريه ويشجع جوعته فبنى علينا سورا احتجنا به عن يدينا يسوغنا مستغينا

فكيف لانهوله قال وكان الخطيب بالمدية يقول في خطبته اللهم من حرم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن علي
ابن ابي منصور قال فلو لم يكن له الا هذه المكة لكفاه خرافة كيف وقد كانت صدقاته يعقب شرق الارض وغربها
وسمعت عن متولى ديوان صدقاته التي يخرجها على باب داره للفقر امسوى الادارات والتعهدات قال كان له كل يوم
مائة دينار امير يتصدق بها على باب داره قال ومن ائبته البجعة التي لم ير الناس مثله الجسر الذي بناه على دجلة
عند جزيرة ابن عار بالبحر المحيوت والحديد والارصاص والكلس الا انه لم يفرغ لانه قبض قبل فراغ عيونى ايضا جمر
على نهر الاريا عند الجزيرة ايضا ونى الرطب الموصل وسبخار ونصدين وغيره او قصد الناس من اقطار الارض
وبكفيهم ان صدر الدين الجندى رئيس اصحاب الشافعي رضى الله عنه باسبها بن وابن الكافي قاضى قضاء همدان قضاءه
فاخرج عليهم حملا لاجرا ولاونكلا غيرهما من الصدور والعلما ومشايخ الصوفية وصارت الموصل فى ايامه مقصدا ومجلا
وكان احب الاشياء اليه اخراج المال فى الصدقات وكان يضيى على نفسه ويستهل يتصدق حتى لو ادى الى ان كنت يوما
عنده وقد احضر بين يديه قندل ليعمل على وري ليس به شجة دنائير فقال هذا الفم كثير اشترى والى قندلرا يد نيرين وتصدقوا
بئلا تفتنا نير قال فرج اجتماعه غير مرة فقل بفعل قال وحكى الى من اتى اليهم العذل بالموصل ان الاقوات تعذرت فى
بعض السنين بها وقلت الاسعار وكان بالموصل رجل من الصالحين يقال له الشيخ عمر الملا حضره رجال الدين وسلم اليه
مالا وقال له تخبر هذا على مستحقه وكافى غر ارسلى الى لا تغذ غيرة فليجوز الايام بسيرة حتى فرغ ذلك المال لكثرة
المحتاجين فاختله شيئا آخر حتى ثم ارسلى يطلب ما يضره فقال رجال الدين الرسول واقفا عندى شئ ولكن خذوا
هذه المحافر التي فى ادى بيعوها وتصدقوا بها الى ان ياتينى شئ آخر فترسله الى الشيخ عمر فبيعت المحافر وتصدقوا
بها وعز فوه ذلك فلم يكن عند ما يرسله فأعطاه ثيابه التي كان يلبسها مع العمامة التي كانت على رأسه وأرسل الجميع
قال الرسول قل للشيخ لا تمنع من الطلب فوذه ايام مواساة فلما وصلت النساب الى الشيخ عمر بكى وباعها وتصدق بها
وقال وحكى الى بعض الصوفية ممن كان يعجب الشيخ عمر التسانى شيخ الشيوخ بالموصل قال احضر فى الشيخ فقال الى
انطلق الى مسجد الوزير وهو بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا انا لك شئ فاحفظه الى ان احضر عندك ففطنت واذا قد
اقبل جمع من الخالين يجلبون احوالهم النصاف والحام واذا قد جاء نائب جمال الدين مع الشيخ ومعها قاش كثير وغاية
عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الخال فقال لي تأخذ هذه الاحمال وتسير الى الرجة فتوصل هذه الرزمة وهذا الكتاب
الى متوليا فلان فاذا احضرتك فلان العربى فتوصل اليه هذه الرزمة الاخرى وهذا الكتاب وتسير فاذا اوصلت
الى فلان العربى فتوصل اليه هذه الرزمة وهذا الكتاب وهكذا الى المدينة حتى ما كنها افضل الصلاة والسلام
توصل الى وكيل فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات والمال الذى عليه اسم المدينة ليعزجها بقتضى هذه الجريدة
ثم باخذ الباقي الذى عليه اسم مكة ويسير بها فيتصدق به وكيلى بها بحسب الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك
الى وادى القرى فرأى بانه نحو مائة رجل يحمل الطعام الى المدينة وقد منعهم خوف الطريق فلما راوا ناسرا واعنا اليها
فوصلها والى المنطة بها سكل صاحين بدينار مصرى والصالح خمسة عشر طلبا بلغ دأى فلما راوا الطعام والمال
اشترى كل سبعة اصعب بدينار فاقبلت المدينة بالذعاه له ثم سرنا الى مكة ففعلنا ما امرنا قال وحكى الى وادى قال
رايت جمال الدين وقد حضر عندهم جل قبة قبل ان يصير وزير اطلب منه شيئا ورزدا اليه عدة ايام ثم انقطع
فسأل عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال هكذا تنصرف الاحرار عن دور الكلاب وورد ذلك غير مرة ثم سأل
عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال هكذا تنصرف الاحرار عن دور الكلاب وورد ذلك غير مرة ثم سأل
واخبرته وهي ظاهرة لاحتجاج الى بيان فليدنا تركا كثرها وقد ذكره الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى كتاب
الاعتبار فقال اجتمع بجمال الدين الموصل سنة خمس وخمسين وجمع جماعة وانما توجه الى الحج وكانت بينى وبينه
مودة قديمة وعشرة ومائة فعرض على الدخول الى دار فى الموصل فامتنعت ووزلت بختي على الشطة فكان مودة
مقاي كل يوم ركب يجوز على الجسر نحو ثمنى وأمانا فندرك الى الميدان وينفذ الى يقول اركب فانا واقف انتظر
فاركب فاسير او هو فتعقدت فوجدت يوما منة خاوية من امياني فقلت له فى شئ يتردد من حيث اجلسنا
اشبهى ان أقوله لك وما يتفق لي خلوت وقد خلونا الساحة قال قل قلت أقبل ما قاله الشريف الرضى

في أخبار (١٣٩) الدولتين

ما ناصحتك خفايا الوثن أحد * مالم يصبك بكموه من العذل

موتقك تاني ان نساخني * بان أركأ على شئ من الرلل

وقد بسطت يدك في انفاق المال في الصدقات ووجوه النبر والمعروف والاسلاطين ما يحفلون انخراج المال ولا تبصر نفوسهم عليه ولوان الانسان يفرجهم من ميراثه وهذا الذي أهلك البامكة فانظر لنفسك كيف المخرج مما قد دخلت فيه فاطرق ساعة وقال جزاك الله خير الكن الامر قد عبر عما تحفه فصار قلبه وسرته الى الحجاز وعنت من مملكة على طريق الشام وكتب جمال الدين ومات في الحبس قلت ولعلم الدين الحسن بن سعيد الشافعي في هذا الوزير الجواد لما نكب

ما حظ قدرك من أوج العلي القدر * كلا ولا غيرت أفعالك الغير

أنت الذي عم أهل الارض نائله * ولم ينل شأوه في سود بشر

ما روت صفاتك في الاتفاق والمختص * وصديق الجمع عنهما رأى البصر

فاصبر لصرف زمان قد منبت به * فانصر الصبر يا ود النبي الظفر

فما زى أحداني المخلوق يسلم من * صروف دهره في أهله غير

سعوا بقصدك سرا واستبث لهم * ولوسعوا نحوه جهر الماقدروا

لولا الاماني التي تحيي النفوس بها * لم تمن لوحة في العطب فستر

وأصدق الناس في حفظ العهود اذا * ميزت بالمرأ أحوال الورى عمر

الزاهد العابد البر التقي ومن * يزوره ويقوى أثره المختصر

وقال العرقلة يري جمال الدين الوزير والصالحين رزقك

لا خير في الدنيا ولا أهلها * بعد جمال الدين والصالح

بحرمان لولا دمع باكيهما * ما كان ماء البحر بل مالخ

قال ابن الاثير قال والذي كنت أرى من الوزير جمال الدين في الايام السعيدة من الكفاية والنظر في صغير الامر وكبيرها والمخاطبة فيها ما يدل على عكسه من الكفاية فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين مودود بن اتابك الشهيد وجمال الدين وزيره حيث شئوا قد تمكن زين الدين علي بن بككين في الدولة تمكنا عظيما وتقدم عند قطب الدين جماعة من أصحابه فكان جمال الدين مع تنكسه وعلو محله يسلم بعض الامور قال فقلت له يوما أن تلك الكفاية التي كنزها منك في الايام السعيدة أرى الآن منها شيئا فقال لي والان ما عندي كفاية فقلت ما هذا العمل من ذلك بشئ فقال أنت حسبي غير ليست الصكفاية عبارة عن فعل واحد في كل زمان انما الكفاية ان يسلك الانسان في كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوي العزم لا يتجاسر أحد على الاعتراض عليه ولا يتلون باقوال أصحابه فحفظناه فكان ما فعله هو الكفاية وأما الآن فلنا سلطان غير متمكن وهو يحكمهم عليه فهذا الذي أفعله هو الكفاية

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة قال ابن الاثير فيها فتح نور الدين قلعة بانياس من الفرنج وكان قد سار اليها بعد عودهم من فتح حارم وأذن لعسكر الموصل ودلي بكر بالعود الى بلادهم وأظهر انه يريد طبرية فجعل من فيق من الفرنج همهم حفظها وتقويتها فصار نور الدين بجده الى بانياس لمعه بقلعة من فيها من الحماة الممانعين عنها وانزلها ووضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره أخوه نصر الدين أمير اميران فاصابهم سهم احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشفك عن الجراح الذي أعذ لك لتجئت ان تذهب الاخرى وجئت حصارها ومع الفرنج بذلك لجمعوا قلم شكامل عدتهم حتى فقه الله تعالى على ان الفرنج كانوا قد مضوا باقتل بلطهم بحارم وأمرهم تلك القلعة وملاحها ذخائر وعدة ورجالا وعدة وعاد نور الدين الى دمشق وفي يد مناته يقص ياقوت عن أحسن الجوهر فسقط من يدعي شعرا بانياس وهي كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما أبعد من المكان الذي ضاع فيه الفص علم به فاعاد بعض

مكتاب (١٤٠) الروضتين

أصحاب في طلبه ودلهم على مكانته وقال أئنه هناك ضاع قعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين وأئنه
أحمد بن منير من جملة قصيدة مدحها ويمنه بهذا الغرزة هو دافنص الباقوت

ان يتر الشكاك فيك فأنالك السهمى مطفى بجرة الدجال
فلعوده للجبل الذى أطلته * بالامس بين عناتل وجبال
مستر جعلك بالعبادة آية * ردت مطال الفال غير مطال
لم يعطها الاسليمان وقد * نلت الرقاء بموشك الأبحال
زجرى لى لمز ملكك انه * كمرره عن كل حذر عال
فلوالجار السبعة استويته * وأمرتهن تذقته فى الحال

قلت هذه الايات لابن منير بلا شك ولكن فى غير هذه القراءة فان ابن منير قد سبق انه توفى سنة ثمان وأربعين وفتح
بانياس كما تراه فى سنة ستين وقد قرأت فى ديوان ابن منير وقال بمدحه يعنى نور الدين ويمنه يعال ودمن غزاة وضياح
فص باقوت جبل من يده لا شتعا لم يصيد شراة ألف ومائة دينار وفى نسخة وجدان خاتم ضاع منه فى الصيد قيمته
ألف ومائة دينار وأنشدها ياها باقاة حصن فذكر القصيدة أولها (يوماك يوم ندى ويوم نزال) يقول فيها

أخرست شدة الضلال وقدته * قود الأول أطاع بعد صيال
ووميت دل المشر كين يصيلم * التحت فيها الحرب بعد حبال
وسعرت بين تربهم وتراهم * ذعرا يشب نواحي الاطفال
فوق الخطم وقد خطمت زعيمهم * ضربا سوابقه بغير نواي
ضربا ملأت فرجة من حزه * رهبا سيف الصقال حبال
وبقي حارم أحرمت لقراعهم * هم أحلن النوم غير حلال
بجموا على جمر الحديد حديدها * نعا بعدمه ادير صال
زلزلت أرضهم بوقع صواعق * أعطينا امانا من الزوال
فى مازق شممت ذيل قمته * والنصر فوقك مسبل الاذال
فى دولة غراء محمودة * مهبت رداء الحمد غير مذل
تسى الفتوح بها الفتوح وتجتنى * زهر المقال بياهر الافعال
لبست نور الدين نور حدائق * ثمراتهن غرائب الافصال
ملك فحجب فى الممر برأرة * ززت حواشيه على ريبال
تجبال عن ذى ليدتين شذاته * فى بردى بدل من الابدال
رفع الراق بروق انطاكية * فرمى الخليج بمرهق الليال
بدل أربع عشرة اقتبس السنن * من خمس عشرة سورة الانفال
فوز المآل أخاضهمه الطلي * وسواه يقعه احتياز الممال
متقسم بين القسمين العلى * عن عمهم أو مخايل خال
لارت تطلع من ثنايا جفيل * يقولوا لك كالورى المنهال
لثان تطل على الكواكب راقيا * ولما سديك بكاعلى الاطلال

وعما يناسب هذه السعادة فى وجدان الخاتم بعد وقوعه فى مظنة الحلاوة والضياع ما بلغنى ان موسى الهادى لما ول
الحلافة سأل عن خاتم عظيم القيمة كان لبيه الهوى فبلغه ان أخاه الرشيد أخذه فطلبه منه فقامت مع فالج عليه فيه
لحق الرشيد ومضى على جسر بغداد فرماه فى دجلة فلما مات الهادى وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه
خاتم من رصاص فرماه ثم أمر الغطاسين ان يلحقوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الأول فعند ذلك من سعادة الرشيد وبقاء
ملكه قال ابن النير وما فتح نور الدين حصن بانياس كان ولده معين الدين انز الذى سلم بانياس الى الافرنج قائما على

في أخبار (١٤١) الدولتين

رأسه فالتفت اليه وقال له لئلا ينس هذا الفتح فرحة واحدة ولا فرحتك فقال كيف ذلك قال لان الله تعالى اليوم برز جلدته والملك من جهنم وقد تقدم انه كان صانع بها عن دمشق لما نزل الفرغنج عليها وفيها توفي وزير بغداد عون الدين أبو المنظر يحيى بن محمد بن هبة الشيباني من بني ذهل بن شيدان ابن تلبسة بن الحصن وكان عالما دينا مدبرا حنبلي المذهب وزير لقتني ثم استغنى بعده وله عدة مصنفات منها الاصحاح في رح الاحاديث الصالح وكان يجمع في مجلسه افاضل الوقت من أعيان للانساب الاربعة والنحاة وغيرهم يجرى بحضرتهم فوائد كثيرة ثم توفي وهو ساجد في صلاة الصبح من يوم الاحد ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة ورويت له منامات حسنة ومدحه جماعة من الفضلاء ومولده في عريش الأخر سنة سبع وتسعين وأربعمائة بقرية من أعمال دجيل تعرف بالدور وهو الذي يحار سم سلاطين الجهمم العراق وأجلاهم عن خطتها بحسن تدبيره ومن كلامه لبعض من كان يأمر بالمرور فاجتهد ان تستر العصابة فان ظهر معا صمهم عيب في الاسلام وأولى الامور ستر العيوب

(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) ففيها توفي فتح الدين بن أسد الدين شيركوه أخو ناصر الدين وقبره بالمقبرة النجمية الجانب قران عمه شاهنشاهن أيوب في قبعة فيها أربع قبورها الاوسطان منها وفي هذين الاخوين ناصر الدين وفتح الدين يقول العزقة حسنة

الله شيبلا أسد خادر * ما فهم ما جبن ولا شمع
ما أقبل الا وقال الزورى * قد بناء نصر الله والفتح

وفيها سار نور الدين أيضا الى حصن المنيطرة وهو القصر لم يمسح له ولا جمع عساكرها فاسار اليه على غرة من الفرغنج وهما اثنان جمع العساكر حذر واوجعوا فالتزم الفرصة وسارا الى المنيطرة وحصرها وحرق قنائها وأخذها عنوة وقهرها وقتل من بها وسبي وغنم غنيمة كثيرة لا من من يدافعونهم خيل الله بغته وهم لا يسعون ولم يقدر الفرغنج على ان يجتمعوا لدفعه الا قد ملكه ولو علموا انه جرد جريدة لا سرعوا وانما ظنوا ان نور الدين في جمع كثير فلما ملكه نفر قوا وايسوا منه هذا قول ابن الاثير وذكر الفاضل ابن شداد ان ذلك كان في سنة اثنتين وستين كما سيأتي والله أعلم وفيها توفي المجلس بن الخياط بمصر قال العادق الحريدة القادسي المجلس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحبيب الاطفي السعدي النجدي جلس صاحب مصر فضله مشهور وشعره مأثور وكان أوجده مصر في مصره نظما ونثرا وترسلوا شعرا وانت بها في سنة احدى وستين وقد أناف على السبعين أنشدني في الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها

ومن يحجب ان السيف لديهم * تحيض حماه والسيف ذو كوز

وأحجب من ذاكها في أكفهم * تأجج نارها والاحكف بحور

قال وأنشدني له الشريف ادريس الادريسي قصيدة سيرها الى الصالح بن رزيق قبل وزارته يحرر منه على ادراك شار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخوته يوسف وجبريل يقول فيها

أصادفهم قولا وغيبا ومشبها * نخوهم على عبد جعل أعادي

فابن بنور رزيق عنها ونصرهم * وما لهم من منعة وذيا

فلو عاينت عيناك القصر يومهم * ومصرهم لم تكحل برقاد

ففرق جوع للمارقين فانها * بشايا زروع أذنت بمصا

وله فيه من أخرى في هذه الحادثة

ولما ترائى البربري بجهله * الى قسكة ما زامها قه رائم

ركبت اليه من عزمتك التي * بأمتا لما تلقى الخطوب الضائم

أعدت اليوم ملكهم بعدما لوى * به غاصب حق الامامة ظالم

وأغفل اليه في المعنى يقول

أعدت الى جسم الوزراء قروحها * وما كان يرجى بعثها ونشورها

مكتوب (١٤٢) الروضتين

أقامت زمانا عند غيرك طامشا * فهذا الاوان قرؤها وظهرها
من العدل ان يحظى بها مستحقها * ويمنعها من دودة مستعيرها
اذما لك الحسناء من ليس كفؤها * أشار عليه بالطلاق مشيرها
وله بشكوطييا

وامصل بليت من قد غزالي * من السقم المبح بعسكرين
طيب طيبه صكترابيين * يفرق بين عافيتي وبين
أقلى الحلى وقد شاخت وباحت * فرد لها الشباب بنهتين
ودبرها تلميذ لطيف * حكاة عن سنان أو حنين
وصككت نوبتي كل يوم * فمسيرها بمصدق نوبتين

قلت الايات الرائية تمثل بها المجلس وهي امر دقراة انها في ديوانه وهي من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة بغداد
نظر الدولة ابا نصر محمد بن محمد بن جهر وبينه يعود الى الوزارة وأنها

لحاجة قلب ما يفتق غرورها * وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها
وقدنا صغوفاً في الديار مكانها * ضحائف ملقاة ونحن سطورها
يقول خليلي والظباء سوانح * أهدى التي تهوى قفلت نظيرها
وقد قلتما لي ليس في الارض جنة * أما هذه فوق الزكائب حورها
أراك الخي قل لي بأى وسيلة * وصلت الى أن صادقتك ثورها
ومالى بها علم فهل أنت عالم * ألأنواها أولى بها أم نحوورها
على رسلك في المجرانا عصابة * اذا نظرت في الحب عفى ضميرها
قل ليالى كيف شئت ثقلي * ففى يد عجل الساعدين أمورها
أمانى في نفس الوزراء بلغت * به كنهها حتى اسخفت نذورها
لوت وجهها عن كل طالب متعة * الى خاطب حل عليه سفورها
اذما مثل الاقوام دون عرينه * تساوى به ذو طيشها وقورها
تسكاد لما قد ألتست من سكينه * ترف على تلك الروس طيورها

(ثم دخلت سنة اثنى عشر وستين وخمسمائة) قضيا عاد أسد الدين الى مصر تاسع ربيع الآخر وقد كان بعد رجوعه
من مصر لا يزال يحدث نفسه مقصدها ومعاودتها حتى يصاعلى الدخول اليها يتحدث به مع كل من يثق اليه وكان مما
يحييه على العودة بادة فقدم على شاور ومما عمل معه فلما كان هذه السنة تجوز وسار اليها سير نور الدين معه
بجاعة من الامراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وفى ذلك يقول الفرقله

أقول والآن لك قد أزمعت * مصرانى حرب الاعارب
رب كما ملكتها يوسف الا * صدق من أولاد يعقوب
يلكها في عصرنا يوسف الا * صادق من أولاد أيوب
من لم يرل ضراب هام العدى * حقا وضراب العرايب

ثم ان أسد الدين جثى السير على البر وترك بلاد الافرنج عينا فوصل الى الديار المصرية وقصد اطفيح وهجر
النيل عندها الى الجانب الشرقى ونزل بالجيرة مقابل مصر وتصرف في البلاد القريبه وأقام بها اربعين يوما
وكن شاورا بلغه بجي أسد الدين قد راسل الفرنج يستغيث بهم ويستصرخهم فانوه على الصعب والذلول فتارة
يحثهم طمعهم في ملك مصر حتى الجتوا التشبير وتارة يصدوهم خوفا منهم أن يملكها العسكر النورى على الاسراع
في السير فالرجاء بقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الشرقى وكان أسد الدين والعسكر
النورى قد ساروا الى الصعيد فبلغوا مكانا يعرف بالباين وسارت العساكر المصرية والفرنج من ورانهم فأدركهم

به في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وكان قد أرسل اليهم جواسيس فعادوا وأخبروه بكثرة عددهم وعندهم وجددهم في طلبه فغزم على قتالهم ولقاهم وان تحركهم السيف بينه وبينهم لأنه أخاف من أصحابه ان تضعف نفوسهم عن الثبات في هذا المقام الخطير الذي عظمهم فيه أقر بهم من السلامة لقلعة عدهم وبعدهم عن بلادهم فاستشارهم فكلهم أشار عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقى والعدو الى الشام وقالوا له ان نحن انهم منا وهو الذي لاشك فيمالي أن ينلجني وبين نخمتي وكل من في هذه الديار من جندى وعامى وفلاح عدونا وودون وشربوا دماءنا وحق لعسكر عدتهم ألف فارس قد بعدوا عن ديارهم وقتل ناصرهم أن ترأع من لقاء عشرات ألوف مع ان كل أهل البلاد عدو لهم فلما قالوا ذلك قام انسان من الممالك النورية يقال له شرف الدين برغش وكان من الشجعلة بالمكان المشهور وقال من يخاف القتل والجراح والامر فلا يخدم الملوك بل يكون فلاحاً ومع النساء في بيته والله لئن عدتم الى الملك العادل من غير غلبة ولا تغذرون فيه لياخذن اقطاعكم وليعودن عليكم بجميع ما أخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم أنا خذون أموال المسلمين وتفرّون عن عدوهم وتسلمون مثل هذه الديار المصرية تصرف فيما الكفار قال أسد الدين هذا رأبى وبه أعل وواقعها صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم كثر المواقف لهم على القتال فاجتمعت الكلمة على اللقاء فأقام مكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهوى تعبته وقد جعل الاثقال في القلب يستكبر بها ولا نه لم يملكه أن يتركه بكمكان آخر فيهم أهل البلاد ثم انه جعل صلاح الدين ابن أخيه في القلب وقال له ولن معه ان الفرنج والمصريين يظنون انني في القلب فهم يجعلون جرتهم ياراً وتحتهم عليهم فاجلوا عليكم فلا تصدقوهم القتل ولا تهاكموا انفسكم واندفعوا بين أيديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم واختار من فجعان أصحابه جمعاً يثق اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في المنية فلما تقابل الطائفتان قتل الفرنج ما ذكره أسد الدين وجلوا على القلب نظماً منهم انه فيه فقاتلهم من به قتالاً يسيراً ثم انهم مواين أيديهم فتبعوهم فيقتل أسد الدين فيمن معه على من تخلف عن الفرنج الذين جلوا على القلب من المسلمين فهزمهم ووضع السيف فيهم فافتمن وأكثرت القتل والامر وانهم السابقون فلما عاد الفرنج من أثر الخزيين الذين كانوا في القلب وأمكن المعركة من أصحابهم لم يفعل ليس بهم منهم يار فانهم مواضوا كان هذا من أعجب ما يروى عن أنفى فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل ثم سار أسد الدين الى نهر الاسكندرية وجي ما في طريقها من القرى والى السودان الى الاموال ووصل الى الاسكندرية فقبلها من غير قتال سلمها اليه أهلها فاستتاب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد وتملكه وجي أمواله وأقام بها حتى صام رمضان وأما المصريون والفرنج فافتمن عادوا الى القاهرة وجعلوا أصحابهم وأقاموا عروش من قتل منهم واستكبروا وحشدوا وساروا الى الاسكندرية وبها صلاح الدين في عسكر فغزوهم ما منهم وقد أعانهم أهلها خوفاً من الفرنج فاستدأ الحصار وقل الطعام بالبلد فصرأ على ذلك ثم ان أسد الدين صار من الصعيد نحوهم وكان قد أفسد بعض من معه من التزكان ووصله رسول المصري والفرنج يطلبون العطف وبذلوا له خسين ألف دينار سوى ما أخذ من البلاد فاجابهم الى ذلك بشرط ان الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون من أقره واحدة وان الاسكندرية تعاد الى المصريين فأجابوا الى ذلك واصطلحوا وعاد الى الشام فوصل دمشق ثامن عشر ربيع القعدة وتسلم المصريون الاسكندرية في النصف من شوال وأما الفرنج فافتمن استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ويكون أبوهايد فرسانهم ليجتمع الملك العادل من انقاذ عسكر اليهم ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار هذا كله يجري بين الفرنج وشاوراً والعاضد صاحب مصر فليس اليهم من الامر شيء ولا يعلم بشئ من ذلك قد حكم عليه شاور ووجهه وعاد الفرنج الى بلادهم وتر كوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة تالذ كورة ثم ان الكامل شجاع بن شاور وراسل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارثي وهو من أكابر أمراء الملك العادل وهو خال صلاح الدين يوسف ينهى بحبته وولاءه وبساله أن يأمر بإصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ويجمع كلمة الاسلام وبذل ما لا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك وجعلوا الى نور الدين ما لا يجزى بلا في الامر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر فملكها فكان ما ذكره ان شهادته تعالى في اخبار سنة اربع وستين قال القاضي أبو الحسن ذكر عود أسد الدين الى مصر في المرة الثانية وهي المعروفة

بوقت البائين لم يرزل أسد الدين فحدث بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك ودخله الخوف على البلاد من الأتراك
وعلم أن أسد الدين قد طمع في البلاد وأنه لا بد له من قصد هاتيك البلاد فخرج وتوهمهم أنهم يجيئون إلى البلاد
ويكونون فيها كمنكبا كلبا ويعتونه على استئصال أعدائه بحيث يستقر قدمه فيها وبلغ ذلك نور الدين وأسد الدين
فاشتد خوفهما على مصر إن ملكها الكفار فستولون على البلاد كلها فخرج أسد الدين وأخذ نور الدين معه العسكر
وألزم صلاح الدين رجاء الله بالسير معه على كراهته منه فلما كان ذلك في أثناء ربيع الأول وكان وصولهم إلى البلاد
المصرية بمقارنا لوصول الفرنج إليها واتفق شاور مع الفرنج على أسد الدين والمصريون بأسرهم وجري بينهم حروب
كثيرة ووقعت شديدة وانفصل الفرنج عن الديار المصرية وانفصل أسد الدين وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين
قدس الله روحه وحصد العساكر إلى بلاد الأفرنج وأخذوا المنيطرة وعلم الفرنج بذلك فخافوا على بلادهم وعادوا وكان
سبب عود أسد الدين ضعف عسكره بسبب موافقة الفرنج والمصريين وما عاينوه من الشدائد وعائنه من الأحوال
وما عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كاهم عن مصر وعاد إلى الشام في بقية السنة وقد انضم إلى قوة الطمع
في البلاد شدة الخوف عليها من الفرنج لطمعهم بأنهم قد صككوها كما كسفها وعرفوها من الوجه الذي عرفها
فأقام بالشام على مضض وقلبه مقلقل والقضاء يجره إلى شيء قد تفرغ لغيره وهو لا يشعر بذلك قال وفي أثناء سنة اثنتين
وستين ملك نور الدين قلعة المنيطرة بقصد مسير أسد الدين في رجب ونزح قلعة كاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع
نور الدين وأخوه قطب الدين وزين الدين بجاءه للفرار وساروا إلى بلاد الفرنج فخرجوا هوتين في شوال منها وفي ذي
القعدة منها كان عود أسد الدين إلى مصر وفيه مات قرأ أرسلان بد برك

(فصل) وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب أبو محمد محمد بن محمد الأصفهاني
مصنف كتابي الفتح والبرق فأنزله قاضي القضاء كال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن الشهر زوري
بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير باب الفرنج المنسوبة الآن إلى العماد وأغنا نسب إليه لأن نور الدين
رحمه الله ولاه إياها في رجب سنة سبع وستين بعد الشيع التقيين عبدو كان الحماد له معرفة بنعم الدين أيوب وأسد
الدين شيركوباني شاذي من تكريت بسبب أن عمه العزيز أجدن حامدا لعه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
بقاعة تكريت وبهم الدين أيوب آنذاك وإيما فانتسجت المودة بينهم هناك فلما سمع نعم الدين وصوله بكر إلى
منزله لتبجيله وكان صلاح الدين وشيركوبه حينئذ بمصر فدح الحماد نعم الدين أيوب بقصيدة أولها

يوم النوى ليس من عسري محسوب * ولا الفراق أني عيشي محسوب
ما اخترت بعد لكن ازمان أني * كرها بما ليس بأحبوب محبوبي
ارجوا إلى اللهكم ظافرا أعلا * فقد ظفرت بنعم الدين أيوب
موفق الرأي ماضى العزم مرتفع * على الأعاجم مجدوا لأعارب
أحبك الله أذلا زمت فبجده * على جبين بتاج الملك معسوب
أخوك وأنتك أصدقاؤنا اعتصما * بالله والنصر وعد غير مكذوب
هيا هلمان في بومي ونغي وشرى * تعودا ضرب هام وأعرأقيب
غدا يشبان في الكفار نار وغي * بلحها يصبح الشبان كالشيب
هك مصر ونصر المؤمنين غدا * تحظى النفوس بتاتيس وتطيب
ويستقر بصر يوسف وبه * تفر بعد التثنائي عين يعقوب
ويلتي يوسف فيها بأخوته * والله يجمعهم من غير تريب

وكان إشارة هذه القصيدة في آخر شوال سنة اثنين وستين وخمسة مائة وتم ملكهم مصر بعد سنتين قال فنظمت
ما في القصب تقديره قال وكان أسد الدين قد جمع وسار إلى مصر في الرمل في النصف من ربيع الأول ووصل في سادس
ربيع الأخر إلى أطنج وعبر منها إلى الجانب الغربي وانا خ بالجزيرة ثم أنا مصر فقام عليها نيفا وخمسين يوما واستعان
بـ ١٠ ألفه فنهزته الحرس فالتفاهر وتوعدوا بهم من البلاد الشرقية إلى الغرب وعلم أسد الدين قسار ما هم فالتفوا

بوضع يعرف بالبتن فكسرهم أسد الدين وأصحابه وقيلوا من الفرغ ومن تبعهم من المصريين والموافق حصل منهم في الأسارى سبعون فارسا من ياروتينهم فلما تمت لحم هذه الكثرة وحلوا إلى الاسكندرية فوجدوا مساعدة أهلها قد خلوها ثم قال أسد الدين أنا لا يمكنني أن أحصر نفسي فأخذ العسكر وسار به إلى بلاد الصعيد فاستولى عليهم وأوجي نراجها وأقام صلاح الدين بالاسكندرية فصار إليه مشاور وقترغ فناصر وأرصة أشهر وصديق أهل الاسكندرية القتال مع صلاح الدين وقوى أسد الدين بغوص واستنفض لقصص القوم العوم وانحصر فسمع الفرغ انه جاء يقصدهم فرحلوا عن الحصار وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين مع أسد الدين بالذهب فلما أرسلوا للمهادنة أجاب ومالب منهم عرض ما غرمه فبدلوا له خمسين ألف دينار فخرجوا من الاسكندرية في النصف من شوال ووصلوا إلى دمشق ثامن عشر ذي القعدة وعادوا إلى الخدمة النورية فاجتمع للمعالي أسد الدين وأنشده هذه القصيدة

بلغت بالجسد ما لا يبلغ البشر * وثلت ما عجزت عن نيله القدر
من يهتدي لئلا أنت اهتديت له * ومن له مثل ما أثرته أثر
أسرت أم بصر إلى الأرض قد طويت * فانت اسكندري في السير ام حنجر
أورمت خيلا بقصى الصين صادرة * عن الغرات يقاضى ووردها المصد
تناقلت ذكرك الدنيا فليس لها * الا حديثك ما بين الوري ممر
فانت من زانت الايام سيرته * وزاد فوق الذي جاعت به السير
لوقى زمان رسول الله ككنت أنت * في هذه السيرة المحجدة السور
أصبحت بالعدل والاقدام منفردا * قل لنا أعلى أنت أم عمر
اسكندوزكروا أخبار حركته * ونحن فيك رأينا كل ما ذكرنا
ورسم خبرنا عن فصاعته * وصار فيك عيانا ذلك الحشر
أنقر فان ملوك الأرض أذهلهم * ما قد قمت بكل فيك مستعكر
سهرت اذ رفدوا بل هجت انكسروا * وصلت اذ جنبو ابل طلت اذ قصرنا
يستعظمون الذي ادر كنهه عجبنا * وذلك في جنب ما رجوهم محقر
قضى القضاء بجان جوهه عن كتب * حنما وواثقك التوفيق والقدر
شكت خيولك امان السرى وشكت * من ظها البيض بل من حطمه السمر
يسرت فتح بلاد كان أبصرها * لغسير رأيك قفلا فنه عصر
قرنت بالجزم منك العزم فانتقت * ما رب لك عنها أسفر السفر
ومن يكون بنور الدين مهتديا * في أمره كيف لا يقوى له المرر
يرى برائك ما في الملك يبرمه * فانت منه بحيث الجمع والبصر
لقد بغت فنة الا فرغ فانتصفت * منها بالقدمك المندية البتر
غرست في أرض مصر من جودهم * اثصار خط لماس هامهم عمر
وسال بحر نجيع في مقام ونى * به الحسد غملا وادهم المطر
انهرت منهم دما بالصعيد جرى * منها إلى النيل في واديهم سمر
راوا اليك عبور النيل اذ عدوا * نصر انما عبروا حتى قد اعتروا
تحت الصورم هام المشركين كما * تحت الصورم يوم اخذت الأكر
اقتسبوا فظن من لاقت خان تركت * قوما غمهم نفر من قبلها تفرروا
لم ينج الا الذي عافته من خبيث * وحش الفلا هو للصدور منتظر
والما يكون القصور القاهرة قد * نادى القصور عليهم انهم قهروا
وشاور شاوره في معابد هم * فكاده لكيد ليلاته الحشر

كتاب (١٤٦) الروضتين

كانوا من الرعب موقفي جلودهم * وحين أمنتهم من حولهم نشرها
وان من شير كوه الشرك مخزل * والكفر مخزل والدين منتصر
عزل على قسمة عند الله وقت * وعد عن تركان قبله غدروا
وكيف يخزل جيش أنت مالكة * والقائدان له التأييد وانظر
أجاب فيك الله الخلق دعوة من * يطيب باليسل من انفسه المعصر
وقال الهاد وانملت بيني وبين صلاح الدين يوسف بن أخيهم مودة تمت بها على الزمان عدة ولم يرل يستدني
نظمي ونثري ويشعري انه يميل الى شرى فأول ما خذ منه به هذه الكلمة

كيف قلتم بقلته قنور * وأراها بلا قنور تحيور
مستجير حوري والى منه * بين أيوب يوسف مسخير
فضله في الزمان سوار * مثلها رأيه على الملك سور
كرم سامخ وجود عيم * وندي سائغ وفضل غزير
أنتم من لم يرل يحسن اليه * وهوى المهندس جبه والسرير
من دم الغادرين غادرت بالاء * من صعيد الصعيد وهو غدير
ولكل مما تطاولت فيهم * أمل قاصر وعمر قصير
لاذبال نيل شاور مثل فرعو * ن فذل اللاجي وعز العبور
شارك الشركين نعيما قدما * شاركهما قريظة والنضير
والذي بدعي الامامة بالقبا * هرة ارتاع انه مقهور
وغدا الملك خائف من سطاكم * ذا ارتعاد كانه مقرر
وبنو الهفري هانوا ففروا * ومن الاسد كل كلب فروا
انما كان للكلاب عواء * حيثما كان للاسد زئير
وقلب عند الفرار سليب * فهو بالزعب مطلق مأسور
لم يقواسى الا صغر السبي * فوذوا لوان الكبير صغير
وحيت الاسكندرية عنهم * وري من بهم عليهم ندور
حاصر وهاوما الذي بان من ذبك * عنها وحفظها محصور
كحصار الاحزاب طيبة قدما * ونبي الهدي بها منصور
فاشكر الله حيث لولا نصره * فهو للمولى ونعم النصير
ولكم ارجف الاعادى قتلنا * ما لم تذكروه تأشير
ورقبنا كالعيد عودك قاليو * مبهلا نام عيده كبير
عادم من مصر يوسف والى يعقوب * بالتهنئات جاء البشير
فلا يوب من ايا صلاح الدين * يوم به توفي التذوور
ولكم عودة الى مصر بالنص * ر على ذكر هاتمر العصور
فاستردوا حق الامامة من * خان فيها فانه مستعير
واقترعها بكر الهاجدي الله * ر رواح في مدحكم وذكور
أناسيرن طالع العزم مني * والى قصصك انتهى التفسير
وأرى خاطري بمدحك الفا * انما يأنف الخطير الخطير

وهي التي قبلها طوبلتان جدا فانظمت معرفة العباد بصلاح الدين وكان له مساعد عند نور الدين وقرأت
في ديوان العزلة وقال يدع أسد الدين شير كوه وقد أخذ الشقيف ورجل طالب احصنا يقال له العراق

في اخيار (١٤٧) الدولتين

رحلت من الشقيف الى العراق • بعزم كالمهندسة الزقاق
ونكست الاعداء منتهرا • ومجدلت في خزي الجزاء باقى
يماسك لا يمسكك ظف هذا • وبالتوفيق لا بالاتفاق
فداؤك من مضى الحصن قبلى • الى دار الحلو ومن الزقاق
وما تخشى على الاسلام رؤسا • اذا هلك الجميع وانت باقى
اشاوركم تشاوره كل خب • وتغنى عند ذلك بالثفاق
انصبر ان اتك بهار خيل • وقدم ما صبرت على السواقى
مضى رمتك السودان رؤسا • وقد خلاهم مثل الزقاق
وعيشك ما الممن مصر يد • ومن عندى ثلاثا بالطلاق
هو الاسد الذى مازال حتى • بل يجدا على السبع الطباقي

(فصل) قال ابن الاثير وفي هذه السنة ارسل نور الدين الى اخيه قطب الدين يطلب ان يعبر القرات اليه
بساكره فتجهز وسار هو وزير الدين في الصاكر الكثرة فاجتمعوا نور الدين على حصن فدخل بالصاكر الاسلامية
بلاد الفرنج واجتاز على حصن الاكراد فاعلوا ونهبوا واورقوا وتصدهر قوتزوا على باوصر وهاوصر وها
جبله وآخرها وتوجهت حساكر المسلمين يمشوا على الاقير وقرب البلاد وفتح القرى وموافيقا عاد الى حصن فسلم
بها شهر رمضان ثم سار الى بياس وحصد قلعته هونين وهي الفرنج ايضا من قلاعهم المنيعه فانهزم الفرنج عنها
واسرقوها فتصدها نور الدين فوصلها من القيد وخرّب سورها جميعا وادخلها الى بيروت فتصدت في العسكر
خلل اوجب للفرق فعاد وسار قطب الدين الى الموصل واقطعه مدينة لارقة فاخذها على طريقه قال وفي هذه السنة
عمى الامير غازي بن حسان المنجي صاحب منج على نور الدين وهو كان اقطعه اياها فأرسل اليه نور الدين هسكرا
حصر بها وأخذها منه واقطعها أثناء قطب الدين بنال ابن حسان وكان عاقلا خيرا احسن السيرة فبقى بها الى ان
أخذها منه صلاح الدين سنة اثنتين وسبعين كاساقي وفيها توفي القاضي الرشيد احمدين على بن الزبير صاحب
كتاب الجنان قال العماد في الحريدة كان ذاعل غزير وفضل كثير قتله شاورمير في سنة اثنتين وستين وكتب اليه
انه شارك أسد الدين شيركوه في قصد دواؤه المهذب ابر على الحسن بن علي بن الزبير اشعر منه وتوفى قبله بسنة
لم يكن في زمانه اشعر منه وله شعر كثير منه قصيدة غرافى مدح الصالحين رزك وذكر فيها نور الدين أولها

أعلنت حين نجيا والحيان • ان القلوب موافق للنيران
يا كسر الاصنام قهقناض بنا • حتى تصير مكسر الصليان
فالتام ملكك قد تروث بلاده • عن قومك الماضين من حسن
واذا شككت بأنها أوطنهم • فمما غفل عن حارت الجولان
أورمت ان تلوح الحسن ذكرهم • فاستندروايتها الى حسن
مازلت ارض العليل ذل كما • بقلوب أهلها من الخفقان
وأقول ان حصونهم مجتذبا • أو ثبت من ملك ومن سلطان
وقد عشت الى الفرنج كالأب • لاسد حين تصول في خطان
لبسوا الدرع ولم يزل من قبلهم • ان البحار تحمل الى غدوان
مجلت في تل الجبل قراهم • وهبك للضيقة ان القنفذان
ونلت في يوم العرش عروهم • يشا ضرب صادق وطعان
البناتم البصر لما ان جرى • منهم من دمهم معا بجران
وقد أتى الاطول حين خرابها • لم يأت في حسين من الاحيان
وأخذت رسل ابن القسيم اليه في • شعبان كي يتلام للثعبان

مكتاب (١٤٨) الرومانيين

والفأل يشهد في اسمان سوف يفسدوا الشام وهو ملكا قصعان
وأركاء من بعد التمهيد أباه * وجعلته من أقرب الاخوان
وهو الذي مازال يفعل في العدى * ما لم يكن ليعد في الامكان
قتل البرنس ومن هبأهاته * لما عساق البني والعدوان
وأرى البرية حين عاد رأسه * من الجنى يدعو على المزان
ونهبوا من زرقة في طرفه * وكان فوق الرمح نصلا ثاني
عجبا لجلود يديه اذ بيني العلا * والليل يهدم ثابت الاركان
قلدت أهنق البرية كلها * مننا نجل ثقلها الثقان
حتى تساوى الناس فيك واصبح السقامى بمنزلة القرب الداف
وفي هذه السنة ذكر القاضى كمال الدين بن الشهرزورى للسلطان نور الدين رحمه الله سال العبادال كاتب وعرفه به
وعرض عليه قصيدته في مدحه مطلعها

محمد محمد عيش بلدة * مال كلها بعده مجودها
مؤيد أموره بعزيمة * من السموات العلى تأيدها
لوحظت يوم النوى عهدا * ما ملئت بوصلكم وعودها
آثاره حميدة وانما * للسر من آثاره حميدها
ان الورى بحبه وبفضه * يعرف من شقيقه سيدها
قد جاءكم نور من الله فن * بما هتدى فانه رشيدها
جلا ظلام الظلم نور الدين من * أرض الشام فله حميدها
ان الزعابا ينهض في رعاية * ونعمة مستوجب من يدها
لنومها يسهل لآمنها * يخاف بل يصبها بحودها
بالدين والملك له قيامه * وللوك عنهما قصودها
ودأبه ثم ثور الكسوفلا * لثم ثور نافع برودها
قد أسبغ الله لنا بعده * ظلال أمن وارف مديدها
غدا ملوك الروم في دولته * وهم على رغهم عبيدها
لما ابتها ماتهم بحودها * لله أصبى للظلي بحودها
ان فارقت سيوفه بحودها * فان هاما تم بحودها
كم غفلت من حصون عزه * مفتاحها وسيفه أظليدها
قدوتت الفرع لوقرت نجت * منك ولكن روعها سيدها
قهرتها حتى لو حيا * من ذلة لوانه قبيدها
أما تاربعيك في حصونها * كأنما حصونها لحودها
وان مصر لك تنو بعدا * لسيفك الصعب هنا سيدها
والمة القسرا خال بالها * عال سنا هليك حال جيدها
مفترة ثورها متنوعة * ثورها مصفونة حودها
وان بنى جالوتها سلاله * فانت في اهلا كه داودها
بالن قسم الدولة الملك الذى * نزلت لمن الملوك سيدها
دع المدي يقيظها فانما * يذيب أكاد العدى بحودها
بلدولة نورية أمن الورى * ونصبها بحودها بحودها

في اخبار (١٤٩) الدولتين

مامثل الدنيا لمن يجمعها * بالحرم الاكثر وودها
ابن الذي يرتضها عن قدوة * فلا يشوب زهد زهدها
فابقى لنا بالملكاء * في كل عام الرعا يا عيدها
في نعمة جديدة تسودها * ودراسة جديدة حدودها

وهي طويلة فترتبته نور الدين في ديوانه من سنة ثلاث وسبعين قال ووجدت على الايام منه الاعزاز
والتمكين قلت ذلك بعد ان استعفى ابوالبشر شاكين عبد الله من الخدمة في كتابة الانشا وقد في بيته كذا
ذكر العماد في الخبرية وقال تولى ديوان الانشا بالشام سنين كثيرة وله مقاصد حسنة في الكتب وهو حيد السيرة جليل
السريرة وفيها توفي الحافظ ابو سعد عبد الكريم محمد السجاني المروزي رحمه الله تعالى
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسميائه * فذكر العماد ان تورا الذين رحل الى حمص ثم مضى الى حمص ثم شقي
بقلة حلب ومعه الاسد والصلاح نزل العماد بمدرسة ابن الجعي وكتب الى صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد عثر
فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين رحمه الله تعالى

لا تترك لساج عثرت به * قدم وقد جعل الحظم الزخرا
ألقى على السلطان طرفك ماره * فهو هنالك لسلام بلدرا
سبق الرياح ببحريه * وكفتته * عنها ظليس على خلافك قادرا
ضعفت سواء اذذكراته * في السرج منك يقل ليشا خادرا
ومنى تطابق الريح طودا شاغرا * أو يستطيع البرق جودا مطرا
فأعذر سقوط البرق عند مسره * فالبرق يسقط حين يضاف سائرا
وأقل جوادك عثرة ندرته * ان الجواد لمن يقبل العائرا
وتوق من عين الحسود شرها * لا كان فاعلها بسوء ناظرا
وأسم لنور الدين سلطان الوري * في الحاد ذات معاضدا ومؤازرا
فأذا صلاح الدين دام لاهله * لم يصدر والادهره فا ضائرا
وجرت بين العماد وبين الامام شرف الدين أي سعد عبد الله بن أبي عصر من مكاتبات كتب اليه العماد
أما شرف الدين ان لاشتا * بكافاته كف آفاته
وكفك من كرم كافها * لقد كفك لي بكافاته
وانك من عرفه شكرنا * غدا عجزا عن مكافاته

قال فكتب الى شرف الدين في جوابها

اذا ما لاشتا وأمطاره * عن الخبر طابة رادعه
فكافاته الست أعطيتها * وحوشيت من كافه السابعة
وكفك طاباة والاحتشا * ملكني عن برمانعه
وهمة كل كرم البضا * ربيد ورأسابه قاصعه
وقمى لي بسط عفرى اليه * لم يجت الفدا طامعه
وشوقني الخبر به زائد * وسعدي ان جفا واسع

قال فكتب اليه جوابها

أيا من له همة في التلي * فنزوتها أبا فاعرعه
ومن صكفدية ماترا * لبالعرف هامية هامه
والفضل في سوقا فضاله * بضائع ناقصة نافعه
وهل كبن عصرون في عصرا * امام أدلته قاطعه

مكتتب (١٥٠) الروضتين

لغير فوائده حجة • وبهر موارد واسعة
أبشر فالحق شرقتي • بأهدأ راجحة
ألمعت أوامر كالمعيا • تومارحت حتى طائعه
لرى كل جارحة فى • وتوأتها أذن سامعه
وأما الشاهد وكافته • وكفك عن كافه الزايه
فنفسى منزعه العفا • فى عفا وفى غير طامعه
وماذا تطيق إذا لم تكن • بمنسور سيدنا قاتعه

وهي أكثر من هذا قال وكان ابن حسان صاحب منيع قد ساءت أفعاله فبعت في نور الدين من حاصره وأتت زعماءه منه
ثم توجه نور الدين إليها فذهب أحوالها ومدحها بالعباد بصيغة منها يقول :

بشرى الجبالك فتح قلعة منيع • فليمن هذا النصر كل متوج
أعطيت هذا الفتح مقامه • فى الملك يفتح كل باب مر فتح
والى يشر بالفتوح وراه • فانهض اليها الجيوش وعرج
أبشر فيفت القدس بتوابعها • ولتج لسواك كالا نموذج
ما أعجزتك الشهب فى أبراجها • طلباء كيف خوارج فى أبرج
وقد درمن مصيبك أسقران يرى • أزر البوس بوجهك المتبيلج
لكن تذهب من عصا الميلة • فى ضمنها تقوم كل معوج
فانهض الى البيت المقدس غلزيا • وعلى طرابلس وبابلس معج
قد عبرت فى الاسلام أحسن سيرة • مأثورة وسلكت أوضع منهج
وبجميع ما استقرت من سنن الهدى • جددت منه كل رسم مبيج

قال العبادوسار نور الدين من منيع الى قلعة فجم وعبر الفرات الى الرها وكان بها يتال صاحب منيع وهو سيد الراى
رشيد المنيع ففقه اليها مقطعا واوليا وأقام نور الدين بقلعة الرها مدة فمدح العباد بصيغة وقصيب له صلاح الدين
فى عرضها وهي

أدركت من أمر الزمان المشهى • وبلغت من نيل الامانى المنهى
وبقيت فى كنف السلامة آمنة • متكرما بالطبع لامتكرها
لازلت نور الدين فى ذك الهدى • فاهقرت لعل السنين بها اليها
يا محسى العدل الذى فى ظله • من عدل رعت الاسوهم لها
محمود المحمود من أيامه • لبها ناهضك الزمان وقهها

مولى الورى مولى الندى على الهدى • مردى الهدى سدى الجدى على الله

آراؤه بصوابها مقرونة • وبجنتهاها دأثر فك القنا
متلبس بمصافه وحصانه • متقدس عن شوب مكر او دها
يا من أطاع الله فى خلائقه • متاوبا من خوفه متاوها
أبد اقتسم فى المعاش لوجهه • عملا يبيض فى المعاد الا وجهها
كل الامور وهى وامرك مبهم • مستقيم لا تفض فيه ولاوها
ما صين عنك الصين لولاوتها • وللشرفان فكيف منيع والرها
ما للسلوك لدى ظهورك رونق • واذناجت شمس الضوى خفى السها
ان السلوك هو اوائك من غدا • وبما لله والملك من غدا
شرعت فخرهم الى دنياهم • وأبى لثقتك زعماء لان قهرها

ماغت عن خير ولم يك تأمها • من لا يزال على الجبل منها
أجلت ذكر الجاهلين ولم تزل • ملكا ذكر العالمين منها
ورأت إرعا الرعايا وجبا • تقى فقيرا أو فقير منها
لضلمه فقظا وللمسلم • متقنا ولغيرهم متفقها
وبجاه أمر الإله أمرتهم • من طاعتهم ومنهم
عن رجعتهم لم تستغل • عن أقتل كبيرهم لن تشدها
بالأس عندك أمل لم تكن • بالرد دونك سائل لن يصيبها
أنتعت نفسك كي تنال رفاهة • من ليس يتعب لا يعيش مرغها
تقت الملوك سماعة وحاسة • حتى حسدنا قديم لك مشها
وأك الفخر على الجميع فنونهم • أصبحت عن كل العيوب متهما
وأراك تعلم حين تصعب ساخطا • ويكاد غيرك ساخطا أن يصفا

قلت رحم الله العباد قد نظم أوصاف نور الدين الجليلية بأحسن لفظ وأروع وهذا البيت الأخير مؤكدا نقلناه
في أول الكتاب من قول الم حافظ أبي القاسم رحمه الله في وصف نور الدين رحمه الله لم يدع منه كلمة غش في عروناه
ولا في خبره وقل من الملوك من لحظ من هذا الأوصاف الفاضلة والنوع الكاملة قال العبادم عاد نور الدين
الى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان مولده يضرب الكرة ويرعد داخل الظلام
ظاهبا بالشمع في الليلة المسفرة وركب صلاح الدين ميكا كل يكره وهو عارف بأهله في الحاشية وشروطها
المعتبره قال وأطلعته في تلك السنة ضيحتين احداهما من ضياع حلب والاخرى من ضياع كفر طرب قال وكعب
اليه في طلب كتبوش

أصبحت بطلتي تشكي من العر • ي ولما راجع بلا كتبوش
قلت كفى خبير يوميك عندي • ان تقوزي بالثمن أو بالمشوش
وافرحي ليله الشعر كما يفر • ح قوم يلبسه للناشوش
لو تبصرت حالي لتصبر • ت فإياك عندها ان تطعني
أوما مات في الشتاء من السير • د ومن فرط جوعه أكل بشي
فتنى ولستكي يهود صلاح الدين • غرس الملوك ملك الجيوش
فهم يميلوك للعينون بكنبو • ش جديد مسفن متفوش
كم هتو من يسه في عنار • وولى يهوده منغوش
والسوا على الأسرة والأعداء تحت الهوان فوق النعوش

قال وأقطع أسدا لدين حسن وأعلمها صار إليها قد قورها وضبط أمورها وحى جيورها وكان نور الدين
قد جدت دورها وحسن دورها ولى الفرغ منه بالقدار الماروخ ذى الأس الفاسق والله نور الدين في السلوعن
حب مصر وقال قد تعبت مرتين واجتهدت ولم يحصل لك ما طلبت وقد أنعوا بطاعه وشعوا السؤال بالثقة
وسموا بجل ما يدخل تحت الاستطاعة قلت وأنشدا لعماد أسد الدين في عرج من هذه السنة
دمت في الملك أمرا ذا فخذ • أسدا لدين شيركوبين شاذي
يا كريم عن كل شر بطشا • والى الخير دائم الاغلاذ
ان كهف الاسلام أنت فلا زلت • لاهل الاسلام خير ملاذ
ويقلب الكفار رعبك قد حصل • بصدع الأكباد والأفلاذ
لم تدع بالظبي رؤسا وأصنا • مامن المشرعين غير جلاذ
أنت من نازل القهين في مصر كصر الامام في نفس خلاذ

وبلاد الاسلام أخذتها أنست من الشرك بما اتعاد

(فصل ١٠) في وفاة زين الدين قال ابن الأثير وغيره في سنة ثلاث وستين سار زين الدين على بن بكركين نائب أتابك قطب الدين من الموصل إلى أربل وسلم جميع ما كان يلاذع من البلاد والقلاع إلى قطب الدين ما عدا أربل فانها كانت لمن أتابك زنكي رحمه الله تعالى فن ذلك سفار وحوار وقلة عفر الجديدة وقلاع الحكرية جميعها وكان نائبه بشكريت الأمير يفراسيل إليه ليسلها فقال ان المولى أتابك لا يقبل بشكريت ولا بد له من نائب فيها وأنا أكون ذلك النائب فليس له مني شيء فأمكن محاققه لاجل مجاورته بعدد ما مشهر زور فكان به الأمير بوزان فقال منه أيضا فأقرت سيده فكان في طاعة قطب الدين وسبب فرار زين الدين أنه أصابه عي وصمم وأقام بأربل إلى أن توفي بها في ذي الحجة من هذه السنة وكان قد استولى عليه الحرم وضفت قومه وكان خيرا عادلا حسن السيرة جوادا محققا على حسن العهد واداء الامانة قليل العذر بل هديمه وكان اذا وعد بشيء لا يتقدمه من أن يفعله وان كان فعله خطيرا او كان حاله من أعجب الاحوال شغيا ومنه ما يدل على سلامة صدره وفضله حتى يدوم منه ما يدل على إفراط الفداء وغلبة الدهاء بلغني انه اذا ما بعض أصحابه يثب فرس ذكر انه تنقل له فأمره بفرس فأخذ ذلك القتب أيضا فغيره من الأجناد فأحضره وذكر له تنقل له فأمره بفرس وتداول ذلك القتب اثنا عشر رجلا كلهم يأخذ فرسا فلما أحضره آخرهم قال لهم أما تحبونني كما أحبوني أناسكم فلما حضر هذا عسدي اثنا عشر رجلا وأنا اتعاقل ثلاثين رجل أحدكم اتقنوني اثني لأمره فلي والله وانما أردت أن يهلككم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني ليس القبي يسدي في قومه لكن سيد قومه للمتلاني

قال وكان يعطي كثيرا ويصلح عظيمًا وكان له البلاد الكثيرة فلم يختلف شيأ بل أخذ جميعه في العطايا والاعمال على الناس وكان يلبس القطن ويشد على وسطه كل ما يحتاج اليه من سكين ودوش ومطرقه ومسلية وخيوط ودسترك وغير ذلك وكان أشجع الناس ميوث النقيبة لم يهزم له رايه وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته وكان تركا أسير اللون خفيف العارضين قصير اجذأ وبني مدارس وربط بالموصل وغيرها وبلغني انه منحه الحصيص فلما أراد الانشاد قال له أنا لأدري ما تقول لكن اعل انك تريد ما فأمره بمحسنة دينار وأعطاه فرسا وخنقه وتيا بما يكون يجمع عنك ألف دينار قال ومكافره كثيرة ولما توفي بأربل كان الخاكم بها خادمه بمجاهد الدين قايماز وهو المتولى لأموارها وولي بعد زين الدين ولحقه من فخر الدين كوكبري مدة ثم فارقه فخلف كان ينتمون بمجاهد الدين قايماز وجرى أمور بطول ذكرها ولما فارق زين الدين الموصل استأب أتابك قطب الدين بقلة الموصل بعده لما ذكره فخر الدين عبدالمسيح فملك غير طريق زين الدين فكرهه الناس وضموه فلم تقبل يألمه وسيجي ذكر عزله في أخبار سنقست وستين ان شاء الله تعالى

(ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة هـ) فقي أولها ملك نور الدين رحمه الله تعالى قلعة جبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين بك بن علي بن بك القبيلى من آل عقيل من بني المسيب وكانت يده ويداؤه من قبله من أيام السلطان الملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك هو من أمتع الحصون وأحسنها ملاحظة على الفرات لا يباع فيها بحصار وقد أعجز جماعة من الملوك أخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكي والد نور الدين ثم اتفق ان يخرج صاحبها منها يوما يتصيد فصاد من كل ما فأنه أسير أو أتقوه وحواله إلى نور الدين فقرر رايه اليه وذلك في رجب من سنة ثلاث وستين فحبسه بجلب وأحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليس اليه القلعة فلم يفعل فعذب به نور الدين إلى الشدة والنفث وتهذبه فلم يفعل أيضا فغير اليها عسكر مقدمه الأمير فخر الدين مسعود بن أبي علي الزعفراني فحصرها مدة فلم يظفر منها شيء فأمدهم عسكر آخر وجعل على الجميع الأمير محمد الدين أبا بكر المهر وفي باب الداية وهو أكبر أمره نور الدين ورضيه والى معاقبه فأقام عليها وطلق حوالها ففر له في قضاها بجمالا ورأى أخذها بالحصار متعللا بمجالا فلما مع صاحبها طريق القين وأشار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يرتوسط معضتي أذهن على أن يعطى سروج وأعمالها والملاحاة في عمل حلب والباب ووزعت عشرين ألف دينار مجلة فأخذ جميع ما شرطه مكرها في صورة مختار خال ابن الأثير وهذا القطع عظيم جدا لكنه لا حظ فيه ونظم محمد الدين قلعة جبر

وصعد اليها منتصف المحرم ووصل كبله الى نورالدين بجلب فسار اليها وصعد القلعة في العشرين من المحرم ثم سارها نور الدين الى مجد الدين بن النادية قولها أثناء شمس الدين على وكان هذا آخر امر بيني ملك وكل امرحد ولكل ولايته نهاية يؤتي الله الملك من يشاء وينزع منه من يشاء قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين انا احب اليك واحسن مقلما السروج والشلم أم القلعة فقال هذا كثر ما لا والعز بالقلعة فارقتاه قال الحمدوا أنشدت نورالدين بقلمه جعبر قصيدة اولها

أسلم ليكر الفتوح مقترعا • ودم لك البلاد منقرعا
فان أولى الوري بها ملك • غدا يجب الخطوب مضطعا
ان ضاق امر قصير همته • لكشف ضيق الامور لن يسعا
يا عبي العدل بعد ميتته • ورافع الحق بعد ما اتضعا
ونوردين الهدى الذي قع ال • شرك وعفى الضلال والبدعا
أنت سليمان في العفاف وفي السمك وتحكي بزهك اليسعا
حزت البقا والحياه والكرم المحض وحسن اليقين والورعا
أسقطت أقساما وجدت من للعكس بعدل والقاسط ارتعا
ولم تدع في لتفاه مصالحة الدين لنا يا قيا ولن تدعا
وكل ما في الملوك مقترق • من الممانى لملكك اجتمعا
هتاك الربط والمدارس تبنيها توليا وتهدم اليسعا
ما زلت ذا فطنة مؤبدة • على غيوب الاسرار مطعما
يا سلك البيض والاطي اصطبغت • بصدك الذنب والطارق ارتعا
كم صانك لم يقع له قنص • في شرك وهو فيه قدوقعا
وما لك حين رميت قلعتك • غدا مطعما لامر متبعا
عنا خشوعا لرؤسك • تير رب السعاسعنا خشعا
كان مقيما هنا على الضلال • على شهاب نور مستطعا
لكنما التهب ما تنير ادا • لاح عود الصباح فانصدعا
بدفعها ما اتعا اليك وكم • عننا اباه بجهده دفععا
هي التي في علوها زحل • كمر على وردها وما كرععا
وهي التي فارت عطارق في الف • في فلاما والفردقين مععا
كان منها السها اذا استرق السمع • ألتها في خفية ودعا
هضبة عز لولاك ما ارتقت • وطود ملك لولاك ما فرعا
ما قبلت في ارتقاء ذروتها • من ملك لارقي ولا جفعا
عزت على الممالك الشهدوا • عد طنتك قيادا ما زال معنعا
لاب لولحل خطبها القندا • محمرا لابنه وشرعا
لازلت محمودي أمورك محو • دا بشوب الاقبال مدععا

(وفيها) في سابع عشر صفر من هذه السنة توفي بها الدين عمر أخو مجد الدين بن النادية وتوفي في أخيه يقول الصمدان كاتب من قصيدة

أنت محمود كال محمد • من صدى الافعال والاسماء
يتلو أبكر على حسناته • عمر المديح في سنا وسناه
ويليه عثمان المرحوم • وعلى المأمول في اللاه

كتاب (١٥٤) الروضتين

وتقبل الحسن المجيد محمد * فهم ذوو الاحسان والنعما
فرعت نجد الدين اخوته الذرى * دون الورى في المجد والعلية
من سابق كرما وشمس سادة * شرقا ويدر دجنسة وبها
مرج الهندي محب الندى شبه النوى * أسد الحروب بضراغم الحية

يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين على ويدر الدين حسن وبهاء الدين عمر ومجد الدين هو الاكبر فهم
خمسهم الله

(فصل) الاولى في هذا السنة فتح الله يار امصية سائر اليها اسد الدين من ثلاثة فهدم العدو وقتل شاور وولى الوزارة
مكانه ثم مات فولى بها صلاح الدين وسبب ذلك ان الفرنج كانوا في النوبتين الاوليين اللتين استعان بهم شاور فيما على
اسد الدين شيركوه قد خبر الله يار امصية واقطعوا على عورتها فطعموا فيها ونقضوا ما كان استقر بينهم وبين
المصريين واسد الدين من القواعد فجعلوا وحشدا واولوا ما جسر من يصدنا واذا اردنا هاهن بردنا ثم قالوا نور الدين
في البلاد الشمالية والجنحة الفراتية عسكر الشام متفرق كل منهم في بلده حافظا في قبه ونحن نهض الى مصر ولا
نطيل بها الحصر فانه ليس لها معقل ولا اهلها منا مؤيل والى ان تجتمع عساكر الشام نكون قد حصلنا على المرام وقويتنا
بتلك الله يار امصية على سائر بلاد الاسلام فتوجهوا اليها سائرين ونحوها نائرين واظهروا انهم على قصد حص
وشاسهم على قصد مصر جماعة من اهلها كان الخياط وابن قرجلة وغيرهما من اعداء شاور وكان الفرنج قد جعلوا
لهم شحنة بمصر والقاهرة واسكنوا فرسانهم ابواب البلدين والمقاييع معهم على ماسبق ذكره ومكنا ولصحا كبيرا فطعموا
في البلاد وارسلوا الى ما حكمهم مرى وليكن ملك الفرنج منخر حوالى الشام مثله شجاعة ومكر اودهوا يستدعونهم لملك
البلاد واعلموا مخلوها من مانع عنها واسبوا امرها عليه فلم يجهم الى المسير واجتمع فرسان الفرنج وذو الرأى والتقدم
واشاروا عليه بالمسير اليها والاستيلاء عليها فقال لهم الرأى عندي ان لا تصعدا هاهنا طاعة لنا واما الهاتساق الينا
نتموى به على نور الدين ونحن قصدنا هاهنا لئلا يفان صاحبها وعساكره موعاة اهل بلاده ولا يسلو بها الينا
ويقاتلونا دونها ويجعلها لحوف منا على تسليمها الى نور الدين وان اخذها واصلها فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج
واجلاؤهم من ارض الشام فلم يصغوا الى قوله وقالوا ان مصر لا مانع لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نور الدين
وبجهاز العساكر ويسيرهم الينا تكون نحن قدم ملكا هاهنا وفر غنا من أمره او حيث نلجنى نور الدين من السلامة فلا يقدر
عليها وكانوا قد صغروا البلاد وانكشف لهم أمرها فاجابهم الى ذلك على كره شديد وتجهزوا واظهروا انهم على قصد
الشام وخاصة مدينة حص وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا اول يوم من صفر الى بليس وناولوها
وحصرها فلما كوها قهرا ونهبوها وسبوا اهلها واقاموا بها خمسة ايام ثم اناخوا على القاهرة وحصرها عاشر صفر
خفاف الناس منهم ان يصلوا بهم مثل تعلمهم باهل بليس فعلمهم الحتوف حنم على الانتاع فحفظوا البلد وقتلوا دونه
وبذلوا جهدهم في حفظه ولوان الفرنج احسنوا السير فمع اهل بليس المكو لمصر والقاهرة بسرعة ولكن الله تعالى
حسن لهم ذلك ليقتضى الله امر اكان معصولا وكان شاور أمر باحراق مدينة مصر تاسع صفر قبل زول الفرنج عليهم
يوم واحد وخافا عليها من الفرنج فبقيت النار فيها تحرقها أربعة وخمسين يوما الى خامس ربيع الآخر ثم شاق الحصار
وخيف الدور وعرف شاور انه يضعف عن الحامية فشرع في تحمل الحمل وأرسل الى ملك الاقريق في كره مودته ومحبته
القديمة وان هوامعه يقتوفه من نور الدين والعاضد وانما المسلمين لا يوافقونه على التسليم اليه ومشيروا الصلح واختمال
لئلا يسلط البلاد الى نور الدين فاجابه الى الصلح على اختلاف ألف دينار ومصرية يجهل البعض ويؤثر البعض واستقرت
العهدة على ذلك ورأى الفرنج ان البلاد امتنعت عليهم وربما سلت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ان اخذ المال
تتقوى به وتكثر من الرجال ثم تعودوا الى البلاد بقوة لا نأى معها نور الدين ولا غير مومكر واموكر الله والله خير الماكرين
فجهل لهم شاور مائة الف دينار وسألهم الرجيل عن البلد ليجمع لهم المال فحولوا قساوا وكان خليفة مصر العاضد
عقيب حريق مصر ارسل الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء
وقال له هذه شعور نسائي من قسرى يستغيث بك لتتقذهن من الفرنج فقام نور الدين لذلك وقد شرع في تجهيز

العساكر إلى مصر ولما صالح شاور الفرنجي على ذلك المال عاود العاضد امره أن يورد الدين وأعلامه بجاني المسلمين من أن فرنج وبذله ثاثة البلاد من مصر وإن يكون أسد الدين شيركوه مقبلا عند في عسكر واقطاعهم عليه خارجا عن الثلث الذي لنور الدين هذا قول ابن الأثير وقال العاضد لعل شاور ملك الفرنج يخرج بجائه ألفا من ناحية وخذاعا وأرغاما له وأوامعا وأوصل بكتبه إلى نور الدين مستصر تامسنتفرا وبجانب الاسلام من الكفر بخبره ويقول إن لم تسار ذهبت البلاد وسير الكتب مسودة بعداها كما سلباس حديد ها وفي طابعا وانب جز ووزة عاصب جز ووزة أظن انها سه ور أهل القصر للاشارة بجامع اهرام من بنية الحضر وارسلها اتباعا وأردفها لباقيين سراغا وأقام منتظرا ودام متعبا وعامل الفرنج بالمطال يتقدم في كل حين مالا ويطلب منهم امهالا وما زال يعطيهم ويستميلهم حتى أتى القوت يهصا كنور الدين رجلا لله

(فصل ١٠) فيما فعله نور الدين كان نور الدين لما أتاه زسل أولا من العاضد قد أرسل إلى أسد الدين يستدعيه من حصن وهي اقطاعه فلما خرج القاصد من حلب لقي أسد الدين قد وصلها وكان سبب وصوله ان كتب للحرين أيضا وصلىته في هذا الامر فبقي مسلوب القرار مغلوب الاضطراب لانه كان قد طمع في بلاد مصر لخاف خروجها من يده وإن يستولى عليها الكفر فساق في قلبه واحدة من حصن إلى حلب واجتمع نور الدين ساعة وصوله فتعجب نور الدين من ذلك وقال به وشكر موامره بالتجهز إلى مصر والسرعة في ذلك وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والآلات والاسلحة وحكة في العساكر والخرائن فاختر من العسكر ألفي فارس واخذ المال وجمع من التركمان ستة آلاف فارس فكان في مدة حشدته للتركمان سار نور الدين لتسليم قلعة حبر ثم سار هو ونور الدين إلى دمشق ورحلوا في جميع العساكر إلى رأس الماء أعطى نور الدين كل فارس من العسكر الذين مع أسد الدين عشرين دينارا معونة لهم على الطريق غير محسوبة من القرار الذي له وأضاف إلى أسد الدين جماعة من الامراء والماليك منهم مملوكه عز الدين جرديك وغرس الدين قليج وشرف الدين برغش ونافصع الدين بخار تكيين وعين الدولة ابن الباروقى وقطب الدين بنال بن حسان النجفي وغيرهم ورحلوا على قصد مصر مستولين من الله تعالى النصر ونزاع منتصف ربيع الاول وشتم نور الدين فيهم أقامهم رأس الماء وأقام ينتظر ورود البشائر فوصل للبشر رحيل الفرنج عن القاهرة فعاد إلى بلادهم لاسمعا بوصول عسكر نور الدين وسبب الملك كل من أشار عليه بقصد مصر وامر نور الدين بضرب البشائر في سائر بلاده وبث رساله إلى الأقاليم بذلك وقال القاضى أبو الحسن لقد قال لي السلطان يعني صلاح الدين كنت أكره الناس للفروج في هذا المدة وما خرجت معي باختياري قال وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال ابن الأثير احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه مذهب يشبهه وكره صلاح الدين المسير وفيه مساعده ومملكه حكى في عنه انه قال لما وردت الكتب من مصر إلى الملك العاضد نور الدين رضى الله عنه مسترخين ومستحضرين احضرنى واعلمنى الحال وقال غنى إلى علك أسد الدين بحصن مع رسول الله يأمر بالخصور وتجهزت على الاسراع فما جعل الامر التأخير قال ففعلت فلما فرقا خاطب على ميل منها لقينا فادعانا في هذا المعنى فقال له نور الدين فبجز ليسير فامتنع خوفا من غدرهم ولا وعد ما ينفقه في العساكر ثانيا فأعطاهم نور الدين الاموال والرجال وقال له ان تأخرت أنت عن المسير إلى مصر فالصلحة تقتضى ان أسير أنا فتصفي اليها فانتان أهملنا أمر هاهنا الفرنج ولا يبقى لنامعهم مقام بالشام وغيره قال فالتفت إلى عمى أسد الدين وقال تجهز يا يوسف قال فكأنما ضرب قلبي بسكين قتل والله لو أعطيت ملك مصر ممرت اليها فقلت قاسيت بالاسكنة برة من المشاقع لا انساها بذا فقال عمى لنور الدين لا بد من مسير معي ففرس له فصار في نور الدين وأنا استقبله ثم انقضى المجلس ثم جمع اسد الدين العساكر من التركمان وغيرهم ولم يبق غير المسير فقال لي نور الدين لا بد من مسيرك معك فشكون اليه الضائقة وقلنا الدواب وما احتاج اليه فاعطاني ما تجهزت به وكأنا اساق إلى الموت وكان نور الدين مهيبا شجاعا لم يورجته قسرت معه فلما استقر أمر موتى اعطاني الله من ملكه ما لا كنت أنوقه قلت وخوضه أيضا احسان العز ذلة بآيات من شعر من بجله قصيد قد مدحه بها قال

وهل أخشى من الاثواء بخلا * اذا ما يوسف بالمال جلا

كتاب (١٥٦) الروضتين

ففي الدين لم يبرح صلاحاً * وللإعداء لم يبرح فساداً
لئن أعطاه نور الدين حصناً * فإن الله يعطيه البلداً
الىكم ذا التواني في دمشق * وقد جاءكم مصر تهادى
عروس بعلمها اسدهزر * يصيد المعتدين ولن يصادا
ألا يامعشر الاجناد سيروا * وراء لوائه تلقوا ارشادا
فما كل امرء صلي مع الثا * من مأموما كن صلي فرادا

فلما سار صلاح الدين الى مصر عبر العرقلة على داره فوجد هامق له فقال

عبرت على دار الصلاح وقد خلت * من القمر اوضح والمنهل العذب
فوالله لولا رعدة مثل عزمه * لفرقه اطرافى وأحرقه اناي

ودار صلاح الدين هي التي وقفها رباط للصوفية بجواره قطامش جوار قيسارية القضاة واليهابى جى الماه من حمام نور
الدين رحمه الله قضى الله ما قضى من رحيل الفرج وتلك صلاح الدين على ماسياى وللأمر الفاضل أسامة بن
منقذ في صلاح الدين من قصيدة أولها (سلم على مصر لاربع بذي سلم) يقول فيها

الناصر الملك الموفى بذمته * ومن ندى كفه يغنى عن الدين
ومن اذا جرد البيض الصوارم في السهائم * دها في البيض والقلم
ومن حوى الملك من بعد الناعة في استزاعه بشبا الهندية الخدم
وردا طاعة الا فرنج بحسبما * رجاه من ملك مصر كان في الخلم
ولى وراحتة صفر وقد ملئت * بعد الطاعة من يأس ومن نلم
يصعدون على ما فاتهم نفسا * لولا فتح البحر أضي الموج كالجم
وفي السلامة لولا جهلهم ظفر * لمن أراد نزال الاسد في الاجم
وهم اسود انشروا لكن أذلهم * ملك بديه الاسود الغلب كالغلم
وله من قصيدة أخرى

اقتدوا بوالدين حين أماله * لطاغى الفرج القم طاغى بنى سعد
وجاهدت حزب الكفر حتى رددتهم * خزايا عليهم خيبة الدل والرد
أفدت بما قدمت ملكا مخلدا * وذكرا مدى الايام بقرن بالجد
وذكرك في الافاق يسرى كانه * صباح له نشر الأتوة والنسد

ولابى الحسن بن الذرورى فيه من قصيدة يذكر فيها ملك الفرج مرعى

ولكم أشمت الروم أشام بارق * أضحت مياه نفوسها من قطره
وأفالك البحر دروعها عن مده * ومضى وقد حكمت ظليكم بجزره
ولقيت مرعىا وطسم حياته * حلو قبده له القتال بمتره
فاعقد اليه الرأى في عذب القنا * واحلل بها عجلها معاقده
واطرده من وكر الشأفانه * قطار منك بضاق من دعره

(فصل) في القبض على شاور وقتله وصل أسد الدين القاهرة سابع ربيع الآخر واجتمع بالعاظم خليفة
مصر فخلع عليه وأكرموا جريته عليه وعلى عساكر ماجرياته الكثرة والاقامات الوفرة ولم يمكن شاور المنع من
ذلك رأى العساكر كثيرة بظاهر البلد رأى هوى العاضد معهم من داخله فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه فكتمه
وهو بما طل أسد الدين في تقرير ما كان بذل له من المال والاقطاع للعساكر وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو
يركب كل يوم الى أسد الدين ويسير معه ويعدو غنيمة وما بعدهم الشيطان الا غروراً ثم انه عزم على ان يعمل دعوة
لاسد الدين ومن معه من الامراء وقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لا عترف

في اخبار (١٥٧) الوثائق

أسد الدين فقال له أبوه والله إن لم أفضل هذا النقتل جميعا فقال صدقت ولان قتل ونحن مسلمون والبلاد المسلمين خير من ان تقتل وقد ملكتك الفرج فليس ينك وين عود الفرج الان بسعوا القبض على شريكه وحينئذ لومني العاضد الى نور الدين لم يرسل فارسا واحدا. وعلكون البلاد قتل كما كان عزم عليه فلما رأى العسكر النوري المطل من شاور وافق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديل وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين بذلك فنهاهم فقالوا اننا نسير الى بلاد شمس مما هذا على حاله فأنك ذلك وافق ان أسد الدين سار بعض الايام الى زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه. وقصد شاور عسكره على عادته لا اجتماعه فلقه صلاح الدين وعز الدين جرديل ومعهما جمع من العسكر فخدموه وأعلموه ان أسد الدين في الزيارة فقال غصني اليه قسار وهما معه قليلا ثم ساوروه وألقوه عن فرسه فهرب أصحابه وأخذ أسير أوليهم فكنهم فله بنيران أسد الدين فمجنونه في خيمته وكلوا بحفظه فعلم أسد الدين الحال فعاد مسرعا ولم يمكنه الا ان تمامه ٤٠ يوما و أرسل العاضد الدين الله صاحب مصر في الوقت الى أسد الدين يطلب منه رأس شاور ويحمله على قتله وتابع الرسل بذلك فقتل شاور في يومه وهو سابع عشر ربيع الآخر وحمل رأسه الى القصر ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خافه على نفسه فقال لهم أمير المؤمنين قد أمرتكم بدار شاور ففصدوها الناس يهونونها فترقوا عنه هذا قول ابن الاثير وقال ابن شداد أقام أسد الدين بها يتردد الى شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيئا وعلفت محالبا لاسد في البلاط وعلم ان الفرج مقي وحده وفرصة أخذوا البلاد وان تردد هم البها في كل وقت لا يقصدون شاور ابلغ بهم تارة وبالأخرى ولا كما قد كانوا على البدعة المشهورة عنهم وعلموا انه لا سبيل الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجعوا أمرهم على قبضه اذ اخرج اليهم وكانوا هم يترددون الى خدمته دون أسد الدين وهو يخرج في الاحيان الى أسد الدين فيجتمع به وكان يركب على قاعدة وزارتهم النبل والبوق والعلم فلم يتجاسر على قبضه منهم الا السلطان نفسه يعني صلاح الدين وذلك انهم لما سار اليهم رجا وساروا بجانبه أخذ بتلايه وأمر العسكر ان خذوا على أصحابه فقتلوا منهم العسكر وقبض شاور وأرسل الى خيمة مفردة في الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول لا بد من رأسه جريا على عادتهم في وزارتهم فيقرر قاعدة من قوى منهم على صاحبه فخرت رقبته وأنفذوا رأسه اليهم قال العماد دخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر الا بان وخلع عليه ولقي الاحسان وتردد شاور الى أسد الدين ونوّد ويحدّ بينهما من الوداد ما تآكد وأقام العسكر الضيافات الكريمة والاحمسة الواسعة والخلوات والميرة فقال صلاح الدين هذا امر يطول وما لا تغرضها بول ومعناها هذا العسكر الثقيل واقامته بالاقامة يقصر عن الامد الطويل ولأمر لنا مع استيلاء شاور لاسيما اذا راوغ وغادر فأفند أسد الدين الفقيه عيسى الى شاور وشير عليه بالاحتراس وقال له أخشى عليك من عندى من الناس فلم يكثرث بمقاله وركب على سبيل اناسه واسترسله فاعترضه صلاح الدين في الامراء النورية وهوا كعب على عادته في هيئته الوزرية فبغته وشجته وقبضه وأثبتته وكل به في خيمة ضربه له وحاول أمهاله لجأ من القصر من يطلب رأسه ويجعل من العريسة وجاء الرسول بعد الرسول وأبوا ان يرجعوا الا بنج السؤل فمجامعهم الى القصر هامة قلت وبلغني ان الذي خزيه شاور وعز الدين جرديل كان صلاح الدين لما قبه في أصحابه سار بجندهم وأدافره عن العسكر فالتس منه المداينة بفرسها فأجابته ووافقه ما في ذلك جرديل وكان ذلك عن أمر قد تفرق كواخيلهم فلما بعدوا عن العسكر ووقفوا قبض صلاح الدين وجرديل على شاور داخل الخيمة وقد كثر جمعا شاور بفنهم ومكره حتى قال عرقلة

لقد فاز بالملك العقيم خليفة * له شيركوة العاضد وزير
كان ابن شاذي والصلاح وسيفه * على لديه شير وشبير
هو الاسد الضاري الذي جل خطبه * وشاور كلب للرجال عقور
بقي وطني حتى لقد قال فائل * على مثلها كان العيين بدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره * ولا زال فيها منكر ونكير

ان امير المؤمنين الذي * مصر حاه وعلى أبوه

نص على شاور فرعونها * ونص موساه على شبروه

وقد وصف الفقيه الشاعر أوجحة عمارة الجني في كتاب الوزراء المصرية الذي صنفه حال شاور في وزارته الاولى ثم قال
وزار شاور الثانية فيها تكشفت صفحاته وأحرقت لحناته وأغرقت جراحته وغضبه الدهر وعصه وأوجعه الشكل
وأفضه وبان غمره ومكانه وجمره ورماده ولم ينجف من الانكاد لبده ولا صفامن الاقضاء ورده وما هو الا ان تسلمها
بالراحه وسلمت له الموم عوزا عن الراحه وفي أول ليلة دخل القاهرة ارتحل أسد الدين طالب بليس فأقام بها
ثم عاد الى القاهرة فكسر الناس يوم التاج وأمر أخوه صبيح وأصيب على باب القنطرة بحجر كاد يموت منه وتعقب
ذلك بنقل القتال على القاهرة حتى دخلت من الثغرة ثم تبع هذا مجي الفريخ وعمل المريج وحصار بليس ثم تلا
ذلك قيام مجي بن الحياط طالب الوزارة ثم تلا ذلك نفاق لواته ومن ضامها من قيس وخروج أخيه منجم وابنه سليمان
وجاعة من غلمانهم لحربهم ثم خروج ابنه الكامل في بقية العسكر وفي أثناء هذه المدة قبضه على الاثير بن جلب
راغب وقتله وأمر معالي بن فريخ ثم قتله واتصل باليه الخبر من قدوم أسد الدين الى اطفح بأم النواب الكبير ووافق
مجي الفريخ قدوم الفريخ ناصر بن للدولة وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للفريخ لاحت الفرصة للفريخ فصادوا
الى مصر وانتمرحوا من المال ما قطع دونه الامال وخيموا على ساحل المقسم وأظهروا رجوعهم الى الشام فقبض
الكامل للسيرة صبيحة الا فريخ حدثني القاضي الاجل الفاضل عبد الرحيم بن علي اليبساني قال أنا ذكر وقد خولنا
في خيمة وليس معنا أحدا نأمنها هو شاور وابنه الكامل وأخوه منجم فعزم الكامل على النهوض مع الفريخ وعزم منجم على
التفريب الى سليم وساوراها وقال شاور لكن لا أبرح أقاتل بن صفامي حتى أموت ففهم في ذلك حتى وصل الينا
الداعي ابن عبد القوى وصبيحة الملك جهور وعز وقد التزموا للمال وقترع على هذا الاصل مقام الفريخ بالبرية ووثبة
البانين وحصار الاسكندرية وانصرف الفريخ راجعين والفريخ بعدهم فها هو الان توهم شاور ان الدهر قد نام وغفا
وصفح عن عادته وعفا واذا ايام لا تخبط الاز والهوفوته ولا تريد الانتغال وموته فكان من قدوم الفريخ الى
بليس وقتل من فيها وأسرهم بأسرهم وأجبر ريق مصر ومكاتبه الاجل نور الدين بن القسيم وأنجاهه كلمة الاسلام
بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قلت فيهم وقد ربط الا فريخ بالطريق عليهم

أخذتم على الا فريخ كل ثنية * وقلتم لا يدي الخيل مرى على مرى

لئن نصبوا الى البر جمرًا فأنكم * عبرتم بحجر من حديد على الحسر

قلت وهذا البيتان من قصيدة ستأني ومرى هو اسم ملك الا فريخ قال عمارة قضى قدوم الفريخ رحيل الفريخ عن
الديار المصرية ولم يلبث شاور ان مات قتلا بعد قدوم الفريخ بمائة وعشرين يوما وهذه السنوات التي وزر فيها شاور
وزارته الثانية كثيرة الوقائع والنوازل وفيها ما هو عليه أكثر مما هو له قال ولم يرب أحد رجال الدولة مثل ما رابعهم
الصالح بن زريك ولا أخى أعينهم مثل ضرغام وكانت وزارته تسعة أشهر مئة جل الجنين ولا تألف أموالهم مثل
شاور وشاور هو الذى أطعم الفريخ في الدولة حتى انتقلت عن أهلها واباعا من حصار الاسكندرية أكثر من
سفك الدماء بغير حق كان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من ديار الوزارة ثم ذهب القتلى الى خارج
الدار وقالوا الحافظ أبو القاسم لما خيف من شر شاور ومكره لما عرف من غدره وخسره وانفضح الامر في ذلك
واسنين تمارض الاسد ليقتمت الثعلبان فجاءه قاصدا لعمادته جارية خدمته على عادته فوثب جرديك
وزغش موليا نور الدين فقتل شاورا وأراحا العباد والبلاد من شره وما شاورا وكان ذلك بر أى صلاح الدين فانه
أول من تولى القبض عليه ومثله الكرمه بالمره اليه وصفه الامر لاسد الدين وملك وخلع عليه الخلع وحنك
واستولى أصحابه على البلاد وجرت أموره على السداد وظهر منه جيل السيرة وظهرت كلمة السنة

(فصل) في وزارة أسد الدين وذلك عقيب تمل شاور وتغيير رأسه الى القصر أنقل الى أسد الدين خلعة الوزارة
فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزير اوقب بالملك المنصور أمير الجيوش وقصد دار الوزارة فتلها وهي التي كان

بها شاوره قبله من الوزراء فلم ير فيها ما يقدر عليه واستقر في الأمر ولم يبق فيه منازع ولا مناد وروى الأفعال من يثق إليه واستبد بالولاية فاقطع البلاد العساكر التي قدمت معه وصالح الدين مباشرة لا مرمق مقرر لما وزام الأمر والنهي مقوض إليه لمكان كفايته ودرايته وحسن تأنيه وسياسته قال العماد وكتب لأسد الدين منشور من القصر بسيط الشرح طويل الطي والنشر كتب العاضد في طرته بخطه ولا شك أنه بلاء كآبه (هذه عهد لا عهد لوزير عثملة وتفقد أمانة رآك أمير المؤمنين أهل لعله والحقه عليك عند الله بما أوجبه لأنه من مر أشد سبيله نخذ كآب أمير المؤمنين بقوة وأمعب ذيل الخبر بأن اعترفت خدمته إلى نبوة النبوة واتخذ مقلد سبيل ولا تتقضا الإيمان بعدنو كيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلة) نسخة المنشور (من عبد الله ووليه إلى محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين إلى السيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش وإلى الأئمة بحجر الأمانة أسد الدين كافل قضاء المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبي الحارث شيركوه العاضد يعضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كفته سلام عليك فإنه بحمدك الله الذي لا اله الا هو يسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والأئمة المهديين وسلم تدينا) ثم ذكر باقي المنشور وهو مشتمل على كلام طويل وحشو غير قليل على عادة الكتاب المتأخرين الذين تراهم بالافاظ الكثيرة عن المعنى اليسير معبرين وبالطاعة عكس ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت ببجوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)

ولما استقل أسد الدين بالوزارة طلب من القصر كتاب أنشا فارس إليه بالقاضي الفاضل عبد الرحمن البديسي وكان أبوه من أهل بيسان الشام ثم ولى قضاء عسقلان ونحج الفاضل إلى الديار المصرية فولى كتابا بالاسكندرية على باب السدرة ثم أنه اتصل بالكمال بن شاور فاستكتبه وزاحم به كتاب القصر فنقل عليهم أمره فلما طلب أسد الدين كتابا أرسل إليه وطلب رؤساء ديوان المكاتب أن هذا أمر لا يتم وأن أسد الدين سيقتل كما قتل من كان قبله فأرسلوا بالفاضل إليه وقالوا له يقتل معه فنخلص من مزاجته لنا فكان من أمر ما كان واستمر في الدولة ولم يزد في كل يوم الا اقتناء بصدقه ودينه وحسن رأيه رجه الله وأنفذ العماد قصيدة طويلة تهنئة لأسد الدين أولها

بالجد أدركت ما دركت لا اللعب * كراحت جنت من دوحة التعب
بأشركوه من شاذى الملك دعوة من * نادى فعرف خير إن بخير أب
حوى الملوكة وما حازوا بركنهم * من المدي في العلى ما حزن بالخب
تمل من ملك مصر رتبة قصر * عنها الملوكة قطالت سائر الزنب
ففتحت مصر وأرجوان تصير بها * ميمرا فتح بيت القدس عن كتب
قد أمكنت أسد الدين الفرصة من * فتح البلاد فيادر نحوها ونب
أنت الذى هو فرد من بسالته * والدين من عزمه في جفيل لب
في خلق ذى الشر من عدوى سطا شجاء * والقلب في شجن والنفس في شهب
زارت بنى الاصفر البيض التي لقيت * حمر المنايا بها مرفوعة الحب
وانما تقدم خلفها أسد * ارى سلامتها من أعجب العجب
لقد رفعا إلى الرحمن أدينا * في شكرنا ما به الاسلام ملك حبي
شكالك بنوا الاسلام بهم * ففتحت فيهم مقام الوالد الحبيب
في كل دار من الافرنج نادبة * بمادهاهم فقد بانوا على نذب
من شر شاور اقتضت العباد فكى * وكمنيت لحزب الله من أرب
هو الذى أطعم الافرنج في بلدنا * سلام حتى سعوا للقصد والطلب
وان ذلك عند الله محتسب * في الحشر من أفضل الطاعات والقرب
أدله المسك المنصور منتصرا * لمادعا المترك هذا قد تمزى بي
وما غضبت لدين الله منتقمها * الا لنيل رضى الرحمن بالغضب

وأنت من وقت في الكفر هيته * وفي ذويه وقوع النار في الخطب
وحين سرت إلى الكفار فانهزمو * نصرت نصر رسول الله بالعب
ياحجي الامة الهادي بدعوته * لارشد كل غوى منهم وغي
لما سمعت لوجه الله مرتقا * ثوابه ثلث عفو وكل مرتقا
أعدت تحمة مصر نعمة قسدت * تقول كم نكتك لله في النكت
أركبت رأس سنان رأس ظالمها * عدلا وكنت لوز غير مرتكب
رقا خلافة عباسية ودع السدي فيها يصادف شر منقلب
لا تحطعن ذنب الأفي ورسلا * فالخزم عندي قطع الرأس كالذنب
وقال العبادي الحريدة أئندني الحافظ أبو القاسم نفسه وقد أعفى الملك العادل نور الدين قدس الله روحه أهل
دمشق من المطالبة بالثقب فوردا لثقب باستيلاء عسكره على مصر فكتب إليه بهذه

لما سمعت لاهل الشام بالثقب * عرضت مصر بما فيها من النشب
وان بذلت لفتح القدس محتسبا * للاجر جوزيت أجر غير محتسب
والاجر في ذلك عند الله مرتقا * فيما يثيب عليه خير مرتقا
والذكر بالخبر بين الناس تكسبه * خير من النضة البيضاء والذهب
ولست تعذرني ترك الجهاد وقد * أصبحت تلك من مصر إلى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء ممثلا * لما يزيد قيادر جأة النوب
فاخزم الناس من قوى عزيمته * حتى ينال بها العالي من الرتب
فالجمد والجمد مقر زمان في قرن * والخزم في العزم والادراك بالطلب
فظهر المجد الاقصى وحوزته * من التماسات والاثار والصلب
عساك تظهر في الدين يا محسن لنا * وفي القيامة تلقى خير منقلب

(فصل) في وفاة أسد الدين شيركوه وولاية ابن أخيه صلاح الدين مكانه توفي أسد الدين بجأة يوم السبت
الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت وزارته شهرين وخمسة أيام قال ابن شذاد كان أسد
الدين كبير الأكل شديد المطالبة على تناول العموم الغليظة تتوار عليه الفهم والخواتيق وبعجوب منها بعد معاناة
شدة عظيمة فأخذهم من شديده واعترا ما نوق عظيم فقتلهم رجه الله وقوض الامر بعده إلى صلاح الدين واستقرت
القواعد واستتب الاحوال على أحسن نظام وبذل الاموال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فلكها وشكر نعمة
الله عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وقصص لباس الجنود والاجتماع وما عاد عنه ولا ازداد الا جذا
الى أن توفاه الله تعالى إلى رحمة الله ولقد سمعت منه رجه الله يقول لما مر الله في الدار المصرية علمت انه أراد فتح
الساحل لانه أوقع ذلك في نفسي وحين استبيله الامر مازال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك
ويلاذها وغنى الناس من محائب الفضل والتم الم يورخ عن غير ذلك الايام هذا كله وهو وزير متابع
للقوم لكنه معقود مذبح السنة غارس في البلاد أهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب
ويغدون اليه من كل جانب وهو رجه الله لا يضيف قاصدا ولا يهدم واقدوا لما عرف نور الدين استقرار امر صلاح
الدين بمصر أخذ حصن من نواب أسد الدين وذلك في عرجب من هذه السنة وقال ابن الاثير أما كيفية ولا يه صلاح
الدين فان جماعة من الامر له النورية الذين كانوا يصطلحوا بالتقدم على الصاكر وولاية الوزارة منهم الامير عيسى
الدولة الباري وفي قطب الدين خسرو بن قبايل وهو ابن أنى أنى انجباء الهنأى الذى كان صاحب أربل ومنهم سيف
الدين على بن أحمد الحنكرى وجده كان صاحب قلاع الحكارية ومنهم شهاب الدين محمود الحارثى وهو خال صلاح
الدين وكل من هؤلاء عظماء وقد جمع ليطلب عليهم فأرسل الخليفة العادل إلى صلاح الدين قاسم به بحضور
في قصره ليطلع عليه خلع الوزارة ويولي الامر بعده وكان الذى حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فأنهضن

انه اذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته يحكم مولا يحصر على المخالفة وانه يضع على العسكر
 الشامي من يستعمل اليه فاذا صار معه البعض أخرج الباقي وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من
 يجيهم من الفرنج ونور الدين فامتنع صلاح الدين وضعت نفسه عن هذا المقام فآزره به وأخذ كارها ان الله ليحبب
 من قوم يقادون الى الجنة بسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلعة الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما ولقب بالملك
 الناصر وعاد الى دار أسد الدين فأقام بها ولم يلتفت اليه أحد من أولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم
 ولا خدعه وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الحكاري معه فسعى عند سيف الدين علي بن أحمد حتى أمانه اليه وقال له ان
 هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل قال لي صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمي
 وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وملكك لك وقد استقام الامر له فلا تترك أول من يسعى في اخراجه عنه
 فلا يصل اليك ولم ير له به حتى أحضره أيضا عنده وحلفه له ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه
 الناس ولم يبق غيرك وغير اليار وفي وعلى كل حال فالجمع بينك وبين صلاح الدين ان أصله من الاكراد فلا يخرج
 الامر عنه الى الأتراك ووعده وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح الدين أيضا وعدل الى عين الدولة اليساري وكان
 أكبر الجماعة وأكثرهم جمعاً فلم تنفعه رفاه ولا نفذه مكره وقال أنا لا أخدم يوسف أبداً وعاد الى نور الدين ومعه غيره
 فأتكر عليهم فرأته وقد فاق الامر ليقضي الله أمراً كان منفعلاً وثبت قدم صلاح الدين ورسم ملكه وهونائب
 عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا تبصر قون الا عن أمره وكان نور الدين يكتب
 صلاح الدين بالامير الاسفهلار ويكتب علامته في الكتب تعظيماً أن يكتب اسمه ولا يفرده في كتاب بل يكتب
 الامير الاسفهلار صلاح الدين وكافة الامراء بالدار المصرية يفعلون كذا وكذا واسم صلاح الدين قلوب الناس
 وبذل لهم الاموال مما كان أسد الدين قد جمعه وطلب من العاضدين أيخرجه فلم يكتفه فقال الناس اليسوا حبه
 وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه ووضف امر العاضدين كان كالباحث عن حقه وظلفه وارسل
 صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فقدسد
 البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا اليه وراسلوا مصر فسير الى مصر نور الدين العساكر ونهيم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة
 نور انشاهم أبوبه وواكبهم من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنتظر الى أخيك انه يوسف
 الذي كان يقوم في خدمتك وأنت فاعده فلا تمر فأنك تفسد البلاد وأحضره حيثنذ وأعاقبك بما تستحقه وان كنت
 تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم فيها مقامى وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد أزره وساعده على ما هو
 بصده قال افعل معي من الخدمة والصناعة ما يصل اليك ان شاء الله تعالى فكان كإقبال وقال العماد لما فرغ بعد
 ثلاثة أيام من التزمينة بأسد الدين اختلفت اراؤهم واختلطت أحوالهم وكاد الشمل لا ينظم والخلل لا يلتئم فاجتمع
 الامراء المنزوية على كلمة واحدة وأيد متساعده وعقدوا لصلاح الدين الرأي والابواب وأخلصوا له الولاء والولاية وقالوا
 هذا قائم مقامهم ونحن بحكمهم وأرسلوا صاحب القصر بتوليته ونادت السعادة بتبليته وشرع في ترتيب الملك وترتيبه
 وقض ختم الخزان وأبصر رسوم المراتن وسلط الجود على الموجود وبسط الوفور والوفود وفرق ما جمعه أسد الدين في
 حياته وأثارت على منار العلي آتائه ورأى أولاءه متحذوا لوتوره وباتته وأحبه وما زالت محبته غالبة على مهابته
 وهويها للفقير يقر بهم كآتهم وذو قربته ومازاده الملك ترعفاً وما أفاده الأتصافي السماح وترعاه من أمر
 المملكة كما كان منشوراً وكتب له العاضد صاحب القصر منشوراً وهو بالمثل الكريم الفائز الذي هو السحر الخلال
 والعذب الزلال ثم أورد العماد وهو شبيه منشور أسد الدين ٤٠ وحوى القلم فيه بما خط له القلم في الزلزال من وصف
 جهاده وسلمه ففي ذلك المنشور (والله ما أنت رضيع دره ونشأته بحجره ونظهور الخيل ومواظنتك وظلال الخيام
 مساكنتك وفي ظلمات قساطه تحلى بحماستك وفي أعقاب نوازله تتلى مناقبك فتعمر عن ماقم القنا وتخض فيه بحرا
 من الظلما وأحل في عقد كلمة الله وتيفلت الحبا واسل الوهادبم العدى وأرفع رؤسهم الرابا حتى بانى الله بالفتح
 الذي برجوا به المؤمنين أن يكون مذكورا لا يملك وشهودك يوم مقامك) وفي طرته بالخط العاضدى ولم يذكره
 العماد في كتابه (هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عند الله سبحانه عليك فأوف بعهدك وبيمينك ونحذ كتاب أمير

كتاب (١٦٢) الرومانيين

المؤمنين بيمينك ولين مضى بيميننا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن أسوة ولين تبق من تبعته بنأ أعظم سلوة تلك الدار الآخرة نجعله للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) يعني بين مضى أسد الدين وبين بقي صلاح الدين ثم قال الحمد وهذا آخر مشروط بوطب تلك الدولة وختم وتبددت عقودها وما انتظمت ووصلت كتب صلاح الدين الدنيا إلى الشام بما تسمى له من المرام ولين يقصدها لاستدعاء والاستبطاء ولين تأخر عنه بالخلع والبطاء وزدت الكتب الصلاحية بذكر الاشواق وشكوى الفراق وشرح الاستهاش وريح القلوب العطاش فان أصبحنا ولين ملكوا ولنا لومافا صدمهم وادركوا حصولا بين أمة لا يعرفونها بل ينكر ونهاوا لا يؤمنوا برؤا وجوها هنالك بهم عابسه وأعيننا لكادمتي قطرة وعن الوذاعسه فان أجناد مصر كانوا في الدين مخالفين وعلى عقيدتهم معاقدين مخالفين وكتب صلاح الدين إلى بعض أصدقائه كتابا أوله

أيها الغائبون عني وإن كنستم لقلبي بذكركم جسرانا
اتق مذقتكم لاراكم * بعين الضمير عندي عيانا

فسألت المكتوب اليه ان يكتب جوابه فقلت

أيها الظاعنون عني وقلبي * معهم لا يفارق الاطلاعنا
ملكوا مصر مثل قلبي وفي هذا وهاتيك أصبوا سكاكنا
قاعدوا فيها فانكم اليو * هم ملكتم عليهم ماسطنا
لاترعدوا بالبحر قلب محب * أورشلة روعاته الخفقنا
حبدا معهم قد قضينا به العيش فكنارهم جبرانا
أزوجدنا من الحوادث أمنا * وأخذنا من الخطوب أمنا
ورقنا من التي في رياض * وسكان المغاى جننا

وبعد فان وفود المنه وأمداد الفداء متروكة على الولا صادرة عن محض الولا إلى عالي جنبه المأنوس ومنيع
كنفه المحروس فليهنه الظفران بالملك وبالعدو وفرع غضاب الجند والعلو وكيف لا يكون النصر مساقا للدين
هو صلاحه والتأييد مرافقا لمزمه هو نجاحه وفلاحه

فأشام بغيض مصر أمذ حلات بها * كما الفراق عليكم بعد سدا النيل
نلت من الملك عفوا ما السلوك به * عنوا قدما ورأموه لها نيل
قال الحمد ووثيت أسد الدين بقصيدة خدمت بها نور الدين وعزيت بها أنام نجم الدين منها
تضعض في هذا المصاب المباحث * من الدين لولا نوره كل ثابت
فأيام نور الدين دامت منيرة * لنا خلفا من كل مود وفائت
فما بالكاتب عدى التصامم غفلة * وداعى الملنا يا ناطق غير صامت
ثم وصل في دار الفناء بقاءنا * وزجروا من الدنيا صداقة مفاقت
وما الناس الا كقصون بدالدى * تقرب منها كل عود لناحت
لقد أبليت رسل المنايا وأسمعت * وليكنها لم تقطع مناسناحت
فلهي على تلك الشمايل انما * لقد كرمت في الحسن عن نعمناحت
وله من أخرى عزى بها أنام نجم الدين أيوب وولده ناصر الدين محمد يقول

ما بعد يومك للعنى المذنب * غير العويل وحصر المأسف
ما أجزأ الحدنان كيف سطا على الأسد الخوف سطا ولم يخوف
من ذار رأى الاسد المحصور فرية * أم أيسر الصيم المنبر وقد خفي
من ثابت دون الكماة سواهان * زلت بهم أقدامهم في الموتف
ما كان أسنى البدر لول يستتر * ما كان أبهى الشمس لول تكسف

في اخبار (١٦٣) الدولتين

أيام عرك لم تزل مقسومة * للهين تعبد وتعرف
 متبهدا لعبادة أوتاليا * من آية أوانا لمرافى مصحف
 فجع الندى والبأس منك بحاتم * ويجددو الحلم منك يا خنف
 بالملك قزق وزنه عن قلدة * ومضيت عنه بسيرة المتعفف
 ووصفت بأسدا لدين محمد * مدحها ملكه لم بوصف
 وقضت أنار الشريعة كلها * وقد اهتدى من للشريعة يقنى
 أنفت من دنياك حين عرفها * فلويت وجه العارف المتكف
 يا ناصر الدين استعد بتصير * مدن الى مرضاة رب مزلف
 وتزجم الدين عندهم هنا * أبدأ الزمان بملك مصر ويوسف
 لا نستطيع سوى الدعاء فكلنا * إلا بما فى الوسع غير مكلف

ولهمارة النبي في صلاح الدين مدائح منها قوله

لك الحسب الباقي على عقب الدهر * بل الشرف الراقى الى قمة النسر
 كذا فليكن سعى الملوك اذا سعت * بها الحمم العليا الى شرف الذكر
 نهضتم باعباء الوزارة نهضة * اقلتم بها الاقدام من زلة العثر
 مكشفت عن الاظلم غمته كما * كسفت بازوار الفنى ظلمه الفقر
 مجيت من الافرنج سرب خلافة * جريتم لها مجرى الامان من الذعر
 ولما استغاث ابن النبي بنصركم * ودائرة الانصار اضيق من شبر
 جلبتم اليه النصر أوسا ونزرجا * وما اشقت الانصار الا من النصر
 كائب في جبرون منها أوانر * وأولها بالنيل من شاطئ مصر
 طلعت فاطمتم كواكب نصره * أضاعت وكان الدين ايلابلا فر
 وأبت اليكم بالابن أيوب دولة * نرسلكم فى كل يوم مع السفر
 حتى الله فيكم عزيمة أسدية * فكلتم بها الاسلام من رقه الاسر
 أخذتم على الافرنج كل ثنية * وقلتم لا يدى الخيل مرى على مرى
 لئن نصبوا فى البر جصرا فانكم * عبرتم ببحر من حديد على الجسر
 طريق تقارعتم عليها مع العدى * ففزع بها والصحفر قرق بالصخر
 وأزعجه من مصر خوف بلز * كما زمه زوم من الايل بالبحر
 وكم وقعة عذراء لما اقتضضتها * بسيفك لم تترك لغيرك من عذر
 وأيديكم بالبأس كاسرة العدى * ولكنها بالجلود جائرة الكسر
 أبوك الذى أضفى ذخيرة مجدكم * وأنت له خير النفاس والنخر
 ومن كنت معروفا له فاستغفره * بمثلته قهو فى أوسع العذر
 فكيف أب أصبحت نار زناده * كنورا البدر من سنه البدر
 توفقه وسط الندى كرامة * وتجل عنه ما يزود من الوفر
 وتخلقه راسلما خلافة * تؤلف أصدقاء من الماء والجمر
 وكفت فى بأس وجود ورثة * بماسر فى الخطب والندى والتغر
 ولو أنطق الله الجادات لم تقم * لنعتكم بالمستحق من الشكر
 بدلا يقوم المسلمون بشكرها * لكم آل أيوب الى آخر الدهر
 بكم أمن الرحمن أعظم يثر * وأمن أركان التنية والجبر

مكتاب (١٦٤) الروميين

ولورجت مصر الى الكفر لانطوى بساط الهدى من ساحة البر والبحر
ولكن شددتم أزروه بوزارة * غدا لفظها يشتم من شدة الازر
فهنيتم فمها تدم جله * وبشر أن الكل يتلو على الاثر
وما بقيت في الشرك الابقيسة * فتمتها في خمة البيض والسمر
وعند تمام الملك أتى مهننا * وملتأأ بالكهانة والازجر
ولولا اعتقادى انه دحل قربة * أرجى ببايل المتوبة والاجر
لما قلت شعرا بعد اعفاء خاطرى * ولى سنوات منذ تبت عن الشعر
فاوصى بى الايام خيرا فانها * مصر قبالهنى منك وبالامر
وجازنى تسهيل ابنى عليك * وملقا كلى بالطلاقة والبشر
وقال أيضا من قصيدة

يا شبيهه المدينى عدلا وحسنا * وبمياحكاء معنى ومغنى
هذه مصر يوسف حل فيها * يوسف مال كازما حل مهننا
أنت حرمت ابن بنتك فيها * بسوى الله وحده أو يبنى
انما الملك والوزارة جسم * أنسروح فيه وفى اللفظ معنا

وقال أيضا من قصيدة

ملك صلاح الدين لا قوضت * أطنابه ملك البقا والصلاح
سيرة عدل حسنت عندنا * ما كان من وجه البالي القباح
سافر فى الدنيا واقضارها * ذكر غدا عنه جيلا وراح
قل لابن أيوب وكم ناصح * أنفع من هو شاكى السلاح
حارب على مثل نجوم السماء * فلك مصر ما عليه اصطلاح
قول لمن فى عزه فترة * ارجع الى الجند واخل المراح
فالقدر فداذن اغضاه * على يدى يوسف بالانقاح

وقال أيضا من قصيدة

ونبت مصر عن ميمى ك يوسف * ككتاب عن سكب الحياه واك مسكب
حذوت على مجلى نداء وهديه * وان كنت لاسبحن حواك ولا جب
وواقفته فى الصفح عن ككل مذنب * فامناك تتريب وان عافم الخطب
وللكيم عبد المتعم الجلباني من قصيدة طويلة

أبو المظفر مأوى كل مضطهد * بحكمه ونده يضرب المثل
مهما جمل جائر او عائث عه * فعند عدل صلاح الدين يعتدل
احبابه الله مصر افعى نائرة * واقفكها من عتق ما به قبيل
كل قفر فنجها ورادوا منتعها * وتارهم حولها نذكو وتشتعل
فأطفا النار المنصور جذوتهم * وادبروا بقلوب شهبها وجل
ملك تقلد سلك الملك متعها * وقال للمال هذا منك لى بدل
ففرق المال جمل القلوب به * وحبيه قيم ادرالك ما سألوا
ان الملوك الذين امة أدمهم * لم يحزنوا المال بل مهما حووا بذلوا
كذ السباسة فالاجناد لو علوا * بخل الملك وجاءت شدة خذلوا

وهذا الذى ذكرنا من قصة شاور وما جرى بسببه فى الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين (فصل)

قد وجدته مبسوطة مشتملة على زيادات وفوائد في كتاب يحيى بن أبي طي الخليلي في السيرة الصلاحية فأحييت ذكره مختصرا ذكر ان الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الديار المصرية لما قتل في رمضان سنة ست وخمسين بتدبير عمة العاصد عليه أوصى عند موته ابنه رزيك بشاور وقال له لا تزلزله من ولايته فإنه أسلم لك ويقال انه أنشأ ديارا تسمى فاذن بتدشيل عقد كما * لا تأمناسم شاور السعدي

وكان شاور متولى قوس والصعيد الاعلى فلما دفن الصالح استوزر ابنه رزيك ولبق بالعادل ولما استقرت أحواله أرسل الى عمة العاصد خفييا واجتمع الى رزيك أولاد عمة من جتهم عز الدين حسام وأشاروا عليه بعزل شاور فامتنع ثم ألحوا عليه فأجاب وبلغ شاور باجها بالعصيان وجمع العربان وأهل الصعيد وجها الى القاهرة وخرج اليه جماعة من أمرائها كانوا كاتبوه فخرج رزيك نصف الليل فضل الطريق وتاه فوقع عند اطمع وشميوت عرب قبضوا عليه وحملوا الى شاور وقد دخل القاهرة وتسلها وأخرجت اليه منقطع الوزار فوثم أمره ولما حصل رزيك عند شاور أكرمه وطلب الذي أتى به ونادى عليه هذا جزء من لا يرعى الجبل وكان للصالح اليه احسان وتفرق آل رزيك في البلاد فنجما حسام الذي كان سبب هلاكه في رزيك بأموال وصاروا الى حياه فأقامهم واشترى القرى ولم يرزل حاله الى أن مات وكان في خروجه أودع عند الفرسيه سبعين ألف دينار فوفوا له ورزقوا عليه ثم أراد قتي الدين أخذها منه فقال من العجب ان الفرسيه في لي بردها وتأخذها أنت مني فكف عنه قال وكن شاور وكان له ثلاثة أولاد طي والكامل وسليمان فقبسطوا على الناس وتعاظموا فنجهم الاقس وكان ملهم وأخوه ضرغام من صنائب الصالح بن رزيك فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذوا في امره فلهزم رزيك الصالح وهو في السفين والسجل الى عادته الى الوزارة وتواصل ذلك بطي بن شاور فدخل على أبيه وقال له أنت غافل وملهم وضرغام يفسدان أمرك وقد شرعنا في أمر رزيك واستخلفا له جماعة من الأمراء ولا يمكن تلافى حالك الا بقتل رزيك فقال له شاور ان الصالح أولاد جيلا وبسببه حالات هذا المحل فتركه ولده طي ودخل على رزيك فقتله في سجنه وسمع شاور ذلك فقامت قيامته وفعي الخبر الى ضرغام وأخيه ملهم فقتلوا أمرا من استخلفا من الأمراء وزحفا بالعساكر الى شاور فانهزم فخرج من باب القاهرة وهرب الى الشام وأدرك ضرغام ولديه طيا وسليمان فقتلهم وأمر الكامل فأخذهم ملهم واعتقله عنده وأراد ضرغام قتله فنه منه ملهم وحفظ له جيلا كان قد فعله معه واستقر امر ضرغام في الوزارة فوقع عليه ولقب بالملك المنصور ولما استقر به الامر بلغه ان جماعة من الأمراء حسدوه واستعصروا وكتبوا لشاورا وكان صاروا الى الشام فأخفى في عيال الحيلة عليهم وحضرهم الى دار الوزارة فقتلهم جميعا ولم يترعش لأمورهم ولا لمازلمهم وقيل انه قتل منهم سبعين أميرا ويقال انه جعلهم في ثوابت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه فكان ذلك اكبر الاسباب في هلاكه وخروج دولة المصريين عن يد أصحابها لانه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء أو ما شاور فانهما خرج من القاهرة قسار على وجهه حتى وصل الى دمشق بعد تحقيقه قتل ولديه ولما وصل الى بصرى اتصل خبره بنور الدين فشدب جماعة على تلقيه وانزله في جوسق الميدان الاخضر واحسن ضيافته واكرامه ثم بع سبعين يأمن مقدمه احضر نور الدين ابن الصوفي وجماعة من وجوه الدمشقيين وقال لهم اخرجوا الى هذا الرجل وسلموا عليه وعرفوه اعذارا في التقتصير في حقهم وسلوهم فيما قدم وما حاجته فان كان ورد علينا اختارنا للامامة اقر دناله من جهاتنا ما يكتفي ويقوم بأمره واودعوا يكون عوناه على زمانه وان كان ورد لغير ذلك فيقصص عن حاجته فخرج الجماعة اليه بالرسالة فشكل لحيان نور الدين وسكت عماد اعدك فساءله القوم الجواب فقال ازالم بيت الراي يا مظهر اخذ القوم الى نور الدين وعرفوه ما دار بينهم وبينه فأمرهم بالعود اليه من غذلك اليوم ففعلوا وطلبوا الجواب فسكت ايضا واظال ثم قال ان رأى نور الدين اظال الله بقاءه الا جماع على قتله علوا الراي فصرقوا نور الدين بحالته فأجاب نور الدين ان يكون الاجتماع على ظهر الميدان الاخضر وركب نور الدين من القدي بوجوه دولته وخواص ملكه حتى أحسن زى وأكمل شاره فلما دخل الميدان ركب شاور من الجوسق والتقياف وسط الميدان بالتحية فقط ولم يترجل أحد منهم الصاحبه ثم ساروا من موضع اجتماعهم وهو نصف الميدان الى آخره ثم انفصلوا من هناك وعاد نور الدين الى قلعة دمشق وأخذ من وقته ذلك في جمع العساكر وأمر ضرغام فانه حين استقر به

الامر له أن يشأ كتابا الى نور الدين على يد علم الملك بن النحاس يظهر فيه الطاعن ومعرض بخذلان شاور فأظهر نور الدين لعلم الملك القبول في الظاهر وهو مع شاور في الباطن وأجاب عن الكتاب وانفصل علم الملك عن دمشق فلما كان بظاهر الكرك أخذ علم قليب بن الرقيق القرقي وحصل على جميع ما كان معه وانهمز علم الملك بنفسه وتوجه الى الساحل وسار الى مصر وفي هذه الايام أنفذ نور الدين واستحضر أسد الدين شيركوه من انطاخ من الرحبة وكان نور الدين قد تمين بأسد الدين وتبرك بمجون بقيته لتعلم بره في أمر الانجح ولم يولمه في مضيق الانفتح ولما حضر أسد الدين الى دمشق خلا به نور الدين وتحدث معه في أشياء في أمر مصر وأمره بالاستعداد وكان نور الدين قد أراح علة العسكر الذي يريد تنسيده الى مصر فخرج من يومه وكان شاور قد طامع نور الدين في أموال مصر ورغبه في ملكها وأنه اذا ملكها كان من قبله فيها وبالبلغ شاور واستتبأ أمر العسكر سأل عن المقتد عليه فقيل له أسد الدين شيركوه فلم يطلب له ذلك لانه ظن ان التقدم تكون له فلما زوحم بهذا القود سقط في يد وقت في عضده ولم يجد بدا من المسير فخرج واجتمع بأسد الدين وسار جميعا حتى وصلوا أطراف البلاد المصرية ونزلوا على تل في الحوف قريب من بليس يعرف بتل بسطة وضربوا خيامهم هناك ولما اتصل بضرغام خبر ورود شاور وأسد الدين بالعساكر الشامية جمع أمرهم مصر واستشارهم فأشار شمس الخلافة محمد بن مختار بأن يجتمع العساكر وتخرج جريدة وتلقى العساكر الشامية بصدد روهو على يومين من القاهرة فانهم لا يثبتون لكونهم خرجوا من البرية ضعفاء ولم يكن قلة الماء عليهم لان المسافر الى مصر يحمل الماء من ايلة مسيرة ثلاثة ايام فلم ير وذلك واختاروا ان يلقوهم على بليس فأمر ضرغام الامر بالخر وج خرجوا في أحسن زى وأكل عذبة والمقدم عليهم ناصر الدين ملهم أخوا ضرغام وجاءوا حتى احاطوا بالتل الذي كان أسد الدين نازلا عليه ولما عاين أسد الدين كثرة العساكر وانهم قد ملوا عليهم الجهات وسدوا واما فدا الطرافات قال لشاور باهذه القدر هتكتا وغرتنا وقلت انه ليس بمصر عساكر فختنا في هذه الشريعة فقال له شاور لا هو نلتك ماتشاهد من كثرة الجمع فأكثرها الحسنة والفلاحون الذين يجتمعهم الطبل وتفرقهم العصا فما نلتك بهم اذا جى الوطيس وكلبت الحرب وأما الامر اهان كتبهم عندي وعهودهم معي وسرتى ذلك اذ لقيت اهم ثم قال اريد ان تأمر العساكر بالاستعداد والركوب ففعل ونهاهم شاور عن القتال ووقف الفريقان مصطفين من غير حرب الى ان جى النهار وانتهى الحديد على أجساد الجال فضرب أكثر أهل مصر الحطب الصغار ونخلوا السلاح ونزلوا عن الخيل وجلسوا في الظل فأمر شاور الناس بالجملة فكان أسعد أهل مصر من ركب فرسه وأطلق عنه ولى منزما وتركوا خيهم وأموالهم ليس بها حفظ فاحتوى عليها أصحاب أسد الدين وأسر شمس الخلافة وجماعة من أمرهم المصريين ولم يمكن شاور من تقييدهم والاحتياط عليهم فظهر بوأصاق أسد الدين وشاور في أثر الناس ونزلوا على القاهرة وقاتلوا أياما وراسل شاور العاضد في اصلاح الحال وان ياذن له في الدخول الى القاهرة فاذن له وكان ضرغام صار الى تحت القصر وقال اريد أن يكلمني لاسأله ان يفعل فلم يجبه أحد فذهب على وجهه منزما فخرج من بابزويلة والعامة تلغنه ونصج عليه فالتحقه رجل من اهل الشام ليقتله فقال له ضرغام اوصنى الى أسد الدين ولكم منك فلم يقبل منه وحل عليه قطعنه فارداه ونزل اليه واحترز رأسه وحمله الى أسد الدين واعلم بما جرى بينهما فصب على أسد الدين واوجه ضرغام واراد قتله فشفع فيه شاور ورد دخل شاور القاهرة وقتل ملهم ما تا ضرغام عند بركة القليل وخرج ابنه الكامل من دار ملهم وكان معتقلا فيها وخرج معه القاضي الفاضل وكان ايضا معتقلا فيها معه واستقام امر شاور في الوزارة واقام أسد الدين على المقسم ينظر امر شاور فيما ضمن لنور الدين وارسل اليه يقول له قد طال مقامنا في الحتم وقد ضجر العسكر من الحر والغيار فارسل اليه شاور ثلاثين ألف دينار وقال ترحل الآن في امن الله وفي دعتي فلما سمع أسد الدين ذلك ارسل اليه ان نور الدين اوصانى عند انفضالي عنه اذا ملك شاور تكون مقما عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد والثلث الثاني لشاور والعسكر والثلث الآخر لصاحب القصر يصره في مصالحه فقال شاور انما قررت شيئا ما تقول اننا طلبت نجدة من نور الدين فأذا انقضى شغلي عادوا الى الشام وقد سيرت اليكم بنقته فخذوها وانصر فو اننا انفصل مع نور الدين فقال أسد الدين اننا لا يمكنني مخالفة نور الدين ولا اقدر على الانصراف الا بما مضى امره فأمر شاور باغلاق باب القاهرة وتأخذ في الاستعداد للحصار واستعداد أسد الدين ايضا

في اخير (١٦٧) الدولتين

وسير صلاح الدين في قطعة من الجيش الى بليديس لجمع الغلال والانبان والاحطاب وما تدعو الحاجة اليه ويكون جميع ذلك في بليديس ذخيرة واخذ في قتل القاهرة وكتب شاور ملك الفرنجة مرسى يستعجه ويقول له ان شيركوه طلع معي نخبة على ضرغام فلما حصلوا في البلاد طمعو فيها ومتى ملكوها مضاة الى بلاد الشام لم يكن لهم عيش ولا قرار ونحن له في كل مرحلة يرسلها الى ديار مصر ألف دينار وقرر شيا القضيعة وداوهم وشيا الاستنار وشيا مخرج مرسى من عسقلان في جموعه الى قافوس في سبع وعشرين مرحلة وقبض عناسا سبع وعشرين الف دينار ولما تحقق اسد الدين قرب الفرنج من القاهرة فاجل عنبال بليديس وانضاف اليه من أهلها الكثانية وخرج شاور في عساكر مصر واجتمع بالفرنج وجاء حتى خيم على بليديس واحاط بها محاصر الاسد الدين بياكر الحرب ويراوحها وأقاموا على ذلك مدة ثمانية أشهر وانقطعت أخبار مصر ومن بها عن نور الدين وكان اقصل بنور الدين وهو بدمشق خبر مسير الفرنج الى ديار مصر وغدر شاور فكتب الى اطرافه يقدم العساكر فقدم عليه عساكر الشرق جميعها واجتمعوا بارض حلب فقتلهم محمد الدين بن الدايه وكان نائب نور الدين بحلب الى جهة سارم ونزل على ارناع وخرج نور الدين من دمشق وشن الغارة على الساحل وقتل وأسرا ما اعطيا ثم قصد جهة حلب وجعل طريقه حصن الأكراد فلما حصل بارضه شن الغارة فيها وغنم غنيمة عظيمة ونزل في مرجع مخرج اليه الفرنج الا انهم ومن حصن الأكراد وهم جمعوا عسكر ووقتلوا جماعة من المسلمين وكان عسكر نور الدين غافلا فلم يتناسك الناس وساروا على وجوههم وسار نور الدين الى ان اجتمع بعساكره على ارناع وكان اخوة مصر الدين مع الفرنج فلما عين اعلام نور الدين لم يتناسك ان حل جميع اصحابه فاصدا اخاه نور الدين فلما قرب منه نزل وقبل الارض بين يديه فلم يلتفت اليه فتم على وجهه واصطف الناس الحرب ففعلت الفرنج فكمزت الميسرة ثم عادت فوجدت راجلها جميعه قد قتل والخييل قد اطيقت عليهم فزولوا عن الخيول وألقوا اسلحتهم واخذوا بالامان فأخذوا جميعه عاقبضا بالايدي وساروا الى حارم ففتحوها واراد النزول على انطاكية فلم يتمكن لسفل قلبه بن من مصر من المسلمين فالتحق فاصدا لدمشق ونزل على بانياس فافتحتها وانغار على بلد طبرية ووجع اعلام الفرنج وشعافهم وجعلها في عبية وسلمها الى نجاب وقال له اريد ان تعمل الحيلة في الدخول الى بليديس وتخير اسد الدين بما دفع الله على المسلمين وتعطيه هذه الاعلام والسعاف وتأمره بنشرها على اسوار بليديس فان ذلك مما يفت في أعداء الكفار ويدخل الوهن عليهم ففعل ذلك فلما رأى الفرنج الاعلام والسعاف قلقوا فلذلك وخافوا على بلادهم وسألوا شاور والاذن والاتصال فازرعج شاور ذلك وخاف من عاقبة الامر وسأله النجل بالماو جمع امره للشورة فاشاور واعليه بمساحة اسد الدين ونكث له اتمام الصلح الامير شمس الخلافة فافذه اليه فتم الصلح على يديه على ان يجعل شاور الى اسد الدين ثلاثين ألف دينار أخرى وحكى ان شاور ارسل الى اسد الدين وهو محصور بليديس يقول له اعلم انني اقيمت عليك ولم امكن الفرنج منك لانهم كانوا قادرين عليك وانما فعلت ذلك لامر من أحدهما الى ما اختار ان أكرهاه المسلمين وأقوى الفرنج عليهم والثاني اني خفت ان الفرنج اذا اتفقوا ببليديس طمعو فيها وقالوا هذ لنا لانفتحناها بسيرة وفتاوا من يوم كان يضي الا وأنا أنفذ الى كبار الفرنج الجملة من المال وأسألم ان تكسر واهمة الملك عن الزحف فالوأقام أسد الدين بظاهر بليديس ثلاثة أيام ورحلت الفرنج الى جهة الساحل وسار أسد الدين فاصدا الشام وجعل مسيره على البرية واتفق ان البرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك تأول ليعينه التي حلفها لاسد الدين فقال أنا حلفت اني ما ألحق أسد الدين ولا عسكره في البر وأنا أريد أن الحق في البحر وصار في يوم واحد الى عسقلان وخرج منها الى الكرك والشوبك وجمع عسكره القمب هناك وقعدم تقباضا ورج أسد الدين من البرية ليقوع به وعلم أسد الدين بمسكدة ارناط بالحدس والتخمين فسلك طريقا من خلف المكان الذي كان فيه ارناط شق الى القصور وخرج من البقاء وسلمه الله تعالى منه ودخل دمشق فاجتمع ثور الدين وأخبره بالاحوال وأعلمه بضعف ديار مصر ورغبه فيها وشوقه الى ملكها فرغب فيها ثور الدين وأمره بتجنيد الاجناد واستخدام الرجال وأما شاور فانه بعد رحيل أسد الدين والفرنج الى بلادهم عاد الى القاهرة ولم يكن له همة الا تتبع مع علم ان يثمنه وين أسد الدين معرفة أو صبيحة كان استفسد جماعة من عسكر أسد الدين منهم خشتين الكركى وأقطعه شطونوف وقتل شاور جماعة من أهل مصر وشرذ آخرين ثم توجه أسد الدين في ربيع الاول سنة اثنيتين وستين فاصدا للديار المصرية وكنتم أخباره فاراع

شاورا الاور ودكتبمى ملك الفرنج يعرفه فيه ان أسد الدين قد فصل عن دمشق بعساكره قاصداً بار مصر
 فطلب شاور منه إعادة العجدة والمقر من المال يصل اليه على ما كان يصل اليه في العام الماضي فسارمى
 في عساكر الفرنج الى مصر على جانب البحر وكان أسد الدين سائر الى الري فبقية الفرنج وزلوا على ظاهر بلبيس
 وخرج شاور بعساكر مصر واجتمع بالملك وقد واجيعا في انتظار أسد الدين وعلم أسد الدين باجتماع الفرنج بشارور
 على بلبيس فكتب عن طريقهم وأم الجبل وخرج على اطفح وهي في الجنوب من مصر وشن الغارة هناك واتصل
 بشارور خبره فسار في عساكره الى الفرنج في محبته ينفقوا أثره واتصل بأسد الدين ذلك فاندفع من أيديهم حتى بلغ شرونة
 من صعيد مصر وتحمل في مراكبها وعذى الى البر الغربي ولما استكمل تعديته أدرك شاور بعض ماقتله ومنقطعي
 عسكره فواقعهم وأحضر شاور أيضاً مراكب وقطع النيل في أثر أسد الدين فجمع جيوشه وجيوش الفرنج وسار
 أسد الدين الى الجيزة وجمع بهم مقدار خمسين يوماً واستقال قوماً يقال لهم الأشراف الجعفر بين والطالحين والقراشين
 فاتفق أسد الدين الى شاور بقوله أنا أحلف لك بأقله الذي لا اله الا هو بكل ميثاق بها المسلم من أخيه اثني لا أقسم
 ببلاد مصر ولا أعاود اليها أبداً ولا أمكن أحداً من التعرض لليهود فيها كنت معك إلباعليه وما أؤمل
 منك الا النصر الاسلام فقط وهوان العدو وقد حصل بهذه البلاد العجدة عنه بعيدة وخالصه مصر وأر يدملك ان
 نجتمع أنا وأنت عليه وتنتر فيه الفرصة التي قد أمكنت والعجدة التي قد كتبت فستأصل شاقته ونجده نأثره وما
 أظن انه يعود يتفق للاسلام مثل هذه العجدة أبداً فلما صار الرسول الى شاور أذى الراد الأشر به قتل وقال ما هؤلاء
 الفرنج هؤلاء الفرنج ثم أعلم الفرنج بما أرسل اليه به أسد الدين وأعلمهم بما أحياه وحذدهم بما أنقوا بها وبلغ ذلك
 أسد الدين فكل يديه أسفاً على مخالفة شاور له في هذا الرأي وقال لعنه الله لو أطيعني لم يبق للشام أحد من هؤلاء
 الفرنج وزل شاوري اللوق والمقسم وأمر بملع الجيزة والجزيرة وأمر بالمرابك فنجحت بالرجال وأمرهم
 ان يحوموا من خلف عسكر أسد الدين ولما رأى أسد الدين ذلك كتب الى أهل الاسكندرية يستعجدهم على شاور
 لاجل ادخاله الفرنج الى دار الاسلام وتضييعه أموال بيت مال المسلمين فيهم ققام وامعه وأمره واعليهم بحجم الدين
 ابن مصال وهو ابن أحد وزراء مصر بين وكان لجأ الى الاسكندرية مستخفاً بطرفه في هذه الفتنة
 حدثني الشريف الادريسي زيل حلب قال كنت بالاسكندرية يومئذ فكتب معي ابن مصال كتاباً الى أسد الدين
 وقال لي قل له اني أخبرك ان السلاح واصل وكان أنفذ لاسد الدين خزانة من السلاح قال فسبقته يومين وحضرت
 بين يدي أسد الدين وأعطينته الكتب وشافته مر سالة ابن مصال في معنى السلاح والالات ثم وصلت الخزانة بعد
 يومين مع ابن أخت الفقهاء بن عوف قال وبقينا على الجيزة يومين فوصل اليانا رسول ابن مدافع يهبر أسد الدين بقرب
 شاور منه وأمره بالهجرة فترك أسد الدين الحياض والمطبخ وما يشغل حله وسار سيراً خفية فارب دلجة فامر أسد
 الدين بنهبها فنهبت وزل الناس لتعشية الدواب فلم تدم عليه حتى أمر أسد الدين بالرحيل وأوقدت المساعل ليلاً
 وسرنا فاذا الجاوش بنادي في الناس بالجوع وعاد أسد الدين الى دلجة فقتل عليها ووزل شاور على الاسميين وأمر
 أسد الدين الناس ان يبقوا على تعبته فاصبحوا على ذلك والتفوا فقتل من أصحاب أسد الدين جماعة كثيرة وانهمزوا
 وكان أسد الدين قد فرق أصحابه فرقين فر يقامعه وقر يقامعه مع صلاح الدين وأتقنه لياق من خلف عسكر شاور
 فدخل الصف من هذا الطريق ثم ان أصحاب أسد الدين تجمعوا واما سكووا علوا انه لا مخرج لهم الا الصبر فقاموا
 على الموت وحلوا واطلع صلاح الدين من وراءهم فلم تزل الحرب قائماً الى الليل فقلت عساكر الافرنج والمصريين
 الادبار وكاد ملى ملك الافرنج يوشر وصار شاور ومن سلم معه الى منية ابن خصيب وسار أسد الدين على القوم الى
 الاسكندرية فدخلها ووزل القصر وجعل فيه محبس للفرنج الذين أسره هم وكان فيها ابن الزبير متولداً يواها فدخل
 الى أسد الدين الاموال وقوامه بالسلاح وخاف أسد الدين ان يقصده شاور والفرنج فيحصروه فربما تاذى بالحصار فأمر
 صلاح الدين بالقيام بالاسكندرية وترك عنده جماعة من العسكر ومنهم من أوجراح أضعف واستغلف له
 وجوه الاسكندرية وأوصاهم به ورجل في أقرباء عسكره قاصداً الى الصعيد ووزل الفرنج بشارور على الاسكندرية
 وحاصر وهامة ثلاثة أشهر بأشد القتال وبذل أهلها في خصر تالملك الناصر أموالهم وأنفسهم وقتل منهم جماعة عظيمة ولما

كتاب (١٧٠) الروضتين

يورى عنهم ولا يكشف لشاور حالمه ويقال ان الملك أقطعته ثلاث عشرة قرية على أن يقيم على المصر بين الحيلة وبعلم
 شاور انه انما قصد مصر للخدمة ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور أشفق منه وأحضر الامر شمس الخلافة حميد
 بن مختار وقال له كأن بدران قد غشني ولم ينعني وأما فواتيك فأريد تخرج وتكشف لي حال الفرنج فسار شمس
 الخلافة الى مري وكان بينهما مائة الف فلما دخل على الملك قال له من حجاب شمس الخلافة فقال من حجاب الملك القنار
 والامال الذي أقدمك اليه انفا قال اتصل بي ان الفقيه عيسى زوج أخت الكامل بن شاور من صلاح الدين يوسف بن
 أيوب وزوج الكامل أخت صلاح الدين فقلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافة ليس لهذا حكمة ولوقبل ذلك
 لم يكن فيه بعض العهد فقال له الملك الصبح ان قوامس وراء البحر اتهموا البناء وغلبنوا على أرائنا وخرجوا طامعين
 في بلادكم فغنمنا من ذلك فخرجنا لتوسط الامر ينكمروا بهم فقال شمس الخلافة فأي شيء قد طلبوا قال أنفي
 أقدم دينار فقال مكانكم حتى أصل الى شاور وأبلغه مقالكم وأعود بالجواب فقال له ملك الفرنج فحسن نزل على بليس
 الى أن تعود قال وحكي ان ملك الفرنج لما وصل الى الداروم كتب الى شاور يقول له اني قد قدمت الخدمة على
 ما قررتك لي من العطا في كل عام فأجابه شاور ان الذي قررتك لك انما جعلته متى احتجت اليك او اذا قدم على عدو
 فأما مع خلو بالي من الاعداء فلا حاجة لي اليك ولا لك عندى مقر فأجابه مري أن لا بد من حضوري وأخذى
 المقرر فعلم شاور انه قد غدر بالعمود فغضب الايمان وانه قد طمع في البلاد فأخذ في تجهيد الاجناد وحشد العساكر
 الى القاهرة وأخذ الى بليس قطعة من الجيش وميزموه عهده ثم ان ملك الفرنج سار خلف رسول شاور لابلوى على
 قول حتى نجى على بليس في صفرو وكان معه جماعة من المصريون منهم علم الملك ابن النحاس وابن الخياط يحيى وابن
 قرحلة وأرسل الى طي بن شاور وكان ببليس وقال له: ين نزل قال على أسنة المراح وقال له انجسب ان ببليس
 جبهة تأكلها فأرسل اليه مري نعم هي جبنوا القاهرة فزبده ثم فاق ببليس ليلانهارا حتى انتقمها بالسيف وقتل
 من أهلها اخلفا عظيما وخرب أكثرها وأحرق حلال أدرها ثم أخرج الاسارى الى ظاد البلد وحسروا في مكان واحد
 وجل في وسطهم برمحهم ففرقهم فرقتين فأخذ الفرقة التي كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التي كانت عن يساره
 لعسكره وقال لفرقته قد أغلقتكم شكرا لله تعالى على ما أولاني من فتح بلاد مصر فاني قد علمت كتابلاتك ووقف
 الى ان عهدي أكثرهم النبل الى جهة منة حجل وأخذ العسكر نصيبهم من الاسارى فاقسمهم وبقى أهل ببليس
 الذين أسر دا أكثر من أربعين سنة في أسر الفرنج وهلك أكثرهم في أيامهم وأظلم منهم اليسير لان الملك الناصر
 رحمه الله لما ملك ديار مصر وقف مع ببليس على كثرة على فكلك الاسرى منهم وسامح أهل ببليس بفراجهم
 الى آخر أيامه ولما اتصل بشاور ماجرى على أهل ببليس من القتل والاسر وان الفرنج شنعوا بالرجال والاعداد
 وجعلوا حالمه ظهرا أشفق من ذلك وطلب الاذن على العاضد فلما اجتمع بمكي بين يديه وقال أعلم ان البلاد قد ملكت
 علينا ولم يبق الا أن تصدق باني نورا له ونشر حله ماجرى وتطلب نصرة ومعونته فكتب جميع ذلك وأرسل
 شاور على تلك الكتب كتبها وبعثها الى الملك بالمداد قال وحذثنى شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار
 قال انما كتب هذا الكتاب برأى أبي شمس الخلافة لانه لما رجع من عند مري لعنه الله بعد أخذ ببليس اجتمع
 بالكامل بن شاور وقال له عندى أمر لا يمكن ان أفضي به اليك الا بعد ان تحلف لي انك لا تتطلع أبدا عليه فحلف
 حلفه فقال له ان أبالك قد وطن نفسه على المصاهرة وأخراسه يعلم البلاد الى الفرنج ولا يكتب نور الدين وهذا عين
 الفساد فاصعد أنت الى العاضد وأمره ان يكتب الى نور الدين فليس لهذا الامر غيره قصد الكامل وكتب الكتاب
 فلما وصل الى نور الدين انزعج انزعجا عظيما وأخذ أسد الدين وكان ذلك من مناه وأرسل الفقيه عيسى الحكاري الى
 مصر برسالة فظاهرة الى شاور يعلمه ان العساكر وامله برسالة التبرية الى العاضد وأمره ان يستخلفه على أشيائه
 عنها وان يكتم ذلك من شاور ولما الفرنج فسار والى جهة مصر وأمر شاور باحراق مصر وانذر أهلها بالفرج الناس
 منها على وجوههم ومحجوا في بلاد مصر وباتوا جرة الجبل الى القاهرة ثلاثين دينا وترك الناس أكثر ما لهم فنهبت
 وأحرقت مصر في ناسع صفر وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوما ثم ان الفرنج لعنهم الله نزلوا في بركد الحبش
 واثبت أخبارهم في الأطراف وقطع قروا من نغروا به فأتق شاور شمس الخلافة الى مري لعنه الله فلما دخل عليه سأل

في اخبار (١٧١) الدولتين

ان يخرج معه الى باب الحمية ففعل فأراد تمس الخلافة فمصر وقال له أترى دخانا في السماء قال نعم قال هذا دخان مصر ما أتيت الا وقد أحرقت بعشرين ألف فارورة فقط وقرقت فيها عشرة آلاف مشعل وما بقي فيها ما يؤمل بقاؤه وتضعف الآن عنك مدافعتي ومجاثفتي ولكن كلما ظلت لك انزل في مكان تقاتل في غير موافقي لانا الآن نزل بالقاهرة فقال هو كما تقول ولا بد من نزل بالقاهرة ومعى فرنجي من وراء البحر قد طعمه ووالى اخذها ثم رحل فنزل على القاهرة بما على باب البرقة نزولا نار به البلاد حتى صارت سهام البرج تهجم في خيمته فقاتلوا المدايا ما فلما تبين شاور الضعف عدل الى طريق الحماة والمخاضة والمخارقة والمداخلة الى ان وصل عسكر الشام فأخذ الشمس الخلافة الى مري لعنه الله تعالى رسالة طويلة قبل بها في غار به ودار من حوله وفي خيمتها (ان هذا بلد عظيم وفيه خاق كبير ولا يمكن تسليط البنية ولا إخلاء الابدان يقتل من الفريقين عالم عظيم وما تعلم أنت ولا أنا من الدائرة) والراى ان يخرج مناه اصحابك ومناه اصحابي وتوصل شيئا أدفعه لك يهصل لك عفوا فاستعرت المصانعة على أربع مائة ألف دينار وفيل الى ألف دينار يجعل له منها مائة ألف دينار فأجاب مري الى ذلك وافعدت الهندية وحلف مري ورحل الى بركة الخيش وجعل شاور اليه مائة ألف دينار في عدة قد فعان ستوف فيها الاوقات ثم اخذ عطله بالباقي انتظارا لقدم العساكر ويوهم انه يجمع لهم الآه والفرات ثم الفرغ الا بهجوم عسكر الشام عليهم فلما رأوهم رحلوا الى بليس ونزل أسد الدين بالمقحم ثم رحل ملك القرقي ونزل على قاوس وابنه أسد الدين ونزل على بليس وكان لما اتصل بشاور وصول أسد الدين الى صدر أنفذ الشمس الخلافة الى ملك القرقي فخرج مستطلقا له منه بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قل علينا المال فقال ملك القرقي اطلب منه شيئا قال انتهى ان تهبط الى النصف قال قد فعلت فقال الشمس الخلافة ما بلغني ان ملكا في مثل حال وقد تركت علينا وهب مثل هذه الهبة لقوم هم في مثل حالتنا فقال ملك القرقي أنا أعلم انك رجل ماحل وان شاور املاك وانك ما سألنا في ان أهبك هذا المال العظيم الا لامر قد حدث فقال له صدقت هذا أسد الدين قد وصل الى صدر مصر لنا وما بقي لك مقام وشاور يقول لك أرى ان ترحل ونحن باقون على المهندفة اوفق لك ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا رضى عنه من هذا المال بشئ وجعلنا الباقي اليك متى قدرنا وان نحن أخرجننا فرضا هم أكثر من هذا المال عندنا عليك بما بقي علينا من القصار فقال ملك القرقي أنا اراض بذلك وان بقي على شئ حملته اليكم وعزل على الرحيل فقال له بعد ان تطلق الى ابن شاور وجيع من في عسكرك من الاسارى ولا تاتنا من بليس بعد انصرافك شيئا فأجابه الى جميع ذلك ولما رحلت القرقي عن القاهرة نزل أسد الدين بأرض يقال لها اوق وأخرج اليه شاور الا فامات الحسد والخدم الكثيرة ولما اجتمعوا قال شاور لاسد الدين قد رايت من الراى ان أخرج أنا وأنت وان نترك القرقي ونوقعهم فقال أسد الدين هذا كان راى والقرقي على البر القرقي وليس لهم زروا الآن فلا نهم على البر المتصل ببلادهم ونحن قد خرجنا من البر في أسوأ حال من الضعف والتعب وقد كعادنا الله شرمهم ونحن الى الراحة والامتعجاء أوجع ولما نزل أسد الدين بالقوق أرسل له العاضد هدية عظيمة فوعدا كنية وأخرج الى خدمته أكبر اصحابه ثم اخرج اليه في الليل سرا متكررا واجتمع به في خيمته وأقضى اليه بأمر كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كأنه دخل دار الوزارة فوجد على سر ملكه رجلا يدينه بدواة الوزارة وهو يوقع منها بأعلامه فقال عنه فقيل هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصل أسد الدين بالدار المصرية وانفصل عنها القرقي أمنت البلاد وترجع الناس الى بيوتهم وأخذوا في اصلاح ما شعثه القرقي وأقدموه وقطار الناس الى خدمة أسد الدين فثقلوا هم بالحب والسعة وأحسن اليهم وأما شاور فإنه أخذ في التودد الى أسد الدين والتقرب الى قلبه بجميع ما وجد السيل اليه وأقام له ولعسكره ما لمير قال كثيره وانفقنا الغزير حتى استحوذ على قلبه ونوى ببقية في ملكه وصفاه قلبه حتى أنفذ اليه أسد الدين عسكر الشام وأما عسكر الشام فانه لم يأتوا وطب بلاد مصر وكثرة خبرها وسعة أموالها تانت أنفسهم الى الاقامة بها واختاروا ساكنها وبغروا فيها رغبة عظيمة فمضى طمع أسد الدين الاستيلاء عليهم والاولا استبداد بملكه ثم علم انه لا يتم ذلك وشاور باق فيها فأخفى اعماله الحيلة عاياه وكان العاضد قد تقدم اليه بقله فجمع اصحابا

وشاورهم في أمر شاوور وقال لهم قد علمت رغبتى في هذه البلاد وعجبتى لها ورحمتى عليها لا بما وقد تحققت ان عند
الفرنج منها ما عندى وعلت انهم كسفوا عورتها وعلوا ماله الاثر نعمتا وتيقنت انى متى خرجت منها عادوا اليها
واحتوا وعليها وهى معظم دار الاسلام وحلوة بيت ماله. وقد قوى عندى ان أتب عليها قبل وثوبهم وأملكها قبل
ملكهم وأنخلص من شاوور الذى يلعب بناو بهم ويغترنا ويترهم ويضرب بينناو بينهم وقد ضيع أموال هذه البلاد
فى غير وجهه او قوى بها الفرنج علينا وما كل وقت نذكر ان فرنج ونسبهم الى هذه البلاد التى قد قتل رجالها
وهلكت أبطالها فخلت الاراء بين الامرأه ان لا يتم لهم أمر الا بعد القبض على شاوور وتفرغوا على إيقاع القبض
به وكان شاوور يركب فى الابهة العظيمة والجلالة الجسيمة والعهدة الحسنة والالة الجسيمة على عادتهم الاولى وكان من
جملته قوا عدهم ان الوزير اذ ركب جل فى موكبها الطويل والروق وكان شاوور قليل الزكوب فجعل الامرأه يترصدونه
ورأى أسد الدين قبل قبض شاوور ليلة ككان شاوور ادخل اليه الى داوره وناله سيفه وعماسته فقتلوه أسد الدين
بالقبض عليه وأخذ منسبه ثم ان شاوور اركب يوما فى أبيته وجلالته فلبا غايته الامرأه باهوا وأجمعو عنه وكان
يوما عظيم الضباب وكان خروج شاوور من باب المنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين فلم عليه ودخل
فى موكبهم ثم سار به ثم مديما الى تلابينه وصاح عليه فرجله ولما رأى ذلك عسكر الشام قويت عزما منهم ووقفوا
فى عسكر شاوور فنبهوا وما كان مع رجاله وتلاوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر شاوورا ارجالا الى خيمة لطيفة واراد قتله
فلم يمكنه قتله دون مشاورة أسد الدين وفى الحال ورد على أسد الدين توقيع من العاضد على يد خادم يأمره فيه بقتل
شاوور فأنفذ التوقيع الى صلاح الدين فقتله فى الحال وأنفذ رأسه الى القصر وبلغ الكامل بن شاوور قتل أبيه فهرب
الى القصر وخلع العاضد على أسد الدين وقلده الوزراء وأنفذ اليه طبق فضة فيه رأس الكامل بن شاوور ورؤس
أولاد اخوته ولما خرج منشورا الوزارة الى أسد الدين أمر بقراءته على رؤس الاشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت
قراءته عليه عدة دفعات استحسانا لعابيه واسطة نظرا لما أودع من بديع الكلام فيه هال ولما اتصل بنور الدين
فتح انديار المصرية فرح بذلك فرحا شديدا وواصل الحمد والثناء على الله تعالى اذ كن فى زمنه وعلى يده وأمر بضرب
البشار فى جميع ولايته وتزيين جميع بلاده وجلس لاهناء بذلك وأشد الشراء فى فقهها عدة أشعار غريبة لما
اتصل به ان أسد الدين وزر لاهما ضد واسطة ذبا لمار فى ذلك الصقع امضه ذلك وألقاه وظهرت فى مخايل قصماته
وقلت كلمات الكرامة وأخذ فى الفكر فى أمر دوسر ملياى وافضى يسره الى مجد الدين بن الداية حدثنى جماعة
عن شمس الدين على بن الداية أخى مجد الدين وحدثنى الموفق بن محمود بن النحاس الفقيه الحلبى وقد جرى ذكر فتح مصر
وان نور الدين ابتهج به فقال والله ما يمتج به لقد كان وده أن لا يفتح وأن لا يصير أسد الدين وصلاح الدين الى ماصرا
اليه ولقد ظهرت الكراهية منه لذلك فى ألسناؤه ووجهه ولقد أعمل الخيلة فى إفساد أمر أسد الدين وصلاح الدين
فما تى له لاسيما يوم بلغه حصول صلاح الدين على خزائن مصر فانه أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحدا من براه واهم لذلك
حتى اقضى عليه الهمة ولو لم يكن الفتح اليه منسوب باو عليه فضله محسوب بالماصر على ماجرى ولا اغضى الملك العادل على
القدى ولقد كتب العاضد عدة دفعات فى أمر الاسد والصلاح فلم يحصل له فيها النجاح وكثيرا ما يوجد فى كتب
نور الدين الى العاضد التعريض بانفاذ أسد الدين ولو أمكنه المجاهرة بالقول لقال فى بعض مكاتباته (ولقد اخترت العبد
الى بعثته وأوعز عسكر دهم بتيقته واشتد حزب الضلال على المسلمين لغيته لانه ما يزال يرمى شياطين الضلال بشهابه
الثاقب ويصمى مقل الشر بسهمه النافذ الصائب) فملت لنور الدين رحمه الله انما أطلقه من ذلك كون أسد الدين
وزر لاهما ضد خاف من ميله الى القوم والى مله فهم وان يفسد جند علمه بذلك السبب هذا ان صح ما نقله ان أى طى
والله أعلم قال وكان أسد الدين لاولى الوزراء لم يغير على أحدث شيئا وأجرى أصحاب مدبر على قواعدهم وأموهم الى
ان انقضت أيامه ووفيت أعوامه وكان قوما يحب اكل اللحم ويؤاظم عليه مالا زهرا فافتوا ترات عليه القوم واتصلت به
مريضاته الى أن ظهرت بطنه خواتيق كان فيها تلافه ويقال له أكل فى ذلك اليوم مضرة ودخل الحمام فلما خرج
منها أصابه الحنق قال وكان شجاعا بارعا قويا جلدافى ذاته شديد على الكفار وطاعة عظيمة فى ذات الله صولته
عقيدادينا كثير الخير وكان يحب أهل الدين والعلم كثير الايتلو حذبا على أهله وأقاربه وكان فيه اسالك وخلف

مالا كثير وخلف من الخيل والدواب والجمال شيئا كثيرا وخلف جماعة من الفلانيان جميعا ثمة مملوك وهم الاسدية وهو كان مشيد قواعد الدولة الثانية والمملكة الناصرية وكان ابتداء أمره بمخاض مع صاحب نكريت على اقطاع مبلغه تسعمائة دينار وتتغل الى ان ملك الديار المصرية وعقده العزاء بالقاهرة ثلاثا أيام قلت وبالله تسب المدرسة الاسدية بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي المظلة على المبدان الاخضر وهي على الغائقتين الخفية والشافية والخسافة الاسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشمين قال ابن أبي طي وساعة وفاته وقع الاختلاف بين بولي الوزراء بين العسكر الناصري والاسدية الى صلاح الدين وفي تلك الساعة نفذ العاصد وسأل عن يصلح للوزارة فأرشد من جماعة من الامراء الى شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين فأفاد اليه وأحضره وخاطبه في نولي الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية الملاء الناصري وكان الحارمي أولا لندرج في الوزارة وتحدث فيها وحصل ما يحتاجه فلما رأى من اجماع عين الدولتين يروق وغيره عليها خاف ان يشغل بذلها فغوت به ورعا فانت صلاح الدين فأسار به لانها كانت في ابن اخته فكانت في يته وكان صلاح الدين قد وقع من العاصد وقع وأعجبه عقله وسداده رأيه وشجاعته مؤثما له على شاور في موكره وانه له حين جاءه أمره ولم يترص ولا توقف فسارع الى تقليده الوزارة ومارح شهاب الدين الحارمي من حضرة العاصد الا وطلع الوزارة قد سبق الى الملك الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضاء تسمى بطرز ذهب ونوب ديق بطرازي ذهب وجبة قميص اسفل طون بطرازي ذهب وطميسان ديق بطرازي دقتي ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار وسيف محلي بجوهر قيمته خمسة آلاف دينار وفرس حمر صفراء من مراكب العاصد قيمته ثمانية آلاف دينار لم يكن بالديار المصرية سبق منها وطوق وتحدث وسر فسار ذهب بجوهر وفي رق سقاخر مشددة بيضاء وفي رأسها ثمانية اجزاء جوهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود جوهر وقسمت ذهب في رأسها طائفة بجوهر وفي رأسها مشددة بيضاء باعلام ذهب ومع الخلعة عدة بفتح وهذه من الخيل وأشياء أخرى ومنشورا للوزارة ملفوفة في ثوب أظلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وقرئ المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلاسه في دار الوزارة وحضر جميع أرباب الدولتين المصرية والشامية وكان يوم عظيم وخلع السلطان على جماعة الامراء والكبراء وجوه اللدوار بأرباب دولة العاصد ومع الناس جميعهم بالهبات والصلوات ولما استقرت قدمه في الوزارة والرياسة قام في الرعية مقام من قام بالرياسة والسياسة ونظم بحسن تدبير من الدولة بددها وجرى في منافع العدل على جدها وجميعه الى جوده وقضه وادى الى رفده وذكاه وكاتب الاطراف بمصار اليه من السلطان وسر قلوب الاصدقاء والاحباب ما حصل عليه من شريف الرتبة والمكان واستدعى الحوزة من الاصحاب والاهل وزوى بفسح كرمه من بعدهم وقرب من اهل الفضل وناب من الخير وعدل عن الله ووفقه لظن التدبير وسما عن السهو وتقص لباس الدين وحفظ ناموس الشرع ايامين وشمر عن سابق الجد والاجتهاد وافاض على الناس من كرمه وجوده شأيب فضله النائب عن العهد وورد عليه القضاة والوزراء ومفتائهم الخطب وجواهر الاشعار حدثني بعض الامراء قال أقبل العاصد على السلطان الملك الناصر وأجبه بحسبة عظيمة وبلغ من محبته انه كان يدخل اليه الى النصر كما فاد حصل عنده فام مع في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره قال ولما استولى الملك الناصر على الوزارة قال اليه العاصد وحكمه في ماله وبلاد وحسد من كان معه بالديار المصرية من الامراء الشامية كابن باروق وحرديق وجماعة من غلمان نور الدين ثم انهم فارقوه صارا الى النام وحدثني أبي رحمه الله قال حدثني جماعة من اصحاب نور الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاة أسد الدين ووزار صلاح الدين ما فاد انفقده من المحبة في قلوب الرعايا اعظم فلما كرهه ونأف منه منكره وقال كيف أقدم صلاح الدين ان يفعل شيئا يغير أمرى وكسب في ذلك عدة كتب فابتغى الملك الناصر الى قوله الا ان لم يخرج عن طاعته واسره وانه ما فارق قبول رأيه وأشار به وأمر نور الدين من بالاشام من اهل صلاح الدين وأصحابه بالخرج اليه وطلب منه حساب مصر ومصار اليه وكان كثير ما يقول ملك ابن أيوب قلت هذا كله ما تقتضيه الطبع البشري وبالجملة الادمية وقد جرى الله سبحانه وتعالى العادة بذلك الامن عصم الله ومن انصف عذرون عرف صبر الذي انكره نور الدين هو افراط صلاح الدين في تفرقة الاموال

ولست أدري ذلك من غير مشاورة هذا مع ابن أبي طي متهم فيما ينسب إليه من تور الدين بما لا يليق به فان نور الدين رحمه الله كان قد أذل الشيعة بحلب وأبطل مشاعرهم وقوى أهل السنة وكان والد ابن أبي طي من رؤس الشيعة فنهاهم من حلب وقد ذكر ذلك كاملاً في كتابه مفرق في مواضع فهذا هو في الكتاب الذي له كبير الجمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه ما ينسب إليه بما لا يليق به والله أعلم قال والمملك الملك الناصر مصر أخرج نور الدين حصص والرحبة من ناصر الدين ابن أسد الدين وقرع عاله واعطاه تل باشر ثم أخذها منه ولقد كان يتألم الملك الملك الناصر ويقال انه لما مرض قال ما أخطأت الا في انصاذي أسد الدين الى مصر بعد علي برغبته فيها وما يجزئني شيء اكلمني بما ينال أهلي من يوسف بن أيوب ثم التفت الى أصحابه فقال اذا ماتت فصيروا بيثي اسماعيل الى حلب فانه لا يبق عليه غيرها قال ابن أبي طي ولقد كان يبلغ الملك الناصر من أقوال نور الدين واوقال أصحابه أشياء تؤله وقضه غير انه بلغها بصدر رحب وخلق عذب حدثني أبي عن ابن قاضي الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال جرى يوم ما بين يدي السلطان ذكر نور الدين فأكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت عنه على مثل خالمدى ونور الابري وما قدراً أحسن من أصحابه ان يجد علي ما يعتمدون ولقد اجتمه هو نفسه أيضاً ان يجد لي هفوة بعدتها على فلم يقدر ولقد كان يعتمد في محاط باني ومواسلاتي على الأشياء التي لا يصبر على مثلها العلى انظر أو تغير فيكون ذلك وسيلة الى منابذ في أبلغته اربو بما قط قلت قد عرفت على كتاب بخط نور الدين رحمه الله بشكره في من صلاح الدين رحمه الله وذلك صدم ما قاله ابن أبي طي كتب نور الدين ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين بن أبي عمرو بن رحمه الله وهو بحلب ليوليه قضاء مصر صوره (حسبي الله وكفى وفق الله الشيخ الامام شرف الدين اطاعته ومخيمه بخير غير خاف على الشيخ ما أنا عليه وفيه وكل غرضي ومقصودي في مصالح المسلمين وما يقرئني الى الله والله ولي التوفيق والمطلع على نيتي وانت تعلم نيتي كما قال عز من قائل (ومن عنده علم الكتاب) أنت تعلم ان مصر اليوم قد زلنا النظر فيها فهي من الفتوحات البكار التي جعلها الله تعالى داراً لسلام بعدما كنت دار كفر وفتاق فقلله المنه والجد الا ان المنعم على كل شيء أمور الدين التي هي الاصل وبها النجاة وأنت تعلم ان مصر وانتم لها ما هي قايمة وهي خالصة من أمور الشرع وما تدخر الديموع الا لشدة اندوا ما كنت أضحي ولا أشتي مفا رقتك والا ن قد قد تدين عليك وعلى أيضاً ان ننظر الى مصالحها وما لنا أحد اليوم لها الا أنت ولا أقدر أولى أمورها ولا أظن لها الا ما حتى تبرأ مني عند الله فحبب عليك وفقك الله ان تسمع من سابق الاجتهاد وتولي قضاء عاوتعل ما تعلم انه يقربك الى الله وقد برئت مني وأنت نجابوب الله فاذا كنت أنت هذا ذو ولدك أبو المعالي وفقه الله فطيب قلبى وتبرأ مني وقد كتبت هذا الخطى حتى لا يبقى على حجة فصل أنت ولدك عندى حتى أسير كم الى مصر والسلام بموافقة صاحبى واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فلأمنه شاكر كبير كثير كثير جزاء الله خيرا وأبقاه في بقاء الصالحين والاختيار صلاح عظيم ومنفعة لا هل الاسلام الله تعالى بكسر من الاختيار وأعوان الخير وحيد الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم) قال ابن أبي طي وأبطل صلاح الدين من المكوس والمظالم ما يستخرج بدويان صناعة مصر مائة ألف دينار وما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية مائة ألف دينار فسامع بجميع ذلك وأمر بكتابة سجل به من ديوان الانشاؤات الى سائر أعمال مصر يقرأ على المنابر وعرض عليه مساقعة قبر ائمة الدواوين في جهات المستخدين والعاملين لعدة سنين متقدمة آخرها سنة أربع وستين وخمسة فكان مبلغه ينيف عن ألف ألف دينار والى ألف أردب غلة فسامع في جميع ذلك وأبطله من الدواوين واسقطه عن المعاملين وانهى اليه ما ستأدى من الخجاج بالخجاز المحروس من المكوس فأنكروا أكبره وعرض عنه بعدة ضياع فأغاث أهل الججاز عما أوسعهم من العين والغلة أشياء يطول شرحها قلت وسأيت كل ذلك في موضعه ومنحة مفشور اسقاط المكوس في أخبار سنة سبع وستين وذلك بإشارة نور الدين رحمه الله وفي أيامه

(فصل) ذكر العباد في بوانه قصيدة مدح بها نور الدين وبعثه بملك مصر ولم يذكرها في كتاب البرق منها

• بملك مصر اهني مالك الام • فاسعد وابشر بنصر الله عن أم
اضحى بعدك شمل الملك ملتجأ • وهل يعد لك شيء غسبير ماتم
بافاعل الخير عن طبع بلا كلف • ومولى العرف عن خلق بلا سام

في اخيار (١٧٥) الدولتين

وواقعة انتم تقسم الكفر بجمعه * لالتم تقسم شنيب واضح شيم
 لله دزدك نور الدين من ملك * بالعمزم مفتيح بالنصر محتتم
 انار عزمك في الاسلام واجحة * وسر ملك باد غير مكنتم
 بامن العدل والاحسان تنشره * تخاف ديك خوف المذنب الاثم
 اوربت مصر خيول النصر عادمة * ثنى الاعنسه اقدا ما على الجهم
 فاقبلت في صحاب من ذوابلها * وقضها بدماء الهام منسهم
 تمكن الرعب في قلب العدو بها * تمكن النار بالاحراق في انهم
 سرت لتقطع مالا لكفر من سبب * وامو توصل مالا لدين من رحم
 مستبيلات وعور الطرق في طلب السعيا مقضات اصعب القوم
 وعاجلات من الافرنج غلهم * والقيدي موضع الاطواق والحزم
 لقد شفت غلة الاسلام وانتهت * من العدو بجحد الصارم الخدم
 اعانها الله في اطفاء جرداى * من شرشاور في الاسلام مضطرم
 واصبحت بك مصر بعد خفتها * للامن والعز والاقبال كالهرم
 والسنة اتسفت والبدعة انمخت * وعادت دولة الاحسان والكرم
 ملوكا كصاروا اعبدا وعبدا * بهاعيب ذلك املا كاذري حرم
 انبت عنك بهاتر ما ينوبها * في البأس عن عنت في الجود عن هرم
 لله دزدك نور الدين مسن ملك * عدل لحفظ امور الدين ملنزم
 كانت ولاية مصر قبل عزتها * بكشف دولتها الجماعلى وض
 فالنيل ملتطم جار على خجل * جارا لبحر نوال منك ملتطم
 اغز الفرج فهذا وت غز وهم * واحطم جموعهم بالدايل الحطم
 وطهر القدس من رجس الصليب وشب * على البغات وثوب الاجل القطم
 فلك مصر وملك الشام قد نظا * في عقد عز من الاسلام منتظم
 محمود الملك الغازى بسوسهما * بالفضل والعدل والافضل والنع
 بالشكر كل لسان ناطق ابدا * بمحمد والمثل محمود بكل قسم
 فاشك مصر وانظر عزستها * كتمنى والى كم تشنكى ومكم

ولعلم الدين الشامى في نور الدين رحمه الله

مانال شاولك في الملهانى سنجر * كالاولا كبرى ولا اسكندر
 ياخير من ركب الجية ادخاض في * ليج المنايا والاسنة بقطر
 هل حاز غيرك ملك مصر وصار من * اتابعه من جده المستنصر
 والمستضى بالله معتد به * ويحمدو بحمد مستظهر
 اوسد بالشام الثغور محاميا * للدين حتى عاد عنها قيصر
 يكي فيروى الارض ببحر دموعه * والجو من انفسه يتسعر
 او ما أبوك بسيفه فتح الزها * والاسد تفتن الكماه وترأر
 هابت ملوك الارض بأس كائنها * فتقاعدوا عن قصدها وتأخروا
 ما ضره طوى المنية ذاته * وصفاته بين السرية تنشر
 فلكم على كل الملوك مزية * لوفائع مشهورة لا تنكر
 واذا عتدنا للانام مناقبا * فليكن قبل الكل شئ المختصر

كتاب (١٧٦) الروميين

في الرأي قيس في السماحة حاتم * في التطق قس في البسالة حيدر
 دانتك الدنيا وأنت تعافها * وسوالك في آماله يتعاف
 من ذابصون العصب عنك وأنت من * أصد الشرى منه تخاف وقد
 قال العماد وأخذ صلاح الدين من مصر خطبا لجامعته من الاعيان وأنفذ للعماد عمامة ملبوسة فكتب اليه قصائد
 في هذا المعنى منها

يا صلاح الدين الذي أصلح الفا * سدا لعنل من خطوب الزمان
 أنت اخرجت نيل مصر الى الشا * م فوالأم سال نيل ثاني
 وعني نيلها لك فيك فضل * فهما بالنصار جاريان
 وصلت اعطياؤك الغرغزرا * فتلقت آملنا بالتماني
 قطع رافت العين ورقف * وعلا وصفها عن الامكان
 منهبان كأنها قطع الرمنسون قد أهديت لاهل الجنان
 مشرقا بطرزا الذهبيا * ت الحسان الرفيعة الاغان
 فالعمامات كالغمامات والطر * ز بروق كثرة اللعان
 والموالي بهامن التيه والفن * ر على الدهر صاحبو الاردان
 كيف خص العماد بالادون المخلق من دون عصبة الديوان
 اخليق من نسجك في اللد * ح جديديا بهمن الخلقان
 وكذا عادة الليالي قصص البفاضل المستقى بالحرمان
 لم تزل سائران جودك بالسام لديه غزيرة التهان
 فانما لم تزد مصر كالا * في المعنى فاحه من نقصان

وكتب الى نور الدين أنى صلاح الدين قصيدة منها

عبدك خمس الدوله المرتجا * منتظر تشريفك المنجبا
 فاعتب صلاح الدين في حالي * عساه بالاصلاح ان يعتبا
 عسرفه ماتم فاني أرى * من فضله للفضل ان يغضبا
 وكيف يرضى ذلك بعض الرضى * ومجسده بأباه ككل الابا
 وقل له جاءته ملبوسة * تخلفت من تبع في سببا
 عمامة رقت ورثتها * نثرتها الاوطارت هبا

قال فوصل الى من نور الدين عمامة مذهبة وكتب يعتذر عن العمامة التي قبلها وكتب الى سعد الدين كشتكين ذا

يقول فيها استعير لسانه في الاعتذار الى العماد فاني استقل لمرامه ارم ذات العماد فكذب العماد
 لما العماد فقد تضاعف شكره * نماك شكر الروض نعي العيب
 لعمامة ذهبية ككفامة * سيدوا بهارق الطراز للقرى
 ما كان أحسن حاله لو انه * شغفت عمامته بثوب مذهب

قال وكتب اليه

أهني الملك الناصر بالناصر * ومامهد من بنيا من دين الحق في مصر
 وما أسداه من بر بلاعد ولا حصر * وما أحياه من عدل * وما خفف من اصر
 واعلاء سنا النصفة في بحبوحة القصر * قد استولى على مصر بحق يوسف العصر
 وأحياسنة الاحسا * ن في البدو وفي الحضر

وكتب اليه الامير اسامة بن منقدم قصيدة أولها يقول

في أخبار (١٧٧) الدولتين

ديار الهوى حيا مع الملك القطر * وجادك جود الناصر القديق المهر
بهرجت في عنقوان شبابهها * ونضرتا من بعد ما همرت مصر
وكم خاطب رفته لم يك كفوها * الى ان اتاهنا طلب سيفه المهر
جاء حاجي الليث العربي مصانها * كما صان عيننا من مثل القديق شفر
وكان بها بصرا جاج فاصبحت * ومن جوده العذب الثمر بها بحر
وله فيه من أنرى

فما أنت الا الشمس لولا لئلم تزل * على مصر ظلماء الظلالة سرودا
وكان بها لطفيان فرعون لم يرل * كما كان لما ان طفي ونسردا
فبصرتهم بعد الغواية والعي * وأرشدتهم تحت الفضال انى الهدى
وله فيه من أنرى

قل للملوك تزعجوا عن ندوة السطيا الملك الهمام الناصر
يسلى الالوف ويلتقيها باسمها * طلق المحياق القنا للشار
وشرأت في ديوان العرقة وقال في الملوك الملك الناصر وقد أخذله من ديار مصر ذهبيا ولغير صلاحا
صلاح الدين قد أصلحت دنيا * شتى لم يبت الا حوصا
وأرسلت السلام لتأعوما * وجودك جاف وحدي خصوصا
فكنت كيوسف الصديق لما * تلقى منه يعقوب النقيصا
وكان العرقة من جملة المرتدين الى صلاح الدين ايام كونه بدمشق فلما صار الى مصر وعنده انه متى ملكها اعطاه
أنفد ينزل فلما تم أمره بمصر كتب اليه العرقة قصيدتها

اليك صلاح الدين مولاى أشتكى * زمانا على الحر الكريم يميني
تري ابصر الانف التي كنت واعدى * بها في يدي قبل المات قصير
وهيبات والافرنج ميني وينكم * سياج قتل دونه وأسير
ومن يحب الايام انك ذوغنى * بمصر ومثلى بالنام فقير

وقال ايضا

قل للصلاح معني عند اعصاري * بالآف مولاى بن الآف دينار
أخشى من الاسران حاولت أرضكم * وما تفي جنة الفردوس بالثمار
جهد بها اعاضد يات مسطرة * من بعض ما خلف الطاغى أبو الطلاري
جررا كاسيانهكم غبرا تكيلكم * عيفا تها لا كعادتي والماري
وأخذله من مصر عشرين ألف دينار فقال

يا مال كما برحت كفه * تحو بل مال على صفي
أفلم بالعشرين من لم يزل في * رأس عشرين من الركف
يا آف مولاى ولصكها * محسوبة من جملة الآف

وذكر العباد في الخبر بدة ان العرقة تصد صلاح الدين الى مصر فأعطاه ذلك وأخذله من اخوته له فعاد الى دمشق
وهو مصر ورجب ورو كان ذلك ختام حياته وذنا أجل وفاته فمات بدمشق في سنة ٦٨٥ أو ٦٨٦ وستين وخمسمائة
قلت وفي ديوانه ما يدل على قدمه بمصر فان فيه وقال وكتبها على حمام عمرها الملوك الناصر بديار مصر المحروسه

لدا دخل الحمام هنيئا * دائرة كالفلك الدائر
تأمل الجنة قد زخرت * وعمرت للملك الناصر
كأنما فيض أنا فيها * نداء ليلورد والصادر

(فصل) وفي قتل المؤمن بالخرقانية وقصة السودان بين القصرين وغير ذلك قال العباد شرع صلاح الدين في قرض
اقطاع المصريين قطع منهم الدواوين أجل من معه من العساكر وكان بالقصر خصي يدعى بمؤمن الخلافة متحكماً
في القصر فاجتمع هو ومن معه على ان يكتبوا الفرغ ويقبضوا على الاسديّة والصلاحية لان صلاح الدين يخرج
الى الفرغ فمن معه فيؤخذ من يقي من اصحابه بالقاهرة ويتبع من ورائهم فتكون عليهم الدائرة فتكتبوا الفرغ
واتفق ان رجلاً من التركمان عبد البدر البضاء فرأى مع انسان ذى خلقان فظن ان يدين ليس بهما اثم شئ
فأذكرهما فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين فسقتهما فوجدهما كاتباً للفرغ فيهما من أهل القصر رجلاً من بحرهم
حصول النصر فأخذ الكتاب وقال دلوني على كاتب هذا الخط فدلوه على يهودى من الرهط فلما احضره ليسأله
ويعاقبه على خطه ويقابله نطق بالشهادته قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف بما جناه وشيد من الامر
وبناه وان الاثم به مؤثمن الخلافة وانه يرى من هذه الآفة فحسن لدى السلطان اسلامه وثبت اعتصامه وعرف
استسلامه ورؤى اخفاء هذا السر واكتتامه واستشعر الحصى العصى وخشى ان يسبقه على شق العصا العصى
فما صار يخرج من القصر مخافة واذا خرج لم يجد مسافة وصلاح الدين عليه غضب وعنه مغض لا يأمر فيه بسقط
ولا قبض الى ان استرسل واستبسل فظن ان مانسه من الشر المقيم فصل وكان له قصر في قرية يقال لها الخرقانية
لخرقهم رقب ما يتبع عليه من خرقة وهو بقر قليب فخلا فيه يوماً للثمة ولم يرانه يوم ذلته وانقضت ساعاته بانقضت
دولته فانهم الى صلاح الدين من اخذ راسه وترع من جاء بيلباسه وذلك يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي
القعدة سنة أربع فورد موارده من رداءه على ادون مشرع قال ولما قتل غار السودان وثاروا وكانوا أكثر من
خمسين ألفاً وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه واجدأه واذلوه واستباحوا وسحقوه فحسبوا ان كل يبضه شحمه وان
كل سرادقمه قشاره فاجتمع اب صلاح الدين الى المهديا ومقدمهم الامير ابراهيم وأصلت الحرب بين القصرين
وأحاطت بهم العسكر بفتح الجانبين ودام القصر يومين حتى حسم الاسامح بالجانبين وكانوا الجوروا الى محلة احرقوها عليهم
وحووا ما حولهم واخرجوا الى الجيزة واذلوا بالنفي عن منازلهم العزيرة وذلك يوم السبت السامن والعشرين من
ذي القعدة فما خلاص السودان بعدها من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلاً وأيضاً وقفاً أشدوا وقتلوا وقتيلاً
وكانت لهم على باب زويلة محلة تسمى المنصورة وكانت بهم المعركة الممثلة فخلت بيناها من القواعد فأصبحت خاوية
ثم حرقها بعض الامراء واتخذوها بيتاً فاهى الان جنتها ساقية قال وكان قد وصل الى صلاح الدين قبيل هذه
النوبة اخوه الأكبر فخر الدين شمس الدولة تران شاه بن أيوب أنفذه اليه فوراً من دمشق يشد زره بمصر لما سمع
حركة الفرغ وأهل القصر فوصل القاهرة في نالت ذى القعدة قال وبأمر نفسه وقعة السودان هذه وكان له فيها
أثر عظيم ومن عجيب ما حدث ان العاضد كان تطلع من المنطرة يعاين الحرب بين القصرين فقبل انه أمر من بالقصر
ان يقذفوا النصارى الشامية بالنشاب والحجارة ففعلوا وقبل ان ذلك كان عن غير اختياره فأمر شمس الدولة
الزرايين بأحراق منطرة العاضد ففهم أحد الزرايين بذلك واذاب المنطرة فدمع وترجع منه زعيم الخلافة وقال أمير
المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونك العبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم كانت العبيد مستعدة لانفس باز
العاضد راض بفعلهم فلما سمعوا ذلك فت في أعضادهم فحينئذ وفتحوا ذلولاً وادبروا وها كتب العباد على لسو
غيره الى صلاح الدين تصيدتهم

بالمالك الناصر استنارت * في عصرنا أوجه الفضائل
على من حقه فروض * شكر المجاهد من وائل
يوسف مصر الذي اليه * تشدأ مائنا الرواحل
أجريت بيلين في تراها * نيل نجيع ذيل نائل
وما نيت السودان حتى * احكمت البيض في الحائل
صيرت رجب النصارى مضيقا * عليهم كفه مجائل
وهكذا رأى منهم كراه * وأرض مصر كلام وائل

في اخبار (١٧٩) الدولتين

وقد خلت منهم المغانى * واقترت منهم المنازل
وما أصبوا الا بطول * فكيف لولمطر وابل
والسود بالبيض قد أبصوا * فهي نوازهم نوازل
مؤمن القوم خان حتى * غالتهم شره غوائل
عالمكم بالحقا فاضى * ورأسه فوق رأس عامل
يا عجبل البحر باليادى * قد آن ان تقف السواحل
قدّس القدس من خبات * ارجاس كفر غم أراذل

قال العباد وما مدحت به صلاح الدين في ذلك التاريخ تهتة له بالملك وتعزية بعمه

أيا يوسف الاحسان والحسن خير من * حوى الفضل والافضل والنهى والامرا
ومن لهدى وجهه النجاة يرأيه * تجبلى ونفرا النصر من غزوه اغترا
حي حوزة الدين الخنيف بحوزة * من الخالق الحسنى ومن خلقه الشكرا
أبوه أبى الاله الى وعمه * بمر وقمع الورى البسود والحضرا
وطال الملولك شبر كوه بطوله * وما شارح كوه فى العلا غوى الغفرا
بنو الاصفر الا فرج لا قوا ببيضه * وجمعوا اليه منايهم حمرا
وما أبيض يوم النصر واخضر روضه * من الخصب حتى اسود بالثقع واغبرا
راى النصر فى تقوى الاله واكل من * تقوى بتقوى الله لا يعدم النصر
ولما رأى الدنيا بين ملالة * اغنم من الاولى مسير الى الاخرى
وقام صلاح الدين بالملك كافلا * وكيف ترى شمس الضحى تغلف البدر
ولما صبت مصر الى عصر يوسف * أعاد اليها الله يوسف والعصرا
فأجرى بها من راحتيه بجرده * بمارا فسمها الورى انما لاعشرا
هزمت جنود الشركين برعبكم * فلم يلبثوا خوفا ولم يكثوا ذهرا
وفرقت من حول مصر جوعهم * بكسر وعاد الكسر من أهلها جبيرا
وأمنتم فيها الرعا ببلدكم * وأطفأتم من شرها ورها الجبرا
بسفك دم حطتم دماء كثيرة * وخزتم بما أبديتم الحمد والشكرا
وما يرتوى الاسلام حتى تنادروا * لكم من دماء القادرين بها غدرا
فصبوا على الافرنج سوط عذابها * بأن يقسموا ما بينا القتل والاسرا
ولاتهموا البيت المقدس واعزموا * على فقحه غازين واقترعوا اليكرا
نديمون بالمصروف طيبذ كركم * وما الملك الآن نديموا لكذكرا
وان الذى أئزى من المال مفسر * وان تغنه فى كسب شمس أئزى

قال وكثرت كتب صلاح الدين الى أسدقائه بمشرة بطيب أنباهم فيها كذب ضمنه هذا البيت

ما كنت بالخطور أوقع منكم * ولقد رزيت اليوم بالجموع

قلت فى جوابه أيا تلهمنا هذه

يا أهل السالف عيشنى بفنائكم * من عودة محمودة ورجوع
مذغبت عن ناظرى ما أذنت * لقلب شمس مصرة بطلوع
كنت المشفع فى المطالب عندكم * فعدون أطلب طبعكم بشفع
أصبحت أفتح بالسلام على النوى * وبشرىكم كم بتغير قنوع

قال ووصل أيضا منه كذب ضمنه هذا البيت

مكتوب (١٨٠) الرضين

وانتدرد المص من قبل أيضا * وقد حال مذبذبة فاصبح باقوتا

فقتلت في جوابه يا ليلتها

هنيئاً للمصر حوز يوسف ملكها * بأمر من الرحمن قد كان موقوتا

وما كان غم اقل يوسف شاورا * بمائل الاقتل دلو حالوتا

وقلت لقلبي ابشر اليوم بالتي * ققتلتها أمات بل حزن ماشينا

قال في هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابني شاور الكامل وأخاه يعني الطاري يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة وذلك انه لما قتل شاور عادوا في القصر فكانوا يذبحون القديسين فلو انهم جاؤا الى أسد الدين حلوا واستمعوا وعصموا فانه ساء قتل شاور وان حسان آمن بقتله ما حذر قتل الكامل هو شعاع بن شاور وكان له اخوان على تقدم ذكر قتل خرم غام له والآخر الطاري قال الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور والروحي في تاريخه أخذنا شاور وشعاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالعظيم وأخوه الملقب بفارس المسلمين فقتلوا ودير رؤسهم قال ولما ولي صلاح الدين ساس الرعية وأظهر لهم من العدل الملم معلوم فاجتمع أهل البلاد كرهوه فأوقع راجلهم وأخرجهم من القاهرة أخرجوا عنيفة وأخرج بعد ذلك رأسهم وشقت شملهم قتل بيوتهم خاوية بما ظلموا قال ولما كانت سنة ست وستين وقع جميع المكوس صادرها وورد لها جليلها وخيرها وغز بلاد الشام غزوين قال ابن شداد وفي المحرم من هذه السنة توفي ياروق الذي تنسب اليه الداروقية يعني المحلة التي يظهر حلب حال غيره وفيها احترق جامع حلب وأسواق البز وأخذ نور الدين في عمارته آخر السنة

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسة مائة في أول صفر من أزل الفرغ فتح لهم الله تعالى على دمياط من الديار المصرية قال ابن الأثير كان فرغ الساحل لملك أسد الدين مصر فقتلوا قتلوا قتلوا بالهلاك فكانت أفرغ الذين بالاندلس وصقلية يستقونهم ويعرفونهم من مائة دمن ملك مصر وأنهم خاتون على البيت المقدس وأرسلوا جماعة من القسوس والراهبان يحرضون الناس على الحركة فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح واتخذوا على التزول على دمياط فلما منهم أنهم ملكوها ويخونونها تظهر أملك كون به يد مصر فلما زلوا حاصرهم وأضيقوا على من بها فأرسل اليها صلاح الدين العساكر في النيل وحضر فيها كل من عنده وأمدهم بالمال والسلاح والنفخا وتابع رسله الى نور الدين شكر ما هوشه من الخواف وأمان تخلف عن دمياط ملكها الفرغ وان سار اليها خلفه بالمصر بون في خلفه ويخاني عسكره بالسوء وأخرجوا من طاعته وصاروا من خلفه والفرغ من أمامه فجهز نور الدين اليه العساكر أرسلوا كل ما تجوز طائفة أرسلها فاسارت اليه بتلو بعضها بعضها سار نور الدين في عين عنده من العساكر فدخل بلاد الأفرغ فتحها وأغار عليها واستباحها وولت الغارات الى المالم تكن ببلغه فتلوا بالبلاد عن مانع فلما رأى الأفرغ تتابع العساكر الى مصر ودخل نور الدين بلادها ونهبها وأخربها رجوا خائين ولم يظفروا بشيء وهذا موضع المثل ذهب العامة تطلب فرين فعادت لا أذنين فوصلوا الى بلادهم فزوها خاوية على عروشها وكان مدة مقامهم على دمياط حينئذ يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكى عنه أنه قال ما رأيت أكرم من العاضد أرسل الى مدة مقام الفرغ على دمياط ألف ألف قد شير مصرية سوى الثياب وغيرها قال القاضي ابن شداد لما علم الفرغ ما جرى من المسلمين وعساكرهم ما تم من استقامة الأمر في الديار المصرية علموا ان صلاح الدين يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقطع آبارهم لما حدث له من القوة والملك فاجتمع الفرغ والروم جميعا وحذروا نفوسهم بقصد الدار المصرية والاستيلاء عليها لملكها وروا أقصد دمياط لتكن للقاصد لها من البر والبحر ولعلهم انهم حصلت لهم حصل لهم مغرس قدم بأورون اليه فاستصحبوا المختبئات والديابات والجروح وآلات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرغ في الشام ذلك اشتد أمرهم فصرقوا حسن عساكر من المسلمين وأسر وأصابها وكان يملكون نور الدين يسمى خلع العليدار وذلك في ربيع الآخر من أفرغ جيب منها توفي العمادى صاحب نور الدين وأمر حاجبه وملك صاحب بعلبك وتدمر ولما رأى نور الدين ظهور الفرغ وتزولهم على دمياط قصد شغاف قلوبهم قتل على الكرك محاصرها في شعبان من هذه السنة قصد فرغ الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يبقوا ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية

جلب في رمضان فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امر فطلب الشام فبلغه خبر الزحف فطلب التي خربت كثير من البلاد وكنت في ثاني عشر شوال من السنة المذكورة وهو يوم الاثنين فطلب حلب فبلغه موت أخيه قطب الدين بالوصل وكنت وفاتي في الثاني والعشرين من ذي الحجة وبلغنا الخبر وهو بتل يشر فسلمون لي طلبا بالبلاد والوصل ولما علم صلاح الدين شدة قصد القلعة مضطربا أنفق في البلدة وأدعاهم من الرجال والإبطال والقرس والبر والميرة والآلات السلاح ما أمسه عليه ووعدا القمين فيه بإمدادهم بالعساكر والآلات وازعاج العدو عنهم أن يزل عليهم وبالغ في إعطاء الأمانات وكان وزيره صاحب كالأرياء مرفق شي ثم نزل الفرنج عليهم في التاريخ المذكور واشتد زحفهم إليها وقتالهم لها وهو رجع الله عليه بشن الغارات عليهم من خارج والعسكر قاتلهم من داخل ونصر الله المسلمين يؤدوهم وحسن قصد في نصرته دين الله بعددهم ويخدهم حتى يلبس لهم الحشران وتظهر على العسكر الإيمان ورأوا أنهم يخون برؤسهم ويسلون بغفوسهم فرحلوا ثابئين خاسرين فخرقت مجانيقهم ونهبت آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلدة بصلواته ومنه وقال الامام صاحب صلاح الدين بالقاهرة في دار الملك ومداركة كنهض اليها المدد بعد المدد وبرسل اليها المدد بعد المدد يسهر له ولا يغفل عنه به وقد أخلص قصره وموجهاه ولا يتم ولا ينفى وعندهم من ذلك المقدار القم وسبق في الدين أن أي السلطان إلى دميطة ودخلها وكذا خالفهم من الدين محمود فزها واتصل الحصار وتواصل الانصار وديق الفرنج القنا وهب عليهم البلدة فرحلوا عنها إلى مادي والعشرين من ربيع الأول بالليل الأكل والصفار الأشمل وكان لما وصل الخبر إلى نور الدين بوصولهم واجتماعهم على دميطة وزولهم اغتم وأهمل واستعصب الملم وأنهب من عندهم عسكر اقتبلا مقبلة الأمير قطب الدين حصارا والحدابي وكان مقدما مقتما وهما ماملا وأمره أن يسير بالعسكر ويقوض بهم من الجاهج الأكدر فوصل في النصف من ربيع الأول قبل رحيل الفرنج بأسبوع فوقعه روعه من الكفر في كل دوع قتل وبغنى من شدة اهتمام نور الدين رحمه الله بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دميطة أنه قرئ عليه جزء من حديث كان له يوم راية بجاه في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه بعض طلبة الحديث أن تبسم لثم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث فتعصب من ذلك وقال لا بأس بشي من الله تعالى أن يراى متبسموا والمسلمون محاصرون بالفرنج وبغنى أن اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دميطة في منامه انني صلى الله عليه وسلم وقال له أعلم نور الدين أن الفرنج قد رحلوا عن دميطة في هذه الليلة فقال يا رسول الله بما أصدقني فاذكر لي علامته يعرفها فقال قل له بعلامة ما سمعت على قل حارم وقلت يا رب انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى نصره قال فأنهت ونزلت إلى المسجد وكان من عادة نور الدين أنه كان ينزل إليه بنفسه ولا يراد إليه ركع فيه حتى يصلي الصبح فقال قد مررت به فأنسى عن أمرى فأخبرته بالتمام وذكرته العلامة قال أني لم أذكر كلفظة الكلب فقال نور الدين أذكر العلامة كلها وأخبرني بذلك فقلت يا رب رحمه الله وصلى الله عليه وآله فأنرت تلك الليلة بها طلبة بالفرنج بعد ذلك في تلك الليلة

(فصل) أرسل نور الدين كتابا إلى العاصد صاحب القصر عن أمير رحيل الفرنج عن نصر دميطة وكان قد ورد عليه كتب العاصد بالاستقامة من الأتراك في مصر خوفا منهم والاقصار على صلاح الدين وإزالة زعمائه فكتب إليه نور الدين يردع الأتراك ويطلبه أنما أرسلهم واجتهد عليهم بالإسلام أن قنطار بلان الفرنج يخلص لها الأسهم الأتراك فان الفرنج لا يربون إلا منهم ولولاهم لادخلهم في الديار المصرية وقصصوا منها على الأمنيه فضل الله بغير فرج السعد الأسمى مضاهي نعمه التي لا تحصى قتل ولعمرة النبي من قصيدة

من شاكرا لله أعظم شاكر * ما كان من نعمي في أيوب
طلب الهدى نصرته قال وقد اتوا * حصي قائم غايه المطوب
جلبوا إلى دميطة عند حصارها * عز القوي ذلة القلوب
وجلوا عن الإسلام فيما كربة * لولم يملوها أنت بكروب
فالتاس في أعمال مصر كلها * عتاقهم من نازح وخراب

كتاب (١٨٢) الروضتين

ان لم تظن الناس قسرا فارغا * وعم الباب فانت غير لبيب

وللهاب قتيان الشاغوري من قصيدة يقول

ولا غر وان عاد الفرخ هزيمة * ولولم تعلم بيق القمرك ساحل
قد أهنت اعداؤه ان حظهم * لديه رماح اشرفت أو سلاسل
ولما أنوادمياط كالبحر طاميا * وليس له من كثرة القوم ساحل
يزيد عن الاحصاء والعد جمعهم * ألوف ألوف خيلهم والرواحل
وأوادونهم أسدا بأيدهم القنا * ويضاروا قافا أحكتها الصياقل
وداروا بها في البحر من كل جانب * ومن دونها سدت من الموت حائل
رجال الكلب ملك الروم لاذلك ففجها * تخاف فأم الملك والروم هائل
فعادوا على الاعقاب منها هزيمة * كانتهم ذل انعام جوافل
وما ملوا ان يلحقوا بسلادهم * لتعصمهم عما رأوه المعافل

قال العماد وسألني كريم الملك ان أعمل له آياتا في صلاح الدين تهنتا بالنصر في دمياط فقلت قصيدة منها

يا يوسف الحسن والاحسان يا ملكا * يجتهد صاعدا أعداؤه هبطوا
حلت من وسط العلياء في شرف * ومركز النعم من افلا كه الوسط
هبت صوتك دمياط التي اجتمعت * لها الفرغ فاحلوا ولا ربوا
مصر يوسقها أخت مشرفة * وكل أمرها بالعدل منضبط
وحين والى صلاح الدين أصلها * فلامصالح من أيامه نمط

قال العماد وسأله في صلاح الدين قصيدة منها

كان قلبي وحب ماله كـ * مصروفها للملك يوسفها
هذا بسلب الفؤاد يظلمني * وهو يقتل الأعداء بنصفها
الملك الناصر الذي أبدا * بعز سلطانه بشر فها
قام باحسوا لها يدبرها * حسنا واتفاهلها يخففها
بعده والصلاح بعمرها * والندي والجبل يكفها
من دنس القادرين يرخصها * ومن خبايا العدى ينظفها
وان مصر إجملك يوسفها * جنة خلد روق زخر فها
وانه في السماح حاتمها * وانه في الوفاة أحنفها
يوسف مصر الذي صلاحها * جعلت بأوصافه تعرفها
كتاب التواريخ لا يزيتها * الا بأيامه مصنفا
وحطت دمياط أناط بها * من رجوم البلاء يقذفها
لاقت غواة الفرغ خيبتها * فزاد من حيرة تأسفها
أوردت قلب القلوب أرضية * من القنا لائماء تنزفها
وليستها سقمكها فاعملها * عاملها والسنان مشرفها
يضي لك الله في قاتلهم * هزيمة للجهاد ترهفها

وله فيمن أخرى

فلا تفرقن أموري * فيه بحسب اقتراحي

تسير شمس أيايدي في سماح * وأمره مستفاد * من القضاء المتاح

وأرسل نور الدين إلى خلط وطلبوا حيتن لظهير الدين سكران المعروف يشاء أن من قال فلما كنت بماردين كنت

فقد زلثنا في جوارك * وطلبنا اقرب دارك * وسرنا في الديباي * فهدانا ضوئنا نارك
فقدارك امرنا اليو * مبطول مقدارك * وقصر دباغتنا الم * من غير مشارك
فالجماد وفي هذه السنة خرج نور الدين الى دار يافا عاد عمار قضا معاه وعمر مشهد الى سليمان الداراني وشقي بدمشق
(فصل) في مسير نجم الدين أيوب الى مصر بياق اولاده واهله وقصص ذلك عمار في قصيدة مدح بها
السلطان صلاح الدين تقدم بعضها يقول فيها

صحت به مصر وكانت قبله * تشكو سقاما لم يعن بطبيب
عجبا المجزة انت في عصره * والدهر ولا لكل عجيب
رد الاله بفضية يوسف * لسقا على ضرب من التقرب
جاءته اخسوته والوده الى * مصر على التدريج والترقب
فاسعدنا بكم فادم وبدة * قد ساعدتكم يا حبا بهيوب

قال العماد لما دخل فصل النوروز وازاد استأذن الامير نجم الدين أيوب نور الدين في قصده مولده صلاح الدين
والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجماعته وسبده ولبده وخيم بظاهر البلد الى ان بان وضوح جسده وسار في
حفظ فوصل الى مصر في السابع والعشرين من رجب وقضى صاحب القصر العاضد من حق قدومه ما وجب وركب
لاستقباله وزاد اقبال البلاد باقباله ولما عزم على الرحيل الى مصر شرع في تفرق املأه وتوفير غاله في شركة على
اشراكه وما استعجب شيئا من موجوده وجهله في تجلوه قلت ووفرت باطاد اخل الدرب رفاق العونية يباب
البريد ثم قال العماد ولما نصب نجم الدين أيوب لقصده مصر مضارب وسحب على على روض الرضى سحائبه خرج
نور الدين الى رأس الماء بعسكره وخياله وأرهب للجد في الجهاد حداثته ثم أمام بعد توديعه والوفاء بحق
تشبيهه الى ان اجتمعت اليه عساكره وحضر بادي جسده وحاضره وعب بحر مواج زاخر ثم توجهنا الى بلاد الكرك
مستل شعبان وزنا أبا بابا للبقاء على عمان وأختنا على الكرك أربعة أيام ثم اصرها وتفتنا عليها متحنيين فورد
الخبران الفرج قد تجتمعوا ووصلوا الى ماعين فقال نور الدين ربي ان تعطف أعنتوا بالله نستعين فان اذا كسرناهم
وقسرناهم وقتلناهم وأسرناهم أدركنا المارد وما كنا البلاد فرحلنا اليهم فلولوا مديري حين سمعوا برحوتنا وقالوا
رحيلهم عن الحصن قد حصل وهو مقصودنا وعاد نور الدين الى حوران فخم بعشرا وصاد رمضان وقال ابن الاثير
كان سبب حصر نور الدين الكرك ان نجم الدين أيوب والصلاح الدين سار عن دمشق الى مصر فسير نور الدين معه
عسكرا فاجتمع معهم من التجار ومن كان لهم صلاح الدين أنس وموذة ما لا يعتد خاف نور الدين عليهم فسار الى
الكرك قتل عليه وحضره وسار نجم الدين أيوب ومن معه المين ونصب نور الدين على الكرك المجانيق فاما لما خبر
ان الفرج قد جمعوا وساروا اليه وان ابن الحنفري وقلوب بن الرقيق وهما فارسا للفرنج في وتمتعا في المقدمة اليه
فرحل نور الدين رحمه الله تعالى نحوهما للقتال فاما من معه ما قيل أن يلحق بهما في الفرج وكان في سائتي فارس وألف
تركلي ومعهم من الراجل خلق كثير فلما قاربهم جعلا القهقرا الى من وراءهم من الفرج وقصد نور الدين وسط
بلادهم ونهب ما كان على طريقة ووزل بعشرا وأمام يتنظر حركة الفرج ليلقاهم فلبير حوام مكانهم خوفانه
وقال ابن شداد أنفد صلاح الدين في طلب والد الوليكل له الامر وروى مجمع القصص مشاكة ما جرى للثني يوسف
الصديقي عليه السلام فوصل والد نجم الدين اليه وسلك معه من الادب ما كان عادته واليه الامر كله فأتى ان
يليه وقال يا ولي ما اختار لك الله لهذا الامر الا وانت كفو له فابنني ان تفسير موقع السعادة فحكاه في اخبر ان
يأسرها وكان رجلا له كرم بما يطلق ولا بدولم ير صلاح الدين وزيراً محكما الى ان مات له اصادا بو محمد عبد الله وبه
ختم أمر المصريين وقال ابن أبي طي الحلبي أرسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد الى نور الدين يعاتبه من تأخير
اقامة الدعوة له بمصر فاحضر الامير نجم الدين أيوب والزعماء المحروحين الى ولده بمصر بذلك وجهه رسالة منها (وهذا أمر
نجم المبادرة اليه لئلا يخطئ بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت لاسيما وامام الوقت

مطلع الذك بكنه وهو عند من أهم أئمنه وصار نجم الدين وأصبه نزل الدين هدى سنة الملك الناصر وخرج
العاضلة فقيه إلى ظاهر باب الفتوح عند شجرة الأهلج ولم يجر نك عادتكم وكان من أعجب يوم شهد الناس
خلع العاضلة عليه ولقبه الملك الأفضل وحمل إليه من القصر الاطراف والحف والهدايا وأظهر السلطان من ربه
وتعظيم أمره ما أجزبه الشكر والاجر وأقر دله دار إلى جانب داروا واقطعه الاسكندرية وديار مصر والبحير وقاطع شمس
الدولة أخاه قوص واسوان وعذاب وكانت عبرتها في هذه السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار وسو شمس
الدولة إلى قوص ولا هاشم الخليفة محمد بن مختار وكان السلطان قبل اقطاعها شمس الدولة قد سير رسلان بن
دعش لجباية خراجها فخرج عليه عباس بن شاذى في جماعته من الأعراب والعبدى من بني هيم فقتله رسلان
وعاد إلى القاهرة وفي هذه السنة خلع عبد القادر بن زرق السلطان ولده الملك الأفضل نور الدين على وفرج به فرحا
عظيما وخلع واعطى ونصق بما بهر به القول ومن قصيدة للكمج عبد الممن قد تم بعضها

في مشرق المجند نجم الدين مطلعته * وكل أبنائه شهب فلا أقسوا
جاوا كيقوب والأمباط ادور دوا * على العزيز من أرض الشام واشتلوا
لكن يوسف هذا جاء أخوته * ولم يكن بينهم نزع ولا زلل
وملكوا أرض مصر في شما ختمه * ومنلها لرجال مثلهم نزل

(قصص) في ذكر الزلزلة الكبرى قال ابن الأثير وفي ثاني عشر سؤال كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلهما عمت
أكم البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق وغيرها الآن أشدها وأعظمها كان بالشام فخرت ببعلبك
وحصن وحما مشير زويعر بن وغيرها وتمت أسوارها وقلاعها وسقطت ادور على أهلها وهلك من الناس
ما يخرج عن العدوا الاحصاء فثاني نور الدين خبرها والى بعلبك ليبرها منهم من أسوارها وقلاعها وكان لم يلقه
خبر غيرها فلما وصلها أنها خبر باقي البلاد فخر أب أسوارها ونزلها من أهلها فرب بعلبك من يحجمها ويعرها
وسلوا إلى حصن ففعل مثل ذلك ثم إلى حماة ثم إلى باريون وكان شديد الخوف على البلاد من الفرنج لاسيما قلعة باريون
فانما مع قربها منهم لم يبق من صورها شيء البتة فجعل فيها طائفة صالحه مع العسكر مع أمير كبير وركل بالمعارة من بحث
عليها ليلانها ثم أتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فها كانت قد أتت عليها
وبلغ الرعب من نجا كل مبلغ فكانوا لا يقدر أن يأتوا إلى بيوتهم الساكنة من الخراب خوفا من الزلزلة فها عاودتهم
غصير مرة وكانوا يخافون بقاءهم في ظاهر حلب من الفرنج فلما شاهد ما صنعت الزلزلة بها وأبطلها العام فيها وناشر غارتها
بنفسه وكان هو يقف على استعمال الفعلة والنائب ولم يرل كذلك حتى أحكم أسوارها وعمر جميع البلاد وجمعها
وأخرج من الأموال ما لا يقدر قدره وأما بلاد الفرنج خذلهم الله تعالى فها أيضا فطبت بها الزلزلة فريما من هذا
وهم أيضا يخافون نور الدين على بلادهم فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده من قصد الآخر قال العماد وكانت قلاع
الفرنج النجا والفرنجين ولخص الأكراد رصافينا والعريفة وعروا في بمرال لازل غرق لاسيما حسن الأكراد فها لم
يبق له سور وقد تم عليه فبه دور وثبور فغلهم سوءهم عن سواء وكل اشتغل بجاهه وقواصل الاتبار من جميع
بلاد الشام بما أحدثته الزلزلة من الانهداد والانهدام قالوا ساكنة النفوس من رعبها وتسلت القلوب عن كربها
الاعادهم الكفر من أمرها وعروهم من ضررها فقلخصتهم بالامض الاض وأخذتهم الحقبة بالحق فانهلوا ففت
يوم عيدهم وهي الكائنات فأصبحوا الردي فرائس شاخصة أبصارهم ينظرون فخر عليهم السقف من فوقهم
وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم ذكر العماد قصيدة في مدح نور الدين ووصف الزلزلة لمطلعها

هل لعاني الهوى من الاء رفادى * ولما رى لبسل الصباية هادى
جنبونى خطب البعد فسهل * كل خطب سوى التوى والبعاد
كنت في غفلة من البين حتى * صاب يوم الاثيل بالبين حادى
قد حلت من مهجتي في السويدا * عوم نقتى محمل السواد
ومظنم من الوصال بلعا * فلما كنتم من الاجواد

في اختيار (١٨٥) النولتين

ويستحق أن يحكم تلافيا * في تصاد السيم من عوادي
 سمعوني قبلدا واشتيافا * ومحال تجمع الاضداد
 لبقاء بعد الاجبة يظلمى ماهذه شرط الوواد
 ذاب قلبي وسال في الدمعها * دام من نار وجد مق اتقاد
 ما للدموع التي تحتد لها الاشواق الاتقاتت الاكباد
 حبذا ساكوفوادي وعهدي * بهم يكون صفح الوادي
 اتحنى بالشام أهلى غدا * دواين الشام من بغداد
 ما لاعتباني من حبه يعلم الله * تعالي الاحب الجهاد
 واشتغالي بخدمة الملك العا * دل محمود للكرم الجواد
 امانه على سر سروري * راتم العيش في مراد مرادي
 تيمدني بالشام منه الايادي * والا يادي للحر كالاقياد
 قد وردت البحر المحض وتلف تملوك الانسابه ككالحاد
 هوتم الملالا من نائب الله * رونغ المعاذ عند المعاد
 جل زرة الفرع فاستبدلوا منى * بلبس الحديد بلبس الحديد
 فرق الرعب منه في أنف الكفار بين الارواح والاجساد
 سطوة نزلت بسكاتها الار * من وهنت قواعد الامواد
 أخذتهم بالحق رجفة ناس * تركهم صرى صروف القوادى
 خضعت من قلاعها كل عال * وأعادت تلاعها كالوهاد
 أنفذ الله حكمة وهماض * مظهر سر غيبه فهاويادي
 أمة أنرت ذوى الشرك بالهالك * وأهل التوحيد بالارشاد
 والا عادي جرى عليهم من الد * ميرما قد جرى على قوم عاد
 أشركت في الهالكين الفرق بين دناة الاشراك والا لحاد
 ولقد حار بالقضاء فامسى * حكمه فيهم بغير حلال
 والاله الرؤوف في السامعها * داغم لطفه بلاء البلاد

قال النعمان ومن معنى متبركة ان دعته في الزلزلة وهو

ويحق اعيتت الارض لما * استنكت من مقام أهل الفساد

قال والعماد في هذه السنة عند دروسنا اني حلب في الخدمة النورية كنت مرفعا للفضائل الشهير زوريه وكان الحاكم
 بها القاضي محيي الدين ابو حامد محمد ابراهيم فاضى قضاء الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم
 الشهروري وكان كمال الدين قد علمني به تفصيلا لاحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكاة ولا مكان في بسط العدل
 والاحسان ويحيى الدين وله يد يرب عنه في القضاء بحلب وبلداتها ويظهر ايضا في امور ديوانها وبجاءه وحسن من بني
 الشهروري فاضيان وهما كانا متصفيكان وكان هذا محيي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر
 وكانت معرفتي به في ايام الفقه يتتادق في المدرسة النظامية متفلسفة خمس وثلاثين بالمدرس شيخنا معي الدين سعيد
 ابن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه بجماعه معلما مذهب الطراز وكانت الزلزلة يجلب قد خربت دار
 محيي الدين وسلبت قراره وغلبت اصطبارة وحلبت افكاره فكثرت اليه قصيدة مناعها
 لو كان من شكوى الصباة مسكيا * لعد اعلى عدوى الصباة معديا
 مات الرجاغان ارددت حياته * ونشوره فارح الامام المحييا
 أنقى القضاء محمد بن محمد * من لست منه للفضائل محييا

كتاب (١٨٦) الروميين

فامض بهقضت المظالم نجيبا * وغدا على آثارهن معقبا
يا كاشفا للحق في أيامه * غرا يديوم لها الزمان مغطيا
لم تنعش الكعبة عند عثارها * لولم تجدك للطود حلك مرسيا
رحفت لسلطوتك التي أرسلتها * نحو الطغاة لمدعزمك هميا
وتظلمات من شرهم فجللت * عجل اجازتها عليها وبقيها
انفتحت من الثقلاء فيها انفرمت * أتقها لاوراك منها مخليا
حلب لما جلب المدامع مسيل * ان لاقت الحطب القطن الميكيا
وبعدل نور الدين عاودا قتها * من بعد غيم التيم جوامعها
أنهى لهجتها بعدا بعدما * ذهبت وللمروق فيها مبديا
لامورها متدبرا لثباتها * متألقا لصلاحها متوليا
فالشرع عايد بعد مستظها * والحق عايد ظله مستنريا
والعسر لا ذب فوه مستغفرا * مما جناه مطرنا مستغفيا

(فصل) في غزو صاحب البيرة ووفاته صاحب الموصل قال ابن الأثير كان شهاب الدين محمد بن الياس بن
الغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سارق عسكره وهم ما أنفارس إلى الخدمة النورية وهو باعترافنا وصل إلى
الميرة وهي من أعمال بعلبك تركب متصيدا قصاد فلحقه فارس من الفرنج قد ساروا للقارة على بلاد الاسلام
وذلك سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا وصبر الفريقان لاسباب المسلمين لان ألف فارس منهم لا تصبر
لجملته فلحقه فارس من الفرنج وكثرا حتى بينهم وانهمز الفرنج وعاهم القتل والاسرف فبطلت منهم الام لا يعتد به ولو
تواعدتم لاختلفت في الميعاد ولكن يقضي اقامتها ما كان مغفولا وسار شهاب الدين بالاسرى ورؤس الثلى إلى نور
الدين فركب هو وعسكر إلى لقائه واستعرض الاسرى ورؤس القتلى فرأى فيها رأس مقدم الاسبانية صاحب حصن
الكرادو كانت الفرنج تعظمه لشجاعته ودينه عندهم وله شهى في حلق السلب وكذا يا يضارأى رأس غيره من
مشهورى الفرنج فازداد سرورا وقلقه الجدل قال وفيها في سؤال توفي الملك قطب الدين مودود بن زكي صاحب الموصل
وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زكي بن مودود وهو كبير اولاده وأعزهم عليهم واحبهم اليه
وكان الكنايب عن قطب الدين حينئذ والقلم بامر دولته غير الدين عبد المسيح وكان يذكره عماد الدين زكي لانه كان قد
أكثر المقام عند عماد الملك عادل نور الدين رحمه الله تعالى وخدمه وتزوج ابنته وكان عزيزه وجيده وكان نور
الدين يبعث عبد المسيح لظلم كان فيه وبذمه ويوم لناه قطب الدين على توليته لا مودود فخاف عبد المسيح ان يحرق
عماد الدين في اموره امر عه فغزوه وبعد فاتفق هو والحاقون اسبهماسام الدين تيمرا من زوجه قطب الدين
فردوه عن هذا الرأي فلما كان الغدا أحضر الاسراء واستخلفهم لولده سيف الدين غازي وتوفي وقد جاوز عمره أربعين
سنة وكان تام القامة كبير الوجه عم القاتون واسع الجبهة هورى الصوت وكانت ولايته احدى عشرة من سنة وخمسة
أشهر ونصفا ولما توفي استقر سيف الدين غازي في الملك ورحل عماد الدين إلى عمه نور الدين صاحب الموصل
عبد المسيح هو يتولى امور سيف الدين وبكى في ملكه وليس لسيف الدين من الامر الا ما له في عتق وان سبابه
وعزة حديثه قال وهذه محادثة تمتح على العدل كان من جملة اعمال خير قابن عرقه تسمى العقبة مقابل الجزيرة
من الجانب الشرقى يقصص بينهم ما جعل لها بسايتين كثير بعضهما تمنح أرضه وتؤخذ على كل جريب من الارض التي
قنذر عتشي معلوم وبعضها على مخرج ولا مساهة عليه وبعضها لحق منها ما قاله المسموع منها لا يحصل لاصحابه
منه الا القدر القريب وكان لشاه اعدت بسايتين في كل والذى قال جانا كتاب غير الدين عبد المسيح إلى الجزيرة
وانا حينئذ أنولى ديوانه ابنا من ان تجعل بسايتين العقبة كلها بمسوحة فشق ذلك على لاجل أصحاب اقدما ناس
صالحون ولي بهم أنس ودم قنرا فراجعت وقتلته لا تظن اني أقول هذا لاجل ملكي لا والله وانما أريد ان يدوم
اناس على الدعاء للولي قطب الدين وأنا أصمح ملكي جميعه قال فأعاد الجواب بامر المساحة ويقول تمنح ولا ملكان

فما خيل (١٨٧) الدولتين

باتسدي بك غيرك ونحن نطلقك ما يكون عليه فشرع النواب يمشون وكان العقيد في جلان صالحان يني ويا نهما
 مودعاس أحدهما يوسف والاخر مد فخر اعندي ونضر راس هذا الحال وسألا في المكتبة في المعنى فأنظرت
 لهما مكتاب عبد المسيح جوابا من كتابي فذكراني وقال أيضا مودعاس فقلت القول فأصرت على المساحة
 فصر ففهم الحال فلما مضى عذرا أم عدت يوما الى داري واذا هما قد صادا في على الباب فقلت لنفسي عجباً لهذا
 الشيخين قدرا يا امر اجتي وهما هذا ان مني ما لا أتدبر عليه فقلت لهما والله اني لا استحيي منكما كمالا جنتاني وهذا
 المعنى وقد راعى الحال كيف هو هذا الصدقت ولم تخضر الا لتعرف ان حاجتنا قضيت ففطنت انهما قد ارسلوا الى
 الموصل من يدفع لهما فدخلت الى داري وأدخلتهما معي وسألتهما عن الحال كيف هو ومن الذي سعى لهما فقالا
 ان رجلا من الصالحين الابدال شكروا اليه حالنا فقال قد قضيت حاجة أهل العقبة كلهم فال وقوع عندى من هنا
 ولكن نارة أصدقتهم لما أعلم من صلاح أحوالهما وتارده أعجب من سلامة صدورهما كيف يستعان على هذا القول
 ويستعد له واقعا لا شك فيه فلما كان بعد أيام وصل فاصد من الموصل بكتاب يأمر فيه بإطلاق صاحب العقبة
 وإطلاق كل مسجون وبأنه قد فصلت القاصد عن الديب فأخبر بان قطب الدين شديد المرض قال فذكرت في
 قولهما ونجبت عنه ثم برى بعد يومين من هذا قال ورايت والدي ان رأى أحد الدجالين بيا القمى اكرامه ويحترمه
 وبقضى اشتغاله واتخذها صديق قال وكان قطب الدين من أحسن الملوك وأعفهم عن أموال رعيته بحسننا اليهم
 كبير الانعام عليهم محبوبا الى صغيرهم وكبيرهم حليما عن المذهبين مريد عن الانفعال الخبر حدثني والدي قال
 اسند عاني يوما وهو بالجزيرة وكنت أنوي أعمالها فلامني في بعض الامر فقلت أنا في من الاستقصا لودعي على
 بعض هؤلاء الملوك وأومات الى أولاد ملكك شجرة منه تساوى بالدينا ويا قوم اولنا مواضع تحتل البمار لو عرفت لتحصل
 منها أضعاف هذا فقال جزاك الله خيرا لا نعت وأذيت الامانة فأشرع في عمارة هذه الاماكن ففعلت وكبرت
 منزلي عنده ولم ير لي بيتي على حال وكان كثير الصبر والاحتمال من أسيحاه لقا صبر من نوابير من الدين وجمال الدين
 وغيرها على ما لم يصبر عليه سواه وكان حسن الاتفاق مع أغنياء الملوك العادل نور الدين كثير المساعده والالتجاده
 بنفسه وعسكروا أمواله حضر معها اصناف بحارهم وقتهوا وفيه بياض وكان يجذب له في بلاده ما يختارهم من غير خوف
 وكان احسانه الى أسيحاه متتابع من غير طلب منهم ولا تعريض وكان يرضى الظلم وأهله ويعاقب من يفعله قال والله
 أفهم اذا فكرت في الملوك أولادك في سبب الدين ونور الدين وقطب الدين وما جمع الله فيهم من مكارم الاخلاق
 ومحاسن الافعال وحسن السيرة وعمارة البلاد والرفق بالرعية الى غير ذلك من الانساب التي يحتاج الملك اليها
 ادكر قول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقت سيدهم * مثل النجوم التي يرمى بها الساري

قلت وقرأت بخط الشيخ الملاحه الله في كتاب كتبه الى بعض الصالحين وسأله فيه الدعاء قطب الدين صاحب
 الموصل وقال فيه (يا أباي لو ذهبت أسرجك سيرتني في بلاده وعشيرة في ولايته اطلت وأجبرت غيري أن ذكر لك
 ما خصه الله به من الاخلاق الصالحة هوس اكثر ان اسرجة وأسندهم حيا وأعدمهم نواضعاً ولهم طمعا وأزدهم
 في الظلم وأكثرتهم صبرا وأبعدهم غضبا وأمرهم رضا وهوسهم هذا الاخلاق على حد أحبه ما محبة لا أقدر
 أصفها ويني وبينه اخاه ومزاوره زورفي وأوروه)

(فصل) قال ابن الاثير ولما بلغ نور الدين وفاة أخيه قطب الدين وملك ولده سيف الدين بعده واستد لاء عبد
 المسيح واستبداد بالامور وحكمه على سيف الدين أنقص ذلك وكبر له وشق عليه وكان يفتض عدا المسيح لما يلخه
 من خشوته على الرعية والمبالغة في اقامة السبابة وكان نور الدين رحمه الله لينار في قاعا لا فقال أنا أولى بتدبير بني

أخي وملكهم ثم ار من وقته فغير الفرات عند قلعة جبر أول المحرم

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة) وقصد الرقة فامتدع الكاتب بها شيئا من الامتاع ثم ساء له على شئ
 اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرر اموره واسار الى الحلب فملكه جميعه ثم ملك نصيبين وأقام بها يجمع المساكر
 فانه كان قد سار جردا فأتاهم نور الدين بمحمد بن قرا الرسلان صاحب الحصن وديار بكر واجتمعت عليه المساكر

كتاب (١٨٨) الروضتين

وقد ترك أكثر عسكره بالشام لفظ ثوره واطرافه من القرى وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار
فحصها وأقام عليها ونصب الخيام وكان بها عسكر كبير من الموصل فكانت عاملة الامراء الذين بالموصل
يحنون على السرعة اليهم ليسلوا البلد اليه وأشاروا بترك سنجار فاقبل بل منهم واما حتى ملك سنجار وسلطه الى ابن
أخيه الاكبر عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل فأبى مدني قتلوه عبرة دجلة في غفلة عندها الى الجانب الشرق
وسار قتل شرف الموصل على حصن يندوى ودجلة بينه وبين الموصل قال ومن العجب انه يوم زوله سقط من سور
الموصل بدنة كبيرة وكان عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى أنابك المذكور صاحب بلاد الحبيس
واندريجان ولوران وغيرها يستجده فأرسل ليلد كتر رسولا الى نور الدين ينهاه عن قصد الموصل ويقول له ان هذه
البلاد سلطان ولا سبيل اليها فليفت نور الدين الى رسالته وكان سنجار قسرا الى الموصل وقال الرسول قل
لصاحبك أنا أرق بئني أحمى منك فلا تدخل نفسك بيننا وعندنا رغصا من اصلاحهم كون الحديث معك على باب
هذان فانك قد ملكك ذلك هدف من بلاد الاسلام وأهلكت الثغور حتى غلبت كراستها وقد بليت أمانا وحدي
يا شيع الناس القرى فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم فلا يميزوني أن أركن على ما أنت عليه فانه يجب علينا
القيام بحفظ ما أهلته من بلاد الاسلام وإزالة الظلم عن المسلمين فعاد الرسول بهذا الجواب وحضر نور الدين الموصل
فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جندي وعامى معه حسن سيرته وعده وكتابة الامر اء يطونه
على الوثوب على عبد المسيح وتسلم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه وتقرر هوى سيف
الدين ويطلب الامان واقضا ما يكون له فأجابته الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندي بالشام فاني
لم آت لأخذ البلاد من أولادى إنما جئت لأخلص الناس منك وأنولى أثاره أولا دى فاستقرت القاعدة على ذلك
وصلت الموصل اليه فدخلها نال عشر جادى الأولى وسكن القلعة وأقر سيف الدين غازى على الموصل وولى بقلعتها
خادما يقال له سعد الدين كشتكين وجعله ذرارا فهاهم جميع ما خلفه أخوه قلب الدين بين أولاده يقتضى
الفرصة واما كان يحاصر الموصل جاهد خلعته من الخليفة فليسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين وأطلق
المكوس جميعها من الموصل وسار ما فتحه من البلاد وأمر يدها بالجامع النورى بالموصل فبنى وأتمت الصلاة فيه
سنة ثلاث وسبعين وخمسائة وأقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام فقبل له انك تحبس الموصل والمقام بها
ونراك أسرت الحدود فقال قد تفرقت فيمان لم أفرق ما ظلمت وعنتى أوصالتي هاهنا لآكون من ابطال العدو
وملازم الجهاد ثم أقطع نصيبين والخابور العساكر وأقطع جزر دابن عريف الدين غازى ابن أخيه مع الموصل وعاد
الى الشام ومعه عبد المسيح فزارهم جميعا وعبد الله وأقطعهم أقدانا كثيرا وقال العباد استدعاني نور الدين ونحن يظهر
الركة وقال في ذلك بلك وأمنت اليك وأما غير مختار للفرقة لكن المهم الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك القرض فخصني
الى الدواب العزير جردت وتؤتى عني رسالة سيدت تسعدت وتنتهى الى قصدت بيتي وبيت والذى ومغنى طريقى
وتألى وأما كبره وولائه والذى له حديثه وحادثه فامض وخذلى اننا فاني أعذ كل جارح لما أخطب به اننا وامل
ما يصلنى من المثال فمع كل مكر ومكا وأمر ناصر الدين محمد بن شيركوه ان يسير الى الرحبة في رجال مأمور بالصحة
وسرت منها على البرية غرى القرا بقتلهم منى يحتاجه فذكر انه وصل وتحتى الحاجه شرجع من عند الخليفة
المستجيد الى نور الدين وهو يحاصر سنجار فاخذها وسلمها الى خنته ابن أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي
قال ثم حرج على عزم الموصل وقصده ولما استوضع فيه المجدد ودل هناك في دجلة على غفاهه وكان ذا اخلاق
وهم مرتاضه فاستعمل من خواصها والعزير فيها ما ظن مستصيا وسئل الله انادك رؤساء امرأعيا وجاهد ليل
تركنا قدامنا ودوق قطع دجلة نارة طولاً وتارة عرضاً أماننا ونحن وراءه فكيف واحد لا يمل بمينا ولا يسار ولا نجد
اناسى سوى ذلك الحجاز اختارا حتى عبرنا من الجانب الشرقى الى الجانب الشرقى برحمانا واتهانا واخلينا
وبقلنا ورجلنا وأتينا بنية ذلك اليوم حتى تم عبر القوم ثم حركنا نورنا على الموصل من شرورها وخيمنا على كل
نويه فاستعظم أهلها تلك النبوة وما خطر بالهم أنان بغير مراكب وأنانا أخذ عليهم ذلك الجانب ففرقوا انهم
محصورون محصورون محصورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق وتصدروا عليهم الرقع لانواع المشرق وبسط العطا

في أخبار (١٨٩) الدينين

وكشف الغطا وتكلم في المصلحة والمصلحة الوسطا ومدالجسر وقضى الامر وأتم نور الدين على أولاد أخيه ومثاوا بناديه وأتوسيف الدين غازي باي قاعدة أمه وألبسه التشریف الذي وصلهم من أمير المؤمنين المستضي ثم دخل قلعه الموصل وأقام بها سبعة عشر يوما ثم مناشير أهل المتاصب وتوقيعات ذوى المراتب من انتصار والفتابة وغيرها وأمر بإسقاط جميع المكوس والضرائب وأنشأ بذلك معتبرا لغير أهل الناس فنهى (قدوة عنان كنز الاموال اليسير من الحلال شيعه الصحة ومحقق الحرام لتحقيق بالوقت وبعد لما بعد مرضي الرب ويقضى من محل القرب وقد استقرنا الله وتقرنا به وتوكلنا في جميع الاحوال عليه وتقدمنا بإسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لنا بعيدة أو قريبة وازالة كل جهة مشبهة مشوبة ومحوكل سنه سنه تسعة ونفي كل مظلة مخالفة فظيحه واحياء كل سنة حسنة واستهاز كل فرصة في الخير يمكنه وإطلاق كل حاجت العادة بأخذ من الاموال المحظورة خوفا من عواقبها الرديئة المحذورة فلا يبقى في جميع ولا يتناجور جارا جارا ولا عمل لا يكون به الله راضيا ابتارا للواب الآجل على الخطام العاجل وهذا حق لله قضيناها وواجب علينا أدبناه بل هي مستحقة سفتناها ومحبة واجبة بينناها وماعدة محكمة مدهناها وفائدة مفعلة فندناها)

(فصل ١٠) قال العمادون بان بالموصل رجل صالح يعرف بعمر الملا سعى بذلك لانه كان علا تسانيه الجص بأجوة يتقوت بها وكل ما عليه من قيص ورداه وكسوتوك اعظم ملكه سواء ما تعاره فلا يجازي ثوبه ولا أواره وكان له من قويه لا حدم يديه وهو غير نفسه فيه فاذا جاءه ضيف قراء ذلك المريد وكان ذا معرقه بأحكام القرآن والاحاديث النبويه وكان العلماء والعقلاء والموالوا والامراء يزورونه في زاوريته ويتركون بجمته ويؤمنون ببركته وله كل سنة دعوة يحضر بها في أيام ولده ول الله صلى الله عليه وسلم يحضر فيها صاحب الموصل ومعه من الزعماء ويشعرون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المحفل وكان نور الدين من أخص محبيه يستشير في حضرته وكتابه في مصالح أموره وكانت بالموصل خربة واسعة في وسط البلد أشيع عنها انه ما شرف في عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده فأشار الشيخ عمر على نور الدين باتباعه لورفعه فاشاء ما عاقدام فيه الجمع والجماعات فدخل وانفق فيه أموال كثيرة ووقف عليه ضيعة من ضياع الموصل ورتب فيه خطيبا ومدبرا وكان قد وصل في تلك السنة وأذا الفقيه عماد الدين أبو بكر التوفاني الشافعي من أصحاب الإمام محمد بن يحيى فسأله ان يكون مدبرا في ذلك الجامع وكتب له به منشورا قال وحضر محمد بن أحمد الدين قائما صاحب لربل الى الخدمة التورية بالموصل وبن دخولهم اياها في بحبوحة الشتاء فكتب العماد الى بعض كبراء الموصل قصده منها

ما عنم الخدام من قصده السخنة غير الطرق والوحد
كانما موصلكم مقدس * ما يندى فيه الى وصل
وكل مصر وفي بهامتك * كما تراه ضيق السجل
وكل من حل بها لا يرى * في من الحصب سوى المحفل
ومد دخلناها حلتنا بها * كرها على نرج بلاد دخل
أصبحنا تلقاه من أهلها * قول بلا اهل ولا سهل
وكت أهواها ولكني * لفت منها كل ما يسلي
وأنت من أصبح احسانه * حلية هذا الزمن العطل

قال وعاد نور الدين الى سفيار فاعاد عارة اولها ثم أتى حران وقد اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصبيين والخابور والمجمل ووصل حلب في ثامن رجب قال ابن شداد دخل حلب في شعبان ووزع صاحب الموصل ابنته قال العماد وقروض القضاء والحكم نصيبين وسفهار والخابور الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون فوفى بها فوابه وحكم فيها أصحابه وقال القاضي ابن شداد لما صارت الموصل الى سيف الدين بن أبي نور الدين كان قد استولى عليه وتولى أمر البلطرجل يقال له عبدا المسبح كان نصرانيا قاسم وقيل انه كان ايقايا على نصرانيته وله بيعة في داره وتبع أرباب العلم والدين فقتلهم وأبدعهم وأدى المسلمين فيبلغ نور الدين ذلك وهو كتب له قصص في ذلك فصار وزل

كتاب (١٩٠) الروضتين

على الموصول من جانب الشط والشط بيته ومنها وقال لأنا قاتل هذه البلدة وأهلك حرمتها وهي لولدي وراسل سيف الدين وقال له أنا ليس مقصودي البلد وإنما مقصودي حفظ البلد لك فانه قد كتب إلى في عبد المسيح كذا كذا ألف قصة بما فعل مع المسلمين وأما مقصودي أنزل هذا النصراني عن ولاية المسلمين طال وعبد المسيح بدير البلد ويدور فيه والأمر إليه وبذل الصلح لنور الدين فقال نور الدين أنا قد جئت ولا بد لي من دخول البلد فقال له لا بد من دخول البلد من باب السر فقال نور الدين ما أدخل الأمر باب السر بغير خبر من نور الدين وبين ابن أخيه من أسلحتك أني إن علم أن يتعمد الخلة معاه في السرور بعبء المسيح ونزع بدور بين السورين فجاء بعض أصحابه وقال له أنت ما تم ودمك قد راح وأنت غاف فقال ما الخبر فقال سيف الدين قد صالح عمه وأنت في ضابطة نور الدين جاء ودخل على سيف الدين وألقى سره بين يديه وقال له أنت قد صالحت عمك وقد علمت ما علمت في حفظ بلدك وما لي طاقة بمخالبة نور الدين فأنه الله في دمي فقال له مالي طاقة بدفعه عنك ولكن عليك بالسجعة الملقاة وأنته لومضيت العلم بفتح في علمه ما جرى مني في حق المسلمين ولكن تشاء أنت إلا ما أنا نفسي الدين إليهم وأسخطهم وكان معه كذا فقال له ما الخبر فقال سيف الدين لعبد المسيح ملك إليه فوق قبر يديه يسكني فالتفت إليه السجعة عمر وقال من يعادي الرجال يسكني مثل الناس فقال له قد علمت بك وبطلب منك حق دمي فقال أنت أس على دمك فقال وهي مالي فقال وعلى مالك فقال وعلى أهلي فقال وعلى أهلك وكان شرف الدين بن أبي عمرو من نور الدين حينئذ فقال سيف الدين لعمري الملائكة تختلف نور الدين فحضر الفقهاء وعلموا نسخة من نور الدين وشهقة من لعبد المسيح فأخذها عمر ونزع إلى نور الدين فقام نور الدين ونزع من حيث هو والتقاء وأكرمه فقال له عمر الناس يملون حسن عقيدتك في وقد خرجت في كذا وكذا وأوله النسخة التي علق بسيف الدين فقرأها وناولها لابن أبي عمرو فقال نسخة جيدة فقال له الشيخ عمر ألا أرى أنني في هذه النسخة فقال جيبه فقال إذا لم يلبسها على هذا الوجه أليس انما تقع لازمه فقال لي فقال لي صاحب من مهمل على السجعة يسير إلى ان نور الدين كان يجري مني إيمان في وفائه وكان أس إلى عمرو بن رستم بالحروب منها فبه نعليه القول فأجاب نور الدين إلى لا فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك في وان قولي صموع علك وقد خرجت إليك ولا بد لي من صياقة فقال كبري بذلك وأنت لا تأكل طعما ولا تقبل مني شيئا فقال تخلف لي بهذه النسخة فونف عليها وتغير وجهه وقال ألعاجت إلا في هذا لا خلع المسلمين منه فقال السجعة عرفنا نطلب منك أن توليه على المسلمين فقال قد أسست على نفسه فقال وعلى أهله فقال ومن أهله فقال له نصاري فقال اختتم فقال وعلى ماله فقال ومن ابن لهد الكلب مال هذا امر لك لا فقال قد أعنتي وماله له وهو اليوم من صاحب الموصول فان قد أسست على ماله فخلف له على ذلك جميعه واستقر الصلح وخرج سيف الدين إلى خدمة نور الدين فوق بين يديه فأكرمه نور الدين وكان وصله خلعة أمير المؤمنين فخلعها عليه فدخل إلى الموصول بها واولا نقل إلى جانب الشط الآخر ولم يدخل إلى الموصول إلى ان جاءه طرشد يد جدا فدخل من باب السر إليها وأمام بهاء قد قرب أمورها وهي فيها كستكس فقرأ التي نصي الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول لهجئت إلى بلدك وباب لنا انما يدور كنت الجهاد وقتل أعداء الدين فاستدعته من منامه وسار مسرعا فدخل ذلك اليوم ولم يلبس ولم يهلبأ كبر إلى اس حتى خرج ولحقه ويرجه الله

(فصل) وصل الخبر بموت الامام السجدة بالله أبي المظفر يوسف بن ابي القتي بالله ونور الدين محمد بن شرف الموصول في توبه وكانت وفاته يوم السبت ثامن ربيع الآخر وبيع انما المستغنى بأمرائه أنموذج الحسن وكان مولد السجدة بالله من شهر ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكانت خلافة احدى عشرة سنة وستة أيام وهو الثاني والثلثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له حساب الجمل للام والادوية يقول بعض الادبا أصبحت لبني العباس كلهم ان عتقت بحساب الجمل الخلفاء

وكان امر تام القامة طويل الجسم وكان من احسن الناس سيرة مع الرعية كان لا يفهم كبير الرافق فيهم وأطلق من المكوس أمير اولم يترك بالرافق مكسا وكان شديد على أهل العيش والفساد والسعاية بالناس قال ابن الاثير بلغني انه قبض على انسان كان يسمى بالناس ويكتب فيهم السعايات فأطال حبسه فحضر بعض أصحابه يشفع فيه وبذل

في أخبار (١٩١) الدولتين

عن معصرة القديس يار فقال له لما أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انه اما آخر مثله اجسمه لا كف شره عن الناس وفي أيامه توفي شيخ الشيوخ اسماعيل ابن أبي سعد وعاش بعده ما سته سنين والدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ وذلك سنة احدى وأربعين وفي سنة ثمان وأربعين توفي محمد بن نصر القيسراني وأحمد بن منير الشاعران وقد تقدم ذلك وفي سنة تسع وأربعين توفي الحكيم أبو الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنة احدى وخمسين توفي الواو الشاعر الحلي وفي سنة ثلاث وستين توفي الشيخ أبو العجيب الصوفي الفقيه الواعظ والحمد لله ما رسل دار الخلافة بمبشرين بخلافة المستضيء وانفق ذلك يوم عبور جلفه وركب يوم التزول على نون تويند الالهية بالدعاء والدعاء لك عراى ومنظر من أهل الموصل الحداثة ثم أرسل الشيخ سرف الدين بن أبي عصرون الى بغداد فاعانه في خدمة الامام ومعاونة العباد فيه

قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارر البرد وابن عم النبي
جاء الحق والبرية والعد * لقياس بهذا الجي
فبيننا لاهل بغداد فازوا * بعدئذ يسر بكل عيش هي
ومضى ان كان في الزمان * المثل فالعود في الزمان المنى

وله من قصيدة أخرى

لحق على زم الساب فاتي * بسوى الأسف عنه لم اعوض
نقضت عهد الغائبان وانها * لولا لقاء شبيبتي لم تنفض
يا حسن أيام الصبا وكأها * أيام مولانا الامام المستضي
ذو البهجة الزهراء يشرق نورها * والدمعة التراء والوجه الرضي
قم السعادة والمقاومة * في الخلق بين محبة والمافض
فضل الخلافة والملائق بالقي * والفضل والافضل والخلق الرضي
فانعم أمير المؤمنين بدولة * ما انتهى وسعاده ما انتهى

قال ووصل نور الدين رحمه الله تعالى الى دمشق واذاى فرضت العيام ونزع بعد العيا الى التيام وأخرج سراده الى جسر الحبيب وسرنا الى عفرام ذكر الحمد لله ما رسل دار الخلافة بالبرية الارقي بالبرية وقد مضت في أخبار سنة خمس وستين فتم ذكرها ابن الاثير

(فصل) فيما جرى بمصر في هذه السنة قال العلامة كان بعد حبس للشخص يعرف بدار المعونة فأعادها صلاح الدين من مدرسة للشافعية في أول سنة ست وستين وعمل في النصف من المحرم دار الغزل مدرسة للشافعية وولى صدر الدين عبد الملك بن دوس القضاء والحكم منه والسادسة وأربعة أشهر وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ثم خرج الى القزاء واعار على الرملة وعسقلان وحجهم بعض غرهم رجع الى القاهرة ودم وصله الخبر بخرورح فاطمة من دمشق فيها أهلها فاستقى عليها وأحب ان يجمع بها عمله فخرج في النصف من ربيع الأول وكانت ليلة قاعة في البحر قد صعد أهل الكبر فغير لها مراكب ووجه الى ساحلها على الجبال وركبها الصنائع هناك وشمعها بالرجال وفتح القلعة في العشر الأول من ربيع الآخرة وأربعة أشهر والاسرا لها وملاذ بالعدد والعدد وحصنها بالرجال والجلاد والجلد واجتمع بأهل عليها وسار بهم على حمت آقاها ودارها في السادس والعشرين من جمادى الاولى اليها وسار الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من شعبان ليشتاد هاور تب وأعداها وهي أول دفعة سار اليها في أيام سلطانه وهم أهلها باحسانه وأمر بعمار دأسواره وأبوابها وابدانهم في النصف من شعبان اشترى قتي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخى صلاح الدين منازل الغر محصر بصلها مدرسة للشافعية واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرها من الاملاك ووقفها عليها وفي النصف من جمادى الآخرة أغار شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد على العربان ثم دخل القاهرة في عاشر شهر رمضان وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة توفي القاضي الموقع أبو الحجاج يوسف بن الخليل وكان من الاماثل الفاضل ولم ير صاحب ديوان الانتشاء ان كان وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كلما كان له وفام بمعد فحيا نيك م عهدوه وكفه وقال في الخريدة وهاظر ديوان

مكتتاب (١٩٢) الرومانيين

مصر واثان ناظره وجامع مفاتره وكان اليه الانشا وله قوة على التوصل يكتبها اشاعش كثير او عطل في آخر عمره واصبر ولم يمهله الى ان تموت منه القبر ومن شعره

يا ثانيا القبر تحسب انك هزم * عظة القبر ورا أصعب بيدي
تؤثر الدنيا فهل نلت بها * لحظة تخلص من هم وكدي

قلت وذكره ابن الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد المعروف بابن الانبار الجوزي في أول كتابه المعنى بالوشى المرقوم في حل المتظوم قال حدثني عبد الرحيم بن علي الياساني رحمه الله بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين ومخمسة مائة قال كان فن الكتابة بمصر في زمن بني عبيد غضا طريا وكان لا يتخلو ديوان المكاتبات من رأس برأس مكابا وبسانا ويقم لسطانه فله سلطانا وكان من العاديات كلاما من ارباب الدواوين اذ انشأ له ولد وشيئا شامنا على الادب حضره الديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة يتدرب ويرى ويسمع وال فارساني والدي وكان اذذاك ضايف بنفر هسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائهم او امرني بالمرور الى ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام رجلا يقال له ابن الحلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفتم من انا وما طلبي رخصتي وسهل ثم قال ما الذي اعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شيء سوى اني احفظ القرآن العزيز وكأب الجاسة قتال وفي هذا بلاغ ثم امرني ببلازمة فرددت اليه وتذريت بين يديه ثم امرني بعد ذلك ان احل شعر الجاسة فخلت من أولي الى آخره ثم امرني ان اخله من ثمانية خللته

وهذا ابن أبي طي في هذه السنة شرع السلطان يعني صلاح الدين في عمل تمسور القاهرة لانه كان قد تهدم أكثره وسار طريقا لا يرد داخل ولا خارجا وولاه قراقوش الخادم وقبض على القصور وتوسلها اليه وأمر بتغيير شعار الامم عليه وقطع من الاذن حتى على خير العمل وشرع في تعهيد أسباب الحاجة لئلا يفتقر اليه العباس وفيما يطلب شمس الدولة من أخيه السلطان ربيع الكامل بالهافر دوازا على اقطاعه بوش وأعمال الجيزة وسمنود وغير هاهنا وقد وقت على كتاب فاشلى وصف فيه غزاهما صلاح الدين رحمه الله في زمان وزارته وكان الكياي الى مدينة قوص وأطلق هذه الفتراة هي التي أشار اليها المدعي فانه كلمة السابق أول الكتاب (واهلها بركة من الله وفضل لم يمسهم سوء) وتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وفيه (بوجه من بركة الجب يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الأول ووصله ابتداء السابعة والعشرين من الشهر المذكور والصاكر السهل والوعر مناهم والمهم على السهل والصعب من دهم وجنود الله في الارض المحلة قد أيدتها جنود السماء المسومة وصاحبنا الدير يوم الأربعاء بقتال جعل كل من في حصن الدير راهبا ونسبا عليه مخيطة الايزال يشهب القذف ضاربا فلما على النهار ما تآخر بضه وأطلقنا فيه النيران ورمنا الرجال بالدم وارمنا القسوان وزحفنا الى ابراجه وهي ابراج قد استعدت للجلبا جلبا جعلنا لكل واحد جورة مفردة وبايا ورحنا اليهم رمل النسايا من الشباب ونصدنا أحد الأبراج واليوت تولى في الحرب من غير الأبواب وقدمت اليها نقابة الخلبية فيانت اليها نساورة وزاجه بالسنة المعاول ونساورة واسفر الصبح وقد أمكن تعليقه وتيمر بحرقه فأوقدنا تلك القعود الآلات وقد فلك المقدار اشتعلها حتى نخر به اسرها وعقر بين أيدينا سامعنا طيعا وانتفعت الرجال على أشجاره وتوالت الى أمثاله من الأبراج وألقاه فخلصت في القصة وعجز من كان فيها من النهمه واحتكم فيها العذاب بالسيف والثار وضائق عليهم بحال النفس والقرار واستقبلنا يوم الخميس ثقب نقلة وتهدم المنجنيق وتيسر السبيل للقتال وتخلص الطريق هذا والسبب والنوب قد امتارت منها العساكر ونجرت فيها كنزات الدخاير وأشباه اليوم يوم تبلى السرائر وطهر الارض منها بالدم المثار فلما كنز في الجمعة وردتنا الاخبار بان الملك قد زحف من غزى فخر سمور راجعه ورائعه وناله وشهود دياره وجنود انصاره فركبنا متبشرين برحمة موقنين بمقته ولقينا فاحظنا من بين يديه ومن خلفه ونواشته الحبل الطراد واحدته حبله اطلاق الاغلال بالاجساد وانتظرت جلته التي كانت لحاقيل تلك اليوم موقعه وصدمته التي لهما من رجال الحرب موضع فلا انته قلبه رعبا وثني صدقه كنبا ولم ير لختال ولا يقاتل ونواصل المسير ولا يطاول والقتل في أعقابها وأبدى السيوف وسواعد الدماح التي في عقابها حتى تمصل في الدير هو وخيله ورجله ولم يبق لمن ملك الشام الا ما ولى تنرجله فنانبندله

فصامناه الحصار في ليلة السبت فاستسلمت لربيع الاثر بالر كوابه والوقوف عليه لعله يبرز ويبرز ويخرج ولا يحاج فخرت غماغه واستذابت خراغه فتركاه وراءنا ورجعنا بلا دماء ماصدورنا فكذلك فويتهم من قبله سبحانه لا مغضبين وفي ذكرهم افاضنا وبنوا ميعادته من الله متقربين واجهنا غرة بعضا كرنال المنصوره واطفأنا بها في أحسن صوره وهي على ما علم من كونها بكر الم تفرعها الحوادث وحصانها لمطمئنأمل طامث هي معقل الديوبندية الذين هم حجرة الشرك وداية الاثا وآق الله بيننا هبنا من القواعد وأنجز فبهنا النصر صادق المواعد ووردناها بأعين الموارد وقصصنا هبنا من عذة جوانب ووطننا هبنا واذاهي كاس الداهب فالتقت اليها ألا فلا كبدها وذخيرتها هبنا من بين مواش يجراب البلاد التي منها خرجت وخيل مسمومة كنهها الر كونا أسرجت وألجأت وحوامل أفتال وزوامل خفتت عن عسا كرناو قرحت وميرة كثيرة تمكنت مهاد الاجناد وأفرحت وأسارى المسلمين فكروا من القيد والقد وأنفذوا بلطف الله من سوا المكيدة وشدة الجهد فأما الرؤس الماطوعة وأسارى الفرنج الذين أيد بهم الى أعناقهم مجموعهم فان القضاء القضي تصغر من دماهم ونذهب وجرى منها ما به اضطرم وقد انجلم وتلهب وفي الحال أمرنا بالانار ان تشتغل بها وتشتغل والهدم ان يتقل عنها ما عاوه ويتقل فويل ترى لهم من باقية أوتنظر الاطلولا على عرشنا خاويه وعراصل سكانها خاليه قد بقيت عبرة لعابرو ذكرى لذا كر وموعظة سارة للمسلم من غمة لكافرتهم عذنا ببقية يوم السبت الى المالك خذله الله راجين ان يجعله السكل على الاقدام ويخرجهم من النار الى مقام الانتقام فاننا شيطانه قد نهضه وتقل أصحابه قد جرحه فنباعليه والالسة بفرار دغيره واستناره بقرعه وقرره وأصبحتنا يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاخر والكسب قد أهل المقاتله ونصر الله قد بلغ الغاية المستاصله ورجعنا والسلامة لصغير عسكرنا وكبير مشاهله والعدو قد غزى في عقر موعمر وأذل في دار ملكه وأحققر ووصلنا الى مستقر سلطاننا في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور فاستقبلنا من مولا اصوات الله عليه وتشر به واستقبال ركابه ومشا فبه تتاجب حول دعائه الشريف وبجابه ما غنمته به النهم وجلت وزالت به وعشاء الطريق وتجلت وبادتها سماء انعامها التي نزل تجودنا واستلقت قلوب من قصيدة لعمارة في مدح صلاح الدين أوها (فؤاد بنار الشوق والوجد محرق) يقول فيها

لعل بني أيوب ان علموا بما * تطلعت من هبنا برقوا ويشفقوا
غزوا عقر دار المشر كين بغزة * جهاروا طرف النمر كخزيان محطرق
وزاروا مصلى عسقلان بارعن * ببيض اءاء البرز منه ويهق
وكانت عمل ما ساعدة الناس قبلوم * طرائق من شوك القاء ليس تطرق
وما عجزهم منك الامعاقل * تأواغى لي تحصنها وتوا
جلبت لهم حورة الحرب ما التقي * بواذر صرور عليهم وخندق
وأخربت من أعمالهم كل طامر * بمرته طيف الخيال في فرق
أضفت الى أجر الجهاد زياره الا * خليل فابشر ان غاز موفق
وهبت للبيت المقدس لوعة * بطول هبانه اليك التشوق
تنشق من حلقاك أعظم نغمة * تطيب على قلب الهدى حين تنشق
وغزولك هذا سلم نحو فقهه * قريبا والارائد ومطرق
هو البيت ان نفعه والله فاعل * فما بعده باب من الشام مغلق

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة فاستغفها صلاح الدين رحمه الله بأقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بصر لبني العباس وفي الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر خلفاء مصر وتولى العا من يوم عاشوراء بالقصر واتخذت تلك الدولة بآثارها مد لماس العصور وذكر العباد ايضا في اخبار سنة اثنين وسبعين ككسائي ان الذي خطب مصر لبني العباس أولا هو أبو عبد الله محمد بن المحسن بن الحسين بن أبي المضا البطيكي وذكر ذلك ايضا ابن الدجني في تاريخه وقد أشار اليه القاضي الفاضل في كتابه الى وزير بغداد سياق ذكره قال ابن الاثير كان السبب في ذلك ان

صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أُنشئت قدمه في مصر و زال الخلفاء من أمر العاضد وهو الخليفة بهاء الدين من
 السلاكر المصرية أحد كذب اليه الملك العادل نور الدين محمود بأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية
 فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وادّعى منهم من الإجابة إلى ذلك ليطلبهم إلى العلويين فلبسغ نور الدين
 إلى قوله وأرسل اليه بالزعم بذلك الزملا لا صفحة فيه واتفق أن العاضد من عز وكان صلاح الدين قد عز على قطع
 الخطبة فاستشار الأمر أ كيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية ففهم من أقدم على المساعدة وأشار بهامتهم من
 خافي ذلك إلا أنه لم يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل إلى مصر أنسان أنجمي يعرف بالأمير العالم وقد رآه
 بالموصل كثيرا فخلأ رأي ما هم فيه من الاحجام والانتدب بها فخلأ كان أول بصحة من المحرم سعد المتبر قبل الخطيب
 ودعا للفتنى بأمر الله فلم يذكر ذلك أحد عليه فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع
 خطبة العاضد وإقامة الخطبة للفتنى بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينقطع فيها اعتراض وصكت بذلك إلى سائر الديار
 المصرية وكان العاضد قد اشتد من ضده فلم يعله أهل وأصحابه بذلك وقالوا إن سلم فهو معكم وإن توفى فلا ينفعني إن شخص
 عليه هذا الأمر التي قد بقيت من أجله فتوفى يوم عاشوراء وعلم به حاله لما توفى جلس صلاح الدين للقرآن واستولى على
 قصره وعلى جميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قروش وهو خصى لحفظه وجعله كاستبائذر
 العاضد فحفظها فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد وكل لحفظهم وجعل أولاده و عومته
 وأبناءهم في الأيووان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان بالقصر من العبد والاماء فاعتق البعض
 ووهب البعض وابعاع البعض وأخل القصر من أهله وسكانه فسبحان من لا يزال ملكه ولا يغيره من الأيام وتعاقب
 الدهور قال ولما استسلم من العاضد أرسل يستدعي صلاح الدين فظن أن ذلك خديعة فلم يرض اليه فلما توفى علم
 صدقه فقدم على خلفه عنده فقلت أخبرني الأمير أبو الفتح عن العاضد وقد اجتمعت به ستمائة وعشرين وسبائة وهو
 محبوب من قبيد بقلعة الجبل بمصر أن أبا في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر قال وأخبرني عن أولاده وهم جماعة
 صفراء وأصباغاً فالتزم أكرامنا واحترامنا راحة الله وأمانه مصلح الدين فبلغني أنه كان على استجباله بقطع خطبته
 وهو مرض وقال لو علمت أنه يموت من هذا المرض ما طعنت إلى أن يموت قال العمد وجلس السلطان للقرآن أو غروب
 في الحزن والكآبة وبلغ الغاية في اجال أمره والتدبير له إلى تهره ثم تسلم القصر بما فيه من خزائن ووقافته وكان مد
 ناقد مؤتمن الخلافة وتسلم صرف من هو زمام القصر وعزل بهاء الدين قرا قوش والقصر وجعله زمامه واستنابه
 مقام نفسه وإقامه فادخل إلى القصر شئ ولا خرج الأمر أي منه وسع ولا حصل أهل القصر بعد ذلك على صفوة من
 فلما توفى العاضد بطلت تلك القواعد وهت المعتاد وأمر السلطان الاحتياط على أهله وأولاده في موضع خارج
 القصر جعله برسمهم على الانفراد وقر ما يكون لهم رسم الكسوات والاقوات والارواد قلت أخبرني أبو الفتح أنه
 جعلهم في ديار بر جوان في الحارة المنسوبة إليه بالمعاهرة وهي دار كبيرة واسعة كان عيشهم فيها طيباً ثم قال بعد الدولة
 الصلاحية منها وابتعدوا عنها قال العمد وهم إلى البروق في حفظ قرا قوش واحتياطهم واستظهاره بكونهم ويحرمهم
 بعين خزمة في ليله ونهاره وجعل اليافين من عومتهم وعترتهم من القصر في ايووان واحتز عليهم في ذلك المكان بكل
 إمكان واجتمعهم القسام ثلاثين سائلا فأكثروا وهم إلى الآن محصورون محصورين لم يظهروا وقد نقص عددهم
 وقص مددهم ثم عرض من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدو والعديد والظريف والثلث فوجدوا أكثرهن حارث
 فاطمتهن وجعل البائعات فوهبن وقرقهن وأخلن دورهن وأغلق قصورهن وسلط جوده على الوجوه وبطل الوزن
 والعدن الموزون والمعدود وأخذ كل ما حمله ولاذله وأمر أنه ولجوا من ماله واوليائه من آخر النخائر وزواهر
 الجواهر ونفائس اللباس ومحاسن العرائس وقلائد الفرائد والندرة النجيه والياقوتة العالية الثمينة
 والمصونات الثمينة والمصنوعات العنبرية والأواني الفضية والنوايل الصينية والمنسوجات المغربية والمزونات
 الذهبية والمخروكات النضارية والكرائم والبنائهم والبقود والناثم والتفود والمنظوم والمنمود والمجول والمنسود
 والمنحوت والمنحوت والدر والياقوت والملى والوشى والعبير والحبير والوزير والنشير والعيني والجيني والبسط
 والفرش وما لا يحصى ولا يعد أصصه ولا يحصى استقصه فوقه في الفناء وكشف عنها الغطاء وأسرف فيها العطلة وأطلق البيع

في اخبار (١٩٥) الدولتين

بعد ذلك في كل حدث وعقبة وليس وسعني وبال واسمال ورخيص وغال وكل منقول ومحمول ومصوغ ومحمول
ولسقر البيع فيها مدة عشرين سنين وتقلت الى البلاد باني المدايرين والواردين والصادرين وتقلت من ديوان
الملك بخطه قال ولما وصل خبر موت العاضد الذي كان بمصر في القصر موسوما بالام في اعاشره سنة سبع
وستين بعد الخطبة بها السنني بالله أمير المؤمنين علمت هذه الايات فذكر قصيدة منها

توفي العاضد الذي دعا بها * يرفع ذوبدعة بمصرها

وعصر فرعونها انقضى وغدا * يوسفها في الامور محسنا

وانظمت جسر الغواة وقد * باح من الشرك كلما انظروا

وصار عمل الصلاح ملتغا * بها وعقد السداد منتظما

لما غدا ملتنا شعار بني السحاب سقا والباطل اكثما

وبات داعي التوحيد منتصرا * ومن دعاء الاشراك منقما

وظل أهل الضلال في ظلل * ناجية من غيابة وعي

وارتد الجاهلون في ظلم * لما أضاعت مشائر العلم

وعاد بالمسمى ممتدا * بناء حق قد كان منه مدا

واعتلت الدولة التي اضطهدت * واتصرت الدين بعد ما اعتصما

واهترعطف الاسلام من جذل * وافترق نسر الايمان وانقسما

واستبشرت أوجه الهدى فرما * فليفرع الكفر سنه ندما

عادرهم الاعداء منتهاك السحى وفي الطفاه مقسما

قصور أهل القصور اخر بها * عامر بيت من الكمال سما

ازعج بعد السكون ساكنا * ومات ذلا وانفسه رغا

ومن كتاب فاصلي عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد علي الخطيب نُس الدين بن أبي المضا في بعض
السنين كتب اليه الخادم هذه المقدمة من مسترودين الولا مشرور وعلم الجهاد من فروع وسودد السواد منبوع وحكم
السداد بين الامة موضوع وسبب الفساد مقطوع منوع وقد نالت الفتوح عربا ومناوشاما وصارت البلاد بل الدنيا
والشهر بل الدهر حراما فاضحي الدين واحد بعدما كن ادينا والخلافة اذا ذكر بها اهل الخلاف لم يخمر واعلموا
الاصحاب عينا والبدعة خاسرة والجمعة جامعة والمذلة في شيع الضلال شائعة ذلك ما تم اتفقوا به اذ الله من دونه
اولياء وسما اعداء الله اصقيا ونقطه وأمرهم بينهم شيئا وقرقوا أمر الامة وكان مجتمعا وكذبوا بالنار فجلت لهم نار
الحتوف وثرت اقلام الظالمين وفروهم بثر الاقلام للردف وضروا كل مجزق واخذ منهم كل مخنق وقطع دابرهم
وعظا ايهم غابرهم ورعت انفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمة فسردها وقتلها وتكتلت ريل صدفا وعدلا
وليس السيف عى وساهم من كفار الترفج بصائم ولا الليل عن صبر الهم بنائم ولا خفاء عن المجلس الصاحي ان من
شد عقد خلافة وحلي عقد خلاف وقام بدلة وتعد باخرى قد عجز عن الاخلاف والاسلاف فانه مقتدر الى أن يشكر
مانصع ويقدمنا فخر وبلغنا ما اقترح وقدم حقه ولا يفرح ويقرب مكانه وان نزع وثابتة التشرى بذات الشريعة
وتواصل اليه امداد التقربان الخلية الطيفة وتبلي دعوته عما أقام من دعوه وتوصل غرته بما وصل من غزوه
وترفع دونه الحجب المعتزلة وترسل اليه السحب المارضة فكل ذلك تعود عوائده وتبدو قوائده بالذلة التي كشف
وجهه لنصرها وجزد سيفه لرفع منارها والقيام بأمرها وقد أتى البيوت من ابوابها وطلب النجعة من سحابها
ووعدها ماله الواتقة بجواب كتابها وانفض لا يصلح لمطافاته وتبخرت ريشاته خطيب الخطباء بمصر وهو الذي
اختاره لصعود درجة الجبر وقام الامر بقيام من بر واستفتح بلباس السواد الاعظام الذي جمع الله عليه السواد
الا عظم املانه يعود اليه بما يطوى الرجاء فضل عقبه ويخلد الشرف في عقبه

ولصاحبنا مجد الدين محمد بن الظهير الاربلي من قصيدة في مدح بعض ذرية السلطان رحمه الله تعالى

مكتاب (١٩٦) الروشتين

مليك من القوم الذين رماهم * دعائم هذا الدين في كل مشهد
هم نصر والتوحيد نصر أموزوا * به عز في الآفاق كل موحد
وهم قهر وأغلب الفرج بأسهم * فدانوا لهم بالرغم لأن تودد
وردوا إلى البيت المقدس نوره * وقد كان في ليل من الشرك أسود
وهم مهلولوا سبل الحجج وآمنوا * به الركب خوفا الكافر المشدد
وقد ركب فرسانه بحسب رايه * يخوضون في بحر من الكيد مزبد
وهم رجوعوا مصر إلى دعوتنا لهدى * بعزم ورأى في العظام محمد
وهم شيدوا ركن الخلافة بالذي * أعلدوه من حق طريق ومثلد
وهم شرفوا قدر للتاريخ باسمها * وذكر متولا بالرسول محمد
وهم وهبوا عز المال والأقوا * بحسب العوالي والعلاء المشيد
فصل عن تليامهم يوم حطين كم قضت * بمرمر ادافته في كل أصيد
وضعف حديث العدل والياس والندى * إذا كان عن أبيهم غير مسند

وقال ابن أبي طي الخ قد قدمنا ذكر كتابته نور الدين والمجاهد على صلاح الدين في إمامة الخطبة بمصر العباسيين
وأنه أنفذ إليه إباء الأمير نجم الدين أيوب لأجل ذلك لما كتب الخطبة المستعبد إلى نور الدين في ذلك ولما ولي أبيه
المستعني قبل أيضا على كتابة نور الدين فيه وألح نور الدين على صلاح الدين في طلبه وأغضى به الأمر إلى أنه أتهم
صلاح الدين وشنع عليه بسببه وأكثر القول في ذلك ولما قدم الأمير نجم الدين حدها على فعل ذلك فاعتذر إليه بأن
أحواله لم تستقر بعد وأمره مضطرب وأعداؤه كثيرون وأن المصريين لهم جماعة كبيرة متمردة في بلاد مصر من
السودان وغيرهم وأن هذا الأمر لم يؤخذ على التدرج والأقصد أن أحواله فلما أوقع السلطان الملك الناصر
بالسودان والأمير وتكب أمير المصريين وقطع أخبارهم وزك أجناده في دورهم ثم قطع إقطاع العاضد وقبض
جميع ما كان يبد من البلاد واستولى على القصور وكل بها وبس فيها قراش الخدم ونظمت له بلاد مصر من معاند
ومناذب ثم شرع وأبطل من الأذان حتى على خير العمل وانكر على من يتسم بغيرهم والاشباب اليهم فلما رأى أموره
مواء تهاو وأدوه قليلين شرع حينئذ في الخطبة لبي العباس وأما حول على ذلك الأمر والامير نجم الدين بالنزول
إلى الجامع في جماعة من أصحابه وإمره ذلك في أول جمعة من السنة وأمره أن يحضر الخطيب إليه وأمره بما
يختاره وأما هذا الملك الناصر فلما وكل الأمر إلى غيره واستنظها وأرأى خوفه أن فادح خبر بما طرأت أو عذرت بما نال
فيكون هو مستتر من ذلك ولما حصل نجم الدين بالجامع حضر الخطيب وقال له إن ذكرت هذا المقيم بالقصر وتربت
عنك فقال قلب أخطب قال للمستعني العباسي فلما صعد المنبر وخطب ووصل إلى ذكر العاضد لم يذكر
أحد الكنه دعا لأئمة المهديين والسلطان الملك الناصر وزل قلبه في ذلك فقال ما علمت اسم المستعني ولا نعوته
ولا تقرر معي في ذلك شيء بل الجمعة وفي الجمعة الثانية أفعل إن شاء الله ما يجب فعله في تقويم الاسم واللقاب على جاري
العادة في مثل ذلك قال وقيل إن العاضد لما اتصل به ما فعل من قطع اسم من الخطبة قال بل إن خطب قبل لم يخطب
لاحدمي قال في الجمعة الأخرى يخطبون لرجل ممجي وأتفق أنه مات قبل الجمعة الثانية قيل أنه أفكر واستولى عليه
الفكر والهم حتى مات وقيل أناس مع أنه قد مات خطبته أهم وقام ليدخل إلى داره فمر وسقطا فقام متعللا خمسة أيام
ومات وقيل أناس من فص خاتم وكان تحتهم فأتى ولما اتصل بموته بالملك الناصر قال لو علم أنه يموت في هذه الجمعة
ما غصصنا به رفع اسمهم الخطبة فكأن إن القاضى الفاضل قال للسلطان لو علم أنكم ماتر فغضضنا اسمهم من الخطبة لم
يأت أشرا لي أن العاضد قتل نفسه وكان موته يوم عاشوراء قال وحكى ابن المارستان في سيرته ابن هيرة الوزير قال
أن من عجيب ما جرى في أمر المصريين أن رأى إنسان من أهل بغداد في سنة خمس وخمسين وخمسة مائة مكان
قرين أحدهما أنور من الآخر والأور منهما صامت للقبلة وله ليسة سوداء عظم الطول ويجب أدنى نسيم فيوتر كما وأثر
حركتها وظلها في الأرض وكان الرجل يتعجب من ذلك وكأنه مع أصوات جماعة قرين بالحن وأصوات لم يسمع

في اخير (١٩٧) الدولتين

قط مثلها وكأته سأل بعض من حضر فقال ما هذا فقالوا قد استبدل الناس بامامهم فقال وكان الرجل استقبل القسيسة وهو يدعوا لله ان يجعله اماما بارا اقبوا واستقبل الرجل وبلغ هذا الشام ابن هبيرة الوزير اذ ذلك يستعداد فغير الشام بان الامام الذي بمصر يستبدل به وتكون الدعوة لبني العباس لمكان القسيسة السوداء وقوى هذا عنده حتى كاتب نور الدين حين دخل اسد الدين الى مصر في أول مرة بأنه ينظر بمصر وتكون الخطبة لبني العباس بها على يده وقلت في ذلك الزمان اشعار في هذا منها قصيدة تسمى المعالي أي الفضائل الحسين بن محمد بن تركان وكان حاجب ابن هبيرة فقال حين سمعنا قوله الشام

لتمنك يا مولى الانام إشارة * بهاسيف دين الله بالحق مرهف
ضربت بها هام الاعادى بهمة * تقاصر عنها السجوى المثقف
بعثت الى شرق البلاد وغربها * بعوثا من الاراءه تحصى وتكثف
فقامت مقام السيف والسيف فاطر * ونابت عنها بالروح والريح رعرع
وقدت لها جيشا من الروح هائل * الى كل قلب من عدائك يرعف
ملكته به أقصى المخابر عنوة * وكانت عين فيها المشارق ترجف
لهنك يا مولاى فمها تبايت * اليك به حوص الركايب توفى
أخذت به مصر وقلد لادونها * من الشرك ناس في لحي الحق تقذف
وقد نذرت منها المنابر عصبة * يعاف التقي والدين منهم ويأنت
فظهر هام كل شرك وبدعة * أغر غرر بالمكارم يشغف
فصادت بجدها به باسم امامنا * تنبه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو ان دانت لبوسف مصره * وكانت الى علمائه تشوف
تلكها من فضة الكفر يوسف * وتخلصها من عصبة الرخص يوسف

قال يحيى بن أبي طي ريد يوسف الاقل يوسف الصديق النبي صلى الله عليه وسلم ويوسف الثاني المستنجد بالله الخليفة بوشاذ فواله على سبيل الفال الأثر ما قال بعده هذا البيت

فشا به خلقا وخلقنا وعفة * وكل عن الرحمن في الارض يصف

وجرى الفال في البيت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لان المستحدمات قبل تغير الخطبة لبني العباس وهذا من عجيب الاتفاق قلت وذكر ابن المارستان في السير المذكرة وكان هذا الشام سببا الى ان كاتب الوزير ابن هبيرة نور الدين بن زنكي يحث على التعرض لاصرو والبعث اليها واتفق في أثناء ذلك نوبة شاور وزير صاحب القصر وقدومه هاربا منه الى نور الدين فترك ذلك ما كان يصر في نفسه مما كان كاتبه به ابن هبيرة فاستطلع من شاور الاسباب التي يمكن بها الدخول على المصريين فخرجهما وأوصفها فغير اليها أسد الدين كما سبق ذكره قال ولما قطعت خطبة العاصدا سطل أهل السنة على الاسماعيلية وتبعهم وهم وأدلوهم وصراروا لا يقدرين على الظهور من دورهم واذا وجد أحد من الأتراك مصر يأخذ ثيابه وعظمت الاذية بذلك وجلى أكثر أهل مصر عنها الى البلاد وفرح الناس بذلك وكتبت الكتب به الى الاقطار وتحذت به البحار ولما وصل خبر ذلك الى نور الدين نذب للبشارت الى بغداد شهاب الدين أبي المعالي المطهر بن أبي عمرو بن وكتب معه نسخة بشارة فقرأ بكل مدينة بجزيرتها يقول فيها (اصدنا هذه المكتبة الى جميع البلاد الاسلامية عامة) فخرج الله على أيدينا راجه وأوضح كنهها وهو ما اعتقدناه من امامة ائمة عرفوا بالحادية العباسية بجميع المدن والبلاد الاقطار والامصار المصرية والاسكندرية ومصر والقاهرة وسائر اطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة وانتهت الى القريب والبعيد والى قوص وأسوان بأقصى الصعيد وهذا شرف لزماننا أخذوا وأهل نفخر به على الزمنة التي مضت من قبله ومارحت همنا الى مصر مصر ووه على اقتساحها موقوفه وعزائمنا في اقامة الدعوة الحادية به لمناصبه والاقدار في الازل بقضاء أرائنا ونعجز من مواهنا فاضيه حتى ظفرنا بها بدماس الملوك منها وقد ناعلها وقد عجزوا عنها وطلما من علم الحقب

مكتوب (١٩٨) الروضتين

الحوائى وآيت دونها الايام واليالى وشيت مائتين وثمانين سنة منهوة بدعوة المبطلين ملوئهم بزي الشياطين سايفة
 ظلاله الفضائل مقفرة المحل الامس المحال مقفرة تالى نصرته من الله عليها وتقرت ستركا رافعه يدها فى أشكاتها
 متظلمة اليه ليكفل باعدائها على أذن الله انتم لها الانقراج ولطمتها باللاج وسبب تصد الفرج لها
 وتوجههم اليها طمع على الاستيلاء عليها واجمعوا أن الكفر ولا بدعه وكلاهما سديد الروحه فكذلك الله تلك
 البلاد ومكن انقى الارض اوقدرنا على ما كنا نؤمل في ازالة الالحاد والرفض من امامة الفرض وتقدمنا الى
 من استنباه ان يستفتح باب السعادة ويستفتح باب المعاناة الزارده وقيم الدعوة الملهدية العباسية هنالك وبورد
 الادعاء ودعاة الالحاد بها المالك وهو كليب طويل اختصرت منه الفرض وهو هذا حال صار شهاب الدين بن ابي
 عصرون الى جهة بغداد ولم يترك مدينة الا دخلها بهم هذه البشارة الجلية القدر وقرأ فيها هذا المنشور العظيم الخطير
 والذكر حتى وصل الى بغداد فخرج الموكب الى تلقه وجيع أهل بغداد مكرمين تحيط به وردة مقامين لجليل موزوده
 ونفرت عليه مدانير الانعام وحي بكل احسان واكرام وأرسلت القصر بعاتالى نور الدين وصلاح الدين كاسياتى
 ذكره وهال العباد كان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويعمل له فى القوى الامين ويرجع فى جميع
 مصالحه الخدراية المتين وقد كان كرتيه نور الدين فى شوال سنة ست وستين بغير الخطبة وتذليل أمورها الصعبة
 واغتراب كرهه القضيعة وفرع الزينة وأبشر ان أمره متبوع وقوله مسموع وحكمه مشروع ونطق بذلك قبل الختام
 أسن الخواص والعوام فسر نور الدين شهاب الدين أبا المعالى المظهر ابن الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون بهذه
 البشارة واشاعة ما تقدم له بهاس الاشاعة وأمر فى إنشاء بشاره عامة مقرا فى سائر بلاد الاسلام وبشارة خاصة
 للديوان العزيز بمحضرة الامام فى مدينة السلام ثم ذكر نسخة الكاين ونظمت قصيدة مستحقة على الخطبة بمصر أولها

قد خطبنا المستنقى بمصر * نائب المصطفى امام العصر

ونخذلنا النصره العند العاصد والقاصر الذى بالقصر

أراد بالعضد وزير بغداد عضد الدين بن رئيس الوزراء هال العباد فى كتاب الخريدة قصيدت بالعضد والعامد
 المجاهدة ونصره وزير الخليفة كصبرته ثم هال

وأستعنا بمنعاري بنى العباس فاستبشرت وجوه النصر

وتركا الدعوى بدعو ثبورا * وهو اهل تحت حجر وحمر

وتباهت منابر الدين بالخطبة للهانى فى أرض مصر

ولدينا نضاعت نم الله وحطت كل عدو حصر

فاقتدى الدين ثابت الركن فى مصر محوط المجدى مصون النفر

واستارت عزائم الملك العبا * دل نور الدين الكريم الاغم

وبنو الامم القوام من منه * بوجه من المخافة صفر

عرف الحق أهل مصر وكانوا * قبله بين منكر ومقر

قل لنا فى الدعوى حصيلنا * ما قر الحقوق خبير مغر

هو فوج يكرودون البرايا * نحن الله بافتراع البكر

وحملنا بالجد والاجر والنصر * وطيب الثنا وحسن الذكر

ونشرنا أعلامنا السود نهرا * لعدى الرزق بالمتا بالجر

واستعدنا من ادعياء حقوقا * بدعى بينهم لزيد وعمر

والذى يدعى الامام فى القاهرة * فى الخطب فى حضيض القهر

خلفه ادهر فى مناه ولا ياب * مع ذوالالب فى وفاة الدهر

ما يقام الامام الا بمحق * ما تحاز الحسنه الاجهر

نخلفنا الهدى سراة بنى العباس والبايعون أهل الطهر

في الخبر (١٩٩) القوتين

بسم الله الرحمن الرحيم * ظاهر قوت قوى الظهور
 لشخص الذي كمل بطور العلم كالصاحب كالمفهوم الزهر
 قد بلغنا بالصبر كل مراد * ويلوغ المراد عني الصبر
 ليس مثري الزجال من حلا الما * لولم نلأ أحوال بعثى
 ولما لم تنفع صاحب القصر وقد شارف الدور بدثر
 دام نصر الهدى بؤى بنى العباس حتى يقوم يوم الحشر

بالعماد في ديوانه وتحت من خطه حال ووصل الزمان الخطبة فامت في الامكا كدرة يوم الجمعة سبع شهر رمضان وفي
 مصر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشر من شهر رمضان ولولا الامام المصطفى يا مرقا أمير المؤمنين واما مشاعر في العباس
 بها قلت ونحس نزول بعصر الحشر من دمشق في ثامن شوال هك تبا الى بغداد فذكر هذه القصيدة حال في البرق
 يوصل من دار الخلافة في جواب هذه البشارة عماد الدين بن حنبل وشومس كابر الحدم المقتضوية من ذوي الروية والهمة
 لقوي وتولى استاذية الدار العزير تيمد عزل كال الدين عضد الدين عنها فأكرم زوال الدين يا رسال مثله اليه وعقل في
 هذا الامر المهم عليه وهو اكرم رسول وعمل فانجح الامل وجاما للتشريف الشريف لسور الدين مكملا مغنا بمجلا باهيته
 لسوداء العراقيه وحله الموشيه وطلوqe الثقبين ولواته الجليل وعين يوم بعصر في الرسول ونصوا على من يحضر
 لا يجلس نور الدين وانحرف لادكر العماد فطلبه نور الدين لما حضر واوامام ليعلم الرسل لما حضر وقصد ان يعرفهم منزلة
 عنده ونالوه الكتاب ليقرأه حال قتنا وله منى الموفق بن القيم راني خالو وكان عنده في مقام الوزير وله انبا خزانة
 ندار به وما راسه نور كنه يقرأه انا رت عليه وأرشده في التلاوة الى ما لا يتدى اليه حتى انهاء واما على اقيانه على
 انهاء فاعجب نور الدين مني ومنى واحسن فضل الثاني والثاني واجتلب الابهة وليس القرية فوقا وتقد
 مع تقدر السيفين طوقها ونجرح ركب من داخل الفلقة وهو حال بما عليه من الملحة والقوا مستور والتضار منور
 المركان الثرى فان أحد هاهم كوه والاخر عجلته مجنونه حال وسألت من معنى تقليد السيفين فقيل لي هاهم
 مصر ولجميع بين البلدين ونرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى متنى الميدان الاخضر ثم عاد وشرف المحضر
 جميل المنظر جليل المحضر حميد الخضر سعيد المور والمصدر ليغايا لا عظم السرر والمتميز وكان وزن المظوق مع
 كنه ألفد يبار من الذهب الاحمر وحلوا لصالح الدين نشر يفا ضلنا فاكثارا وأعاراتنا لجاله كاله لافنا لكن تشريف
 نور الدين أميز وأفضل وأجل واكمل غير تشريفه رمت اليه بصر ليحظي به وسير أيبه اجتمع من عنده بكم بها أجهابه
 وصلت تلك المتعلقة اليه ولبسها وأنس من السعادة أذاعة بقبسها وطاف بها في الحادى والعشرين من رجب وهى
 ول أهبة عباسيه دخلت الديار المصرية يعنى بعد احتلاله بنى عبيد لميرما حال وكانت وصلت مع الرسل اعلام ونود
 رايات سود واهب عباسيه القبطاء الى اديار مصر به فسيرت الى صلاح الدين خيرة هاهي المساجد والجوامع
 الخطباء والقضاة والعلماء والجند على ما تم وأولى ووهب وأعطى قال ابن ابي عتي والمافرق السلطان من أمر الحادية
 من بالقبض على القصور وجميع ما فيها من مال ونخار وفرش وسلاح وغير ذلك فخر بوجده من المال كبير أمر لان شاور
 كان قد سبقه في اعطائه الفرقة في المرات التي قد مرنا ذكرها ووجد فيها ذخائر جليلة من ملابس وفرش وشمول ونخام
 يكت وجواهر ومن عجيب ما وجد فيه كتب بزمرد طوله سبعة كمره وقعة واحدة وكان سميت بحمى مقدار الابلهم
 يوجد فيه مطيل القوتنج ووجد فيه ما يرق عظم من الحجر اللامع ووجد فيه سبعائة قيمة من الجوهر فاما قضيب الزمرد
 فان السلطان اخذه وأحضر صانعيه فأتى الصانع فحضره السلطان فاقطع ثلاث قطع ووفره السلطان
 على نسائه واما مطيل القوتنج فانه وقع الى بعض الأكراد فلم يدردا وفسكره لانه ضرب به عقيق واما الأبريق فاخذله
 السلطان الى بغداد واحتاط السلطان على أهل العاصم ودوا ولاد في موضع في خارج القصر جعله برهمهم على
 الاشراف وقر لهم ما يكفهم وجعل أمرهم الى قراقوش الخادم ووفر من النساود الى جال ليكن ذلك أسرع الى
 انقراضهم واستخرج من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدة والعديد والعارف والتلبد فاطلق من كان منهم حرا
 وأعتق من رأى اعتاقه ووهب من أراد هبته ووفر على الامراء والاعيان من عقال القصر ونخاره شيئا كثيرا

وحصل هو على التيجان وقطع الجثث وأطلق وتغيب الزمر وأطلق البيع بعد ذلك في كل جديد وعتيق فأقام
 البيع القصير مدة عشر سنين قال ومن جملة ما باعوا خزائن الكتب وكانت من عجائبها أنه لا يملك في جميع بلاد
 الاسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة
 من تاريخ الطبري ويقال إنها كانت مختومة على ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة كثير وحصل
 للقاضي الفاضل قدر من أكبر حيث شغف بجمعها وذلك أنه دخل إليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جاده
 ورماه في بركة كانت هناك فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقتها في البركة على
 أنها خمر ومات ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل ما حصل من الكتب كذا أخبرني جماعة من المصريين منهم الأمير
 شمس الخليفة موسى بن محمد واقسم الناس بعد ذلك بدور القصر وأعطى السلطان القصر السما إلى الأحرار
 فسكنوه وأسسكن أباءهم الذين في الدولة وهو قصر عظيم على الخليج الذي فيه البستان الكافور ويقل الملك
 العادل إلى مكان آخر منه وأخذت باقي الأمور مكان دور من كان ينفي إليهم وزاد الأمر حتى صار كل من استحسن
 دار الخرج منها صاحبها سكنها واتصفت تلك الدولة بقرتها وذهبت تلك الأيام يجلبها بعد أن كانوا قد احتوا على
 البلاد واستخدموا العباد مائتين ومائتين سنة وكسوا قال وحكي أن الشريف الجليل وهو رجل كان قريبا
 من القاضي مجلس معه ويحدثه على دعوة لشمس الدولة بن أيوب أخى السلطان بعد القبض على القصور وأخذ
 ما فيها وانقرض دورهم وغرم هذا الأمر بف على هذه الدعوة لا كثيرا وأحضرها أيضا جماعة من كبار الأحرار
 فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدولة لهذا الشريف حدثني بأعجب ما شاهدته من أمر القوم قال نعم طيبتني
 القاضي يوما وجماعة من الندماء فلما دخلنا عليهم وجدنا عندهم ملوكين من الترك عليهم أقبية مثل أقبيةكم وقلانس
 كهلانكم وفي أساطيلهم مناطق كتناطكم قتلناه بأمر المؤمنين ما هذا الزى الذي ما رأينا قط فقال هذه هيئة
 الذين يملكون ديارنا وبأخذون أموالنا وذخائرنا قال العباد وأخذت ذخائر القصر فقصها كما سبق ثم قال ومن
 جملتها الكتب فاني أخذت منها جلة في سنة اثنتين وسبعين وكانت خزائنها مشتملة على قريبا من ثمانين ألف مجلدة
 مؤيدة من الله هذا القديم عظيمة وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واتطعته التصدي وكانت كالمبرات
 مع أمناء الأيتام تصرف فيها بشرة الاتياب والالتزام وتقلت منها ثمانية أجمال إلى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر
 وقصوره وشرع كل من سكن في قصره بمعوره وانتقل إليه الملك العادل سيف الدين لما تاب عن أخيه واستمرت
 سكناه فيه وخطب لأمنا المستضي في قوم واسوان والصعيد والقاضي والداني والقريب والبعيد وشاعت
 البشارة وذاعت الخفاخر وسار بها البسادي والحاضر وتلك السلطان أملاك أسباعهم وضرب الألواح على دورهم
 ورباعهم ثم أملاكهم امرأه وخصمها أوليائه وبيع أماكس وذهب مساكن وعفي الأثام القديع واستأنف السنن
 الكريمة وقال ابن الأثير لما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره أنه أوزنه ما أراد وذهب أهله وأمرأه
 وابع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عنده ملك من الملوك قد جمع على طول السنين ومهر
 انه هور غنمه القضيبي الزمر دطوله نحو قبضة ونصف والجبل القايوت وغيرهما ومن الكتب المنخبة بالخطوط
 المنسوبة والخطوط المبدعة مائة ألف مجلد

(فصل) ولما خطب بالدار المصرية فليكن العباس ومات القاضي أقرضت تلك الدولة وزالت عن الاسلام
 بصر بآثرها الدولة واستولى على مصر صلاح الدين وأهله وتوابعه وكان من قبل نور الدين رحمه الله هم أمرأه
 وخدمه وأصحابه وفيهم يقول العرقه

أصبح الملك بعد آل على * مشرفا بالملوك من آل شاذي
 وقد أشرق محمد العربي بالقو * مومض زهو على بضاذ
 ما حورها إلا بحزم وعزم * وحليل للغولاني الفولاذ
 لا كفر عن والعزير وكما * نجا كالحصيب والاستاذ

يعني بالاستاذ كافر والاخشيدي وقوله بعد على يعني بذلك بني عبيدا مستغنيين بها أظهر والناس انهم شرفاء
 فاطمينون

فألمهون فلكوا البلاد وقهر والعباد وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا ذلك أهلاً ولا نسبهم صحابا بل المعروف أنهم نوع عبيد وكان والد عبيد هدا من نسل القنّاح المجداني موسى وقيل كان والد عبيد هدا يهوديا من أهل سلبية من بلاد الشام وكان قد أدا وعبيد هدا كان اسمه عبيداً دخل المغرب فبقي ببسطة الله وزعم أنه علوي فأعلمى وأدعى نسباً ليس بصحيح بل ذكره أحد من مصنفى الانساب العلوية بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافة وهو ما قد مضى ذكره ثم رتب به الحال إلى أن ملك وتسمى بللهدى وبني المهدي بالمغرب ونسبت إليه وكان زيد بن يحيى بن هدا أحد هؤلاء السلام متظاهراً بالفتوح مقتراباً حراً يصاعلي أزاله الله الإسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان تصده أعدامهم من الوجود لتبني العالم كتباً ثم فيمكن من اقتصاد عقائدهم وضلالتهم واللهم نورهم ولو كمال كافرين ونشأن ذريته على ذلك منطوياً يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة والأمر به والدعاة لهم مندوبون في البلاد يضاهون من أمكنهم اضلاله من العباد وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذى الحفصة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة وفي أيامهم كثرت الزايفات واستحكمت أمرهم وهو وضعف المكوس على الناس واتسدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بشقور الشام كالنصارى والدرزية والحدسية فزع منهم وعنكرت رعايتهم منهم لضعف عقولهم وجملهم ما لم يفكروا من غيرهم وأخذت الفرقة أكثر البلاد بشام والجزيرة إلى أن من الله على المسلمين بظهور البيت الأبيض وتقدمه مثل صلاح الدين طسرت الدولة وأزوالها هذه الدولة عن أرواب العباد وكانوا أربعة عشر مستقلة ثلاثة منهم إفريقية وهم الملقبون بللهدى والقائم والمتصور واحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزى والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والأمير والمخاطف والظاهر والقاهر والعاضد يدعون الترف ونسبتهم إلى مجوسى أو يهودى حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون الدولة العلمية والدولة العلوية وأنما هى الدولة المجوسية أو اليهودية الباطنية المخذلة ومن قباحتهم أنهم كانوا يأمر من الخطباء بذلك على المنابر ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها ونسب عبيدهم جوهراً الذى أخذ لهم الديار المصرية وبني لهم القاهرة المعزية بنسبه خطبة طويلاً قال فيها (اللهم صل على عبدك ولوك ثم رتب النبوة وسبيل العزة المهدية المهدية مهدى بن محمد بن الإمام المعز بن الله أمير المؤمنين كما صليت على آباءه الطاهرين وسألتنا عن تعيين الائمة إلى أشدين) كذب عدواؤه اللعين فلا خير فيه ولا فى سلفه أجمعين ولا فى ذريته الباقين والعترت النبوية الطاهرة منهم بمنزلة رحمة الله عليهم وعلى أمثالهم من الصدر الأول وقدين نسبهم هذا وأخرج حالهم ما كانوا عليه من الفجوة وعداوة الإسلام جماعة من سلفهم من الائمة والعلماء وكل متورع منهم لا يجمعهم إلا بنى عبيد لا دعى إلى يدعون من النسب بما ليس لهم ورحمة الله على القاضي أبي بكر محمد بن الطبطبائه كشف فى أول كتابه للسبى وكشف أسرار الباطنية عن بطلان نسب هؤلاء المدعى على رضى الله عنه وإن القنّاح الذى نسبوا إليه دعى من الأدباء محرق كذاب وهو أصل دعاة القرامطة لعنهم الله وأما القاضي عبيد الجبار البصرى فإنه استقصى الكلام فى أصولها وبحثها ما شافيا فى آخر كتاب تثبيت النبوة وقد نقلت كلامهم فى ذلك وكلام غيرهم فى مختصر تاريخ دمشق فى ترجمة عبيد الرحمن بن الياس وهمون تلك الطائفة الذين هم يئس الناس وهدان امامان كبيران من أئمة أصول دين الإسلام وأظهرهم عبيد الجبار القاضي فى كتابه بعض ما فعلوه من المنكرات والكفرات التى يفتش الشعر عند سماعها ولكن لا بد من ذكر شئ من ذلك تنفيراً لمن لم يستقامت منهم وبغنى عن مصالحتهم ولم يسل قباحتهم وسكارتهم ولعظروا من أزال دولتهم وأبانت بدعتهم وظل عدتهم وأخفى أمتهم وأطفا جريتهم ذكر عبيد الجبار أن الملقب بالمهدى لعن الله كان يتخذ الجبال ويسلطهم على أهل الفضل وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيجسون فى شرهم وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين وأكرس الجور واستصفاه الأموال وقتل الرجال وكان دعاة يضلون الناس على قدر طاعتهم فقروا ليعنهم (هو المهدي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله على خلقه) ويقولون لا تخزن (هو رسول الله ورحمة الله) ويقولون لا ترى (هو الله الخالق الأزق) لا اله الا الله وحده لا شريك له تبارك اسمه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ولما هلك قائم ابنه المعصي بالقائم مقامه وزاد شراً به أضاعافاً

كتاب (٢٠٢) الروماني

مضاغة وباهر يشتم الانبياء فكان يتدق في أسواق المهدي وغيره (الأنواء عاتقة وبعلها الأنواء الغار وما حوى)
 اللهم صل على نيك وأحبابه وأزواجه الظاهرين والبنين هؤلاء الكفرة النجسة المحدين وارحم من أزالهم وكان سبب
 قلعهم ومن جرى على يديه تفرق جمعهم وأصلهم سعيرا ولقهم ثورا واسكنهم النار جحما واجعلهم من نلت فيهم
 الذين نزل عليهم في الحياة الدنيا وهم محسبون انهم يحسنون صنعا (رجعنا إلى الأمل) وبعثنا إلى أبي طاهر القرمطي
 القيم بالبحرين وحشمه على قتل المسلمين واحرق المساجد والمصاحف وقام بعد انته المعنى بالنصر وقتل أبا يزيد
 مخلدا الذي خرج على أبيه ينكر عليه فبيع معه المقدم كره وسلخه وصلبه واشتغل بأهل الجبال بقتلهم ويشدهم
 خروفا من أن ينور عليه نأثر مثل أبي يزيد وقام بعده ابنه الملقب بالعمز فبث دعائه فكانوا يابون وهو المهدي الذي ملك
 الارض وهو الشمس التي تطلع من مغربها وكان يسر معا ينزل بالمسلمين من المصائب من أخذار ولهم بلادهم وأحجب
 عن الناس أياما ثم ظهر وأومهم ان الله رفعه اليه وأنه كان غائبا في السماء وأخبر الناس بأشياء صدرت منهم كان يتقلاها
 اليه بواسيس له فامتلا قلوب العامة والجهال منه وهذا أول خاف خلفا تم مصر وهو الذي تسبب اليه القاهرة
 المعز يواسي واستدعى فقيه الشام أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي فقبل اليه في قصص خشب
 فأمر بسنخه فسلخ ما وحشي بجلده تبتا وصلب رجه الله تعالى قال أنفوا زهره وي سمعت أبا الحسن الفارطني
 يذكره ويكي ويقول كان يقول وهو يسلم كان ذلك في الكاب مسطورا نلت وفي أيام الملقب بالحاكم منهم أمر
 بكتيب الصعابة رضى الله عنهم على حيطان الجوامع والقباسر والشوارع والطرقات وكتب السجلات إلى سائر
 الأعمال بالسب ثم أمر بقطع ذلك وأمر أن يته مقولوا على بعض أبواب دمشق في الامكنة العظيمة متروكا في الحجر وداني اول
 الكلام وآخره على ذلك ثم جدد ذلك الباب وأزيل الحجر وفي أيامه طوف بدمشق برجل مغربي ووردى عليه هذا
 جزا من محب أبي بكر وعمر ثم ضربت عنقه وكان يجري في أيامهم من نحو هذا أشياء مثل قطع لسان أبي القاسم
 الواسطي أحد الصالحين وكان أن نبئت المقدس وقال في أذانه على الفلاح فأخذ وقطع لسانه ذلك وما قبله
 من قتل المغربي وأبي بكر النابلسي الماخذ أو القاسم في تاريخه وما كانت ولاية هؤلاء الملأين الاحنة من
 الله تعالى ولهذا طالت مذبذبهم مع قلة عدتهم فان عدتهم عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر وأولئك بقوا يفاوتسعين
 سنة وهؤلاء بقوا مائة سنة وعشرين سنة فالجد لله على ما يسر من هلكهم وبادم قتلهم ورضى الله عن سعي
 في ذلك والزالم ورحم من يدين غرقهم وكذبهم وعذلهم وتذكف أيضا ظلم الامام أو القاسم عبد الرحمن بن علي بن
 نصر الشامي في كتابه الذي بالطنيفة ذكر فيها ما كانوا عليه من الكفر والمنكرات والفواحش في أيام زار وما
 بعده ووصل الامر إلى ان وصف بعضهم كانوا فيه في قصيدة سماها الايضاح عن دعوة القذاح أولا

حي على مصر إلى خلع الرحمن * قم تعطيل فروض ومن

وقال لوفوق ملوك الاسلام مصر فورا أعتة الخيل إلى مصر لتز والباطنية الملاعين غناهم من شر اعداء دين الاسلام وقد
 خرجت من هذا لتأقنع إلى حد الجاهرين لما ظهر في ملك الاسلام من كفرها وفساد اوتعين على الكافة فرض
 جهادها وضر هؤلاء أشد على الاسلام وأهلهم من ضر الكفار اذا لم يقم جهادها أحنالى هذه العافية مع العلم بظام
 ضررها وقادها في الارض قلت ثم انى لم يقتضى هذا من بيان أحوالهم فأفردت كتابا فيك سميت كشف ما كان
 عليه بنو عبيد من الكفر والكتب والمنكر والتكيد فمن أراد ان يوقف على تفاصيل أحوالهم ضايعة فاني بتوفيق الله
 تعالى جئت فيه ما ذكر هؤلاء الاتعا المصنفون وغيرهم ووقف على كتاب كبير منصفه الشريف الهاشمي رحمه الله
 وكان في أيام الملقب بالعمز ثاني خلفاء مصر فبين فيه أصولهم اتم بيان وأوضح كيفية ظهورهم وطلبهم على البلاد
 وتبعه ذكر فضائلهم وما كان يصدر منهم من أنواع الزندة والفسق والخمرة فخلت منها ما كنت جعته قطعة
 كبير فوالله التوفيق وما أحسن ما قال فيهم بعض من مدح بنى أرب بقصيدة منها

أستمر من ذيل دولة الكفر من بنى * عبيد بصران هذا هو الفضل
 فادع شبيبة باطنية * مجوس وما في الصالحين لهم أصل
 يبرون ككفر انظرون تشيعا * ليستروا شيتا وعهم الجاهل

اما فعله هؤلاء من الانساب الى علي ورضوان الله عليه والتسري والتشيع قد فعله جماعة القرامطة وصاحب الزنج وشارج البصرة وغيرهم من المستندين في الارض على ماعرف من سيرهم من وقف على اخبار الناس وكاظم كذبه في ذلك وانما فرغهم التقرب الى العوام والجهال واستباعهم لهم واستخلائهم الى دعوتهم ذلك البلاء وبשל الله ما يشاء ولا يفتربايات الشريف الرضي في ذلك فقد حصل الجواب عن في ذهاب الكنف بوجوده حسنة واولها التوفيق وقد صنف الشريف العابد المشق رحمه الله كتابا في ابطال نسبهم الى علي بن ابي طالب رضى الله عنه وفصل ذلك تفصيلا حسنا وأطلس في ذكر اخبار اخوانهم من القرامطة لعلم الله تعالى

(فصل ١٠) في ذكر غزو الفريخ في هذه السنة قال ابن شداد واستمرت القواعد على الاستقامة وصالح الدين بكلا استولى على خزائن مال وهبها وكلما فتح له خزان ملكا منها ولا يفي لنفسه شيئا وشرع في التآهب للقزاة وقصد بلاد المدو وتعبية الامر فلما كفر رواقعه وأما وراد الدين فانه هزم على القزاة واستدعى له احب الموصل ابن اخيه فوصل بالعاكر الى خدمته وكانت غزوة عرقة فاخذها نورا الدين ومعها ابن اخيه في الحرم ستة تسعين وستين وقال ابن ابي طي يجمع نور الدين عساكره وخرج الى عرقة ونازلها وقتلتها يلما حتى فتحها واحتوى على جميع ما فيها وغنم الناس غنية عظيمة قال ابن الاثير خرجت مراكب من مصر الى الشام فاحذ الفريخ في الاذنية من كين منها مائتين من الامتعة والخمار وغلدوا المسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فتركوا فاحسب نورا الدين الحيرة استعظمه وراسل الفريخ في ذلك وأمرهم باعدا دما أخذوا فقال طهوه واحتجوا بأموورهم ان المركبين كما قد قد خلها ما ابلهر كسر فيها وكانت العادة بينهم أخذ كل مركب يدخله الماء كانوا كاذبين فلم يقبل مخالفتهم وكان رضى الله عنه لا يهرل أمرها من أمور رعيته فلم يردوا شيئا فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيرة ووثب السرايا في بلادهم بعضهم نحو انفاكية وبعضهم نحو طرابلس ومصر هوص عرقة واخبر به وارسل طائفة من العسكرة الى حصن صافيتا وعريضة فاخذها عنوة وكذلك غيرها ونهب وخرّب وغنم المسلمين الكبير وعادوا اليه وهو بمرقة عسارى العساكر جميعها الى قريب طرابلس يخرّب ويحرق وينهب وأما الذين ساروا الى انفاكية فانهم فعلوا في ولايتهم احمل ما فعل من النهب والحريق والقرب بولاية طرابلس فراه الله الفريخ وبدلوا عادتها أخذوه من المركبين ويهدمهم المحدثه فاجابهم وكانوا في ذلك كما يغالب اليهودى لا يعطى الجزية حتى يلطمه ذلك الفريخ ما عادوا أموال القهار التي هي أحسن فلما نهبت بلادهم ونزيت أعاذوها قال وكان لوالدى في المركبين بيجارة مع مخصين فلما عادوا الى الناس أموالهم لم يصل الى كل انسان الا اللبى وكان يحمل للمتاع فكل من كان اسمه عليه أو على ثوب أخذوه وكان في الناس من يأخذ ما ليس له وكان أحد هذين المضارين فيه أمانة وكان نصرانافيا حذال ما عليه به وعلامته فذهب من ماله ومالنا شىء كثير هذا السبب وكان الذى حصل من مالنا كثر من الذى حصل له لما عاد الناس الى نال والذى فامتنع من أخذه وقال خذنا من الجيع قال أحوح اليه وانى غنى عنه فلم يفعل فقال خذ النصف وأما النصف واجتنبه والذى فلم يفعل فلما كان بعض الايام واذا قد جاء الغلام وهه عذمة من الاثواب الدوسية وغيره اوافل هذا من قاشنا قد حضر اليوم وسبب حضوره اننا ناقشا عليم أهل تبريز كان معنفا المركب وقد عادوا عليه ما قرأى هذه الاثواب وأسمى عليها فلم يسئل عليم ان ردها يعنى عليم وسأل عني وقد قصدت في وهي معي وحضر عندي الساعة وسلمها الى وقال قد ركت طريق تبرأتى فأخذنا غنى ما عليه اسمنا به بالجهود وطلب والذى والرجل وده ان يقم عندما ليسم اليه ما يقهر فيه فلم يفعل وعاد الى بلده قال وهذا الرجل بالدران في هذا الزمان

(فصل ١١) في هزم نور الدين على انه دخول الى مصر قال الامداد وكان صلاح الدين وعاذه نور الدين ان يجتمعوا على الكرك والشوبك ينشأون فيها يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم العزم الاجزم والراى الاخرم فاتفقوا فاجتمع عاتق ولم يقدر الا اتفاق قد مر افاق قلبي في تلك السفرة شدة وعدم خيلا وظهرا وعدمه ما داني القاهرة في الاصف من ربيع الاول قال ابن الاثير وفي سنة سبع وستين ايضا جى ما اوجب قفرة نور الدين من صلاح الدين وكان الحاضرين نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلاد الفريخ والقتول على الكرك ومحاصرة ليجمع هو ايضا عساكره ومسير اليه ويجتمعها هناك على حرب الفريخ

والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين بترفعان ورجيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهيزوا لهم ينتظرون وداهم من صلاح الدين برجيله لرجل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك فوصل اليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فأما ذلك به فمقدر فيه عن الوصول باختلال البلاد وأنه يخاف عليهم أجمعين بعد دعوتها فعد اليها فقبل نور الدين عهده وكان سبب تقاعد عددان أصحابه وبخواصه خوفهم من الاجتماع بنور الدين بحيث لم يمثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على القبول الى مصر واتخاذ صلاح الدين عنها قلعاً لحرب الى صلاح الدين فجمع أهله وقيمهم وأهله فخرجهم الى مصر وناله شباب الدين الحاربي ومعه سائر الامراء وأعلمهم بما يلزم من عزم نور الدين على قصده وأخلصهم منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء فقام ابن أخيه متقي الدين عمر فقال ادلجنا متاعاً فلتأمد ودنا عن البلاد وفاقه غيره من أهله فشقهم فجمع الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وكان ذارياً ومكر وكيد وعقل وقال لمتقي الدين اقمه وسبه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شباب الدين غالباً أتلقى في هؤلاء كاهم من يجلبك ويريدك الخبر مثلاً فقال لا فقال نعم الدين وأهله لورأت أنا وهذا خلل نور الدين لا يمكننا إلا أن نرجل اليه وتقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا بضرب هتلك بالسيف لفضلتنا إذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراهم الامر اوعا الصاكر لورأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعها الا التزول وتقبل الأرض بين يديه وهذه البلاده وقد فلتنا فها نحن اراد عزك فأى حاجة به الى الحجى يا مارك بهكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته وبولى بلاده من يربد وقال للجماعة كلهم قوموا عافى من مالك نور الدين وعبيدكم يفعل بامام يديدهم قرا على هذا وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا جمع الدين أيوب بانه صلاح الدين خال له أتت جاهل قليل المعرفة فجمع هذا الجمع العظيم وتطلعهم على ما في خيلك فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه وأولاهب العبد ولو قصدك لم ترمك من هذا العسكر أحد وأكافأ أسلوئك اليوم إلا أن بعد هذا المجلس فيه كبتون اليه ويعرفونه فقولوا وتكتب أنت اليه وترسل في هذا المعنى وتقول أى حاجة الى قصدي يجي فجاب ياخذو بحبل يضعه في عنقي فهذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بجاهلهم عندهم ولا يام تندرج وأهله كل وقت في شأن فعل صلاح الدين ما أشار به وأهله فلما رأى نور الدين رجعتهم الامر هكنا عدل عن قصده وكان الامر كاهل نجم الدين توى نور الدين ولم يقصده

ولا زال هو كان هذا من أحسن الاراء وأجودها

(فصل ١٠) في الحام فالباين الاثني وفي سنة سبع وستين أمر الملك العادل نور الدين بالتحاذا لحام الهواوى وهى المتاسب التي تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها فلما تخلفت في سائر بلادها وكان سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت ملكته فكانت من حداثتها الى باب هذان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لهم اليه ريلتوا لبعض الثغور فالى ان يصله الخبر ويسير اليهم يكونون قبلوا بعض الثغور فحينئذ أمر بذلك وكتبه الى سائر بلادهم وأجرى الجرايات لاولهم بها فوجد بها راحة كبيرة كانت الاخبار تراثيه لوقتها لانه كان له في كل نفر رجال من تيون ومعه من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا راوا أو سمعوا أمر أكتبوه لونه وعطفوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هومنها في ساعته فتشغل الرقة من طائر الى طائر آخر من البلد الى سائر بلادهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان فصل الاخبار اليه فاختفت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا اقره فأما الخبر يومه فكتب الى العساكر الجوار فطلب الثغور بالاجماع والسيرة بسرعة وكسر العدو ففعلوا ذلك فظفر واوالفرق قد آمنوا بعد نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضي عنه فها كان أحسن نظراً على بلاد بلاد وقال العادل وكان نور الدين لا يقيم في المدينة أيام الريم واليسيف ومحافظة على الثغور وناس الحيف ليجي البلاد من العدو بالسيف وهومتوفى الى اخبار مصر وأحوالها تحقيق اعتدالها تحقيق اعتدالها فترأى اقتداء الحام بالناسيب وتبرجها على الطير ان تعمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى مكتبه شرف لارباها عازلاً أصحها وهو حجتنا فظفر دمشق عجم بوادى اللون ونحن مستظرون في ذلك الاوان عادون على أهل العدول وذلك في سابع عشر ردى القعدة من السنة ثم ذكر نسخة المنشور ووصف فيه الحام فقال (هى براند الانبأ المختص صامت بفضيلة الحام والايها وهى فيوج الرسائل

للمأمونة الأبطه والسباغات المخرج في الاعتدله والحاملات لمطافات الاسرار في أقرب مدخل أبعد غايه والموصلات
مهبطات الأخبار في قمتها من أقاصي الامصار كما قيل هدايه والقاطحات في ساحتها الى البلاد أحوار القفار
والوادي والناغات بنحج المرام بعد السهام الى المرامي وهي تطوى القراسخ الجديت والاشواط في ساعه وتنتهي
الى أقصى عنان الطاعة بأن استطاعه وقدمها بنفع المراطيين والنزاهة والنجاهدين في سبيل الله في اهداء أخبار
الكفر واليهن لما كنهم دالة على مكايدها ومكاسها طائر يكسبهم اليمن ورواهم من اللطائف والسراري ما مظهر لهم
من أحوالها غيايا بالامور الخفايا وانها المومة المطار مأمونة العثار سالمة على الاخطار مهدية في الاسفار امينة على
الاسرار ساجدة الى الاوكار صادرة بالاطوار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبا الصكفار قلت وكل هذه اوصاف
حسنه وعبارات مستحسنه وقد بلغتني عن القاضى الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف
واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوئس جزاء لخيرها ونزول الملائكة على الانبياء عليهم
السلام من السماء مع فرط ما فيها من الالامة لا يتوهم من جهة خيانتها فقلنا حسن فيما وصف وأبعد فيها الاستنبط
وأنصف وهو بذلك أولى وأعرف رحم الله الجميع

(فصل) في ما في حوادث هذه السنة قرأت نسخة سجل يسقط المكوس مصر قرئ على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة
بعد الصلاة ثالث مفرسة سبع وسبع وخمسة عن السلطان الملك الناصر في أيام نور الدين رحمه الله فهو كان الأمر
وذلك المنبر يقول فيه (أما بعد) أنا محمد الله سبحانه على ما مكن لنا في الارض وحسنه عندنا من أداء كل نافعة وفرض
وتسبنا له من إزالة المنصب عن عباده واختارنا له من الجهاد في الله حق جهاده وزهنا فيه من متاع الدنيا القليل
والهمناس بحسبة أنفسنا على التقبر والقتل وأولانا من جماعة السجادة في منابها اشعلت عليه الدواوين وبها
نقطع ما سقاها النيل فالشرا في أمانا تشرى شغوا ورا والمساكن نظام الجهر تيم الواحدة منها الاخرى
والمساكنات قدملات المسام والمطامع واضطت الخبج والصنابع وأرضت المنبر والجامع والمقادير أوزار الريعة
رايت المكوس الدويانة بمصر والقاهرة وأولما هلتنا هلم ان تكون لنا في الدنيا ان تكون لنا في الآخرة وان نخرج
ومنها ليس أنواب الأجر الفاضله ونظهر منها مكاسينا ونصون عنها مطاينا ونفكي الرعية ضرمهم انى
يتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ونعيد هذا اليوم كامن الداهي ونضعها فلا
ترفعها من بعد يد حاسب ولا قلم كاتب فاستقرنا الله ونحسنا اليعلرضي رؤا بنا فرصة أجر لا تنقض عليها بصائر
الابصار ولا يضيئ نخرج أمرنا بكتب هذا المنشور بمساجدة أهل القاهرة ومصر وجميع اخبار المترددين اليها
والى ساحل المقسم والمنية بأبواب المكوس صادرها واردها فيرد التاجر ويسفر ويغيب عن ماله ويحضر
ويقارض ويخبر راء بحرا من كآوتها سرا وجهرا لا يجل ما شذمولا يحاول ما عتده ولا يكتف ما ستره ولا يسأل
ما أورد وما صدره ولا يستوفى في طريقه ولا يشترى بريقه ولا يؤخذ منه طعمه ولا يستباح لمصره وانى اشعلت
عليه المساجدة في السنة من العين مائة ألف دينار مساجدة لا يشوم تأويل ولا يفتقره فيقول ولا يعثر به لزل ولا
يعتبرها اتقال دائمة بدوام الكلمة قائم مقام دين القبي من عارضها ردت أحكامه ومن اقضها نفض لزامه
ومن لزمها زالت قدمه ومن أخطأ حاله ومن تقبها خلقت الجنة فيه وفي عقبه وس احتاط لذاته فيها أساط
يبالجم الذي هو من خطبه من قرأه أو قرئ عليه من كآوة الامر من صاحب سيف وقلم ومشارف أو أنظر
قلبتل مائل من الامر وليضع على عزاءه من ضياله به عضيا لما ربه وقبها توفى الشجر أبو بكر يحيى بن سعدون
القرطبي القرى القوي هو وزير الموصل رحمه الله تعالى وفيها ولد للنز والظاهر بان اصلاح الدين وللتصور
ومحمد بن قتي الدين وفيها ثالث شوال توفى أبو الفتح نصر بن عبد الله الاسكندري المصري فبان قلاص
الشاعر عبيد ابومحمد بلال سكندر ربيع أربع ربيع الأخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسة فيكون عمره نحو ما من خمس
وثلاثين سنة

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسة) في قبها توفى ملك الجيا طلس بن صالح وفيها ترتب العباد الكاتب
مشرقا فديوان نور الدين مضافا الى كتابة الانشاء قال وكان نور الدين في صكها العيا لفتا الزعيا لا يتب عليه

•

لم يتفق الذهب المربى بكثرة * على المساومة فقرر الى الذهب

العتاة الى بغداد مع هذا باوتحف سنايا

(فصل ١٠) في جهاد المسلمين على الفرنج في هذه السنة قال العماد دوزل صلاح الدين على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون فخرج باوق في غنارها فخرج عرب غنارها وشتت على أعمال الحامسار ياه بغاراته ووصل منه كتاب بالمال للفاضل (سبب هذا ما قصته على مولانا مالك العدل) أعز الله سلطانه ومد أمد احسانه وسكن بالتمر لملكه وشيد بالثأر ملكه وخصر أنصاره وأعان أعوانه علم الملوكة مجاوراً المولى بأن يقصد الكرك بما يقص من أخضتهم وبقتل أسلحتهم وقطع مواضعهم وجذب بلادهم وأكبر الأسباب المعينة على ما رويهم من هذه المصلحة أن لا يبق في بلادهم أحد من العرب وأن يقتلوا من ذل الكفر إلى عز الأيمان وبما اجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده من أعظم أسباب الجهاد فحبل كبري أسلحتهم والحرص في تبديل دارهم إلى أن صار العدو اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ولا يستطيع حيلة ولا يتدبى سيلة (ثم ذكر باقي الكتاب قال ابن شداد: وهذه أول غزوة وغزاه صلاح الدين من الدار المصرية وأما ما دلى الكرك والشوبك لأنها كانت أقرب إليه وكانت في الطريق فخرج من قصد الدار المصرية وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يصرها بالعدو فأراد توسيع الطريق

في اختيار (٢٠٧) الحديث

يسهله ليتصل البلاد بعضها ببعض وتصل على السابلة تخرج قاصدا الحافى أنسا عسنة ثمان وستين فحاصرها
جرى بينه وبين الفريخ وقاتل وعاذ عنها ولم ينظر منها بشئ في تلك الأضعة وحصل ثواب القصد وأما نور الدين فانه
بع مرعش في ذي القعدة من هذه السنة وأخذ بهنئ في ذي الحجة منها وقال العادل حضرت عند الملك العادل
ووالدين بدمشق في العشرين من صفر ووجهه يتورأ بالبشر قد سفر والحديث يجري في طيب دمشق وحسن الانها
برقة هوائها وبهجة هوائها ولزها رأرضها كثر سمائها وكل مناجدها وحببه يحكمها وكل منابرها قتال
ووالدين أحب الجهاد يصلني عنها فأرغب فيها فأرتجلت هذا المعنى في الحال قلت

لدي في الدنيا جيماء * بلدة مثل دمشق

ويصلي عنها * في سبيل الله عشق

والنقى الاصل ومن * يتركها بشق ودينق

كم رشيقي شغل عنه * بهم الفزور شقي

وامتساق اليه نرى * عنه بالاقلام شقي

قال وسألتني نور الدين أن أعمل دويتيان في سبني الجهاد على لسانه قلت

للفزور ناطق واليه مطروى * مال في العيش غيره من أرب

بالجندو بالجهاد فنجح الطالب * والراحة مستودعة في التعب

وقلت أيضا

لاراحة في العيش سوى ان * أغزوسني طرأ إلى الطلي مئز

في ذل ذوى الكفر يكون العز * والقدرة في غير جهاد عجز

وقلت أيضا

أقمت سوى الجهاد ما إلى أرب * والراحة في سواء عندي تعب

الاب الجسد لا ينال الطلب * والعيش بلا جد جهاد لعب

قال واتفق خروج كلب الروم العيين في جنود الشهابين بقصد القارة على رواد من ناحية حوران وهم في جمع غلب
كثرت الخبر والعيان وزلوا في قرية تعرف بمسكين فركب نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم يعسا كره
عليهم فلما عرفوا وصولهم حلوا إلى القوارع إلى السواد ثم نزلوا ليلة لالة ونزل نور الدين في عشرا وغدس ما جرى فأنفذ
سرية إلى أعمال طبرية واغتنم خلوتها فأدبلت تلك الليلة وجدت في سس القارة غدوة فلبا عادت لحلق الفريخ
عند الحفافة فوق الشجعان وثبت من ثبته الايمان حتى عبرت المياه وانفصلت تلك القضية ورحل نور الدين
من عشرا قتل بظاهر زرا قال العادل وكنت راكبا في لقائهم مع الملك العادل وهو يقول لي كيف تصف
ما جرى فحدثه بقصيدة

عقدت بنصرك راية الايمان * وبدت لعصرك آية الاحسان

يا غالب الظلم الملوك صائد * صيد الليث وفارس الفرسان

يا سائب النيجان من أرب لها * حزن الخنار على ذوى النيجان

محمودا المحمود ما بين الوري * في كل اقليم بكل لسان

يا واحد في الفضل غير مشارك * أقمت مالك في البسيطة ثمان

أحلى أمانيك الجهاد وانه * لك مؤذن أبدا بكل أمان

كم يكره اولاده نبالك من * حرب لقمع المشركين عوان

كم وقعة لك بالفريخ حديثها * قد صار في الامايق والبلدان

فقتت قومهم هوداء من ردى * وفرت رأس برقمهم بسنان

وملكت رقملوكم وتركتهم * بالذل في الاقياد والاشجان

مكتاب (٢٠٨) الروميين

وجعلت في أعضائهم أغلالهم * ومحببتهم هرونا على الأذنان
 اذنى السوابغ تعطلم السرقاتنا * والبيض تخضب بالصبغ اتقاني
 وعلى غناء الترفيق في الطلى * والهمم رقص عوالي المراتن
 وكان بين النقع لمع حديدتها * نار تالق من خلال دخان
 في حلق ورد الوريد مصكفل * فيه برى الصارم النظمآن
 غطى الجاهج به نجوم سمائه * لتتوب عنها أنجم الترمسان
 أو ما كفاهم ذلك حتى عاودوا * طرق الضلال ومركب الطفانيان
 يا نبيبة الافرنج حين تجعوا * في حيرة وأتوا الى حوزان
 وحلوت نور الدين نالة كفرهم * لما أتيت بواضع البرهان
 وهزمتهم بالرأى قبل لقائهم * والراى قبل شجاعتها الشجيمان
 أصبحت للإسلام ركنا ثابا * والكفر منك مضجع الأركان
 قومت أساس الضلال بعزمك * الماضي وشدت حبابي الأيمان
 قل أين مثلك في الملوك مجاهد * لله في سر وفي باعلان
 لم تلقهم ثقة بقوة شوكة * لكن وثقت بنصرة الرحمان
 ما زال عزمك مستقلا بالذى * لا يستقل بشعله الثقلان
 وبلغت بالتأييد أقصى مبلغ * ما كان في وسع ولا إمكان
 دانتك الدنيا قاصدا * حققته لنفاذا ثمك داني
 فن الصراقات الى الشام الى ذرا * مصر الى قوص الى أسوان
 لم تله عن باقي البلاد وأغا * المالك فرض الغزو عن هذان
 للروم والافرنج منك مصائب * بالترك والاكراة والعربان
 اذعنت لله المهيمن اذعنت * لك أوجه الاملاك بالاذعان
 أنت الذي دون المسالك وجدته * ملآن من عرف ومن عرفان
 في بياس عروفي بباله جسد * في نطق قس في نقي سلمان
 سير لول الوحي ينزل أنزلت * في شأنها سور من القسآن
 فاسلم طويل العزمته المدي * صافي الحياة بخلد السلطان

وهي قصيدة مائة وصف فيها أمر إيهام الحاضر من الجهاد معه ومذهبهم

(فصل) في فتح بلاد النوبة قال العمادوفى جادى الاولى غزا شمس الدولة تورا شاهن أبوب أخوصلاح الدين بلاد
 النوبة وأرادهم سدا. المرويه بفتح حصنها لهم يعرف بآريم والان لا يريم وهي بلاد عديدة الجدى عظيمة البوى ثم
 رجع بالسي وعاد به الى أسوان وقرق على أصحابه في القناطر السودا وقال ابن أبى طى الحلى وفيها اجتمع السودان
 والصبيد من بلاد النوبة وخرجوا في ام عظيمة فاصدين ملك بلاد مصر وصاروا الى أعمال الصعيد ومحموا هلى
 قصدا ولون وحصارها ونهبها وهاو كان بها الامير كثر الدولة فأنفذ يعل الملك الناصر وطلب من متعدد فأنفذ قطعة
 من جيشه مع الشجاع البعلبكي فلما وصل الى أسوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد أن أخبروا أرضها فاجتمعهم
 الشجاع والكتز فحرب عظيمة قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع الى القاهرة وأخبر بفضال
 العبيد وتكلمهم من بلاد الصعيد فأنفذ الملك الناصر أناه شمس الدولة في حرك كيف فوجدهم قد دخلوا بلاد النوبة
 فسار قاصدا بلادهم وشعن مرأب كثيرة في البحر بالرجال والميرة وأمرهم بالهاتف الى بلاد النوبة وصار اليها ونزل
 على قلعة ابرم واقتحمها بصعد ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها من المال والكراع والميرة وتخلص جماعة من
 الاسرى

الانصار (٢٠٩) الدين

الاسرى واسر من وجدهم فيها وهرب صاحبها وكتب الى السلطان بذلك فأنشد السلطان أبو الحسن بن النعماني يمينه
بفتح ابريم قصيدة منها

فقد تم العزم فذا مبتداه * بقصر من ملك الارض محتواه
واسحب ذبول الجيش حتى رى * أنجبه طالعة عن دجاء
سوالين أنقى عصاه بها * قنطرة لما استقرت بواه
عليك بالروم ودع صاحبنا * ج اذا شئت ونور انشاه
فقد غدت ابريم في ملكه * تبهر أمرافيه كبت العداه
لا بد للنسوة من نوبة * ترضى لسيط الكفر دين الاله
تقلل من نوبة منسوبة * لعزومة كامنه في اناءه
تكسو انقراة القاطن أرضها * مانصبته للرب ابدى انقرا
سودت محرم الباحولما * كاهن الرمد يدبنت للاحاه
أولافسرى يحتملها القنا * مثل دنان بزتها للقاء
له جيش منك لا ينثنى * الانصل دميت شفرته
ما بين عقبان وليكنها * خيل وفرسان كمثل النزا
أما حرب فوق أيديهم * أسود الطعن فهم كاللواء

تقلدوا الانهار واستلوا مواسم الغدران فالتبران بقري مياه

قال ثم رجع شمس الدولة الى أسوان ثم الى قوص وكان في محبته أمير يقال له ابراهيم الكردي فطلب من شمس الدولة قلعة ابريم فاقطعها باها وأخذ معه جماعة من الأكراد البطالين فأحصولوا فيه آثار قوافر فاوكلوا في شئون القلعة على بلاد النوبة حتى رزحوا بهم واكتبوا أموالا كثيرة حتى غفرت أرزاقهم وكثرت مواشيهم واتفقوا بينهم عددا الى جزير من بلاد النوبة تعرف بجزيرة ذبدان ففرق أميرهم ابراهيم وجماعته من أصحابه ورجع من بقي منهم الى قلعة ابريم وأخذوا جميع ما كان فيها وأخادعوا بعد مقامهم بها ستين عاما النوبة اليها ولم يذكرواها وأخذت النوبة رسولا الى شمس الدولة وهو مقيم بقوص ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هدية عسود وجارية فكتب له جواب كتابه وأعطاه زوجة شاب وقال مالك عندي جواب الا هذا واهبط رسولك يعرف بمسعود الحلبي وأوصاه ان يكشف له خبر البلاد ليدخلها فسلم الحلبي مع الرسول حتى وصل دنقله وهي مدينة الملك قال مسعود فحدثت بلاد ارضي قليس ثم زرع الا اذرة وعندهم غل صغار منه ادامهم ووصف ملكهم بأوصاف حسنا قال خرج علينا يوما وهو عريان قدركب فرسا ساهيا وقد لثف في ثوب اطلس وهو أقر عيسى على رأسه شعر قال فأثبت عليه فضحك وتقاتلني وأمرني ان تكوي يدى فكوي عليها هيئة صليب وأمرني بقدر خمسين رطلا من الدقيق ثم صرفني قال وأما دنقله قليس فيها عمارة الادار الملك فقطعوا فيها الخاص

(فصل في وفاة نجم الدين أبوبه والصلاح الدين وطرف من أخباره قال العماد وركب نجم الدين أبوبه فشب به فرسه بالقاهرة عند باب النصر وسط المحمية يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وحل الى منزله وعاش ثمانية أيام ثم توفي في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي الحجة وكان كرميا رحما عطايا حلما وباهما مديحا وفيدا وهو متلف الموجد يبذل الجود وكان له صلاح الدين عنه غايبا وفي بلاد الكرك والشوك على القزاق مواضع فدفن الى جانب قبر أخيه أسد الدين في بيت بالدار السلطانية ثم تقلب بعد ستين الى المدينة الشريفة بالنسوبة على ما كانت أفضل الصلاة والسلام والخيرة والاكرام والجلال والاعظام وعلى آله وصحبه وسلم قلت وقبره في ربة بالقوزير جمال الدين الاصفهاني وزير الموصل المقتد كرههم الله وقال القاضي ابن شدولما عاد صلاح الدين من غزاه بلغه قبل وصوله الى مصر وفاته فأتاه نجم الدين فشق ذلك عليه حيث لم يحضر وفاته وكان سبب وفاته وقوعه من الغرس رحمة الله وكان شديد الرخص ولطيف الكرمية حيث من رأيه يطع بهما قبل ما يموت الا من وقوعه عن ظهر

مكتاب (٢١٠) الروستين

الفرس ومن كتب فاضل عن السلطان الى عز الدين فرخ شاه بمصر يقول فيه (صع من المصاب بالمولي الدارح خفر الله
لهذنه وسقى بالرحمة تربه معظمت به اللوعه واشتدت الروعه وتضاعفت لفتنتاهن مشهده الحسره فاستنهضنا
بالصبر فاني وانحدرت العبره فياله فقيدا فقد عليه العزاه وهانت بعده الارزاء واستزحل البركة بفقدته فهي بعد
الاجتماع جزاء وتخططه بدلا ردى في خيقي * هيني حضرت فكنت ماذا اصنع

قال ابن ابي طي الحلبي هو الاسير نجم الدين ابوبين شاذي ولا يعرف في نسبه اكثر من والده شاذي وحدثني ابي
رحمائه قال كان تقي الدين عمر زيد فيقول شاذي بن مروان قلت وصحت انا من يقول شاذي بن مروان بن
يعقوب قال ابن ابي طي وقد ادعى ابن سيف الاسلام لما ملك اليمن انهم من بني مروان بن مجد الجعدى المعروف
بالجارضي آخر خلفاء امية قال وقتقت عن ذلك فاجمع الجماعة من آل ابوب ان هذا كذب وان جميع
آل ابوب لا يعرفون جدا فوق شاذي وكذلك أخبرني السلطان الملك الناصر رحمه الله قلت ودليل صحة ذلك اني
وقعت على كتاب وقف الزباط الصبي يدمشق ولم يرد فيه على نجم الدين ابوب عبيد ابوبين شاذي العادلي وابن
سيف الاسلام هذا هو الوفاء اسماعيل بن طغتكين ابوبين شاذي بن أخي السلطان صلاح الدين ملك اليمن
بعده وناظم الى انولى فضا خلافة وادعى انهم من بني امية وعزم على اعادته خلافة من بني هاشم الى بني امية وله
في ذلك اشعار كثيرة وتلقب بالامام الهادي بنور الله المعزدين الله امير المؤمنين ومدحه كثير من الشعراء بذلك
وزينه الله فله ما هو فيه من شعره

واني أنا الهادي الخليفة والذي * اودس رقاب الغلب بالضر الجرد
ولا بد من بغداد طوي روعها * وانشرها نشر السماء سر البرد
وانصب اعلاي على شرفاتها * واحي بها ما كان اسسه جدتي
ويخطب في فبها على كل خير * وأظهر دين الله في القور والجد

قال ابن ابي طي وكان نجم الدين ابوب عدلا مرصيا كثير الصلاة والصلات غزير الصدقات والخيرات يحب العلماء
ويحبل الى الفضلاء وكان محمدا حاد العمد الكاتب بجيلة قصائد قال وكان مولد نجم الدين ابوب بيلد شغتنا كذا
حكاه مؤيد الدين ابن منقذ وحدثني جماعة ان مولد نجم الدين كان بجيل جور وري في بلد الموصل وشاشا عابا سلا
وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلا وسدادا وشهامة فولاة قلعة كريت فقام في ولايتها أحسن قيام
وضبطها أكرم ضبط وأجلى من أرضها المفسدين وقذاع الطرقي وأهل العيث حتى عمرت أرضها وحسن حال أهلها
وامنت سبلها فحاول السلطان مسعود الملك اقتلع قلعة كريت لمجاهدة الدين بهروز الخادم ثمخنة بغداد ومثولى العراق
وكان هذا بهروز امرا يغذأه في جميع العراق الى البصرة قالى الموصل الى أصفهان وكانت خيله خمسة آلاف فارس
فاقر الامير نجم الدين في ولاية كريت وأضاف اليه النظر في جميع الولاية المتاخمة له وقرر امره عند السلطان مسعود
وجعل بهروز قلعة كريت عزامة والاه وبيت عقائه وجعل جميع ذلك منوطا لامير نجم الدين وسعد وقابحهته
وكان نجم الدين عظيما في أنفس الناس بالدين والسياسة وكان لا يمر أحد من أهل العلم والدين به الا
جل اليه المال والضيافة الجلية وكان لا يسمع باحد من أهل الدين في مدينة الانذالية وقد ذكر العمد الكاتب
في سيرة السجوقية الامير نجم الدين وقرظته وأثني عليه وذكر من دينه وعفته ووفور أمانته وكثرة خيره وأشده حسنه
وحكى قضية عمه الفريز رجب حبس عند بطلة كريت من جهة الوزير الفركز بنى وأمر بجلته فاني نجم الدين الى ان
قتله بهروز بنصحه بالفرز بنى ثم ان السلطان مسعود احسنه فخرج الى أخذ السلطنة فوطعهم هو وأتابك زنكي
ابن آق سنقر في بغداد وجر داعسكرا فغضوا سرا الى كريت طامعين في بغداد فاقبلوا وتلاقوا مع راجه الساقى وهو
أتابك السلطان محمود بن الفريز فارس عليهم ثم اردفهم بصكر فغضبهم فمزقنى وقتل جماعة من أصحابه وجدهم
مكنا في عسكره ولما الى سور كريت وبه عترة جراحته وعلم به الامير نجم الدين وأخو شير كوفته فاداه الى القلعة
بجبال بدول يابر لمته وتعددها احسن خدمة وقرر اليه فاقام عند هاجرت بكت خمسة عشر يوما ثم حارب الى الموصل
ها هو وتظهر فاعطياه جميع ما كان عندهما من القدر حتى انهم أعطياه جملة من البقر حل عليهم ما سلم معهم

امتنته فكان زكي يرى لا يوب هذه اليد ويرى له هذه الصيغة ورواه لها بالوالا لطف مدة مقامه في تكريت فلما انفصل عنها على ما سئذركم متفان زكي بالرحب والسعة واحترامه واحترام اعطاهوا قطع مدة قطاعه وكان نجم الدين قد ساس الناس بتركيت احسن سياسة حتى ملك بذلك حيلت قلوبهم وكان أخوه شير كومه في القلعة وكان معها باسلانية من القلعة وبصعد اليها في اسبابه وحاجاته وكان نجم الدين لا يفرق القلعة ولا ينزل منها فاتفق ان أسد الدين نزل من القلعة يوما لبعض شأنه ثم عاد إليها وكان جنودهم كاتب صاحب القلعة قوارص وكان رجلا نصرانيا فاتفق في ذلك اليوم ان النصراني صافق أسد الدين صاعدا الى القلعة فحيت به بكلمة حمئة فبدأ أسد الدين سيفه وقتل النصراني وصعد الى القلعة وكان مهيبا فلم يقبله أحد على معارضة في أمر النصراني وأخذ النصراني في رجله فالتقى من القلعة وبلغ هروز صاحب قلعة فكر بشماجى وحضر عنده من خوفه براه أسد الدين وانده وعشيرة كبيرة وان أحاط نجم الدين قداسة وذهلى قلوب الرعايا وانهم لما كان منهما أمر فقتلوا عاقبته وبصعب استندوا كمن كتب الى نجم الدين يشكر عليه ما جرى من أخيه ويأمره بتسليم القلعة الى نائب سيره بحجة الكتاب فاجاب نجم الدين الى ذلك بالصبر والطاعة وأرسل من القلعة جريحه ما كان له به من أهل وقال واجتمع هو وأخوه أسد الدين وصمى على قصد عماد الدين زكي بالواصل وتم ان أسد الدين كان خرج الى الموصل قبل نجم الدين وأعطاهم أهل تكريت خروج نجم الدين من بين أظهرهم ولم يبق أحد الا خرجوا به وأظهر البكاء والاسف على مفارقتهم ولما انفصل بانابك زكي قد ودهما افرجه ذلك وأمر الموكب ببقائهما وكرهما كراما عظيميا وانقطع ما في بلد شهر زورا قطعاً عسافيا وتقبل انما قطع أسد الدين بالموز روبري عيسى أسد الدين ورجال الدين الوزر مودة عطية حتى حلف كل واحد منهما لآخر انه يقوم بأمر في حياته وبعد وفاته ويحرم دجال الدين في أمر اسد الدين وأمر أخيه نجم الدين حتى فرجهما من قلب أنابك وجعله ما عسده بالقتلة العتيقة ونور ماله الى الشام وشهد معه حروب الكفار وقتل الكفار فخرج لعنه الله وكان لاسد الدين في ذلك الوقائع البدل البضاء والآنفة الغراء وحديثي أفرجه الله قال حدثني سعد الدولة ابو اليمان القويلى وكان أحد أصحاب نجم الدين أيوب قال وحدثني أيضا بهذه الحكاية بجمعة الدين بن داية الملك الصالح قال حدثني حسام الدين سقر غلام الامير نجم الدين أي طالب وكان سقر هلك بخدم مع الامير نجم الدين أيوب بن شاذى قال كنت في حفاة الامير نجم الدين لما انقذه نزل الدين بن زكي الى ابنه السلطان الملك الناصر الى مصر من أجل قطع خطبة المصريين وأقامة دعوتهم في العباس في أول سنة سبع وستين وخمسائة واتفق اني كنت حاضرنا وقد اجتمع السلطان الملك الناصر ووالده الامير نجم الدين في دار الوزارة وقد عدل على طرأقة واحدة والمجلس خاص بآرب الدولتين وعند الناس من الفرح والمسرور وما قد اذهل العقول فينا الناس كذالك اذ تقدم كاتب نصراني كان في خدمة الامير نجم الدين فقبل الارض بين يدي السلطان الملك الناصر والامير نجم الدين والتفت الى نجم الدين فقال له يا مولاي هذا تاول فقاتلي لك بالاسم حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم أخذ في حديثه وشكره واثنت عليه والتفت الى الجماعة الذين حولوه واقتضوا الامراء وقال لكلا هذا النصراني حكاية بحجة وذلك انني ليهن زقت هذا الولي يعني السلطان الملك الناصر أمر في صاحب قلعة فكر بتجارية عنها بسبب القلعة التي كانت من أي أسد الدين شير كومه رحمه الله وقتله النصراني وكنت قد ألقت القلعة وصارت لي كالوطن فتقل على الحرج ومنها والحقول عنها الى غير ما واغتمت لذلك وفي ذلك الوقت جاني البشر بولادته فقامت به وتغيرت لما جرى علي ولم افرجه ولم استبشر ونرجحنا من القلعة وما على طريقي به لا كذا ذكره ولا اسميه وكان هذا النصراني حي كنيها فلما رأى ما نزل لي من كراهية الطفل ولتسامحه استدعى عني ان أدن له في الكلام فأنذته فقال لي يا مولاي قد رأيت ما قد حدث عندك من العيرة بهذا الصبي وأنى شئ له من الذنب وما استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر ولا يفتي شيئا وهذا الذي جرى عليك فضاء من الله سبحانه وتدرهم ما يدرك ان هذا الطفل يكون ملكا عظيم العيت جليل القدر قطعتي كلام عليه وها هو قد لوتني على ما كان قاله تعجب الجماعة من هذا الاتفاق وجد السلطان ووالداه سبحانه وشكراه فلبسوا بمارية في نجم الدين مداخعي ومناشعها قوله

ففسر الزمان بفهم الدين بمقيم * وجهه بدوام العزم متمم

مكتتاب (٢١٢) الروضتين

اضحى لك النيل مجسوماً معتبراً * كأنه حل فيه الحل والحل والحل
جاءت بسوك وشمل الدين منتثر * قفار عوا عنه فهو اليوم منتظم
ولم ير أحد من قبل رؤيتهم * أن المخلوط بطن الأرض تقسم
نامت حيرت الزوى في عدل سيرتهم * كان يقتلتنا في عصرهم حل
والناصر ابنك كاف كل مضلة * إذا الحوادث لم يكشف لها غم
اعز بالأس والاحسان حوزتنا * فلم يلبنا خوف ولا عدم
تبسم للفت من أيوب عن ملأ * تخطهن قدره الاقدار والحمم

وقال في مدينته

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره * على هول ملقاهات ضاعف أجره
اذم مصباح الاربعاء فانه * تبسم عن قسر المنيه بفسره
أسباب الهدى في نجه بصيرة * ندعى سماك المزة منها ونسره
فلا تغفلوا واعلموا أن يكي * على قدا أيوب قد بان عذره
اقام بأعمال القسرات ونيله * براع بهابيل العز وصره
الى ان دماها من أنحبه بضم * فرى نابه أهل الصليب وتفره
فما قضى نغصى حياة ودولة * بأمره في ادراكها تم أمره
تعا قبما مصر فعاق وابيل * بيت بخطر النيل ينهل قطره
نزلت بدار طها خلقتها * فذاك مغنا وقطره قطره
روا نيتي في البرجيا وميتا * قدرك في دار القرار وقبره
وقد شغفت أهل البقيع الكفا * والافسكان الجبون وحضره
هنيئاً لثبات والعز عزه * وقدرته فوق الرجال وقدره
وأدرك من طول الحياة مراده * وما طال الاقصر من الله عزه
وأسمه خلق الله من مات بعدما * رأى في بني ابنائه ما يبره
شهيد تلقى ربه وهو صائم * فكان على أجر الشهادة قطره
مضى وهو راض عنك لم ترم صدره * لفتيق ولا جاشت من التيقظ قدره
سعى حوزة الاسلام والدين بصد * ثمانية من أجلهم عز نصره
فكيف لحبس آل أيوب أسده * لقد بان خوف الدهر منه وزهره
رعى الله نجما تعرف الشمس له * أبوها وفوز البدر منها وزهره
وابقى المقام الناصري فانه * لدولكم صك نزاله وزهره

وقال أيضا

صفوا الحياة وان طال المدى كدر * وحادث الموت لا ينق ولا يدر
وما يزال لسان الدهر ينسج لنا * لو أشرت عندنا الآيات والنذر
فلا تقل غرت الدنيا مطامعنا * فنامع الموت لا غش ولا كدر
كأن إذا ما الردى حيا الحياة بها * لم يضمن مكرها أنقى ولا ذكر
كأن الخ عز لا في القل من يدها * ما أضف القدران الوى به القدر
في كل جيل وعصر من وقائعها * شعوا بقطر منها التاب والظفر
أودى على وثمان غلبها * ولم يقتها أبو بكر ولا عمر
ومن أراد التأمي في مدينته * فلوروى رسول الله محسب

فماخيار (٢١٣) الدولتين

لجهم هوى من سماء الدين منكدرًا * والنجيم من اقصر هوى وينكدر
متلونة أبحر الجوزاء من جزع * لهو عطف الدلثا من شتر
وكيف ينمي بجيا بالكرم ومن * نفاه في كل عيش صالح أثر
جذبت من أسد الدين الشهدانا * حزنا به يشاوى الصبر والصبر
قد هككنا للدين والدين بمنك * ذكرى به عنده المارم الذكر
ان فاح نشر كلام غلمان به * مسكا فصرة أيوب بهى العطر
قضى نبال مصايح اذا طلعا * صبا وتضى ملوك الارض ان ذكروا
كانما صور الله الكمال بهم * شخصا ويوسف منه السمع والبصر
لا شوبك منه مصوم ولا كرك * ولا خليل ولا قدس ولا زفر
ليرقى قل فالا لا وساكنها * امام باج جاء اودم هدر
ملات أيوب الا بعد مجهزة * في المجد لم يوتها من جفسيه
مضى سعيدا من الدنيا وليس له * في رتبة اربابا ولا وطر
وطول الله منه مطيع اربعة * منها الهندى والتقى والمالك والامر
واشرف الملك ما مدت مساقته * في جمعة اخواها العقل والكبر
ومن سعاده ان مات لاسام * يشكو منه معانيه ولا ينحر

(فصل) قال الامام سار نور الدين قاصدا لكتاب التمهال لتسديدا المختل هناك من الاحوال فصار الى
طبيك ومنها الى حصى ثم حلب وفصل في كل منها من المصالح ما وجب وقصد بلاد طنج ارسلان ملك الروم فتح
مرعش في العشرين من ذي القعدة ثم فتح بيحى واتبع في كل منها الطريقة الحسنى وكتب العباد الى صديق
له يمشى وكان سافر عنها مع نور الدين الى اطيح فوصلها وهو من المشى

كأن قد تسك من مرعش * ونحوف نوابها مرعش
ونامر في طرقتها مبصر * صبح النواظر الاغشى
وما حل في أرضها أمن * من الضم والضرا الاغشى
ترجى نشوات انفسها * م كافي من كاسه من شتى
أمر واعلن بريح الجوى * فقللى يسر ودمى ريش
يفت لك مخرجى رشفة * لها كم حيك مرعش
وكيف يلد الكرى ضرر * بنار القرام حناه حش
بمرعش ابقى وبلوطها * مضاهات جلق والمشمس

قال الامام في الحريدة فسارت هذه القطعة ونفى حديثه الى نور الدين قال فاستند فيها فأشدها ياها ونحن
سارون في واد كبير مع يثين يدهت بهما في الحال وهما

والملك العادل استأنست * نجما متى كل مستوحش
وصالى الامام ككرم سوا * فان كنت تنكر ذا قش

قال ابن الاثير وفي سنة ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين طنج ارسلان بن مسعود بن
المر ارسلان بن سليمان السلجوقي وهى طابطة حراس وتونيه واقصرا عازما على حربه واخذ بلاد منه وكان سبب
لك ان ذا النون بن داود قائد صاحب طابطة وسواس وغيرهما من تلك البلاد قصد طنج ارسلان واخذ
الاموات رحمه عنها طريقا فصار الى نور الدين مستجيرا وبلغنا الى قلعه فأكرم نزله وأحسن اليه
رجل لما يطق أن يحمل للسلوك ووعده بالنصر والدمى في قتل ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد
بلاية أحسن المسلمين الا ضرورا وأما البستين بهما على قتال الفرنج أو خوف طغيانهم كما فعل بدمشق ومصر

وغيرها فلا تصدقوا الذين راسلوا عليكم ارسلا وشفع اليكم في اعدائهم اطلب عليهم من يلاذهم فليجيبوا ذلك
فان نور الدين محمود فابتدا بكيبيون وبهني ومرعش ورمزيان فلكها وما بينهما من الحصون وسير طائفة
من عسكره الى سيواس فلكوها وكان قلع ارسلان لما بلغه قصد نور الدين يلاذه قدسار من اطرافها التي تلي
الكاشا الى وسطها خوفا ورفقا وراسل نور الدين يستعطفه ويأله الصلح والصفح عنه فرتقب نور الدين عن
قصد رجاء ان يشغل الامر بغير حروب فاته من الفرغ ما ازعجه فاجابه الى الصلح وكان في جملته رسالة نور الدين
اليه (ان) اريد منك امورا ووافو اعدوهم ما تركت ثلثة اشياء احدها ان يتجدد اسلامك
على يد رسول حتى يصل الي اقرارك على بلاد الاسلام فاني لا اعتقدك مؤثلا وكان قلع ارسلان يتهم باعتقاد
مذاهب الفلاسفة والثاني ان اطلب عسكرك لقتل اعدائهم فانك تعلمت طرفا كبيرا من بلاد الاسلام وترك
الروم وجهادهم وهدتهم فاما ان تكون تبغني بعسكرك لا اهل بهم الفرغ واما ان تجاهد من يحاورك من الروم
وتبذل الوسع والجهد في جهادهم والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي وقد اخذ كرمورا وغيرها فلما
سمع قلع ارسلان ان حاله قال ما قصد نور الدين الا الشناعة على بالزندقه وقد اجبته الى ما طلب اما اجدد اسلامي على
يد رسوله واستقر الصلح وعاد نور الدين وترك عسكره في سيواس مع نور الدين عبد المسيح في خدمته في النين فيقي
العسكر بها الى امانات نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد ليع ارسلان ملكه لقال الامجاد (وفيها) وصل الفقيه الامام
الكبير قطب الدين التيسابوري وهو فقيه عصره ونسج وحده فمر نور الدين به واثر له بحلب بمدرسة باب العراق
ثم اطلعه الى دمشق فدرس رواية الجامع التبرية المعروف بالشيخ نصر المقتضى رحمه الله وتولى بمدرسة الجماروق وشرع
نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة فاشافيه بفضله وأدركها لاجل دون ادراك عملها لاجله ظلت هي المدرسة العادلة
الآن التي بناها بعده الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو صلاح الدين وفيها تربته وقدرت انا ما كان يشاء
نور الدين ومن بعدهم منها وهو موضع المجدد والحاربالا ثم لما بناها الملك العادل ازال تلك العمارة وبنها
هذا البناء متقن المحكم الذي لا نظيره في بستان المدارس وهي المأوى يوبها التوى وفيها قنطرة الله تعالى جمع
هذا الكتاب فلا تفر ذلك القتل ولا تفرى وبنى قطب الدين الى ان توفي في الايام الناصرية في سنة ثمان وسبعين
وقد وقف كتبه على طلبة العلم وقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها ما فاتها من ثمرات افعالها بمباشرة رحمه الله قال الامجاد
وكان وقد في سنة اربع وستين شيخ الشيخ عماد الدين ابو الفتح محمد بن علي بن محمد بن حمويه فاقبل عليه نور الدين
وامرني بان انا من مشور له بشيخة الصوفية ورغبته في التمام بالاحسان اليه بالناموس من جلته ما تحفه به عامته باعدة
ذهبية كان قد اقتضاها صلاح الدين من مصر قبل فيها القديس شارحهم فاقبل صعب من سامه الى طلبها قلت
وقد سبق ذكر هذه العمارة في اخبار نور الدين اول الكتاب من كلام ابن الاثير وابن المصلي ياها وهو الشيخ تاج الدين
عبد القادر جهم الله ثم ذكر العمارة المشهورة وفيه (فليت نظر في رباط النجاشي وفيه الطواويس ورباط
الناحوة وغيرها من الرباط الذي للصوفية بدمشق المعمورة بعلبك) ثم ذكر العمارة في آخر شعبان من هذه
السنة قبل الرحيل من دمشق فكان اهدى الى صديقه العاضل الاديب علم الدين الحسن بن سعيد
الثاني فلما توجه وكتب اليه

ما راقدت في حصون مستوطنات في سكون * أوكالغائل في الخندو وقد اهلقت على ديون
أوكالغائم لها فواسبين الى جنون * صرعى وما دامت لها يوم ارض الحرب الزبون
يحيين بالفرغ في بل يعين في ضيق السجون * نضدن بالترصيع في السجبان كادوا المصون
وقد استلن من لقا تهم والصفاء على قنون * يجلين أشال العرا ثم بين بكمكاروعون
هن الغنيات للما تذلهم هول من المزون * السركيت التريسقات اغلال والشؤون
لغفن في أسكتهم في على النسي لا الغنون * المستطابات التلهو والمستلذات البطون
المستعيان الصفر في وقت كالحيل الصقون * اسمع حديثي في انيسا طي فالحديث آخر مشجون

(فصل ١٠) قال العماد قاضي دكر ملج من لاون مقدم بلاد الارمن والتجاء الى نور الدين وطلبه بقرته على الروم والارمن وكانت الدروب تحت اذمة المصيبة وسواس مجبها كلب الروم ورضيها ليجتده حتى استولى عليها ملج من لاون فكسرهم وقتل وأسروا قتل نور الدين من مقتدى الروم ثلاثين أسيراً فأرسل نور الدين القاضي كمال الدين التمز وروى بالاسرى والهدايا الى الخليفة المستنفي بما امر الله به من كتاب بشر هذه الكثرة وما فتح من البلاد ويقول فيه (وقسطنطينية والقدس يجريان الى امد الفتوح في مقبصار المنافسة وكلاهما في وحشة ليل الظلام المدغم على اتنار صبايح المآثراته والله تعالى بكرمه يدي قطاف الفتحين لاهل الاسلام ويروق الخادم لحيازة مرضى الامام) وفي آخره (ومن جملة حسنات هذه الايام الزاهرة ما تبصر في هذه التوبة من اقتناع بعض بلاد التوبة والوصول الى مواضع منها لم تفرح اسنانك الخليل الاسلاميه في العصور الخالية وكذلك استولت عاكر مصر ايضا على برقة وحصونها وتحتكم في حكم معاطلها ومصونها حتى بلغوا الى حدود المغرب فظفر وامن السؤل بمنقاة مغرب) قلت اتفق في هذه السنة وصول قراقوش غلام تقي الدين من الديار المصرية مع طائفة من الترك فاقضم اليهم جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد افرقيقية خلا المهدية وسفاجين وقصص قوتوس وفي آخر ذلك الكتاب (وفسأل الله التوفيق لاستئناء قوامي المتى وانصاع عبدة الصليب الانحسار من المصبذ الاقصى وان يجعل فتح البيت المقدس مفتوح مراده ومقدح زلذه ومقرحه في جهاده وان يملك الساحل بجميع بلاده) وسير العماد معه قصيدة منها

بالمستنفي أي محمد الحسن * رجعت أمور المسلمين الى السن
في ارض مصر دعا له خطباؤها * وأنت لتخطب بك خطبتك صحت
فالمغرب الاقصى بذاك مشرق * وينصر مصر محقق بين الجين
ورأى الآله المستنفي بشرعه * وعباده ثم الامين المؤمن
مر النية كامن فيه ومن * فطر الامامة مشرق نور الفطن
تقوى أي بكر ومن ع والهدى * وحياء عثمان وعلم إلى الحسن
وبعده عرفت مقالة حيدر * لا ممد أدنى ولا منى الدين

ومنها في مدح نور الدين رحمه الله

هل مثل محمود بن زكي مخلص * متوحد بيني رضاك بكل فن
ورع لدى المحارب أروع محرب * في سائتيه ان أأهله وان ظعن
يمسى ويصبح في الجهاد وغيره * ينضوي رضيع سلافة ونجيب دن
وبعزة الاسلام متمسك راح * وبذلة الاشرار متفقا فن

قال ابن أبي طي وفيها وسيل شهاب الدين بن أبي عمرو من بغداد معه توقيع لثور الدين بدوب هارون وصرغين وخسين ديناراً من دنانير النشار التي نثرت يوم دخل الشهاب الى بغداد بالشارة بالخطبة في مصر فن كل دينار عشرة دنانير قال العماد وكانت ناحيته ادب هارون وصرغين من أعمال العراق لثور الدين والنور الدين قديما من انعام أمير المؤمنين فمال نور الدين احياءه في الرسم في حقه فأنهم به المصلحة عليه وبه بهامانة الشرف اليه وكان من مراده ان يستوعب بغداد على شاطئ دجلة ارضاً ينشأ مدرسة لثاقفة فيوقف عليها الناحيتين طلبة الاجار وانصكر الباقي على عمر الدهر قليل له ما ثم موضع يصلح لهذا الادار امر فاعطاهم القدر من قدرته على هذا الامر

(ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة) ونور الدين قد فتح من حصون الروم من عرش وغيره ما ملج من لاون ممتلك الارض في خدمته ووصل الى خدمته ايضا ضياء الدين مسعود بن قتياب صاحب حلبية وكان في خدمته ايضا الامراء من الجندل خسرهم بالعلماء الاجزل والسمت الاجل واظهر امره ينزل على قلعة الروم على القراة فتقبله مستخلف الارض بالبراءة وحمل خسين ألف دينار على سبيل الجزية فصاعته بذل وصغار وعاد الى حلب وقد نجح

في كل ما طلب وأراد أن يصرع إلى دمشق فالتأت أمرته لثلاثين سنة حتى يمرض القلب بمرض جسم محظية ورجوت شكايته شكاية يجارته قصصت عن بلال أليف والتمت به في شفاها ثم اندور ووف ثم سهره في محقة تحمل على أيدى الرجال في خفة وصارت على الطريق المصير مع العسكر يحملها من الخدم والحواس العشر بعد العشر ف تقرب إليه بمثل حملها والمشي معها وتقدم بحق لازم من بخده شبعها وتأخر في الدين جريدته معدة من محالها وأمراته المناصبين في ولايته وتقدم إلى أن أسأته في طريقه وأحاوره وأماضه في منزلته وأسامره وسرنا على طريق قبة ملاعب والمشهد وسليبه لجماعه الحسرين الفرغ فغدا غارت على حورن فثنى إلى الجهاد العنان وسبع الفرغ فخرجت فترقا وقادقوا بعدما كانوا أظفروا ودخلنا دمشق قلب وفي جادى الأولى أبطل فرادى رحه الله فربعة الاتيان ورأيت مشهورة بذلك وعلامته عليه بظلم (الجدلة) بقول فيه (وبعد فان من سنتنا العادلة وسير أياضنا الزاهرة وعوائدنا القاهرة أشاعة المروء وأعانه الملهوف وأنصاف المظلوم واصفاهم سامنه النظامين من جارات الرسوم ومانزال نجدت للبرهت سامن الاحسان يرتعون في رياضه ويرتوون من حياضه وتستقري أعمال بلادنا المحررة ونصفها من الشبه والنواب وتلحق ما يعثر عليه من بونى رسومه الضائرة بما استغنانه من المكوس والضرائب تقرب إلى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلغو المطالب وقد أطلقنا جميع ما جرت العادة بأخذ من فربعة الاتيان المقسطة على أعمال دمشق المحروسة وضياغ القنطرة والمرج وجبل سنين وقصر حجاج والشاغور والعبية ومن ارعها الجارية في الاملاك وجميع ما يقسط بعد المقاسمة من الاتيان على الضياغ الخواص والمقطعة بسائر الاعمال المذكورة ووفرا على أربابه طلبا لمرضاة الله وعظيم أجره وولاه وهرامن انتقامه ولهم عقابه وسبل النواب اطلاق ذلك على الدوام وتغية آثاره والاستغناء من أوزاره والاحتراز من التدنس بأوصاره وأبطل الرجس من الدواوين لاستقبال سنة تسع وستين وما بعدها على تعاقب الايام والسنين)

(فصل) في فتح الين قال الامداد في رجب توجه تورانشاه اكبر اخوة صلاح الدين إلى الين فلكها وكان بمشه على المسير إليها عماره الينى شاعر القصر وكان كثيرا المدح لتورانشاه فمعه زوارا إلى مكة ثم الحزب فلكها وقبض على الخارجي بها وأهلكه نائبه سيف الدين مبارك بن منقذ ومضى إلى عدن فأخذها واهل ثاب فيها عز الدين عثمان الزنجبلى وقع حصن فمزو غير من القلاع نفخ اقلها ومضى كاعظما واقترع كرا وشيع ذكرا وقال ابن شداد ولما كان سنة تسع وستين رأى صلاح الدين قوة عمرك وكثرة عددا وكونه وقوة بأسهم وكان بلغه ان بالين انسانا استولى عليها وملكها حصونها وهو يطلب لنفسه يسى عند النبي بن مهدي ويرغم انه ينشر ملكه إلى الارض كلها واستتب أمره فأرأى ان يسير إليها أخاه الاكبر الملك المعظم تورانشاه وكان كرمه رابحيا حسن الاخلاق سمعته يعنى من صلاح الدين رحمه الله الثناء على كرمه ومحاسن اخلاقه وزجيته الينى نفسه فعنى إليها وفتح الله على يديه وكسل الخارجي الذى كان بها قات وكان أخوه هذا الخارجي قد خرج بالين قبله ذكر عماره الينى في أول كتابه في وزرا مصر في أثناء كلام له قال وكان جماعة من أمثال الناس مثل ركان القرئ وعلى بن محمد النبللى والقبه أبى الحسن على بن مهدي القائم الذى قام بالين وأزال الدولة أهل زيسد وغيرهم قد سبقوا يعنى إلى صاحب عدن قد كر كراما يتلق به وقال الامداد في الخبر يدعى بن مهدي ملك الين في زماننا هذا وسفك الدما موسى الحسين وأقبل على شرب الخمر وادعى الملك والامام وتدعى إلى نفسه وكان يهذب نفسه بالمسير إلى مكة فأت سنة ستين وتولى بعد أخوه وله شعر حسن يدل على خلوصه قال ابن أبي طى كان بسبب خروج شمس الدولة إلى الين انه كان كرميا جادا وكان اقطاعه بمصر لا يقوم بمقتونه ولا يهضم بمروته وكان قد انتظم في سلكه عماره الشاعر وكان من أهل الين وكان ورد إلى مصر ومدح أصحابه وثق عليهم فلما زالت دولتهم انضوى إلى شمس الدولة ومدحه وكان اذا خلا به يصف له بلاد الين وكثرة أموالها وخيرها ووضعه من فيها ولها قرية المأخذ لمن طلبها قلت فمن جملة شعره في ذلك قوله من قصيدة أولها

العلم مذ كان محتاج إلى العلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم
كثيرا لاييض في الاجفان ظامية * إلى المولود في الاعناق والقيم

أما ملك الفتح من شام ومن يمن • فلا تزور من الخيل بالجسم
فحكك الملك المنصور يوتوما • من الفرات الى مصر بلا شام
فاخلق لنفسك ملكا لا تصافيه • الى سواك وأور النصارى العلم
هذا ابن نور من قد كانت بدايته • كما يقول الوري لجام على وضم
وقد ترقى الى ان امسكت يده • من الكواكب بالانفاس والكظم
حاسب خبيرك عن رأى أنك وقل • نصيحة وردت من غير متهم
وله من أخرى

أفانح أرض النيل وهي عظيمة • على شكل راج قنقهها وموئل
متى توقد النار التي أنت فادح • بعمدان مشبو باسناها بمندل
وتفتح ما بين المصبين واتن • وصنعا من حصن حصين ومقل
وتلقن من مختلف طرف وجطر • هبطين من حزن خصب ومسل
وتخلق ملكا لا يعبى بل يخره • على أحد الاهل عزمك على

وله من أخرى

فالوا الى اليمن المجهين رحلته • قلقت مادونه شيء سوى السفر
سير يصر بجى الدنيا وطيب ثنا • وطول عمر كذا يحكى عن الحضر
لا توردن لها النار التي جئت • خفض عليك تل ماشيت بالشر
للحال مسل يد والقوم ملائيد • ولا أطيل وهذا جلة الخبر

قال ابن أبي طي • ووافق ذلك انه كسبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم وأطمع في المعاونة لان صاحب اليمن عبد النبي كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعلم شمس الدولة أمها به بعزمه على اليمن فاجابوه فتجهز ثم دخل على أخيه السلطان واستأذنه في دخول اليمن فاذن له وأطلق له مقل قوم ستموز وقده فوقما كان في نفسه وأحببه جماعة من الأمراء ومقدار ألف فارس خارجا عن سريره من حلقته وسار في البر والبحر في البر العساكر وفي البحر الاسطول يحمل الازواد والعمد والالات فوصل الى مكة ثم فيها الله تعالى ففتلها زائرا ثم خرج متوجها منها الى اليمن فوصل زبيدي وأائل شوال فنزل عليها وبقية الشهر يق هاشم بن غانم الحسني وجميع الاشراف بنو سليمان في جمع جموع عدد كبير فجهز زبيدي وتسلها واحتوى على ما فيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبي أخى على بن مهدي ثم رحل الى عدن وفي محبته ابن مهدي فتفقه لعنوة وولاهها عز الدين الزنجيلي ثم سار الى الخلاف وتسل الحصون التي كانت في يد ابن مهدي كعز وغيرها وسار الى صنعاء بعد فتح مدينة الجند وغيرها فاحرق صنعاء فتدخلها شمس الدولة فلم يجد بها الا شيئا واما آفة عجوزا فاقام بها ثمانية أيام ثم لم يستطع الحقام لقله الميرة فرجع الى زبيد فوجد ابن منقذ قد قتل عبد النبي بن مهدي وكان شمس الدولة قد استتاب زبيد الامير سيف الدولة المبارك ابن منقذ وأمره بجهله فلما بعد شمس الدولة خاف ابن منقذ من فساد أمره فرائى المصلحة في قتله فقتله ابن منقذ زبيد فلما بلغ شمس الدولة قتله استصمروا ولما حصل شمس الدولة فريد اتخذ اليه صاحب طبرستان وهو باقى الملوكة على اداء المال ثم تتبع ذلك الحصون والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى أخيه الملك الناصر فأرسل الى نور الدين يخبره بما أفاض الله عليهم من الاحسان وخوله من ذلك الديار والبلدان فأرسل نور الدين مهتبا الدين أبا الحسن على بن عيسى للنقاش بالشارة بذلك الى بغداد

(فصل) ذكر العجاذهاة الامير مجد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن منقذ المستتاب زبيد وصفه
بأنه من الكتابات والكرامه والهادئ ذوى الاراء وهو فاضل من أهل بيت فضل كتب العجاذ من شعره

لماتزلت الدير قلت لصاحبي • قم فاخطب الصديقين شاعره
فاني وفي بناء حكاس خلتها • مقبوسة في الليل من تراسه

مكتتاب (٢١٨) الروضتين .

وكان ماني كاسه من خذته * وكان ماني خذته من كاسه
وكان خذته طعنها من رقبه * وأربعها الفياح من أنفاسه
لم أنس له سلة شرها بفنائه * انقلب يحلوها على جلاسه
اذا قام يسقينا السدام وكلنا * عاتبت مرذلوها براسه
قلت ومدحه أبو الحسن بن الزمري المصري بقصيدة غرامه اليه ما ظن انه نظم على فائقة الدال ارق منها لفظا وأرق
معنى أولها

لما خسر عرجي على ربه من فني * ربوع فوج المسك من عرفها الشذي

يقول فيها

مبارك عيش الوء — دباب مبارك * وهل منذ القصاد غير ابن منذ
قال العماد ثم سير نور الدين الى بغداد بشرا فباري أحدهما فتح اليمن والاخر كسر الروم مرة ثانية ومقدمهم الدوقس
كلان وكان قديما أسير احمد نور الدين من فوج حارم وفداء بمائة وخمسين ألف دينار وخمسة وخمسين نوبا
أطلقوا سير معه أسرى من الروم وذلك في شعبان هذه السنة وما تضمنته كتاب البشارة (ولم ينجم من عشرة ألف غير عشرة
مهر مستقره مقرن من قسوره) وقبل ذلك بشهر من سيرت قصيدة العماد في جمادى الآخرة على لسان نور الدين الى
بغداد أولها

أطاع دمي وصبري في القرام عصى * والناب جرع من كاس الحوى غمصا

وان صفوحاني ما يمسك كثره * الا شتيافي الى أحبابي الخالصا

ما أطلب العيش بالاحباب لو وصلوا * وأسعد القلب من بلواه لو خلا

من ذا أفنى سار سيري في ولائكم * غداة قال العدى لاسير عند عصا

قد نال عبيدك محمودها نظرا * ما زال رقبه من قبل مر تبعا

من خوف سطوته ان العبد دواذا * أم النور على اعتقابه نكصا

وكتب نور الدين في هذه السنة بافاضة اللطاف والزيادة في الاوقاف وترك تبرعات الصدقات وتوفير النفقات وكسوة
للنساء والايام في أيامها واغناء قراة الرعية واتحادها بعد اعدائها وصون الايتام والارامل بينه وعين الضعفاء
وتقوية القوي بعده ثم ذكر ما قدمنا ذكره في أول الكتاب من مناقب نور الدين وافعاله الكريمة حال العماد في يوم
الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العاد وتوجه بنفسه في ديوانه خافلين في ايوانه ليستطعده واحسانه
وتنفيد امر سلطانه فلف من أخبره ان نور الدين نزل الى المدرسة التي اتولاها بسط مصادنه في قبلتها لسنة
الضبي وصلها فتمت في الحال ومضيت على الاستقبال فلقية في الدهليز خارجا في أجر العباداة باجاء ولهمج
العامه ناهجا فلما رآني توقف ولقوني تشوق فقلت له ان الموضوع قد شرف أما ترى انه من أيام الزلزلة قد تشعث فلما
رأى حاله تلبث وقال نعيد له العماره وتركوه محلل النضاره ثم جعلت له وجوه مسكر وشيئا من ثياب وطيب
وعتبر وكتب معهما هذه الايات

عند سليمان على قدره * هدية الخلة مقبولة

ويصير المملوك عن غلة * عندك والرجع ماله

رفي اولانا وملكي له * وذمتي بالشكر مشغولة

وكيف يقضي الحق ذمته * ضعيفة بالهزم مغولة

وانما شية مولى الزمري * طاهرة تباخير مجبولة

قال وكان رأي قبله المدرسة غير مضممه ولا ترخيم والتنهيب والترهيب غير مخصصه فانفلك العماره ماضيا
مذهبة وذهبها ثم مقدور حامه وعاقا القدر عن اتمامه ودعيت الى الموصل فأتيت على المنام وهو يلزني
في الكلام ويقول يا مولانا الى المدرسة معناه وقال الصلاة الصلاة فعرفت انه أشار الى المحراب وانما قلنا على هيئة

الحرب فكنت إلى القبية الذي كان هنده الذهب ان يشرع في عمارة ودخلت دمشق يوم فراغ الصانع منه
(فصل) قال ابن أبي طي: وفي هذه السنة وصل رسول نور الدين الموفق بن القيسراني إلى بلاد مصر وجمع
 بالسلطان الملك الناصر وأتى اليه رسالة نور الدين وطلبه بحساب جميع ما حله وارتفع اليمن المثل فصعب ذلك
 على السلطان وأراد شق العصي لولا ما تاب اليمن المكتبة والعقل فامر بمل الحساب وعرضه على ابن القيسراني وأراه
 جرائد الاجناد بالغ اقطاعهم وتعيين ما يكاتبهم ورواتب فقائهم فلما حصل عنده جميع ذلك أرسل معه هدية إلى نور
 الدين على يد القبية عيسى قالو وقتت على راي ما يج شرجها بخط الموفق بن القيسراني وفي خمس ختات احداها ختة
 ثلاثون جزءا مشقة باطلس أزرق مشية بمصالح ذهب عليها أفعال ذهب مكتوبة بذهب بخط ياتس وختة بخط
 راشد مشقة بديباخ فسقي عشرة أجزاء ختة بخط ابن البواب محلدوا حد بقل ذهب وختة بخط مهمل جزء واحد
 وختة بخط الحاء كمال بغدادى ثلاثه أجزاء بلس حجر وزنه اثنا عشر مثقالا وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا وحجر
 وزنه عشرة مثاقيل ونصف وست قصبات زمرى د قصبة وزنها ثلاثة عشر مثقالا وثلاث وربع وقصبة وزنها ثلاثة مثاقيل
 وقصبة وزنها مثقالان ونصف وقصبة وزنها مثقالان وربع وسدس وقصبة وزنها مثقالان وثلاث وحجر باقوت وزنه
 سبعة مثاقيل وحجر أزرق وزنه ستة مثاقيل وسدس مائة عقد حوهر مشتمة وزنها جميعها ثمانمائة وسبعة
 وخمسون مثقالا وخمسون قارورة من بلسن وعشرون قطعة ملور واربعة عشر قطعة جرج وذكركت فصلها جاريق
 يشم طشت يشم سقرق مينا مذهب وحن صيني وزبادى وسكارج واربعون قطعة عود طيب قطعتين بكاره كرتان
 وزن احداها ثلاثون رطلا بالمصري والاخرى احد وعشرون رطلا مائة ثوب اطلس واربعة وعشرون رطلا مذهب
 اربعة وعشرون ثوبا يرى اربعة وعشرون ثوبا من الوشي حرر يقبض وحلة فطلى مذهب معلقة من ايش صفرا
 مذهب موزن غير ذلك انواعا من القماش قيمتها مائتان وخمسة وعشرون ألف دينار مصري وهذه من الخيل والغان
 والجواري وشيئا كثيرا من السلاح على اختلاف خبره قال ونحو جواب هذه الهدية فلم يصل إلى نور الدين لانهم انصل
 بهم وفاته فغلبا أعيدها ومنما استركت لأن القبية عيسى وابن القيسراني وضعوا عليهم من نهيم واستبدوا بها كثيرا
 وقيل انها وصلت جميعها إلى السلطان لانه انصل به خبر موت نور الدين فانضم من ردها وقال وحذثنى من شاهد هذه
 الهدية انه كان معها عشرة صناديق مالا لم يقدره وقال العادل واصل إلى صلاح الدين رسول نور الدين وهو الموفق
 خالد اطلعه على كل ما فيه وأحصى له الطريق والتأكد وقال هؤلاء الاجناد فامرهم واثبت أخبارهم وما
 يضبط مثل هذا الاقليم الأبال العظم ثم أنت تعرف اكابر الدولة وعظماءها واهلهم اعتادوا من السعة والذعة على
 نعمائها وقد تصرفوا في مواضع لا يمكن ان اذاعها ولا يسمعون بان يقص ارتفاعها فالوارد مشفوهه والشذائد
 مكرهه والقاصد ردها جميعوهو والمهم ما شدوهه وشرع في جمع مال يسير ودعمه بمجهديله ويخطر بخله
 وحصل ثلثا دمنه ما لم يكن في خلدته وجامطرق غنا ما أضاف مكلده

(فصل) في طلب عمارة الشاعرا البني وأصحابه قال العادل وجمع جماعة من دعاة الدولة المصرية
 المتعصبة المتصعبة المشددة التمسليه وتوازر واوروروا فيما بينهم خفة وخضفة واعتقدوا أمنية عادت بالعقي
 عليهم منه وعينوا الخليفة والوزير وأحكوا الرأي والتدبير وتبينوا أمرهم طيل وستر وأعلبه بذيل وكان عمارة
 البني الشاعرا غنيدهم ودعا لذة قريهم ويبيدهم وكانوا قد أودعوا سرهم عندهم من أذاعه واحتفظوا من
 أضاعه وأدخلوا عذة من أضاة الدولة الناصرية في جلتهم وعرفهم بجهلتهم وكان القبية الواعظ زين الدين على
 ابن نجاشا جهم قبازين لهم من سوا عالمهم ويداخلهم في عزهم فزوجهم مطلة اهل أحوالهم وقاغروا الدور
 والاملاك وكادت ألامهم تدن من الادراك فجاء زين الدين الواعظ واطلع صلاح الدين على فسادهم وما سرتوه من
 مرادهم وطلب مالا ين كامل الذمعي عن العقار والدور وكل ما له من الموجود والمخزور فبذل له السلطان
 كل ما طلبه وأمره بمخاطبتهم ورغبه ثم أمر السلطان باحضار مقدميهم واعتقالهم لأقامة السياسة فيهم وسلب يوم
 السبت ثاني شهر رمضان جماعة منهم بين القصرين منهم عمارة وأقني بعدلكن من في منهم واثبتهم بالخبرتهم
 وكان منهم داعي الدعا ابن عبد القوي وكان عارفا بقبيا بالقصر وكثيره فبادرهم يسبح بأداء الحق بقتك الخزان

مكتاب (٢٤٠) الروميين

مدفونه وذلك لفنائن محزومه قد دفن دافنها وتزن تحت الترى تلونها أن أن يأذن الله في الوصول إليها والاطلاع عليها ورجع من أموالها ولا يصحصل إلى الشام لا سعة به على حماة شعور الاسلام قال ابن أبي طى وفي هذه السننا جميع جاع من دعا مصر بين العوام وتأمرا واغيا بينهم خفية وكوا على اقتراض دولة المصريين وما صاروا اليهم من الازل والفرج ثم اجسوا آراءهم على أن يقوموا خليفة ووزرا وتجميع مواهم وجعلت عندهم من الامر او قهرهم وان يكاتبوا الفرنج وان يشيوا للملك الناصر وأدخلوا معهم في هذا الامر ابن مصال وأخذوا جاعا من شيعة المصريين ليلته عينوها وكتبوا الفرنج بذلك وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك الزمان المقرر فخانهم ابن مصال فيما عاهددهم عليه ونكث في البين وكفر عنها واصلوا إلى الملك الناصر وعرفه بمطبعة ما جرى قال فأحضرهم واحدا واحدا وقرروهم على هذا الحالة فأقروا واعتزفوا واعتقدوا بكونهم قطعت أرواقتهم وأخلت أموالهم فأحضر السلطان العلماء واستخامهم في أمرهم فأقرروا بقتلهم وصلبهم ونفيهم فأمر بصلبهم وقيل أن الذي أنزع شره من الدين على الواعد وطلب جميع ما لا ينال من الغار والمال فأعطاه جميع ذلك وكان الذين صلبوا منهم المفضل بن كامل القاضي وابن عبد القوي الداعي والعوريس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضاء بعد ذلك وشهدا بمحاسبة مصر وبعد العهد القصة أحد أمراء المصريين ونجاح الحماي ورجل مقيم نصراني أرمني كان قال لهما أن أمرهم يتطرق على العموم وعلمة الخبي الشاعر قتل وبلغني أن عمارنا كان قهره بضعه كس الدولة على المسير إلى اليمن ليتم هذا الامر لان فيه تقليلا لمصر سلاح الدين وإبعادا لآخيه ناصر به عنه قال العماد في الخبر بدو وقت اتفاقا من عجب من جلت له نسب اليه بيت من قصيدة ذكر والده يعني في القصيدة التي حرص فيها شمس الدولة على المسير إلى اليمن أروها (العلم مذ كان محتاج إلى العلم)

وقد تقدم ذكرها وأما البيت فهو هذا

قد كان أول هذا الدين من رجل • سعى إلى أن يدعو سيد الامم

قال العماد ويصور أن يكون هذا البيت معمولا عليه فاقى قتها مصر بقتله وحرضوا السلطان على التثبته قال ولعمارة في مصلوب بمصر يقال له طرخان وكان خرج على الصالح بن رزيك فقتله به الصالح وصلبه وكان يستحسن أسياب عمارته وهو

أراد علوم رتبة وقدر • فأصبح فوق جذع وهو عال

ومد على صليب المذبح منه • عين لا تطول على الشمال

ونكس رأسه نأب قلب • دعا إلى التولية والفضل

قال العماد فكانه وصف حاله وما آل إليه أمره وقال في العرق وصل من صلاح الدين يوم وفاته فور الدين إلى دمشق • كتاب يتعن هذه القضية وهو بخط ابن قريش يعني المرتضى وقال ابن أبي طى وقد كتب القاضي الفاضل إلى نور الدين كتابا شرح فيه قضية الأصليين فقال بعد مطلع الكتاب (قصر هذه الخدمة على متقدمي الاسلام وأهلها وإشارة مؤنثة بتأهرو وعدا لله في الظهور على الدين كله بعد أن كانت لها مقتنيات عظيمة إلا أنها اسفرت عن النجس وأول كلاله البهية إلا أنها انفرجت عن الصبح فالاسلام يبركاته البادية وقتلته الماضية قد عادت مستوطنا بعد أن كان غربا وضرب في البلاد بجراحه بعد أن كان كالقهر يتم عليه فغلا بعبثها إلا أن الله سبحانه أطلع على أمرها من أوثق وأظهر على سرها من مستقبليها والمولوك يأخذ في ذكر الخبر ويعرض عن ذكر الاثر ليرى يوم من جند مصر ومن أهل القصر بسم الله أزال الله من بدعتهم وحض من عرى دولتهم ونقض من مرفوع كلهم منهم أهداه وان عقلت بهم الألام واضداد وان وقعت عليهم كلمة الاسلام وكان لا يهتقر منهم حقيرا ولا يستبعد منهم شرا كبيرا وهم نفعنا صدهم موكلة وخطرنا في النصر منهم مستعمله لا تخولونه ثم ولا شمر بكر من مكر يجهنون عليه وقصاد يترعون اليه وحيته يبرمونها ومكيدته يمتونها وكان أكثر ما يتسلطون به ويرتبعون إليه المكتاتبات للتواتر والمراسلات المتعاطرة إلى الفرغ فخلصهم الله التي يوسعون لهم فيها صلب المطامع ويصلونهم فيها على الضمائم مغلظا له • نين لها الاقام والتقدم ويصلون فيا رقة الاسلام خلعت الرد المحتصوم ويد الفرغ بمحدا لله

قصير عن الجانيهم الا انهم لا يقطعون جبل طعمهم على عادتهم وكان ملك الفرج كمال سولته نفسه الاستثاري من راسيتهم والتخيل في معادستهم سير جرج كاتبه رسولا اليها لتأمر اهلهم باطناعا راضعيا لالجبل الذي عاقبته قط انفسا وعاقدهم القمع الذي يستقل عليه في بوقه علينا ولاهل القصر والمصرين في انشاء هذه المديرة لست تتردد وكتب الى الفرج في تصدق ثم قال (والمرء عالم ان عادته اولياته المستفادة من ادبه ان لا يسطوا عقابا مؤلما ولا يمدوا عذابا مجعلا واذا طال لهم الاحتفال ولم ينجح السؤال اطلق سراهمهم حتى يسلمهم فلا يزيدهم العقول الاضراء ولا الرقة عليهم الاقصاء وعند وصول جرج في هذا الفتح الاخير قسولا اليانبر فوجه ورد اليها كتاب من لاثراب من قومه يذكر ان امرسول مختله لارسل مجامله وحامل يديه لاحمل هديه فأوهناه الاغفال عن التيقظ لكل ما يصدر منه واليه مقوسل مر تباخر وج ليلامر قبال كواب الى الكنيسة وغيرها الى الاجتماع بحاشية القصر ونحدا موبيا من المصريين واسياهم وجماعة من النصارى واليهود وكلهم وكلهم قد سنا اليهم من طائفتهم من مدخلهم فصار نقل اليها اخبارهم ورفع اليها احوالهم وليا كثرت الاقوال وكاد يشهر مجامله هذه الاحوال استغرا في الله تعالى وتبين على جماعته مقصده وطائفة من هذا الجنس مفردة قد اشخت على الاعتادات المارقة والسرائر الماتقة فكلا أخذاه بدينه فنهى من آخر طائعا عند احضارهم ومنهم من آخر بعد ضربه فانكشف أمور آخر كانت مكمومه ووب غير التي كانت عندنا معلومة وتقررات مختلفة في المراد متفقة في الفساد) ثم ذكر انه لاحصاه انهم عينوا خليفة ووزرا مختلفين في ذلك فنهى من طلب اقامه رجل كبير السن من بنيهم المعاضد ومنهم من جعل ذلك بعض اولاد المعاضد وان كان صغيرا واختلف هؤلاء في تعيين واحد من ولديه وأما منوزيك وأهل شاور فكل منهم أراء: الوزا رة ليعتصمهم غير ان يكون لهم عرض في تعيين الخليفة ثم قال وكانوا فاقا تقدم المسلك على الكرك والشوبك والعسكر قد كتبوه فاقوا لهم انه بعيد والفرصة قد أمسكت فاذا وصل الملك الفرجي الى صدر أو الى ايلة ثارت حاشية القصر وكافة الجنود طائفة السودان وجوع الارمن وعامة الاسماعيليه وفكت بأهلنا وأصحابنا بالقاهرة ثم قال ولما وصل جرج كتبوا الى الملك الفرجي ان المساكين متباعدة في نواحي اقطاعاتهم وعلى قرب من موسم هلاهم وانهم يبق في القاهرة الا بعضهم واذا بعثت اسطولا الى بعض الثغور انهم قد امان عنده وبق في البلد وحده فقلنا ما تقدم ذكره من الثغور ثم قال وفي أثناء هذه المدة كتبوا اسنانا صاحب الحشيشة بن الدعوة واحد والكافة بجامعه وان ما بين اهلها خلاف الا فيما لا يفتقر به كله ولا يجب به تعود عن نصره واستدعوا منه من هم على الملك فغلبه أو يبيت له مكيدة وجبله والله من ورائهم محيط وكان الرسول اليهم عن مصر بين خال ابن قرجة القميص الان هو وابن أخيه عند الفرج ولما صح الخبر وكان حكم الله اول ما اخطبه وأدب الله امضى فيمن خرج عن أدبه وتاصر من أهل العلم الفتاوى وتوالى من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من القواة الثلاثة القضاة الى النار الداملين لا تتعالم واقتال من أضلوا من القصار وشفقوا على أبواب قصورهم وصلوا على الجنود المواجهة قدورهم ووقع التبع لاتباعهم وشردت طائفة الاسماعيليه ونفوا ونودي بان رحل كافة الاجناد وسانية القصر ورجل السودان الى أقصى بلاد الصعيد فاما من في القصر فقد وقت الحوطة عليهم الى ان ينكشف وجع رأي يضي فيهم ولا رأى فوق رأى المولى والله سبحانه المستخار وهو المستشار وعند من أهل العلم من تطيب النفس وتقلبه ونفى الحدود بتخديده ورأى المولى ان تراجمهم من القصر فاتهمهم بمقوافيه بقيت مادة لا تقسم الا طماع عن لقائه حبا للفضلال منصوبه ويهمل بدمع مجبوجه قال المؤلف سطها مجبوجه وعاب طرفه المولى ان نقر الاسكندر ينعلى عموم مذهب السنية بأطلع البحث ان فيه ادعية عينها أمره محققا شخصه عظما كفره يحيى قنديل القفاص وان لذلك كرمع قوله في الدار للمصرية قد دشت في الشام دعوته وطبقت عقول أهل مصر قنته وان آرايا المعاش فيه يحملون اليه بزمان كسبهم والتسولون بعض اليمسطر اوافيا من أموالهن ووجدت في عزها لاسكندرية عند القبض له والمجبر عليه كتابا بخرقة فيها طلع العسلار ومرج الكفر الذي سامعه اعتذار ورفاع عطا طلب بها فيها ما تشفع منه الجلود والجبله قد كفي الاسلام امره وحاق به مكره

مكتاب (٢٢٢) الروضين

وصرعه كفره • قلت وفي قضية عمارة هـ يقول العلامة تاج الدين الكندي رحمه الله وقتله من خطه

عمر في الاسلام ابدى جنانية • وابع فيها عيسى وصلياً

وامسى شريك الشريك في بغض احد • فاصبح في حب الصليب صلياً

وكان خبيث الماتني ان عجمته • تجده منه عو افي التفاف صلياً

سبقي قدما كان يسقى لاجله • ووه في صديدي اقلني وصلياً

قلت الصليب الاول النصارى والثاني يعني مصلوب والثالث من الصلابة والرابع وذلك العظام وقيل هو الصديد

أى يسقى ما يسيل من أهل النار وتوفاقه منها وكان عمارة مستعرا من القفر وعم ايضا منه لانه كان من اتباع الدولة

المصرية ومن انتفع بها واخذل أمره بعدها فم تصف القلوب بعضهم لا يحسن وصار يظهر في فلان لسانه في نظامه

ونثره ما يقتضي القفر زمنه وابعاده وهو يرى ذلك منهم فيزداد فسادا في نية وان مدحهم تكلف ذلك وصرح وعرض

فيه بما في صغيره وقطاع في كتابه لوزن المصيرية ذكر الله أيامهم بمجد لا يكل نذاه ولا يذوي بساطه وقد وجدت

قدحهم وهنت بعدهم وقال من قصيده مدح بها تميم الدين أيوب

وكان لي في ملوك النبل قبلكم • مكانة عرفتكم العرب والجهم

وكان بيني وبين القصور حكمة • في حربها الس الادب بان تفتدعهم

وما زال الى داري عوارفه • يدعي اليها الانعام والكرم

تركتم تصدك لما قيل انك لا • تجود الاعلى من منه العدم

ولست بالرجل المجهول موضعه • ولا تترك من الاحسان اغتيم

ولا الى مدفات المال اطلبها • ولا عني نال اعضائي ولا هم

وانما انا ضيف للملوك ولي • دون الصيوف اسان ناطق ولم

وقال من قصيدة مدح بها صلاح الدين رحمه الله

قررت لي اياه رزبك رزقا • كان في عمرهم منامنا

وأنت بعدهم ملوك فتنوا • في ما كان صاحب القوم سنا

ورعوى أما اقتدا بما حس • أولعني فكلهم في بغي

وله فيه من أخرى

قد صارت الدنيا اليكم بأسرها • فلا تشبعوا منها ونحن جبايع

اذا لم تزدونا فكروا كن معنى • فقي للناس اخبارهم وسمايع

وليس على من القظام اطامة • فهل في ضرر الكرامات رضاء

وقال في قصيدة مدح بها تقي الدين

هل تأذنون لمن أراد ان يكم • أم ليس في اعتباركم من معامع

ضيعت من حق ضعفكم الذي • ما زال قبل اليوم غير ضيع

وتفاضل السلطان عني حين لم • اكشف خناع مثله وقصرع

ودجوت تفعلك بالشفاعة عنده • فدمعت لي بشفاعته ترفع

واذا نطق الرزق ضاق بحاله • امسى بحال النطق غير موسع

وقال ايضا

تبعتم مصرا اطلب الماء والتقى • قتلتم ما في نخل عيش منعم

وزرت ملوك النيل ارناد لهم • فاجدم تادي واخصب مربى

وقرت بالث من عتبة قاتر • مواهبه الصنع لا تصنع

وبدا ابن رزبك من الجاه والتقى • بل زاد عن مربى رجاى ومطعم

في اخبار (٢٢٢) الفولتين

وأوحى الى سمي ودائع شعره * تخبرته مني يا هكرم مودع
ولست أياذي شاور بدمية * ولا عهدا عندى بهدم صنيع
ملوك رعدوا لى حرمة صاريتها * هشام رفته النائيات وما رعى
مذايعهم في الجود مذهب حسنة * وان خالفوني باعتقاد التشيع
قتل لصالح الدين والعدل شأنه * من الحاكم المصنى الى فاذى
أقتلكم ضيعا ثلاثة أشهر * أقول لصدري كلما ضاق وسع
وصكم في ضيوف الباب من لسانه * لذا تطعوه لا يقوم بأصبعي
فباراعى الاسلام كيف تركنا * فريقي صباع من عرا يا وجوع
دعوناك من قرب بعد فهد لنا * جوابك بالبارى يصيب اذا دعى

وقال أيضا

اسنى على زمن الامام العاصد * اسف النعم على فراق الواحد
جالست من وزرائه وصحبت من * أمراءه أهل الثناء الخالد
لمنى على حيرات قصر كذا نطت * ياب النسي من ازدحام الواحد
وعلى انفرادك من عساكر كذا ندى * كانوا كاهن واج الحضم الراكد
قلدت مؤتمن الخلافة أمرهم * فكبا وتصر عن صلاح الفاسد
فسمى للبياني أن ترذ اليكهم * ما عودتكم من جميل عوائد

وقال أيضا

فستراة الدنيا فلا اذهر عاطف * على ولا عبد الرحيم رحيم
عفا الله عن آرائه كل قرة * كلام العدى فيها على كلام
وسامحه في قطع رزق بعضه * وصلت اليه والزمان ذميم
الا هزل له عطف على فاني * قهر الى ما اعتدت منه عدم

عبد الرحيم هو القاضي الفاضل رحمه الله وبلغني ان عمار قسام وابه ليصلب بهروا به على جهة دار الفاضل فطلب
الاجتماع يدفعيل ليس اليه طريق فقال عبد الرحيم قد احجب * ان الخلاص هو الهب
قال وعند القصيدة بتحقيق ما ذكر من الاجتماع على مكتبة المرنج والمخوض في فساد الدوا قبل الله وقوضع عذر
السلطان في قتله وتتل من شاركه في ذلك وعي

رميت يلهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حلى الحسن بالطلل
سمعت في منبر الرأى الصور فن * قد ردت من عثرات البني فاستقل
جذعت ما رزك الاخي فانفك لا * نفل ما بين قمم الشين والجلل
هدمت قاعدة المعروف عن يمل * سقيت مهلا ما نسي على مهمل
لمنى ولف بنى الامال طامبة * على جفعتنا في أكرم الدول
قدمت مصر فاولتني خلافةها * من المكارم بأرعى على الامل
قوم عرفتهم كسب الالوف ومن * كالمها انها جاءت ولم أسئل
وكنن من وزراء الدست حيث سما * رأس الحصان بهاديه على الكفل
ونان من عظام الجيش تكسمة * ونحلت حرس من عارض الخلل
باغاذى في هوى أنشاء فاطمة * لك الامة ان قصرت في عسلى
بالقذر ساحة الفصيرين وابك مسى * عليهم ما لا على صفين والجلل
وقل لاهلها والله ما القعت * فيكم قروى ولا جرى بتسمل

كتاب (٢٢٤) الروميين

ماذا ترى سكنت الا فرج فاعلة * فيخل آل أمير المؤمنين على
 هل كان في الامرضي غير فمجا * ملككم من حكم السبي والنفل
 وقلم صلت عليها واسم جسدكم * مجد وايحكم غير منتقل
 مررت بالقصر والادكان خالية * من الوفود وكانت قبلة القلب
 قلت عنها بوجهي خوف متقد * من الاعدادى ووجه الود ليرحل
 أسبلت من أسف دمي غداة نطت * ربابكم وشدت معجورة السبل
 أبكى على ما زلت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تقبل
 دار الضيافة كانت انس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
 وفطر الصوم ان أصفت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفا غير محمل
 وكسوة الناس في الفصل قد درست * ورت منها جسد مدعهم وبلى
 وموسم كان في كسر الخيل لكم * يأتي تجل كم فيه على الجبل
 وأهل العام والعيدان كان لكم * فيهم من وبلى جود ليس بالوشل
 والارض تترى في عيد القدير بما * تهمز ما بين قصر بكم من الاسل
 والخييل تعرض من وثى ومن شية * مثل العرائس في حلى وفي حلل
 ولا حتمت قري الاضياف من سعة الـ * طباق الاعلى الاغناق والجبل
 وما خصتم ببراهيل ملتكم * حتى عسمت به الاصى من المال
 سكنت روايتكم للثمين والضيف المقيم والطاري من الرسل * كانت روايتكم
 ولجوامع من أحباسكم نم * لمن تصدق في علم وفي عمل
 وربما عادت الدنيا لمقلها * منكم واحتج بكم بمحاولة العقل

وقال العمادى في خبره أبو القاسم هبة بن عبد الله بن كامل كان داعى الدعوة بصرى لادعيا وقاضى القضاة
 لاؤلك الاشقياء يقبونه بغر الامنا وهو عندهم في المحلة العليا والمزنية الثما والمزلة التي في السما حتى
 ان سكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم وأقيم فاعدهم وعضد اعاضهم وأخليت منهم مصرهم وأجلى عنهم
 قصرهم فترك ابن كامل ناصر الذب عنهم والشذ منهم فلما قوما على البيعة لبعض اولاد العاضد ليبلغوا به
 ما تحبوا من المقاصد وسولوا من المكابذ فانثرت بينهم الجدوع واقفرت من جوسهم الربوع وأحكمت
 في لحومهم النسوع وهذا أول من ضحى بالصلب وأمه قافرة الصلب وهذا صنع الله فيمن الحسد وكفر النعمة
 وبجهد ذلك غر قرومضان سنة تسع وستين وخمسمائة سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكره عنده
 بالفضل والادب ونسبوا اليه هذين البيتين في غلامه وأشهدهم الملك الناصر وذكره كان يكرها

يارافا نرق ككل ثوب * وبارشاحيه اعتقادى
 عصى بكف الوصال زفو * ما نرق المجرى من فؤادى

(فصل) في التعريف بحال عماد قوسه وشعره قال العماد وقد أوردت شعر عمارة بن أبي الحسن البجلي
 في كتاب خبره القصر وبريدة العصر ونقلت الى هذا الكتاب يعنى كتاب البرق الشاى لما من ذلك فمن ذلك
 ما أنشدنيته نجم الدين أبو محمد بن مصال

لوان ظلى يوم كاطمة موى * الملكته وكلمت غيث الادمع

قال العماد انما أنشدني في غيظ الادمع قرأت غيث البقي بالكلم

قلب كفساك من الصباية انه * لسي نداء الطاعنين ومادى
 ومن الننون الفلسفات توهى * بعد اليقين بقامى أضل
 ما القلب أول غادر فالومه * هي شية الا ليم ملخقت موى

في أخبار (٢٢٥) الدولتين

قال وأنشدني لعمارة أيضا

ملك اذا قابل بشر جبينه * فارقه والبشر فوق جبينه

واذا لفت يمينه وترحت من * أبواب أئتم للسلوك يمينه

قال وأنشدني له عند الدين أبو الفوارس مرعبي أسامة بن منقذ يقول

لبي في هوى الرشاء العنري أعدار * لبي في مدح أقرالهم انتكار

لبي لقا ودوق لثم الخدود وفي * صم النهم ولبنات وأوطار

هذا اختياري فوافق ان رضيت به * أولا فغدعني وما أهوى واختار

لبي بزلفا وسامعني مصارعة * فالتاس في درجات الحرب أطوار

ودخل على في دارى ودائرى * من المهادرة قلبى لها دار

قلت ويرى (وغيره) في أسرى ودائرى) والآيات العينية من تصديق مدح في الدين والنونية في مدح نجم الدين أبوب والرائية في مدح شمس الدولتين أبوب وكان عمارة هذا عن يافقيه الأديال له كتاب صغير ذكر فيه أخباره وأحواله باليمن ثم بمصر فذكر أنه أنعم يزيد ثلاث سنين يقرأ عليه مذهب الشافعي رضي الله عنه قال وفي الفرائض مصنف يقرأ باليمن وفي سنة تسع وثلاثين زارني والذي وخضع من اخوتي الذي فاشتهت شيئا من شعري فاستحسنه ثم قال تعلم والله ان الادب لك نعمة من نعم الله عليك لا تكبرها بدم الناس - وهتفتي ان لا أهجم مسل بيت شعري خلقت له على ذلك ولفظ الله في غم أجمع أحد ما عدى انساها جلي بجزيرة الملك الصالح يعني ابن رزك بيتي شعر فاقم الصالح على ان أجيبه ففعلت مثاؤا قول الله عز وجل ولئن اتهمتم بضلالة فاولئك ما عليهم من سبيل وقوله تعالى من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال ولا يمكن شيء غير هذا

وحجبت مع الملك أم فاتك ما يزيد وكانت تقوم لأمير الحرمين بجميع ما يسأله من حاج اليمن راو بحر او بجميع سفارات الطريق فذكر أنه حصل له بجاهة عندها فانتفع بها حتى أترى وكثر ما به بجاهه ثم طرأت أمور اقتضت ان يهرب من اليمن وحجسته تسع وأربعين وخمسائة قال وفي موسم هذه السنة توفي أمير الحرمين هاشم بن غيثة وولى الحرمين ولده قاسم بن هاشم فآزنى السفار عنه والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمته في شهر ربيع الأول سنة ثمانين والخليفتها يومئذ العاضد بن الظافر والوزير له الملك الصالح طلائع ابن رزك فلاحضرت السلام عليهما في قاعة الذهب من قصر الخليفة أنشدتهما

الحمد لله ليس بعد العزم والمهم * حمدا يقرم بما أولت من النعم

لا لأجد الحق عندى لركب يد * فمنت الهم فيما رتبة الخطم

قرين بعد من الرعز من نظارى * حتى رأيت أمام العصر من أعم

ورحن من كعبة البطحاء والحرم * وقد ألى كعبة المعروف والكرم

فهل درى البيت انى بعد زورته * ما سرت من حرم الا الى حرم

حيث الخلافة مضروب سرادقها * بين البقيضين من عفوف ومن تقم

والامامة أنوار مقدسة * تقبلو البقيضين من ظلم ومن ظلم

ولتبسوة آيات تغنى لنا * على الخفيين من حكم ومن حكم

وللكارم اعلام تعلنا * مدح الجزيلين من يأس ومن كرم

ولعل السن تثنى محامدا * على الجديد من فعل ومن شيم

وراية الذرف البذاخ ترفعها * بد الرقيعين من مجد ومن هم

أقمت بالقر المعصوم معتقدا * فوز الحياة وأجر البرق القسم

لقد حى الدين والدنيا وأهلها * وزير الصالح الضريح والشمع

الابن الضمير تسع غلائله * الايدى الصنعتين السيف والقم

مكتاب (٢٣٦) الروميتين

وجوده أو جدالهما اقتربت • وجود ما عدم لما كين لعدم
 قمل لك ما لم يرق ملكة • تصير أنف النثر يا غرة الثعم
 أرى مقام عظيم الشأن أو هي • في بقتني لهما من جلة الحلم
 يوم من العزم يخطر على أمل • ولا ترق أبى مرغبة المسم
 ليت ألكوا كب تدنو لي فأنظما • عرو مدح لها أرضي فكم كلى
 نرى الوزارة فيه وهي ياذة • عند لالة نهما غسبر متهم
 عواطف أعلتنا ان بينهما • قرابة من جميل الرأي لا الزعم
 خليفة ووزير مد عدلها • فلا على مفرق الاسلام والام
 زيادة النيل هص عند خضهما • فاعصى يتعالى منة القديم

قال وعهدى بالصالح وهو سعيدها في حال الشيدمرارا والاساذون والامراء والكبراء يذون في الاستحسان
 كل مذهب ثم أقيمت على خلع من نياب الخلافة مذ هبة ودفع إلى الصالح تخمها قة دنار واذ بعض الاساذين
 قد خرج من عند السيد تفتت الامام الحافظ بضمها تقديسنا وأخرى وجعل المال على الى منزلي واطلقت الى من
 دار الضيا فخر سوم لم تطلق لاحد قبل ونهادتي أمراء الدولة الى منازلهم للولائم واستغفرتنى الصالح للجمالسه
 وتظمتنى في سك أهل المؤانسه وانتالت على صلاه وغفرتى بره ووجدت بحضر تومن أعيان أهل الادب الشيخ
 المجلس أبا المعالي ابن الحباب والموفق أبا الحاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشاء وأبا الفتح محمود بن قادوس
 والمهذب أبا محمد الحسن بن الزبير وغيرهم وامن هذا الخلبه احدا لا تضرب في الفضائل النفسانية والرياسة
 الانسانية وأفر نصيب وما زلت أحذو على طرائقهم حتى نظموني في سك فرائدهم قلت

ليالى الفسطاط من شاطئ مصر • متى عهدك الماضي هدام من القطر
 ليل الى العزم السعد وكلما • مضى في سواها لا يبعد من العزم
 أفادتني الاقدار فيها مواليا • صفت بيها الايام من كدر القدر
 توأصوا على أن لا ترد ارا دق • ولو منهم ثرا الكواكب في جهرى
 وله في الصالح من قصيدة

ولم يكن أدري بما جهل الورى • من الفضل لم تنفق دما للفضائل
 لئن كان مشاقب قوس فينينا • فرائض من اجلاله ومراحل

قال وأنتدت الصالح وهو بالقىوم دار الوزارة قصيدة منها

دهوا كل برق شمتهم غير يارق • يلوح على الفسطاط صادق بشره
 وزوروا للقمام الصالحى فكل من • على الارض ينسى ذكركم عند ذكره
 ولا تتجملوا مقصودكم طالب التنى • فتخبوا على مجد المقام وغفره
 ولكن سوا منه العلى تنظروا بها • فكل امرئ يرحى على قدر قدره

قال ولما جلس شاور في دار الذهب قام الشعر والخطبة ولقيف الناس الا الاقل نالون من بنى دزيك وضرغام
 نائب البلب ويحيى بن الحياط الاسفهلار فأنشدته

صعدت ولك الايام من سقم • وزال ما يشتكبه الدهر من ألم
 زالت الى بنى دزيك وانصرفت • والحمد وانتم فيها غير منصرف
 مكان صالحهم يوما عاد لهم • في صدر ذاك الدستلم بقدر ولم يقم
 كائن من بعض الظن مائة • بأن ذلك جمع غسبر منزم
 فذوقتم وقوع القصر خانهم • من كان يجتصا في ذلك الرخم
 ولم يكونوا عدوا ذل جانبه • وانما غرقوا في سبيك العزم

في اخبار (٢٢٧) الدولتين

وما قصدت بتعظيمي عدك سوى * تعظيم شأنك فاعذرنى ولا تلم
ولو شكونت ليا ليهم عاقلة * لمعدها لم يكن بالعهدين قدم
ولو وقعت في يوم بينهم * لم يرض فضلك إلا أن يسدني
وأنت يا ممر بالاحسان عارفة * منه وبه عن الخفافى الكلام

قال فذكرني شاوراً بأنواعه على الزمان بنى رزقك قلت وشعر عماره كثير حين وعندي في قوله الحمد ليس وان
كانت القصيدة فانه نظره عظيمه فانه أقام ذلك قام قولنا الحمد لله ولا ينبغي أن يفعل ذلك مع غير الله عز
وجل فله الحمد وله الشكر فهذا اللفظ كالمعين لجهة الروية المقدسة وعلى ذلك اطراد استعمال السلف والخلف
رضي الله عنهم

(فصل في وفاة نور الدين رحمه الله تعالى) قال العماد وأمر نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل يوم
عيد الفطر واختلفنا لهذا الامر وغدونا ياما حال ونظمت لهذا العيد والطور قصيدتها

هيدان فطر وطهر * فتح قريب ونصر * كلاها لك فيه * حقاهاه وأجر
وفيها بالتهاني * رسم لنا مستقر * طهارة طلب منها * أصل وفرع وذكر
فجل على الطهر نام * زكاه منك نجس * محمود الملك العاد * لالكريم الاغر
وبينه الملك الصا * الخ العيون نقر * مولى به اشتد للديسن والشرعة ازر
فوز تحلى عينا * مادونه اليوم ستر * اخذت معاك غرا * كما أديك غرر
وكل قصدك رشد * وهكل فعلك بر * وان حبك دين * وان يفضك كفر
لنا بينناك بمن * كما يسراك بسر * وللوالبين نفع * وللعادين ضر
والجماء صحاب * ومحب كفيك عشر * ناديك بالفرود حب * نالك في وقدر
البر من جزر * وما لم يودك جزر * عدل عيم وجود * غرور وسرور
وفي الصلابة حلو * وفي الحبيسة صبر * قد استوى منك قهرى الدلالة سروج
تذاك والملك عند الله يأس عقد ونحر * يا أعظم الناس قدرا وهل تغيرك قدر
وساها حين ناموا * وقامحين قروا * ما اعتدت الاذواء موعادة القوم غدر
وفعلك الدهر غزو * للشركين وقهر * وفعل غيرك ظلم * للمسلمين ونصر
يقتر من هكل نقر * الى ابتسامك نقر * روم به وقسرنج * في شفيعهم كوتر
حرب عوان وقمع * على مرادك بكر * بنو الا صافرن خشية انتقامك صفر
لم يبق لك كفر تلقر * لا كان لك كفر تلقر * ولما دجى ليل خطاب * الا وعزكم فجر
أصحت بالفرز صبا * وعنه ماك صبر * لكسر كل يقم * اساعف برك جبر
في كل قلب حسود * من حرأسك جمر * تم تطهير ملك * له الملك نقر
يرضى سر بر رواج * به ودمت وصدور * وكيف يصل لطا * هرا المطهر طهر
هذا الطهور ونظور * على الزمان وأمر * وذات الحان ختام * بمكة طليق نقر
رزقت غرامولا * ما طال الدهر عسر

قال وفي يوم العيد يوم الاحد ركب نور الدين على الرمح المعتاد محفوفان اقبه بالاسعاد مكفوفان السعاد والارض
بالاجناد والقدر يقول له هنا آخر الاعاد ووقف في الميدان الاخضر اشكال طمن الملق وروى القبق وكان
مصحف مصلاته في الميدان القبل الاخضر وأمر بوضع المنبر وخطبه القاضى شمس الدين محمد بن المقدم قاضى
العسكر بعدان سلى به وذبح وعاد الى القلعه طالع البجة بجمع الطلاء وأتته العنا يا الاتعاص على رسم
الانراك وأكابر الاملاك ثم حضرنا على خولته المختاص وله عقد كمال مصون من الانتعاض والانتعاص وأوضح
بشره وأضحى نشره وأضحى سنه وأبرك يومه وفي يوم الاثنين نال العيد برك وبجل الحوكب وكان الفلك

ينرمجار والى دوله كالت بمرور الصلح في قفار وكأنته القمري حالكه والقدر في جلالتة والبدوي دلاته سائر بين
سيلوته ودخل الميدان والفضله يسارونه والقهمه يماورونه وقهمهمام الدين محمود وهوى الأكلبر معدود
وكان قديما في أول دولته موالى حلب وقدر بياهمر بحتكنه ولا شطر حلب فقال نور الدين في كلامه عتلة
لمن يتقرب اليه هل تكون هاهنا مثل هذا اليوم في العام القابل فقال نور الدين قل هل تكون بعد شهر فإن السنة
بعيدة فخرى على منطقة ملاما جرى به القضاء الـ ابني فان نور الدين لم يصل الى الشمر والحمام لم يصل الى العام ثم شرع
نور الدين في اللعب بالكره مع خواصه البربره فاعترضه في حاله أميرا خراسمه رقتش وقال لياش فأحدث له القفيظ
والاستغيش وأختاط على خلاف مذهب الكرم وخلق الحليم فزجره وزيره ونهيه وساق ودخل القلعة
ونزل وأحبب واعترل فبقى اسبوعا في منزله مشغولا بتأمله مغلوبا عن عاجله بحيث أجله والناس من المحتان
لا هون بأوطارهم في الاوطان فهذا روج يجوده وذلك يجود بروحه فانتهت تلك الافراح الابالازراج واصلح
الملك بعدما لا بلك الصلاح قالوا اتصل مرض نور الدين وأشار عليه الاطباء بالقصص فامتنع وكلن مهيبا فخر وجع
وانتقل حادى عشر شوال يوم الاربعه من مريع الفقه الى حرق البقله ولقد كان من اولياء الله المؤمنين وعباده
الصالحين وصار الى جنات عدن أعدت للمتقين وكانت له صفة في الدار التي على التبر الداخل الى القلعة من الشمال
وصكان حاسه عليها في جميع الاحوال فلما بلغت سنة الزلزلة تبنى بازاء تلك الصفة وتسانم الانخاب مأمون
الاضطراب فهو بيت فيه ويصعب ويخلو بعبادته ولا يريح فدفن في ذلك البيت الذي اتخذته حى من الحمام
وأذن بتأويله باليه بالاهدام قال الحماد وقتل في ذلك

عجبت من الموت كيف أتى • الى ملك في مصبايا ملك

وكيف توى الغفك المستدير في الارض والارض وسط الغفك

وله في مرجهما الله تعالى

يا ملوكا أياهم لم تزل • لفضله فاضله فانه

فاصت بحمار الجودم غيبت • أفلك الفاضلة الزائرة

ملكك دنياك وخلقها • وصرت حتى تلك الآخرة

قال ابن شداد وكانت وفاة نور الدين رحمه الله بسبب خوارق أعترته عجز الاطباء عن علاجها وقد حكى لي صلاح
الدين قال كان يلفظ من نور الدين انه بما قصصنا بالدار المصرية وكانت جماعة أعيان بنيشير وبان نكاشف
ونخالف ونشق عصاه وتلقى عسكره بصفاف برده اذا تحقق قصده وكنت وحدي أنا لفهم وأقول لا يجوز ان يقال شيء
من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاة رحمه الله ورضي عنه فقال ابن الاثير وكان نور الدين قد شرع
بجهيز المراسى الى مصر لاختصاص صلاح الدين لادراى منه فتورا في غزو الفرنج من ناحيته فأرسل الى الموصل
وديار الجزيرة وديار بكر ليهب العساكر ليتفر كهابا لاشامته من الفرنج ليسر هو بعاكر الى مصر وكان المانع
لصلاح الدين من النفوذ والخوف من نور الدين فانه كان يعتقد ان نور الدين حتى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه
فكان يحتج بهم على ولا يؤخر استصالحهم وكان نور الدين لا يرى الا الحق في غزوهم يجهدهم وطاقتهم فصار رأى اخلاص
صلاح الدين للفرج وعلم غرضه فيقول بالمسيرة اليه فانه أمر الله الذي لا يرتقل وتلقوا نور الدين ما اذا نزلته تعالى
لاسلام من القوتح الى الجبلية على يد صلاح الدين من بعد مقررت عنه فلقه على عا أسسه نور الدين من جهاد
المشركين وقام بذلك على أكل الوجوه واثامه هارجهما الله تعالى قال وحكى لي طبيب بدمشق يعرف بالرحي وهو
من حذاق الاطباء قال استدعاني نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع غيري من الاطباء فدخنا عليه وهوى بيت
صغير فلقه دمشق وقد تمكنت الخواريق منه وقارب الملاك فلاكاد يسبح صوته وكان بخلاءه يلقه بدي أنصكر
أوقات فابتدأ به المرض فيه فلم يتقل عنه فلدخنا عليه ورأينا ما به قلت كان ينبغي ان لا يؤخر احضارنا الى ان
يستعقب المرض الى هذا الحسد فالآن ينبغي ان نتقل الى مكان فضع ظهرك في هذا المرض وشرفنا في علاجه فلم
ينفع فيه الدواء وعظم الداء ومات عن غريب مرضي الله عنه قال ابن الاثير وكان أسمر طويل القامة ليس له حبة

في اخبر (٢٢٩) الدولتين

الاي حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلوا العينين وكان قد اتسع ملكه جتافلك الموصل ودار الجزيرة وأطاعه أصحاب ديار بكر وملك الشام ودار المصرية واليمن وخطبه بالمرمين الثمانيين مكة والمدينة وطبق الارض ذكر لحسن سيرته وعده ولم يكن مثله الا الاثنا عشر رجلا الله تعالى عليه قال الحافظ أبو القاسم بعدما ذكر أوصاف نور الدين الجاليلة المتقدمة مفرقة مجموعته في هذا الكتاب هذا مع ما جمع الله له من العقل المتين والراي الساقب الرصين والاعتدال بصيرة السلف الماضين والتشبه بالعلماء والصالحين والافتقار لمسيرة من سلف منهم في حسن ستمهم والاتباع لهم في حفظ سالمهم ووقتهم حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم واسمه وكان قد استخيره له من بعده وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة بالادام والتحديث ورياء ان يكون من حفظ على الامة أربعين حديثا كلها في الحديث فمن رآها شهد من خلال السلطنة وهيبة الملقب بغيره فاذا ما وضر رأى من لطاقته وتواضعه مع صغيره بحب الصالحين وروايتهم ويزور مساكنهم لحسن ظنه فيهم واذا احتلم بمال يملكه أعنتهم ورزق ذكر انهم بانهم ورزقهم ومتى بكرت الشكاية اليهم من أحد من ولاته أمره بالكف عن أذى من تظلم بشكاية من لم يرجع منهم الى العدل قابله بأسقاط الميزة والعزل فلما جمع الله له من شريف الخصال تسرله جميع ما يقصده من الاعمال وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ومكس في البلدان والنفاع ثم قال بعد كلام كثير ومناقبة خطيره ومناجحه كثيره ومدحه جماعة من الشعراء كثيرا ولم يبلغوا وصف لآله بل قصروا وهو قليل الانباج بالشعر زيادة في تواضعه لسلطان القدر ومولاه على ما ذكر في كتابه أبو اليسر شاكر بن عبد الله وقت طالع الشمس من يوم الاحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة و توفي يوم الاربعاء الحادي عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى تربة تيمور مدرسته التي بناها لاصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه جوار الخواصين في الشارع الغربي رحمه الله قلت وفي هذا المدرسة بقول العروة

ومدرسة سبدرس كل شئ * وتبقى في حي علم ونسك
تضرع ذكرها شرفا وغيا * بنور الدين محمود بن زكي
يقول وقوله حق وصدق * بغير كناية وبغير شك
دمشق في الدائن بيت ملكي * وهذي في المدارس بيت ملكي

ولما استمر من قلة ابتهاجه بالمدح لما علم من زبائده الشعراء وهي طريقة ٤٢ بن عبد العزيز زاهد الخلفاء قال يحيى بن محمد الوهراني في مقامه وقيل سئل في بغداد عن نور الدين (هو منهم لادولة شديد وركن للخلافة شديد وأمير زاهد وملك مجاهد تداعده الافلاك وتعضد الجيوش والاملاك غير انه عرف بالري الويل لابن السبيل وبالحل الجديب للشاعر الاديب فخر رزي ولا يبرز ولا الشاعر عنده من نعمة تجزي) واما معنى أسامة بن منقذ بقوله

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا * له فكل على الخسرات منكش
أيامه مثل شهر الصوم طاهرة * من المعاصي وفيها المجمع والعطش

قلت رحمه الله ما كان يبدل أموال المسلمين الا في الجهاد وما يعود نفعه على العباد وكان كما قيل في حق عبد الله بن محمد بن زهروم سادات التاميين انهم قالوا عقال يعقوب بن سفيان الحافظ حدثنا صخرة عن الشيباني قال كان ابن الدبلي من أنصر الناس لآخواته فذكر ابن محمد بن رفي مجلسه فقال رجل كان بخيلة فغضب ابن الدبلي وقال كان جوادا حيث يحب الله بخيلة حيث يحبون وأما شاعران منقذ فلا يعتبر به فهو القائل في ليلة الميلاد مدح نور الدين رحمه الله

في كل عام للبرية ليلة * فيها تشب النار بالايقاد
لكل نور الدين من دون الوري * نار ان تارقى ونار جهاد
أبد ابصر فيها نداء وبأسه * فالعالم أجمع ليلة الميلاد
ملك له في كل جديمنة * أبهى من الاطواق في الاجياد
أعلى الملوك يدا وأمنهم حي * وأمدهم كفاي سئل نداد

كتاب (٢٢٠) الروضتين

يعلى الجزيل من النوال تبرعا * من غير مسألة ولا ميعاد
لا زال في سعد وسلك دائم * مادامت الدنيا بغير فساد

وقد قدم من شعر ابن منبر وابن القسري والحمد لكاتب وغيرهم من مدح نور الدين بالكرم والجود ما قيل منه برّد
قبل الوهراني وابن منة على أن ابن منة قد وردنا شعره كما تراعى الشعراء وأكبر الناس كما قال الله تعالى
في وصف قوم فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون وما كل وقت ينفع العطاء وفعل الله ما يشاء
﴿قصة﴾ قال ابن الأثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسماعيل في الملك وحلف له ولم يبلغ الخلق
وحلفه إلا امرأه والمقتمون بدمشق وأقامهم والمناجعة الناس في سائر بلاد الشام وصلح الدين بصر وخطب بها
وضرب السكة باسمه فيها وتولى زبينة الأمير شمس الدين محمد بن المقدم قال العماد وأخرجوا يوم وفاد نور الدين ولده
الملك الصالح اسماعيل وقد أبدى الحزن والعويل وهو مجزوز الذوائب مشقوق الجيب حاسر جفاه وبغفه
من الزيب واجلسوه في الأيوان الشمالي من الدسب والتخت الباقى من عهد تاج الدولة تنش فاستوى كل قلب
حزنه واستوحش فوقه الناس يضطربون ويضطربون ويتلهفون ويتلهفون ولما كفن بحلة الكرامه ودفن
فقد روضه بابها إلى باب رضوان من دار المقامه وقضوا الجزع وقضوا القزع وغشوا الدمع واحضروا الزمعه حضر
القاضي كمال الدين وشمس الدين بن المقدم وجمال الدولة رحمان وهو أكبر المقدم والعدل أبو صلاح بن العجبى أمين
الأعمال والشجاعة عيل خازن بيت المال وتخالفا على أن يكون أبديهم واحده وعزاهم متعاقداه وإن ابن المقدم
مقدم السكر واليه المرجع والمسند قال وأنشأت في ذلك اليوم كتاب عن الملك الصالح إلى صلاح الدين في تعزيتيه
بنور الدين ترجمته (اسماعيل بن محمود) وفيه (الحال الله بما سيدنا الملك الناصر وعظم أجرا وأجره في والده الملك
العاقل نديم الشام بل الإسلام حافظ قهوره وملاحظ أموره ومقدام الجهاد مقتضى فضيلته ومؤدى فريضته
ومحسى سنته وأورثنا بالاستحقاق ملكه وسريره على أنه يعز أن يرى الزمان نظيره وبماها هنا ما يشغل المر
ويقسم الفكر الأمر الفرخ خذلم الله وما كان اعتمادا ولا بالملك العادل عليه مسكونه إليه الاثمل هذا الحادث
للبلل والصرف الكارث المذهل فقد اخترع لكها ليل التواب واعده لمسلم ادواء المعضلات الأوارب وأمله
ليومه ولقده ورجاه لنفسه ولولده ومكنه فوقه بعضه فما قدر حبه الله الصورة والمعنى بأخوافه تعالى حافظ لبيته
واق وهل غير مدام سمومى مؤازر وهل سوى السيد الاجل الناصر ناصر وقد عرفناه المقترح لبروض رأيهم
الامر ما سمح والاهم شغل الكفار عن هذه الديار بما كان عزما عليه من قصدهم والنيابة فيهم على البدار
ويجربى على العادة الحسنى في أحياء ذكر الوالد الصديق كزنا راغبيا في اغتنام ثنائنا وشكرنا) قلت وكان قد بلغ
صلاح الدين خبر نور الدين فأرسل كليل بالمال الفاضل فيه (ورد خبر من جانب العدو والعين عن المولى نور الدين أعادنا
الله فيه من سماع للكروه ونور بما فيه القلب والوجه فاشتبه الامر وضاق به الصدر واتصم بمجادته الظهور وعز
فيه التثبت وأمر الصبر فإن كان والعياذ بالله قد تمت ونصه الحكيم الذى عم فلو اودت شخر النصال ولا يام تصنع
الرجال وما رتب الملوك مما لكها إلا الألا دها ولا استودعت الأرض الكرامة البذر إلا تؤدى حقها يوم حصادها
فانه الله أن تختلف القلب والأيدى قبلت الأعداء مرادها وتعدم الاراء رشادها وتتقل النعم التي قبست الأيام
فيها إلى أن اعطت قيادها فكونوا يا واحد واعضادا متساعده وقوا يا عجمياد وسيوف يا صهيما غمد ولا تغتلفوا
فتكفوا ولا تنازعوا فتشكوا وقوموا على امشاط الارجل ولا تأخذوا الامر بأطراف الاعمل فالعداوة عهد قبكم
من كل مكان والكفر يجمع على الايمان ولهذا البيت مناصر لا تغفله وقائم لاسله وقد كانت وصيته بالنياسبت
ورسائه عندنا تحفظت بلن ولقد اقام الامر وسعد الدين كشتكين الأتليك يديده فإن كانت الوصية ظهرت وقبلت
والطاعة في النية والحضور أدبت وفعلت والاقفهن لنا الوليد على من باواه وسيف على من عاداه وإن اسفر
المتبر عن معافاه فهو القرض المطلوب والنذر الذى يحل على الأيدى والقلوب) قال العماد وورد كتاب صلاح
الدين بالمال الفاضل معزى لابن نور الدين وفي آخره (وأما العدو فخذله الله فوراً ومن الخادم من يطلبه طلب ليل
لنهاره وسيل لقراره إلى أن يرتجعه من نجائته ويستوفيه عن مواقف مغائه وذلك من أقل فروض البيت الكريم

فايسر لوازمه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذى القعدة وهو اليوم الذي أقيمت فيه الخطبة بالامم الكريم
 وصريح فيه ذكر في الموقف العظيم والجمع الذي لا تقويه ولا تأثم وأشبه يوم الحادى أسس في الخدمة وفي ما لزمه
 من حقوق النعمه وجمع كافة الاسلام علما بان الجماعة حرمه والله تعالى غلظ ملك المولى الملك الصالح ووصل به وعلى
 يديه ويؤكدهم والتمنا ما ارادته ويجعل الاسلام واقية باقية عليه ويوق الحادى لما ينوبه من توثيق
 سلطانه وتشيده ومضاعفة ملكه ومنزله ويسير من كل أمر صالح وتقرب بعيد ان شاء الله ومن كتاب آخر
 الحادى مستر على يد ائمة الاستشرف لاوامر هالوا تعرض لمرامها والرفع كل كلمتها والا يفتكرها والحق
 بخدتها في ما بين الاحوال وظواهرها والترب لان يؤمر فيقتل ويكف فيقتل وان يرى به في غير العدة فيستد
 يجهده ويوفى أيام الدولة العالية يوما يكشف الله فيه لولى صبر عيده قال الحادى لما توفى نور الدين اختل أمرى
 واعتل سرى وعلت حسادى وبلغ مرادهم اضدادى وكان الملك الصالح صغيرا فصار العدل ابن العجى له وزيرا
 وتصرف المخالفون في الخزانة والدولة كما ارادوا وولوا مصر فواقتصروا زادوا واقتصروا على الكتاب محروم
 الدعوة من الاجابة وما تظمت من رغبة نور الدين قصيدة منها

لقد الملك الصالح * دل على الملك والعدل * وقد أطلت الافا * فلا شمس ولا ظل

ولما غاب نور الدين عن أطل المفضل * وزال الخصب والخير وزاد الشر والمحل

ومات الناس والجو * ودعاش الناس والجهل * وهزل النقص لماها * من اهل الفضل والفضل

وهل ينق ذوا طم * اذا ما تقى الجهل * وما كان لنور الدين لولا نجله مثل

(فصل) فقال الحادى واتفق زول الفرع بعد وفاة نور الدين على الشر وصد ههنا بياس ورجوا ان يتم لهم الامر ثم
 ظهرت خيبتهم وبان الياس وذلك ان شمس الدين ابن المقدم خرج وراسل الفرع وخوفهم بقصد صلاح الدين لبلادهم
 والله قد عنهم على جهادهم وتكلموا في الهدنة وقطع مواد الحرب واقتنه وحصلوا بطيعة استجلبوها وعدة من
 اسرارهم استطلقوها وقت المصالحة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنكره ولم يعبه وكتب الى جماعة الاعيان كتب اذالة
 على التوبخ واللام ومن جعلها كتابا لئلا يوصل الى الشيخ شرف الدين ابن ابي عمرو بن بصره فيه انما اناه
 كتاب الملك الصالح بقصد الفرع فجهز وخرج ومارا ربيع من اجل ثم جاء الخبر بالهدنة المؤقتة بين الاسلام من دفع
 القطيعه واطلاق الاسارى وسبنا الشيخ اولى من اطلق لسانه اذى فتمده السيف وقهر دوقام في سبيل الله قيامه من
 بقطع عاديه من تعدى وتبرذ وفي آخره وكتب من المنزل خادوس والفجر قد همل يشق ثوب الصباح لولان الثريا
 تعرضت تعرضا أثناء الوشاح وهذه البلية سافرة عن نهاريوم الجمعة ثاني عشر ذى الحجة بلغه الله فيه امه وقبل علمه
 بالقاسنى المراد واخذه فقال ابن الاثير لما توفى نور الدين قال الامر ائمتهم شمس الدين ابن المقدم وحسام الدين
 الحسين بن عيسى الجزاحى وغيرهم من اكابر الامر اعقد علمته ان صلاح الدين من ممالك نور الدين وتوابعه
 والمصلحة ان نشاوه فيما نفضه ولا تفرجه من بيننا فخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى
 من ان له مثل مصر وربما آخر جنا وتولى هون خدمة الملك الصالح فلو وافق اغراضهم هذا القول وخافوا ان يدخل
 صلاح الدين ويخبر حوايا فلهم غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح حينئذ بالملك ويعزبه
 بآيه وارسل دنانير مصرية وعليها اسمه وعرفه ان الخطية والطاعة كما كانت لوالده فلما اسار سيف الدين غازى بن
 عمه قطب الدين وملك الديار الجزيرة ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا اعلمه الحال كتب
 الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يلمه بصد سيف الدين بلاد مصر في خدمته وبعثه وكتب الى الامراء بول ان
 الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل تقى لسم اليه مصر لتي هي أعظم ماله كولا ولا يته ولولم
 يجعل عليه الموت لم يعهد الى أحد بديرة ولده والقيام بخدمته سوائى وأرا كقد تفر دتم بخدمته مولاي وابن مولاي
 دونى فسوف أصل الى خدمته مولاي جزى انعام والخدمه يظهر أثرها فاقبل كلامكم على سوء صنيعه واهمال
 أمر الملك الصالح ومخالصتى أخذت لاده فأقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء اعلمه بكونه من المسير
 الى حلب ثلاثين مائة عليه شمس الدين على بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما تأخره من خدمة الملك

الصالح بعد وفاة نور الدين لم يرض لحقه وكان هو واخوته يحلب وأمرها اليهم وعسكرهم معهم في حياة نور الدين وبعدده ولما عجز عن الحركة أرسل إلى الملك الصالح يدعوه إلى حلب لفتح البلاد من سيف الدين ابن عمه وأرسل إلى الأمراء يقول لهم إن سيف الدين قد ملكنا في القنات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح إلى حلب حتى يجمع العساكر ويستردها أخذ منه والاعير سيف الدين القنات إلى حلب ولا تقوى على منعه فله رسله ولا مكنه من قصد حلب قال وكان نور الدين من قبل أن يرض قد أرسل عساكره فلما كان بعض الطريق أتاه الخبر بموت عمه نور الدين فصادا إلى نصيب فلكها وأرسل الشخص إلى الحاقور فاستولوا عليهم وأساروا إلى حران فصرعها ذات يوم ثم أخذها ملك الرها والرافقة وسر وج واستكمل ملك سائر بلاد الجزيرة سوى قلعة جبر فقال له نفر الدين عبدالمعرج وكان خفافا قوسيا وسرا بعد وفاة نور الدين وقصد سيف الدين قلعة ناعمان سيف الدين برعى له خدمته وقيامه في أخذ الملك لهم والده قطب الدين على ما ذكرناه أولا فلما بين غمرة ما غرس وكان عنده بعض الأمراء ليس بالشام من يملك فاهير القنات وأمالك البلاد فاشأ أمر آخرعه وهو أكبر أمره أنه قد ملكنا أكثر من ذلك والمصلح لمكان تعود فرجع إلى الموصل

(فصل) قال ابن الأثير قد سبق أن نور الدين كان قد جعل قلعة الموصل لما لم يكن له داره وهو بعد الدين كشتكين بعض خدمه الحاصلين فلما سار سيف الدين إلى الشام كان في عقدته على مر حله فلما أتاه خبر وفاة نور الدين هرب وأرسل سيف الدين في أثره فلم يدر في قبض بركة ودوابه وسار إلى حلب وتمسك بخدمته شمس الدين ابن الداية واخوته واستقر بينهم وعينه أن يسير إلى دمشق ويحضر الملك الصالح فصار إلى دمشق فخرج ابن المقدم عسكرا إليه قصد منهزما إلى حلب فاختطف عليه شمس الدين ابن الداية ما أخذ منه وجهه وسير إلى دمشق وعلى نفسها قبض براش فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع اليها الملك الصالح والأمراء واعلمهم ما في قصد الملك الصالح إلى حلب من المصلح فاجابوا إلى تسيره فصار اليها الموصلها وصعد إلى قلعتها قبض الخادم سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى ابن الخشاب شمس حلب قال ابن الأثير ولولا من شمس الدين لم يتمكن منه ولولا جري من ذلك الخلف والوهن شيء وصكان أمره فله قدرا مقدورا فاستد به سعد الدين بتدبير أمر الملك الصالح فخافه ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق وكتبوا سيف الدين ليسلوا إليه دمشق فلا يفعل وخاف أن تكون مكيده عليه ليسير القنات ويسير إلى دمشق فيفتح عنها ويقصده ابن عمه من وراء ظهره فلا يمكنه للثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على إقراره فأخذ يمد يده إلى الملك الصالح يحلب سعد الدين بين يديه يدبر أمره وتمسك منه كما عظميا يقارب البحر عليه قال الخادم كان كشتكين الخادم النائب بالموصل قد سمع عرض نور الدين فاخفاه واستأذن في الوصول إلى الشام فطلب سيف الدين غازي برضاء وخرج وسار من حلتين ومع البقي فاغذ السير والسبي ونجما به وبجالة ونظم صاحب الموصل على الرضى بترعاه وكانت عنده وفاة عمه بشاره وبظهرت على صفاته منها أماره فانه لم يزل من كشتكين متشككا فانه كان لجر الأمر عليه مذكا وكذا المرحوم قد أمر بأداة الخمر وإزالة الخمر واسقاط المكوس وإعدام اسقاط البوس فتوفي بالموصل يوم روردا الخبر بالقصة في الترحب جهارا وإلا زوالا زوالا والرفق وعدد التكر وأشد قول ابن هاني (ولا تقنى سرا فقد أمكن الجهر) وقيل أخذنا منادى على يده منادى عليه قدح وزم وزعم أن خرج بهذا أمر فلا خرج على من يقنى وشرب وعادت الضرائب وضربت للضرائب فلما كشتكين فانه وصل إلى حلب بعد أن جرى ما جرى وتشل عند الصباح بمجد القوم السري واجتمع هناك بالأمير شمس الدين على ابن الداية واخوته وأخوه مجد الدين وأظهروا لهم من الحاصلين وكان مجد الدين أبو بكر الخور صاحب نور الدين وقد ترقى معه وزمته وتوجه إلى أن ملك الشام بعد والده فقوض إلى مجد الدين جميع مقاصده من طريقه وتلقاه وحكمه في الملك ونظمه في السلك فلا يعل ولا يفتد إلا برأيه وكانت حصونه حصنة وهو يسكن عنده في قلعة حلب والحاضر عنده صبا وسماه إذا طلب وشيز زمع أخيه شمس الدين على ولجته جبر وتل بالمر مع سابق الدين عثمان وطرم مع بدر الدين حسن وعين نابو عزاز وغيرهما توابه فيها وهو يصونها ويحبها ولما توفي حزنه في القريب والانبساط على عادته وهم أعيان الدولة وأعضاءها وأبدال أرضها وأوتادها وأجنادها وأجوادها فلما توفي نور الدين لم يشكوا في أنهم يهلكون ولده ويربونه ويجمعهم لأجل سابقهم ويحبونه فاقام شمس الدين على وهو أكبرهم وأوجههم ودخل قلعة

حلب وبها واليا شاذنحت وسكنها وأسر معجزة الدولة وأهلها وعرف ما جرى دمشق من الاجتماع واتفاق ذوي
الاطماع فكانتهم وأمر بها الوصول اليه في خدمة الملك الصالح واتخذ أخا مسابق الدين عثمان وكان قليل الخبرة بعيدا
من الدهاء فاستقر الأمر على أن يجعلوا الملك الصالح اليه ويقدموا به عليه وهو يتسلم ماله ويكون أبا بكه ووصل
كشكتكين إلى دمشق في تلك الأيام فوافقهم على ما دبر ومن المرام وسار الصالح معه كشكتكين والقصل بن الجهمي
واسماعيل الخازن فيقتول أخوته محمد الدين الثلاثة قبضوهم واعتقلوهم وجاء ابن الخشاب أبو الفضل مقدم الشيعة
فسفكوا دمه وأقام خمس الدين بن المقدم بدمشق على عساكرها مقدما وفي مصالحتها محكما وجمال الدين ريسان
والقلة والشحن من قبله والأمر اليه بتفصيله وجهه والقاضي كمال الدين الشهر زوري الحاكيم النافذ
حكمه الصائب همه الثاقب نجحه وكان سير الملك الصالح من دمشق في الثالث والعشرين من ذي الحجة فآغا
صلاح الدين ما فعل بأخوته محمد الدين وقال ابن أبي طي الحلبي لما مات نور الدين اجتمع أمراء دولته واتفقوا على أن
يكونوا في خدمة الملك الصالح بن نور الدين وكان يومئذ صليوا أجعوا على مناداة الملك الناصر وقبض أصحابه
الذين بالشام ومصالحة الفرنج على بد ابن المقدم خمس الدين مقدم العساكر وتم ذلك واستقر ركب الملك الصالح
بدمشق وتخطبه وكانت الفرنج قد فتركت إلى قصد دمشق فخرج ابن المقدم ونزل على باناس في عساكر نور الدين
وراسل الفرنج في الهدنة فأجابوه بعد أن قدموا قطيعة على المسلمين فقبلها وتم أمر الصلح وعادت الفرنج إلى
بلادها وابن المقدم إلى دمشق واتصل خبر هذا الهدنة بالملك الناصر وكان قد خرج من مصر أربع مراحل
فأعظم أمرها وأكبره واستصغر أمر أهل الشام وعلم ضعفهم فراسل ابن المقدم وغيره من الأمراء بأنكار ذلك
والتوقيع عليه وقال في كتابه إلى ابن أبي عسرون (ورد الخبر بصلح بين الفرنج والدمشقيين وبقيت بلاد المسلمين
مادخلت في العقد ولا انتظمت في حاكم هذا القعد والعدو لهما واحد وصرف مال الله الذي اعتدلفتم الطاعة
ومصلحة الجماعة في هذه المعصية الخفية لله ولرسوله ولصالحى الامه وكان مذخور لا تكشف الغمه فصار عونا وان
أسارى من طرية وفرسانها كانت وسطا منهم شديده وشوكتهم حديد دعووا في القطيعة وجعلوا إلى السبل السبب
والفرسه فلما باقنا هذا الخبر وتقنا بين الورود والصدور وأن أعتنا نلنا بتغير ما رآه وان تعد ما فالعدو من بقية
الثغور التي لم تدخل في الهدنة غير بعيد وان فرقنا العساكر لم يتألف اجتماعها بعد اقرا قها شديدا فرأنا ان سيرنا إلى حضرة
الامير خمس الدين إلى الحس على وأخوته من يعرفهم قد خطر هذا الارتباك وأنه أمر ربما يجز فيه عن الاستدراك
وان العدو طالب لا يغفل وجاد لا يكل ولت لا يضيع الفرصه مجد لا يميل إلى الرخصه فان كانت الجماعة ساخطين
فيظهر امارات المخط والتغير ولا يملك في الاول فيجوز عن الآخر لاسيما ونحن نغلقه ونغير ونهصد للمسلمين ما يجمع
به صلاح الرأى وصول التدبير وقد منعنا عاكر بان تفرق خرقا أن يقصد العدو ناجس طرم بالمال الذي قوته به
قوته وثروته وثروته وانسلط به خطوته فانه ما دام به لم اناجتمعون وعلى طلبه يجمعون لا يمكنه أن رايل مرأكزه ولا
يبادر منها زهه قال وكان متولى قلعة حلب شاذنحت الحادام التوري وكان خمس الدين على أخوته محمد الدين بن الداية
اليه أمور الجيش والديوان وإلى أخيه بلز الدين حسن الشحنة كيمو كان يبدو يد اخوته جميع المعامل التي حول حلب
فما بلغ عليه موت نور الدين سعد إلى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد ثم سكه ابن الخشاب فاستمتع من المصعد اليهم
وترددت بينهم الرسالة وتجزب الناس جلب اهل السنة مع بني الداية والشيعة مع ابن الخشاب وحرب اسباب اقتضت
أن أنزل حسن بن الداية جماعة من القلعين وأهل الحاضر توزعوا إلى الدار ابن الخشاب فلكر هواهم وبها وانعتق
ابن الخشاب وأصلت هنما الاخبار بين في دمشق وأخذوا الملك الصالح وساروا إلى حلب في الثالث والعشرين من
ذي الحجة وسار مع الملك الصالح سعد الدين كشكتكين وجريدك واسماعيل الخازن وسابق الدين عثمان بن الداية
وقد وكلت الجماعة به وهو لا يعلم وساروا إلى حلب وتوحد الناس إلى لقاءهم وكان حسن قد رتب في تلك الليلة جماعة
من الحلبيين ليصنع ويضللهم فلما خرج إلى لقاء الملك الصالح ووقف عينه عليه ترجل لخدمه هو وجماعته من
أصحابه فتقدم جريدك وأخذيده وشتموه وجذبه فأركبه خلفه ودينا وقبض سابق الدين أخو قولى الحال وتغلظت
أصابعهم جميعهم واحتيط عليهم وساروا وجمدين حتى سبقوا الخبر إلى القلعة وصعدوا إليها وقبضوا على خمس الدين

على ابن الداية من فراشه وجعل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله أحد عماليك نور الدين المعروف بالجفينة فركله برجله ركعتين حامداً على وجهه فأنشئت جيمته ثم صعدوا جميعاً وجسروا في جبا القلعة وقبضوا على جميع الاجناد الذين حلقوا لاولاد الداية وأخرجوا جميعاً من القلعة قتل وفي آخر هذه السنة توفي مري الفرنجي الملك الذي كان حاصر القاهرة وأشرف على أخذ الديار المصرية وفي كتاب فاضلي (ورد كتاب من الدارود يذكر أنها كان عشية الخميس ناسع ذي الحجة هلك مري ملك الفرنج لعنه الله ونقله الى عذاب كاسهم مشتقاً وأقدمه على نار تلظى لاصلاها الا لثني)

ثم دخلت سنة ثمان مائة وخمسة مائة قال ابن أبي طي في أولها ضمن القطب ابن الجعي أبو صالح وابن أمين الدولة لبرديك ان قتل ابن المشابرد وأعليه جميع ما تهب في عدا ابن أمين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه وأخذتاه أماناً لابن المشابرد ونودي عليه فحضر وركب الى القلعة فقتل وعلق رأسه على أحد أبراج القلعة ونفى الملك الصالح في قلعة حلب ومضى العماد لا كاتب الى الموصل قال وعمرت على خدمة سيف الدين صاحبها وقد أخذ من بلاد الجزر الى حنا الفرات ومضى اليها ابن الجعي أبو صالح فأصلح ابن الجعي وعلق رأس أخوة محمد الدين في الاعتقال وضيقوا عليهم في القيد والغلل وأزموهم بتسليم الحصون وتقديم الزهون الى أن غصبوا دورهم وتركوا ممرهم حال وكان الموفق خال ابن القيم رافق قد وصل ونحس بدمشق من مصر فلم يدره ولم يدخل مع القوم فأما صلاح الدين فإنه اعتقد ان نور الدين لا بعده أخوة محمد الدين لما جرى ما جرى ساء ذلك وقال أنا أحق برعي اليهود والسبي المحمود فإنه ان سمعت ولاية هؤلاء تغرق الكلمة المتجتمعة وضاعت المنافع المتبعة وانفردت مصر عن الشام وطعم أهل الكفر في بلاد الاسلام وكتب ابن المقيم ينكر ما أقدموا عليه من طريق الكلمة وكيف اجترأوا على اعضاد الدولة وأزكاها بل أهلها واخوانها وأنه يلزمهم أمرها ويصره ضرهم وضرها فكذب ابن المقيم اليه برده عن هذه العزم ويقع له استعصان هذه الاشياء وقوله (لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك وربك وأساسك وأصني مشرك وأصني ملبسك وأجلى سكرتك ذلك مصر وفي دسته أجلسك فما يليق بملك ومحاسن احلافك وخلافك غير فضلك وافضالك) فكذب اليه صلاح الدين بالانشاء الفاضلي (أما لا تؤثر الاسلام وأهلها لا مجمع سلطهم وألف كلمهم والبيت الانابكي أعلام الله الا ما حفظ أصله وفرعه ودفع ضره وجلب نفعه فالوفاة انما يكون بعد الوفاء والمحبة انما تهرأ طرد ما عندتك كارتضاع الصداة وبالجملة ما في وادوا الظالمين شأنن السوفى بولد ولنا من الصلاح مراد وليس بعدنا عنه مراد ولا يقال لمن طلب الصلاح انك قاذح ولن ألقى الصلاح انك جارح)

(فصل) قال العماد ثم عزى السلطان على أن يسارع الى تلاحى الامر فاعتزله امر أن أحدهما وصول اسطول صقلية الى الاسكندرية وادراكه والثاني توبة الكثر ونفاقه وهلاكه أما وصول الاسطول فكان يوم الاحد السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وستين واتهم في أول المحرم سنة سبعين ثم ذكر كتابنا وصل من صلاح الدين الى بعض الامرأه بالشام يشرح الحال وأصله ان أول الاسطول وصل وقت الظهر ولم يزل من واصلا متكاملاً الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من المتوكلين بالنظر لاهل حين خذاهم الخبر فأمر ذلك الاسطول كان قد اشتهر وروعه ابن عبد المؤمن في البلاد المقربة وهدد في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية فتوجه في الغفر من وقور عتته وكثرة عتته وعظيم الحمية وفرد الاسكندرية من املاً البحر واستنبد الى امر فحى أهل النهر عليهم البر ثم اشير عليهم أن يقرى بوا من السور فمكن الاسطول النزول فاستنزلوا خيولهم من الطراد وراجلهم من المراكب فكانت الخيل ألفاً وخمسة مائة رأس وكانوا ثلثين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وكانت عتة الطراد سنة وثلاثين طردياً تحمل الخيل وكان معهم اثنا عشر في كل شئ ما تموجون وراجلوا كانت عتة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاختاب الكبار وغير هاست سفن وكانت عتة المراكب الحاملة برسم الازواد والرجال أربعين مراكباً وفيها من الرجال المتفرق وغلمان الحيلة وصناع المراكب ورجال الزحف وبلاتة والمجنحة مما تنضم خمسين ألف فرجول ولما تكاملوا ما زلن على البر خارجين من البحر حملوا على المسلمين جملة أو صاومهم الى السور وقدم من أهل

فأخبار (٢٢٥) الدولتين

النفري وقتاً لملتها من هزيمة أنفس واستشهد بمجودين البصار وبمهم جرح وحلقت مرآكب الفرج داخله الى المنيا وسمكان به مرآكب مقاتله ومرآكب مسافره فبقية أصحابها النافسة فوهر قوها وغلبهم على أخذها وأحرقوا ما احترق منها وأصل القتال الى المساعضر وبأخيامهم بالبر وكان عدتهم ثلاثة مئة فلما أصبحوا زحفوا ووضوا بقوا وحاصروا ونصبوا ثلاث دليبات بكباشها وثلاثة مجاشيق كبير الة ادر بضر ببحجارة سود استعصبوها من صقلية وتجب أصحابا من شدة أثرها وعظم جحرها وأماله بابات فانتبهه الأبراج في جفاء أخصابها وارتاعها وكثرة مقاتلتها واتساعها وزحفها الى ان خربت السور ولجوا في القتال عامة النهار المذكور ورد الخبر الى منزلة العساكر فهاقمس يوم الثلاثاء ثالث يوم نزول العدو على جناح النصارى فاستنفذت العساكر الى النفري استكدرية وميلط احترازا عليها واحتياطاً في أمرها ونحوها من مخالفة العدو إليها واستمر القتال وقدمت الديابات وضربت المختبقات وزاجت السور الى ان صارت منه بقدر اراج البحر واهاج الدور فاتفق أصحابا على ان يفتحوا ابوابا لتهاجم السور ويتركوها معلقة بالقصور ثم فتحوا الابواب وتكاثر صالح أهل النفري من كل الجهات فأحرقوا الديابات المنصوبة وصعدوا عند هامن القتال وأنزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والقهر وأصل القتال الى العصر من يوم الاربعاء وقظهر قتل النفري وروعهم وقصرت عزائمهم وقهر بهم وأحرقت آلات قتالهم واستخر القتل والجراح في رجالهم ودخل المسلمون الى النفر لاجل قضاء فريضة الصلاة وأخذوا بقيام الحياة وهم على نية المساكه والعدو على نية الحرب والمبادره ثم كرم المسلمون عليهم بقتة وقد كانت الخطام فهاجمهم في الخيام قتلوها بما فيها وقتكروا في الرحالة أعظم قتل وتسلوا الخيالة ولم يسلم منهم الا من نزع يسه ورحى البحر نفسه وتقيم أصحابا في البحر على بعض المراكب فحرقوها وألقوها غولت بقية المراكب هاربه وجاءتها أحكام الله الغالبه وفي العدو بين قتل وغرق وأسروا وراحتي ثلثة مئة فارس منهم قد أسفل فاختدخت خيولهم ثم قتلوا وأسروا وأخذ من المتاع والآلات والأسلحة ما لا يحصى معه وأطلع هذا الأسطول عن النفري يوم الخميس وذكر ابن شاذان نزول هذا العدو كان في شهر صفر وكانوا ثلاثين ألفا في ستمائة فطعمه ما بين شين وطراده وبسطه وغير ذلك

(فصل ١٠) وأما نوبة القتال فكان ابن شاذان ذكر انك انما مقدم من المصريين كان قد اتزع الى أسوان فقام بها ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليهم فيجعل لهم انه ملك البلاد ويعد الدولة مصريه وكان في خلوب القوم من المهاداة للصرين ما تستصغر هذه الاعمال عنده فاجتمع عليه خلق كثير وجمع واقر من السودان وتصدقوا وأعمالها فانهى خبره الى صلاح الدين فجزه عسكر اعظما شاكين في السلاح من الذين ذاقوا حلا وتملك الديار المصرية وخافوا على فوت ذلك منهم وقد علمهم أنا سيف الدين وسار بهم حتى أتى القوم فلقهم بمصاف فكسرهم وقتل منهم خلقا عظيما واستأصل شاقتهم وأخذ تأثرهم وذلك في السابع من مفرسة سبعين واستقرت قواعد الملك قال العماد وفي أول سنة سبعين مستهلها قام المعروف بالكثرة في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد وعداودا القريب والبعيد وكان عندهم من الامراء الخدام الذين الى الهجمة الذين فتنك به وعن هؤلاء من المنقطعين فقاتل حمية أخيه وثاروا للامار وساعده أخو السلطان سيف الدين وعز الدين موسى بن خاله وعدة من أمرائه ورجاله وياهوا الى مدينة طوبى فاجتمع عليهم وامتنعت فأسرعت البلية اليها واهلقت وأتى السيف على أهلها وبات بعد هزها بلها ثم قصد الكثرة وهي في طغيانها وعدوانه وسوءه وسودانه فسفل قدمه وناهر بعد ظهور وجوده عنده وارتمى دماء سوده وهمم غابه على اسوده ولم يبق للدولة بعد كثرها كثر وطول دمهم ولم يستطع فيه عز ولم تدع المارقون فهارقوا بعد مسلم فحاق والله لنا صردي ديننا صروروق وقال ابن أبي طى واتفق أيضا ان خرج بقرية من قرى الصعيد يقال لها طود رجل يعرف بعباس بن شاذى وثانى بلاد قوص ونهبها وخر بها وأخذ أموال الناس واتصل بذلك الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وكان السلطان قد استأبه بمصر فجمع له العساكر وأوقع بمصر بدت شمله وقضى جموعه وقتله ثم قصد بده كثر الدولة الوالى بأسوان وكان قصد بلطود قتل أكثر عسكره وهرب فأدركه بعض أصحاب الملك العادل فقتله

(فصل ١١) في ترحله صلاح الدين الى دمشق ودخوله إليها في يوم الاثنين آخر شهر ربيع الأول قال العماد خلا

بألهما قد ذكر قبته لقصده الشام فخرج إلى البركة فاستقبل صفروا فام حتى اجتمع الصكر ثم رحل إلى بليس ثالث عشر
ربيع الأول وكان ترسل شمس الدين صاحب بصرى صديق ابن جادى وخمس الدين بن المقدم عنده تسورى في الحث
والعشر زنده وتسقده وجنده وسار على صدرواثة ووصل السير بالسرى حتى أراح على بصرى بصيرا على نصيرا
للهدى فاستقبله صاحب بصرى وشذازره وسدأمره واستضاف إلى بصرى صرخد وتقرب السبق إلى الخدعة
وتوحدوا سار في الخدمة معه إلى الكسوة وبكر صلاح الدين يوم الاثنين أنسلخ الشهر وسار في موكب قوى بالعهد والعدد
وحسبان يتنوع عليه البلد وإن الأطراف توتق والأرب تغلق فأقبل وهو يسوق وأقبله يسوق حتى دخل
دمشق وعرقها وكان الله تعالى لمخلقةا ودخل إلى دار المقيى مسكن أبيه وبقي جمال الدين ربحان الخادم في
القلعة على تأيه فراسله حتى استماله وأغزله فواله وتلا المدينة والقعة ونزل بالقلعة سيف الإسلام وأخوال السلطان
صلاح الدين وملاك ابن المقدم دار موكب محاربا وبذل له طلبته التي أشار إليها ونص عليها وأظهره فدجا لثرية
الملك الصالح وحفظ ماله من الصالح وتدير ملكه فهو أحق بصياحه حقه واجتمع به أعيانها وخلص لولاية
اسرارها وأعلامها وأصبح وهو سلطانها وزاره القاضي كمال الدين ابن النهر زورى ففها حقه من الاحترام وأوفره
حظ النجيل والاعظام ونفقت الكتب بالمثل الفاضلية إلى مصر بهذا المعج والنصر وفي بعضها (يوم وصولنا
إلى بصرى وقبلة وفدت وهاجرت وتكاثرت وتوافى الامراء والاجناد الأربا والأكراد والعرابان
وراجل الأعمال وأعيان الرجال وورد كتاب من دمشق بعد كتاب وكل مخبر وذاكر وهو غائب بكابا حاضر
يذكر أن البلاد يمكنه القياد مذعنة إلى المراد وأما الفرع فحلهم الله فان في هذه السفرة الباركة كثير لثاني بلادهم نزول
للمحكم ولقائهم إقامه الحاضر المقدم وعميون متناوهم وجزنا وأنوفهم راعم ووطنا نور فاهم صفرو ومرناو عيشهم من
واقه يزيد هذا ليحبل عداوة الإسلام في صدرهم غلا وفي أعناقهم غلا وفي كآب أسر (وكان ربحا من بصرى
يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول وقد توجه صاحبها بن أيدى بانها تاجا بشر وط الخدمة ولوارمها تقينا
الاجل ناصر الدين ابن المولى أسد الدين زحمة الله عليه وأدام نعمته والامر سعد الدين ابن أنزى في يوم السبت السابع
والعشرين ونزلنا يوم الاحد بجمرا الحشب والاجناد الممتنية السنامتوافيه والوجود على أبوابنا متراميه ولم يتأخر
الامن أبى وجهه وراقب صاحبه ومن اعتمد بالقعود انه قد نزل لنفسه في العاقبه ولما كان يوم الاثنين التاسع
والعشرين من الشهر ترك بنا على خيراته الله تعالى وعرض دون المدخل عددم الرجال فدعستهم عساكر المنصورة
وصد عنهم وعرقهم كيف يكون اللقاء وعلمهم ودخلنا البلد واستقرت بنا دار الفارحة الله عليه قررة عيوننا مستقرا
سكون الرعية وسكوننا وادعنا في ارجاء البلد النداء باطابة النفوس وازالة المكوس وكانت الولاية فيهم قد ساءت
وأسرفت واليد المتعدية قد امتدت إلى أحواهم وأجففت فشرعنا في امدال أمر الشرع رفعها واعفاء الامم منها
برضعها قال ابن الأثير لما فاف من دمشق من الامراء ان يقصدهم كسكتين والملك الصالح من حلب فعاظمهم
بما عامل به بنى الدنيا وأسلوا سيف الدين غازى ليمواها الهة فليجيبهم فعملهم الخوف على أن راسلوا صلاح الدين
يوسف بن أيوب مصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن أشبهه أباه فخانم فلما أتته أرسل لم يتوقف
وسار إلى الشام فلما وصل دمشق سلمها اليهم من جهات الامراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وأما
أظهر أني انما جئت لخدمته واسترذله ببلاده التي أخذها من ٤٤ وجرأت أمورا خواله اصطلح هو وسيف الدين
والملك الصالح على ما به وقال القاضي ابن شذال لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده مطلقا لا يفيض
بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عداوته عن البلاد فجهز للفرج إلى الشام انه هو أصل بلاد الاسلام فجهز بجمع كبير
من العساكر وخطب بالبلاد المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظم أمورها وسياستها ورجع هو سار مع جم
من أهلها وأقاربه وهو يكاثر أهل البلاد وأمر اءاعا واختلفت كلمة أصحاب الملك الصالح واختلت تدبيراتهم وخاف
بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف ألياق من فصل ذلك وسبب التنفير قلوب
الناس عن الصبي فاتقضى الحال ان كتب ابن المقدم صلاح الدين فوصل إلى البلاد مطا بالملك الصالح ليكون
هو الذي يتولى أمر موتيرها فدخل دمشق يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر وكان أول دخوله إلى دار أبيه واجتمع

في اخبار (٢٣٧) الدولتين

الناس اليه وفر حوايه وانفق في ذلك اليوم في الناس ما لا يحصى ولا يظهر الفرح والسرور بالمشيقيين واطهر والفرح به وصعد القلعة واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث ان سار في طلب حلب فنزل حصن وأخذ مدينتها في جمادى الاولى ولم يستغل بقلعتها وسار حتى أتى حلب ونزلها مسلخ جمادى المنصور وهي الدفعة الاولى وقال ابن أبي بلع السطان ان ابن المقدم هض عهد الملك الصالح وهو كان الديب في خروج سيف الدين صاحب الموصل واستيلائه على البلاد الشرقية ومضاهيته للملك الصالح في عائلته وقيل ان ابن المقدم كاتب السلطان ودعا الى الخروج وقيل انما خرج الى الشام خوفا من حركة شمس الفرنج بسبب اختلاف أمره الشام وشغل بعضهم بعض ويحيى بعض ورمن ابن المقدم ولما تيقن ابن المقدم خروج السلطان الى جهة دمشق أشفق من ذلك واستدرك ما بدا منه وتذلل له ووعده تسليم دمشق اليه قال ولما حصل على دمشق وقلعتها ولستوطن بقلعتها نشر علم العدل والاحسان وعفى آثار الظلم والعدوان وأبطل ما كان الولاة يفتخرون به بعد موت نور الدين من القبايح والمنكرات والموبن والضرائب المحرمات قلت وكان قد كتب اليه أسامة بن منقذ قصيدة بعد مصلى عقلمن أولها

تمنّى بأطول الملوك بدا * في بسط عدل وسطوت وندي
أبرار ذكرا من ذلك الشكر في الدنيا * ومن ذلك الجنان غدا
لا تنقل الذي صنعت فقد * قنت جرض الجهاد مجتهدا
وجست أرض العدى وأفندت من * أبطلها بها عجز العدا
ومارأى شاغر الفرج نجم * الملوك في عقدر درهم أحدا
فصر الى الشام فاملا تلك * البرار تلقاك ملتي جدا
فهو قهر اليك بأمل أن * تسلم بالعدل منما قد
وأنت تعطي في عاقبة النصر كما في كتابه * وعدا
فأجابه الزوري والهمك السعدل وأعطاك ما ملكت مدى

ومدح وحيش الاسدي صلاح الدين عند أخذه دمشق بقصيدة آخرها

قد جاهد النصر والتوفيق فاصطفا * فكن لا ضعاف هذا النصر مرهبا
فله أنت صلاح الدين من أسد * أدنى فر يستهلا إيمان وثبا
رأيت جلق تغر الانظـير له * جفتها عامر امنها الذي خربا
نادتك بالذل لما قلنا نصرها * وأزعم الخلق من أوطانها هربا
أحييتها مثل ما أحييت مصر فقد * أعدت من عدلها ما كان قد ذهابا
هذا الذي نصر الاسلام فاقصحت * سيده وأهان الكفر والصلبا
ويوم شاور والايمن قد هزمت * جيوشه كان فيه الخلق للعبا
أبت له الضيم نفس مرة ويد * فضالة وفؤاد قط ما وجبا
يستكثر اللذخ يتي في مكرمه * زهدا ويستصغر الدنيا اذا وجبا
ويوم دسماط والاسكندرية قد * أسلمهم من لاق الأرض قد ضربا
والشام لوليدارك أهله اندرت * آثاره وعفت آياته خبا

(فصل) في مجازي بعد فتح دمشق من فتح حصن وجادو حصار حلب قال ابن أبي بلع في الاتصال بين من حلب حصول دمشق للملك الناصر وميل الناس اليه وانعكافهم عليه خافوا أو تنفقوا أو أجروا على مراسلته فعملوا قنصل الدين ينالين حسان دراهم وأغنيا وأبرقوا وقالوا له هذه السيوف التي ملكك مصر وأيدنا وإلزام التي حوت بها قصور مصر بين على أكافنا وإلزام التي ردت عنك تلك الصاكر هي زرك وعما تصدبت له تصدك وأنت قد تعذبت طورك وتجاوزت حذرك وأنت أحد غلمان نور الدين ومن يجب عليه حفظه في قوله قال بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولا تلقاه بموكبه وبغضه وبالغنى كرامه والاحسان اليه ثم أجبره بعد ثلاثة لسماع

الرسالة منه فلانها من حسان تلك الشفاقي الباطلة وقد وقع تلك العجوبات العاطلة لم يعرفه السلطان رحمه الله طرفا ولا سمعا ولا رذ عليه خفصا ولا رضا بل ضرب عنه صمغها وتغاضيا وترك جوابه احدا وانجافيا وحري في ميدان ارضيته واستنى ستم مروتته وخطبه بكلام لطيف فريق وقال له بهذا العلم اتخى وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتهديب الامور وحباطلة الجمهور وسدائثهم وترية ولدنور الدين ونف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لاختدامك لنفسك ونحن لانطاولك على ذلك ودون ما ترومه خطر الانقاد وقت الاكباد والى شام الاولاد فبالتفت السلطان بقائه وترا في احضاره واوى الى رجا له بايامت من بين يديه بعد ان كاد يسطو عليه ونادى في عاصره بالاستعداد لقد سال الاسفل ورجل متوجها الى حصن قسطنطين البلدة وقاتل القطعة ولم يرضيع الزمان عليهم فوكل بهما من يحصر هاور حل الى جهة حماه فواصل الى الرستن خرج صاحبها عز الدين جرديك وأمر من فهمان العسكر بظاعة أخيه نفس الدين على واتباع أمره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن وأقام عنده يوما وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به اسلم اليه جاده وسأله أن يكون السفير بينهما وبين من يطلب فأجاب السلطان الى امره وسار الى حلب وبقي أخو جرديك بقلعة حماه قال وسار جرديك الى حلب هو سلطان انه قد فعل شيئا وحصل عند من يطلب فاجتمع بالامراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه الامراء بالخيانة وردة وامشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولم يسعد الدين كسكين في القبض عليه فقبض وتقل بالحديد وأخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الجلب الذي فيه أولاد الدايه قال ولما قدم جرديك وشق في وسطه الجبل ودلى الى الجلب وأحسن به أولاد الدايه فام اليه منهم حسن وشقيقه أفتح شتم وسبه الأسماء وحلف بالله ان أنزل الهم ليقنته فامتنعوا من تبليته فاعلم سعد الدين كسكين فحضر الى الجلب وصاح على حسن وشقيقه وتوعده فمكن حسن وامسك وانزل جرديك الجلب فكان عند أولاد الدايه واسمهم حسن كل مكره وقال وكب أي الى حلب

حين انفصل به قبض أولاد الدايه وجرديك وكانوا تعصبوا عليه حتى نفا نور الدين من حلب قصيدة منها
 بنوا فلاة عولن الفضالة قد ❊ قضى يلهم الافلاك والامهر
 واصحوا بسعد عز الملك في صفد ❊ ونصر غلبة نفثي لها البصر
 وحرد الدهر في جرديك عز مسه ❊ والدهر لا يلجأ منه ولا وزر

قال ولم ير السلطان مقبلا على الرستن طال عليه الامر فسار الى جباب التركان فظنيه أحد غلمان جرديك وأخبره بما جرى على جرديك من الاعتقال والتهرب فرحل السلطان من ساعته عائدا الى حماه وطلب من أخى جرديك تسليم جاده اليه وأخبره بما جرى على أخيه ففعل وصعد السلطان الى قلعة حماه واعتبر أحوالها ولاها بما رز الدين على بن أبي العوارس وذلك مستعمل جمادى الآخر وسار السلطان الى حلب ونزل على أنف جبل جوش فوق مشهد الذكة ثالث الشهر ولشئت عساكره الى الحثافة والى السعدى وكان من يطلب يظنون ان السلطان لا يقيم عليهم فلم يرهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوش واعلامه قد نشرت ثقافوا من الخليليين أن بسوا البلد كما فعل أهل دمشق فأرادوا تطيب قلوب العامة فأشهر على ابن نور الدين أن يجمعهم في الميدان ويقل عليهم بنفسه ويخاطبهم بنفسه انهم الوزر والمجا فأم أن ينادى باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس قبل الصالح من باب الدرجة وصعد من الخندق ووقف في رأس الميدان من الشغال وقال لهم يا أهل حلب أنار بكم وتراكم والا جى اليكم كبير كم عندي بمنزلة الاب وشابكم عنسدى بمنزلة الاخ وصغير كم عندي بحمل الولد قال وخنقته العمرة وسبقته الدفعة وعلان شيعه فافتت الناس وصاحوا بصيحة واحدة وزر وابتما بهم ونضوا بالبكاء والعريل وقالوا نحن عبيدك وعبيدنايك تتقاتل بين يديك ونسذل أموالنا وأنفسنا لك واقبلوا على الدعاء والترحم على أيهم كانوا قد اشتروا على الملك الصالح انه بعيد الهم مشرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وأن يجهز يحيى على خير العمل والاذان ولقد كبر في الاسواق وقدام الخنازير بأسماء الاثمة الاثني عشر وإن يصلوا على أمواتهم خمس تكبيرات وإن يكون عقود النكحة الى الشريف الطاهر أى المكارم جزين زهرة الحسنى وإن تكون العصبة مرفعة والناس مأموس وزعن أراد الفتنة وأشيء كثير فاعتقروهما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله فأجيبوا على ذلك قال ابن أبي طي

فأذن المؤمنون في منارة الجامع وقره يحي على خير العمل وعلى أبي في الشريعة مسيلا وعلى وجوه الحليين خلفه
وذكر في الاسواق وقدام الجنازة اسم الله الائمة وصلوا على الاموات خمس تكبيرات وأذن الشريف في ان يكون عقود
الحليين من الامامية اليه وقبلوا جميع ما وقعت الايمان عليه

فصل قال ابن أبي طي وكانت هذه السنة سديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هاجمة الالهوية وكان
السلطان قد جعل أولاد الداية علاله وسياقة ذمعية السنة من يشكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح
وقول أنا انما أتيت لاستخلاص أولاد الداية واصلاح شأنهم وأرسل السلطان الى حلب رسولا يعرض بطلب الصلح
فامتنع كشتكين فاشتد حينئذ السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك الصالح لا تمتقضي الا بنصب
الحبال للسلطان والاصرة في محاملته وارسل المكره اليه فاجعوا آراءهم على مر اسبوعين صاحب الحشيشية
في ارصاد المتألف للسلطان وارسل من يهتد به وضمنوا له على ذلك أموال الاجرة وعد من القرى فأرسل سنان جماعة
من فئدة أصحابه لا غتيال السلطان بغيره الى جبل جوش واختلطوا بالعسكر فمهرهم صاحب بوقيس لانه كان
مناظر لهم فقال لهم يا اوليك كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا العسكر ومثلي فيمنعنا فواغائلته فوثبوا
عليه فقتلوه في موضعه وساقوه لادفعه فخرخوا بعينهم وقتلوا البعض وبرد من الحشيشية أحدهم ويده
سكنية مشهور فليقصده السلطان ويجمع عليه فلما صار الى الجباب الخمية اعترضه طفريل امر جناد فقتله وطلب
الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة بال ولما مات من يجلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كانوا خمس
طرابلس وضمنوا له أسباه كبير وصغير لسلطان عن حلب وكان لعنه الله في أسر نور الدين منذ كسر حارم
وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة فلم يقبلها نور الدين فلما كان قبل موت نور الدين سعى له نفر الدين مسعود بن
الزعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار وفتك ألف أسير واتفق في أول هذه السنة موت ملك
الفرنج صاحب القدس وطبرية وغيرهما فتكفل هذا القمص بأمر ولده المجدوم فغضب شأنه وزاد خطره فأرسل
الى السلطان في أسر الحليين وأخبره الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدلولوا عليه فقال السلطان لست بمن
يرهب يتألب الفرنج وهما أساسا للهم ثمانين قطعة من جيشه وأمرهم بقصد انفاكه ففجوا خيمة حسنة وعادوا
فقصد القمص جهة حمص فرحل السلطان من حلب اليها فجمع الملعون فكتمهم راجعا الى بلاده وحصل الغرض
من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى حمص فسلم القلعة ورتب فيها واليها قبله قال وفي فتح قلعة حمص يقول
الحمد الكاتب من قصيدة وستاق

يا باب اربوب نحو النآ • م على كل ما رقيعه ظهور

يوسف مصر وأيامه • قمر العيون وتشرق الصدور

رأت منك حمص لها كفا • فواناك منها القوى العسير

ومن كتاب فاضلي عن السلطان العزيز الدين بن نجب الواعظ يقول في وصف قلعة حمص (والشيخ النقيبه قد شاهد
ما يشهد به من كونها عجبا في محاب وعقابا في عتق وب هامة لها القامة عمامه واهله اذا خضعوا الاصيل كان الحلال
منها قلامه عاقدة حيرة صالحة الدهر على أن لا يجلها بقرعه عاهدة عجمه صالحي الزمن على أن لا يروها بضعفه
ما كنتفت بها عارب من مخيمات لا تطمع طبع حمص في العقارب وضربت شجارتها الخارجه فأظهرت فيها العلوة
المعلومة بين الافارب فلم يكن غير تالفة من الحلالا وقد أرت فيما يجدر يا بصير بهلوم تصل السابغ الا والبحران منند
سحبها واتسع الحرق على الزانع وسقط سعدا على الطالع الى مولدها اليها الطالع ونفت الابراج فكانت
أربابا وسيرت اليها فكانت سرايا فهلك يدت هوب يرى طام من دونها ما وراها وحشيت فيها النار فلو لا
الشعاع من الشعاع اضاءها) ومن كتاب آخر فاضلي عن السلطان الى أخيه العادل (قد اجتمع عندنا في هذه القاية
ما راحم سبعة ألف فارس وتكاثفت الجوع الى الحدة الذي يخرج عن العد وبعد أن ترتب احوال حمص حرم الله
فتوجه الى حماه والله المعين على ما تنويه من الرشاد وتنظفهم طرق الجهاد) وقال العادل سمع المبرور ثلاث
الصالح يا قبل صلاح الدين المؤمن بادبارهم سقط في أيديهم وارسلوا مواصلة وكاتبوهم وارسلوا الى صلاح الدين

كتاب (٢٤٠) الروضتين

بالاغلاظ والاحفظ وكان الواصل منهم قطب الدين بن الحسن فقال له هذه الميوف التي ملكتك مصر وأشار
إلى سيفه اليها تركت وبما تصدقت به تصدك فلم عنه السلطان واحتله وتناقل كراما وغلقه وناطبه بما إلى أن
يقبله وذكر أنه وصل لقرية الامور وتغلب بالجهور وسد الثغور وتربطوا بنو الدين ولبنوا قاذوا عبيد الدين
فقال له أنت زبد الماء فتصدك ونحن لا نترفع في قومك ولا تأنس بأنك ولا تترتع لجرسك ولا تبني على اسك
فارجع حيث جئت أو اجهد وامنع ما شئت ولا تطمع فيما ليس فيه مدمع ولا تطالع حيث ما السوءك فيه مطلق
ونال من تغليب القطب بنال كلما سال الحمال وأبلى الأبال وأبدى له التبعم وأخفى الاحتمال ثم استناب أنأه
سيف الاحلام طفتكين بدمشق وسار بالعسكر ونزل على حصن فأخذها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاولى
وامتعت القلعة فأقام عليها من مصرها ورجل إلى حامية فأخذها مستهل جمادى الآخرة ثم مضى ونزل على
حلب فمصرها ثالث الشهر فلما اشتد على الحلبين الحصار واعوزهم الاتصار استغاثوا بالاسماعيلية وعينوا
لهم ضياعا وذلوا لهم من البذل أنواعا فجاءهم في يوم بارد شت من قما كلهم كعات ففرهم الامير ناصر الدين
نصارا تركين صاحب بوقيس وكان شاعر للاسماعيلية فقال لهم لا شيء ختم وكيف تجسرتم على الوصول وما
خشيتم قتلوه وطعنكم بدفع عنف ما تخشونه وعدا أخدمكم ليجمع على السلطان في مقامه وقد نهر سكين انتقله
وطغريل امير جنداروا وقت ثابت ساكن ساكن حتى وصل اليه فتعلل بالسيف رأسه ما قتل الباقين حتى قتلوا
هده ولاقي من لاقاهم شدة وعصم الله حساسنه في تلك النوبة من سكاكين الخيشية فأقام إلى مستهل رجب
ثم رحل إلى حصن يوجب ان الحلبين كاتبوا حصن طرابلس وقد كان في أسر نور الدين مذكمه تطهر بوقى
في الاسر أكثر من عشرين ثم قد انفضه بجمع مائة ألف وخمسين ألف دينار وفكك ألف أسير خرجوه في الافرنجية
إلى الحصن فلما سمع السلطان رجوعه كاهل على عقبه خوفا مما يقع فيه يوم عليه ومن كاهل فاضل عن السلطان
إلى العادل (قد أعفنا المجلس ان العادل قد أخذ له أنه كان الحلبين قد استخروا بصلبانهم واستنصوا لواعي الاسلام
بعدوانهم وأنه خرج إلى بلد حصن فوردنا جهه وأخذنا في ترتيب الاطلاب لطلبه وقلعه فصار إلى حصن الاكرام متعلقا
بجبله متحصلا بجبله وهناك فتح له أبواب القلوب ونظروا ان كان قد كفى الله تعالى فيه القتل المحسوب فان
العادل قد سقطت خشيته وانحطت فيه هيمته وولى ظهره ان كان صدوره بصونه ونكس صليبا كانت زرقه شياطينيه)
وقال العادل في الحرب قدناخيم السلطان بظاهر حصن قصده ما هذب من اسعد بقصيدة أولها
ماماهم هذا بين يسفلى الكرى * الا ليطرقه الخيال اذا سرى
كلن بقربكم فلما عاقه * بعد المديك الطريق الا خصر
ومودع أمر التفرق دمعهم * ونهته رقية ككنع فقهر
تردى إلى كئاب كئيب فادغدت * لهيذا نفذ اسطرا أم عسكرا
لجس ان الزاب فوق سطورها * الا لان الجيش يصعد عسيرا
فقال القاضي الفاضل صلاح الدين هذا الذي يقول (والنهر ما زال عند الترك متروكا)
فقبل جائزته إلى كليب قوله وتصديق ظنه فشرع فوجع له من الخطة والضيعة وعنى الفاضل ما قاله في قصيدتي مدح
الصلاح بن زياد التي أولها (أما كفا لتلاقي في تلافكا)
يقول فيها يا كعبة الجود ان التفرق اعدنى * ورة الحمال عن مفروض هيك
من لرقى يا كرم الدهر نشتى * جدوا ما ان خاب معي في رجاك
أمدح الترك أبني الفضل عندهم * ولشعر ما زال عند الترك متروكا
أمدح السوقة التوكل رقدتهم * واضمنا ان تخطى أباديك
لا تتركني وما أملت في مسفري * سوا الفضل نحو الامل جعلوكا
قلت وقد مضى ذكر ابن اسعد هذا في أخبار سنة ثمان وخمسين وسبأ في من شعرا ما في أخبار سنة ست وسبعين
وثمان وسبعين وما أحسن ما خرج ابن الرومان من التزل إلى المدح ابن زياد في قوله من قصيدة أولها

يقول فيها

تمدى نافي جاهلية نعلها * وقد قام بالمعروف في الناس شارع
وتجسبليل الشيخ بتدبعلما * بداء العاشعش السخاء طلاع

(فصل) ثم أرسل السلطان الخنيط شمس الدين بن الوزير أبي المصالي الديوان العزيز رسالة ضمنها التماسي
الهاصل كالمطو ولا رافقا فاقضى شمل حتى قعد ادم السلطان من الايدي من جهاد الافرنج في حياة نور الدين ثم
فتح مصر واليمن وبلادهم من أطراف المغرب وأقامه الخليفة العباسي بها غولا في أوله لرسول (فانقضى التسليم حق
النساء واستدعى الاخلاص جهدا لعله ظمعدوا بعد حوادنما كانت حديثا يفتري وجوارى أمور ان قال فيها
كثيرا فاكثرت منه قد جرى ولا يشرح صدرا منها لعله يشرح مناصدا وليوضح الاحوال المستمرة فان الله لا يعبد سرا

ومن القرائب ان تسير عرائب * في الارض لم يعلم بها المأمول
كالنيس اقل ما يكون لها الصدى * والماء فوق ظهورها محمول

فاما كذا تقيس الثريا كفتنا وغيرنا يستير ونستيط الماء بايدينا وسوانا - تميم ونلق السهام بغورنا وغيرنا يستمد
التصور ونصالح الصفا بصدورنا وغيرنا يدعي التصدير ولا بد ان تستر بضاعنا بوقف العدل الذي رتبة
التصور وتظهر طاعتنا فخذ بحظ اللبس كأخفنا بحظ العلوب وما كان العائقي الا انا كذا تنظر ابتداء من
الجانب الشريف بالنعمه يضاهي انداءنا بالخدمة وانجبا الحق بنا كل انجبا للسبق كان أول أمرنا انا كذا في الشام
لفتح الفتوح مباشرين بانفسنا وبجهاد الكفر متقدمين لها كذا نحن ووالدنا وعنا في اى مدينة ففتحت أو معقل ملك
أو حصن كالعندوة كسر أو مصاف الاسلام معه ضرب فاصبحل أحد صنعا ولا يتجدد عذرا انا نصلي الجهر وذلك
الكفر وتتقدم الجاعة وترتب المعاتلة ونذر التعبية الى ان غورت في الشام الا ان التالى لنا أجراها ولا يضرنا ان يكون
لغيرنا ذكرها وكانت أخبار مصر تصل بنا ما الاحوال عليه فيها من سوء تدبير ومباد وتها عليه من غلبة صغير على
كبير وان النظام ما قد فسد والاسلام بها قد ضعف عن لاهمة كل من قام وقعد والفرنج قد احتاج من يدبرها الى
ان يقاطعهم باموال كثيرة لها مقدار خطير وان كله السنة بها وان كانت مجموعها فانها مجموعها وأحكام الشريعة
وان كانت معصاة فانها معصاة وتلك البدع بها على ما يعلم وتلك الضلالات فيها على ما يفي فيمفرق الاسلام ويحكم
وذلك المذهب قد خالط من أهله اللهم والدم وبلك الانصاب قد نصبت آلهة تعبد من دين الله وتعلم ونظم فتعالى الله
عن شبه العباد وويل لمن غرته قلب الذين كرهوا في البلاد فسمت همتادون هم أهل الارض الى ان تستفتح مقفلها
ونسترح فلا سلام ساردها وتعيد على الذين ضالته منها فسرنا اليها في عاصك رخصه وجميعه وبأموال
انتهكت الموجود وبافت منا المنجود أنفقنا هاهنا حاصل ذمنا وكسب أيدينا ونحن أسارى الفرج الواقسين في
قبضتنا فحرضت عوارض منعت وتوجهت للصرون رسل باستفجاد الفرج قطعت وأكل أجل كذب ولكل أمل باب
وكان في تقدير الله امانا لكها على الوجه الاحسن وتأنها بالحكم الاقوى الامكن فقد الفرج بالصرين غدرت في
هدة هظم خطيها وخطبها وعلم ان استصالح كلمة الاسلام محطها فكانت السجون من مصرف ذلك الزمان كما كانتنا
المسلمون في الشام في هذا الاوان باننا لم نندرك الامر والاخرج عن اليدوان لم ندفع غريم لليوم لم نعمل الى التقدرنا
بالعساكر المجموعة والامر امواهل المعروفة الى بلاد قد تمهدنا بها أمران وتقر لنا في القلوب ودان الاول ما علموه
من اثباتنا للذهب الاقوم واحياء الحق الاقدم والاعوامير جونه من فك اسلهم واقالة غنارهم ففعل الله تعالى
أهله وجاء الخبر الى العدو فاقطع حبله وضاق به سبله وأقر عن الدار بعد ان كانت ضاعها ورسا قها وبلادها
واقامها قد فنت قيم أرامره وحقت عليها صلباته ونصبت بها أوتانه وايس من ان يسترجع ما كان بايديهم حاصل
وان يستقما صاروا ملكهم هذا خلا ووصلنا البلاد بها أجناد عددهم كثير وسوادهم كبير واموالهم واسعة وكلهم
جامعه وهم على حرب الاسلام أقدرهم على حرب الكفر والحق في السرقةم أخفهم في الفرج في الجهر وبها راجل
من السودان يزدي على مائة ألف كلهم أغتنام أنجم ان هم الا كالانعام لا يعرفون بالا اسكان قصره ولا قبله الا

ما يتوجهون اليهم من كنهه وامتنال أمره وبها عسكر من الاروس يلقون على النصرانية موضوعه عنهم الجزية كانت لهم شوكه وشكته وحقه وجهه ولم حواش قصورهم من بين دواعي تطف في الضلال مساخه وتصيب العلوب غماته ومن بين كوابن تفضل أكلهم أفعال الاسل وشقاقهم يجمعون الى سواد الحوم سواد النحل ودولة تدير عليها الصغير ولم يعرف غيرها الكبير ومهاجرة تنفع ما يست منه الصغير فكيف يتخطون التدبير هذا الى اسباحة لعمام ظاهره وقطيل القرائض على عادته بانية جاره وغريف الثريمة بالتأويل وعدول الى غير مر لانه بالتزول وكفر سمي بغير اسمه وشرع يستتر به ويحكم بغير حكمه فتركنا سحرهم تحت اللبار للشفار ونحفيهم تحيف الليل والنهار بجواب تدبير لاحتلها المسامير وغرائب تدبير لاحتلها الاساطير ولطيف توسل ما كن من حيلة البشر ولا قدرتهم ولا اعانة القادير وفي أثناء ذلك استعبد واعين الفريخ دفعة الى الجيوس ودفعة الى دما وفي كل دفعة منهم اوصوا بالعدل الجهر والحمد الاوفر وخصوصا في نوبة دما وفي فانهم نازلوا هرا في افس كس مقاتل وحامل وراق مائتي ألف فارس وراجل وحضر وعاشهرين يراكرونها ويراوحونها ويمادونها ويصاحبونها القتال الذي يصليه الصليب والقراع انكس ينادى بالملوك من سكان قريش وغنى قتال العدوين الباطن والظاهر وضمار الضدين المناق والكاقر حتى ادى الله بأمره وأذن بامرهم ونابت المظالم من المصريين والفريخ ونزعنا في تلك الطوائف من الارمن والسودان والاحناد فخرجناهم من القاهرة تارقيلا واور المرهقة لهم تارقيلا الامور الفاضحة منهم وطور بالسيوف المجردة وبالنار المحرقة حتى بقي القصر ومن بينهم خدمون ذرية قد شترت شيعة ونعزت بدعه ونهخت دعوته وخفيت ضلالتة فهناك تمنا اقامة الكلمة والجهر بالخطية والرفع الواو الاسد الا عظم وما جل الله الطاغية الا كبر بهلاكه وفناؤه وبرأناهم همدتين كل انتم حنتها اصر من انتم لبقائه لانه هو جل لفرط رفته ووافق هلاك شخصه هلاك دولته والمخاض لفرعنا ورجب وسعنا نظرا في القزوات الى بلاد الكفار فلم يخرج سقنا لعا من ستة اقيمت فيها براو جيرا مر كاو ظهرا الى ان اوسعتهم قلا واورا وملك زفاهم سم قهرا واورا وفتحناهم معاقل ما خطر اهل الاسلام فيها ما أخذت من أيديهم ولا اوجفت عليهم ولا ركبهم من ملكها أعادهم فها ما حكمت في سيد الحراب ومنهلما استولت عليه يد الاكسلب ومنها قطعة بغير ايله كن العدو قد بناها في بحر الهند وهو للسلول منه الى الحرمين واليمن وغزا ساحل الحرم فسامته خطفا ونزق الكفر في هذا الجانب خرقا فكانت القبلة ان يستولى على اصلها ومشاعر افقه ان يكها هرا أهلها ومقام الخليل عليه السلام ان يقوم به من ناره غير روض سلام ومنصعب الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتعزقه من لا يدن بجا مجابهة من الاسلام فاخذت هذه القطعة وصارت معقلا للجهاد ومؤيلا لسفرا البلاد وغيرهم من عباد العباد) ثم قال (وكن بالبحر ماعل من امر ابن مهدي الضال المهدى المبدع المقتدر وله آثار في الاسلام وبإمراله النبي صلى الله عليه وسلم لاندسي السرا اقف الصالحا وراعهن بالبحر البحر واستباح من كل الاقمار اسلم عليه نفس ودان بدعه ودعا الى قرأه وسماه كعبة وأخذنا مرال الرعا للصعوبة واجاحها واحل الفروج المحرمة وأباحها فانهم ضال المأنة تابعنا بعد ان تكلفنا له تقفات واسعه واسحة راقعه وسافرنا خذناه وثقه الحد وأتبعنا الله فيه القصد والكلمة هنالك بمسيرة الله الى الهند سامية والى ما يفيض الاسلام عن ربه متقدمة وثائق القرب اثر غريب وفي افعاله اعالادون مطلبها ملك كايكون المهلك دون اللدب وثلك اني عبد المؤمن قد استنرت امرهم قد اصر وملكهم قد اصر وجيوشهم لا تطلق وامرهم لا يشاق ونحس بمجد الله قندل كما كما يجاورنا من بلادنا زيمصا قوا على شهر وسيرنا اليها عكر فرجع بصر بعد نصر ومن البلاد المشاهير والاقاليم الجاهية برقه قفصه قسطليله توزر كل هذا انتقام فيها الخطية لولا الامام المستضي بأمر الله أمير المؤمنين سلام الله عليه ولا عهد لاسلامها فقامتها ويتغذيه الاحكام بعلي النصور وعلانها وفي هذه السنة كان هنذا وقد قضاها هو فود الامصار وروميا سامع وابصار مقدار مبعين را كاكسكلهم يطلب سلطان يلداه تخليدا وروحوا وعدوا لحيات فوعيدا وقدمه لدون عنا بمجد الله تعالى بها والتمت البناء مقاليها وسيرنا الخلع والمناشير والالوية بما فيها من الامور والاضحية فلما الاعداء المحذون بهذا البلاد والكنكار الذين مقاتلونا بالهالك العقائم والعزائم الشداد فقمهم صاحب قسطنطينيه وهو الطاغية الا كبر وبالحال الا كفر وصاحب

المملكة التي آكلت على الدهر ونسرت وفاتم النصرانية ادى حكت دولته على ممالكها وغلبت حوت لنامعه
غزوات بحريه ومنافلات ظاهره وسريه ولم يخرج من مصر الى ان وصلت ارسلته في جمعوا واحدة توثين بكتابين كل
واحد من مابظهر فيه خفض الجناح والقاء السلاح والاتقال من معاداة الى مهاده ومن مفاضة الى مناصبه
حتى انه انذر بصاحب صقلية واساطيله التي تردد ذكرها وعساكره التي لم يخف أمرها ومن هؤلاء الكهار هذا
صاحب صقلية كان حين علم بأن صاحب السام وصاحب قسطنطينية قد اجتمعا في نوبن بدمياط فغلبا وسرا
وهزما وكسرا أرادان ان يظهر قوته المستقلة فغراسا طولوا يستوعب فيه ماله وزمانه فله الا أن خمس سنين تكلم عهده
وتنخب عهده الى ان وصل منها في السنة الخالية الى الاسكندرية أمر رافع وخطب هائل ما أثقل ظهر البحر مثل
جمه ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله وما هو الا انظم بل أقام نعله وجيشه ما احتفل ملك قط بنظيره ولولا ان الله
خذه ومن هؤلاء الجيوش البنادقة والبياضة والجنوية كل هؤلاء بارية كرون غزاة لا تطاق ضراوة ضرهم ولا
تفسأر اضرارهم وتارة يصكون سفارا يتكلمون على الاسلام في الاموال المجلوبة وتقتصر عنهم يد الاحكام
المرويه ومامنهم الامن هو الا أن يجلب الى بلد الله قتاله وجهه انه و بتقرب الانبياء هده طرائف اعماله وتلاذه
وكلهم قد قررت معهم المواصلة وانتظمت معهم المسالمة على ما تريد ويكرهون وعلى ما تؤول وتروم ولا يؤثرن ولما
قضى الله سبحانه بالوفاة الدورية وكافي تلك السنة على نية الغزاة والعساكر قد تجهزت والمضارب قد تزت وزل
الفرج على بانياس واشرفوا على احتياضها ورواها فرصتم قد ابدت اهوازها استصرخ بنا صاحبها فصرنا مر احل
اتصل بالمدو أمرها وعجل بالهذنة المشقة التي لولا مسير لما اتظم حكمها ثم عدنا الى البلاد وتوافقت الينا
الاخبار بما المملكة النورية عليهم من شعب الاراء وتورعها وتشتت الامور وتقطعها وان كل قلعة قد حصل فيها
صاحب وكل جانب قد أصبح اليه طالب وانفرج قد بنوا قلاعها يخوفون بها الاطراف الاسلاميه وبضايقون بها
البلاد الساميه وأمر اعد الدولة النورية قد سمجن كبارهم وعونوا وودوا والماليك الاعباد الذين خلقوا للاطراف
لا الصدور وجعلوا للقيام لا للعود في المجلس المحضور قدموا الايدي والاعين والسيوف وسارت سيرتهم
في الامر بالمشرك والنهي عن المعروف وكل واحد قد تحذع عند الفرج بدا ويحطهم لظهر مستندا وعلنا ان البيت
القدس لم يمتنع الاسباب لفتحهم وأمر الكفران لم يرد العزم في نلعه والانبث عروقه واتسعت على أهل الدين
خروقه وكانت الحجة لله فاته وهم القادرون بالقعوداته والمانعكم من عذر من مع بعد المسافة وانقطاع العماره
وكلال الدواب التي بها على الجهاد العزوه واذا جاورناه زنت المصلحة بادي والمتنفسه جامع واليدقاره والبلاد
قريبه والغزو يمكنه والمير تمسعه والتميل مدبره والعساكر كثير فالجوع والافاق مساعدته وأصلحنا ما في السام
من عقائد معتله وأمور مختله وأراء فاسده وأمره متعاسده والطماع غاليه وعقول غاليه وحفظنا الولد القاسم
بعد أسه فانا به أولى من قومياً يكون الدين بآسهم ونظرون الوفاة في خدمته وهم عاملون بظلمه والمراد الا أن
هو كل ما يمتدى الدولة ويؤكده الدعوه ويجمع الامه ويحفظ الافقه ويضعي ارقه ويقمع بقية البلاد وان يطبق
بالاسم العباسي كل ما تطبقه العهد وهو تقليد جامع عصره والين والمغرب والنام وكما نزل عليه الولاية النورية وكل
ما ينفعه الله للدولة العباسيه بسوقه واسوقه عساكرها ولسن تقيمه من أخ أو اود من بعدنا نقلدا بعض النعمه تخليدا
وللدعوه بتجديدا مع انهم به من العادات التي فيها الملك والجله والشام لا ينتظم أمورهم في فيه والبيت المقدس ليس له
قرن يقوم به ويكفيه والفرج فيهم يعرفون مناخهم لا يمل المر حتى يملوا وقربا لا يزال يحرم السيف حتى يملوا
واذا شقرا بيا نحن الزاى ضرنا بسيف يقطع في غمده وبلغنا الى بمسئله الله ويد كل مؤمن تحت برده واستغفنا
أسيرا من المسجد الذي أسرى الله اليه بعدده ومن كآب آخر فاضى عن السلطان الى الديوان في تعادله من
الايدى (والذي أجزاه الله على يد الملوكة من الممالك التي دوحها وسن الضلال التي نسخها وعقدوا الاحاد التي
فخضها ومنابر الباطل التي رحضها وحجج الزندقة التي دحضها فقهه عليه الملئ في اذهاله شرف مشهده وما فعله
الالوجهه وبالله كانت عون يده والاقصدت القيات والايام على تلك الامور وما تحركت فلك في قلمها
نابضه وغيرت الاحوال على تن البدعة وما ظفرت لا نرسها رابضه فتعسكر يد الله تعالى فيها أجزا على يده

كتاب (٢٤٦) الروضتين

متى تقيّد الرى بالقريتين * خواص أترفيها المحير
 ونحو الجليل أرى الملقى * لتدجل هذا المرام الخطير
 ترائى أتيج بأذى ضمير * مطايا براها الوجا والضمير
 وعند القليفة والمشمة * قطوفها للاماني مدهور
 ومنها بكورى نحو القصير * ومنية عمري ذاك البكور
 ويا طيب بشرى من جلق * اذا جاء فى التجاح البشير
 ويستبشر الاصفاء الكرام * هناك فى وثقى النذور
 ترى بالسلامة يوما يكون * ساب السلامة منى عبور
 وان جوازى ساب الصغير * لعمري من العمر حظ كبير
 وما جنة الخلد الا دمشق * وفى القلب شوق اليها سير
 ميادينها الخضر فصالح * ولما لها العذب صافير
 وجامعها الرحب والعبدة الخفيفه * والفلك المستدير
 وفى قبلة التنسلى سادة * بهم للكارم أبقى منير
 وباب الفرديس فردوسها * وسكنها أحسن الاناس حور
 والارزق فالهيم فالتيربان * بغنات غرتها فالعفور
 مكان الجواسق مأهولة * بروح تطلع منها البذور
 بنسبها تتغير الهوم * بروتها يترى السرور
 وما غتر فى الرواة العائنة * بين الجلس الا الريب الغرر
 وعند المغارة يوم الجلس * أغار على القلب غنى مغير
 وعند المتبع عين الحياة * مدى الدهر نايقة ما تنور
 يحصر ابن شواش ثم السكون * لنفسى نفسى تلك الجصور
 والناس لاناس اناس العيور * على جمر جمرين انى جصور
 وكفى الموتى بقرى الحبس * مبقى بيت لها وبام القيور
 فان اغتباطى بالقوطتين * وتلك الليالى وتلك العصور
 وأشبهت سطر ايدت كالسطو * ربحتهى البليغ البصير
 وأنى تأملت فلك يدور * وعين قفور وبحر مجور
 وأنى نظرت نصيب برق * وزهر يروق وورض نصير
 الام القساوة بالاسيون * ويد السنن ينجلى سنير
 ومنذ ترى نوردين الالام * لم يبق الدين والنام نور
 والناس للامك الناصر * صلاح صلاح ونصر وخير
 هو الشمس أفلاكه فى البلاد * ومطلعه سرجه والميرير
 اذا ما سطأ وجي واجتبي * فما القيث ما حاتم ما تبير
 يوسف مصر وأيامه * تقرأ العيون وتشفى الصدور
 ملكك فاصبح فما البلاد * سواك بحير ومولى نصير
 وفى معصم الملك لغز منك * سوار ومنك على الدين صور
 لك الله فى كل ما تنغيصه * بحق ظهره ونم الظهير
 اما المفسدون بمصر عموك * وهذى ديارهم اليوم فور

في أخبار (٢٤٧) الفيليين

اما الادعاء بها انشطت لا يهادهم زال منك القصور
ويوم الفسرج اذا ما قوك * عبوس برعمهم فطرر
نهوضا الى القدس يسقي العليل بفتح الفتوح وماذا عير
سل الله تسهيل معبا خطو * ب فهو على كل شيء قدير
اليك هجرت مساوذا زمان * فمالك والله فيهم نظير
وفرك فيه المعرى والقرآن * جميعا وبغرا الجيع والبحور
وانت تريق دماء العسر فح * وعندهم لا راق النور

(فصل) في فتح بعلبك قال العماد ولما فرغ السلطان من حصن وحصنها سار الى بعلبك فسلمها في رابع شهر رمضان قال ابن طي: وكان بها نادى يقال له من لنا شاهد كنز عساكر السلطان اضطرب في أمره وراسل من يطلب على جناح طائر فليرجع اليهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الى السلطان قال العماد وهناته بابيات منها

بقروح عسرك بفخر الاسلام * وبنور فصرك تشرق الايام
وبمع قلعة بعلبك تهذب * هنى الممالك واستقام الشام
وبكى المسود وما وفر النعمن * فرح بنصرك للهدى بسام
ففتح تنى في الصيام حكا * شكرا لما منح الاله صيام
من ذارأى في الصوم عيد سعادة * حلت لنا والفطر في حرام
أسدى صلاح الدين والدنا بدا * سواها سوق الرجا مقام
فحل فحك واقصد الحق الذى * بمصولة الفتوحك الاتمام
دم لى حتى بدوم نظامها * وسلم يعز بنصرك الاسلام

قال ولزمته خدمته ارحل رحيله وأترن يتزوله وكنت ليلته عنده وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة سامية من مرشد سبط الملك علي بن منقذ وهو به مشغوف وخطار على تأمله موقوف والى احتشانه مصروف وقد استحسن قصيدة طائية لوعاش الطائيان لاقرأ فضلتها وان خواطر المبتكرين لتعصر عن ملها على ان الشعراء المحدثين ما هم الامن نظم على رويها ووزنها واستمد خصب خاطرهم من مزنها فنهج المعرى وابن أبي حنينة والارجاني والعالم ابن رر بك وقد أوتت جميعها في كتاب الخريدة ومطلع قصيدة المعرى

(لى حيرة عيو النوال فليطوا)

فنظمت في السلطان وفتح على بعلبك تاريخ انصلاح شعبان قصيدة طائية منها

عفا الله عنكم ما لك أيها الرهط * قسطنم ومن قلب الحبيلكم عبط
شرطتم لاحفظ الوداد ونختم * خياتكم ما هكذا الود والشرط
جعلتم فؤاد المـ تمام بكم لكم * محطافه ثقل همكم حطوا
ملكتم فانكرتم قد بدم مودتي * كان لم يكن في الدين معرفة قط
فدنت بهجتي من لا يذم لهجتي * اذا حاكته وهو في الحكم مشط
وما كنت أدري قبل سطوة طرفه * بان ضعيفا فانرا مثله بسطو
واهيف لانا شفاق من ضعف حصره * يحل نظاما لله قلوبهم ربط
يلازم قلبي في الهوى القبض مثلا * يلزم كف الثامر الملك البسط
ملككم دوى الملك القيم بضبطه * كرمه ولال في يده ضبط
اذا لمت أبدي الملوك فعدده * مدى الفخر اجلاله تأم البسط
عناك طوعا نيل مصر ودجلة الـ مراقودان القرب والجهم والعطب

مكتاب (٢٤٨) الروستين

ولقتل شطط بقتى صيده * وملك قراجين نيل ولاشط
عذرك * مثل الشجع في نار حقه * لمعتق اصلاح فاسده القط

وهي ثمانية وثمانون يتاول عماد قال اعني قصيدة طائفة في السلطان سياقي ذكرها قال العماد ولما وصلت الى السلطان ورغبته منه في الاحسان وجدته لا مري بمقلا ولشغل مهملا ثم عرفت ان حسادي قالوا له متى اعدت ديوان الكتابة الى العماد وهو لا شك يعمل الوثوق والاعتماد وهذا منصب الاجل الفاضل وهو عندني في اجل المنازل ربما ضاق صدره ونشتمه فلا عرفت هذا المعنى لجأت الى الفضل الفاضل لانه يعني مقام بامري وتوه بقدرى وأراح صرى وشذا زرى

(فصل) في ما جرى للامير واصلة والمسلمين مع السلطان في هذه السنة قال ابن شداد ولما احس سيف الدين صاحب الموصل عاجز على ان الرجل قد استغل امره وعظم شأنه وعلت كفته وشاف انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه في الملك وتعدي الامر اليه في عسكر او افراد جيشا عظيما وقدم عليهم اخاه عز الدين مسعودا وساروا يريدون لقاء السلطان وضرب المصاف معه وردعه الى بلاد قوصل الى حلب والسلطان يحبس وانضم اليه من كان يجلب من العسكر وغيره في جمع عظيم ولما عرف السلطان بمسيرهم سار حتى واطاهم بقرون جاءه وراسلهم وراسلوه واجتهدان بصلاتهم فاصلحوا به وراوا ان المصافير بما نالوا به القرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضاء يجير الى امورهم ولا يشعرون وفام المصاف بين العسكرين قضى الله تعالى ان انكسر وابن يدين واسر جماعة منهم ومن عليهم واطلقهم وذلك عند قرون جاءه في تاسع عشر شهر رمضان ثم سار عقيب انكسارهم ونزل على حلب وهي الدعوة الثانية في صالحوه عن ان اخذ للحره وكفر ظاب وباربن قال العماد لما نزل السلطان قطعة بعلبك عاد الى حصن وقد وصل عز الدين مسعودا اخوه صاحب الموصل الى حلب فجددوا لغيره ان السلطان مشغول بالحصون جاؤا الى جاء خضر وهما وراسلوا في الصلح فقدم السلطان في خيف من اصحابه وباء كشتكين وابن البهي وغيرهما واباهم السلطان الى ما طلبوا وان رد عليهم الحصون وان يفتح بدمشق ما تابعه الملك الصالح وله غلبا وعلى الانبياء اليه موافقا وان رد كل ما اخذ من الحرات وان يسلك في سبيل الامانة فلما رآهم جميعا الكل ما يلبس منه وهو في عسكر خفيف قالوا لما خبره جميع فسر صوا في الاستطاط فطلبوا الرحبة واعمالها فقال هي لابن عني ناصر الدين محمد بن شيركوه وكيف الخو في به رضاكم المكره فنفروا ووجدوا واصبحوا على الرحيل الى جانب القامصى فرياس شيركوه وجميعوا العسكر واظهروا انهم على المصاف وعزم الانتصاف فقبض السلطان الى سفع قرون جاء خيابه وركع على مقابلتهم اعلامه ووصل العسكر المصري في عشرين من المقدمين منهم فرخسوا واخوه في الدين والتفوا فنهزمهم السلطان ونزل في منزلهم قال العماد وما نطاحت في هذه الوقعة في مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه قصيدة فقد كان له فيها عناء ولا عمن فيها

ولقد ألفت نفاها ودهنتها * اذ ليس يشكر الظباء قنار
يا جارة للعلب جارة دعي * ظلي والا قلت جار الجار
ظلي كذا في ما يفتق افاقة * سكران ما دارن عليه عقار
صب بصب الدمع محترق المشا * خطرت يال بلائه الاخطار
لم يفتش من خطر الهوى حتى جى * ذلك القولم شبيه الخطار
بذرى الدومع كأنهم عوارف * لابن الملك شيركوه غزار
من آل شاذي الشاذين بنا العلى * اركنهم لهادم وشفر
حسنت بهم للدولة الايام والى * دعمال والاحوال والاخار
قد ضل ملك الشام بوصف الذي * في مصر تبسط عصر الاعصار
نصر الهدى قنوطا لاسلام في * أليمه وتضع الكفار
لما لقيت جموعهم منظومة * صيرت ذلك النظم وهونار
في حالي جود وبأس لم يرزل * لغيره والاعداء منسكبار

شبه الآلاف ولا تهاب آلوهم * هان العدو عليك والدينار
لما جرى العامي هناك طائعا * بدمائهم جرت به الانهار
وقطعت عند القرون قروهم * بل كالت الانياب والانتفار
عبروا المعرة مالكن معرة * والعمار يملك تارة ويسار
أوما كاهم يوم حص وكفهم * في بعلبك يملأها الانذار

قال وهنات الملك المظفر تقي الدين عن شاهنشاه بن أيوب بقصيدة منها

لا تفر من فرق الفراق الادعيا * فهي التهم ودعي الغرام المذعي
واسبق صبرك ما استطعت فانه * عون قلبك ان هابت اعداء
قلب أصابته العيون ولم يرزل * من مسها بالهجمات مروعا
ما بال قد صد عند صدودهم * حتى ولما ودعوى ودعا
ومن التهمير اتقى أبصرته * في تلغهم وسألت عنه الاضعا
أصعبت اذ شيعتهم لثلاثة * صبرى ونغضى والفؤاد مضعا
أوما اتقيتم حين دهم سربه * فيه تقي الدين ذاك الاروعا
عمر بن شاهنشاه من هو عامر * أركان ملك الشام حين تضعضا
خضع العدو وذل بعد تغرز * لكم وحق عذر كم ان يفضعا
من معشر غرررون جيع مالم * يذلوه في السماح مضعا
في مصر واليمن اجتلبنا منهم * في عصر تاتبعها يوسف تبعنا
الحاويان ملك مصر ومكة * والشام واليمن الحظا بالاربعنا
لما عصى الاعداء العامي جرى * بدمائهم طوعا سيولا دفعا

وقال ابن أبي طي لما تامل السلطان بعلبك وأزاع هلالها عاد الى حص وزلج. فاقابل به ورد وعز الدين مسعود بن سيف الدين صاحب الموصل فجدد لملك الصالح وكان حبيب وروده ان جماعة من أمرائه حطبا لما كان السلطان نازلا على حلب. أجمعوا آراءهم وكاتبوا سيف الدين والزهري فجدد ابن عمه وأخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا الموصل وأرسلوا بذلك أمين الدين هاشم فحطب حلب وقطب الدين بن النحاس وقرس الدين قلعج وكان سيف الدين منازل السجار وفيها أخوه عاد الدين بن زكي وكان عماد الدين قد أظهر الانتماء الى السلطان فالتجدها السلطان بقطعة من جيشه فكسروهم ونهبهم عاد الدين بهم وبعدركه. فها وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين صالح أعاد عاد الدين وحشد عسكره وأهله فجمعهم مع أخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فالتقت الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتدوا وخرجوا جميعا حتى خيموا على حماه وأخذوا في حصارها واتصل بالسلطان ذلك فرحل من بعلبك الى حص وبلغ عز الدين فعاد عن حماه ورل قرياس جباب التركان الى جهة العاصي الى قريب من شيزر وأرسل الكاتب بجاء على بن أبي العوارس يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع أوزار القتال وسأله مكتبة السلطان فيما يجمع الكسبه ولم شعب الفرقة فكاتب ابن أبي القوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم أبو صالح ابن الهيثم وسعد الدين كشتكين لطلب الصلح فلجابهما السلطان الى ما أرادوا وتقرر الامر على انه يرثا لهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً لملك الصالح فلما عاين سعد الدين أجابه السلطان الى الصلح واتزول عن جميع الحصون التي أخذها حص وجاء بعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوزا الحد في الاقتراح وطالبوا الحجة واعمالها قال هي لابن عمي ولا سييل الى أخذها فقام سعد الدين من بين يديه بناقرا وكان ذلك مرأى في صالح ابن الهيثم لانه كان معه فاجتهد السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج الى عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماه وحده ثم ادار بينه وبين السلطان وهون عليه أبو صالح أمر السلطان وأخبره بقلعه من معه وكان السلطان لما كوتب في أمر الصلح سار في ترف من أصحابه

مكتاب (٢٥٠) الرومانيين

فلما علموا بذلك طمعوا في جانبهم وعزّوا على لقاءه وانهزوا الفرصة في أمره فكانت باقي أعصابه واستعدت لحربهم وساروا إلى أن نزل على قرون جهه وأخذ في مدافعة الأيام حتى تقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في التلطف فلا حوال فلم ينصح فيهم حال وصكانوا في كل يوم يهزمون على لقاءه وقتاله فيبطل عزيمتهم براسلته يقتلها وتسويها للارقات وتقطيعها للزمان حتى تقدم عليه عسكره وكانت هيبته قد ملأت تصدروا القوم بولاد ذلك كما كنا قد ناهروا الفرصة ونالوا منه القرض قال وفي يوم الاحد تاسع عشر رمضان التقوا ولم يكن بعد قد وصل السلطان من عسكره أحد فجمع أصحاب السلطان كرد وسوا واحد أو أحد وبجملهم عنه ويمرود في اقصى الافراد من ان يتصل بهم بعض العسكر وصرى عسكر حلب والعسكر الموصل على أصحاب السلطان حين شاهدوا قتلهم واجتماعهم وكاد أصحاب السلطان بولون الادبار فوصل في الدين عمر عند الحاجة اليه التمام السعادة للسلطان فانه لو تأخر ساعة لاتكسر عسكره فوصل في الدين في عسكر مصر وجا عتقن الامراء وهم غير عالين بالحرب وقيامها فإلما رأوا الناس في الكر والضرب الهبر جالوا جميعا بعد ان اقرقروا في المينة واليد مرة فصدوا عسكر الموصل مدمقة مضعضة منهم وكان السلطان في هذه المدة قد كاتب جماعة عتقن عسكرهم واستمدهم اليه موحل اليهم الاموال وهذا هو الذي ابطل بهم الى ان وصلت عساكره الى افلا وكان عسكر حلب اضيق لم يقدر السلطان على البيوت ساعة فلما استأثف القتل لم ينفع الجماعة التي كاتبها السلطان بل كانوا مضطربين مخوفين من قرب منهم ثم انهم بعد ذلك انهم مواوتعهم عسكر السلطان واستباحوا أموالهم وخيماهم وأمر السلطان أصحابه ان لا يوغلوا في طلبهم ولا يقاتلوا من رآه منهم وما لا يدفروا على جريح ورحل حتى نزل في منزلة ثم سار من وقته مجددا حتى نزل بجرج قرا احصار ولم يزل هناك حتى هب عديد القطر فجاءه رسل الملك الصالح يسألونه انه لئذ وأن يقرأ الملك الصالح على ما في يده وما هو جارت تحت حكمه من الشام الاسفل الى بلد جهه فليرض بذلك ففعلوا مع جهه المعروفة كطرفا في فرضي بذلك وحلف على نهضتها انهم لا يعلو عليها خطه قال وكان في جملة الذين اتوا حتى تصد الملك الصالح عدو حضر نفسه وجيشه ووداع عنه وان لا يغير الدعاة فمن جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولايته وولايه أصحابه وان تكون السكة باسمه والمالحف السلطان والملك الصالح وأمر أوه عاد السلطان فاصدا دمشق فلما وصل الى جهه وصلت اليه رسل الخليفة المستنعي ومعهم التشر يقات الجليظة والاعلام السود وتوقع من الديوان بالسنة سلا دمصر والشام وفي هذا الموضع قول ابن سعدان الحلي

يا أيها الملك العزيز فضله * لقد غدوت بالعلي مليا

صكتي أمير المؤمنين شرفا * انك أصبحت له وليا

طارحك الودع على سبط النوى فكنت ذلك الصديق الوفا

أولئك من لباسه زحرته * لم يولها قبلك أدبيا

ناسبت الروض سنا وبجة * حتى حكته رونقا وريا

قال ورحل السلطان من جهه الى بصرى وكان فيها خضر الدين مسعود ابن الزعفراني وكان خرج الى السلطان لما وصل الى الشام وقطارح عليه موعده وكان ان السلطان يقدم على عساكره فلم يلتفت اليه فترك السلطان وعاد الى حصن بصرى فاجتمع رسلهم بالانقياد وأجابوا الى المراد وقالوا اتقموا بما أخذتموه الى جهه ولا تفتة وابنا العداة فاستدنا عليهم كطرفا والمعرفة واتفقنا عليهم الأيمان المستقره ومألفهم في المعتقلين اخوة مجددا الذين قأبوا وأفرجوا عنهم وتم الصلح وعم الجمع ورحلنا ظاهرين ظافرين وزلنا جهه يوم الاثنين ثاني عشر شوال وبها وصلت اليه رسل الديوان العزيز بالتشريفات والتقليد بما أراد من الولايات وأفاضوا على السلطان وأغار به الملتح وخص ناصر الدين بمجدد شيركوه بن زيد تفصيل على أقارب السلطان وكان نزعنا على حلق والده أسد الدين رحمه الله ثم تسلم السلطان حصن بصرى وكان يسد الأمير خضر الدين مسعود ابن الزعفراني وهو من أكابر أمره من الزعفرانيين وذلك في أواخر شوال وأقطع مدينة جهه لابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود فامم بمصر على ابن عمه ناصر الدين قال العمادواذكرنا عبرة نهر العاصي عائدتين وقد انكسفت الشمس وادهم النهار وغاب على القلوب الاستعمار

وظاحت الانوار وخفيت الرسوم وظهرت التيجون وجئنا نحن ثم بعلبك ثم البقاع وصلنا دمشق في ذي القعدة
 (فصل) قال العماد قسبى ذكر ما قرره حشدي في خاطر السلطان وقالوا شغلهم المكاتبه وهي من صلب
 الاجل الفاضل وهو يستيبفهم من رآه من الافاضل وهذا نصرته بر فخريل ووجه جميل والسلطان مع شدة
 رغبته متوقف والى ظهور وجه النصارى في أمرى منة وف كنت قد استعذت مقامى بالعسكر بذي المجد والمخير
 وموردا لكرم والمصدر الامير نجيم الدين بن مصال وهو ذو فضل وافضل وقبول واقبال وله من السلطان ومن الافاضل
 لجلالة قدره اجلال وقدمال الى فضله ونبأته وتوبله وكان أبوه قد وزير للناظر في آخر عهده مفردا بدورده ومجده
 وكان من أهل السنة والجماعة والحق والورع والصفاء والنجاسة وله يد عند السلطان في التوب التي قصدوا فيها
 مصر وأجل عنده الاحسان والبر لا سيما عذركونه بالاسكندرية محصورا وكان احسانه مشكورا واعتناؤه لحفظه
 مشهورا فلما ملك أجه واختار قربه فزنت له التودد وجعلته الوسيط بيني وبين الاجل الفاضل واتخذته من الخ
 والومائل ووقعت خاطرى على تقاصيه فظلمنا ونرا ورسله وشعرا فمن ذلك ما كتبت له
 لعل نجسم الدين ذا الفضل * يذكر الفاضل في شغلي
 ان أجل الناس قدرا فتى * بفضلته تبص من أجلي
 ومثله من يعتنى بالعلى * ويستديم الحمد من ملي

قال وأقل ما أهديته للفاضل مدحة حين لقبته بجمس في شعبان منها

عاشت طود سكة ورايت * سس فضيلة ووريت بحر فواضل
 ورأيت سعيان البلاغة ساحبا * يبيانه ديب ل الفخار لوائل
 أبصرت قسا في النصاحة مجزا * فحرفت اذ في فهاهة باقل
 حلف الحصافة والفصاحة والديما * حقا والجلاسة والتقى والنائل
 بحرس الفضل الفخر برخصه * شامى العباب وباله من ساحل
 وجميع ما فى الارض سبعة أبحر * ويحوره تمعى بعنرا مامل
 فى كفه قلم يجهل حربه * ما كان من أجل ورقة أجل
 يجرى ولا جرى الحسام ادا حرى * حده بل جرى القضاء للنارل
 نابت كاتبه مناب كنيته * كذات بهزم كتاب وجحافل
 فعذوة فى عهده ووليه * فى عهده الصكر بماد عادل
 ريان من ماء التقي صادالى * كذب الحماد وهى خير مناهل
 بلواحد العصر اذى بالورى * قضلا بغير مثابه ومشاكل
 ماى وجاء الجاهلين فاغثنى * عنهم كفتهم وجد بالمامل
 أرجوك معني اذى السلطانى * كراما ذلك بعنى بأما نلى
 تزلزل الثافل المجل عاليا * بالى من المم القمى الشاغل

قال فدخل الفاضل الى السلطان وعرفه فاه فى راغب وقال انا لا يمكنى الملازمة الدائمة فى كل مرة وقد
 يكاتبك ملوك الاعاجم ولا تستغنى فى الملك عن عقد الملقطات وحل الرجام والعماد فى ذلك ولا احتار وقد
 عرف فى الدولة النبوية مقداره وأخذنى خط السلطان بما قرره من شغلي وقد عرف ان الاجل الفاضل قد أجل
 فضلى قال وتحدث أمير المؤمنين المستضى بالله فى ذي القعدة مع الرسل بهذا القصيدة

أصح عقود الغايات مرضا * وافك الحافظ الحسان غضضا
 ومن عجب صلت قلبه بأسمهم * رؤس أعانهم ظباهم محبضا

قال ابن ابي طى وظهر فى مشعر أترية من قرى دمشق رجل أذى النبوة وكان من أهل المغرب وأظهروا من الغايل
 والقويمات ما فتن به الناس واثمه عالم عظيم من الفلاحين وأهل الدوا وعصى على أهل دمشق ثم هرب عن

كتاب (٢٥٢) الروميين

مشرقي الليل وصار الى بلد حلب وعاد الى افساد عقول الفلاحين بما ربحهم من الشعبة والخايل وهوى امرأة وعلمها ذلك وادعت ايضا النبوة قال وفيها توفي شهاب الدين الياس الارمني صاحب البيرة وأوصى الى الملك الناصر صلاح الدين ولد شهاب الدين محمد

ثم دخلت سنة احدى وسبعين قال العماد والسلطان ما زال يبرح الصغر من دمشق فجاءه رسول الفرنج يطلب الهدنة فأجابهم السلطان بعد ان اشترط عليهم أمورا غالت زموها وكان الشام ذلك العام جديا فآذن السلطان للعساكر المصرية في الرحيل الى بلادهم واذا استقلوها خرجوا اليه وسار معهم للماضى واعتمد على العماد فيما كان يصده وواظب السلطان على الجالس في دار العدل وعلى الصيد ومدحه العماد بقصيدة منها

سؤالك لهم العلي بن ريشا * فساأرب العلي ان تعسا
من الناس بالبرصدت الكرا * موبالأس في البرصدت الوحشا
وكبرت من مصر نحو العريش * فهذمت للشركب العروشا
سراياك تبث قسدها * من الرعب نحو الاعادى جيوشا
ويوم حماة تهكت العدا * كما طربن بالفلا الرح ريشا

قال ومدحت مستعمل ربيع الاول تقي الدين بقصيدة موسومة وكان قد قوض اليه ولاية دمشق ومنها يتان ابتكرنا المعنى فيها ولم أسبق اليهاوها

يفيد العاقل البقظ التغابي * ليدرك في التقي حظ النجى
ولم تصب المسمام على اعتدال * مهالولا عوجاج في القصى
قفل القدر يقصر عن عسدى * لهاهوتنى بأس التقي
حلفت برب مككة والمصلى * وناوى ترب طيبه وانغسرى
لانسب بايى أبواب خير السورى بعد الامام المنفى

قال وفي اول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين خرجوا من بغداد لوافضة قطيب الدين بايماز فاحذوا ولا يغفمهم بالالتصاء الى السلطان والاحتراف وكان فاما هذا محكما في الدولة الاممية من اول الاليم المتهجدية وقوى في الايام المستضييه على وزير الخليفة عضد الدين ابن رئيس الرؤسا مسماه أنواع البلاء وأناخه ورام انلاخه حتى استعاذ منه برباط صدر الدين سجع النسيخ قسليه ثم ان بايماز خالف الخليفة وشق الصبي وعن له حصار اذار فامر الخليفة بالقبض عليه فلم ينجح الحيط يداره الا بهج باب في جداره وانهمز فوصل الى الخلة في أوائل ذى القعدة سنسبعين وهو في موسم الحج فجمع رجاله وتوجه الى الموصل وناله اخوانه وخله أعجابه فتوفي في بعض قرى الموصل وتفرق أصحابه في البلاد فنهضهم رجوع الى بغداد ومنهم من أتى الشام منهم حسام الدين غريلى وعز الدين اقبرورى بن ازغش وكان منهم السلطان قدما وعنده كرما فاقطعه في دار المصرية وكسب في حقه الى الدريوان شفاعا في تخليص ماله واستقامته حاله وكان ذلك زمان ملوّه وخيل مسومه فليكن ذنبه عنده في متابعة بايماز بما يقبل الاسفغ وكان اقبرورى زوج أخت السلطان والسلطان خال بنته وهي زوجة عز الدين غريخدا بن أنى السلطان قتلوه في بعض الكتب المحررة عن السلطان الى وزير بغداد بالمال الفاضلى (صاحب بايماز الموالاة المتنامرة المستظاهرة والمسامى التي كانت لتارن هذه الدولة بالغة غير متقاسره ولما نزعهم الامر قاصعه ولما جاز بهم الحق وانه وبحقوق الله تعالى الواجبة لهم قائمه وكوننا العنا مني بخدة من رجال ولا بمادة من مال ولا باعانة بحال من الاحرار يردو الناس الدولة علاها الله في خى قري لا نستطيع دفعه ولا يقبل اسباب الشفع اذا أردنا نفعه فالاجاز عندنا واسعه والاعواض لنا غير متعذره والولايات التي نقوضها اليه عن كفاية غير مستغنية ولكنه ما باع بكانت من الخدمة مكانا ولا تفرغ سلطانا له اهدار لا يأسر ان نغيره فيها ما اوريا) ثم ذكرها ثم قال (وهذا الامير بزمنا كيف بعد بزمنا عاصبا وبالانتساب وقتنا بدعى الخلق الى الطاعة وكيف تفتقدوا الى الخلافة من واحلمن أكلنا ينوب هنا وهي بقية الجماعة فحق في أنفسنا شنع وعن جاهنا دفع ومن مكاننا نسال وبحظنا

في أخبار (٢٥٣) الدولتين

الذي لا نسبح به إلا سلام نجل وأنت أيها الأمير الثالث رسول تدعى أمر هذا الأمير واقفه ولي التدبير) وقال
العادي الخريفة كنت جالساً بين يدي الملك الناصر صلاح الدين بدمشق فدار العدل أخذ ما يامر به من الشغل
فحضر سعادة الأعي من أهل حمص وكان يحملوكا بعض الدمشقيين حمولة أو كعب على قصاده سعيد بن عبد الله
قوف يشده هذه القصيدة في عاشر شعبان سنة إحدى وسبعين

حيثك أعطاني القيد وديانها * لما انت تير ما على كتابها

ثم ذكر القصيدة وغر لحفي وصف دمشق ثم قال

سلطانها الملكان أيوب الذي * كفاء لا ينك عن هطلائها

بهاهب لولم كن فوالها * نجيبت يوم نداء من طوائها

سمح بروح إلى النسي براحة * قد اعشب المعروف بين بنائها

وقفت اذ انزعت بحار نواله * غرقت بحلوا الأرض في خيلائها

ذهب السيوف المرفعات بكفه * انمضى على الأيام من حدثائها

ملكنا إذ جليت عرائس ملكه * رصعت فريد العدل في نجاتها

فأسلم صلاح الدين وأبقى لدولة * ذلت لدولتها ملوك زمانها

وانمض إلى دفع السواحل نهضة * هادت لك الأعداء بعد رواتها

وهي طويلة فالوقام اليوم الذي يليه وقد جلس السلطان للعدل فأنشده قصيدة منها

هل بعد جلق الأن ترى حلياً * وقد تطل منها مكل عقد

وقد أنك كما تختار طاعة * وقد عتاك منها الحصن والبلد

قال وكان سعادة سافر إلى مصر في أول ملكة الملك الناصر فمدحه بقصيدة طائية فأعطاه ألف دينار فهاهنا بصف

فأرت على غره وعود من ذلك انقروا بالعره

فتي مذغري بالحيل والرجل غرة * نأى عن نواحيم الأرضي ودنا الهط

رماها بأسسها ملحق من ابيض * ولا أحم إلا الذي نبت الخط

وعات ضواها يحيى بكتب * من الترتل لا يوب طعام ولا قيط

وله في السلطان قصائد آخر فالوقام اليها الأخبار وأنداك الملك الناصر قصيدة في دار العدل بدمشق سنة إحدى

وسبعين في شعبان منها

يا طيبة الهرم من مصر على السرى مع السلام اذ انقروا أوعفا

اصبوا إلى عصر فعدم عهد * فأزيد من وله عليه تلها

أجبا يا بالعصر لو تصرم المهرجرا ما شمت المسود ولا شمتي

اتكروا إلى الوادي فحنوا * من رقتا الشكوى على تعظا

وحري بالامل الذموح فأمر * سلطان أرض الله طربوسفا

الناهب الأرواح في طلب العلى * والواهب الأجال في حم الوفا

فصل في قيام تجديد الوصاله والخليين قد سبق ذكر الصلح الذي جرى بين السلطان والخليين فلما سمع به المواصلة

عتبوا عليهم ووجتوهم ونسبواهم إلى الجيلة في ذلك وسلك غير طريق الحزم فخلوهم على النقض والتكث وأنفذوا من

أخذ عليهم المواثيق وتوجهوا إلى الرسول منهم إلى دمشق ليأخذ للواملة من السلطان عهده ويكشف أيضاً ما عنده

قلبا خلابه طالبه السلطان بنعمته الرأى فخط وأخرج من كه نسخة من الخليين لهم وناولها إياه فأنطها وأخفى

هذه رسائلها وأطلع على ما اتفقوا عليه وردها إليه وقال لها قد تبدلت عرفت الرسول أنه قد غلط ولم يمكنه

تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الخليين للواملة ومن شرط إيمانهم أنهم لا يمتدون أمر الأمير إجمعتهم لنا

واسمعت ذاتهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفا من قروض وشلح الخبر عن المواصلة بالترجوع في الربيع

كتاب (٢٥٤) الروتين

فكتب السلطان الى أخيه العادل وهو نائب مصر بعلمه بذلك وأمره أن يأمر العادرا بالاستعداد للفرج في شعبان
 قلت وفي كتاب طويل فاضلي جليل الى بغداد عن السلطان (بطلان الحلبين) والموسطين لما وضعوا السلاح
 وخفضوا المنجاح اقتصرنا بعد ان كانت البلاد في أيدينا على استخدام عسكر الحلبين في البكرات الى الكفر
 وعرضنا عليهم الأمانة فعملوها والاعان فذلوا وساروا سولوا وحلف صاحب الموصل بمحضرم فقهها بلطمة وأمره
 مشهده يمتنع الله فيها حكما وصيق في نكته المجال على من كان خيفاسا وما وعار سوله ليعم من الهين لما
 حضر واحضر نعتها أوى يده لغير حها فخرج نعتهم كذبت بين الموصليين والمسلمين معونتها الاتفاق على
 حزينا والتداعي الحزينا والتساعده على ازالة خطبنا والاستنفار بين هرو على بعدنا وقرينا وقدر حلف بها
 كشتكين الحلب حلب وجماعه معينا قصت الاولى فردوا اليها الى عين الرسول وقتنا هذمين عن الايمان
 خارجا وأردت عمرا وأراد الله تلحقه وانصرف الرسول عن باننا وقد نزلنا الله ان يكون اسمه مع منا لثالث العظم
 والنكت الذم وعلمان الساق بصير والاختددير والواقف الشريعة النبوية أعلا خلا الله مسخرة الاوامر الى
 الموصل اما كتاب مؤكدا بأن لا ينقض عهد الله من بعده ثاقه ولما ان تكون الفصحاة واقعة في تضيق خناقة ثم
 ذكرنا أمر الفرج ثم قال (والملوك بين عدو والامام يشاركون في هذا الاسم لفظا ولا يتوهمنا اسحقفظوا حفظا وعدو كفر
 فالحاربهم الابادة ولا يقرعهم الا أجنادهم ثم طلب خروج الامر بحطاب جميع ملوك الاطراف ان يكونوا معا على
 المشركين اعوانا وان يمثل أمر نبياسمده الى الله عليه وسلم في ان يكونوا بنا فيعضدوا اذا سعى ويلدوا اذا دعا ولا
 يقعدوا عن المعاضدة في دفع الديت لانه تس ادى طابت النفوس عن نار دوطا طان الرؤس فتمت عزه وصارت القلوب
 صغرة لا ترق على محضته والغزاة قاصية عن تطهير اقصاهم من رجس الشرك ومعرته فان قدمت بهم الغزاة وأخذتهم
 في الله لومة لائم فلا أقل من ان لا يكونوا أعوانا عليه بلقنونه عن قصدهم يصين على اتصال المكره (الله) قال ابن
 شداد لما وقعت الواقعة الاولى مع الحلبين والموالاة كان حيف الدين صاحب الموصل على سبخار يحاصر أخاه عماد
 الدين يقصد أخذها منه ودخوله في مائة موكن أخوه قد أظهر الاتهام الى السلطان صلاح الدين واعتمدت ذلك واستد
 سيف الدين في حصار المكان وخبر بها المتحقق حتى استندهم من سورته نك كثرية وأمر في الاخذ بانه وقع هذه
 الواقعة تخاف ان يعلم ذلك أثناء فشد أمره ووقته وجاءته فراسد في الصلح فضا له ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم
 بجمع العساكر والاتفاق فيها وسار حتى أتى الفرات وعبر باليربوع ثم خرج على جانب الفرات السامى وراسل كشتكين
 والملك الصالح حتى تستقر قاعدة يصل عليها اليهم فوصل كشتكين اليه وجوز مر اجعات كبيرة عزم فيها على
 العود مرارا حتى استقر اجتمع اعدا الملك الصالح ومعجوبه وسار ووصل حلب وترجع الصالح الى لقاء نفسه فالتقاء
 قريب القلعة واهتلقه وضعه اليه وبكى ثم أمر بالعود الى القلعة فضا اليها وسار هو حتى نزل بين المراكدة وأقام بها
 مدة وعسكر حلب يخرج الى خدمته في كل يوم وبعده القلعة مربعة وأكل فيها خبزنا وزل وسار ارا حلالا الى
 السلطان ومعه جمع كبير وأصل دار بكر والسلطان رحمه الله قد أنشفت طلب العساكر من مصر وخو قرب
 وصولها وهؤلاء يتأخرون في أمورهم ويتأخرون هم ولا يشعرون ان التأخير تدعهم حتى وصل عسكرهم فصار رحمه
 الله حتى أتى قرون حماد فقلعه انه قد غارت عسكرهم فأتى واليربوع وجوه وامن كشف الاخبار فوجدوه قد وصل
 جريده الى حجاب التركان وتفرق عسكره حتى غلوا وأراد الله نصرته لمقصده وفي تلك الساعة تمكن صبره واعليه حتى
 سقى خيله هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبته الله نال وأصبح القوم على مصاف وذلك بكرة الانجيس العاشر من سؤال
 فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم وان كسرت معصرة السلطان بين زين الدين بن مظفر الدين فانه كان في
 معينة سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فأنكر القوم وأسر منهم جمعا عظيما من كبار الامراء منهم الامير غر الدين
 عبد المسبح فقتل عليه سوا أطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده
 واسلم حورجه الله عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فانهم كانوا قد أتوا بقوا التقل على ما كان عليه
 والمطابخ قد غلت فخرقوا الاطبلات ووجه الحراش وأعطى خيمة سيف الدين غزالين فرحشا وهما العمار حلتنا
 في شهر رمضان من دمشق مستأجرين غيرنا العاصي لله طائعين والى المسار مسارعين فاعرض جنا على ولد ولا تظننا

في اخبار (٢٥٥) الدولتين

ماوراء ناه من مدد و نزلنا القسوف و جزا جاه و خيمنا في مرج و قيس و جلع الحبر انهم في عشرين الف فارس سوى سوادهم
 و سواراهم من امدادهم و انهم موعود من الفرنج بالنجدة و انهم يزيدون في كل يوم قوت و شدته و ما كان اجتمع من
 عسكر ساسوى ألف فارس قرب السلطان عسكره و قوتى بقوة قلبه و امداد الله بجذب ملائكته مزبه و لما وصل
 المواصله الى حلب اطلقوا من كان في الاسر من ملوك الفرنج منهم ارباط ابرنس اكر ك و جوسلين خال الملك و قزروا
 معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما عيذنا وصل الى السلطان الحبر بوصولهم الى قتل السلطان فغيرنا
 العاصى عند شير و رتبنا العسكر و اعدنا الانتفال الى جاء ثم وصف الوقعة الى ان قال و ركب السلطان أ كافهم
 فقل مشيهم و الا فهم حتى اخرجهم من خيامهم و اشرقهم بآتهم و وكل برافق سيف الدين غازى و مضارب ابن أخيه
 فرخشاه و ركض و راهم حتى علم انه تعذاه و وقع في الامرجاعة من الامراء المقتدين ثم من عليهم بالخيل بعد ان قتلهم
 الى جاء و أطلقهم ثم نزل في السراذق السبي فسلمه بغير انته و محاسنه و اصطبلاته و مطابخه و رواسى عزه و رواسه
 فبسط في جميع ذلك اذى الجود و فرق با على الحضور و الشهود و اتفق منها نصيبا للرسول و الوفود و رأى في بيت
 الشراييل في السراذق الخاص طيور امس القمارى و البلاليل و الخزاز و البق في الانخفاض فاستدعى أحد النعماء
 منظر الاقرع قائنه و قال خذ هذه الانخفاض و اذهب بها الى سيف الدين فارسلها اليه
 وسلم مناعليه و قل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهى سليمة لا توفك في مثل هذا المحذور قال و لما كسر القوم ولوا
 مدبرين الى حلب فلم يقف بعضهم على بعض و نزلوا الى امساك و راهم ركضوا امر كرض فنبهت خبر لهم و تموجت
 سيولهم و باصعدوا كيف يصلون الى حلب و يطفون ابوابها و يسكنون اضطرابها و اما سيف الدين فانه ركض في
 يومه من تل السلطان الى بزرعه و ج و رضى و ته الاستطاعة و فرق و فارق الجماعة و في كلب ابن اى طلى ان ميسرة
 سيف الدين انكسرت فحرك الى جانبها ليكون و الحلو مدافظن باقى العسكر امداد لهم فانهزموا فحقما كان و هما
 فسار على وجهه لالوى على شئ و رعى و هم السلطان فبلك منهم جماعة قتلا و غرأ و امر رجاعة كثيرة من وجوههم
 و امر انهم ثم رجوع و امر ايجان برفع السيف عن الناس و ترك التعرض لى و جدم منهم يقتل و اونهب و فرق ما وجد في
 خزائن سيف الدين و سير جواريه و حقا ما الى حلب و ارسل اليه بالانخفاض و قال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها
 الدم مقاساء الحرب و وجد السلطان عسكر اللوصل كالحانة من كثرة الجور و البرايض و العيذان و الجنوك و المقتنين
 و المقتنيات قال و اشتبه انه كان مع سيف الدين أ ككثر من مائة مغنية و ان السلطان ارى ذلك لصاكره و استعاذ
 من هذه البلية و كان انفذ الامراء الذين اسرهم الى جاء ثم رددهم و خلع عليهم و ارسلهم الى حلب و هنا العمد السلطان
 بقصيده منها

فالحمد لله الذى افضاله * حلوا الجنى على السنا و ضاحه
 عاد العبد بظلمه من ظلم * فى ليل و ليل قد خيم صباحه
 و جنا عليه جهله بوقوعه * فى قبضة الازارى فهيض جناحه
 حل السلاح الى اقبال و ما درى * ان الذى يجنى عليه سلاحه
 أغشى بردم اصيله صدوده * و غدا يجيد زناه مسداده
 ان أفسد الدين القلادة بجنهم * فالتناصر الملك اصلاح صلاحه
 قد كان عز ملك لاله مصفا * فيهم فلاح كماريات قلاحه
 و كاتفى بالساحل الاقصى و قد * ساحت بغرهم الفرجة ساحه
 فاعبر الى القرم الفرات لنشر و السمون الاجاج قد طوى طفاحه
 تفك من ايديهم رهن الزها * بخلا و يدرك ليلها اسباحه
 و ابقرا لحرنا لخلاص فكبحها * حران قلب تحوكم ملتاحه
 نجوا البلاد من البلا بعبادكم * فالتظلم يادى الجميع صراحه
 و استغفروا ما كان من مستغلق * فيها فر يكلمكم قفاحه

كتاب (٢٥٦) الروميين

أنتم رجال القهر بل فرسانه * وفي الخيل الطائشان وياحه
قتاله نساك مضراره * فعاظه مناعه مناحه
وأبو القفر يوسف مطعمه * مطعاه مقدمه بجحاحه
وإذا ابتدى في محفل غيبه * وإذا غدى في جمل فوطاه
قال وكان لغز الدين فرخ شامي في هذه الوقعة أيضا، وهو محب للفضل وأهله، باعث للخواطر على نهج يذله فنظمت فيه قصيدتها

نصر أنار الملككم برهانه * وعلافة شائكم شانه
ما أسعد الاسلام وهو مظفر * وأبو القفر يوسف سلطانه
الملك من فوع لكم مقداره * والعدل موضوع بكم ميزانه
والقهر لا يأتي بغير مرادكم * فهل القضاء لا جاكم جريانه
وكان الله في أحكامه * فلك على أثاركم وورانه
نظرا بنى أبويان نخاركم * بذل الملوك الأساقين رهانه
يكفي حسودكم اعتقالاتهم * فكأنما أشباهه أجهانه
الدين عز الدين عز نصركم * والكثرة ذل يعونكم أعوانه
قد كان جيسكم كبحر زاهر * واللايسون جواشنا حباته
فطما لملكهم عليهم بحركم * بأسا وغرق فلككم طوفانه
فضل الملوك الأكرمين بفضلهم * فعلا زمانهم اليوم زمانه
في فضله في عدله في حلمه * صدقته فاروقه عثمانه
هو في السماع وفي اللقاء عليه * هو في العفاف وفي التقي سلمانه
من آل شاذى الشاذين لمجدهم * يشبهه يشا عاليا ميثانه
بيت من الطيغام شامق * يبنى على كيوانها إيوانه
باسلب التيجان من أربابها * ومن الكناء مصوغه نعلته
والجسد مال أنتم بذله * والمال جسد أنتم خزانه

قال ثم إن صاحب الموصّل أسرع عودته وواصل لفته والخليون أوتقوا الأسباب وغلّقوا الأبواب وسقط في أيديهم حين أفرطوا في تعذيبهم وتميئوا للحصار وشافوا من الأبواب وتلبذوا وتلذذوا وتجادلوا ثم جلدوا وقال ابن سعدان الحلي من جملة قصيدة يبنى بها السلطان بهن مال كسره

وما شئت قوم حين قت عليهم * غداة التي الجمعان أنك غالب
ولو لم تعد تلك القنات لا غتدى * لنفسك في نفس العدو وقنات

قال ابن أبي طي وأما سيف الدين فإنه امتدّت به الحزم فقال براءة فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من أصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار إلى الموصّل وصار ياق عسكر حلب إلى حلب في سابع شوال في أقمي حال وأسرته عراة حفاة فقراة يتلاومون على قرض الإيمان واليهود وناف أهل حلب من قصد السلطان فهم فاختدوا في الاستعداد للحصار وجاء السلطان وخيم عليها ألبا ثم قال أرى أن تقصمنا حولهما الحصون وأنما نل والقلاع فتعقها فانا إذا هلكنا ذلك ضحفت حلب وهان أمرها فصرور أرى قز لواء على براءة قتلها لالامان ورواها عز الدين خستين الكردى

(فصل) في فتح جملة من البلاد حول حلب قال العماد ثم نزل السلطان على حصن براءة وتسلم في الثاني والعشرين من شوال ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان فيما الأمير قطب الدين بن شال بن حسان والسلطان لا يزال به أحسان بل كان في جوع عسكر الموصّل إليه أقوى سبب ولا يماذقه ولا يحفظ معه شرط أدب ورواجه بما يكره

يكره فسلم العدة بما قبلها وقومها كان سلم ثلثمائة ألف دينار منها عين وقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنحوج وغلات وسامه على أن يخدمه فاني وثقف وكثرت نفسه فتعبد له وذهب ما جمعه ومضى إلى صاحب الموصل فاقطعه الزفة فبقي فيها إلى أن أخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين قال العماد

نزولك في منبج * على الظفر المبهج * ونجحك في المرتجى * ونحك للفرج
دليل على نجيح ما * تحاول أو ترجى * أمورك فيما زو * هواخبة النجج
وشأنك داي الشؤ * من منك متى شئى * ومن كان في حصنه * ومن قبل لم يخرج
يقال له ليس ذا * بعثك ثم فادرج * ذرايك يستزل السنبوم من الأبرج
فجعل عبور الفراء * بت وأمر وصر واج * وعج نعمتلك البلاء * وعن غي هاعرج
غران والرقا * ن تالبتا متج * وحل عن الماس من ليهم المذبح

قال ابن أبي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن سعد إليه وجلس يستعرض أموال ابن حسان وذخائره فكان في جملته أمواله ثلثمائة ألف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والآلحة والنفائز ثمان مائة دينار فخلع من السلطان الكفافة فقرأ على الأيكاس والآنية مكسوبا يوسف فقال عن هذا الاسم قبيل له ولا يعبه وزوره اسمه يوسف كان يذخر هذه الأموال قال السلطان أبا يوسف وقد أخلفت ما شئت في فتجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على عزاز ونصب عليها عدة بحمايق وجد في القتال وبذل الأموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع من الحلبين وبين الفرخ الجواز وهو حصن منيع رفيع فحاصره ثمانية وثلاثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من مواقة الحلبين للفرخ فان القبط جلهم على مهادة الفرخ واطلاق ملوكهم الذين تعبدوا الذين رجعوا الله في أسرهم فقرأ إلى اخن أن يحاط على المعقل ويصونها صون العقائل فلهذا أحدى عشر ذى الحجة بعد مدة حصارها المذكورة وقال العماد قد سددتم بها

أعطاه رب العالمين دولة * عز أهل الدين في اعزازها
حاز العلي - أسه وجوده * وهو الحق الحلق باحتيازها
يجده أفتي كنورا في السملوك في الجده في اكتنازها
مهلك أهل الشرك طرلو ومها * ارمها الفرخ بها احتيازها
تقار الاسلام من سلعانه * تناخر الفرس بابر اوازها
نهم من فتح عزاز نصرة * أوتعت العدة في اهترازها
واليوم قلت حطب فانها * كانت تال العزم من عزازها
وحلب تبقى كشكبيها * كالتفت بغداد من قمازها
بررت في نصر الهدى بحجة * وضوح نهبر الحق في ابرازها
كحاصل الرمح غادة بديا * زجج روالحي عن عكازها
ارفع حظوتى من حضيض قصم * وعصص هازها لمازها
والشمر لا بد له من باعث * كحاجة الخيل الى مهمازها

قال وأغار عكر حلب على عسكرنا في منبج فامتناعا على عزاز فاخذوا على غزو وغلبة ما قبلوه وعادوا فركب أصحابنا في طلبهم فألدرسوا وأفاروا واحد افار السلطان بقطع يده بحكم حوده قتل للأموور ذلك بمسمع من السلطان فعمل ساعه له لم يقبل منى شفاعه ثم قتل هذا الأيمل وقد ركب لدينك عن هذا الأيمل وما زلت أكرع عليا الحديث حتى تبسم وعادت عا طقتهم ورحم وأمر بحجسه وسرى سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وقال لما هذا الفشل والونا وان سكرتم أنتم فما ألكت أما ودمدم وزجر وغضب وزجر وقال لم لا يقتل هذا الرجل ولماذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتعطفه وتلا عليه ولا تزروا زروا أخرى وأطلق سراحه وتم في نجاته فبجابه

(فصل) في حرب الحبشية على السلطان مرة ثانية على عزاز وسكانت الاولى على حلب قال العباد
وفي حادي عشر ذي القعدة ففر الحبشية على السلطان ليله الاحد وهو نازل على عزاز وكان لا مبرجاولي الاسدي
خيمقرية من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الاكاث وترتيب المهلمات وحض الرجال
والبحث على القتال وهو باريتأ بأبيه فارعى الدهر بكت عواذيه والحبشية في زى الاجندة وقوف والرجال
عنده مغروف اذ قفر واحد منهم فضرب رأسه بسكينه فعاثه صفائح الحديد المذفونه في قلبه عن تمكينه ولحقت
الديباجة خلفه فقتلته قنوى السلطان قلبه وسائر ارب الحبشى اليه وحذبه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف
الدين بازكوج فاخذ حناثة الحبشى وبضعه وقطعه وجاء آخر فاعترضه الامير اودين منكلان فقتله وجره
الحبشى في جنبه فان بعد ايام جاء آخر فعاثه الامير على بن أبى القوروس وضمه من تحت ابطيه وقتل
الحبشى من ورائه لا يتكمن من الضرب ولا يتأذى له كشف اعراضه من الكرب فنادى اقتلوني معه فقد قتلني
واذهب قوتى واذهلني فطعن ناصر الدين بن شيركوب بسيفه وخرج آخر من الخيم من زما وعلى الفتك بين
بيلرضه مقدما فثار عليه أهل السوق فقطعوه وأما السلطان فانه ركب جياداً الى سرادقه وقدره الحادث وفزعه
الكارث وصوته جهوى وزفيره تسورى ودم خد مسائل وعطفر وعصائل وطوق كراغنده تلك الضربة
مفكوك ونجم سلامته مساوكة وكان سلاسله لأمته وأمام القوم قيامته ومن بعد ذلك رعب وهرب واحسوز
واخضع وضرب حول سرادقه على مثل حطب الخركاه نازرا ووقفه تحجيرا وجلس في بيت الحبش وبرز
لناس كالحطب وباصرف الامير عرقه ومن لم يعرفه صرفه واذا ركبوا يصرون لا يعرفه في عوكيه أبعد ثم سأل
عنه فان كان مستغفرا ومستعدا لاسعفه وأسعده ومن كذب فاضى الى العادل (السلامة شامله والراحة بمجدا لله
اليسم الشريف التامرى صالحة ولم ينل من الحبشى الملعون الا خدش ففتر منه قطرات دم خفيفة انقطعت
لوقتها وانملت ساعتهما والركوب على رصمه والمصار لعزاز على حكه وليس في الامر بمجد الله ما يضيئ صدرا
ولا ما يشغل سرا) فقال ابن ابي طي لأمير السلطان حصن راحة ومنع أيق من يجلج بخروج ما في أيديهم من المعازل
والقتلاع فعادوا الى عادتهم في نصب الجيائل للسلطان فكانوا ساءا صاحب الحبشية مرة ثانية وقبوه بالا موال
والمواعيد وجاوه على اتفاقهم بقتل بالسلطان فأرسل لجنه الله جماعة من أصحابه فجاؤا لرى الاجنادود خلوا بين
المقاتلة وشاورا الحرب والبلوا فيها أحسن البلا ولم تزل جوايا صاحب السلطان لهم يمدون فرصة يمتزونها فينبغا
السلطان يوما بالاساقى خيمجا بولى والحرب قائمه والسلطان مشغول بالنظر الى القتال اذ ثوب عليه أحد الحبشية
وضربه بسكينه على رأسه وكان رحمه الله محتر راحة فاس من الحبشية لا يزعز الردية عن بدنه ولا صفائح الحديد عن
رأسه فزال تصنع ضربة الحبشى شيئا لم يكن صفائح الحديد وأحسن الحبشى صفائح الحديد على رأس السلطان
فشدته بالسكينه الى خدة السلطان فخرجه وجرى الدم على وجهه فقتل السلطان لذلك ولم اراى الحبشى ذلك
فهم على السلطان وجذب رأسه ووضعه على الارض وركبه ليخرجه من حول السلطان قد ادرهم دهشة أخذت
بمقرهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين بازكوج وقيل انه كان حاضرا فاختطف بسيفه وضرب الحبشى
قتله وجاء آخر من الحبشية ايضا بقصد السلطان فاعترضه الامير منكلان الكردي وضربه بالسيف وسبق
الحبشى الى منكلان فجرحه في جبهته وقتله منكلان ومات منكلان من ضربة الحبشى بعد ايام وجاء آخر من
الباطنية فحصل في سهم الامير على بن أبى القوروس فهجم على الباطنى ودخل الباطنى فيلبضربه فأخذته على
قتل ابطيه وقتل الباطنى من ورائه لا يتكمن من ضربه فصاح على اقناؤه واتتالوني معه بخفا ناصر الدين محمد
ابن شيركوه فطعن بطن الباطنى بسيفه ومزال يخنقه فيه حتى سقط ميتا وبقا ابن أبى القوروس وخرج آخر
من الحبشية منهزما فظفبه الامير شهاب الدين محمود خال السلطان فتتبع الباطنى عن طريق شهاب الدين فقصده
أصحابه وقلعه وبالسوف وأما السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه على خد مسائل وأخذ من ذلك الوقت
في الاحتراس والاحراز وضرب حول سرادقه بجان الحبش كان يجلس فيمر سام ولا يدخل عليه الا من يعرفه
وطالت الحرب في ذلك اليوم ونف الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فأجلت

في اخبار (٢٥٩) الوثنيين

الحال الى ركوب السلطان ليشاهد الناس مركب حتى يسكن العسكر وعاد الى خيمته وأخذ في قتال عزاز قاتله امة ثمانية وثلاثين يوما حتى عجز من كان فيها وساءوا الا امان فقتله احدى عشر ذى الحجة وصعد اليها واصلح ما تم منها ثم قطعها لابن أخيه تقي الدين عمر وكانت عزاز اولاً للهقبة غلام نزار الدين فقامه السلطان منيع أخذها منه الملك الصالح وقاتلها لعله يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان من أمر عزاز حقد على من يحلب لها فسلو من أمر الحشيشية فسار حتى نزل على حلب خامس عشر ذى الحجة وضربت خيمته على رأس الباروتية فوق جبل جوشن وجي أموالها واقطع ضياعها وضييق على أهلها ولم يفسح لعسكر في مقاتلتها بل كان يمنع أن يدخل اليها شيء أو يخرج منها أحد وكان سعد الدين كشتكين في حارم وكانت اقطاعه في يد نوابه وكان اتزعهما من يد أولاد الداية بعد ان عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها ان السلطان لما نزل على عزاز خاف كشتكين أن يقتل منها الى حارم ففرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم كشتكين على كونه خارجا في حارم وخاف أن يجري بين السلطان وبين الامراء الملبسين صلح فلا يكون له فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان يخطب معه الحال ويقول لوسع في في الدخول الى حلب لسا رعت في الخدمة وأصلحت الامر على ما يرومه السلطان وراسل ايضا الملك الصالح والامراء فحلب يقول لهم قد حصلت خارجا وقد بلغتني امور ولا يقمن طلي من الملك الناصر ليأذن لي في الصبرورة اليكم فان الذي قد حصل عندي لا يمكنني الكلام فيه فراسل الملك الصالح السلطان في الاذن له في الدخول الى حلب فأذن له وطلبوا الرهائن منه فانفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن أبي المضا الحطيب والعماد كاتب الانسا وأنفذوا من حلب الى السلطان رهينة نصره الدين ابن زكي وحكي العماد الكاتب قال المحمدا اذا دخل حلب أخيرا رأى العدل ابن الجبجي وجطنا في بيت ومنع منا غلمانا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبقينا في ذلك عيش وفي تلك الليلة دخل كشتكين الى حلب فلما أصبحوا أحضرت أباؤا ابن أبي المضا الى مجلس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود وجماعة من أرباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن الجبجي فاخذ يتحدث بلثفته ويترجم بلكمته ويضرب صحفا عني ويوهم الجماعة في واني

ومادري القمرباني أسرو * أمير التبر من التبر

قد عارك الاهوال حتى غدا * بين الوزي كالصارم المعض

قد راضه الدهر قوامه * بخطبهم ما ربح الخطب

قال وعرضت نسخة اليين عاينا وصرفنا ولم يلبثت لنا فلما صاروا الى السلطان واخبراه بما جرى في حقهما من الهوان علم ان ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كشتكين الى حلب فأطاق مصر الدارين وقاقل أهل حلب ولم يرزل منازل حلب الى ان صلاح سنة احدى وسبعين وخمسمائة ثم كان ما سيأتي ذكره

(فصل ٤) في بواق حوادث هذه السنة ودخول قراقوش الى المغرب قال العماد في سابع شوال وصل أخو السلطان شمس الدولة من اليمن الى دمشق وذكر ابن شداد انه قدم في ذى الحجة قلت ولما سمع السلطان بفدومه أرسل اليه بالمثل الفاضلي كتابا أوثقه (أنا يوسف وهذا أخي قدمت الله علينا) وقال في آخره (ولقد أحسن عدنان المبشر اذ طلع علينا طالع الفجر قبل شمس وغمر في القلوب ما يسرنا ووسر حتى غرسه) قال ابن أبي طي كان سبب خروجه من اليمن كراهية البلاد للشوقي الى أخيه الملك الناصر وان يرى ملوك الشام وغيرها وأمر الصالح أن يبعث اليه عليه من النعم والاموال قال وحكى انه لما تحدثت الناس بفرج شمس الدولة من اليمن كان بايمن رجل يقال له عباس وكان صهر يامر بن بلال الحبشي صاحب عدن وكان بين عباس وباسر عداوة فاقبلت عباس كذا على لسان يامر وزور عليه علامته الذي زيد بن عمر وابن حاتم صاحب صنعاء يقول فيه ان شمس الدولة سائر الى أخيه الملك الناصر الى الشام وسبب خروجه ضعفه من اليمن فامسكوا كنتم يحملون اليه من الاتاوة والشوة ببق لكم واحتال حتى وصل الكتاب الى شمس الدولة وكان نازلا على حصن يعرف بالحضرا بجماصره فلما وقف شمس الدولة على الكتاب امتدح يامرا وقال هذا خطك وعلامتك قال كانه هو قال ما يمشي استحققت منك هذا وقد قربت من ذلك وأقيت عليك بلادك ورفعت بضعتك على أهل اقلبك وأوامال الكتاب فلما وقف عليه يامر حلف انه

صككنايب (٢٦٠) الروضتين

ما كتبه ولا يعرفه ولا املا ولا حذو لم يصل خبره قط بعدد قس الدولة وأمر به قتل من يديه صبرا فهاب شمس الدولة مسالوا الذين وصلوا اليه الاموال وحفظوا على الطاعة ثم ان شمس الدولة خرج الى نامة وتوجه الى الشام واستخلف على نامة سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوجه الى حضرموت ففتحها واستتاب منه بهار جلا كرد يا يحيى هارون وكان قمامه بنبام واستقر الكردى بهامد ثم ان صاحب حضرموت تفرق وجعل قتل وعان هارون في تلك البلاد واستقام امره وولى شمس الدولة تفرغ بمالوكه باقوت وجعل اليه امر الجند وولى قلعة بكمالوكه بايماز قال وكان وصول شمس الدولة الى السلطان قبل وقعة الموصل فله وكسرهم وكان شمس الدولة هو سبب الطفر واعطاه السلطان مائة الف دينار صاحب الموصل بما كان فيه من الفرس والاثاث والاكت ولله دمشق والمواوال الشام وأمر ان يكون في وجه الفرج لان السلطان تافعن الحلبيين ان يكاتبوا الفرج كعادتهم قال وفيه اقل صديق بن جولة صاحب بصري وصبر ضد قتله ابن اخيه ومالك بعد بصري وصبر ضد شهيرة فكاتبه شمس الدولة أخو السلطان وحلف له على ما يريد من افطاع واقرح شمس الدولة ان يكتب هو ما يريد له على فأنفق من بصري تسعة مائة دينار فاضى بصري وكان قليل المعزق بالفتح والتصرف في القول فلم يستقص فيها وجوه التأويل فلما استوق بهامد شمس الدولة ونزع اليه تأول عليه شمس الدولة في العين وتبضع ثم اقطعه عشرين ضبعة ثم أخذها منه بعلدان قتله قال وفيها عصى الامير غرس الدين فليجئ من خالده بسبب كلام جرى منه وبين كشيكن فاخذ اليه من حلب عسكر الحار وروا يماوس الحار وصحلت حاله قال ولما ملك شمس الدولة العين سمع نفسه من أخيه تقي الدين الى الملك وجعل ير تادما كما يجتري عليه فأخبر ان قلعة از برى هي قديم القرب وكانت خرابا فاشير عليه بعمارها وقيل لعمري عمن وسكن الحار اذ او را بهما من ملك بركة واذ ملك بركة فقام ساوراها فأنفذ بمالوكه اليه الذين تراقوش وقدمه على جماعة من احشاده ومالوكه فصار الى القلعة المذكورة وشرعوا في عمارتها واجتمع براقوش رجل من المغرب فخذته من بلاد الجريد وفران وذكرة كثره خبرها وغزاره أموالها وضعب أهلها ورغبه في النخل البها فأنفذ جماعة من أصحابه وساروا حادى عشرين الف من هذه السنة فكان يكنى الهاروسير الليل مدة تحت أيام وأشرى على مدينة أوجلة فقلعه صاحبها أكرمه واحترمه وسأله المقام عنده ليه تصديروا وجهه بنته ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث اشرافها ففعل براقوش ذلك فحصل له من ثلث الارشاع ثلاثون ألف دينار فأخذ عشرة آلاف لنفسه وفرق على رجاله عشرين ألفا وكان الى جانب أوجلة مدينة يقال لها الازراقية فبلغ أهلها صنيع براقوش في أوجلة وانه حرس غلالهم فصاروا اليه ووصفوا له بلدهم وكثرة خبره وطيب هوائه ورغبوه في المصير اليهم على انهم يملكونه عليهم فأجاب على ذلك واستخلف على أوجلة براقوش جلاص أصحابه يقال له صباح ومعه تسعة قوارس من أصحابه فحصل براقوش أموال كبرية واقفق ان صاحب أوجلة مات فقتل أهل أوجلة فأجاب براقوش فجاء براقوش وسار حادى اقتحمها حوة وقتل من أهلها عمارا براقوش وغلغ منها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان أصحابه رغبوا في الرجوع الى مصر وخشي براقوش ان يتم وحده فرجع معهم فلما حصل بمصر طاب له المقام وشغل عليه العود ووجه تقي الدين باحدى جواربه وكان استناب بأوجلة وقال لأهلها أنا أضي الى مصر لتهدد رجال وأعداكم قال ابن الاثير وفيها في ربيع الاخر فز سيف الدين صاحب الموصل جلال الدين بألحس على بن جمال الدين الوزير رحمه الله تعالى وقدمه كنعني ولايته فظهرت منه كفاية لم يظنها الناس وبدا منه معرفة بقواعد الدول وأوضاع الدواوين وتقرير الامور والاطلاع على دقائق الحيل وبيان الصناعات الكافية للحساب والانشاء حيرت العقول ووضع في كتابة الانشاء وضع علمه بقره وكان عمره حين ولى الوزارة تسعا وعشرين سنة ثم قبض عليه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وشفع فيه كمال الدين بن بلسان وزير صاحب آمد وكان وزير وجهه بنته فاطمى وسار اليه وفي يامد يسر امره بضاقت فارقها وتوفي بدمش سنة أربع وسبعين ورجل الى الموصل فدفن بها ثم حمل منها في موسم الحج الى المدينة ودفن عند والده وكان من أحسن الناس صورة ومعنى رحمه الله تعالى قال ثم ان سيف الدين استناب دوزار باقلعة الموصل الامير مجاهد الدين قايماز في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وورد

في اخبار (٢٦١) الدولة

اليه أزمة الامور في الحل والعقد والرفع والخفض وكان يدع قبل هذه الولاية مدينة أربل واعمالها معه قبل ولده صغير
 زين الدين على لقبه أيضا زين الدين فكان البلد لوزين الدين اسمعلا معني تحته وهو لجاهد الدين مسورة ومعني قلت
 وفيها في حادي عشر رجب توفي حافظ الشام أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر صاحب التارخ الدمشقي رحمه الله
 تعالى وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن في مقابر باب الصغير وفيها قدم دمشق أبو الفتوح عبد السلام
 ابن يوسف بن محمد بن مهلب الدمشقي الاصل البغدادي المولود لتنوخ الجاهري الصوفي بن الصوفي ذكره الجهاد
 في الخريدة وقال كان صدقي وجلس للوعظ وحضر عنده صلاح الدين وأحسن اليه وعاد الى بغداد وذكر الجهاد
 من أشعاره مقطعات منها في الحقائق وأندھى في مجلسه

يا مالكا مبعثي يا منتهى أملي * يا حاضر اشأه في القلب والفكر
 خلقتني من زباب أنت خالقسه * حتى اذا صرت تمثالا من الصور
 أبريت في خالي روبا منورة * ترفف بكري الماء في الشجر
 جعلت بين صفا روح منورة * وهيكلك صفة من معدن كندر
 ان غبت فبكك فيا غفري ويا غفري * وان حضرت فيا مني ويا بصري
 أواحببت فصرى منك في وله * وان خطرت فعلي منك في خطر

تبدو فتحو رسوى ثم نبتها * وان تقيت عني عشت بالآخر
 ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة * حال الجهاد والسلطان معهم بظاهر حلب ففرق أهلها من العقوبة
 إليه واعاقبه وخرجهم فدخلوا من باب التلال ولادوا بالناسل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا
 وعف وكفى وكف وأبقى للملك الصالح حلب واعمالها واستقرى كل عرذله وأقالها واراد له الاعزاز فزعم له
 عزاز وقال ابن شاذان أن رجواله ابنه أنور الدين صغيرا سألت منه عزاز فوهبها ياها قال ابن أبي طي لما تم الصلح
 وانقعدت الايمان عزل الملك الصالح على مر أسبلة السلطان وطلب عزاز منه فاشار الامراء عليه بانفاذ أخته
 وكانت صغيرة فأنزجت اليه فأكرمها السلطان أكراما عظيما وقدم لها أشياء كثيرة وأطلق لها قطعة عزاز
 وجميع ما فيها من مال وصلاح ومير وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح أخا له لما نزلت في نور الدين الى صلاح
 الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائما وقيل الارض ويكي على نور الدين فسألت ان يرزها عليهم عزاز فقال سما
 وطاعة فاعطاها ياها وقدم لها من الجواهر والخف والمال شيئا كثيرا وافترق مع الملك الصالح ان لهم حاه وما فقهه
 الى مصر وان يطلق الملك الصالح أولاد الداية قال الجهاد حلقوا له على كل ما يريه واعتذروا عن كل ما يحفظه
 وكان الصلح عامها وللواصل وأهل ديار بكر وكتب في نسخة الجين انه لما اغدر منهم واحد خالف ولم يبق معاه
 حالف كان الباقي عليه بدوا واحده وعزيمه متعاقده حتى بقي الى الوفاء والوفاء ويرجع الى امره اقتناز فاق
 فلما انتظم الصلح ذكر السلطان ثاره عن الاسماعيليه وكيف قصد دونه تلك اليه فرحل يوم الجمعة لعشرين
 من المحرم فحصر حنتهم مصياف ونصب عليه الجناز والكبار وأوسعهم قذلا وأسر اسواق ابقارهم ونهب ديارهم
 وهدم اعمارهم وهناك استأمرهم حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب جاه وكانوا قد اساءوا
 في ذلك لانهم حيراهم فرحل عنهم وقد اتهم منهم قال وكان الفرقة قد أغاروا على البقاع فخرج اليهم شمس الدين
 محمد بن عبد الملك المعروف بابن القدم وهو متولى بعلبك ومقطع اعمالها ومدير أحوالها والتحكم في أموالها
 فقتل منهم دأرا أكثر من مائتي أسير وأحضرهم عند السلطان وهو على حصار مصياف فجدد منه الى غزو
 الفرغ والابتعاث قال ابن أبي طي وهذا أكبر الدواعي في مصالحة السلطان لسان ونحوه من بلاد الاسماعيليه
 لان السلطان خاف أن تجم الفرقة في بلادهم الاعلى وهو يمددته فرما ظفره من البلاد بطال فصالح سنا وعاد
 الى دمشق قال الجهاد وكان قد خرج شمس الدولة أخواله سلطان من دمشق حين سمع ان الفرقة على الخروج
 وبسطهم عند عين الجرج في تلك المروج ووقع من أصحابه عدة في الأسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلاور وصل
 السلطان الى حاه وقد استكمل الظفر واجتمع فيها بأخيه شمس الدولة ثمان مئتي نفر وهو أول لقاءه بعدما أزعج عنه الى

كتاب (٢٦٢) الروضين

البن السفر وتعاقد الاخوان في المنحيم بالميدان وتعد ثانی الحد ثانی وروعات القراق ولویات الاثواق وكان قد وصل الى السلطان من أخيه هذا عند مقارنته بملاذ البن كتاب منته أیانا ظننا من شعر ابن المنحيم المصری أولها

الشوق أروع بالقلوب وأوجع * فعلام أدفع منه مالا يدفع
وحلت من وجد الاحبة مفردا * مالىس تحمله الاحبة أجمع
لا يستقرى النوى فى موضع * الانتقاض الى الترحل موضع
فالى صلاح الدين أشكوا نيتي * من بعده ضنى الجواغح موضع
جزا لبعده الدار منه ولم أكن * لولا هواه لبعده دار أجزع
فلاركن اليه من عزائي * ويصير كركب الترامد موضع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة * من أمه صابغ السعادة يطاع
قال العماد فسألنى السلطان أن أكتبه فى جوابها على روىها وورثها فقلت قد كرمه عيده من

مولاي خمس الدولة للسلطان الذى * خمس السيلاد من سناء تطلع
مالى سواك من الموادئ مجأ * مالى سواك من التوائس حقزق
ولا شئت نحر الدين نحرى فى العلى * وملاذ آمالى وركنى الأرفع
الا بغيره منك المنجى موفى * والله مالىك عندى موضع
ويغير تركك كلما أرجوه من * ذكرك المني متعذر منفع
لنصر ان أقبلت نحرى مقبل * والبن ان أسرعت نحرى مصرع

قال ثم سألنى دمشق ووصلنا اليها سابع عشر صفر وفوض ملك دمشق الى أخيه الملك المعظم خمس الدولة وعزم الى مصر السفر

(فصل) فى ذكر جامع خمس الاعيان بمجددهم ما اقتضى ذكره فى هذه السنة قال العماد فى السادس من المحرم توفى بدمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزورى وعمره ثمانون سنة لان مولده فى سنة اثنين وتسعين وأربعمائة وكان فى الايام النورية بدمشق هو المالك المحكم وصلاح الدين اذ ذلك تولى الشهادة بدمشق وكال الدين يعكس مقاصده بتوجيه الاحكام الشرعية ورعا كسر اغراضه وأبدى عن قبوله اعراضه ويفصد فى كل ما يعرض له اعراضه وكم صبر على جماعه بصله وراضه الى أن قله الله سبحانه من نابة الشهادة الى الملك وصار كمال الدين من قضاء ماله المتظمة فى السلك وكان فى قلبه ما فرط فيه وما فرط منه ما فات وقت تلافيه فبالمالك دمشق يجرأ على حكه ولم يؤخذ بغيره واحترم زواجه وأكرم أصحابه وفتح لى عبايه وخالطه واستحسن جوابه ولم يزل استقيمه ويستعده ويعرض على رأي ما يعيده ويبدىه وكان ابن أخيه ضياء الدين ابن تاج الدين السهرورى قد هاجرا الى صلاح الدين بصرف ريسان ملكه وأذنت هجرته فى ذلك ارادته بأارة قلبه وأنتم عليه هناك بجزيرة الذهب ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ووفر حظ من الذهب وملكه دارا بالفاخر متفقه جليله ورتب له وظائف وخصه بلذائف ووصل مع صلاح الدين الى الشام وأمر بجله على النظام ولما انتفى كمال الدين للمرض وكاد يفرق جوفه العرض أراد أن يبنى القضاء فى ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين ابن أخيه علما منه بأن السلطان يحضى حكه لأجل مولفه ويصعله عنده من عوائد عوارفه ومات ولم يخلف منه ومن شاهدته العقل والفضل كله بارا بالارار مختار الاخبار مكرما للكرام ما ضاف الاحكام وتذوقه نواله بن رحمه الله وولده فى أيامه وسدد امرى امرأى وهو الذى من دلاله العقل لتنفذ أحكامه بحضرة السلطان فلا يبقى عليه مخز ولا ملز فى الشان وهو الذى توفى به سلاسا وورد دمشق ومدارها والى الجارستان فاستمرت عادته واستقرت قاعدته فى دولة السلطان وتوفى ونحس بطلب مجلسه وبن وذكر العماد فى القرنه دلائله بحجى الدين قصيدته فى مرثيته منها

أولها سقى فاسيون فسلوا * على جنبى بادي السناوترجوا
وبالرغم منى أن أاجيه بالمنى * وأسأل مع بعد المدى من رسل

في أخبار (٢٦٣) الدولتين

لقد علمت حنك العبرية والدا * أحسن من الام الرؤف وأرجح
ولاسيما اخوان صدق يخلق * هم في سماء المجد والمجد أنجم
نشرت لواء العدل فوق رؤسهم * فما كان فيهم من يضام ونظم
لقيم من الرحمن غفوا ورحمة * كما كنت تحفو ما حيت وترحم

قال العاد وجلس ابن أخيه ضياء الدين مكانه وأحسن احسانه وابقى زواجره وأخذ احكامه بتأذنه وكان
الفقيه شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون قد هاجر من حلب الى السلطان وقد أنزله عنده بمشقه في نخل
الاحسان وهو شيخ مذهب الشافعي رضي الله عنه والاقوم الفتيا وأعرفهم بما تقتضيه التريفة من أمر الدين
والدنيا والسلطان يؤثران ففوض اليه منصب القضا ولا يرى عزل الضيا فافنتي بمر مراه الى الاجل الفاضل
وكان الفقيه ضياء الدين عيسى يتعصب لنفسه واستنصر الضياء من العزل وأشير عليه بالاستعفاء ففعل فاعفى
وبقيت عليه الوكالة الشرعية عنه في بيع الاملاك قال العاد وأول ما استربت منه بوكالة السلطان الارض التي
بيستان بقر الوحش التي بنيت فيها المواضع من الحمام والدور والاصطبل والخان وكنت قد احكمتها في الايام النورية
هلكتها في الايام الصلاحية تلت قد خربت هذه الاماكن في سنة ثلاث وأربعين وسفاهة قسب الحسرو واستمر
خرابها وغفت آثارها وصارت طريقا على حافير داؤت خارج من جسر الصفي خارج باب الفرج ما راي الى ناحية
الميدان هال فلما استعفى ضياء الدين ابن الشهر زوري من منصب القضا لم يبق في منصب القضا الا الفقيه يعرف بالاولاد
داود بن ابراهيم بن عمر بن بلال الشافعي وكان يتوب عن كمال الدين فأسره السلطان ان يجرى على رسمه ويتصرف
في حكمه وكان السلطان لاهية القضا في البيت الزكوي مؤثرا ولا كرمنا فيه مكثرا وقد سبق منه الوعد للشيخ
شرف الدين بن أبي عصرون وهو راجع وبطل بخازن عذته منح ففوض اليه القضا والحكم والانتفاذ الامضا على ان
يتولى محيي الدين أبو المعالي محمد بن زكي الدين والاولاد خاضعين في دمشق بمحكم وبها عن نيابته بوردان وبهدران
وتوليتم بتوقيع من السلطان ولم يزل الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون متوليا للقضا منفردا بالحكم والامضا سنة
اثنين وثلاثين وسبعين في ولاية أحي السلطان الملك المعظم غفر الله له فلما عد الى الشام تكلم الناس في ذهاب نور
بصره وأنه لا يقوم في القضا بعده وصدره ففوض للسلطان القضا بالاشارة الفاصلة الى ابنة محيي الدين أبي
حامد محمد كأنه نائب أبيه ولا يظهر الناس صرفه عما هو متولي واستمر للقضا له الى انقضاء أشهر من سنة سبع
وثمانين ثم صرف واستقل به ابن زكي الدين فأقام في مدة ولايته للشرع القواعد والقوانين وفوض ديوان الوقوف
بجامع دمشق وغيره من المساجد والمناشد الى أخيه مجد الدين ابن الزكي فتولا الى ان انتقل من أعمال الوقوف الى
موقف اعتبار الاعن وتولا بعده أخوه محيي الدين على الاستقلال الى آخر عهد السلطان بعده ظلت وفيها
في صفر وقت السلطان قرية خرمه بالري من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلوم الشريعة أو يعلم يحتاج اليه الفقيه
والخضر لسماع الدروس بالزواية القريفة من جامع دمشق المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المحدثي رحمه الله وعلى من هو
مدرسهم بهذا الموضع من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري رحمه الله
ورأيت كتاب الوقف بذلك على هذه الصورة وعليه علامة السلطان رحمه الله (الحديث به توفيق) قال العاد وفيها في
ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر وخمس في طريق الوصول الى دمشق توفي شخص الدين ابن الوزير أبي المصطفى دمشق وهو
أول خطيب بدار مصر له دولة العباسي وكان يتولى الرسالة الى الديوان العزيز ويقصده الشعراء ويحضره الكرماء
فيكثر خلعهم وجوارهم ويبحث على مدحه غرائهم فحمل السلطان همهم وقرب ولده وجوز بتريته ثم بعين ضياء
الدين ابن الشهر زوري بعد الرسالة الى الديوان وصارت منصبه لينا فاس عليه واستتب له هذه السفارة الى آخر
العهد السلطاني وذلك بعد المضي الى مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك ما طبع في هذا المرام فأما في هذه الستة فانه
كان في مسيرة الى مصر في الحصة وهو متوقد الى بصفا المحبة وفيها في آخر صفر تزوج السلطان بالخانوة المتعوية
عصمة الدين بنت الامير معين الدين انور وكانت في عصمة نور الدين رحمه الله فلما توفي اطمعت في منزله باخا مدمشق
رفيعة القدر مستقلة بامرها كنية الصدقات والاعمال الصالحات فأراد السلطان حفظ حرمها وصياتها

وحصتها فأحضر شرف الدين ابن أبي عمرو بن وعد وله وزيرها يهاجضهم ثم أوصاها الأمير سعد الدين
معهود بن ابنه يهاجضها وخرج بعد يومين إلى مصر وذكر التماسه بوفاء
ابن الصهرزوري وأبى المصطفى الأمير مؤيد الدولة بالدارن لاساقين من شدين منديد المالك أبي الحسن علي بن
منقذ وعوده إلى الشام عند علمه بوصول السلطان فقال هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء والكبراء
الكبراء والسادة القادة العظماء وقد تمته الله بالعمرو طول البقاء وهو من المعدودين من شخصان الشام
وفرسان الاسلام ولم تزل بنو متقدملا شيزرو وقد جعلوا السيادة والمخز ولما نزل بلعمل منهم من تولاه لم يرد
ان يكون معه فيه سواه فخرجوا منه في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسكنوا دمشق وغير هاهنا من البلاد وكلهم من
الاجواد الامجاد وما فهم الا ذو فضل وبذل واحسان وعدل وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مهضوع
ومن له قصيدة وله مقطوع وهذا مؤيد الدولة أعرفهم في الحسب وأعرفهم بالادب وكانت جرت له نبوة في أيام
الدمشقيين وسافر إلى مصر وأقام هناك سنتين في أيام المصريين فمحت فوه قتل المتعوت بالطافر وقتل عباس وزيره
اخوته وأقامه المتعوت بالفائز ومارد في بلادهم المزارع فقام مؤيد الدولة إلى الشام وسار إلى حصن كيفا وتولى بها
ولما سمع الملك الصالح جاء إلى دمشق وذلك في سنة سبعين وقال

جئت على طول عمر الدنيا * وان كنت أكثر فيه الدنيا

لاني حيث إلى ان لقيت * بعد العدو صدقا حبيبا

فأل وكنيت اسمع فضله وأما ما صبر في أيام النوبة وأنشدني له مجد العرب العامري بالصفهان في سنة خمس وأربعين
هذين البيتين وهما من بيتك ان معانيه في حسن ظلمها

وصاحب لأمل الدهر محبته * يسقى لنفسي ويسقى سقى محبته

لم ألقه منذ تصاحبنا حين بدا * لنا طرئ افتقرنا فرقة الابد

قال فثالثته بدمشق في سنة سبعين أنشدنيها ما تنفص مع كثير من شعره المبكر من جنسه قلت ومن عجب ما اتفق
إلى وجدت هذين البيتين مع بيتي آخرين المجموع أربعة أبيات في ديوان أبي الحسين أحمد بن منير الاطرابلسي ومات
ابن منير سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فقرأت في ديوانه وقال في الفرض

وصاحب لأمل الدهر محبته * يسقى لنفسي وأجنى ضره يدي

ألقى إلى القلب من سمعي ومن بصري * ومن تلادى جس مالي ومن ولدي

أخوليني من خال بوجنته * مداده زائد التقصير للبد

ثم قال (لم ألقه منذ تصاحبنا البيت) فالأشبهان ابن منير أخذهاوزاد عليهم ولما عرفت فيما كان وقد وجدت هذا
البيت الاول على صورة أخرى حسنة (وصاحب ناصح لي في معاملتي) ويجوز ان يكون أسامة أتشدتها منتملا
فتمسها لهما كان مقالة ذلك ويجوز ان يكون اتعاها والله اعلم قال العبد وسأحدث ولده عضد الدين أبا الفوارس
من ههنا وهو جالس صلاح الدين وأتبعه وقد كتب ديوان شعره لصلاح الدين وهو له خفي به فضله على جميع
الدواوين ولم يزل هذا الأمير لا يرضى من هف مصاحبه بجدد السام والى آخر عمره وتولى عمر فلما جاء مؤيد
الدولة أنزل له لرحب منزل وأورد ما أعذب منزل وملكه من أعمال المعرة فحينئذ عزمها كانت قديما تجري
في أملاكه وأعضاءه بدمشق دارا ودارا وإذا كان بدمشق جالسه وأتبعه ونا كرمي الادب ودارسه وكان ذارأى
وتجربه وحكمة مهنية فهو يستشير في نوابه ويستشير برأي في غياضه واذا غاب عنه في غزواته كان به واعظه
برأضائه ووقاته واستخرج برأي في كشف مهماته وحل مسكلاته وبلغ عمره ستا وتسعين سنة فان مولده سنة ثمان
وثمانين وأربع مائة وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة قلت وقد تقدم من أخباره في قتل الاسد في شبينته أيام كونه
بشيزر وكرت أيضا لترجمته في تاريخ دمشق

(فضل) فرجوع السلطان إلى مصر خرج من دمشق يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول قال العبد لما استمعت

في اختيار (٢٦٥) الدولتين

للسلطان بالشام أمور ممالكه وأمن على مناهج أمره وسألكه أزعج إلى مصر الإياب وقد أحملت من بعده من جود
جود السحاب وتقدمه الأمر والملك وخرج بكراً لجة وتزلج الصفر ثم رحل عنه قبل العصر إلى قريب الصغين
وتخرجت معه وقلبي مروع إلى أهلي فانتزعت منزلاً لا تنظمت أسياتنا فقلت يوم السير وقد هبت بالخياريه

أقول لك بالخياريه تزلج * أثيروا مالي في المقام تيار
هبر حلوا عنك العداة هادروا * بأنهم قد خلطوك وساروا
حليف اشتياق لا يرى من يحبه * وفي القلب من نار القرام أوار
أجبروا من الباي فؤادي فعندكم * تمام له يأسدي وجوار

وقلت وقد نزلنا بالقيع

رأيتني بالقيع منفرداً أصبح من قطع قاعها الضائع
بعت بمصر دمشق عن غرر * متى فياغبن صفقة البائع
صبري والقلب عاميان وما * غير هوى وأدمى طائي

وقلت بالفوار

تحت الفوار دمي على الفور * فقلت لجبري أجبروا من الجور
وأصب ما لاقيت أني قانع * من العيف مذنبتم يزور

وقلت بالزرقا

ولم انس بالزرقا يوم وداعنا * أما لندي حيرة لتندم
أعدتك يازرقاه جرائتي * بكينك حتى شيب ساؤك بالدم
تأخر قلبي عندهم مقفلاً * وغالتمهم في عزمتي والتقدم
فبالت شعري هل أعود إليهم * وهل ليت شعري نافع للتم
قال وقلت وقد عبرنا على مسالك قريبة من قلعة الشوبك وفيها تحتطف الأفرج القاصدين إلى مصر
طريق مصر شيق المسك * سالكة لاشك في مهلك
وجب مصر صارحياً لم * أوقعه في شبك الشوبك
لكنها من دونها كعبة * محجوة مبرورة للمسك
بها صلاح الدين يشك الذي * اليه من أيامه يشك

قال ونظمت في طريق مصر عيدة مشغلة على ذكر المنازل بالترتيب وأراد للبعد منها والقريب وانفق إن
السلطان سير إلى مصر الملك المظفر تقي الدين وكان لا يستدعي من شاذيه إلا شاذها في ناديه ويطرب لسماعها
ويجب بإبداعها وكان قد فارق أهلها بدمشق كما فارقتهما أهلي وجعل الله بهم بعد ذلك شمل وهي هذه

هيمرتكم لأعن ملال ولا غدر * ولكن لقدور أبيع من الأمر
واعلم أني محط في فراقكم * وعذري في ذنبي وذنب في عذري
أرى فوالله هرطصي ولا أرى * أشد من المجران في نوبانهر
يعني إلى قبايسواكم غشاة * ومعنى عن نحوي سوا كذووفر
وقلبي وصبري فارقاني بعدكم * فلا صبر في قلبي ولا قلب في صدري
وأنى على العهد الذي تعهدونه * وصري لكم صري وجهرى لكم جهرى
غيرت صرف المم من كاس شوقكم * وهاتاني صوي تريف من السكر
وان زما ليس يعمر موطنى * بسكاكم فيه ظف من العسر
واقسم لكم بيميننا * جوى المسمام ميت مقسم الفكر
أسير إلى مصر وقلبي أسيركم * ومن عجب أسرى وقلبي في أسر

اخلاى قدسنا الزار فارسلوا الى وزير والى الكرى ليرجعوا لى
 مذكرت احبابي بخلق بعدما * ترحلت والمشتاق بانس بالذكر
 وناديت صبرى مستغيثا فلهج * فامسبت دمعى البكاء على صبرى
 ولما قصدنا من دمشق غابغا * وبتنا من الشوق الميض على الجمر
 نزلنا برأس الماء عند سدنا * موارد من ماء الفموع التى تجبرى
 تركنا بصعراء الفقيع وغودرت * فراقع من قبض المدامع فى القدر
 ونهنت بالفلو لفيض مدامى * ففاضت وباحت بالدمع من مرى
 سرنا الى الزرقاع منها ومن سبب * او اما يسر حتى رى الورد اويسرى
 مذكرت حمام القصير وأهل * وقد جرت الحمام فى البلد القفر
 وبالقرنين القريتين وأين من * مغالى القنواى منزل الادم والعفر
 وردنا من الزتون حصى واية * ولم تسرح حتى صدنا الى صدر
 غشنا القنواى وهى يادة الترى * بعيدة عهد العطر بالهدو والعطر
 وضمن علينا بالندى غدا لحصى * ومسررتنى ربا من الحمد التز
 فقلت اشرى بانس صدر ام لى * بصدر والاجل الذليل العفر
 وأيتا بها عشرين الماساتنا * الى عين موسى نبذل الراد للسفر
 وما حشرت عيني على قبض هبة * اكفكفها حتى عيننا لى الجسر
 ولما الى أرض السدير وجنة * هالك من طلع تضيد ومن سدر
 وجبنا الصلاحتى أصنا مباركا * على بركة الحب البشر بالعصر
 ولما بدا القطا بمررتى * بمن يتلقى الوفد بالوفر والبشر
 بكت أم عروس وشيك ترحلى * فيا تخيلنى من أم عروس ومن عمرو
 تقول الى مصر تصير نعبا * وماذا الذى تسقى ومن لك فى مصر
 فقلت ملاذى الناصر الملك الذى * حصلت بعددواء على الملك والنصر
 فقال اقم لاتعمد الخير عندنا * فقلت وهل تضى السواقى عن البحر
 نقر رجوع يضمن الله فجهه * ولا يقضى ان تبدل العمر باليمر
 عليه قد ضاعفت منه الربا * ونعمته قد أضعفت منه الشكر

قال وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت مادمس عشر ربيع الاول بالزى الاجل والعز الاكل وتلقى السلطان
 أخوه ونائبه الملك العادل سيف الدس الى صدر وغير الباعند بجر العزم الجمر وثلة ناجر مصر ووصلت السناغراتها
 وحبلى علينا زهرانها فظهر بنا نشاطها وزاد غلباطها ودخل السلطان داره ووقف الله فى جميع الامور ابراده
 واصداره وكانت قد صعبت على حفرقة دمشق وأهلها قلعة لوتوق باى احصل بنهلها فنظمت يوم خرج منها
 أبا تالى ناصر الدين محمد بن شير كوسنها

بجنى خنث العطف مستذللال * يقول لى بانكسار * ورنة واعتلال
 معاتب بحديث * اصفى من السلال * مامصر مثل دمشق بعت الهدى بالفضل
 فقلت عنت أمور * عجيبة الاشكال * أسير فى طلب السحر مثل سحر الحلال
 لم يبلغ البدولوا السحر أوج الكمال * وكيف أترك شغل * وانه رأس مالى
 صلاح حالى صلاح السدين للترز النوال * مالى أفارق ملكا * ملحقته أمالى
 باناصر الدين قلى * عليه فى ببال

في أخبار (٢٦٧) الدولتين

ثم ذكر العباد المحبين اليه بالقاهرة وتوسيدهم المولى الاجل الفاضل وقد مدحه بقصيدة منها

كيف لا يشتد لي الدهر عيدا • وأنا عبد عبد عبد الرحيم
بدوام الاجل سيدنا القا • ضل يادولة الافاضل دوى
اذأراه ينوب عني في المسالك مناب الارواح عند الجود
ملاها لحيل في المسالك والعقد وحسن التحليل والتدريج
معمل للتغاذ في كل قطر • قلما كما على اقليم
يتلقى الملوك في كل أرض • كتبه القاد مات بالتعظيم
ناحل الجسم ذو خطاب يد به • فخر الدهر كل خطب جسيم

ثم ذكر الاخوين قتي الدين عمر وعز الدين فرخ شاه وهما ابنا أخى السلطان وهو شاهنشاه بن أيوب وهما الذين
برغش السبائي والى القاهرة وتودع فرخ شاه بقصيدة حسنة منها

شادن كالنصيب بدن المهره • سلبت مقلته قلبي بنمزه
كلما رمت وصله رام هجرى • واذا زدت دله زاد عزه
للصام عناره نسج حسن • ورقم المسك في الشقائق طرزه
وعز رهلى ان اصطبلى • فيه قد عسره القرام وزه
لمأى مارأيت مجنون ليلي • في هواه ولا كنه عزه
ما ذكرنا الفسطاط الانسنا • مارأى بالتيارين والارره
فها الجيزنا لحوارى الهاليد • رت حسننا على ظباء المزه
ونصبرى عليه مائل عز الدين • ذى الفضل خلدا لله عزه
فرغ الكثر من ذخائر مال • ما تلمس نائل المجد كثره
هبة مستهامة بالمالى • لادنا يا أيسه منمزه

فالعباد وتوفرا على الاجماع في المغاني لاسماع الاغانى والتترو في الجزيرة والجزيرة والاماكن العزيزة
ومنازل العز والروضة ودول الملك والنيل والمعياص ومراى السفن وبحارى الفلك والتصوير والغرافه وروبع
الضيافه ورواية الاحاديث النبويه والمباحثة في المسائل العقبيه والمعاني الابيه قال واقترحنا على القامى
صياها الذين ابن الشهر زورى أن يفرضنا في الاهرم قد شغف بأخبارها في الشام فخرج بنا اليها ودلنا حوالها وادونا
تلك البرارى والبرارى والرمال والصحارى وأجدنا القلار والقارى وهما التنا أبو الهول وشاق في وصفه بحمال القول
ورأينا الجنائب وروينا القرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعجناهم وشادونا الحديث في الحرم
ومن شاء فكل يأتى في وصفه بما يثقه لا بما عقه واجتهدوا في الصعود اليه فلم يوجس توفه وطربت العقول
في عقوده وطارت الافكار عن توهم حدوده فياله من موفود لادهر قبل الضرافان اقرضت القرون الحسالة على
آثامه وجوده وسماز الاخبار بذكر حديث اجدان زاده وتودع وبدل - كامه وعلومه على هبة يابيه في بامه
وجوده وان في الارض الهرمين سكان في السماء الفرقدين وهما كطوبى من الارضين وكالجليلين السمايين
قد فئت الدهور وهما باقيان وتقاصرت القصور وهما راقيان وكأنهما الام الارض ثديان وعلى ترائب التراب
نهدان ولسطان العالم علان والى مرأى الاملاك سلان وهما ليل ولا نهار رقيبان ولرضوى ولشمام نسيان
ومن زحل والمرج قربان ولعوادى المحطوب خطيبان ولشور العترو فان ولشخص الكزة الترابية سافان
فلت ثم ذكر العباد جماعة ممن كان يقيم الضيافة له ولتلقاهم القضاة والاعيان فذكر منهم الناصح مؤيد اولاد
السلطان وله دار مشرفة على النيل وذكر منهم اللسان الصوفى البلخى وكان له حجة قديمة بنجم الدين أيوب والد
السلطان وله دار أيضا على شاطئ النيل يرسم ضيافة من نزل به قال ثم وقف السلطان داره على الصوفية من بعده
واتنقل به دسيتين الى التعم وتلده

(فصل ١٠) في بيع الكتب وعمار القلعة والمدسة والجمارستان قال العباد وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بأرخص الأثمان ونزاتها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الأرفوف مفرسة بالمعروف قليل الأمد بها الذين يقرأون في القصر والرجال والماء المظلم هذه الكتب عندنا فيها العث ونساوي عبيدنا والوث لا غنى عن ثوبها ونقصها وانزعاجها من بيوت الخزانة إلى أرضها وهو ترك لا عبرة له بالكتب ولا ديرة له بأسفار الأدب وكان مقصود دلالى الكتب أن يوكسوها ويغرموها ويكسوها فأخرجت وهي أكثر من مائة ألف من أمانتها وغربت أوكارها وزهبت أنوارها وشتت أهلها وشت أهلها واختلط أديها بنوعها وترعى ما ينقطعها وطبها بغير دسها وقواريتها بتفسيرها وبجاءيلها بجاءيلها وكان فيها من الكتب الصكبار وتوارى في الأمصار وحسفات الأخيل ما يشتمل كل كتاب على تحمين أو ستين جزأ مجلدا إذا تقدمت بها جزأ لا يختلف أبدا فأخذت واختبئت فكان الدلال يخرج عشرة عشره من كل فن كتبنا مبعثه قسام الدين وتباعها لموت والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عده ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها وقد شارك غيره في بائنها حتى إذا تلقى كتابا تقدم عليه بشرة بأعبه وذلك لنفسه بما قال قال المراتب الأمر حصرت القصر واشترت كالماتروا ومرت الأطباء كالمروا واستكثرت من المتاع للبتاع وحويت غنائس الأنواع والمعارف السلطان ما يتمتع وكان بجين أقم على بها وأبرأ من ذهبها ثم ذهب إلى أياض من خزائن القصر ما عبت عنه من كتبها ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر وهو يتقار في بعضها ويسطد في بعضها فقال وكنت طليت كتبها عتقا فقال وهل في هذه مني منها فقلت كلها وما استغنى عنها فأخرجتها من عنده بمحمل وكان هذا منه بالإضافة إلى سماحه أقل نوال

قال وكان السلطان لما تملك مصر رأى أن مصر والقاهرة تملك واحدة منهما مورا لا ينفعها فقال إن أفردت كل واحدة يسور احتاجت إلى جنود مفرد يصعبها وإنى أرى أن أدبر عليها سور واحد من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدلة على جبل المقطم فابتنوا من ناهر القاهرة فيخرج في القسم واتى به إلى أعلى مصر يروج وصلها بالبرج الأعظم ووجدت في عهد السلطان يتنارقه الكواب وتكمل فيها الحساب ويبلغه وهو دائر البلديس مصر والقاهرة عما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وذراعان من ذلك ما بين قلعة القسم على شاطئ النيل والبرج بالكركم الأجر ساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع ومن القلعة بقسم الحائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكركم الأجر سبعة آلاف ومائتا ذراع ودائر القلعة بجبل مسجد سعد الدولة ثلاث آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قوسى في أبدانه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق ولتعديل ذلك ما ذراع القاسم يتولى الأمير شهزاد بلبان قراقرش الأسدى وبني القلعة على الجبل وأعطاهما حقهما من أحكام العمل وقصع المهندق وتعيقه وحفر واديه وتضييق طرية وهنالك مساجد يعرف أحداهما بمسجد سعد الدولة فاشغلت القلعة عليها ودخلت في الجبل وحفر في رأس الجبل ثمانية ل فيها البرج المنحرفة من الجبل إلى المالمعين ولزينا به هذا كله في سنين متقاربة ولولا أن عمر به المعين وقوى السلطان وقدرنى من السور مواضع الصارفة مقتره وظلما تفقاتها مستوره قال وأمر ببناء المدسة بالترية المقدسة الشافعية وربت خواصها بفرط الإحسية وقولها لافقيه الزاهد نجم الدين الحوشانى وهو الشيخ الصالح الفقيه الورع الذى التقي قال وأمر بإقتاد دارق القصر بمارستان المرضى وأستغفر الله بذك واسترضى ووقف على الجمارستان والمدسة وقوفها وقد أبطل متكررا أشاع معروفها وأضرع عن ضرابها فحاشا وهب إلى مواهب فأسداها وأهتر بفرانض ونوافل فأذاها

(فصل ١١) في خروج السلطان إلى الاسكندرية وغير ذلك من وافي حوادث هذه السنة قال العباد ثم خرج من القاهرة يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان واستعجب ولديه الافضل علا العز بن عثمان وجعل طريقه على دمياط ورأى في الحضور بالتر المذكور ومشاهدة الاحتياط وكان له بهلى سى كثير جليلة الام طول فامشد بظاهر البلد يومين وهب إلى منه بارية ثم وصلنا إلى نهر الاسكندرية وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبى طاهر

أحد بن محمد السلفي ودأبنا الحضور عنده واجتلبنا من وجهه نور الإيمان وسعده وسعنا عليه ثلاثة أيام
الخمس والجمعة واليعة رابع شهر رمضان واختفنا فرقة الزمان فقلنا لا يلزمنا التلاقي التي حينها من العصر
فهي آخر ما اجتماعه في ذلك الشهر وشاهدناها مستحجة السلطان من السور القاتر وبأجها من حصص
الآثار والمآثر وما تصرف حتى أمر بإتمام التفتور وتعمير الأسطول قال ابن أبي طي "ولما نرى السلطان
القيام بالأسكندرية ليصوم فيها رأى أنه لا ينبغي نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد إلى بلاد الكفار والجهاذي
الفرس فكبر فرأى الأسطول وقد أخذت صفته وتغيرت آله فأمر بتعمير الأسطول وجمع له من الأخشاب
والصناعات أشياء كثيرة ولما تم عمل المراكب أمر بحمل الآلات فتقل من السلاح والمعدات يحتاج الأسطول
إليه وشحنه بالرجال وولى فيه أحداً عليه وأقره إقطاعاً مخصوصاً ودأبنا فرأى أن يكتب إلى حاكم البلاد يقول
القول قبل ما أحبال الأسطول وإن لا يمنع من أخذ الرجال وما يحتاج إليه وأمر صاحب الأسطول أن لا يخرج البحر
ويضري إلى جزائر البحر قال الجهاد وقت في معنى تنقل في البلاد

يوما يجمي ويوما في دمشق وبالسفط طعوا يوما بالفرافين
كان يجمي وتلي الصبح ما نطقا • الأليق طعوا بالشرق والين

وقت يوم الخروج من القاهرة

يا باخلا عند الوداع وقفة • لوسامني رويها به المأجل
ما كان ضرك لو وقت لسائل • ترك الفتاد بقاء في قتل
هلا وقت قلب من أحرقة • مقدار أطفاء الحريق المثل
إن أسرمه تلاقى أسرمي • قلبي لم يطع عقيد الرحل
عذب العذاب لذي فزادي المبتلى • أذكنت أنت سعدي والمبتلى

وقت وقد نزلنا بين منية غر ومنية حنود

زنت يا روض المتيسين ومنيني • لقاءكم الشاق ووصلكم المجدى
سالمى ولا تبلى سريرة وذك • وتؤمنى بانمت في حوشة العدى

قال وعدنا من الأسكندرية في شهر رمضان فمناجاة الشمر بالقاهرة والامطان متوفر في له ونهاره على نشر العدل
وانشاره واجامعة الجود والفرار وجماع أحداث الرسول على القهطيه وسلم وأخباره وأشاعه العلم والأعلان بأمره
وأبدا شعار الشرع وانفاهره وإقامة المعروف على قراره وانما اعلام الباطل وانكاره وقال ومن مدافعي في السلطان
ما أشدته إياه سادس شوال

فديتك من ظالم نصف • ونأهيك من يخلل مسرف
أبلغ دهرى قصدى وقد • قصدت بصر فز يوسف
ويوسف مصر بنسب التقي • وبذل الصنائع لم يوسف
فصر وافتح للقدس واسفك به • دما سقى بصرها ينطق
واهد إلى الاستبارة لها • روهة السقوف على الاسقف
ونخلص من الكفر تلك البلاد • دخلصك القه في الموقف

وفيها وصل رسل المواصله وصاحب الحصن وما ردى إلى دمشق فاستمروا بتخليف أي السلطان خمس النوبة
تورا شاه من أيوب ثم قصدوا مصر وقهر رسول صاحب حصن كيفا إلى امرأ قال ابن أبي طي وصل رسول الموصل
القاضي عماد الدين بن كمال الدين بن كنهز زوى بهدية وقد خرج الموكب إلى لقاءه وأكرمه السلطان وأحضره
وقدم به رسول نور الدين فقرأ أرسلان ورسول صاحب مارد بن هذا الجواججوا في دمشق ونحووا إلى السلطان بمصر
فاهتر منهم الفرقي فامر رسول صاحب الحصن ولم ير في الأسرى فتح السلطان من الأجران فأطلقه وأحسن إليه
قال وفيها رجع فرأوا شوال أوجه ذلك البلاد لجمع أموالا ورجع إلى مصر ثم أراد الرجوع فغضه العادل ثم خلصه

کتاب (۲۷۰) الرضتين .

فرخشاہ فرجع وفتح بلاد قران بلہر ہا قال العادثم خرج السلطان الى مصر فاقوس من اعمال مصر الشريعة لارهاب العدو وهورر كالمصيد والقنص والطالع الى اخبار القرية لئلا يتهاون القرى واقترح علي ان امدح عز الدين فرخشاہ بقصيدة موسومة ازم فيها الشنن قبل الهاء ففعلت ذلك في اواخر ذي الحجة فقلت

مولای عزالدین فرخشہ • الدھر من برجل لا یحشہ

تلقا، معہ الکف دفاویا • طلق الحیا کے مابذہ

ان شئت فربا بالردی واللقه • اوستت فوزا بالعلی فاغہ

بديع بالايدي وبالايد في • حزي لها والعدي بطمه

کم مک عاداتکم لم یبت * الاجلتم عرسه نعه

يَخُوفُكُمْ الْمُرُكُ فَلَا قِصَّةَ • أَمْنِي يَوْمًا وَلَا قِصَّةَ ٤

أورثك السودد يا ابا العلي * ولذك السيد شاهنشه

وإلا في الحريدة كما تخمين من جافاقوس معهم عن على الغزاة إلى غزو وقد وصلت أساطيل نفري دسباطو الاسكندرية
بسي الكفول وقد أوقف على الرأس عذقس وصل في قيدا الاسرار فخر ابن راحة مشاء هت ابعيد العرسنة
اثنين وسبعين ومعر ضاميا وهم المالك الناصر من الاماء والعبد قصصتها

لقد خيرا القهارب منه خرم * وقلب دهره فلما را بص

فاساقالى المرنج الحبل برا • وأدركم على بحر بسفن

۱۰۲۔ رتہ جلیب الجوارى بالجوارى • یمندن پیکل قدمز چش

بريد دم اجتماع الشعل يثسا • فريان: و ح علي مرن

رهت اسے کنڈریذیوم سیکوا • ودمیاط الی المینا بغین

بروز-یہاں کالطیف یسری • فلاں جعوا ماہم بعد وہیں

بادھم بخوفہ وادی • مناہم لوتیتہم یا من

وَلَهُمْ مَرْغَاوُ غَرَامًا • فَصَارَ الْاِقْتِنَاصُ قَهْرًا

فادبالأيد—وبدالها راتمنه الفرحة صيق سجن

ربا أنفسى الملوك السلم منهم * ولم ير جهده فى الباس يغنى

وفيهما أبطل السلطان المنكس الذي كان يملك على الحاج وسيأتي ذكره في آخره أربعة وسبعين مال بالابر وفي سنة اثنتين وسبعين شرع بمجاهدة الذين يعني فاء اردردا قلعة الموصل في عام ثمانية مائة وثمانين مائة بال الجسر وهو من أحسن الجوامع ثم بنى بعد ذلك الرامطة والمدرة والبيمارستان وكلاهما مقصوران حال توفي في شهر ربيع الأول من سنة خمس وتسعين قلعة الموصل وهو متوليها والحاكم في ذلك الزمان أبا بكسة التتوي وكان ابتداء ولايته القلعة في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين ثم قبض عليه سنة تسع مائتين وأعيد إلى ولايته بعد الأفرع عنه وتوفي في الآت وكان أصله من أعمال شرجان وأخذ منهم وهو طفل وكان متعلقا بآدابها فالتحق بالثقافة على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وكان يحقق من الاشعار والحكايات والتراجم والتواريخ شيئا كثيرا إلى غير ذلك من المعارف الحسنة وكان يكثر الصوم وله ورر يصلي كل ليلة وكثير الصدقة وبنى عدة جوامع منها الذي يظاهر الموصل وبنى عدة خانات منها التي بالموصل ومدارس وتناظر على الانتباه إلى غير ذلك من المصالح ومثاقبه كعبرة حال العباد في آخر دهره ثم أيرك للجبيل قصد فرض الجهاد وعرض الاجناد فكذب الاسعد بن عمالي إلى القصيدة في ذلك المانصر ويعرض بالشر ثم فانه كان يشتغل في ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين

يا كريم الحبيب في الحبيب * أضيف كل يوم ذوقهم * عجيبي للشمس اذا طلعت * في داج من الفانم
كيف لا تضفي لواقعته * ورواها الطرف في الحبيب * ان تصد قلب المحب لكم * لا يجل الصيد في الحرم
بصلاح الدين بالمركا * مذهبس لاهله قلام * انضعت الركفاري قمم * وغدا الاسلام في قمم

انك الشطر فمخشفة لعلى القدر والمحم * فهي في تاديل تذكرة * لامر الحرب والكرم
فذكرم ضاغت عذتها * بالاعطاء الجسم لالاقلم * ونصبت الحرب نصبتها * فانتفت كفاك بالغم
فايق للاقدر ترفعها * وأمر الاقدار كلتدم
وقبها توفي بالاسكندرية الفاضى الشريف أبو محمد عبد الله العثماني الذي من ولد الديرياج محمد بن عبد الله بن
٤٠٠ روين عثمان بن عفان رضي الله عنهم ويعرف بان آي الياس من مت القضاء والعلم وكان واسع الباع في علم
الاحاديث كثير الرواية قبالا لديب متصرفا في النظم والنثر لانه مقل من النظم وأحدهم دفعي علم الشرط وقوله
القبول على كل العدل ذكرك الله ادر جملة في المجرده
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة * والسلطان نجم عمر خاقوس فظلم العباد في الاجل الفاضل
قصيدة ميمية في منتصف المحرم وخدمه بها هناك في المحرم أولها

رحم خصم بروم خصمي * من سقم عيني به عين سقمي
ان رمت باعادي صلاحي * تخلفني والحوى وزعي
لومك يدك الغرام قل لي * أنت نصيبي أم أنت خصمي
ايازماني العشموم اصبر * انك لا تستطيع غشمي
عبد الرحيم الرحم أنضي * عوفي على خطبك للم
الفاضل الافضل الاجل للفضل الاسرف الاتم
غيث غيبان وجود جود * ويحرم علم وطود حلم
براعه في التبيين منه * تسخرج النور من خضم

قال وكان عندما بالمحرم بالعاصمة في المحرم علم الدين الساتى وهو من ادباء الموصل وشعرائها ونصبتها ما وطر فاتها
وقد سدت اثنتين وسبعين الى مصر وأهدى النظم والنثر واصطنعه عز الدين فرخشا وأزله في جواربه وجمع له من رفته
ومن الامراء القديس ارفع السلطان بالمحرم كلمة مظهرها

غدا النصر مقود بانك الصبرا * فسر واقع الدنيا فانت بها أخرى

فلتم يذكر العباد من هذه القصيدة خبر هذا البيت وان لقائه فقام قصائد كثيرة لاساتى هو ابو علي الحسن بن
سعيد بن جعفر بن ابراهيم قسوق وذكره العباد في المجرده وذكر فيها من هذه القصيدة

يمكن فيها الدين والسر في اليسرى * فبشرى لمن يرجو الندي منها بشرى

قال العباد وكان الامام السلطانة محمدا لا تخارقه نذر هاترا قلت وفيها يقول بعض الفضلاء

واسودت حجب دونه الموت أحمر * أنت بالأيدي البيض أعلامه الصفر

وقد ظهرت منصوبت من بينها * ظهور العدى من رفته الخنض والجبر

واضحت تجوز الزمر سرود مغربا * ولله في أهله رقبته سر

وقال العباد عاد السلطان الى القاهرة وأقام بها ثم اهتمت بالقراءة الى غرة وعسقلان فخرج يوم الجمعة ثالث جمادى
الاولى بعد الصلاة وشتم زناهر بليسر في خامسة بجنه ثم تقدمنا مناه الى السدم وختمنا بالبرز ثم فدى خندوا زاد
عشرنا أيام أخرى ما دقلا استطهار ولا عوارثك عند نوسط ديار الكادار والامداد فركبت الى سوق العسكر للاستباع
وقد أخذ الصبر في الارتفاع قلت لقلاي قد بدالى وقد خطر الرجوع من الخطر الى فاعرض البيع الى وأتاني
واتهنر فرصة هذا السعر العالي وأصاحب فلم لأصاحب علم وقد امتنعتت تقبى في هذه الغزوة من عاقبة ندم
والمدى بعيد والخطب شديد وهذه قوة السيوف لاثوبة الأعلام وفي سلامتنا سلامة الاسلام والواجب على كل
من ان يلزم شغله ولا يتعدى حده ولا يتجاوز محله لاسما ونواب الديوان قد استأذنا في العود وأظهر وأغله العدة
وأظهرت سرى اللوى الاجل للفاضل فسرده ذلك اسفل على واحسانا الى وكان السلطان أيضا بؤثرنا بئارى ويحتار
اختيارى فقال لي أنت معنا أرعزمت ان تدعنا ولا تبتعنا قلت الامر للوى وليختار لي فهو أولى فقال تسود

ویدعو لنا وسأل الله ان يخلصنا من النصر موتنا وكنتم قد كتبت يا بني اني قد دعوت الفاضل ونحن يا بني في العشرين من الشهر

فيسل في مصر نائل عبدالرسل ووفر كنيله الموقور
فاغترنا بها وسرنا اليها * ووقعنا كما تزي في القصور
وخلينا بالرسل والسيريه * ومنعنا من نيلها المصور
ورزنا الي السبى ونشكو * صدوا من نزولنا بالسدير
قيسل لي سراي الجهاد واذنا * بالغ في الجهاد جهدي
ليس بقوى في الجيش باشي ولا هو * متى يرى سوتورا الي موته
لا المكتب لا الكاتب اتعدا * عيلا مصفلا المصالح حضوري
كاد فضلي يضيع ولا اعلم * الفاضل الفاضل اندي بأمره
فاما منه في ملايس جاه * رافلا منه في حيدر جوري
فهو رقي من المضيض حظولي * وسماي الي سر الروره

وقال وما اتعلمت عن السلطان في غزواته الا في هذه الغزوه وقد علمنا الله فيمن التيهو وكانت غزوات السلطان
بمدها مؤيده والسعادات فيها مجده * وسكنت المارقون القاهر تاستجحت وتوقفت الي اسدقائي وتوقفت
وكتبت من الخيم بليس الي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بدين القراش وقد أقام بالقاهرة
وكان صاحبها من الايام النورية وتولست منه في التأخر عن السلطان فكتبني الجواب رافعه ولا تفرقه فذكرت
رايه فكتبني عليه

اذا رضيت بحكمي فذلك رضا * لا ابني غير ما بعوني لي غرضا
وان رأيت نفاه القلب في مرضي * فاني مستطاب ذلك للرضا
أنتم أشرتم بتعذبي فصرته * مستعذبا استلذا لهم والمضنا
أصبحت متعلبا في محبتكم * فاش لله ان ابني بكم هونا
فه عيش تعني عندكم وضي * وكان مثل محليبر صومنا
العش دان جنا ما القس عندكم * والقلب محترق مني بحرقنا
ما كنت أعهد منكم ذا الجفا ولا * حيث ان وداني عندكم كرفنا
قد أعلم الاق في عيني قبيحتكم * فان ألفت المضيض في المظهورنا
ولست أبل صب من أجبته * لما حفرنا ما قلني أو طاروقني
عروا بما شتم من حننه ولذي * فقد رأيت لمثال الامر مقدرنا
طوي لكم ممر وادار التي قضيت * فيها المآرب والعيش الذي خشنا
ببشكم ان خلوتكم بأبسا طمكم * تذكر واجبر بالعيش منقبضا
رضيت سفرى عنكم وأعهدكم * بغيرق عنكم لا تظهرون رونا
هلا تكلفتم قولا أمر به * هيأت جوهر كقد عاد لي مرنا
تفضلوا واتر حوامدري بقر بكم * أو فطر حواي ذا الغني الذي غمنا
فكتب الي في جوابي يا ناسنا

لا تسبون الي ابشر بصدكم * فلت مرضي اذا فارقتكم هونا
ولي ودان قولي المصدق عقده * فآراء على الايام منتقضا
يقلا قلني على سبل الضايه * بمعتقيس يفتي بعد علمنا
وصرت كاهن عني أهلا سفا * يوياتي من عتاب المنيب المضا

قال ثم ودعت وحلت ونهضوا وقعدت

(فصل ١٠) في خيبة كسر تارمله وكانت على المسلمين بالجله وذلك يوم الجمعة فمرة جادى الاخره اوثابه ورحل
السلطان بعاكره قتل على عسقلان يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى فمضى وسلب وغنم وغلب
وأسر وصر وكسب وكسر وجمع هناك من كان معه من الاسارى فغضب أعناهم وفترق عسكره في الاعمال
مغيرين ومبشرين فلما راوا ان الفرع خادون استرسلوا وأتسبوا وتوسط السلطان البلاوا واستقبل يوم الجمعة مستبلا
بجهدى الاخره بالرملة زاحلا قصد بعض المعامل فاعتزضته عليه من الصافيه فازدجت على البصير افعال
العساكر وانتوا فيه فهاشعروا بالا لفرع طالبة باطلها حازبة باخرها ذابته بذاتها عاوية بطلها وقد غفر
نغيرهم وزفر فغيرهم وصرايا المسلمين في الضاع مغيره وزحاح الحرب عليهم في دورهم مبدرة فوق الملك المنظر
تقى الدين وتلقاهم وباشرهم بيضه وسعر فاستشهد من أصحابه عدته من الكرام انتقلوا إلى نعم دار المقام وهلك من
الفرع اضعافها وكان لقي الدين ولديقال له أحد أول ما طر شاربه فاستشهد به ما ارى فارسانا قال وكان لقي الدين
أيضا ولد آخر اسمه شاهنشاه وقع في أسر الفرع وذلك ان بعض مستأني الفرع بدمشق خدعه وقال تعجب الى
الملك وهو بطيخ الملك وزوره تابا سكن الى صدقه وخرج معه لما تقرب به سذوقا فغله وقيدوه وحمله الى العاوية
وأخذ به مالا وجذد عندهم الاوجالا وتبقى في الاسرا أكثر من سبع سنين حتى فككه السلطان بال كثير وأطلق
للدأوية كل من كان لهم عنده من أسير فظف التلب القوي على ذلك الولد جره لاله أخيه ولما عاد من القزوة زرياه
للتعزية فيه قال ولوان لقي الدين رداء لاردي الفوم لكن الناس تفرقوا وروا أفعالهم ثم نجوا راحلهم وصوب العدو
بجلبهم جلبهم على السلطان فثبت ووقف على تقدمه من تخلف وصحبه يوما بصف تلك الذنوب ويشكر من جماعته
الصحية ويقول رأيت فارسا سمعت غوى حصانه وقد دوت الى غري سنانة فكاد يلقى طعنه ومعه آخران قد
جعلنا نمنها مشاه فرائت ثلاثة من أصحابي خرج كل واحد الى واحد منهم فبادروا وطعنوه وقد تمكن من قرى بها
مكروه وهم إبراهيم بن قنار وفصل الدين وسويد بن غنم المدري وكانوا فرسان العسكر وشجعان المعشر واتفق
السعادة للسلطان ان هؤلاء الملا تراقوه ومارقوه وطاعوا العدو ونهضوا بقوه فمارال السلطان يسير
ويقف حتى لم يبق من غل انه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماله ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف والاقليل
وتعسفوا السلوك في تلك الرمال والاعاث والاعار وبقوا أياما وليالى بغير ماء ولا زاد حتى وصلوا الى الديار وأذن
ذلك بثلث الدواب وترجل الركاب ولغوب الاحباب وقد كثير من يعرف له خبر ولم يظهر له أثر وقد التقية
ضياء الدين عيسى وأخوه الظاهر ومن كان في صحبتهم فضل الطريق عنهم وكانوا سائرين الى وراء فأصعبوا بقرب
الاعداء فكنوا في مغارة وانتظروا من يدهم من يلد الاسلام على عماره فدل عليهم الفرع من زعم انه يدهم وسقى
في أسيرهم وعطيمهم فاسروا واصل الصقيه عيسى وأخوه الا بعد سنين بسنين اوسيعين ألف دينار وفكاه جماعة
من الكفار قال وما شئت هذه الذنوب بكسره ولا عذر نصره فان النكاية في العدو ولاد ملقت منهاها وانكرت
كل نفس مؤمنة عشتها لكن الحزرج من تلك البلاد شئت السبل وأوعر السبل وسلك مع عدم الماء والدليل
الرمل ومقادير الله تعالى من أسباب السلامة والهداية الى الاستقامة ان الاجل العاضل استظهر في دخول بلاد
الاعداء يستعصب الكنية والادلا وانهم كانوا يراقونه في القدامو العسا فلما وقعت الواقعة خرج دوابه وغلته
وأصحابه وأدلائه وأعماله وبش أصحابه في تلك الرمال والوهادوا تسلل حتى أخذ خبر السلطان وقصدوا وضع
بأدلائه جده وفتروا ما كان معه من الاز وادعلى المنقطعين وجمعهم في خدمة السلطان أجعين قسيل ذلك الوعر
وأنس بعد الوحشة القفر وجبر الكسر وكان الناس في مبدأ توجه السلطان الى الجهاد ودخول الاجل الفاضل
معه الى البلاد رماحتة ذوا فالوحد وتختلف كان أولى به فان الحرب ليست من دأبه ثم عرف ان السلامة والبركة
وانتجاة كانت في استعصائه وجاء الخبر الى القاهرة مع تجلين فخلع عليهم وأركبوا واشيع بأن السلطان نصر ماله
وان الفرع كسروا وغلبوا فركبت لا سمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين وأذا هم يقولون ابشر وا فان
السلطان وأهله سالمون وانهم واصلون غانمين قفلت رفقي مباشر بسلامة السلطان الا وقد عنت كسره وما ثم

سوى سلامته نصره ولما قرب رجلا ثاقبه وشكر الله على ما برز من رتبته وتوفيه ودخل القاهرة يوم الخميس
منتصف الشهر وناب سلامته مناب الله وسير نابه البشائر وأتمضت طاعاته الصائرا لآخر السنة الأراجيف
وإبدال التأمين من القوف فقد كانت توثقها الله ووقتها غاثه قال القاضي ابن شد الخرج السلطان يطلب
الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جادى الأولى وكان مقدم الفرنج البارس ازنات وكان قد يسع
بجلب فانه كان أسيرا بهام من زمن نور الدين رحمه الله وجرى خل في ذلك اليوم على المدلين ولقد حكى السلطان
قدس الله روحه صورة الكسرة في ذلك اليوم وذلك ان المسلمين كانوا قد فتحوا وتبعية الحرب فلما حارب العدو رأى
بعض الجماعة تغيير المجتبه الى جهة الميسرة والميسرة الى جهة القلب لانه كان حال اللقاء وراءه وظهرهم بل معروف
بأرض الرملة فبعضوا استغلوا بهذه النعيبه هجم الفرنج وقد رآه كسرهم فان كسروا كسرة عظيمة ولم يكن لهم حص
قريب يأوون اليه فطلبوا جهة الدار المصرية فوضوا في الطريق وتبدوا وأسرهم جماعة منهم الفقيه عيسى
وكان وهما عظيمي جبر الله تعالى بوقته حطين المشهور وله الحمد قلت وذلك بعد عشرين سنين فكسرة الرملة
هذه كانت في سنة ثلاث وسبعين وكسرة حطين كانت في سنة ثلاث وعشرين قال العماد الكاتب وحيث كانت
لكل المظفر في الدين في هذا القزوة البياضاء أنشدته تصيد منها

سقى الله العراق وساكنيه * وحياه حيا الفيت الحنون
وجبرانا امننا الجور منهم * وما فهم سوى وافي أمين
صفوا والدهر ذو كدر قدما * وفوا بالعهد في الزمان الخؤون
بنو أرب زافوا للكم منهم * بخلية مودد وتقي وزين
ملوك أصبحوا خير الرايا * لخير رعية في خير دين
أسانيد السيادة عن علام * منعتة مصحة للفتون
بنو أرب مثل قريش مجددا * وأنت لها كازعها البطين
أخفت الشرك حتى للدر منهم * يرى قبل الولادة في الجنين
ويوم الرملة المدهوب بأسا * تركت الشرك مزعج القطين
وكت لعسكر الاسلام كفا * أوى منه الى حص حصين
وقد عرف الفرنج صفائنا * رأوا آثارها عين اليقين
وأنت ثبت دون الدين تحمي * حماه أوان ولي كل دين

قالوا هم السلطان بعد ذلك بلا فاضة الجود وتفرق الموجود واقتاد الناس بالقرى ولا سنا بالصادقة الوهيد
وجبر الكسبر وقت الأسير وتوفر العدد وكسبر اللدد وتوفى ما تفرق من الدواب فسلوا ما بهم ولم بأسوا
على ما أسابهم قال ابن أبي طي وقال ابن سعد ان الخلق عرج السلطان ويد كرافقه على عقلاق ويهون عليه
أمره هذه الكسرة من هبة

قربت من عقلاق كل نائية * بانت تحمل بوكاف من الأصل
فاض الجميع عليها وهي جملة * فأصحت من قبل التليل والأبل
قل الفرغية الخذل رويدكم * بالثار وأخرج الدهر من الحبل
ترقبوها من الفوارط العلة * شوارق الأرض تصور وثق الأصل
كأنني بنوا صيرين يقدمها * كاس من الجود عريان من البخل
حبب العدا يا صلاح الدين حسيم * أن يفرقوا بحرح غير متبدل
وهل يخاف لسان الفحل ملتمس * مررت على أصبعه لذة العسل

(فصل) في وفاة كشتكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج قال العماد وقت المتافعين
الخليبيين مديري الملك الصالح واستولى على أمره العدل ابن الجعي وكان سعد الدين كشتكين الخادم مقدم العسكر

في أخبار (٢٧٥) الدولتين

وامر المعشر وهو صاحب حصن حارم وقد حصد ما مله من الامر والخدم فملوا ابن العجمي الاستبداد بتدبير الدولة فقفز عليه الاسماعيلية يوم الجمعة بعد الصلاة في جامع حلب فقتلوه واستقل كشتكين بالامر فكلّم فيه حصاده وقالوا الملك الصالح ما قتل وزيرك ومشارك ابن العجمي الا كمشتكين فهو والى حسن ذلك فلا سماعلية وقالوا انت السلطان وكيف يكون لغيرك حكم أو امر فجاز الواب حتى قبض عليه وطلب اليه تسليم قلعة حارم وأوقعوا بها الاجه العظام فكتب الى نوابه ما كتبوا وأرأوا خطوه ووقفوا به تحت العلم وخوفوه بالصراع فاطال أمرهم فقتل عمره واستبد الصغار بعد ما الامور الكبار واشتعت عليه قلعة حارم وجر داليها القزائم ونزل عليه الفرنج ثم حلوا بقطيعة بذلها لهم الملك الصالح واستقل عنها أصحاب كشتكين وولى بها مملوكا لايه يقال لمرسحك وقال ابن الاثير سار الملك الصالح من حلب الى حارم ومعه كمشتكين فهاقبه ليا من من بها بالتسليم فتمسب اليها طالب عنه فطلق منكوسا ودخن تحت آفته فأتت وعاد الملك الصالح من حارم ولم يملكها ثم انه أخذها بعد ذلك قال ابن شداد أما الملك الصالح فانه تخبط أمره وقبض كشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله ولما سمع الفرنج بقتله تزلوا على حارم طمعافها وذل في جادى الاخرة وقاتل عسكر الملك الصالح العساكر الفريجية ولما رأى أهل للقلعة خطرهما من جانب الفرنج سلخوا الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان ولما عرف الفرنج ذلك رجخوا عن حارم طالين بلادهم ثم غاء الصالح الى حلب ولم يزل أصحابه على اختلاف يميل بعضهم الى جانب السلطان قدس الله روحه قال العماد ووصل في هذا السنة الى الساحل من البحر كند كبير يقال له اقلندس أكبر طواغيت الكفر واعتقد خاوال الشام من ناصر الى الاسلام ومن جهة شر وطهته الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك أكبر ملهم في دفعه تدبير انهم يعاونه ولا يبايونه ويحالفونه ولا يخالفونه فاذا عادت المدة كما كانت وهات السنة وتولت ويحكم هذا الشرط حدثوا الحشود وجندوا الجنود وتزلوا على جادى العشرين من جادى الاولى وصاحبها شهاب الدين محمود الحارمى مريض ومائب السلطان يدعى يومئذ أخوه الاكبر نورانشاه وهو والى اسرامشغولون بذاتهم وكان سيف الدين على بن أحمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للهرب واجتمع اليه رجال الطعن والضرب ووجبت ضرور من الحروب وكادت الفرنج تهجم البلد فاخرجهم من الدروب ونصر الله اهل الاسلام بعد حصارهم لهم أربعين يوما فانهزم الملاحين وتزلوا على حصن حارم كما بعد ذكره فرحلهم عنه الملك الصالح بعد حصار أربعة أشهر ومن كتاب فاضلى الى بغداد (خرج الكفار الى البلاد الشامية فاصبحن لعقد كان محكما قادس بن غدر اصريها مقترين ان يجهزوا على الشام كان بالديب جريها وتزلوا على نهار جادى يوم الاثنين الحادى والعشرين من جادى الاولى وزحفوا اليها في نايه فخرج اليهم أصحابنا وتغنّى كتاب سيف الدين (يعنى المشطوب) ان القتل من الفرنج يزيد على ألف رجل ما بين حارس وراجل في الله منهم الصدور ورزق عليهم النصر والتظهور ثم انصرفوا مجموعا لهم بين تكليس الصلب وتقطعت الاصلاب مفرقة أحرابهم عن المدينة المحروسة كما فترقت عن المدينة الشريفة النبوية الاحزاب) قال العماد وتسامع الحلبيون بيوم رحيلنا من مصر لقصد الشام لتصرة الاسلام وهاوا أول ما يصل صلاح الدين نسل حارم فراسلوا الفرنج يهاربوهم وأرغبوهم وأرغبوهم وقالوا لهم صلاح الدين واصل ومالك بعد حصوله عندكم حاصل فرحل الفرنج بقطيعة من المال أخذوها وعقدت من الاسارى خلصوها ثم وقف خاله السلطان شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى في جادى الاخرة وتوفي ولم تكن من خال السلطان قبله ثلاثة أيام وذلانا واقعة الزلعة ولما سمع السلطان بتزلو الفرنج على حارم رحل من البركة يوم عبد الصطر يصا كرو وولى اليه فى عاشر الشهر واستناب بعمر أخاه العادل وأقام بها ايضا القاصى العاضل بنية الحج في السنة القابلة ووصل السلطان الى دمشق في الرابع والعشرين من شوال ومما نظمته العماد في التوق الى مصر قوله

ساكنى مصر هنا كم طيبها * ان عيشى بعدكم لم يطب
لاعدتم راحة من قربها * فاما من بعدها في تعب
بعد العبد باخباركم * فابصروا اخباركم في الكتب
ليت مصر اعرفت انى وان * غبت عنها فالهوى لم يغب

مكتاب (٢٧٨) اروستين

ولو عرضت لظي سلوان هزي * لكائن من سطاى على حذر
تقيم حين تبصر من اناى * ثبات الطود تضرع في الفرار
تغارتني على غير اختسال * فلم احصل لزور بها ازارى
أيا خمس السلوك بقيت شما * تنبر على المالك والديار
أحباك استعارت لغم نار * لغزك لم تزل ذات استعار

(فصل ١٠) قال العماد وفي العشر الاول من ذى القعدة قبل عضد الدين بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة بغداد على ايدى الملاحدة وكان قد توجه الى الخ فوقف له في مضيق وطقتا غرو دجلة كهل في يده قصة بزعمانه يريد رفعها الى الوزير من يده اليه فأومأ اليه بوجهه فانهز فيمعه فصره فقتله وبدر كمال الدين ابو الفضل بن الوزير قتل قاتل أبيه بسفه وكان مع ذلك الجاهل المخدرف كان له فجر أحد هما حجب الباب ابن المعوج فمات وجرح آخر ولفاضى القضاة وتباع الملاحدة وأمر قوا واسقل ظهير الدين أو بكره من صور بن نصر المعروف بابن العطار صاحب المخزن بالدولة وكان للسلطان خذ لمصافيا قتل وابن العماد هذا والمرجوم المصوب بعد موته ببغداد كما سيأتي ذكره في آخر حوادث سنة خمس وسبعين قال ابن الاثير وكنت حينئذ ببغداد عارفا على الخ فصر عضد الدين دجيه في شبارة فلما ركب دابته والناس معه ملين راكب وراجل تهتدم اليه بعض العامة تليد عوا له فنهض فجابه فزجرهم وأمرهم ان لا ينعروا أحد اعنه فتقدم اليه الباطنية فقتلوه الجبابرة القوي فتوفي بها قال العماد وزودت مطامعة الفاضل الى السلطان تسمى التوبيع فقتل الوزير عضد الدين وفيها (ومارك يظلام للمعيد فقه كان عفة الله عنه قتل ولدى الوزير بن هيردو زهقي أنهم بما وجاعة لا تحصى (من ذايسر بذهنه * والدهر لا يفتربه) وهذا البيت بيت ابن الملحة عريق في القتل وجدهوا مقتول به بالساسيرى في وقت اخراج الخليفة القاسم في أيام الملقب بالمتنصر بحصرف ومن ذرية لم تزل تالة مقولة وما زالت السيوف عليها ومنها مسأله فهم في هذه الحادثة المسمعة المصممة كما قال دريد (أبى الموت الالام) والاسات المولى يحفظه لوهى في الحماصة وقد ختمت له السعادة بما ختمت به الشهادة لاسما وهو يخرج من يده الى بيت الله قال الله سبحانه ومن يخرج من بينهم جارا الى الله ورسوله ثم يدرك الموت فتدوم أجرو على الله

ان المسألة قد تضرور بها * كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير روزر آل محمد * أودى من يشاك كان وزيرا
وهذان البيتان قبلا في أبي سلة الخلال أول وزير ليني العباس ثلث وبلغني ان الفاضل قال في ذلك وأحسن من نسل الوراثة لفتى * حيلة تزيده معر الوزراء
قال العماد وكان ضياء الدين بن الشهرزورى في سمارق الرسالة الى بغداد وتوقف في الموصل لحادثة الوزير ووافق وصوله الى الموصل وقاد ابن عمه القاضي عماد الدين احدين القاضي كمال الدين بن الشهرزورى وكان شابا ويا * كتاب الفاضل يذكر ذلك بوقه (يدلى ابن عشرين في لحدهما التسعون صاحب لراقم اغتبط الولد مع فضايرة للشباب المقتبل وعمر الولد مع ذليل المشيب المشتمل ليعلم ان الشيب ليس بمسلم وان الشباب القف ليس بمانع وليكون العبد حذرا من
فتنات الآجال في كل الاحوال والله بطيل للوى
المرحكما أحواله في القدر ونجمته
ولا تجمع فيه ويقيه سندا
للسدين الحنيفة
فان جاءه
يكفيه

في أخبار (٢٧٩) الدولتين

وهذا آخر الجزء الأول من كتب الروستين في أخبار الدولتين يتلوهان شاه الله تعالى في الجزء الثاني ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة قال العماد وكان خمس الدين ابن القدم من كبار الامرا الى آخره قال تايخ نسخة الاصل التي حصل عليها عن هذا الطبع ووافق الفراغ من نسخة يوم الاربعاء الثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على يد ائمتنا الخلق وأجوبهم الى عقول الله أحد بن العلي بن عبد الله غفر الله له ولوالديه ولدا المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واهله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا

وعلى نسخة الاصل المذكورة أيضا من هذه العبارة المسطورة شاهدت على نسخة الاصل المتقول منها هذه النسخة وهي جميعها بخط قاضي الفضاة نجم الدين المصري السافى رحمه الله ما صورته يقول شاهدت على آخر الجزء الأول من الاصل المتقول منه هذه النسخة بخط المؤلف في آخر المجلد الأول من كتاب الروستين فرغ منها مصنفها نسخا في حادي عشر شهر رمضان المبارك سنة إحدى وخمسين وستة مائة واستقلت هذه النسخة المبيضة على زيادات كثيرة فانت النسخ المتقدمة على هذا التاريخ المتقولة من المودة وكل متقل من هذه النسخة هو الاصل الذي يعتمد عليه وبركن اليه كتبه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم السافى مصنفه عمه الله عنه وشاهدت عليه ما صورته مختصرا جميع نسخ هذا المجلد على منزله الشيخ شهاب الدين بن دالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافى ولدي يحيى الدين ابو الهادي أحد وشهاب الدين ابو العباس أحد بن فرح الاسدي وزير الدين علي بن أحد بن يوسف القرطبي وخمس الدين اسماعيل بن أحد بن ابراهيم المالكي وابنه محمد وعفيف الدين محمد بن أبي بكر ابن ابراهيم المؤذن الساغوري ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله السكتي وسمع آخرون بقوات عينا في الاصل وصح ذلك بقراءة يوسف بن محمد بن عبد الله السافى في مجالس آخرها ثامن محرر سنة أربع وستين وستة مائة بدرا الحديث الاسرفيه كتبه جازيه يوسف بن محمد حامدا لله مصليا على نبيه محمد وعلى أهل ذلك كله مختصرا أحد بن مصري

التغلي الشافى غفر الله له

وشاهدت عليه أيضا بخطه ما صورته مختصرا قرأ على هذه المجلد جميعها الامام الفاضل محمد الدين محمد بن أحد ابن عمر الارابي سمعه بقراءة شهاب الدين أحد الامام بن الدين أبي ركن يحيى المصري وآخرون بقوات ذكر والى الاصل وفرغ من ذلك يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستة مائة في أربعة عشر مجلسا كتبه مصنفه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافى عمه الله عنه

وقول العبد النقيب المعروف بابن السعد وأندى محرر جمعية قوادى النيل قد تم بحمد الله وحسن توفيقه بطبعة وادى النيل في اوائل سنة ١٢٨٧ طبع هذا الجزء الأول من كتاب الروستين في تاريخ الدولتين الذي هو

كالا يتجنى على كل ذي فضل فضيل ذاب جليل وسفر جليل ولقد اعنتى هذا العبد الضعيف

باجيائه ومات وتبعه واستقام فاته وتصلحه على قدر استطاعته حتى جاء

بعون الله ذكر لروضة الفنا وقدماس فيها الليل وغنى يحيى من الحلال

الاسلام بعض دولر سهاو يعيد من آثار السلف الصالح شيئا من

مقارضا والرجوع الى المولى سبحانه ان يتم احسانه

ويعين على تجاوز الجزء الثاني كما أعان على

تمام طبع هذا الجزء الأول وصلى

الله على سيدنا محمد وسلم

وشرف وعظم

وصكرم

ويجل

(مالايدمن التنبيه عليه من الخطأ والصواب في الجزء الاول من هذا الكتاب)

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥	٢٩	جارم	حارم	٨٦	١٣	توجهت شهاؤها	توجهت شهاؤها
٦	٣٦	سياتكم	سياتكم	٩٧	٠٩	المنجي- منج	المنجي- منج
١٤	٢٧	بكا	بكي	٩٧	٢٠	معدا	معدا
١٧	٠٧	بجبل	بجبل	١٠١	٢٥	جنت	جنت
٢٢	١١	باسوطه	باسوطه	١١٥	١٨	ونخذ العيش	ونخذ العيش
٢٢	١٦	ينم	ينم	١٢٢	١٠	الحفار	الحفار
٢٢	٣٠	الغار	الغار	١٣٠	٣٦	حنك	حنك
٢٤	٢٤	تم	تم	١٣٢	٠٢	جبل	جبل
٢٥	١٥	منقذ (وهكذا)	منقذ (وهكذا)	١٣٤	٠١	لاؤف	لاؤف
٢٦	٢٦	وحفظا	وحفظا	١٤٩	٢٨	السابعه	السابعه
٢٨	٢٥	شجر	شجر	١٥٢	٢٧	فلك	فلك
٢٨	٢٨	قلع ارسلان (وهكذا)	قلع ارسلان (وهكذا)	١٥٣	٠٢	ملك	ملك
٣٤	١٠	انابك (وهكذا)	انابك (وهكذا)	١٦٤	٣٠	ناشرة	ناشرة
٣٤	١٦	ليه الحرير	ليه الحرير	١٧٠	٢٣	واصله برساله	واصله برساله
٣٤	٢٧	مقترع	مقترع	١٧١	٣٧	اصحابه	اصحابه
٣٩	١٥	بفا	بفا	١٨٥	٢٧	قال العبادي	قال العبادي
٤٠	١٦	فأحلتها	فأحلتها	١٩١	٢٣	منازل العز	منازل العز
٤٠	٣٥	البيره	البيره	١٩٦	١٥	المستعجبى	المستعجبى
٤٧	٣٠	اسفرد	اسفرد	١٩٨	٠٦	استنباه	استنباه
٥٠	١٧	البستانى	البستانى	٢٠٧	٠٤	الاستها	الاستها
٥١	١٢	اصفت	اصفت	٢١٥	٣٠	مثاله	مثاله
٥٦	٢٢	عبدالوتهم	عبدالوتهم	٢٤١	١٠	عرايب	عرايب
٦٥	٣٤	الحمدى المجدد الى ميرزا المجلد	الحمدى المجدد الى ميرزا المجلد	٢٦٢	٢٦	مرأى مرأى	مرأى مرأى
٦٦	٠٢	وملائتنا	وملائتنا	٢٧٢	٢٠	لعباده	لعباده
٦٦	١٣	الرد	الردى	٢٧٢	١٥	تستجند	تستجند
				٢٧٧	١٥	عفا	عفا

هذا هو عالم برزخ يوجد في طبع هذا السفر المثلث بعض تحريف وتبسيط كتقريب بعض نقطاً وعدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تخفى على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده هو المتزدد عن الغلط والنقط وهو العالم الخبير

صفحة	
٢	خطبة الكتاب
٣	مقدمة الكتاب
٥	فصل في الدولة النورية وطلعتها
١٨	فصل في مدح نور الدين رحمه الله تعالى باشعار كثيرة وأوصافه فوق سائر به
٢٤	فصل في أصل البيت الأتابكي
٢٥	فصل في قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق
٢٦	فصل عاش السلطان ملك شاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوما
٢٧	فصل ذكر أخبار زنكي
٢٨	فصل في ولادة الملك الناصر نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله
٢٩	في تولية السلطان محمود السلطنة وإقرار أخيه مسعود على الموصل
٣٠	في ولاية زنكي الموصل وغيره من البلاد
٣٢	في جهاد زنكي للفرنج
٣٣	في فتح شمرزور وطلبك وحصار دمشق
٣٤	في مسير أتابك الشمر إلى بلاد الفرنج وأغارته عليها
٣٦	في مسيره إلى بلاد الحكاوية وكان يبدل الكراد
٣٦	في فتحه الرها
٤٠	في مسيره إلى قلعة البيرة بعد فراغه من خنارها وإصلاح حالها واستيلائه على ما وراءها من البلاد والولايات
٤٢	في وفاة زنكي رحمه الله
٤٣	في بعض سيرة الشهيد زنكي
٤٦	فيما جرى بعد قتل زنكي من تفرق أصحابه وتلك ولديه غمازي ومحمود
٤٨	فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والأفرنج المخذولين
٥٠	في توقيع كتب عن خطبة مصر المنقبة بالحافظ
٥١	في نزول الفرنج على دمشق ورجوعهم مخذولين
٥٢	في اجتماع صكك من الشام من الفرنج معك الألمان لما وصل إلى الشام وقصد دمشق
٥٣	في رؤية النقيب العزلاوي في المنام وذهبه من موضع قبره وقبر عبد الرحمن الخطول
٥٥	في رحيل الفرنج عن دمشق وما به بعد ذلك
٥٥	في مسير نور الدين إلى بصرى وقباج جمع بالفرنج وقد هزموا على قصد بلاد السلام
٥٧	في ورود الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال على خبر العمل
٦٢	في مسير نور الدين إلى حصن فامية وهو للفرنج
٦٤	في وفاة معين الدين أتر بدمشق وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة
٦٥	فصل في وفاة سيف الدين غمازي بن زنكي صاحب الموصل

(ب)

مصحفه

فصل فيما جرى به دولة تقي الدين	٦٦
فيما جرى بعد تولية قطب الدين على الموصل	٦٧
في اتصال الخبر الى نور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحربية	٦٩
في فتح عزاز	٧١
في حقه اسر جوسلين	٧٢
في ذكر مسير نور الدين الى قلعة جوسلين وملاك بعضها واجتماع الاخرى والتمسح بهم	٧٦
في توجه مجاهد الدين برن الى حصن مصر خلفه احواله وما جرى في شيا به واقضاء الحال	٧٧
رجوعه وما فعل بعد ذلك	
في بقية حوادث سنة خمس وأربعين	٨٣
فيما جرى في سنة سبع وأربعين	٨٦
في ولادة ابن نور الدين سماء	٨٧
فيما جرى في سنة ثمان وأربعين	٨٩
فيما عرض من المشاحنات بين الرئيس ابن الصوفي وبين اخويه عر الدولة ووزير الدولة	٩٠
في وصول الامير محمد الدين ابو بكر نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج	٩٩
في حوادث سنة احدى وخمسين وخمسمائة	١٠٠
في توجه نور الدين الى حلب في بعض عسكره عند اتهامه بالافرنج اليه بعيشهم في اعمالها	١٠٣
في توجه نور الدين الى بعلبك لتنفذ احوالها	١٠٧
في تواصل الاخبار بوصول والده السلطان مسعود في خلق كثير لازول على انطاكية الى آخر ما ذكر	١٠٩
في ذكر حصن شيرز وولاية بني منقذ	١١١
في بواق حوادث سنة اثنين وخمسين	١١٤
فيما ترتب على الزلزلة الممثلة التي حدثت بناحية حلب	١٢٠
في قمع قوم من السفهاء النعمان وعزمهم على التمرد على نور الدين على اعدائهم كان ابطال وسامع	١٢١
به اهل دمشق من الرسوم الى آخر ما ذكر	
في دخول سنة أربع وخمسين	١٢٣
في وصول رسول ملك الروم بعدي انصف بالملك العدل	١٢٣
في حوادث سنة ست وخمسين وخمسمائة	١٢٤
في حوادث سنة سبع وخمسين وخمسمائة	١٢٧
في حوادث سنة ثمان وخمسين	١٢٧
في حوادث سنة تسع وخمسين	١٢٩
في فتح حارم	١٣٣
فصل في ذكر وزير الموصل ووفاته	١٣٤
في حوادث سنة تسعين وخمسمائة	١٣٩
في حوادث سنة احدى وستين وخمسمائة	١٤١

١٤٤	فصل في تقديم عماد الدين الكاتب الى دمشق الى آخر ما ذكر
١٤٧	في طلب خوارزمين من اخيه قطب الدين بن ناصر الفرات بسكره
١٤٩	في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسمائة
١٥٢	في وفاة نوري الدين
١٥٣	في حوادث سنة أربع وستين
١٥٤	في فتح الديار المصرية
١٥٥	فيما لحقه نور الدين
١٥٦	في القبض على شاور وقتله
١٤٠	في وفاة أسد الدين شيركوه
١٦٤	فيما ذكر من قصص شاور وما جرى به سيرة في الديار المصرية الى ان تمت زوال صلاح الدين
١٧٤	في ذكر بعض قصص المدح بها نور الدين وهنئ بها حين تم ملك مصر
١٧٨	في تل مؤثق الخلافة بالخرقانية وقصة السودان بين القصرين وغير ذلك
١٨٠	في حوادث سنة خمس وستين وخمسمائة
١٨٠	أرسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب القصرين بشير حيل الفرنج عن فردمياط الى آخر ما ذكر
١٨٣	في سيره فقه الدين أيوب الى مصر سابقا له وأولاده
١٨٤	في ذكر الزلزلة الكبرى التي عمت أكثر بلاد الشام
١٨٦	في غزو صاحب الجزيرة ووفاته صاحب الموصل
١٨٧	في عيرون نور الدين الفرات لتدبير أولاد أخيه سيف الدين بعد وفاته
١٨٩	في ذكر رجل من ملوك الموصل يسمى عمر اللالا
١٩٠	في وصول الخبر بموت الامام المستجد بالله أبو القلندر يوسف بن التقي
١٩٠	في حقيقة ما جرى في سنة ست وستين وخمسمائة
١٩٣	في حوادث سنة سبع وستين
٢٠٠	فيما جرى بعد موت العاضد وانقراض دولته والظلم والجور في الديار المصرية وتلبس العباس
٢٠٣	في ذكر غزو الفرنج في سنة سبع وستين
٢٠٥	في باقي حوادث هذه السنة
٢٠٥	في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة
٢٠٦	في جهاد السلاجقة في هذه السنة وفي فتح بلاد النوبة
٢٠٩	في وفاة فقه الدين أيوب والصلاح الدين وطرف من أخباره
٢١٣	فصل في سير نور الدين فاضل الجليل في الشمال
٢١٥	في حقيقة ذكر ملج من لاوين مقدم بلاد الارض والتجباته الى نور الدين الى آخر ما ذكر
٢١٥	في حوادث سنة تسع وستين وخمسمائة
٢١٦	في فتح اليمن
٢١٧	في ذكر انما مير محمد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن عتد

٢١٩	فصل في حلب عمارة الشاعر البني وأصحابه
٢٢٤	في التعرف بمحالة عمارة ونسبه وشعره
٢٢٧	في وفاة نور الدين رحمه الله
٢٣٠	في جلوس الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في الملك بعد وفاة أبيه
٢٣١	في قصد الفرنج على الثغرة مداهم بالباس بهدوفاة نور الدين إلى آخر ما ذكر
٢٣٤	في دخول سنة تسعين وخمسمائة
٢٣٤	في عز الملك - اطمأن على ابن يسارع إلى تلالى الاسراء إلى آخر ما ذكر
٢٣٥	في نوبة الكنتز
٢٣٥	في توجه صلاح الدين إلى دمشق ودخوله إليها
٢٣٧	في ما جرى بعد فتح دمشق من فتح حصص وجاه
٢٣٩	في ما حصل من البرد العظيم وكثرة البلج في هذه السنة
٢٤١	في إرسال الخديب شمس الدين بن الوزير من طرف السلطان إلى الديوان إلى آخر ما ذكر
٢٤٤	قال الامراء وكنيت بالموصل فتمت نظم سرية في نور الدين إلى آخر ما ذكر
٢٤٨	في ما جرى للمواصلة والمخبيين مع السلطان في هذه السنة
٢٥١	في طلب القاضي الفاضل البهلول الكاتب من السلطان ان يكون معه ولازمه بالديوان
٢٥٢	في حوادث سنة احدى وسبعين وخمسمائة
٢٥٦	فصل في فتح جملة من القلاع دحو إلى حلب
٢٥٨	في وثوب الحنيفة على السلطان
٢٥٩	في بواقى حوادث سنة احدى وسبعين وخمسمائة
٢٦١	في حوادث سنة ثمانتين وسبعين وخمسمائة
٢٦٢	في ذكر جماعة من الاعيان
٢٦٤	في رجوع السلطان إلى مصر
٢٦٨	في بيع الكتب وعمارة القلعة والجمارستان
٢٦٨	في خروج السلطان إلى سكندرية وغير ذلك
٢٧١	في حوادث سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
٢٧٣	في نوبة كسرة الرملة
٢٧٤	في وفاة كسكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج إلى آخر ما ذكر
٢٧٨	في قتل عضد الدين بن زيد بن الاساء وزير الخليفة بغداد

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الكامل
الأحد فريد عصره وحيد دهره مجموع الفضائل
شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد
أبي إبراهيم المفسدني الشافعي
تفسيده الله تعالى

برحمته

آمين

٢

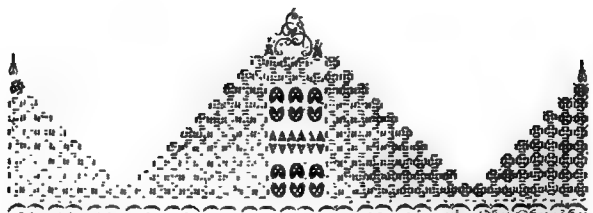
رواه الشيخ الإمام محمد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي بمعاذ الله

﴿الجزء الثاني﴾

(طبعة جديدة)

مطبعة وادي النيل بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٨



(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)
(النورية والنصاحية)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت منه أربع وسبعين وخمسمائة وكان العام وكان خمس الدين ابن القدامس أكبر الامراء وهو السابق الى مكتبة السلطان في تصويب ربابي الوصول الى الشام وتدارك امر الاسلام وكان السلطان عند تسلم عهده اتم بها عليه وردا مورها اليه فاقام بها مستقرا ولا اختلاف بينه مستعدا وما وصل السلطان في هذه النوبة الى الشام لم يحضر كاجرت العادة للخدمة والسلام فانه كان في اليه ان الملك العظيم مجد الدين خمس الدولة تورانشاه ابن ايوب طلبها من أخيه وانه لا يمكنه ان يذوق من الحضور ان تتم الامور وروجع في ذلك من ارا سرا وجهارا والتم له ان يعرض عنها ما هو وفي منها فاني الا لا يا وشارف السلطان منه موسى اخيه الحيا وممس الدولة لا يقبل هذا ولا يرى عا طلبه صبيرا ثم استأذن أخا في التوجه اليها فأذن له وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور وسار السلطان الى حصن وزل على العاصي غار ما على الجهاد ووردت من الناضل كتب من بعض فصولها (وأما سور القاهرة فعلى امر به المولى شرع فيه رطها العمل وطلع البنا وسكنت به الطريق المؤدية الى الساحل بالمقيم والله يبرم المولى ان ان يرادنا فاستد راعى البلدان وسور ايل سور ايا يكون به الاسلام بحسب الدين محلا الضدين والامير بالله عز وجل قرأ قوس ملازم الاستحسان بغيره وسرطه لزمه ما به بغيره بخلاف أمثاله قليل لتتقبل مع حله لا عبادا لتدبير واتقاه) ونهاى حق نغل القضاء من شرف الدين بن ألى عصر من لما ذهب بصره الميولته (ان يخلوا الامر من تعيين والله يختار للمولى خيرة الاقسام ولا ينسى لهذا هذا الفرج الذى لا يبلغه ملك من ملوك الاسلام اما ابعاد الامراء من الواه بحيث يثبتي رأيه ومشاورته وفتياه ووركته وتولى بوله النيابة وشروط عليهم المجازاة لاول زله وترك الافالة لاول عثره فطما ما بعث حب المفاضة الراجحه على اكساب الاخلاق الصالحة واما ان يعرض الامر الى الامام قطب الدين فهريقية المشايخ ومصدر الامه اب ولا يجوز ان قدم عليه في بلد الام هو ارفع طبق العلم منه) ومنه في اقامة صدر التاخر من الجهاد (وأما تأسف المولى على أوفات بقضى عاظمها من الفرصة التي خرج من يته لاجلها ويمجد العوائق التي لا يوصل الى آخر حيلها فاعلمون نيقشرده وأليس الله العالم بعبده وهو سبحانه لا يسأل الفاعل عن قيام فعله لانه غير مقدوره ولكن عن النية لانها محمل تكليف

الطاعة وعن مقدور صاحبها من القتل بحسب الاستطاعة وإذا كن المولى أخذ في أسباب الجهاد وتنظيف الطرق إلى الفراد فهو في طاعة قد امتن الله عليه بما حل أمداً ودومته على أمل في نجح وعدها والتواب على قدر مرقته وأما عظم الخ لاجل جهده وبه سقته ولولن المولى فتح القروح العظام في أقل الأيام وتصل القضييين أهل الاسلام وأعداء الاسلام فكانت تكاليف الجهادة رخصت ومجانف البراءة كسبة بالرابطة والاستقرار طويت ومنها في ذكر أولاد السلطان (وقبل الأجابة عن الفصول فتبصر مما جرت العادة به لا قطع الله تلك العادة من سلامة وصحة وعافية خلعت موالينا وأولادنا السادة أطاب الله الخبر إليهم عن المولى وإلى المولى عنهم وبجل لقائه لحسب وقامعه فأنهم ملق منهم بل كل منهم ملك دستبرحه وقارس مهدس رجه فهم بمجد الله بهجتاً لا دنيا وزينتها وريحانة الحياة وزهرتها وأن قوادحهم فراقهم الواسع وأن قلباً قطع باخبارهم قانع وأن طرقاتهم على البعد عنهم لم تاجع وأن ملكاً مكمل تصبره عنهم أزم وأن نعمة الله بهم لثمة بما العيش ناعم أما يشاق جيد المولى أن يتطوق بدرهم أم تظمي عنه إلى أن تروى بنزاهم أما يصن تابه على قلبه أما يقطع هذا الظائر بغير لهم ما خرج من حبه وللولي أبقا ما لله تعالى أن يقول

وما مثل هذا الشوق يحمل مصفة * ولكن علي في الهوى متقلب

وفي آخرى (والمولوك الأولاد في كفاية العافية لا رفعت عنهم كالتها وحلهم جلالة السلطنة لا فارقتهم جلالتها وكل من المولى السادة الامراء الاولاد والدة ماله كاهم جوهر وكاهم المقدم وليس فيهم بمجد الله من يؤثر على ما عود الله من محبة سلامه وكفاية وبقائه وزم المستقل منهم لشمل الكاب ولوقف الاما ح ومخايل المحقر فهم من تحت ليل الصبا التزود له من ضوء السراج والله تعالى يدق في المولى أن يرى من ظهورهم مارأى جدهم رجه الله في أهل بيته من البطر الرابع قوارس الحرب الرائحة ومولوك الاسلام التي منهم لاسلام اكسرة وتيا به وكافهم عند العلاء صغير وصغيراً بالكار كبير بخوم الارض وذرية بعضهم بعض والخلف الصالح المحض وهم في الدنيا والآخرة فرسان القوة والقي في يوم الحرب ويوم العرض) ومنها في ذمهم ما دسق وروحه (عرف الملوك من الكتب الواصلة التيان جسم المولى الاجر عثمان والمحقير ما يال ذلك الجسم الكريم يوقد في قلوب الاولياء الاثر العظيم وقليل فداء العبيد قليل ماذا يقول في بلد لو صحت الحياة من مائه لكانت من أكبر أسباب مصاة المحتج وشفاؤه فأنصاه بولكل بقية المباد تشر وبجد وخاتمة من نصف ولا يتعصب) ومنها (وأما الأمور في معنى المنكرات الظاهرة واورالة أسبابها وأغلاق أبوابها وتحصين كل مة توت من عهده وتظهر كل موسومة بروحه فأنه ينيب المولى ثواب من غضب بارضيه يتعصب وحل الخلق على مناج حشر عواذ به) ثم أورد الحمد فصولا كثيرة

أوردت الفصول الفاضلة في كل فصل منها ذكر كرسره وفوائد كثيرة

(فصل) قال الامامون جملة ما أغلته ذكر ما أسقطه السلطان من مكس مكة شرفها الله تعالى عن الحاج وقوم من أميرها بجلب غله يحمل إليه في كل سنة وتغير ضياع موقوفه عليها بالأعمال المصرية كان الرسم مكة أن يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرؤس ما يسبب إلى الضرائب والمكوس فإذا دخل حاج حبس حتى يؤدى مكة ويقف بجاء البلية منه نفسه وإذا كان فقيراً لا يملك فهو يحبس ولا يترك وبقية الموقوفه مة ولا يدرك قبال السلطان تزيدها فتعرض أمير مكة عن هذا المكس بمال وتضيقه بغيره بوال وأن أعطينا ضياعاً استوعبها ارتفاعاً وتفاعاً فلا يكون لاهل مكة فيم أنصيب فقر رمة أن يحمل إليه في كل سنة قبل غمائية آلاف أردب قم إلى ساحل جده فان الأمير بها يحتاج إلى بيعها لا لتفاح بائعائها ويثق أهل الحرمين من الدولة بدولم احسنتها وقررو أيضاً جل القلت إلى المجاورين بالحرمين والعقرا ومن هنا ثمن الشرفا ووفت لها وقفاً وخطبها إلى قيام الساعة عمر وفا فسقطت المكوس وأغبطت النفوس وزاد البشروزال العيوس واستقرت النعمي وزال البوس وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومن كلام الفاضل في ذلك في بعض كتبه (من البشار التي لا عهد لها جديار مصر بثلها ولا عهد لملك من ملوك الأديار المصرية بالحصول على ثغرها وأجرها انصاع المكسعين عن جند قوع بقية السواحل ويكني أن تمام هذه المنوبه بموجب الاستماعة مقيم بمكة الله في الخ فقد كانت القيا على سقوطه مع وجود الحامل وما

مكتاب (٤) الروستين

أكرمنا جرى الله للعلائق على دلالولي من الارزاق التي تفضل عن الاستحقاق وماأولاه بان يتوخى بالمعروف مكانه من هذين الحرمين الشريفين المهجورين من اسعاف أهل الاقتدار والمحرورين من قدره بما على خير فاضاع فرصته بترك البدار وغير خاف عن مولانا همة القربى بالقدس براوجها ومن بكا وظلها وسلمنا وحرا وبعدا وقربا وتواقيهم على حاسه وهو أنفج وجه الاسلام ومسارعتهم الى نصرته أهليه بالارواح والاموال على مر الايام ومعاذ الله ان يستبصر وفي الضلال ونصرف نحن عن الحق ونضيق بنافي التوسعة على أهله سعة المجال والمملوك في مستهل رجب بمشيئة الله معول على السفر الى الحجاز لقتناء الفريضة قولا وفعلنا والعاربون في هذه السنة بطبعة وقفة الجمعة وبفسحة وضع المكس خلق لا يحصى والمولى شريك في أجرهم فليهنان المملوك عرت بيوتها فخرت ولن المولى عمر بيت الله فن كرمه سبحانه ان يعزيت المولى وما أشد خجل المملوك من النبي صلى الله عليه وسلم في التخصير في قوت جبرانه في هذه السنة وما هكذا أوصى للطبع ولكن للشائب حجة قلت وفي هذه المكرمة التي فعلها صلاح الدين رحمه الله بالحاج يقول الشيخ الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي من قصيدته يمدح بها صلاح الدين وستأني فيما بعد أخبرني بها فتهنئطها من خطه

رفعت مغارم مكس انجما * زياتعماك الشامل العامر
وأمنت أ كافي بن البلاء * دفهان السبين على العابر
وسحب أ ياديك قياضة * على ولرد وعلى صادر
هكم بالبرق من حامد * وكلك بالقرب من شاكر
وكيل دعاكم كل عا * ميمكة من معلل جاهر
وقد بقيت حبة في فلا * ن وثك الدحية للداخر
يعنف جهاج بيت الاله * ويبدو بهم سطوة الجبار
ويكشف عما يديهم * وبانيك من موقف صاغر
وقد وقوا بعدا مكفوا * كأنهم في يد الأسر
و يلزمهم حلعا باطلا * وعقبى البين على الفاجر
وان هرضت منهم حومة * فليس له اعنه من سائر
ليس يخاف غدا عرضه * على الملك الفادور العادر
أليس على حرم المليك * بن فشا المساهد من غابر
الاحاضر افسع زجره * فيأله الشاهد الحاضر
الاصح يبلغ نفعه * الى الملك الحاضر الظافر
فاسلموهم مال الزكا * فلتدفع تحفة الحاسر
يسر الخيانة في طاس * ويدي النصيحة في الظاهر
فاوقع به حادثا له * يقع أحدوته الداكر
فما لنا كبر من زاجر * سواك وبالعرف من آمر
وما شاك ان لم تزل رحما * فالت في الناس من غادر
ورفعك أمنا لها موسع * رداء فخارك للناشر
وأترك القصر تبق لها * وتلك الما ترالا تر
فدرك النصيحة في حكم * وحق الوفاء على الناظر
وحبك أنطقني بالقريرض وما يتقي صلة الشاعر
ولا كان فيما مضى مكسي * وبس الضاعة للناجر
لذا الشعر صار شعرا لفتي * فنهايك من لقب ماهر

في اخبار (٥) الدولتين

وان صكان نظمي له نادرا * فقد قيل لاحكامهم بقادر
واسكنما خطر ان الهوى * نعمن قلعهم بالخاطر
وأما وقد زان تلك الصلي * فقد فاز بالثرف الباهر
وان كان منك قبول له * قتلك العكرامة لثرائر
ويكفيه سمك من سامع * ويكفيه لحظك من ناظر
وبرهي على الروض غيب الحيا * بما طر من ذكرك الاعطار

قال العماد وفي المحرم من هذه السنة توفي الحكيم مهذب الدين أبو الحسن علي بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق وكان كنعته مهذبا ومن الملوك لتفرده بصفه مقلدا وهو برز في فنه حتى ان من شدى أشياء من الطب تبجح بأنه قرأ عليه وتزدل استفادته اليه وقد راضته العلوم الى باضيه وأحكمت أخلاقه المعارف الحكيمه وفي الثاني عشر من جمادى الاولى توفي الأمير نجم الدين بن مصال بمصر وحاضا عليه وبهش يحسن بفاز اجتماع السلطان برزته حذته وجلس في بيت الحب مستوحشا وحده وقال لا يخلف الدهر لي صدقة ما بعده وأحرى ما كان له جميعه لولده وحفظه عنه وكان له جماعة من الاعيان والسعراء والامثال والادباء بناتيه ووساطته من السلطان رزق ابيه عليهم كانه عليه مسخ وفي الثامن الاول من ربيع الاخر عارت طائفة من القرع على بلاد حماه فخرج اليها متولى عسكر حماه الأمير ناصر الدين منكوس بن حجارة كسر صاحب حصن زقيد من فأسر الملقم تميم وسفك بسيفه دم الالحين وجاء الى الخدمة السلطنة بفناجر حصن وساق معه الاسارى فأمر السلطان بضرب أعناقهم وان تولى فلان أهل التقي والدين من الحاضرين فتقدم امامه الضياء الذهري وصرب عنق بعضهم ولا تسخ سلیمان المغربي ثم الامراء ذنان بن ياروق واستدعى العماد وأمر بقتل كل يضل والمباين بملكه السلطان منهم صغيرا فعرض عنه ثم رحل السلطان على طريق الزراعة الى جبل فنار لما حاصر من غير قتال فقاتل أمره هارولم يجمع بها صاحبها ودخل فصل النساء فرحل السلطان عنها الى دمشق وكل بها من يحصرها بالنعش من الخروج والادخول من غير قتال وهم جماعة مع طغرل الجنادار ودخل اخذ دمشق في العشر الاواخر من رجب وتمادى الامر الى ان رضى ابن المقسم بحصن ومن رأت عماله وولد كد مطراب وأعيان فواحي وقرى من بلاد المعرة وبلغت عليه من المعرة والمعزة وكان الذي أخذه اثر وأضع ما خاله واحد جاله ما حصل له ولا تزيده ولا تنقصه

فصل في كادى قبله في حوارب متفرقة قال العماد كتب التواب بدمشق الى السلطان ان الاموال ضائعة وان الاطاع قهرازاته وان في أبواب الصدقات أغنياء لا يستحقونها وما لهم رتبة من الله يتقونها وان أبواب الدنيا واسعة وما هو وجوبها وان المنفعة تقتضي افراد جهات لما سيج من مهمات وكانت الصدقات مبلغا دغير ألف دينار فقال لي اكتب عليها جميعه ما لا املاء ولا تصكدر على دوى الا مال مولود العطاء فقل أما أثار عليك الاسماء فقال لا بل زهني عن هذه الاشياء فبقيت تلك الرسوم دارة والامال بها سارة قال وفي شعبان من هذه السنة توفي متولى المقياس بمصر فتوزع السلطان منصبه الى أخيه قال وهذا المقياس موضع مبني من عهد خلفه بنى العباس لي عرف ريادة الماء ونصلا بمقياس وهناك عوز في الماء مقسوم بالدرع والادرع مقسومة بالاصابع في مسجد يتوب في الجبر رعى الجامع قصلي فيه الجماعة والجمع ويتولاه من العهد القديم متول من ولد أوز الرباد من هو معروف بالزراعة والعلوم والساد وله راتب داز ورسوم وقرور قلت بلغني ان بالارداد هذا كان معانا من أهل الصدق والصلاح ربه جعفر التتوكل على الله في ولاية المقياس وبني من بعده على ولده وقرأت في تاريخ آخر بالدين قدام مصر لاني سعيد بن يوسف قال (عبدالله بن عبيد السلام بن الرداد العجمي بصري قدم مصر وحذت بها وكان قد جعل على قياصة النيل توفي عصر لسمع يقصر من رجب سنة ست وستين ومائتين وذكره أبو سعيد في أهل مصر أيضا وقال فيه له هو وأربعه عشر) قال ابن الاثير وفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة اشتد الغلاء وعم أكثر البلاد العراق ومصر وديار بكر وديار الجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد ولم يكن ان اتعشى سنة ثمان وسبعين وخرج الناس في البلاد يستسقون فلم يسقوا ثم ان الله تعالى رحم عباده وولط بهم وأنزل عليهم القيث وأرخص الاسعار ومن

مكتاب (٦) الروشتين

بحسب ما رأيت تلك السنة اتفق كنت في الجبل مرة فاقبل انسان تركاني هذا تر فيه الجوع وكأنه قد أخرج من جوفك وشك الجوع فأرسلت من اشترى له خبزا فاشأخرا حظه لعدمه وهو يكي ويترغ على الارض فتغيت للماء بامت تقط مطر متفرقة وفيها الناس ثم با الحبز فأكل للتر كافي وأخذ الباقي معه وسنى واستند المطر ودام من ذلك الساعة فخصت الاسعار ووجدت الاقوان بعد ان كانت معدومة ثم تقبب الغلاء واشد كسره وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو سر سام فأت فيه من كل بلد ائام لا يحصون كثرة وفي الناس منة ما يحجزهم له ثم ان الله تعالى رخص في سنة من ومن جميعا وتحميانه وقد ضعف العالم

(فصل ٤) في عبارة حسن بيت الاخرن ووقعة المنقرى قال العماد في مدة مقام السلطان على بطيك واستغاله بامرها انتهز الفرغ الفرصة فبنوا حصنا على محاسة بيت الاخرن وبينه وبين دمشق مسافة يوم وبينه وبين صفد وطبرية نصف يوم وقيل للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحك من الفراء الاسلوى الوهن وغلق الرمي فتقول اذا أتوت زلنا عليه وهدمنا الى الاساس وجعلنا من الرسوم الادراس فكان الامر بعد سنة على ما جرى لمقطعه من عدة حسنة فلما اتى بطيك وصل السلطان دمشق فأقام بها وامن الحصن من همه وقصد حصاره من عزمه وكان العام مجددا والجدي عاما وقيل للسلطان ايس هذه سنة جهاد فان استصوبك السلامة فامنع وان جفروا لاسلما فاجح فقال السلطان ان الله أمر بالجهاد وكفل بالرزق فأمر بواجب الامتثال ووعده بناس الصدق فتأني بما كلفته ففر بما كلفه ومن أغفل أمره أغفله قال ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة وهو الخادم فاسئل وكان من أفضل الخدم نيب أفضل الخدم وفرح السلطان به واستحبه معه الى القراء ووقف على الحصن الذي استخذ الفرج بن المشهد اليقوى وتحتف من حوله من الفرج بن جماعة وأقام على أهل المعصية بجهاد الطاعة وعاد وقد عرف ما يعزم عليه من أمر معه قال وفي مستهل ذي القعدة كانت وقعة هنقرى ومكة له وذلك ان الاحبار توازوا بان الفرج بن دنجة واتي جمع عظيم وانهم عارمون على الخروج على المسلمين على غرة فقدم السلطان ابن أخيه فرخا على عساكر دمشق وأمر بان يخرج الى الثغرة هل وأمر بان علم بخبر وجهه ان يتقدا الى السلطان يعلم بذلك ولا يلقاهم بل يتركهم حتى يتوسطوا اليه لادقظ بنعمر طلائع فرخا له الاوقدنا الطومر على غرة فوقت الوقعة فقتل صاحب الناصر ذو جماعة من مقدمهم وطلب لللك فخرج حصانه وجر فرسانه وجاء المنقرى ليجبه فوقعت فيه ارباب احدها سابية وقعت في نارته فخذعته وغلبت اليه وموت بضربه قلبه ونرجت من تحت فكاه ووقعت أخرى في شطرجه فذهبت الى أحصه وأخرى في ركبته وضرب ثلاثا في جنبه فكسره ضلعين وقتلته من الرية والحمية الى ورجعت الفرج بنعمر عظيم ايس فيهم الامجروح وكل يوم ترد البشرى بموت مقدم من جراحة أصابه ووردت بطاقة الطير في ذلك اليوم الى دمشق خرج السلطان فما وصل الى الكسوة الاور وسمع وأمر اذ لم قدحى بها فرجهم مظفر منصور اولت الفرج بنعمر بعدها وانكسرت بموت المنقرى ثم سار السلطان الى الحصن الذي بنوه فازبعجهم وذعرهم وعاد على عزم العود اليه قال ثم وجه السلطان أخاه الاكبر توران شام السام الى مصر من ضعف من الاجناد لاجل عمل البلاد قرب في بطيك نوابه وودعه السلطان من مرج الصفر وذلك في أوخر ذي القعدة ومضى على يصرى ومنها الى الازرق ومنها الى الجفر الى الله الى صدر ووصل معه خلق كثير من التجار والرجال والنساء والاطفال

(فصل ٥) قال العماد وسافر الفاضل الى الحج في هذا السنة وركب البحر فكتب اليه كتابا فيه (طوى) للبحر وانجوس من ذي الجبر والحجى منيل الجدا ومنير الدجى ولتدى الكهنة كعب الندى ولهذا يا المشرقات من شعر الهندى والقيام للكرام من مقام للكرام ومن حاطم قمار الفجر للطمع ومتى رى هرم في الحرم وحاطم ما عزم من ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لبر لعدا قدس الى عكاظه وعاد قيس بحفاظه وبالحبيل الكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضل وقبله يستقبلها قبله القبول والاقبال) قلت ومدحه أبو الحسن بن النرورى عند عود من الحج بقصيدة حسنة منها

علم البحر انك الخلق واقفا * فقامى حشامه يفتقر عبا

في الخبر (٧) الدولتين

وغدا در طيه مقبرا * انظر الى القوم منك ينشأ منها
 ولواحتار قفلة منك يصير لاني اجابه المخلص
 هائج لم يزل دعاؤك حتى * هون اقمتمهما كان مجا
 ولقد نام اذ سكبت ولاريج * هبوب وحشت ارسيت بها
 حبذا ما صنعت من اباد * عاد جدي الجازم من حبها
 رمت كتمانها فذاعت وهل يقدر عيت يخفي عن الارض سكا
 قدرأت منك كعبت الله لنا * جت ما حقا وان شئت كعبا
 بل رأت منك يشبه بيت مجد * أحرم الجسود حوله تملي
 ورأى الركن من عيت ركا * جالط من أبيض اللون رطبا
 وزعت زمزم بشر بك منها * ويجيب ان يظهر الماء عيها
 وتوجهت المدينة عن مكنتها فشاء وكافك حسبا
 وأنت الشام تسوق قروح * سار شرا به الحناء وغربا
 ان تكتن غيت عنه والله يقيبك لا مشا الله فاعيت قلبا
 سرت والرى فيه منك مقبم * وبشت الدعاء في الليل كتبنا

وتدوخت على الرقعة التي كتبها القاضي الفاضل رجاءه الى السلطان بطمس منه الاذن له في سفر الحج
 فاحيت فخلها هنا وما كتب السلطان رجه الله عليها وما كتب يسعيا الي بعض قزاقه قتل من خط الفاضل
 رجه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) كتب الملوكة هذه الرقعة بعد ان استخار الله سبحانه من مستهل رجب في اكثر لياليه
 والى آخر هذه السطور هو نصي انه قد شارف الاروصين وما يدري اعلمها عتبة القاه وقرض الله في الحج قد تعين
 وبعد المولى قد سبق عند ايلة ومدة العيبة قصيرة والنائب ينفذ في صياح اليم في السفر والحصر والثقة بمصاحبة في
 المرادين من الكتائب وهما الكتبان والمفرقة وحشد المولى في محبوه انضف حظه في مقامه لان كان يقع بها
 في الدنيا فهو يقع هناك في الآخرة وان لم يكن اهلا لان يستجاب منه حقه أهل لان يصيب في الملوك والمملوك
 ثمل قط في سؤال وليس لان المولى لا يقضيها ولكن لا يقضيها من السؤال فيها وهذه حاجة الدنيا والآخرة
 وبعدها يسد

في يات هذا الموت لا يلف حاجة * لنغني الا قد قضيت قضاهما

ومالراد الملوكة ان يستفيع عن يشارك المولى في الاجر وما يريد الا دستور اعن تقس طيبة رضى تظاهر وبالغن ولا يريد
 خلاف الترض فإني له يقضا ما ترض من الله المتبر رجه
 الحمد لله وحده وصلاؤه على سيدنا محمد وآله وسلامه

وعلى رأس الرقعة سطرت بالسلاسل خط السلطان رجه الله ماصورته (على خير ناله تعالى باليغني كنت معكم فافوز
 من اعظمي) نقلت من خطه ونقلت من خط بعض الكتاب ما نقله من خط السلطان رجه الله تعالى بعض النواب
 فحصل من كتابه لم يلحظ العالي انصارى اعلاه (ورد بتاريخ السابع والعشرين من جادى الاولى سنة
 اربع وسبعين وخمسمائة) (وصلى كتاب القاضي العاضل وهو قد كرهه معهم على الحج الله يصيله يشارك يمين ولكن
 لا أفسح له فيه الا بعد اثنين واحدة انه لا يركب بحر يسير من العسكر الى ايلة ومنها يتوجه قديم العسكر على ايلة
 وعلى ارم ليله ودون ارم ليله وقاطع ارم ليله فيكون هرة بعد ما ياتي عليه خوف ان شا الله تعالى ذانية تناخذه
 وتحلفه راسي انه لا يماور وثلاثة تعظيمه من مال الجوالي ثلاثة الف دينار وقول له لا بد ان يخرج هذا معي لا عنك
 في المجلدين بمكة والمدينة وفي اعلمها هذا أمر لا بد منه فان الناس لا بد لهم من الطلب ولا بد ان من العطا وان قال
 ان الشيء قليل فانك ترضى مثل هذا المبلغ من مائة وتعطيه اياه (يدوا الا لا تذن له في الراح الى الحج الا على هذه
 الشروط التي قد شرطها ولما يجبه فيعني الى الشام فاما ياتي لى دار الالهى حتى يقضى الله بيننا وبين القري فم هو خير

مكتاب (٨) الروضتين

الحاكمين) وكتب الفضال الى بعض مشايخ مكة بعد رجوعه (سقى الله الحجاز وحيا كعبته ويا طول ما زشقى سهام الشرق الذي أصبح الذكر جعبته أما على تلك المواقف وتبلان رضى ابن يكون مع الحوالمف قريباً ونجى وحسنه وحسنى لجأورى ذلك الحرم ولعاصى ايامه التي هي الايام لا يأخذى علم في الحلف الصدور وطول تلهاها الى مرور دمار مرمره وطوبى لمن استغاضه في مضال الظلم بعه ومهمانيت خلا أنسى رد ذلك كعبه ببحر صيقها وموسم الانس ثلاث منها وخذها

أها عليها بالمازكر لنا * الا لاسى وعلالات من الحلم

عسى الرياح ادا لسانت مبلغة * توفى فقد غدر الاحباب بالذم

ثم قال فاما الطريق المباركة فقد جرى فيها غطوب وشؤون وأحاديث كلها متجرون وكانت العقبى الى سلامة والمالارنا الكرك نهض اندو فلم تكن الوجة ولا تخرج بانا ثم من الله تعالى بالنجلاء النوبة ووصلنا الى بلاد السلطان ولقينا ذلك الوجه فلا عدا من ابشره وذلك الفضل فلا فارقنا أعيننا بخره ووجدناه في العزاجا هذا والعدو بجها هذا وأوواته مستغرة وعزماته محققة

(فصل ١٠) فيما فصل مع الفرنج في باقي هذا السنة وأول الأخرى ووقعة مرج عيون قال ابن أبي طى كانت الفرنج قد غمرت بيت الاحزان وكان على المسلمين منه ضرر عظيم فراسل السلطان الفرنج في خدمه فاجابوا له لاسيلا الى خدمه الا ان عطيتنا ما غرنا عليه فيذل لهم السلطان - تين ألف دية رفاتمتوا - زادهم الى ان بلغ مائة ألف دينار وكان هذا الحصى للدواوين وكانوا قرون من فيه بالاموال والشفقات لقطع الطرقات على قوافل المسلمين فاشترقى الذين على السلطان ينزل هذا المال لاجناد المسلمين ويخرجهم الى الحصن ويهدمه ففعل ذلك كما سنذكره قال العماد ولما ودع السلطان أخاه ورجع اعطى طريقه على بلاد الفرنج وقصد الحصن الذي منه ورجع بالامراء وانفقنا ثم وختم السلطان بمرح السعراء ثم اتى الى باس وبلغت الختم ان حدود بلاد الكفر وأشرف عليهم لخب السيران المستعرة وكان كل يوم ركب بجعة الصيد وينزل على النهر ويجرد فرسان الجدا والفرير وبسر قبائل العرب الى بلد صيدا ويرتوت حتى يبعدوا غلات العدو ويخرج مكانه حتى يعودوا الى الجاهل واجالها موقفة باقائها حتى جف زرع الحنكفار قال وفي هذه السنة انتدى رأى الشرف ان رعبا الممير في كل ماحة خروا من اجتماعهم على جهة واحدة فقد رارس انفاكية وأعلى شذرو زردا لافض بطرابلس بجماعة من التركمان بعد الامان فرتب السلطان ابن أخيه تقي الدين عرقى بفرجاء ومعه خمس الدين ابن القدم وسين الدين على المشعوب ورتب ابن ٤٤ ناصر الدين في بصرجه في مقابل القمص وكتب السلطان الى أخيه العادل وهو نائبه بمصر ان يشعب له من عسكر مصر ألفا وخمسمائة فارس بقوى بهم مع عسكر الشام على العدو

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين ١٠٠٠) والسلطان نازل على تل القاضى باسنا فاجتمع اليه سبع بقية المسلمين على ان يقيموا على الكفاد يارهم ويستوعبوا ما يبق في أيديهم من الغلات في يوم واحد ثم رجعوا فحاولوا صوب البقاع فمضوا تلك الليلة وهي ليلة الأحد نالى المحرم فلما أصبح السلطان جاء الخبر ان الفرنج قد خرجت فالتفاهم وأزل الله نصره على المسلمين وأمر فرسانهم ومجناهم وانهمزمت رجالتهم في أول اللقاء فكان من جملة الاسرى مقدمت الداوية ومقدم الاستبارية وصاحب طبرية وأخو صاحب جبيل وابن القمصية وابن بارزان صاحب الرملة وصاحب جيبين وقسطلان ياقا وابن صاحب سريّة وعدة كثيرة من خيالة القندس وعكاس البروزية وغيرهم من المتقدمين الاكابر ما زاد على مائتين وثيف وسبعين سوى غيرهم ثم قدمت الاسارى وهم يهابون كأنهم سكارى قال العماد وأنا جالس يقرب السلطان استعرضهم بقلبي ومن الطاف الله تعالى بأخواراه الحاضر من لم يزعل على عشرين والامراء قد أافوا على سبعين وقد أنزل الله علينا السكينة ونصهم بالبلد المستكينة وطلع الصباح ورفع المصباح وفتا وصلينا بالوضوء الذي صليناه العشاء ثم عرض الباقي من الاسرا ثم تقاروا الى دمشق فاما ابن بارزان فانه بعد سنة ينزل في خضمة مائة وخمسين ألف دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين يحيى من نوبة الرملة هذهم من المأسورين فالترنم ادراكه وان يؤذى من قطعة المذكرة والفتاوية التي قررها فهاكاه وأما ابن

في اخبار (٩) الدولتين

القصية فانه استفكته أمه بحجة وخسین الفاسم الذنیر الصوري وأما أودمقدم الداويه فانه انتقل من محبته الى محبين فطلبت جيفة طخندوها باطلاق أسير من مئة ذی المؤمنین وطال أسر الباقين فتم من ذلك وهو عان ومنهم من خرج بقطيعة وأمان وهذه هي وقعة مرج عيون وكان العدد في عشرة آلاف مقاتل وانهم لم يتركهم يجرؤوا وكان لهم الدين فرخ شافي هذه الوقعة بلا حسن حتى حاصم الدين بميرك بن بونس وكان مع عز الدين هال كافي أقل من ثلاثين فارسا قد تقدمنا العسكر فشا هذا خيل الفرخ في سفينة فارس وأفغين على جبل وبيننا وبينهم الماعشار عز الدين بان نصر النهر اليهم فقتلوا وحقنا عكر السلطان فهزمناهم ومن أحسن ما اتفق انه في اليوم الذي كمرت فيه الفرخ مع حرميون نظرا لاسطول المصري بدشة كبيره فاستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى النهر مستعجبا ألفرأس من السبي فأقرب ما بين النصرين في المصرين وما أعلب غلاب الفنتين وبجهرهما الامرين الا من ين التقدم النصر وتساوى فيه للبر والبحر وما مدح به السلطان في هذا الفتح مدحة سيرها من مصر الى بحر الكاب أبو علي الحسين بن علي العراقي الجويني أولها

لا يرب السماء خير معين * وكفاه بما يقبضين
قله الحمد أي نصر عزيز * قد حباياه وقع مبين
أدرك النارجين نازله المقـ * ولرحيف الكفار ليت العرب
المام الفضنفر الملك النـ * صرمولى الورى صلاح الدين
بامليكا أنضى الزمان يتاجيـ * بلفظ المذلل المسكين
قد فت أهازل الحصون الى بـ * سلك حتى عوضتهم بالسجون
وأراهم رب السماء بـ * فك ما لم يجل لهم في ظنون
لأن قلب عند اللقاء مكين * وله من لقاء ألف كمين
بامليكا باقى الحروب يحول الله مستعصما وصدق اليقين
ان هذا الفتح المبين شفاء * لصدور وقرور لعيون
هو يوم أدبى كيوم حنين * سهل الله نصره في الخزون

قال العماد وكان تقي الدين غائب عن هذه الوقعة راى تغل عنها بغيرها وذلك ان سلطان الروم قلع ارسلا ن طلب حصن دعيان وادعى انه من يلاذه واعا اذ علمته نور الدين رحمه الله على خلاف مراده وان الملك الصالح ولده قد انهم به عليه ورضى يعود له اليه فلم يفعل السلطان وكن هذا الحصن مع ابن المقدم فارس قلع ارسلا ن عسكر الجمعا في عشرين ألفا اصاب الحصن فلقبهم تقي الدين ومعه سيف الدين على المشطوب في ألف مقاتل فهزمهم هال ولم يزل تقي الدين يدل به هذه النصره فانه هزمه بأحد ألوهيا وأرغمه بأعدا دمس الاعدا أنقذا وقال ابن أبى طى واتصل بالسلطان ان قلع ارسلا ن قطع طمع في أخذ دعيان وكسبون لما دخل دمشق وصله رسوله بظلمه ما منه ويدعى ان نور الدين ابن زنگى اغتصبه ما منه وان الملك الصالح قد أنم عليه بما غا غناظ السلطان وزجر الرسول وتوعد صاحبها فساد الرسول وانخر قلع ارسلا ن فغضب وسير عسكر الى رعبان فحاصرها وجمع السلطان فندب تقي الدين في ثمانمائة فارس فدار فخانها رعبان رعبان أخذ معه جماعة من أصحابه مقدرا مائتي فارس وتقدم عسكره وسار حتى أشرى على عسكر قلع ارسلا ن لئلا قرأهم قد استوا العسا ودم هازون آسنون وادعون فقال تقي الدين لأصحابه هؤلاء على مازون من الطمانينة والامس والغفلة وقد رأيت ان نجل الساعة فيهم بعد ان تفرق في جوانب عسكرهم ونعم فيهم فلم يأتيتون لنا فاجابوه الى ذلك فأنفذ واحد من أصحابه الى باقى عسكرهم امرهم ان يتفرقوا اطلاقا وان يجعل في كل طاب قطعة من الكوسات والبوقات فاذا سمعوا الضجة ضربوا كوساتهم وبوقاتهم وجدوا في البر حتى بلغ قرباه ففعلوا لما أمرهم ثم انه حل في عسكر قلع ارسلا ن وصرخ لأصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قلع ارسلا ن ثلاثة آلاف فارس فاجموا الضجة وحس الكد مات البوقات وشد موقع حوافر الخيل وجلبت الرجال واسطكا كالجرام الحديد هالهم دلاء وغطوا ان قد فرحتوا بما أعظم فلم يكن لهم الا ان جالوا في كواب خيلهم

كتاب (١٠) الروضتين

عربا وطلبا والعامة وأخذتهم بالسيف فتركوا أخياهم وأتاعلم بها لها وأكثرت في الدين بهم القتل والامر وحصل على جميع ماركوه فلما أصبح جمع الناس وروين ومن عليهم بأموالهم وكرامتهم ورحمهم إلى بلادهم قال وقيل إن الخبر بهذه الكثرة وصل إلى السلطان في اليوم الذي كسره في السلطان الفريخ على مرج عيون فتوافقت البشارتان إلى البلاد قال وقد مدح ابن التعاويذي السلطان الملك الناصر بقصيدة أنفذها إليه من بغداد ذكر فيها واقعة مرج عيون بقول فيها

كاد ألا عادي أن يصدك كيدها * لولم تكدك رأيها الأفسس
فخفي عداوتها ورايتها * فتشف عن نظرها مشفون
دفنت حباتل مكرها فردتها * تدرى بفيض صورها المدفون
وعلمت ما أخفوا كأن قلوبهم * أفضت إليك بسرها الخزون
كنوا وكنيتهم من كين معادة * في الغيب تظهر من وراء كين
فهو تجموع سعدهم وقضى لهم * بالنفس طائرهم بمرح عيون
قلت هكذا أنشدته وهو حسن وقد كسفته في نسخة من ديوان ابن التعاويذي فوجدت آخر هذا البيت
(طائر جديك الميرون) وأول هذه القصيدة
إن كان دينك في الصبا به ديني * فقف المطى برملتي برين

ثم قال بعد تمام القول

ليت الفئتين على المحب يوصله * لقى العماحة من صلاح الدين
ملك إذا عقلت بدنيا مامه * علق بجبل في الحفاظ طين
وإذا لجياده عاقلًا وان كنتي * بمعاقل من رأيه وحصون
سهرت جفون عدا خيفة ما جد * خلقت صوارمه بغير جفون
لوان ليت المفسز رسدنا لم * ليحالي غاب له وعشرين
أضحت دمشق وقد حلت بجوها * مأوى الطريد وموئل المسكين
لك عفة في قدرة وتواضع * في عسرة وشراة في لين
وأرنتنا بجبل صنعك ماروي * راوون عن أم خلعت وقرون
وضمنت أن يحيي أسا إياهم * بالمكر مات فكنت خير دين

قال ابن أبي طي تزل السلطان على قل القاصي بأساس على المرج الذي يعرف مرج عيون وأنقل في نافي المحرم قطعة من عسكر مع عز الدين فرخ خاتم من الفلوة على بلاد الفريخ فلما أصبح كتب ينفذ أخبار فرخ خاتم فإذ بالان خرج من الخيم حتى رأى اغنام باباس قد أتت من المراعي حاجة على وجوهها من الغياض والأودية فقال هذه غارة قاصر بلبس السلاح والاستعداد للحرب فوصل بعض الرعاة فأخبر ابن الفريخ فبعثه عبرا ووصاروا قربانهم على هيئة المتقطعة فسار حتى أشرف على الفريخ فاذا هم في الفريخ فأخذهم السيوف والدايات حتى قرشت الأرض منهم ولقي جماعة منهم سلاحهم وسلموا أنتمهم أسارى وبجملتهم الفريخ هنفري هاروا ويقال أنه وقع به فرسه فمعه أحد خيالاته على ظهره ثم رجع السلطان إلى معسكره وسيفه قطر دماؤا لس لا شعر اض الأسارى فذكر نحو ما سبق وفي كتاب الفاضل إلى صاحب بكة وقدمت بقية قصته قال (وجرت فوب منها قتل الهنفي لعنه الله وتقام سبعين فارسا من كبار الخيلة وطرح ملك العريخ من على ظهر دابته وقامه بأخرق مع بقية من بخام خيالاته ومنها نوبة وادى الحريق وقد جمع الله العاد وفارسه وراجه ومنها نصر الله الذي ما كان قبلها من ملوك الأرض قتل ابن بارزان ومقدم الدوايه وابن صاحب شعيريه وأخواتق صور وصاحب جبل وأصحاب الحصون والقلاع ومقطعو الأقاليم والضبايع وحصل تحت اليد الناصرية أعلاها الله مائة وسون كاهم حتى عليهم الحناصر وتقطر بهم الصاكر ومنها دخول العساكر إلى عمل يمرور وصور وغارتها على غر من أهيا وقطع كل شجرة مفر من أصلها قال

وكانت الاساطيل المتصورة قد تضاعفت عدتها الى أن بلغت ستين سفينة وعشرين مربية فصار الشواقي خاصة قد دخلت البلاد الرومية ودخلت الدواخل الفرجية وأسرت ألف عجمي حضر بهم أسرى في قيد الاسار وقتلت الرفاق الكبار وغنمت من هذا الغزوة أموالاً كانت أعينهم لا تعرف عين النهرهم ولا وجه الدنبار

(فصل ١٠) في تخريب حصن بيت الاثران وذلك في شهر ربيع الأول قال الامراء جمع السلطان جوعاً كثيرة من الخيالة والرجال فوصل الى الخاضعة يوم السبت التاسع عشر النهر والحصن يعني دونه من الغرب فجم منها بالاقرب وضاق ذلك المرجع عن العسكر واحتاج الى نصب حشائر لاجل المتخفيات فركب السلطان بكراً لحداد في ضلع صفد وكانت قلعة صفد يومئذ بالدواب وهو عشر البلية وأمر بقطع كرومها وحل أخشابها فأخذ كل ما احتاج اليه ورجع بعد الظهر وزحفوا الى الحصن بعد العصر فأمرهم المساء الا وهم قد ادخلوا على البانورة واتتقوا بكتيتهم اليها وابتوا دواول الليل يرسون وخافوا ان يقع الفرع الابواب ويغري عليهم على غرة وإذا بالفرنج قد أوقدوا خلف كل باب ناراً لئلا يرام المسلمين اغتراراً فأما من الاسار وما في الاقب البرج ففرقه السلطان على الامراء فأخذ فرخاء الجانب القبلي وأخذ السلطان الجانب الخلفي الى قصد ناصر الدين بن شير كوه بمقربها وملك في ايدى وكل كبير في الدولة جعل له قسماً وكان البرج يحكم اليه فضع بقبه لخمسة ايام حتى يوم الاحد الا وقد تمقب السلطان وعلق وحشي بالمطبخ ليلة الاثنين وحرق وكان القب في طول ثلاثين ذراعاً في عرض ثلث اذرع وكان عرض السور سبع اذرع فأتوا بذلك فأحساج السلطان صبيحة يوم الاثنين الى اطفاء الانيران ليتم قبته وها من جابقرية ما فله دينار قال العاد فرأيت الناس يتقرب حاملين ولاوعية الماء فاقبلن حتى اغرقوا تلك الثقوب فعمدت فسادها وها وقد برت فخرته وغمقه وقصوه وبقوه وشقوا حجره وقلعه ثم حشوه وعلقوه واستنزهوا فيه يوم الثلاثاء والاربعاء ثم أحرقوه واشتد الحرق عليه لان الخشب تأهم بان الفرنج قد اجتمعوا يدبر به في جمع كبير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الاول وتعالى النيران فقبض الجدار وتباشرت الابواب وسكان الفرنج تدرجوا وراموا ذلك الواقع حذبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فرددت النار عليهم وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم فاجتمعوا الى الجانب اليمين الذي تروا دواول الامان فأتوا من النيران ودخل الناس وقتلوا وأسروا وغنوا ما له ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الاسلحة وشيئا كثيراً من الاقوات وغيره وهاجى بالاسارى الى السلطان فمن كان من تداءر اسياضت عقه وأكثرت أسرى قتله في الطريق الغزاة المذبذبة وكان عدداً اسارى نحو سبعة ايام وخلص من الاسرا أكثر من مائة مسلم وسير باقي الاسارى الى دمشق وأقام السلطان في منزله حتى هدوا الحصن الى الاساس وطم جيب ما معين كذا خروفي وسطه ورمى فيه القتلى وكان عدداً السلطان رسول القمص معالي وهو شاهد ببلية أهل ملته وقد زين السلطان بدل لهم في هدمه ستين ألف دينار فقبلوا فخر ادهم حتى بلغ مائة ألف فأبوا وكان مذبذبا على الحصن في أيام فقهو بعدها أربعة عشر يوماً وبعد ذلك سار السلطان الى اعمال طبرية وصور وريوت وغيرها فأغار عليها وأرجف ثلويهم بوصولها اليها ورجع السلطان الى دمشق يوم الاربعاء ومرض جماعة من ذلك الوباء لان المراكب شديدة أو أشتت جيب القتلى وطول السلطان للمقام عليه بعد فقهه لاجل تقيم هدمه فتوفي أكثر من عشرة أمراً وعاد المتهمل بالقبول كما كان مزورا وتكبير المسلمين وسلاطهم معزوا وهذا الشراء السلطان بفتح هذا الحصن في ذلك ما أنشده نشوا الدولة أحد نفاة الدمشقي من جهة مدائحه

هلاك الفرنج اتي عاجلاً * وقد أن تكسير طيلما

ولولم يكن قد دنا خفها * لما عسرت بيت اجزائها

ولابي الحسن علي بن محمد بن رستم الساعدي القراساني ثم الدمشقي من قصيدة أولها

يحيى لك اعطاف القناصت * وطرف الاعادي دون مجلدك يطرف

شهاب هدى في ظلة الشك ثاقب * وسيف هدى في طاعة الله مرخف

وقفت على حصن الخاضع ولته * لموقف حقيق لا يوازيه موقف

فليس دوجه الارض بل حال دونه * رجال كاساد النهر وهى زحف

كتاب (١٢) الروضتين

وجدها سهوب ودرع مضاعف * وأرضه منى ولبن مقف
ومارحت أعلامك الصفر ساحة * إلى أن غلبنا بكادها السود ترجف
كجلمن أعاليه صليب وبيعة * وسأله دين حنيف ومصف
صليبة عباد الصليب * ومنزل الأسزال لقد غادرته وهو مصف
أسكن أوطان التبيين هبة * تحمين لدى إيمانها وهي تحلف
نصحتكم والدين في النصع واجب * دروايت يعقوب قلعها يوسف

ومن قصيدة لسعادة الصرير المحصي

حلفت فكنا لالامى المستدا * وسرنا فكانت الثمري المؤدا
وقفت بأعياء الجبال، بادضا * فأعدت أعداء ولم تنش مقدا
تعدت ضرب السيف والطعن بالقنا * وكل امرئ مغري بما قد تعوا
فصرت الهدى لما تنقادل حربه * فنادى الحزب الله يا ناصر الهدى
غصبت لدين أنت حقاص لاهه * فأرمدت لما ان غصبت حمدا
فيا يوسف الخسيرة الذي في بيمه * من المير ما قد غار فينا وأنجدنا
وصلت لدى سلم وصلت لدى ونى * فصمت جميع الناس بالأس والندى
وقلت إلى الأعداء جيشا عرمرها * إذا أرقت فيه الصور أم أرعدا
فلم تبق الطغيان ثملا مجمعا * ولم تبق إلايمان «علاء» بددا
فناهيك من جيش نهضت ببيته * فأخذت لما ان نهضت به العدى
حلفت ذبا لا في ذوابل سرى * فلما دحى ليل الجحاح توعدا
وزورنه الحص الذي لم تهت * فوارسه بانهم أوردته الردى
فصمت به صلب العليب ووعته * وشهدته لما عفا قنهدا
هيبت إليه هيب قيسوية * تعيدها كل ما كان جمدا
وفتر بما قد فضضهم من سهامه * نرا حسد نغرا المنرى وقددا

قال ومنهم الأمير نجم الدين محمود بن المحاصر بن بهار الأمر في من أهل الحلة المزدكية وكان حاضرا في نوبة ابن بارزان له
من قصيدة أولها

هنيئا صلاح الدين بالفتح والامر * ونيل الاماني التردد المسكة البكر
واخزت فيها من نثار ومن علا * وحس ثنائيني إلى آخر الدهر
سوت لما المشرقية والقنا * «وإلى» لا ينال عسى لم وزر
وصلت بها حبل المنابر مملا * قطعت بها يوم الوعى دار الكهر
سلكت رياض الصمم وهو صوارم * وخضت سواد الليل وهو دم يحمر
وقد عرف الاخرى بأسكن في الوعى * وجرعتهم منه أمر من الصبر
ونظروا بساء الحص من المالكهم * فأصبح بالعواء منتك السر
فما قبضت منهم دالتهم قطعت * أناملها الأعلى صفقة المنسر
هي الفتكة الغراء لا زلت فاقما * ما نالها في الدين في المرو والجهر
وأصبح في أعين خراسان ذكرها * وفي كل قلب منه جيش من الدهر
فلا ترض منهم بعدها بل طاعة * فما خلقوا الأعلى شبة القدر
فمرروا ملك الأرض التي لوزكها * لا غضت عينون المجد منها على أمر
فيا آل أيوب حوسم مناقبا * بالجمها اتصلوا على الانجم الزهر

اذعده أرباب القنار فأنتم * ذوو الفطلات القرو والنائل القمر
وأنت الذي أصبحت بالباس والتقى * وبذل الله على الساعط الزكر

من ذاك فاضلى الى بغداد في وصف الحصن (وقد عرض سائطه الى ان زاد على عشر أذرع وقطعت له عظام الحجارة
كل فصوص منها من سبع أذرع الى ساقية أو ما دونها وعدها تربع على عشرين ألف حجر لا يستقر الحجر في مكانه ولا
يحتل في بنيانه الا بربعة دنانير خارقة بها وفيها بين الحائطين خشون الحجارة الدوم المغم بها أنف الجبال ثم
يقبعلت سقفيته بالكلس الذي اذا دخلت قبضته بالحجر مازجه بمنزل جمعه وساجبه بأوتق وأصلب من حرمه
وأوعز الى خمسة من الحديد بان لا تعرض لخدمه) ومنه في وصف النار قال (وأت الناس في ليلة الجمعة مطيعين
بالحصن والنار به مطيعة وعليه مشقة وعديت ألسنتها على تاجه مسدلة ومن خافه مسبله ونارهم قد أطلقا هالقه
بذلك النار الواقد ومنعتهم قد أذهب الله بذلك الاربعة الساجدو بنهس الماء قد استحال جنانا والشق قد عم
الله فلم يمتص أصالا ولا اسحارا ونفحاتها حبيقة وقودها الناس والحجارة والمناذى يادى بسان مصابها يالك أعنى
فاسمى بجاره قوبلت النار والنج يصيق منها العكر ويجزع عنها الابر وقطعت النيام العيين الى الأثر وقال الكفر
انها لا حدى الكبر وذولف المل ان السعادة تلحظ الخجر وأغنى ضوءها سائل كل أمتة ان يسأل هذا هو هذا الخبر
وقدفت بشر كالجالال الصغر ورفرت بغيقة تعمره لحدود الجبال الصعر ونفقهها بالكسب الضر وبات للكيل
ولا هارزله وكما أمدده الجود جعل الوقوف به الى ان بدا الصباح ككاهنه منها امتار الانوار واشقى الشرق ومن
عمره هاصب الارار في خندق قدم الحاد فاطلع سدا لا يحجار من أسها وخمس روف البدين من طرسها وتبعه الجيش
ورماقه وكافس اسفل عليه نطاقة) وفي ذاك آخر (وكان منبعا على بل وفيه صهر يح المانع المليون الحصن وموافيه
ما يهاه أرف قنيل ودان محرة بالنار خاسدت عرضته ولا ملات حفرته وكان فيه نحو الف زبدية والمعاينة ثمانون
فار سا بعلمانهم وحده عشر معقة الرجال مع كل مقدم حسون رباله الى الصناع ساين ساه وسمار وحذا ونجار
ومسقبل وسوق وصناع أنواع الأسلحة وكان يدس أسرى الأمير ما يزيد على مائة رجل نزع القيد من أرجلهم
وحاجت في أرجل العريضة ونبت فيه أقواف له دمنين وأنواع النجوم الفنية والحديقة فيها بلاغ ومناخ الحي والاقوتل
أول يوم هم حوشه وفيه جماعة من المقابلة فضربت رجاهم وأحدث دواهم وفي الحال عادت النقب على خمس
ساعات وحديث المنيران وتأخر وقوع الجدران انظر عرض البنيان ولم تزل النار وقد ثم فخرج ثم شعل ثم فخذ
الان تمكنت النقب وحديث بالاحطاب وأطلقت فيها النيران في يوم الخميس فيومئذ وقعت الواقعة واشقت
الاربعة فبى يوم دواهم وملا المليون الحصن بحافيه ومرفيه واستطعت النيران في أرجائه وواحيه وكان
الاذاعية مقدم الحصن شاهدا محل بنيانه وساتزل من البلا بامحابه وأعوا له ولما وصلت النار الى جهته ألقى نفسه
في النار صار على حرها في الحال فقلته هدها الى تلك النار ولما أخذ أسارى الفرنج وهم عذبة يزيد على
س مائة بعد القبولين وما بقصر عذبتهم عن ملها توفرت الهمة على هدم هذا الحصن ونعمه أثره وإزالة ضرره
فالحمت أعاليه بقواعده وصاروا أربعين في سعادته عين هذا والفرنج مجتمعون في طهيته يشاهدون الامر عيانا
ويتزرون الى الحصن وقد ملئ نارا وارزق دنانا وسارت العساكر الى اعمال ميدان وبيروت وصور فانتفت صغيرة
فانتارت كل غامضه ووصلت الى كل ذخيرة وصارت بلاد الفرنج لا يسكن فيها الا قاعة أو مدية ولا يقم فيها الامر
نفسه ما نذ الخوف مضطقل في نفسه أو مشغوه) ومن كتاب آخر فاضلى عن السلطان الى وزير بغداد (تأخر فلان
لعدروا منها أمر اض كانت قد عتبت بها البلوى وكثرت بها الشكوى وكان أكثرها خاسا بالعائدين من العساكر
من قرية مع الحصن وكان خادما المجلس السامى ابن أخيه تقي الدين وان عمه ناصر الدين قد جهدا وأفطنا وبلغ
حدائس وامحنا وكذا يسقطان من ضمير المنيقن الله تعالى بالشفا وهذه البشري بهن الحصن وان كانت شرية
مواها غامة منافعها فقد تجددت بهداه بشارة طلعت بشارتها وجات في مكان الرديف لاخرى لا فرق بين
الان تلك سابقه وهذه لاحده وذلك ان الاسطول للمصرى غزا عزرة ثانية غير الاولى ونوجه عن السواد
الاسلامية من آخر من الله فيها متاعا أخرى وكانت عذته في هذه السنة قد أضفت وقوت واستفرغت فيها عرا

مكتاب (١٤) الرضتين

الجهاد واستقصيت واحتلت به الرجال الذين يعملون في البحر ويشكون في البر ومن هو معروف من المغاربة بفنز وبلاد الكفر فسلمت على سوارهم كائن الانها تفرق حرق السهام وروا كدهي مدائن الانها تفرق السحاب غير الجمام فلا أعجب من تنسي غرابا وتشر من ضلوعها أجنحة الخلم وتسمى جولري وكثير بحرهم من النصر بعلام فطرفت في الاحد احدى عشر جادى الاولى ميناعكا وهي قسطنطينية الفريج ودار كفرهم ابدلها الله من الكفر اسلاما وخام عنها الشرك الابلى وخلع عليها من التوحيد اعلاما وكنيت مغرسة فاصبحت مغترسة وباتت جميع الفريج محترسة وغدت مترسة فهاهى الان حذقت والجة على الميتا وفي المراكب والبضائع فاستوت على عذة من المراكب تحط ما وتكسيرا ونضاحا يقل ولوح كان ثيرا واخلفت ساحل أنف فنج بقاها واثرت غسل الماء بنزولها وترها وهذا عالم بعد من الاسطول الاسلاى مثله في سالف الدهر لاني حالة قوة اسلام ولا ضعف كفر وعاسيله ان تتر السير الكربة بفخره كما تتر زافنة الصهيفة الشريفة بجاهه وقتل على قلعة عكا ثلاثة نفر بالسم السهام أبعد ما كانوا وقفاوعنها وأمن ما كانوا منها فصرتهم الايدي والافواه وتروا سجدوا على الجباه سجودا لا يرضون منه الرؤس ولا ينتقلون منه الى حالة الجوس ولا يرفع فجارهم من عمل ولا لهم فيه من قبلة ولا لهم به من قبل وأقامت المراكب يومين ثقلها وقطعتها وتناضها

(فصل) في باقي حوائج هذه السنة منها حجة الفاضل الثانية ووفاته الخليفة المستنصر بالله وغير ذلك قال العماد في العشر الاخير من شوال سنة خمس وسبعين خرج الفاضل من دمشق الى الحج ثم عاد الى مصر من مكة قلت وقفت على نسخة كتاب الفاضل الى الصفي بن القايتي يصف له ما لقي في طريقه الى مصر وركوب البحر وكانت جماله ذهبت بمكة في خامس عشر ذي الحجة فقال (خرجنا من مكة شرفها الله يوم الخامس والعشرين من ذي الحجة وفي هذا الملام زاد بسط المسدين واسراف المصرفين وظهر من هوان أمير الحاج العراقي ومن ضعفه وانخفاض جناحه ما أطعم المفسد وأشاف المصلح ووصلنا الى جدة يوم الاحد السابع والعشرين من ذي الحجة وركبنا البحر في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه وبثاقه مليتي الاربعاء والخميس وروى الريح الى جزر مالقرب من بلاد اليمن تسمى دباب وكنيت احدى اليلتين في البحر من ليلتي البلاء وبالله الله قسم لقسنا بعض رؤس أصحابنا في تلك الليلة وابسوا من الافة ونمنا معاجلة الامر وقصير العذاب وظنوا انهم أحبط بهم وتبوا أنفسهم ثم احبنا واعلمنا بالاقدار التي لاحد فيها وصبرنا الى ان فرج الله سبحانه ووزلنا البرية بحيث لا ماء شرب ولا جمل ركب وانفذنا الى البجاة انزالين على ساحل البحر فاحضروا جالا ضعيفا أجزئنا كثر من غناوش ما تفجده فركبناها ووصلنا الى عيذاب بعد عشرة أيام ونذركنا ضعفا وقبعا وجوعا وعطشا لان الملق كانوا كثيرا والراد سيرا وركبنا البرية من عيذاب الى اسوان فكانت أشقى من كل طريق سلكتها ومن كل مسافة قطعتها لا ما وردنا الماء في احدى عشر ليلة ثم تين وكانت الحمرة ماهرة في المزداد فكانت البلوى عظيمة في العطش فاما الخزون والوعور فهي تزد على ما في قرية الشام يكونها طريقتين جبليتين كالدرج المتضائق والزقاق المتقارب وحال النعم شديد وقريب الوعد بينهما بعيد ولطف الله الى ان وصلنا مصر في اربع عشر من صفر قلت ولوجي به بن الفزوي في الفاضل

لله الحمد والمنة * فمن شهد برضى الله وموم
نرى تاريخ الصوامم والتقا * وطورا ترى بين المظم وزنم
وكذلك يا عبد الرحيم ما ترى * لها في سماء النجى اشراق النجم
كانت لم تخلق لغير عبادة * واطهر فضل في الورى وتكرم

قال العماد وفي هذه السنة ظهر الملك العزيز أبو الفتح عثمان بن محمد الدين وكان أحب اولاد اليه وهو الذي قام بتدبير الملك محمد بن بصرى ثامن جادى الاولى سنة سبع وستين وخمسة مائة كما سبق ذكره وكان السلطان لما قدم الشام اذ شوقه اليه فاستقدمه فقدم عليه عاشر رجب سنة احدى وسبعين وأثناء العماد السلطان عند قدمه فقبل قدمها

في أخبار (١٥) الملكين

بأسد أبي عرين العلي * هتت جمع التمل بالشبل
عقلان ذى النورين بين الورى * من سود سام ومن فضل
يحكيك اندلما وبأسا فها * أشبه هذا الفرع بالاصل
مخائل الرش على بشره * شاهدة الفضل والثلل
ملك قضى الله له أنه * على ملوك الارض يستعلي
بالمكث الناصر سلطنتا * ملكت يد الاحسان والعذل

ثم لم يفارقه واستعجه الى مصر في سنة اثنتين وسبعين ثم عاد به معالي الشام في شوال سنة ثلاث وسبعين واقتذله معلما من مصر وهو نجم الدين يوسف بن الحسين الجاوي فحصل من محبته عز وافر واسعا لاسمائه في عام الطهور فانه هم فيه المرور والحبور وكان متوليا الانعاق في الطهور وصفي الدين بن القايض لانه كان متوليا الخزنة والديوان والاعمال بمشق فالوجيع يعني ابن القايض سنة أربع وسبعين وفيها حج الفاضل من مصر يعني حجته الاولى وعاد الى الشام وهو مع ابن العايض قلت فلما رجعا معا في حجة الفاضل الاولى الى الشام ثم انفرد الفاضل بالحج فانابا من العام المقبل وهو سنة خمس وسبعين وتم له في رجوعه ما تم كاتبه بالكاتب الذي سبق ذكره يصفه لما لقي في رجوعه وكانت حجة الفاضل الاولى من مصر ورجع الى الشام وكانت الثانية من الشام ورجع الى مصر وفي هذه السنة توفي الملك المنصور وحسن ابن السلطان صلاح الدين وتبره القبر القليل من القبور الاربعة بالقبعة التي فيها ساهن شاه بن أبو بياحمة العجمية بالعوية ظاهر دمشق قال العماد وفيها خرجوا الى بعلبك لتسليمها الى عز الدين فرخشاه فسلمها بطريق الرواديف وهي طريق شاقة وفيها أغار عز الدين على صفد ثامن عشر ذي القعدة وكان قد جمع لهم من رجال باباس وما حولها ورجع غاما سالما قال وفي مستهل ذي القعدة أو ما به توفي بغداد الملقبة الامام المستضي بالله أمير المؤمنين واستخلف ولده الناصر لدين الله أبو العباس أجدو وكان رسول السلطان صياه الدين الشهرزوري حاضر الحضر وبابع وأخير بحيلة الحمال فبادر السلطان الى الخطبة له في جميع البلاد ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل من بغداد رسولا الى بلوان وأزمع حتى خطب بهمدان وأصفهان وعت الدعوة المحمدية في جميع بلاد خراسان ثم لما رجع شيخ الشيوخ خبا اليه ناسروا في سنة ست وسبعين وأخذته السلطان معه الى مصر ووجع منها ركب البحر كما ساقى ذكره ولما عاد في مدح الامام الناصر قصائد منها قصيدة باقية مدحها به سنة فتح القدس وسياق منها يأتي عند ذكر فقهه ومنها

الدهر بضرني مادام ينسبني * لخدمة الناصر المنصور نساب
بطاعة الناصر بن المستضي * أبي العباس أحمد للآيام اصحاب

وبال محمد بن القادسي في تدليل تاريخ أبي الفرج بن الجوزي مولد المستضي * ثالث عشر شعبان من سنة ست وثلاثين وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وواحد وعشرين يوما وربع تسع ربع الاخر سنة وستين وكان كرماء رحوما بارا بالعبادة يعفون الجرائم الكبار عدا لا تضر يوم مياة من رذال المظالم والاملاك المقبوضة والا فراسع المحبون واسقاط العزائم والمكوس ماشاع واشهر فالقوة تمد الى شيخ الشيوخ عبد الرحيم والي عبد الرحمن بن الجوزي فضيا عليه ثم تابع الناصر أخوه الأمير أود هور هاشم ثم ثوابا معنوا خاصة ثم الولاية وأرباب المناصب والاعيان والوافدون للجمع من بلاد خراسان وغيرهم وكان والده المستضي قد عهد اليه قبل وفاته بسيرم واحد قلت كذا نقلته من خطه وأعله أربابا بسيرم واحد فسبق به قوله فان ابن الديلمي ذكر انه خطب للناصر بولاية العهد يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال ثم قال ابن القادسي وفي سابع ذي القعدة قبض على صاحب الخزن ظهر الدين أبي بكر بن العطار ووكله به وفتبع أصحابه ومن يتعلق به وقتل الشقيب مسعود الذي كان يبره يديه وكان أحد الاعوان بساب النوى قد نزعت الرحمة من قلبه قطع قطعاً وشذ في روجه حبل وسحبته العامة في النروب ثم أقرقوه بعد ذلك قال وفي حادي عشره حمل ابن العطار ميتا وعليه العامة فخرجوا ثابته بالآجر فاقاموا الجالون وهرنوا فأخذته العامة وشذ في روجه سر يذا وسحب في جميع بغداد ومناقصها وودرو بها ومحاها

وقطع له قطعاً مالاً وتوجه شيخ الشيوخ أبو القاسم عبد الرحيم إلى البهلوان بن ابلكر شخصته هذان لاجل الخطبة فتوقف عن ذلك فهاجت العامة عليه ووثب أهل المذكور وخطبوا وجاءه كاب شيخ الشيوخ إلى الديوان سطرها فلان والحال في الجنوح لكفة فوج من قرأ السورة عرف الصورة قال وفي هذا السنة استأذنته لعلهم يأتوا به فغداً وغيرهما من البلاد وذكرا بنو جلابوا ط ذبح مناته وأكلها وآخر قربطن مسي وأخذ كبده وشواها وأكلها حال وفي ربيع عشر ربيع الآخر زلزلت الأرض بعد العتمة فوق بلاد لويل فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال فتصادمت ووقع منها الحجار وتوسطت قلاع كثيرة وهلكت قرى من فيها وكان يكون بين الجبل والجبل عشرون ذراعاً فقد هدم الزلزلة قيتصادمان وبعودان إلى مكانهما قال ابن أبي طي وفيها أحرقت الأسماعية أم واق حلب واقترأ عليها بذلك وكانت إحدى الجوائح التي أصابت حلب وأهلها حال وفيها خرج قراقوش التقوي إلى طرابلس المغرب ففتح بلاد أوصلى حروباً مع إبراهيم السلطان وأخذ يدخل بلاد المغرب أيضاً من أصحاب بني الدين لأن نفسه أدامته أن يفعل فعل قراقوش في ذلك البلاد ثم أصلى بينها

ثم دخلت سنة ست وسبعين في تعيين أوقاف الحفاظ أبو طاهر السلفي رحمه الله بالامكندرية وقدرت قبره بها داخل الباب الأخضر حال العباد وفيها مدن السلطان صلاح الدين الفرنج وتوجه إلى بلاد الروم فاصح بين نور محمد بن قرا ارسلان بن داود بن أرتق صاحب حصن كيشا وبين زوج أخته السلطان عز الدين طغ ارسلان بن مسعود بن قليم ارسلان واجتمعوا على نهر يقال له كوك سو وكثرت ثم الهدايا والدعوات والأفراح وأعيان وفيها دخل السلطان بلاد الأرض لقمع ملكهم ابن لاون لأنه كان استمال قيساً من التتر كان حقي رعوا في إحدى بلادهم بالامان ثم صعبهم بقدره وصلوا بأمرهم في أسره فدخل السلطان بلاده وأذل أعوانه وأجذاه ونصر الله المسلمين بالعرب بأحرق من الخوف قلعة شامحة تعرف بالمتانير وبأد المصانير إلى إخراج ما فيها من الآلات والعتلات فتقروا بها وبمواهمدها إلى الأساس قال ابن أبي طي ووجد المسلمون في أرضها صهر يحملوا آلات نحاس وقضه ذهب لها من طوبل قال وبذل للسلطان جملة من المال وأنه يطلق من عندهم الأسارى فلم يرض السلطان ما به من مزايا المال ولنه يستري تخميناته أسير من بلاد الفرنج وبسعة هم فاجاب السلطان وأخذ منهم رهينة على ذلك حال العباد وأدهس الارمني ودل وأطلق ما به من الأسارى ورجع السلطان مؤيداً منصوراً ووصل إلى حماة في أواخر جمادى الآخرة وكان الجبال الواسطة أبو غالب محمد بن سلطان بن الخطاب المقرئ شاهد هذه الفزاة فظن قصيدته في السلطان منها

لقد جعل الله منك الوري * بأوفي مليك وفي هيمان
تهش إلى تهمته السيو * في الهام لا تغتات القيان
أزوت ابن لاون لا واه * فاضى به خير لمن عيان
ودل من الدل لا يرعى * حدابر من الرعات اللدان
فلا أقدم عنده قتبا * ت وليس له بسدا كبدان
وأحلى اليك مناتره * وعادر لاهم ذلك الميان
وأرسل بالأسراء هنا * فيسأل طلاقه فهو عاني
رقت بعد زمك والمكرما * تة وفام الارتقي الميان
ورعت ابن سلجوق في ملكه * فنضع من رجه بالشان
قال ولما وصل السلطان إلى حصن ونخيم بالعاصي أتاه التقيمه مذهب الدين عبيد الله بن أحمد الموصلي وأنشده وله في السلطان مدائح منها قصيدة غفر الله لها

أما وجفونك المرضي الصالح * وسكة مقلتك وأنت صاحي
لقد أصبحت في العشاق فردا * كما أصبحت فردا في الملاح
يوزن القمصن فوق نقي ويرفو * بمجد ظلي ويسم عن افاح
وقد غرس القصب على كنب * فأمر بالظلام وبالصباح

في أخبار (١٧) الدولتين

وما لمع الوشاة ولا يحجب * نفس ان يميل مع الرياح
قطعتا الليل في عتب وشكوى * الى ان قيل حتى على الفلاح
ولا ح الصبح يمضي في سناه * صلاح الدين يوسف ذا الصلاح
ولما ضاق حصد عن مداه * لفينا به يا مال فمناح
فن حرم وكعب وابن سعدى * رعاء النساء والنعم المراح
جواد بالبسلاد وما حوته * اذا جادوا بالبيان اللقاح
ليفتحيه وجهك كل وجه * اداسئل الندى جهم وراح
ملوك جلهم مفري بظلم * ومشغول بلهو أو مزراح
اذا ما جالت الأبطال ولي * ويقدم نحو منلة الوشاح
وبين بسين مالك يتسال * ومالك رق املاك النواحي
هم جمعوا وفد فرقة لكن * بجعت به الرجال مع السلاح
وما خضع الفرغ ليد حتى * رأوا ما لا يطاق من الكفاح
وما سألوك عقد الصلح ودا * ولكن خوف ملة رباح
ملا ت يلا دهم سهلا وزنا * أسودا تحت غابات الزماح

وقال ابن شداد لما عاد السلطان بعد الكسرة يعني كسرة الرملة الى الديار المصرية وأقام بها رحلًا ثم الناس شعهم وعلم قنيط الشام عزم على العودة اليه وكان عودًا لفرقة فوصله رسل قلع أرسلان لمخبرين منه الموافقة ويستقيت اليه من الأرمن فاحتمل نحو بلاد بلان لاون لثمرة قلع أرسلان عليه ونزل بقرا احصار وأخذ عسكر حلب في خدمته لانه كان قد اشترط في الصلح ذلك واجتمعوا على نهر الازرق بين حسني وحسن منصور وعبرته الى النهر الاسود طرف فلادان لاون فأخذ منهم حصنا وأخبره وبذلوا له أسارى والنساء ومنه الصلح وعاد عنهم ثم أرسله قلع أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم واستقر الصلح في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين ودخل في الصلح قلع أرسلان والموافقة واهل ديار بكر وكان ذلك على نهر شبيحة وهو نهري يري الى الفرات وسار السلطان نحو دمشق

(فصل ١٠) في وفاة صاحب الموصل حال الامداد وفي أوائل هذه السنة توفي صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن زكي صاحب الموصل والسلطان مخيم على كركوك من حدود بلاد الروم وجلس مكانه أخوه عز الدين مسعود ابن مودود ووجاه رسول مجاهد الدين فاجاز وهو الشيخ الفقيه نحر الدين أبو شعباغ ابن الدهان البغدادي الى السلطان وطلب منه ان يكون معه كما كان مع أخيه من ايام صوج والرها والزقوة ويزان والحباير ونصيب في يده فلم يفعل السلطان وقد كانت له باطلاق الخليفة وما جعله اني يد سيف الدين غازي بالشفاقة على شرط انه يقوى السلطان بالصاكر فلما مات سيف الدين كتب السلطان الى الخليفة التماسه بعله بذلك وان هذه البلاد تزل تتقوى بها ثمر الشام فقوضت الرملة وأرادوا ان الكاين الى صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ من انشاء الامدادية (فد عرف اختصاصا من الطاعة والعبودية للدار العزلة المملوكية بما لم يمتص به أحد وامنت اليد منا في اقامة الدعوة الحادية بمصر واليمن والمغرب بما لم يمتد الى اليد وأزلنا من الاقاليم الثلاثة أدعيا وخلفناهم لردا حيث دعوا بلسان القولية خلفا ولا حفاء ان مصر اقليم عظيم وبذلك كرم بقيت مائتين وخمسين سنة مصعبه وعانت كل هضبه وعانيت حكل عظيمه حتى اتقها الله عز وجل شامن عبيد بن عبيد وألقها بطلقات أعنتها اليها من هناء كل قيد وفيها شيعية القوم وهم غير ما موى الشر الى اليوم وطوا قضا اقليم الروم والفرنج من البر والبحر بما لم يطقه في حقها ان يتوفر عسكرها فلو حصل واليها بالله بها قتل لا عضل رقة واتسع على الرفع خرقه واحتجنا في حفظ بلاد الشام وتصور الاسلام الى استعصا العسكر المصري اليها ولعمدة خمس سنين في كارهها منتقمين كلفها فحملا لما شاقها على غلاء اسعولها وانما أوحى الى فلان ان بلاد هذا التفرقت فاعلمت منه وعساكرها اخذت منه وكانت في تولى نور الدين رحمه الله ثم ذكرها كما سبق فوضعت اليه كما سباني وقال ابن الاثير توفي

كتاب (١٨) الروضتين

سيف الدين يوم الاحد ثالث صفر سنة ثمان وسبعين وكان من رضى السل وطالبه قال ومن الجاهل ان الناس لما
 خرجوا يستقون بالموصل سنة ثمان وسبعين لظلم المحدث في البلاد خرج سيف الدين في موكبه فثار الناس
 وقصدوا مستغنييه بطليوانه ان يامر بالتمنع من بيع الخمر فاجلبهم الى ذلك فدخلوا الى البلد وقصدوا مساكن
 التجارين وخرقوا ابراسهم وها وأرقوا الخمر وكرموا الاواني وعلموا لا يجبل فاستقن اعيان الدور الى نواب
 السلطان وخصوا بكثري رجلا من الصالحين يقال له ابو الفرج الذي قال له الذى فعله الناس من التنب
 فعل انما هو اراق الخمر ولما رأى فعل العامة نهاهم قلبه بموامنه فملكى احضر القلعة وضرب على رأسه فسقطت
 عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الرأس فارادوا قطع يده بموامنه ففعل وقال والله لا غنيته حتى
 يتنقم الله من ظلمتي فلم يرض غير قليل حتى توفي الفزداد والمباشر لا اذا تم تعقيبهم من سيف الدين ودمهم من رضى الى
 ان توفي وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وشهورا وكان من احسن الناس صورة تام القامة طلع
 الشمايل ايضا اللون مستدير الوجه متوسط البدن من الحسن والصدق وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب
 واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه منى من الاسباب التي تنافي العفة وكان غيورا شديد القبر لم يترك احد من الخدم
 يدخل دور نسائه اذا اكبرا عند دخل عليهن الخدم الصغار وكان لا يحب مفك الدعاء ولا احطال الاموال مع منع فيه قال
 ولما استقدم رضى اراد ان يعهد بالملك لولده معز الدين فغير شاه تخاف من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان
 قد تمكن بالشام وقوت شوكره وامتنع أخوه عز الدين من الادعاء والاحياء الى ذلك فاستأمر الامراء بالكر ومجاهد
 الدين فاجاز بان يجعل الملك بعده في اخيه لما هو عليه من كبر الس والنجاعة والعمل وقرب النفس وحسن سيااسة
 الملك وان يعطى ابيه بعض البلاد ويكون من جمعهم الى ٤ هم معز الدين يئتي لهما ذلك ففعل ذلك وحلف الناس
 لانه فلتا توفي سيف الدين كان مجاهد الدين هو الملك فادولت واثاب فيها والمرجع الى قوله ورأيه فركب الى
 الخدمة الغزية وعزم امره الى دار الملكة راجلا فدخلها وجلس للعرز وكانت الرعية ضافة نيل ان بك ذلك لادامه
 ورحمته وحذقه كانت فيه وكان لا يفت الى أخيه سيف الدين اذا اراد امر فالحا الى تقيرت اخلاقه وصار رفيقا
 بالرعية محسنا اليهم قريب سامعهم قال ابن شداد وفي عاشر المحرم سنة ثمان وسبعين بل الملك الصالح بن نور الدين
 عسبان غرس الدين قلع بطل خلدها خرج اليه العسكر ثم بلغه وفات ابن عمه صاحب الموصل ثالث صفر

فصل في وفاة شمس الدولة بن ايوب اخي السلطان الاكبر وقدوم رسل الديوان بالتوقيع الى السلطان
 فيما طلبه قال ابن طي كان السلطان قد انفضا فانه سمى الدولة الى الاسكندرية وجعل اليه ولايتها فلما حصل اليه
 توافقه وكان يعتاده القوت في ذلك بهود في قصر الاسكندرية وكان أحد الاجل الكرماء لا فرلا شجاعا بلا
 عظيم الجدية كبير النفس واسع الصدر عسافيه ول ابن سعدان الحلبي من قصيدة

هو الملك ان تمنع بكرى وقمصر * فانه في الجود والبأس عبده
 وحاتم من يقاس بمناله * فخذلما رأياه ودع ماوريناه
 وقد بذراه مسجيرا فانه * يصيرك من جور الزمان وعدواه
 فلانعمل للمهاجرين * اذا غلبت جورا خائب جدواه
 ويرسل كفيهم بما اشق بهما * فليمن بمناه وللمر يسراه

وقال العماد وفيه في المحرم توفي بغير الاسكندرية ثور انشاء أخوه صلاح الدين ووصل الخبر بذلك الى السلطان وهو
 نازل بظاهر حمص فخرن عليه عزنا شديدا وجعل يكثر انسابات المراتي وكان ذاب الجاهلية من حقه وكان صلاح
 الدين لما ملك مصر أرسله الى اليمن فاركها ثم امتناب فيها وقدم الشام متحادى وحين فتموصل تياجانه كتاب
 وفيه آيات لشاعر من المتبحرين

فهل لاني بل مالكي علم اتى * اليه من طلال التردد راجع
 وانى يوم واحد من لقائه * للكي على عظم المنة بائع
 وليني الا من عشر من ليله * ونجني الى ابصارنا والمسامع

في أخبار (١٩) الدولتين

لدى ملك تمنو الملوك اذا بدا * وتخشع أعظام الله وهو خاشع
كنيت واشواقى اليك ببعضها * تملأت التوح الحمام السواجم
وما الملك الا راحة انت زندها * تقم على الدنيا فخص الاصابع

قلت وقبره ران شاء الا ن بالثمة الحسامية بالعبودية ناهرد شق نقتله اليها انتة ست السام بت أوبوب بنت القبر
عليه وعلى زوجها ناصر الدين محمد بن شير كوه وهوابن عمها وعلى قبرها وقبر ابنا حسام الدين بن لايجين وسأقي
ذكره واليه تنسب التربة فهي ثلاثة قبور للقبين لنور ان شاء والاوسط لابن شير كوه والناهي لست السام وابنها
رحمهم الله قال العماد وفيه في حرجب وصلت برسل الديوان العزيز الناصري صدر الدين شيخ الشيوخ ابو القاسم عبد
الرحم ومعه نواب الدين بشير الخاص بالقبو بغير والقبليد والتشريف الجديدي تلقيناهم بالتعظيم والتعجيد وركب
السلطان للثقي وعلى صحنه بشارت الرقي فلما ترائى له الرسل الكرام وجوب لهم الاجلال والاعظام نزل وزجل
وايدى الخضوع وتوجه ل نزل الرسل اليه وسنواعن أمير المؤمنين عليه ققبل القرض وقبل الارض ثم كبروا
ودخلوا المدينة حال ابن أبي طي وكانت هذه أول خلعة قدمت من الامام الناصر على الملك الناصر وكانت
نوب اطلس أسود واسم النكر مذهب وبقرار أسود مذهب وطلسان أسود مذهب ومثد سودا مذهب وطوق
ونخت ومر قسار وجوانكيت من مراكب الخليفة عليه سرح أسود وسلال أمود وطوق بمجوه وخصبة ذهب
وعلم أسود وعنف خيول وبقيج وركب السلطان بالخلعة وزين له دمشق وكان يوم اعظما قال العماد ونظر السلطان
من صدر الدين بصدق صدوق وكان قد عزم على قصد الديار المصرية وسأط طريق ابنة والبريه حسن شيخ الشيوخ
مصاحبه ورغبهم باره قبر الشافعي رضي الله عنه فقال قد عزم في هذه السنة على الحج فاصل معكم الى القاهرة
بضرط اهامه يومين ولا دخلها واما السكى بالتربة الشافعية واسير منها الى بحر عذاب فاعلى ادرك صوم رمضان بكة
فالتمه ذلك واعاد ان يحيا لبأثوه من طريقه الى الحجاز ورجع شهاب الدين يسير في جواب رسالته ومعه رسوله ضياء
الدين ابن الشهر زوري وأنشأ العماد كتابا في الجواب الى الديوان وفيه (وقد توجه الحمد الى الديار المصرية لتجديد
النظر فيها ثم يسخر الله فينا لجاداته ويعود الى مجاهداته)

(فصل) في رجوع السلطان الى مصر مرة ثالثة قال العماد ولما عزم السلطان على الرحيل استناب بالشام
ابن اخيه عز الدين غر خشاها وكان عز رائل غر الفضل وقال فيه العماد عند توديعه قصيدة منها

اسأل الله ان تعيشا * الف عام نصرة مستحشا

لست اكدى شيئا سوى غر ومنك * وابقي لسفرك اكدشا

كيف يخلونم بق ظهر وظهر * سالك طرق ابلة والعريشا

ووقفت على ثلاثة كتب ففاضل عن الملك العادل الى الولا تالين يعلم ان ملوك الشرق قد دخلوا في طاعة
السلطان وانه عازم على القدوم الى مصر وصوم رمضان بها والحج الى بيت الله الحرام منها وبأمرهم بالامتناع
عما يحل لاجله الى مكة من المال والازواد والمعلم بما تستل عليه ذلك الاعمال ووقفت على كتابين آخرين أحدهما
الى أمير مكة والآخر الى أمير ينبع معهما بالقلية أهيا القدومه ووقفت على كتاب سادس ففاضل الى السلطان في
ذلك يقول فيه (جعل الله الملوك مقلبيه وتشرعتم الاعداء منهم بطيعة وامر أهل الاسلام بعده من جور القهر
وحينه واشهدهم موقفا بالحج الاكبر وراي محضر منهم دخيقه وجعل وفدة الاثام وضيغ بيته في هذه السنة في وفده
وضيفه) ثم هناء بما فح الله عليه من محبة الجهاد وما أنزله في بلاد الارمن وغيره من البلاد وما تبع ذلك من نية
الحج بلة الله منه المراد ودخول السلطان لبلاد الارمن كان في هذه السنة كما سبق فاعلم من فعله الحج مع شيخ الشيوخ
ثم حصل له مانعه منه قال العماد ورحل السلطان الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب جمعه صدر الدين شيخ الشيوخ
فاقام يومين كاذر ونوجه منها الى مكة على البحر فادرك الصوم قال العماد ووصلنا الى القاهرة على طريق ابلة
ثالث عشر سريان واستقبلنا اهلا باوقينا الاكابر والاعين والملك العادل اخذ السلطان حيث ذهبنا ثم وقلدنا

مكتاب (٢٠) الروتين

مراكبه ومراهبه وخدعت به صبيحة ذكرن فيها المنازل والمناهل من يوم الزميل من دمشق الى الوصول بالقاهرة منها

اجبت على طال ليس بمدكم * لسي في التي بوجهكم القبرا
 قدت حياتي مذقت لقاءكم * فهل يجاني منكم نشأنا خرى
 اجبران جبرون المجبرون بارهم * من الجبر حوز وفي مشوقكم الاجرا
 محبكم قدنا الصبر فاطلبوا * محبا سوا عنكم بحسن الصبرا
 ومذغت عن مقرى مقرى قد بنا * سقى وورى مقرى مقرى
 احث الى هذا وعذرى واضح * لان الموى العذرى عفى عن عذرا
 اذا التذرا المحتوم من جلق بنا * الى مصر امرى فالقوب بها امرى
 رحلتا بها باحت باسرا ناسوى * عبارة عين خوف يوم النوى عبرى
 تركا دمشقا والحنان ورأما * وقد امتنا بالكسوة الرقة السفرا
 ويشتا الى المرج الذى الم نشره * فلا زال من احيانا طيبا نشره
 رحلتا بمرج الصفر بالميس غدوة * فارتوت طفت في محبتنا ظهرا
 وقد طعت تبنا الى البر بعدا * وما عرست حتى اناخت على بصرى
 تركنا الفناح والجلاعب بعدها * وبعدما غدر البشامة القزرا
 ورأس الحشا والقربين وكها * مرار قد فيها المصب قد غادرت قدرا
 وردنا من الزيتون حمى واية * وجزنا عاقما كان مملكا وعرا
 الى قسلة الراعى الى نابع الى * جراول فالنخل الذى لم يزل قفرا
 الى منزل فى روضة الجبل اغدت * به صعبنا فى صدر شارحه صدرا
 ودون حنالمنا حننلر كابتا * عيون لموسى لم يزل ماؤها مبرا
 هناك تلقانا الوفود بيرهم * قصر وابنا قضا وزادوا بنا بشره
 قطعنا الى بحر التدى بحر تلمز * ومن تصد بحر التدى يقطع البحر
 عبرنا الى من كثر الرمل جوده * وجزنا اليه ذلك الرمل والحمره
 ولم يرونا ماء الحمداء بعد رد * ولم يقتنع بالقتل من يأمل الكثره
 وجبنا البويوب والمصانع قبله * الى بركنا لب التي قربت مصره
 الى عزمة فى المجد غير نصيرته * وكان قصارى أمرنا ان نرى القصره
 ولما نزلنا مصر فى شرم طوية * وردنا بكف العادل النبل فى مصرى
 غدا قاصرا عن قصره قصر قيسر * وابوان كسرى عندنا بوانه كمره

قال العماد فى هذه السنة بمصر عريت كتاب كيمياء السعادة تصنيف الامام أبى حامد الغزالى فى مجلد من وفرت من تسميه وعلم ما فيه بسعدتين وذلك باسم فاضل لى فى امثاله وطلعت فى انعامه اقباله قال وفيها فى خامس عشرى شوال توفى صاحب المعتبر ابراهيم بدمشق وأبنا بمصر قلت وهذا غير والى دمشق المعروف بالمبوز ابراهيم بن موسى ويطبق ايضا العماد فى العماد صاحب بصيصة منها

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته * ولو كان فى حزن مزبد زبدته
 نصيرت الاحوال بعدك كها * فطست أرى الدنيا على ما عهدته
 عشت بك الايمان بالصبح واثقا * خلعت يد الاقتدار ما قد عقدته
 وكان اعتقادى انك الدهر سعدى * نخفتنى الايام فيما اعتقدته
 أردت لك العمر الطويل فلم يكن * سوى ما أراد الله لا ما أردته

في أخبار (٢١) الدولتين

وداع دعاني باسمه ذلك كراهه * فاطم بنى ذكر اسمه فاستعده

فقدت أحب الناس عندى وغيرهم * فن لا نجي فيه اذ لما نشده

قال ورثته يمينين وذ كرت العناصر الاربية في بيت واحد منهما

لمنى على من كان صبحى وجهه * فعدمت حسين عده ثم اقولوه

سكن الشراب وغاض ماء حياته * مسدا لطاف ربح المنفعة ناره

قال ابن ابي طي وفي هذه السنة سافر قراوش الى قايس فذكر محاصرته لجملة من القلاع وقتله جماعة من البربر
وعاد كراهه اسر جماعة على حصن وأمر يقتلهم وفيهم صبي أمر فقبل فيه أهل القلعة عشرة آلاف دينار على ان
لا يقتله فأبى فزودوا الى مائة ألف صاع وقته فما استم قتله حتى نزل شيخ من القلعة ومعه صبايحها وقدمه القراوش
فصاه عن الخبر فقال هذا الصبي الذى تملكه ولدى يولى يكن له سواه ولا جله كنت أحفظ هذه القلعة فلما قتلت
علمت ان بقيت هذه القلعة في يدى وموت صارت الى أولادى وأما بضعهم فرددت الى القلعة وأخذ منها أموالا

ثم دخلت سنة سبع وسبعين * قال العماد والسلطان مقم بالقاهرة وقد عين لسمعاع الاحاديث النبوية بقراءة
الامام تاج الدين التنبهى السعدى ميقانا وجعبه من أهل العلم والعلماء عندا شاشا وورد كتاب عز الدين فرخشاه
من الشام يذكر ما لله به على الانام من الانعام بكثر تولد الدوام في ذلك العام وجبر الله به ما كان قبله من الوباء
وتفادوا بالخصب بعدا بالجدب والقتلاء قال ودخلت الحمام الذى بناه زين الدين أبو الحسن على نجاه الواعد في داره
خارج باب زويلة بالقاهرة في ذى القعدة فقلت

ما نزل من يرى فيه غير عار فبار * به نحات الاذايا * وزحف الاوضار

والعيش فيه قرر * والعيش فيه وفار * والمبت في كل يوم * لمن يرى مختار

نار قطيب الأناجب * لمنسة هي نار

وله فيه

ومثل بدخله * لشله لكل أحد * يوجد فيه الميت في * كل خميس واحد

(فصل في ذكر وفاته) ملك الصالح اسماعيل بن نور الدين رحمه الله واتفق في بلاده بعده وفاته فطلب
ابن شذاد وكان من ضمه بالقولنج وكان أقبل من ضمه في تلحرج وفي الثالث والعشرين منه أطلق باب قلعة حلب
لشذاد ثم ضمه واستدعى الامراء واحد واحد واستألفوا عز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه
توفي رحمه الله وكان موته وقع عظيم في قلوب الناس وقال ابن ابي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر
سقاء سمى في عقود عنب وهو في الصيد وقيل الذى سقاء باقوت الاسدى في شراب وقيل انه أأماه خشكانكه
وهو في الصيد قال ودفن بالقام الكبير الذى في القلعة وحزن الناس لسرا عنيها وكان من أحسن الناس صورة
والغهم اعتاقا قلت وبلغنى انه قال ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات نور الدين رحمه الله فانه
سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من أجزاءه بالنار ولده جزؤ فأت قبيل ان يدلى عمره على أحسن سيرته وتوفاه
رحمه الله قال ابن الاثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء شرب الخمر فندوا بها فقال
لا فعل حتى استغنى الفقهاء وكان عند علاء الدين الكسالى الفقيه الحنفى بمنزلة كبيرة يعتقد فيه اعتقادا حسنا
ويكره فاستشفاه فاقام بجوار شرها فقال له يا علاء الدين ان كان الله سبحانه ونصلى فخدق رب أبى يؤخر شراب
الجر قال لا والله قال والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه على قلت يحتمل انه ذكر له ان من العلماء
من ذهب الى جواز ذلك لانه كان يرى ذلك فان مذهبه بجلافة والله أعلم ثم قال ابن الاثير فلما اليس من نفسه
أضر الامراء كلهم وسار الاجتاد واستخلفه من لابن عمه بابل عز الدين وأمرهم تسليم ملكته جميعا اليه فقال
لهم بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وشير هاس البلاد من هذان الى القرات فلو وصيت بحلب للولى عماد الدين
ابن عمك لكان أحسن ثم هو تربية والده زوج اختك وهو ايضا عديم الخلق في النجاعة والعقل والتقدير وشرف
الاعراق وطهارة الاخلاق والحلال التي تفرد بها فقال ان هذا ضرب عنى ولكن قد علمت قلب صلاح الدين على

مكتاب (٢٤) الروضتين

عامة بلاد الشام سوى ما يدى وسى فان سلب حلب الى عاد الدين يهجز عن حفظها من صلاح الدين فان ملكها صلاح الدين فلا يبقى لاهلنا معه مقام واذا سلمت الى عز الدين أمكنه ان يحفظها للكرت عساكره وبلاده وأمواله فاستحسن الحاضر من قوله وعلموا بحسنه وعجبوا من جود قرائه مع شدة مرضه ومن أشبهه بأباه فاعظم فلما وفى أرسل دندار حلب وهو شاذ بخت وسائر الامر الى أنابك عز الدين يدعونه الى حبيب لمحوها اليه فورا الخبر ومجاهد الدين قايماز قضا سار الى ماريدين لهم عرض طلق القاصدين عندها فآخروا الخبر فصار الى الفرات وأرسل الى أنابك عز الدين ويشير بتجديد الحركة فأمام على الفرات ينتظره فصار أنابك مجددا فواصل الى الميزة التي بها مجاهد الدين أقام معه وأرسل الى حلب يدعونه فحضروا الامر اسقنوا كلهم عنده وجددوا البين له فصار حينئذ الى حلب ودخلها وكان يومها مشهودا ولما عبر الفرات كان في الدين ٤٠٠٠ من أنى صلاح الدين بمدينة منيع فصار عندها هاربا الى مدينة جاء وثار أهل جاء ونادوا بشعار أنابك وكان صلاح الدين عصر فأسار عنكم حلب على عز الدين بنفسه دمشق وأطمعوه فيها وفى غيرهما من البلاد الشامية وأعمادهم أهاها البيت الأتابكي فإذ يقول وهال بيننا بين فلان قد ربه فأمام بحلب عتة مشهور ثم سلم منها الى ارتقاء طام بها واجاهه ورول أخيه عماد الدين بطلب ان يسلم اليه حلب وبأخذه من عوضها مدينة سجبار فطلبه الى ذلك ولج عماد الدين وقال ان سلمت الى حلب والاسلمت اناسخار الى صلاح الدين فأسار حينئذ الجماعة بصلبها اليه وكان أكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فانه لم يبق اليها الى عماد الدين لم يكن أنابك عز الدين خلفه لتفكره في الدولة وكثرة عساكره وبلاده فواقعه وهو كاره فسلم حلب الى أخيه وتسلم سجبار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايسر من الموصل الشام لما بقى ذلك بر عن القاهرة الى الشام فلم يسمع أنابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الامر الاكارم الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه حذارى أنابك ذلك لم يبق بعد الى أحسن أمر الله اذ كان ذلك الامر او نفعهم في نفسه فطاد الى الموصل وعبر صلاح الدين الفرات وملك البلاد بالجزيرة ونزل الى الموصل فلم يتمكن من النزول عليها وعاد الى حلب وحصرها سلمها عماد الدين اليه وسبب ذلك ان عز الدين لما تسلم حلب لم يترك في خزائنهم من السلاح والادوال شيئا الا قد الى الموصل وتسلمها عماد الدين وهي كماية قطر جارفه وكان السبب في تسليمها قال ابن شداد لما توفى الملك الصالح سار هو الى اعلام عز الدين مدهودين قطب الدين بذلك وما جرى لهم الوصية اليه وتخليف الناس له فسلم سائر الى حلب عدادا وحواط من السلطان فكان أول قادم من أمر الله الى حلب مآفر الدين بن زر الدين وصاحب سر ورج ووصل معهم من حلف الامر الله وكان وصولهم في ثالث شعبان وفي العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها ونظرت لها وروح أم المالك الصالح في خامس شوال من السنة المذكورة ثم أقام عز الدين بقلعة حلب الى سادس عشر شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان والحق عليه الامر ان يطلب الزيادة من رؤا أنفسهم انهم قد اختاروه وضاق عنده وكان صاحب امره مجاهد الدين قايماز وكان شقيق العظم لم يستدع قلساء أمر الشام فرحل من حلب طالب الرقة وخلفه ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فاقى الرقة ووليه أخوه عماد الدين عن قرار بينهما واستقر مقايضة حلب بسجبار وحلف عز الدين لأخيه عماد الدين على ذلك في حادى عشرى شوال وسار من جانب عماد الدين من تسلم حلب من جانب عز الدين من تسلم سجبار وفى ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين مهد عماد الدين قلعة حلب قتل وقتل على كتاب فاضلى عن السلطان الى عز الدين فرخشا وهو نائبه بدمشق وقتل على كآبه وعنه لم يتقدم الخبر مرض الملك الصالح واشتد داءه وانقطع الدخايل عليه ثم أشار بتفويضه الى جهة أخيه تقي الدين على اظهارها فاهذ الثقة في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا أرسلان والتوجه لتصلها قال (فيكون ظاهرا حركة العسكر لهذا السبب المتقدم باطنها لهذا السبب المتأخر وقد كوثب الولد تقي الدين ان توجه الى منيع على الظاهر والباطن المذكورين وان يحفظ الغنائم ويرابط الفرات ويمنع المعابر ولما يسر وقلعة حبيب ومنيع وتل بئر وهي جهود الطريق بل كلها وقد أعيدت الى تقي الدين بأن يكون حمام جاءه في حلب وحمام دمشق في جاءه الى الاجل ناصر الدين بأن يكون حمام دمشق في حصن وحمام حصن في حلب ولده نا

عز الدين يؤمر بان يكون حمام بصرى في دمشق وقد بعثت لجناب بن كوتون متعبد بن بصرى فان تحقق الوفاة فنعن
سبق اليكم من الجواب قولاً وضعلاً ووعداً ونجماً فالعلة من اراحه والعسا كمرستريحه والظفر قد استعد
والمصلحة في الحركة ظاهره وبتجارتنا المذنبين في هذه القضية ساقطه وقال العاد كان قصد السلطان اصلاح حال
الملك الصالح وانه القاهم مقام أهـ فصد عنه مما يليكه فأخذت بلاده يلحاجهم ومن صند واثم لم يسلو علاجهم
فانتفع بطلب الى ان توفي ووصل ابن عزم الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب لجمع ظاهره وباطنه واخذ
خزائنه واستخرج دفائنه وأخذ كل كائنه ثم عرف انه لا يستقر له بها أمر فرغب أخاه عماد الدين زنكي صاحب
سجبار في تعويضها بطلب فمال الى بذله ورغب ولما سمع السلطان في مصر نبأ ملك الصالح فحرك عزمه ونظم
على التزوم من الشام مع قرب هذا المرام فكاتب الى ابن أخيه تقي الدين وهو يتولى له المعرة وجاءه وأمره بالتأهب
للمنوض وكذلك معززاً ثم نوابه بالشام بقصد المكنيات لهم وبعثهم على الاستعداد وحملهم وكان نائبه بدمشق
ابن أنيسه عز الدين فرخ شاه قد نفى في مقابلة الفرنج بالكرك فان الارنس الكر كى كان يصحب نفسه بقصد تيسر
في البرية فمال فرخ شاه في مقابلته حتى تكلم العيين على عقبيه ذللاً ولما يجد الى ما حدثته به نفسه سبيلا
فصرف السلطان اشتغاله بهذا المهم فكسب مكتاباً بشرح الحال الى بغداد باللفظ العادى يقول فيه (و شاع الخبر
بغزاة فرنج انطاكية على حارم وأوامر السبي والمهب بالعظام وشاع ايضا ان عسكر حلب أعار على الزاوندان وهى
في علمنا ووسولهم عند الفرنج يستجدهم ويغريهم بنا وقد راسلوا الحشينة والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعتاد
منه كاف وابن أختي غائب في أقصى بلاد الفرنج في أول برية أجازا من طاعية منهم جمع خيله ووجهه وحذنته نفسه
الحثية يقصد تباوهى دهلير المدينة على ساكنها السلام واغتم كون البرية معشبة مختصة في هذا العام والعجب
انما عى عن قبره الى صلوات الله عليه وسلامه مشتغلين بهمه والمذكور (يعنى صاحب الموصل) ينازع في ولاية
هى لتأليه أهدايد ظلمه وكهين من يحارب الكهرو يحمل اليهم قواصم الاجال وبين من يتخذهم طائفة دون المؤمنين
ويحمل اليهم كرائم الاموال هذاع ما تعدى الدولة الحثينية والدولة الحمدانية العباسية من آثار لا يدر منها ولا لا فى
مسلم لانه أقدم ثم خامس والى ثمولى ولا آخراً لضربك فانه نصر ونصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلنا الله به
عليها فى نصر الدولة وقام من كان ينزع الخلافة قد راءه اولاً ظهر للبار من رجس الاعمال ولم يفعل ما قلنا لاجل الدنيا
غير ان التحدث بشعة الله واجب والتبجح بالخدمة المربيه والاخبار بالتوفيق فيها على السجية غالب ولا غنى عن
بروز الامور الشريفة الى المذكور بان يلزم حذره ولا يقباز حقه فان دخول الايدي المختلفة من الأعداء المتفكة
شاعل ويحتاج الى معزم يثق فيه العزم بغير طائل فان الاعمال ترمى السحاب والعرص تفسد ومن السراب ويقاونا
فى هذه الدار العليل اللبث العسير المكث يوزان بغضه فى محاهدة العدو والكافر الذى صار به البيت المقدس محسلاً
للارجاس ومضت عليه دهور ومالوك لم يحصلوا من رجاء تطهيره الاعلى الياس وان كان القوم تدبوا للدار العزيزة
بدولاء معارفة فقد أملف الحادى خدمت ليست بموار فانهم لو بدوا بلادهم كلها ما وقف بفتح مصر التى رحل عنها
أساى الادغال اكية أعوادها وأعاد الى عنها بعد ياض عاتيا من نوايا غار العباسى سوادها فان اقتضت
الامراض الشريفة ان يوزع لئذ كورى حلب بتعليقها لاولى ان يقاد الجميع ذرغبة قبيلا يؤمن معه شر الشريك
ولما ك الامر الحكم فى حماة انما اليك) وكان فى الكتاب أيضاً ما معناه ان حلب من جهة البلاد التى اشغل عليها ملحد
أمير المؤمنين المستنصر عباساً الله له واما ركا فى يد بن تروا الدين لا جلا ليه والآن ظفر جمع كل الى حقه وليقتنع برقه
ومن كتاب خاضلى (فقد صرف وجهنا فى هذا الوقت عن جهاد لو كما يصدده وعن فرض لو وصلنا يومه بقله لكن
الاسلام قد عاقى من شركه الشرك واتعل أهلهم من رقة أهل الافاك ولكانت الاسماء الشريفة قد قرت منابر
طامعزلت الصلب خطبهاها ولكن الدين لما الص قد خلص الى بلاد مصر للشرك من متوطنها والمسلمون غريهاها)
وفى كتاب آخره (وقد علم الله الهديتهم كارهين وفى مصلحة أهل الاسلام وفى مصالحهم راعين ولكنا لما بقوم
كالفراش وأخف عقولا وكلا لتمام أو اضل سبيلا ان بنى معهم قلى غير أساس وان هذا القدر منهم فهو أكثر من
الانفاس) وفى كتاب آخر (والخادم والخدمة يعقدون ابقى فى الاسلام والدولة العباسية لا يبعدها أولية إلى مسلم لانه

والى ثم وارى ولا آخره يظفر لك لانه يصير ثم حجر والحادم بحمد الله خلع من كان ينازع الخلافة فتردها وأساغ
 الفضة التي ذخرا لله للاساقفة في سفهماءها فرحل الاسماء الكاذبة الزاكية على المنابر وأعز بتأييد ابراهيمي فكسر
 الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر الالاسار وفعل وما فعل للديولامنى للاعبد لدجها هو متوقع الجزأ عنه في اليوم
 الآخر) ومن كتاب آخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستبلاه عليه ما كانت داخلة في تقليد السلطان السابق
 فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بها معتدا وعقدوا لحلفاء التحل والصوفى في أوجه أولياتهم لئلا تسلم وأنه انفع
 باب المنازعة أدنى من ندامه وأبعد من سلامه ونزع ما يعي على الرافق وجذب الرداء قبل تقص فيه الاحيلة الخالصة
 وليس الاستيلاء بحجة في الولايت لطلبا ولا الفتحول الى الدار بموجب ملك خاصها الا ان تكون البلاد كالبلايا
 المصرية حين فتحها الحادم وأهلها حيث الجمعة مسترية والخلافة في غيرها ما غريبه والعقائد لغير الحق مستحسنة
 قتلك الولاية أولى من مفهام فتحها وكان سلطانها من أدخل في كان شيطانها وأما حلب فان الكلمة فيها عالية
 والمنابر فيها بالام القدر بحالها فاعلمت كون ان قلدها لاس توردها بلن يخلق تسلها لالين بالبال تسفها
 ولو كانت حلب كما كانت مصرد خلها الحادم ولم يشاور ولولها ولم ينظر ولكنه في الليون من ابوابها واحططر
 القطار من معاجها ثم ذكر ان المواصله واساوا للملاحدة الحشيشة واتخذوهم بطانته من دون المؤمنين واسطة بينهم
 وبين القرى الكافرين ووعدهم بقتلهم من يد الاسلام قطع وضايغ من في المعلن توضع ويدر دعوى بحلب نصب
 فيها من الضلالة قيرغ وبالحبس الحميم يهدم دولة حق وهي تبنيه ومن العبد يني ملكها نفسه وما له ذوبه وهي
 ترأب اعلا فيه ودعوا في رسالتهم وغروا لهم بدعوى لا يقوم شاهدها ولا هي شناعة لا يهتدى فاندها
 بل هذا رسولهم عند سنان صاحب الملاحدة ورسولهم عند القمص ملك القرى وهذه الكتب الواصلة بذلك قد
 سرت ولا ينبغي اب الولاية طرق أما السبق الى التقليد فلتاقدام السبق وأما الدلائل والعدل فلو وقع الفرق لوضع الحق
 وأما بالاثار بالطاعة فله فيها ما لا معونة الخالق فيه لقصرت عنه أيدي الخلق ومضى استمرت المشاركة في الشام اخضت
 الى ضعف التوحيد وقوة الاشراك وزامت الى اخطار يعجز عنها احوط الاستدراك واحوجت قابض الاهتدال ان
 يطعم الجدد برسله العراك وطريق الصلاح والمصالحات الايمان والمشاريع لا يلزمون ريقها ولا يوجبون مقتضاها
 وتفي بالتعريب تابعا عن القره ولا يلدغ المؤمن من امي مواذ اجتمعت في الشام ابد تلان بدعا بدعوى محدودة وكافرة
 نهض الكفر بتبليغه وقصرت عن الاسلام بدعوىه ولم ينفع الحادم حينئذ تفهيم حباه وتصديق حديثه وما يريد
 الحادم الامن تكون عليه يد الله وهي الجاعة ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ولا يتوخى الا ما يقوم به الحق
 اليوم ويوم يوم قدم الساعة) ومن كتاب آخر (قد أساط العلم بما طالع به أولا عند وفاة دنون ادين رحمة الله ان التقليد
 القريب المستضي لما وصله بالبلاد وكان قد فتح أكثرها قلاع وامصارا وحصونا وديارا ولم يبق الا نصبة حلب
 وهو على أخذها عاقل ودينور الدين عن القتال الى النوال وعن النزال الى الاستئزال وقصد القصد الذي ما أوجبت
 المحاذق تان يتلقى بارد فافره على الولاية فرعا أصلا ونائب الاستقلال وسلم اليه البلاويده الغالبه لا الغلوبه
 وسيوفه السالبة لا المصلوبه ومضى الامر معه مستقيما راتلا وجار اوعادلا الى ان قضى نحبه وفق به قدامن
 المواصله تقص الايمان والابتداء بالصدوان والتصرف في البلاد والتصرف فيهم انصير حجة يكون عليها الاعتماد
 فطالع الدونان بالقضيه واستعمل بدلائل قوائمه الجلبه في هذا التقليد الذي تبادته المحاضر وأشاعته المنابر
 وسمرت الى الشرق والغرب منعه وغلث الايدي التي تحبب انفسها انفسه)

(فصل) قال العماد توجه السلطان ومعه شهر رمضان الى الاسكندرية على طريق البحيرة فوجهم عند السوارى
 وشاهدوا السوارى التي جندتها والعمارات التي مهدها وأمر بالانعام والاهتمام وقال السلطان يمتنع من حياة الشيخ الامام
 أبي طاهر بن عوف فحضرنا عنده وسمعت عليه موطأ القرضي الله عنه روايته عن الطرطوشي في العصر الاخير من
 شوال وتم له ولاد مولايه الجماع والوالي يومئذ بقرا الدين قرا ما قلت ووجدت القاضى الفاضل كتابا مكتوبه الى
 السلطان يمينه بهذا الجماع يقول فيه (أدام الله دولتنا لمولى الملك الناصر صلاح الدين وابن سلطان الاسلام والمسلمين
 محيي دولة أمير المؤمنين وأصدر برحمة الله وأتابه عليها وأوصل ذخائر الخير وأوصله اليها وأوزع الحق شكرا

لنعمته فيه فأنه لما اتصل بالملك إلى شكاها إلى أبا راعه وأودع عليه نورية ن فانه مستر لا يودع فيه إلا ما كان مستندا إلى أبا راعه وفيه فأنه رحلته وفي سبيل الله وبها وما تمها الأفرح حمل والهدنة الذي جعله ذا يومين يوم سبيل دم الحار رقت قلبه ويوم سبيل دم الكافر رقت قلبه ففي الأول يطلب حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في جعل أثره من الأستر وفي الثاني يجعل لنصرة مقرر بعد هذا على الضلال فيجعل عينه أثر الأظهر وقد استغرق الناس هم العلماء في ربحهم لقل الحديث وسماعه والموا لا في طلب ثقتهم وأنقاعه ومنفوا في ذلك تصانيف فصدوا بها الضرير لهمم والتنبية والرفع من أقدار أهلها والتنبية فقالوا زحل ون لسماع مستندون وسار زحل إلى عمرو على بعد المكان هذا وصاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره ووقف عليه فكره فلا تصادب عنان هته الكاثر بها القول في مثل خوارقه وأمر بخلق الله كنمو رديته به معذوقه أذهار إلى بقية الخبير في أضييق أوقاته وترك العمل أشد ضروره ووجب له أن يجمع في الغزاة بحسب ما تنضمه على لخطاته وساعاته وما يحسب المبرور أن كاتب الجيوش كتب قتل مكره في قلبه العلم الأثر شيد هار ون رحلته عليه على أنه خلط زيارة بؤته بطلبه ورحل بوليه إلى ما لا رجة الله عليه لسماع هذا الموطأ الذي اتفقت المحدثان الرشيدية والنصارية على الرغبة في سماعه والرحلة لا تنقاعه وقد كان الرشيد مسلم الكار حقه أن يجعل له ولوليه الأمين والمأمون مجلسا خاصا لسماع مصنعه فقال له ما معناه لهاسة ابن عمك صلى الله عليه وسلم وغيرك من سترها ومثلك من نشرها فهدر حلة ثالثة في الزمان وأولى في الأمان يكتبها الله للولي بقلم كاتب الدين ويقوم فيها مقام الرشيد ويقوم عليه وعثمان مقام بوليه المأمون والأمين وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد على ما لا رجة الله عليه في خزنة الكتب المصرية فان كان قد حصل بالمقارنة الناصرية فهو بركة عظيمة ومنقبة كريمة وذخيرة قدسية والأظلمة وكذلك خط موسى بن جعفر في قتيلا المأمون رحمه الله كان أيضا قبا وكلاهما يتبرك به ويحضر فضل العلم لا خلا للولي بأقراءه الذين فضلوه وقت الملوكة على ما بشر به من صنم المولى وتوقيفه وجه من أجه في طريقه وانقطاع ما كان من دم واسترواح القلب من كل هم وقد استنفذت هذه الطريق بكل قال مباركة البكر والقال مأثورة عن سيد البشر هن ذلك حصه فقتله النصف ونسبة قلبه دامت له الفضيحة وانقطاع الدم وطريقة إلى الشام يتقدم بها الدم ويتصل النصارى ويتنظم السلم وأخرى أنه رحل إلى الموطأ راحم الله ماله ورحل فيها يطلب من الشام إلى الموطأ أسعد الله به ماله وأمه تعالى يحقق الخير ويصرف الخير ويبارك للمولى في المقام والسير إن شاء الله قلت هكذا يقع في كتب الفضائل رحمه الله كثيرا وهو لا يفتها بالادعية متصلة بقوله إن شاء الله والتعليق بالمشقة غير لائق بالادعية ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم أغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارحمني إن شئت لي عز مسئلته فأنه يفعل ما يشاء لا مكره

(فصل) في أمور تتعلق بولاة الدين في هذه السنة قال العماد كان الأمير محمد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائباً عن الدولة إلى السلطان يزيد وحصل له من أموالها الطرب والتبذير ثم ابتاع من السلطان الناحية المعروفة بالعدوية بصرى ما عاد إليها وبقي أخوه حطان بن سيدو إلى عاليا فصنع دعوة عتيقها ذكر العماد أنه حضرها هو وغيره من الفضلاء الأعيان فبينما هم عند من أسر حال إذا أحق بهم الأمير بهاء الدين قراقوش قبض على سيف الدولة واعتقل بالقصر وكان سيده أن أتابر السلطان وخواصه أكثر وأعليه عذبه أنه استوبى بالزيد وإنه كنوز الاتييد وأشاروا عليه بقتله وهو يذفع عنه إلى أن أكثر ولوقيل فيه أن لم تذكره فقام به فاعتقل فسمي السلطان خاصة من النقد المصري فبأن ألف دينار لم يظهر فيها ع متاع ولا استدانة من ثمار وقرم لاخوي السلطان العادل وتاج الملوكة ما حافظ به على نهج الكرم الملوكة ونرج مشرقا مكرما مصر فاحترما وزاد السلطان في تكريمه وانفذ إليه بما قبضه منه خط يد بأن الخديز في ذمته شباعا ملاكا بصير بتقدير ثلاثين ألف دينار وبذل له كل ما طلبه عن إشاره واختيار وزاد في إقطاعه وبارك الله له في أشيائه وأشياعه قال العماد وكان هذا الأمير من راحة عقله وحصاة فضله ما سمعت منه شكوى ولا حكاية في بلوى وقتل أخوه حطان بن يزيد وأخذناه فلم يظهر منه السلطان كراهه وكل شيعته زناه ونباهه قال وكان لما توفي الملك العظيم شمس الدولة أشفق

مكتتاب (٢٦) الروضتين

السلطان من قبله باليمن وذكر ما بين ولاه من الامن ووصل الخبر بما جرى بين الامير عثمان بن الزنجيلي والي عدن وبين الامير حسان والي زيد من الفتن فكتب الي زيد عدة من الامراء لحفظ البلاد واصلاح الامور التي ينشئ عليها من الفساد ومن جملتهم والي مصر صادم الدين خطيبا وقيت الولاية له بها في غيبته يقوم بها اوابه ويرجع الي راي اهله اصحابه ففرغت زوجته في غارة داره فقتلته وذكرا العادة حصل له ولغيره من الاعيان بها ضيقة جلية فتناقاه وقال ابن أبي طي كانت نفس سيف الاسلام طمعت كين أئى السلطان تشرب الي اليمن من حيث مات أخوه شمس الدولة ويشتهى ان يصير اليها فامر ابن سلطان الخطيب ان يعمل تصديع يعرض فيها بانقاذ سيف الاسلام الي اليمن فعمل التصديع التي يقول فيها

جزء لها السيف الصفيق فتنة * فالسيف لا يذخر الا لافق
شكته أنزل العلى فانه * نعم فتي من سرع الجود ومن
القائل المسموع في معاه * والصادق التذنب الامين المؤتمن
بادى الفؤاد كيقاس برته * حس الدار الوغى ثمان

وبها يقول

يا ابن الكرم الخياء والذى * تلقف العلماء فيها ولق
لا تعد عتلا عن الملك فما * يخاض العلماء الامن ومن
قد قسد الملك وقد طال العدى * واقسم وابعذك أمور اليمين

قال لما سمع السلطان هذه القصيدة أنزل سيف الاسلام في السير الي اليمن وقال الحمد وفي هذه السنة تفرع مع سيف الاسلام ظهر الدين طعكتين بن ايوب بن يحيى الي بلاد اليمن وزيد وعدن وان يقع بها الفتن ويتولاها ويولي ويعزل ويحسن ويعزل فصار بعد سيرنا الي الشام وجرت ملككم فيها على احسن نظام وذلك في سنة ثمان ووصل الي زيد وحط حطان عن ريقته وأمنه وطمنه ثم أذن له في الانفصال الي الشام جمع حطان كل ماله من سبد ولبد ومطرف وتلد ولين وسعيد وباقوت وزبيد وآلات وعدد وحسن وجزر وهراب ومال اعتقده من اليمن بغير حساب ثم أراح جماله ورحل عليها احاله وقدم قدامه ثاقاله وظل انه نجوا فاز وركب الاوفاز فرد عليه ليودعه ثم تشيعه وركب معه فلما دخل عليه اعتقله وسير وراءه من أقتله والي خزائنه ثقله ثم أنفذه الي بعض معاقله فحبسه ثم قتله وفيما ذكر السلطان من خبر حبه وماله والذهب ما يعجب بمصر تنافس فيه أهل الحساب ان يضا وسعين غلاما من خلف الزرد كانت مملوكة بالذهب الاحمر الملقب وتقوم المأخوذ بقيمة ألف ألف دينار وأما صاحب عدن الامير عز الدين عثمان بن الزنجيلي فانه لما سمع بسيف الاسلام توجه الي الشام قتل ولدا الامير اوراقا وصداق بمكة واليمن ودمشق فاليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة والمدرسة التي خرج باب قوما بدمشق رجعا اليه ومن كذاب فاضل عن السلطان اليه (البلاد) في عاصمة سنين وانت قيم اموتن على مال الله فاذه الي من يجاهد به أعداء الله وبقية بمكة الله ويحفظه بالبيعة ويذهب به من الله ويقاتل به أعداء القبله ويضرب بالاساد بين الكفر والاسلام ويصحب وجهه بين المجير والزمهرير عا مافي أثر عام وانطلب منك الباطل الذي لا يجوز ان يطلبه ولا لئلا تدفعه ولا تزيد الحق الذي لا يجل لنا ان نتركه ولا لئلا نذمه)

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال الحمد وفي هذه السنة وصل السلطان من دمشق اليه خطيب المزة وكان قد زور على السلطان مثالا يخشى لامتلا ورثه الي عز الدين فرخ شاه فاقب زور عليه وهم بالاقباع به قصد السلطان بمصر واطلعه على حاله فأكثر به وقال تعق ما زورت وأمر ان يكتب له توقيع يصف ذلك الادوار قال وكان له امام يصلي به وهو كعب مثل خطه فاطلق به اموالا وأسلم وألجج يزور له اصدافه احوال اوما يشك صاحب ديوان ولا متولى خزائنه انه جميع فلما دسست انكشف وشكركم التلق وجلس اخوه السلطان وأمر اؤه عنده بفرضه بقتل لها العبيد سرانهم بالقرآن فقال ثم نفس من خنائه وأمر بالطلاق وأبقى عليه خيره حتى استبدل به غيره وصار بعد طاعدا لما مات وفي شغلهم مستدما قال وفيما غدر الفريخ وجنوا هدم واستولوا على تجاري البحر

في اخير (٢٧) الدولتين

وغيرهم وسهل الله تعالى بياستلهم عظيم من المراكب الفرجية مقطعة من بلد لهم يقال له بوليه تحتوي على الفين وخمسة مائة نفس من رجال القوم وابطاعهم فالقتهم الى البحر في شرميطا فغرقتهم الشوار وشمل الباقيين الاسر ففصل في الاسر منهم زهاء الف وسبعمائة وست وسبعين نفسا واتفق ذلك امام الادغام بالمسير الى الشام قال ابن ابي عمير وفيها ولد للسلطان الملك المعظم تورانشاه والملك المحسن احمد بينهما سبعة ايام واتصل الفرج بها أربع عشرة يوما وفيها دار قراقوش الى اقرية فاوغر في بلاده لحوادث ما قدر عليه وماربء كراين عبد المؤمن بالقبور وان ثم بانفان ابراهيم السلاح دارا تحتوي على أهل قراقوش وبلده فرجع اليه فهرب ابراهيم وصار الى خدمة ابن عبد المؤمن وملاك قراقوش ما كان بيد ابراهيم قال ابن القادسي وفيها عسنة الخمس ثامن شعبان توفي الامام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعد أبو الأبرار الخوري وكان قتيلا بخو زاهد ابا عبد احسن العيش صبور اعلى الفقر وكان يمدد الصوم ولا يقبل من أحد شيئا وكان يحضري نوبة الصرعية بدار الخلافة المعظمة في الوقت فينفذ اليه بالشرى والذهب فيعيد ولا يقبله وكان يجتنبه الوزير ابن ريس الزمان قبل ولده شيئا فما كان يفعل وكان يفتقر على الخبر الحسكار وينتشر غراف أرزوماشا وكان يابيه معتدحا بالناس العلم يعلمهم لوجه الله تعالى وكان اذا حضر أحد هم في الصيغحة وحده يترجح بها فاذا خرج يقول له خذ مني حذركم فيتهدي به ذلك ان يجعلوا عنده الى غدا يفعل له نصف تصانيف كثيرة ودفع في تربة في اسمها الشرازي رضي الله عنه فلتقريبها توفي بمصر لشاعر ابن الفزوي وهو أبو الحسن علي بن يحيى المصري ومنه حول الاربعين وقد تقدم من شعره في ج الفاضل وفي مدح ابن منقذ وغيرهم من شريف شعره قوله في أحد

يا أباي كيف غيرت الليالي * كيف حالت ما بيننا بالجمال
حاش لله ان أصافي خدلا * فيرى في يوم هذا اختلال
زعـ والني أتيت به جو * فيك تقته بسم حلال
كذبوا بما وصفت الذي حر * ثم التبل والنال والكمال
لا تعفن حبة الظهور عينا * فيني الحسن من صفات الحلال
وكذلك القسي محذوران * وهي انكي من التبا والحوالي
ودناني القضاة وهي كما تعلم كانت موسومة بالجمال
واذا ما علا السنام فقيه * لقروم الجبال أي جمال
وارى الاحشاء في منظر السـ كاسر يلقي وعلم الربال
وأبر القس أنت لا شك فيه * وهو رب العوام والاعتدال
قد تحليت بالحناء فانت السـ اكرم المستقر في كل حال
وتجلى جل وزرك في الظهور فاه اني مؤلف الاحوال
ان جل الدروب اهور في الدنيا عينا * على اسم الاحمال
كون الله حبة فيك ان شئت من الفضل اوس الفضال
فانك روة على طرد حلم * منك اوموجة بمصر نال
مارتها النساء الامت * لو قدت خليفة لكل الرجال
عد اليوت القديم ولا تصـ غ قليل من الوشاء وفال

فصل في عهد السلطان من الدولة المصرية الى الشام قال الامام وعدها من الاسكندرية الى القاهرة في ذي القعدة وشرع السلطان في الاستعداد له في الشام فجمع السالك والسلاح واستعصر نصف العسكر وأبقى النصف الآخر يحفظ بقوم مصر وأمر قراقوش باتمام الاسرار الدائرة على مصر والقاهرة قال وكان السلطان عسنة نوذبه لاهل مصر جالس في سرد قموكل فنفذه بيتا في الدواع فخرج أحد مدوبي اولاد مرأه وانشد مظهر القاضيه وراقاه به

تتم من ثم عرار بعد • فاجعل العشي من عرار

فلما سمعوا خذلنا طاه وتبدل الانقياض انبساطه ونحن ما بين غضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض ولا يقضي الجلب من مؤذير ترك الادب فكانه نطق بما هو كائن في القلب فانه ما عاد يصدها الى الدار المصرية حتى اتصل بنجم النقي الى المنية قال ومن جلة تبع الحمين في القول ما حكاه شيخنا ابو محمد بن الحشاش قال وصلت الى تبريز فاحضرت يوم اربعة ما في داره واجلس ولدي قرأ بعض ما تلقنه على قفلة فرخ البط صايح فقال معلمه لو كان حاضرا فموجروا الكلب نايح فحملت من خطاه خطابه واذا به على رايه في سوء آدابيه ومقصوده ان يذكر قرينه ولا يبالي بعينه فقرر انام خيسته ودأب آدابيه اولاد الملوك لاجرتهم على اعز اولادهم الاجتراع على الاباء ومعتل ما يصدر منهم لعنة الابناء وانما يصلح لجالسة الملوك من يحفظ في كلامه ويتقظ حتى في مناعه

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين قال الهادي في المعزم منها دخل السلطان من البركة فاصد الى الشام ولم يعد بعدها الى مصر حتى أدركه الحمام وأخذ على طريق صدر وايته في المفاوز فبات باليوب ثم كانت منازله في الجبل مصر ووادي موسى وحناء وصدرو بعد خمس ليال وصل عقبة ايلة وهناك جمع واجتماع الكفار بالكرك لتصد قطع الطريق فاحترز يحفظ الاطراف وانما لم يحمي ثم عقبه مستأثره القريتين وأغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم هجمه السلطان في كانه وسلبهم بيت الكرك الى الحسي وأمر أئمة تاج الملوك يورى على الاس وأمر بان يسير بهم بعتقه منه ثم اجتمعوا بالسلطان بالازرق بعد اسبوع ووصل الخبر بقتل الملك منصور والدين فرحشاه بالعاد وبلغت ايضا من الذين بما غنمه ايضا من بلاد العدو وذلك ان الفريخ لما سمعوا بسير السلطان من مصر ومعه خلق من النصاراء فتعابوا الكرك لتقرب من الدارق لعلمهم ينتهزون فرصه فيقتله فخرج من القاهلة فقهه فخرج فرحشاه من دمشق واغتمت خلوه يارهم فاعز على بلاد طبرية وعكا وقصد دوريه وجاه الى حبس جللك بالسواد وهو شفيق يشرف على بلاد المسلمين فقهه واسكاه المسلمين في عينا على الكفار بصلما كان لهم ورجع بالاسرى والقتانهم مظهر امانصورا ومعه ألف أسير وعشرون القراء من الانعام ثم وصل السلطان بصري ودخل دمشق سابع عشر حفر قال وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول خرج السلطان وأغار على بلاد طبرية ودمشق والقيم بينهم القتال تحت حصن كوكبوسه تشهد جماعة من المسلمين ولكن كنت الدائرة على الكافرين ورجع السلطان بمجد الله طافرا وكتب الى الخالد في الدايوان ان كان الخادم طالع بخروجه من مصر طالع الفزاة اذ رومة والمسافة بين مصر والشام امل يرفق في المسير لا تقصر عن ثلاثين يوما فخذ القريخ فزولوا بالكر ك على ارجاف بالاصاف ولم يزل الخادم على مداومة الاعمال الى اوساط الاعمال فخل بها لوتس الغار فابعد واذكي النار فاودت وطلب الماء المحي أزرقه بازرقهم فهاورد ومكث دم الحصب بالانوار وأعد وفيها عدل السيف الجاروا بالجار وعلم ان الفريخ قد تسلاوا واذا وتعلموا بالحصون احتجازا ولياذا وانهم لا يقاتلون الا في قرى محصنة ولا يقاتلون الا على الجبال متصينة وسرح الخادم الى تلك الدار لوى واستقر لها من كل فرقة منهم طائفة وساروا في طريق على العدو غير خافية ومنهم غير خافية وركب هوجة الاسلام الحاصيه التي تسنهض لرواح الكفر الى نوافقه الحليمه وسلك البلاد اذوية اوديت الى السيول للشرك الطاميه وسيوف الضلال الداميه فجمعوا جنود الكسبر وجدهوا أنوف الاتف جذعا فصر فيه رأى قصير وجزا الخادم المسافة المقابلة لهم التي كانت تقباز في يوم واحد في ايام واورد عليهم طبق الخوف غير لايس ثياب الاحلام ويسراقه الوصول ورفا بعبصه الكفر تكاد تسوب عليهم ارفاقها وعيون الايمان منهم قد قد هالذل أطواقها وقوجه يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول نزل امام طبرية بقلية لثلاثاء تسع عشر ربيع الاول فجاءه الحبريان الفريخ رحا الى البلد كوكبوجلا وليسوه مسترا ومن الله امسبلا وأصبحت الاطلاب الاسلاميه طلبة الارون وأشرف عليهم الملوك فرحشاه وكان على ميرة الاله لافخر من منهم من أخرج كفا ولا تظرف منهم من اجال طرفا ولا ركن طرفا ولم يزل الخادم مقبلا ينادي للفريخ الصم الذي لا يسمعون الدعاء على ان ماوى النهار ملاته ومسلطهم كلاته فانه رعى ما ينمويين متناسبة وجوههم ومخافتهم بسواده ولأن الليل يدعى كافر ابقدهم وخبيا هم في فؤاده وانبرى لهم من المايك ذوسهام كل رمية منها طعنه وكل انه من قوسها يتجاوب بها الذين انه فافخر جواضعا ركاتهم

في اخبار (٢٩) الدولتين

وقصدوا بها ضمها لرضائهم فرت كأن التوفيق يقودها الى حيث أمت فاماتت وطارت جرادات رمي زرع الحياة
 قبت وما لبثت ولم يروا ضجع ذوات حرك كضاجع حركها الصمام ولا ليل لهم ذات أحلام كليلتها لها يقفله
 الحماهم وأصابت خيولهم صوابها وقلمت فصالحهم بدورها فكأنهم في ظلماتها كواكبها فلما انشأ الصبح غيظا لمن
 شفاق كفرهم شهودا وازاب من حصنهم الذي كانوا اليه آوين وطالبوا التباعد عنه الى حصن الطور الذي كانوا اليه
 ناوين فساقط اليهم اطلاب الميرة بحجة الملوكة فرشاه وساق الملوكة عمرس المينة طالب الحومة القتال فرأوا الخطة
 عليهم متضايقة وشهادات البلاد الى قتهم متناقصة وأزل الله النصر من سمائه على مطيعه في أرضه ومنع نافله
 الموهبة لمن قام في الجهاد بفرضه وتوالت من الفرج حلات الجاهم اليه الا اضطرار لا الاختيار وثبت من دنا منهم
 المسلمين من الاطلاب والقوم وهم الاعداء طقاء الاحباب وقعاقت لغز الوعد قسارت بأدبها وأوشعه وطارت الى
 أفرانها فصارت أرجل الخيل لها اخضه وصرعت للفرج أبطال وخيلها وقت الحلة الاسلامية على من كان وراءهم
 من الرجالة فأخذ القتل كثيرا وتلخيزك وفررت روح الكافر من الجسد وعلت النار اية سلك والجاهم البلاد الى حصن
 يسرف بعسفر بلا وسع الخوف منه ما هو ضيق وتعلق بالحياة منهم من هو متعلق ولم تصرف صور الخيل دون ان
 اعتلقتهم في محنته وأنتمهم فصاروا قريظا في أذنه وكان ذلك اليوم من الايام الذي اضطررت فيها نيران الجحيم لربها
 لمن قدمها من أرواح الكفار وكان قائم الطهيرة في القورة بمنع من استقام عودة المعفار ومورد الماء بعيد من غريمه
 والري ولوانه من حجب أحبال المزمع حجب خالت الجذر داني الماهل متفرقة عليها ومنصرفه اليها وحاقبها من
 حوالها وأذن الكفار بالمصرف والذء من السحار والاعتماد على المطولة والاضحار والاستعصام بالباطق
 من أنفاس المغير الجزار وبان الخادم والمسلون على الحرس المذكور الذي يأوتهما رلين قدس قفر من أحوال اللقاء
 ما كانوا به جاهلين وحمل الله سبحانه وتعالى في هذه اللوبة ما عواقبه من سفره عن المراتب ودلائله حقيقة لقوله تعالى
 لا ينزل قلب الذين كنوا في البلاد وان الكفر من ذمام قائمه والنام مذلة ظلاله ليسع أحد من ولا تالا مر هذا
 الجدا لا على حين غفلة من أهلهم ولم يروا به الكفر وهو يتجمع في خيله فضلا عن رجله ولم يبدل العدو ضرب مصاف
 الا واستكانت العزائم لتهدده ولم يجمع أسره على انقاء الامرة عنه الامر بصرف ذهبه لا بمجديه فاما الآن فقد
 أنس المسلمون بحربه وغرر ببحربه

(فصل) في مسير السلطان الى بلاد الشرق من ذانية قال العادثم ان السلطان عزم على المسير الى حلب وبلغه ان
 المواصله كاتبوا الفرنج ورغبوهم في الخروج الى الثغور ليشغلوا السلطان عن قصدهم فتوجه على سمت بعلبك
 وختم بالبيعة وكان قد واعد اسطول مصر ان يجوز الى بلاد الساحل فيلقه لبقائه وصل الى بيروت فبادره السلطان
 بمكره جريده قبل ان يغور فلما وصل رأى ان أمر بيروت يطول وكان قد سبى الاسطول منها صلب ونظر
 من غشيتها بما يطلب فأغار السلطان على ثقل البلاد ورجع وأعاد غر خشاه الى دمشق ورجل الى بعلبك ومنها الى
 حمص فخرج الفقيه المهذب عبيد الله بن أحمد بن الدخان وله في السلطان مدائح منها قصيدة أولها

أعلنت بصدق وقفتي بالاجمع ● ورزى مالوك عن دموى الجمع
 طمرت فضا في متزيك قنلوا ● فأر بسم وموجبا في أضلع
 هل يعلم المتحلمن لنجعة ● ان المنازل أنصبت من آدمي
 دعني وباشاء التلذذ والاسي ● واتصد بولوك من يطبعك أويي
 لا قلب لي فاقى السلام فاقتي ● أودعته بالامس عند مودي
 قبل للفضيلة بالسلام توفعا ● كيف استبعت دمي ولم توزعي
 وبيدعة الحس التي في وجهها ● دون الوجوه عنابة للبيدع
 ما بال معتمر بر برك داتيا ● يقضى زيارته بغير تتبع
 ومنها

وعددتني ان عدت وعد وصالنا ● هيات ما أنقى الى ان ترجي

مكتوب (٣٠) الرومانيين

هل تسمعون سليل أمير نائل * ان اشتكى وحدى اليك وتسمى
تقريبى أى بحبك مكرم * ثم ائتمنى ما شئت فى أن تصنى

ومنها

عنى الريمع الجون وبها طامنا * أبصرت فيه البدر بسلة أربع
ولو استطعت مقيته سبل الفنى * من كفى يوسف بالادر الانتع
يسدى قتي لو ان جود يمينه * الفيت لم يلك مسكا عن موضع
فانقسم ظا يا جودا ندق * فضاو يا صهب التدى لا تملق
واذا تمسرقا يا أرض لرحنى * بالصاحلات ويا ببال ترعزى
وانا عاصى الجب ذأ على غانة * فالتله الهم الجسام ترقع
مكرم وقفة لاني الوشى بمودة * أبادو كم جود حديد الموضع
والناس بصدك فى المكارم والندى * رحلان للمسارق أو مدعى

قال ثم رحل السلطان الى حماه واستحب معه ابن أخيه تقي الدين فلما قرب من حلب أقبل مائة فراس كوكبرى بن على كرجك صاحب حران حينئذ فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جهة الاعوان وأثار عليه ان يعبر الفرات ويجوز ماوراها ويترك حلب الى ما بعد ذلك تسلا تسفله عن غيرها ما يستصوب السلطان رايه وعبر الفرات وقال القاضى ابن شاذانزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين فأقام ثلاثة أيام ورحل فى الحادى والعشرين منه بطلب الفرات واستقر بالمال منه وبين مائة الفين من زبن الدين وكان صاحب حران وكان قد استوحش من جانب اللوصل وعرف من مجاهد الدين فى الحال الى اللذان وعبر اليه واطم الفرات وقوى عزمه على البلاد وسهل أمرهما عنده فعبر الفرات وأخذ الى هاولا والقرعة ونصيبين وسروج ثم فطن على الحياور وأقطعه وقال ابن أبى طى فى أول السنة أراد مقرر الدين بن زبن الدين وكان اليه مخنكة حلب للاستيلاء على قلعة حلب بأن يجيها فلم يتمكن ونظر أمره فبعدد ما لوقعه اجتمع الاخوان عز الدين وعبد الدين على القرعة وتصلفا على سباط واحد وسلم عماد الدين ما كان يبدى من صغار وغيره الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فصار اليها ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار الى الفرات فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على جيباب التركان وأشار على السلطان بيجوز الفرات والاستيلاء على بلاد الشرق وتأخير أمر حلب ففعل ورحل عن حلب بعد ان أقام عليها ستة أيام وأقام على تل خالدة ثلاثة أيام ثم رحل الى البيرة وفيها شهاب الدين محمد بن الياس الارمنى فقتل اليه وقبل الارض بين يديه وسأله الصعود الى قلعة البيرة فأجابته وقد تم له ما فتح قلعة فرزها اليه ووعده بما يستخلص ما كان صاحب ملرد بن وقد خليه ورحل السلطان الى سروج فقتل اليه صاحب ابن مالك مستأما فأعادته الى بلده وواصل صاحب ملرد بن فى رومة كان قلب عليه من أعمال البيرة فقتل ثم أخذ الى هامة القرعة ثم سار الى الرها الى ابن زبن الدين والقرعة الى صاحب الرها لاسأل ان يكون فى خدمة السلطان ومن كتاب فاضلى عن السلطان الى عز الدين فرسناه بعلهم بالمال وفى آخره (وتجهل بجل ما هناك من الاموال فكلما فتحت البلاد أبوابا قد فتحت المظالم أفرأها واستوعبت الخيرات انراجا وانفاقا وامة قدس الحواصل اعطاه واطلا وقدعنا على ببحر لا يسده البحر وعلى أيدان كان بها التفتى فى أنفسهم الفقر) ومن كتاب آخر الى العادل (يعلم قتل الحاجة الى الانفاق وكثرة الخرج الذى اشتركت به أهل الاقاق وانتمى نصبت المواد وقتت الامور الى قد ارفقت نهايتها وتفرقت الجموع التى تسافرت لاعدته نكاتها وما دون ذلك البلاد الا الوصول اليها والتزلزل عليها) قال العادل وقال مظفر الدين السلطان ما زلت شوقا اليك فى حران حران والى الرى وسرور خدمتك فلما ت وهى لم يبق له وبألبانك من أهل الدين والديناء همة والرها لا يصير أمرها لقرعة فلك وبعض حقل والخابور فى انتظار خبرك ودارا لذكرك ونصيبين نصيبك وملك الموصل موصلك الى الملك وما ذأ وأوان الونا فادن اليها وكل بعيدة تدنا قال ووصل البحر الى الفرات وتوحيهم عليها من غربى البيرة ومذ الجسر وكانت البيرة قد قدم فيها صاحب ساردين واستولى

في اختيار (٢١) القلتين

على مواضع من أعمالها على سمع السلطان تقتل عنها فأعاد اليها صاحبها اب الدين محمد بن الياس الازرقى وكتب السلطان بالمثل للعاصلي الى الديبولن عند عبور القنرات كتابا فاقطعوا ولا يقول فيه (خدم الخادم متوالية الى الابواب الشريفه خلد انت سلطنتها شرعا لحواله ومعتادها من صالح أعماله ومتواعم ان الاجوبة عن ما يجي به من أمره رسدا ويرقق الاهداء اذ كادوا يكونون عليه ابدا فان الاراء المروسة لم تقنع عنها الانسا أت وتتعمقها الابواب والابتداء أت لافحمت عنهما والامال الخادم التي استغفقت الدولة بعفائق القنوح قبل خطبتها وردت الاسماء الشريفه الى أوطانها من المنابر بعد طول غربتها قتلك الاعمال للمجمرة وكل مهاجرة مهاجرة اليه ونية للمره توبه فلا يلبس الا ما خلصته النية عليه وكتاب الخادم الآن من البيرة بعد ما قطع القنرات وكان من لا تقرب عليه العزائم ما هو بعيد ولا يلقي السمع وهو شهود فلن ان ساكن للتلج حول القنرات بينه وبين قصده وأنه ينسى عزيمه رايه اذا ذكر طول مدهته وهول مدهته وكيف ما كان هذا المخرج المخرج فقد أسفقت الى الخادم اسائه اليه وقربه من محل دار السلام بل الاسلام فاما كنزها فالسلام عليه واستشرف خناقم من جنابه املنوا عرا وأجبتهم الموالاة والمهاجبه وطالعت عينه أنواره وانوارا تنسب الى بركاتها كل معايه وكاد ينزل عن السروج ولا كوار وبقل الثرى لاجل شرف الجواهر ويستند على مائه القنرات لانه يمر تلك الديار ويقرأ من صفاته صفات تلك الخواطر العظيمة الا خيل لرومن عذوبته عذوبه ذلك الانعام الذي هو أعم وأغز ولا قطار من القطار وتنور دار السلام من منزله فادناه النظر العالي واسفله ماله حوز القوز عاقر به نجيمان من قربه والاسمال أمانى والله تعالى يشرف أرضها وواطيا ويرى سر وحاهو كاليها وبعد به امه هوارها يضاعف من هوارها وبالتحقق الخادم ان المواصله قد واسلوا الفريخ مواصلة أخلاصها فيها الضائر ولم يسطيعوا فيها التمكن السرائر وخسبتهم خطوط الايدي المتفكة بصمم الكوافر وعقد وامعهم عقد أنهدم من هو صاخره وتقله الى من سمعه من هو ناظره وكان عقدهم احدى عشرة سنة والمستقر لم يفي كل سنة عشرة الاف دينار على ان تسلم بقور المسلمين الى الكلدان من باباياس وشقيق ترومن وحبيس جليلك وأسارى الفريخ في كل بلدتين يديهم وفي كل بلد يسترجعون من الخادم مساعدا الفريخ ولما لم يلم هذا العقد وحاولوا الفريخ ذلك لتنفذ خلتوان المني بجادله الباطل فيدحضه وان يد الكفر تنسب الى الاسلام فتقضيضه وان الخادم لا يمكنه أن يتوجه اليهم الا ان يكون الفريخ سلا ولا يستطيع ان يقسم العساكر فيقبل بازاء الفريخ تسماوا فرائضهم قسما وعملوا على هذا الوهم ونزاعلى هذا الحكم استهضوا الفريخ على تناقل الخطوة واستخرجوه من على ما بهم من كلام القزوين بعد الفزوه فقصامت أرجل الكفار على ظلعها وخربت على جامعها الى فرعها وانفقت في ربه لهما لا لجلود اليهم بها وحرت الى الاسلام جيشا جهزهم من يدعى الاسلام لفظا وبفارقته حكما وتواعدوا مواصلة مع الفريخ ليطلبوا ولاية الخادم من جانب ويطلبها الفريخ من جانب ونظر واقفا يوصل المشاة الى الخادم ولم ينظر والاسلام في العراق بقوسل المواصلة الى نصيبين بمحمد بن محمد بن وحركوا الفريخ للخروج الى الشام من طرفين ومتوغلين فلا جرم ان أمرهم اذ انهم وخواص صاحبهم ليسعهم المروق من الدين ولا تخرج من أمر الموحدين فارضوا الله بأساطهم واشفقوا على دينهم اشفاقا قائل على تحرزهم له واحبا لهم فاتبوه الحق وسلوكوا سبيله ورفع لهم الهدى ستار مفاقتة وادليله لا تجد قوميا مؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فاستان الخادم عليهم بالله اذى استعانوا على ديه باعدائه ولما رأى انهم قد أمالوا النصر من أرضهم أهله من سمائه فرب الخادم في رأس الماء بدشق بازاء الفريخ المملوك فرخشا دابن أخيه وابقى عسكر الناعم حاميه فيه واستنفض أخاه من مصر الى ما يليه من ولاد الكفر فغض وهام الخادم بمأفاهمه وله عزم وجل بما فرض وصار الخادم بالعسكر المصرى الى هذا الجانب الذى هو الآن فيه وكان أسير به يكميه وتتاقف بالطريق انتظارا لانيات البوت من أبوابها وفزع جواعن الولاية أيدي اغتصابها ويعتدوا الى السيف بالسنة يشق على زعاجها فأبوا الا الاياه وراوا الملك انما اذعوا فيه تقليد الخلفاء بل الاياه ولما قرب الخادم من القنرات وصل اليه صاحب حران ابن زين الدين على كوجك وعقد معسكرهم وابن أمير معشرهم وكنك صاحب حسروج وصاحب البيرة فكل بيده مغانج بلده وأماه امان الخادمه قدما قبله من مقلده ووراءه عسكره على كمال عدد موعده وقالت كتب أمرهم الذين يأخذون اقتضا عاتهم خدما وصانعات قريبا ياهم الذين يأخذون أمهالم جيات

ومقاطعات وسكوا وعشور واحتكارات يرغبون الى الخلد في الانتفاذ ويضربون في المسير على الاغذاء ويشكون
انهم مع جوارد الخلافة العظمى لا يسلك فيهم سبيل ولا يفتي فيهم شرأئها ولا يوسئها ونحو الى الخلد من تفاصيل
الخالد التي تازم الفريقين ويعدل بها عن قصد الطريقين ما يروى السامع ويسمع الراعي ويسجل عليها بخلاف
ويشيد عليها الاعراف لانهم ان دعوا تقليدا فقد تفضت كونهم اشد دعوا وما تبعوا وتقصوا وما اقتضوا ومشوا
بالحق وما مشوا وأمر وأبكت بالبدى وقد سطوها وبأخذ الاموال من حلها وقد خططوها وبرعاية امة النبي
صلى الله عليه وسلم وقد امضوا فيها واحضوها وابن الدعوة العباسية من رعاها لا من اذاعها والعهد وما يا
وما الاولى بها من سمعها بل من رعاها وأى عهدان لا عهد له بالطاعة وأى ولا يملكها ويريان يجمع اهل الفرقة ففرق
أهل الجماعة فالجندى توكل الارض باسمه ولا تثنى بده والعاى يرفع الى السماء مستغاثا لا يجهل الله عليه وقد
قهر الخلد من استغاث الاخص الغنية الا انها قهره والارتفاق بينك الطمع الجلبه وهى على الحقيقة
الحقيرة يوم يحى عليها في تاريخهم فتكونها جبايههم وجنوبهم وتظهرهم الا يذهب الى امة اخرى لا تفر
عليها الجنون ولا تدر عليها الخلوب ولا يتم على سمر بارقها وان كان الخلوب ودون الخلد بلغه انهم كاتبوا جهة
من الجهات التي الدولة متفرقة عنها وبدلوا الطاعة لها وقد أمر وبالا امتناع منها وهذا من الخلف لا دخله
التأويل وقول قد أحاط به العلم فلا يتجلبه التحويل وكل صغير من هذه الكثر وكل واحد من هذا الجلس التكاثر
ينقض الولايه ويبرح العداه ويسلب الرشد وينت الضلاله ويمحق نية الولي فيما هو لماض ويهت هزمه
يقضى ما هو فاض ويحطه وكيف لا يحط والمولى غير راض ويفظه بما لا عذر له لمقتضى متفاض وما انتهى
الخلد مما اتصل بالاول والاوائل والاطراف وما قول الاعلى ما يحته انفس دون ما خليه الارياض واذا قد ساق
الله الى هذه الولايه فخطها من معدله كان الزمان بها طويلا مطاها وانشأها سحاب احسن كان يبعدا عليها مطاها
فقد كفت الخواطر الشريفة ما كانت على اهتمامها كما يجب لامة على امامها والله يتفوض الله يرجع أمرها
ويبدع جيلب تنفها ويحلى ضرها وقد تجددت للدولة اثره بقوة واستظهار وبسطه واقدار وسيفه باضل من
يسى الجوار ولما يجدد له من مرد الفار وكان الخلد مذل بوصول الاسطول المصرى الى الشام الفرنسي وما
فعله في موانيه وسواحه وما غنم من مرا كبه وقوافله وورد كتاب من مصر بأنه كسب بطشة فرنجية خرج من فيها
هاربا من القسطنطينية لثمة وقت فيها بين رومها وفرنجها قتل منهم خمسون ألف فرنجي واقتلت منهم بطش
منها هذه البطشة وفيها رجال أكابر ومقدمون لم يذكروا وغم المجاهدون منهم ما لا أديهم من سبي وخائر
واقبلوا باسمه من الله وفضل وحازوا القيصه من الاسرى ما يزيد على أربعمائة بعد من درج بالقتل

فصل قال العباد ثم كاتب السلطان الملوك بالوفد لا تصاق فن جا مستلبا سلبت بلادهم على ان يكون من
اجناد السلطان واتباعه في جهاد الكفر كما امر رسول صاحب حصن كيبا بالاذان وهو نور الدين محمد بن قولا
ارسلان ثم رحل السلطان من البيرة فوزل على الزها وكان فيها آخر الدين مسعود بن الزعفرانى فاذهن واتقاد
وتسلها مظفر الدين مضافة له الى حران ثم وصل السلطان الى حران فرتبها وانفصل منها الى الرقة وفيها الامر قطب
الدين يال ابن حسان فاذهن ايضا لوسلم ولم يوافق مر اعانته صاحبه فاحملها السلطان ورحل منها الى مشهد الزمان
ثم الى عرابان فقتلها واصح من شأنها وتواصلت أخبار وصول السلطان بالجوار وما نشر من العدل لى البلاد التي
فحصها فافتحت رأس عين ودورين وما كسين والشمس به والقدين والمجدل والحصين قال وقطعنا ثمر الجوار
على قطرة التنبير الى نصيبين فاستصت قطعتها اياما ثم فقت احتسلا ما ولهاها السلطان حسام الدين أبا المهياء
الحمين وولى الجوار رجال الدين خوشترين ثم سرنا الى الموصل وقطعنا الاعمال بين النهرين ثم اجماع البقمه ثم سرنا
الى باد وأشرقنا على دجلة وكأوردنا خيلنا في أشهر من تلك السنة نيل مصر والقراة ودجلة ثم صعدنا على قصد
الموصل فلما قربنا من الوصول اكبرنا تكبر من نلفر بالمول وتقدم السلطان في الامراء ذوى الاراء ودار حول السور
وعين لكل مة قدم مقاديرل هو راء البلد وتقى الدين من شرقه وأخوه تاج الملوك يورى عند باب الحامدية فخلصت
المحاصر والمضايقه ونولى بجاهد الدين قايعا زحفه البلاد يا حسن تديره وكتب الديوان العزيز في ان يشفع لهم

الى السلطان فقدم في ذلك صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين في الشفاعة فرحل السلطان عنها في شعبان
وقصد سنجار وتقدم أمامه تقي الدين وقال القاضي ابن شدد اذ كان نزول السلطان على الموصل في هذه الدفعة
يوم الخميس حادى عشر رجب سنة ثمان وسبعين وكنت اذ ذلك بالموصل فقيرت رسولاً الى بغداد فقبل نزوله بأيام
قليل فمرت مدرة عانى دجلة وأتيت بغداد في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستجداً فلم يحصل منهم سوى
الانفاذ الى شيخ السيوخ وكان في حجة تهرسولا من جانتهم بأمر ونبه بالحديث معه وتلطيف الحال معه وسير الى هاولان
رسول من الموصل يستجده فلم يحصل من جانبه سوى تشرط كزن الدخول تحته أخطر من حرب السلطان ثم أقام
السلطان على الموصل أباناً وعلم انه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالحاصرة في هذا الوجه ورأى طريق أخذ
أخذ قلاعها وما حولها من البلاد وأضعافه بطول الزمان فرحل عنه وتزل على سنجار في سادس عشر شعبان فأقام
بمحاصرة هاولان فيها شرف الدين ابن قطب الدين وجاعة واستد عليه الامر حتى كان نائى شهر رمضان فأخذها
عنوة وخرج شرف الدين وجاعته محترمين محقون تين الى الموصل وأعطاهما السلطان ابن أخيه تقي الدين ورحل
هنا الى نصيبين وقال العالم لما قصد السلطان سنجار تزل يارتجان فوجد عسكر امين الموصل سائر اليها فأعطاه به
وأخذ خيلهم وعددهم وردهم الى الموصل رسالة ووصل الى سنجار ومعه رسل دار الخلافة ونزول الدين صاحب
حصن كيفا وكان في سنجار شرف الدين أخو صاحب الموصل فامتنع من تسليمها في مصر ورسمت القلعة بالمنجنيق
فانهزم منها ثلثة من السور فوكل بها من يحفظها ودخل شهر رمضان فكف السلطان عن القتال ثم جاء ما أخبر لي
ان الموكلين يحفظ تلك التلة بياض فأرسل اليهم من أوقفهم وجعلهم اليه وكان فيهم جماعة من المقيمين والاعيان فلما
أصبح صاحب سنجار اذعن وسرور حلال بأهل وملكه ودخل السلطان القلعة وترتها وأمر بعمارها ولاعها الامر
سعد الدين مسعود بن اتر وكان السلطان يعتمد عليه وأخته ابنة معين الدين كانت في حبة السلطان وكان رؤسا
سنجار بنى يعقوب فتركه الى اياسة فهم وولى القضاء منهم نظام الدين نصير بن المظفر بن محمد بن يعقوب ثم رحل
السلطان الى نصيبين فأقام بهم الا ان ايام كانت باردة ومناوذة رسل دار الخلافة وشكا أهل نصيبين من أمرها إلى
النجباء السمين فاستنصحه السلطان معه وسار الى دارا وأمرها صمصام الدين بهرام الارتقي قتل السلطان بأحسن
ملقى فأكرمه وسار الى حران وأقام بها للاستراحة وعاد كل الى بلده وسارت تقي الدين الى حماه هذا والموصل
في جدم من جمع الجميع وابتغاه القوائل للسلطان

(فصل) في وفاة فرخشاہ بن شاهنشاہ بن أيوب قال العماد في هذه السنة في جادى الاولى توفي بدمشق
الملك المنصور عز الدين فرخشاہ ووصل خبره الى السلطان عند عبوره الفرات فأقر السلطان ولده الملك الألبند
بهر شاه على بعلبك وأعمالها مكان أبيه وانفذ شمس الدين ابن المقدم الى مكانه على دمشق وأعمالها قال ابن
أبى طى كان فرخشاہ من أكرم الناس ذوا طهرهم أخلاقاً وأستدھر رأياً وأنجعهم قلباً ومما يحكى من كرمه انه
دخل الحمام يوماً فرأى رجلاً قد دب له الزمان وكان يعرفه من أهل الديار وشاهد عليه ثياباً رتيبين منها بعض
جسده فاستدعى يجمع ما يحتاج الرجل الى لبسه وأمر له بقلام وبغلة ممرجة وبألف دينار وقال لبعض غلمانه
اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل وخذ ثيابه واجعل هذا التلام والبقلة له ففعل فلما تنسل الرجل وخرج جرى
موضع ثيابه تلك الثياب وسأل الحامى عن ثيابه فقال انبذت هذه الثياب فتقدم اليه التلام وأخبره بجميع ما صنع
عز الدين وأخبره بأنه قد أجرى عليه معيشة عشرين ديناراً في كل شهر فلبس الثياب وخرج من الحمام وهو من أغنى
الناس قال وكان فرخشاہ بن شاهنشاہ بن سعدان بعدة قصائد من جملتها التي يقول فيها

تخذت السارى لبداء عود الـ زان نابا والهند وانى تفرقا

أبحسبى الاساب قصرت الاعراب عنه مجعاً وظناً وثراً

هزمت كتيبه الكاتب جفلاً * وأعادت دجى الحوادث جفراً

فهمسوا كالمأزنى علماً وكالاحسنف حملوا كالفرزدق شعراً

قال وكان فرخشاہ مضافاً الى شجاعته كونه عالماً متقناً كثيراً الادب مطبوعاً للنظم والتفريق شعره قوله

مكتاب (٢٤) الروضتين

أما في أمر السقام * من هوى هذا التلاطم * رضاء ترشقي عينا * مفزادى بهما
كلما ترشقتى فإ * دعلى حلالاوم * ذقت حنة الشهدى التلج المصنى فى المندام

قلتمو جع ابنه الاعمى أيضا شاعر لو كن السلطان كثيرا لاعتاد على فرخناه وفى بعض الكتب الفاضلية عن السلطان إليه (ومل كتابه يتضمن نوح ج الفرج وبادره من الاحوال واعلم من مكافئ التشتال ولنا تبتعد ان يبنى الله به كل بعيد من المراد وان يقل بتقديره قلب الذين كفروا فى البلاد وان يحير على يده أول النحل الذى توجه به لمرصا وان يصب به على المشر كينه وتغذاب ان ريل لبا لمرصاد) وقال العباد كن عز الدين فرخناه من أهل الفضل والفضل على أهله يعنى الكرام عن الابن ذال بكر م دله ومن أخص خواصه وذوى اصطفاؤه واستعلامه الصدر الكبير العالم تاج الدين ابوالعين الكندى أو حد عصره وأصح وحده وقرع دهره وعلامة زمانه وحسان احسانه ووزر دهره وشروقته وجليس أنسه ورفيق درسه وشاع شمسه وحبيب نفسه ولى فى هذا الملك فصا دمه فاصيد هاتية موسومة مدحته بها فى أول سنة مجتبت فيها السلطان الى مصر وهى سنة اثنتين وسبعين وعارمها تاج الدين أبو الجبس بكلمة بدية فى وزنها وزورها وحسن ربهما فأما كلتى فهى

يرأى امر خلاص العيش النهى * وهو فى حال غصارة لازمن البهى
وصباية لا استقل بشرحها * عن حصرها حصر البليغ المده
أحقيق ان غبت عنكم فالهوى * دان لقلب بالتمرام موله
انهى اليكم ان صبرى منى * بل متهم والشوق ليس بمتهم
لما عقودم دملعى قد دهرت * وأبت عقود الودمنى ان تنهى
ولقد ذهبت بينكم فاستقتكم * يامس لى باقى بينكم مدهى
فى شوقكم أيد الزمان تفكرى * ويد كركم عند الكرام تفكرى
لو قيل لى ما انتهى من هذه الدنيا قلقت سواكم لا أستهمى
ما حكان أرفه عيشنى والداها * من دالدى يلقى عيش أرفه
ومن السفاها تانى فارقتكم * من أين ذوالحسب اندى لم يسفه

ونها

وعقاب ابيله ما يفارق قلعا * أحسد البها غير غرابه
مالى ومصر والمصارع اغما * ملكت قيادى حيث لم أقرنه
لا تمنى يا عاذلى فانا الذى * تبسع الهوى وأنى بما دمه نهى
قد قلت لى لى وقلنداشت * فى مهبه ما قصر وصلت بهمه
حتام جندك لى لى زمام فأقرنه * فلقد أغتحت الى ذرى فرخنه
متكرم بالطلع لا متكره * سستان بين تكمه وتكره
احسان ذى مجدوه مجاد * مجد وقوى عابده تآوه
وهى ثلاثة وثلاثون بيتا والقصيدة الناجية تسعة وأربعون بيتا أولها

هل أنت را حسم هيرة قوله * وجبر صعب عندما منه دهى
هيات برحهم فائل مقوله * وحسناته فى القلب غير مهته
من بل من دله التمرام فأتى * مذحل بى من عن الهوى لم آتفه
انى بليت صعب أغصامى * بلحاظه رخص البنان برهه
أبقى شظه تدلى من دله * وصتى يرق عند لى لى لى
يا مفر دى الحسن انك منته * فيه كما أنفى الصباية منتهى
قد لام فيك معاشرافاتهنى * بالوم عن حب الحياة تواتهنى

في أخبار (٣٥) الدولتين

ابنك لديه فان أحسن بلوعة * وشبهة أو ما يظرف مقهقه
 امان محاسنه وحالي عنده * حبر ان بين تفكه وتفكه
 ضدان قد جعما بلفظ واحد * لي في هواه يجنيين موجه
 قلت يقال تفكهت الشيء أي تفككت به وتفكهت تجيت ويقال أيضا تفكهت تنذمت ومنه قوله تعالى فتلاتم
 تفكهون فهو في تفكه أي تمتع بالمحاسن وفي تعجب من حاله وتنذمت عليها ثم قال

أناعيد من شهد الزمان بعجزه * عن ان يجي له بسند مشبه
 عبدلعز الدين ذي الشرف الذي * ذل السلوك لا منزعة فرتشه
 طابت موارده قص فناؤه * وشذا الحداثة ذكره في المومه
 يفديك كل ملك متايه * أنبا بالسنة الرعام عده
 لا يفقه التجوى اذا حدثه * واداني بحديثه لطفه

قلت وذكر العاد في ديوانه أنبا ناحتحة في مدح الشيخ تاج الدين أبي العباس رحمه الله قال
 نذا أكرم من وزاد مصر عصابة * حديث فتي طاب الندى بذكره
 وقالوا رأينا فاضلا ذائباة * أدبيا فوق الفاضلين بفخره
 بدين حبيب والوليد لتنظمه * ويحمده عيدا لم يدنسره
 ولوعاش قس في زمان بيانه * لكان منيد في البيان بشكره
 فضائله كالشمس نورا ولم تزل * مناقبه في الدهر اعدا دهره
 بيان هو السحر الحلال واتنا * نرى معجزا من فضله حل مصره
 ذرو الفضل هم عند الحقيقة بأجر * ولكنهم أنجبوا جداول بحره
 يصنع مهيب الحمد من عرف عرفه * وتأرجح أرجا الربا بنشوره
 قتلت لهم هذا الذي تصفونه * أبو العباس تاج الدين أوجه عصره

قلت وبلغني أن أول معرفة فرخ شاه به الله كان في مجلس القاضي الفاضل بالقاهرة فجاء فرخ شاه إلى القاضي الفاضل
 جفري ذكريت من شعر أبي الطيب المتنبي فتكلم فيه تاج الدين بما يليق به فأعجب فرخ شاه وسأل القاضي الفاضل
 عنه فقال هذا فلان وعرفه بفضل فلما قام فرخ شاه من مجلس الفاضل أخذ بيد الشيخ تاج وخرج به ولزمه إلى أن
 توفي رحمه الله أجمعين

(فصل) في أخذ السالكين البحر لفصد الجواز قال العاد في سؤال منة ثمان وسبعين كانت فصرة الاسطول
 المتوجه إلى بحر القلزم والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ لطلب الفرج السالكين بحر الجواز وذلك أن الأبرنس
 صاحب الكرك لما صعب عليه ما توالى عليه من نكابة أصحاب القميين بقلعة ايلة وهي في وسط البحر لا سبيل عليها
 لاهل الكرك فكر في أسباب احتياله وفتح أبواب اغتياله فبنى سفنا ونقل أخشاه على الجبال إلى الساحل ثم ركب
 المراكب وشحنها بالرجال والآلات القتال ووقف منهاها كمين على جزيرة القلعة فنع أهلها من استقاء الماء ومضى
 الباقون في مراكب نحو عذاب فقطعوا طريق البحار وسرعان القتل والنهب والأسار ثم توجهوا إلى أرض الجواز
 ونفسر على الناس وجه الاحتراز فغظم البلاد وأعزل الدواب وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر ووصل
 الخبر إلى مصر وبها العادل أخو السلطان فأمر الحاجب حسام الدين لؤلؤ فخرج في بحر القلزم مراكب بالرجال والبحرية
 ذوى التجربة من أهل النجدة والنجية وسار إلى ايلة فظفر بالمركب القرمي عندها فخرق السفينة وأخذ
 جندها ثم عدى إلى عذاب وشاهد أهلها العذاب ودل على مراكب العدو فقبها فوقع بها بعد أيام فأوقع
 بها وواقعها وأطلق للأسرى من البحار ورد عليهم ما أخذ منهم ثم صعد إلى البر فوجد أعرابا قد زلوا منه شعبا
 فركب خيلهم وراه الحاربيين وكافوا في أرض تلك الطرق ضارين فخصرهم في شعب لاء فيه فأمرهم بأمرهم
 وكان ذلك في أشهر الحج فصار منهم أسيرين إلى متى كما يساق الهدى وعاد إلى القاهرة ومعه الأسارى فكتب

مكتاب (٣٦) الروشتين

السلطان اليه بضرير قايهم وقناع اسبلهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يضرب طريق ذلك البحر أو يعرف
قلت ولا في الحسن ابن الفروي في الحاجب لؤلؤ بسبب هذه الواقعة اشعلها

من يوم من الزمان عجيب * كاد يذى فيه السرور والجماد
اذأى الحاجب الاجل بامرى * قرتهم في طيم الاسفاد
يجمد مال كلهم جبال * وعلوج كانهم أطواد
قلت بعد التكمير لما تبذى * هكذا هكذا وكون الجهاد
حيذا لؤلؤ يصيد الاعادى * وسواه من اللآلى يصاد
ومها

قلت وقد سافرت يا من غدا * جهاده يعضد من حجه
اذ قيل ما را الحاجب المرتضى * في البحر يارب السما والبحه
البحر لا يعدو على لؤلؤ * لانه صكون من ثلجه
ومها

يا حاجب المجد النى ماله * ليس عليه في الندى حجه
ومن دعوى لؤلؤا عسما * صحت من البحر له نسبة
لقماته عمل من صالح * فيه وما تقهر من حبه
كفيت أهل الحرم العدا * وذدت عن احدوا لك حبه
ومها

لئن كنت من ذا البحر يا لؤلؤ العلى * تمت فان المودة قبل وفيه
وان لم تكن منه لاجل مناقه * فانك من بحر السحاح أخيه

ومها

اعاأنت لؤلؤ لآلى * جاسم البحر السحاح العذاب

وكتب السلطان الى الله العادل من كلام العادل (وصل ذابيه المؤرخ بخامس ذى القعدة المحضر عن المسفر من الاخبار
المنبهم عن المنبهم من الامار وهي فحة تفضت نجا ونصرة جعلت الحرم حراما وكفاية ما كان الله ليؤثر مهنه فقيه
صلى الله عليه وسلم تأجيرها وبجيبه من عجائب البحر التي يحدث عن تسيرها وتغيرها وما كان الحاجب لؤلؤ
فيها الا صمما اصاب وجهه سدده وسيف قطع وذكر مجردة ورسولا عليه البلاغ وان لم يجعل ما أثرته به وقد غطناه
باجر جهاده ونجى اجتماعه ركب السبيلين برا وبحرا وامطى السابقين من كانوا نهارا وخطا عا وسع الحنا وغزا
فانجح الفوز وحبذا العنان الذى في هذه الفروء اطلق والمال الذى في هذه الكره اتفق ودوله الاسارى ضد
نهر واعلى عورة الاسلام وكشفوها وتناقروا بلاد القبلة وطوفوها ولو جرى في ذلك سبب والى الله لضاقت
الاعداء الى الله والخلق وانطلقت الانس بالذمة في التوب والشرق واليمن تطهر الارض من ارجاسهم والهواء
من اتفاسهم بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين وان هذا العدو القليل قد نال ذلك المنال الجليل
وهذا مقام روى فيه حراسة الظاهر والباطن كافر حذب الفتى الذى لا يمكن في كل الاوقات سده ورتقه وادغ المؤمن
من تين والاولى تكفى لمن له في النظر ثقته) وفي كتاب آخر الى العادل ايضا (وحسن بنى المجلس السامى بظنهم ولم لا يكمله
ويصره ولم لا يجعله ويشكره وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعه ولا تشريع في ابقائهم قمحه ولا في استبقاه واحد
منهم مصله ولا في التضاضى عنهم عند الله هدر مقبول ولا حكم الله في امانهم عند أهل العلم بشكل ولا بجعل
قليش العزم في قتلهم ليتناهى امانهم من فعلهم وقد كانت عظيمة ما طرق الاسلام بثلثها وقد أنى الله بعد هالطيفة
أجرها على يد من رأى من أهلها) وفي كتاب آخر ايضا الى العادل (قد تكرار القتل في معنى أسارى بحر الجزائر فلا تدر

في أخبار (٣٧) الدولتين

على الارض من الكافرين ديارا ولا تورد لهم بعداء البحر الا انارا فاطمهم اذا بقي حتى الامر الاصعب ومتى لم يجعل الراحة منهم وعدت العاقبة بالاشق الاتعب) ومن كتاب آخر في بغداد (وسارت المراكب الاسلامية طالبة شوكة المراكب الحربية المتعرضة للمراكب الحجازية والعينية وكانت مراكب الدردرة وغلات في البحر ودلها على عورات الساحلين من العرب من أشبهم كما هي في الكفر فوصلت الى عذاب قتل ينل منها مرارا داغرا ما وجدت في طريقها أوفى فرصة عذاب ثلاثه وسبعين وقتل في الساحل الحجازي الى رابعه من السواحل الحوراء وهناك وقع عليهم أسحابة وأوقعوا بها السنداق وأخذوا المراكب الفرجية على حكم البدار والاسراع ففر فرجها الى الساحل فركب أسحابة وأرغم خيل العربان التي وجدوها وأخذوا الكفار من شعاب وجبال اعتمى بها وقصدوها وكفى المسلمون أسد فساد في أرضهم وأقطع فاطم لغرضهم وانسبطت أمانهم بقضهم وعميت على الكفار هذه الطريق التي لو كشف لهم غطاؤها قدسا ولو أحاطوا بها علما لاشتطت نكايتهم واشتدت جنابتهم وعز على قداماء ملوك مصر ان يصروا هذه الاقربان وبطفتوا عذد النيران وركبوا غوارب الحجج وبرخصا وغواوى المهج وبقتنمو هذا الطائر من - والى لا يدرك لوجه ويدركوا هذا العدو الذي لا يدرك الا ان تسخذه عليه ملائكة الله وروحه) وفي كتاب آخر في بغداد (كان الفريخ قد ركبوا من الامم نكرا وافترضوا من الصبر كرا وعروا مراكب حربية شهتوها بالافتاتة والاسلحة والازواد وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز وانحنوا وأوغروا في البلاد واشتدت حفاة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلة ما أومض اليهم من خلل العواقب وما نزل السابون الا انها الساعة وقد نشر مطوى اشترأها والديا وقد طوى منشور بساطها وانتظر غضب الله لفناء بيته المحجر ومقام حليته الاكرم وزان أعيانه الاقدم وشرح نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تسخذه البصائر أيد كاية هذا البيت اذ تصده أصحاب القيل وركبوا الى الله الامر وكان حبيبهم ونم الوكيل وكان للفريخ مقصدان أحدهما قلعة ايلة التي هي على فوهة بحر الحجاز ومدخله والاخر الخوض في هذا البحر الذي يتجاوز به بلادهم من ساحله واتسموا فريخين وسل كوا طريقين فاما الذين بقى الذي قصد قلعة ايلة فانه قد تزامن جمع أهلها من مورد الماء الذي به قوام الحياة ويقال لهم باللعش المشوب الشباه وأما الفريق القاصد سواحل الحجاز واليمن فتقدر ان يمنع طريق الحاج عن حجه ويحول بينه وبين حجه ويأخذ تجارا اليمن واكرام عدن ويبلغ سواحل الحجاز يستنجع والعباد الله المحارم ويهيج جزر العرب بعظمة دونها العنائم وكان الاخ سبف الدس يصرد عمرها كبر وفقرها على الفرقة من وأمرها بان تلوى وراءهم السقطين فاما السائرة الى قلعة ايلة فانها انفضت على مرابطى الماء انقراض الجوارح على بات الماء وقد تم افنى شبه السماء مسترقى سمع الظلما واخذت مراكب العدو رمتها وقتلت أكرم قائلتها الامن تعلق بعضه يوما كاد أودخل في شعب وماعاد فان العربان اقتصوا آثارهم والتمزموا احضارهم فلم ينجم عنهم الامن بنى عن المعاودة ومن قد علم ان أمر الساعة واحد وأما السائرة الى بحر الحجاز فمادت في الساحل الحجازي الى رابعه من السواحل الحوراء فاخذت تجارا وأخافت رفاها ودلها على غوارب البلاد من الاعراب من هوسدت كفروا غافا وعملوا نوع عليهم أسحابة وأخذت المراكب كسب بأسرها وفر فرجها بعد اسلام المراكب وسل كوا في الجبال مهوى الممالك ومعانط المعاطب وركب أسحابة انوارا هم خيل العرب يشاؤونم شلا وبقتنصونهم اسرا وتلا وماز الوابيعونهم حمة أيام خيلا ورجلا نهارا ولا حتى لم يتركوا عنهم خبرا ولم يقولهم أترا وسبق الذين كفر والى جهنم زمرا وتيد منهم مائة وسبعون أسيرا) ومن كتاب آخر (ومن جملة البشرائر الواصلة من مصر عود الاسطول من مائة كلمرا كسبا غامعا غابا بعد نكايتهم في أهل الجزائر واخراب ما وجده فيها من الاعمال والعمائر ومن جملة مناطق به في طريقة بدتة من مراكب الفريخ تحمل أخشابا متجورة الى عكا ومعها تجارون ليبنوا متاشاوى فاسر النجارون ومن معهم وهم نيف وسبعون وأما الاخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها المؤمنون ولقد ادمى في المغرب عسكر قد بلغ اقصى افريقية فتوجه وعاد به شخص الدين في تلك البلاد ووجه

(فصل) في باقى حوادث هذه السنة قال العمادى في هذه السنه في سنة ثمان وسبعين اتم السلطان على نور الدين

محمد بن قرا أرسلان بأعمال الحميم وكانت عمارية في عمل الموصل فلما سلمها جعلها من نصيبه وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله حين توجه إلى الموصل في أوائل سنة ست وستين عند وفاة أخيه مودود وعبدان قرا أرسلان بقلعة الحميم ثم سلمها إليه دون أعمالها قلعة ليعينه ووفاء بوعده ملاكهم موديه ولما جاءه سلمها حدثت في هذا العام خصه السلطان عاجلًا بهذا الانعام ثم وهب له قلعة تل الجديده وهي قرية من نصيبين ووعده بفتح آمد له فوق بوعده كما سيأتي قال وكان شاه أرم من صاحب خلاط ظهر إلى ابن سكيان وهو خال صاحب مارد بن ايفلاز من بني علي بن قريش وأصحاب مارد بن هذا هو ابن خال صاحب الموصل عز الدين بن مسعود بن مودود بن زنكي فافترض شاه أرم من يثقل على السلطان في الموصل وسجنار وهو على سجنار وأرسل إليه سيف الدين وهو من أعز أصحاب عليه فلم يسع السلطان شفاعته فاجتمع هو وصاحب مارد بن وصاحب الموصل وصاحب ارزن وندلس وغيرهم من عسكر حلب وجمعوا جموعا وعزموا على لقاء السلطان وتزولوا ضيقه من أعمال مارد بن يقال لما حرم جمع السلطان عساكره وجاءه تقي الدين من حماه إلى حران في خمس ليال فصاروا إليهم بعد العدا لا كبر فلما وصل السلطان رأس عين وجمعوا جميعته فقرأوا وقروا وعاد الخلاط إلى خلاطه باختلافه ورجع الموصل إلى موصله لمواصلة احتياطه واعتصم اللورد بحصنه المارد وهتكوا حرز مارد للمصادر والوارد وهاب عسكر حلب العود إليها ونحى على طريقه فأذن حصنه بتفرقه ومضى معظمهم إلى الموصل فبعد الفراق عند عانته ولم يجدوا أعانه ونسقتهم ربحنا وهم جبال وذهبوا بقلوب النساء وقد جاءواهم رجال ثم تزل السلطان منزلة القوم بحرزم وفيها قصر لصاحب مارد بن كان يثروه فيه فقام فيه تاج الملك أخو السلطان قال ابن أبي طي وفي هذه السنة تزل قراقوش على بلدز أوت وفاته إلى أن انهمز منه أهله ودخل المدينة ليقتضى بها أيام الشكاف أصح يوما فاذا حول المدينة عسكر مقدار خمسة آلاف رجل فقلعوا فاعتد أصحاب قراقوش بعد الاجتماع من البواريين والركابديرية وبقي الناس سكارى ورأى أحد البوقية فامر من بضرب بالقوق وفتح الباب وخرج فظن العسكر أن قراقوش وعسكره قد شعروا بهم فاهزموا قال ثم اند قصد طرابلس خامر ها وضيق عليها وكان شقيقا عبد المجيد ابن مطروح قد أرسل قراقوش وطلبه من الأمان وسأله أن يتقدم إليه قوما يقر معهم أمر التسليم فافترض إليه وزيره وثلاثين وجوه أصحابه فأخذهم عبد المجيد وأزله في دار أخلاطهم وأسلم جميع ما يحتاجون إليه فخلعوا لهم اللبلل أخذوا الخاد وقصاصهم إلى حتى قطعوها فقام بعضهم إلى صحرى بمولعا للرب فأحدث فيه فأخبرت الرقاب عبد المجيد بما كان منهم فأحضر وجوه البلد وقس عليهم ما كان منهم وقال إذا كان هؤلاء خيارهم فما فأنصركم بشر لهم وكان أهل البلد قد أثاروا على عبد المجيد يسلم البلد فامتنعوا وحيدوا وحضر ابن مطروح من القديهم إلى الدار ومعه وجوه البلد فقال أصحاب ضيقه لم أحضر هؤلاء السادة بمحادثه مقطعة فقال ما أحضر لهم إلا المحادجدا ولكن التومأ كواطعام الضوفية الذي لا نعرفه في بلادنا فسجى القوم ودعوا أنهم قد فطنوا بأجلهم وتزل رجل إلى الدار مع فرأى العذرة على وجه الماء فقال من قبل فلم تروا وحدهم جوابا فقال ابن مطروح يا قوم ما دخلناكم إلينا إلا عازمين على تسليم البلد البصم وان يكون لكم رعايا وقد شاهدناكم أفعالا ما نرضاهما فان قلتم أن هذا القتل من غلاتنا وعبدتنا فما أقبح هذه الاحدوت عن خيار أصحاب هذا الرجل وان كان عند من هو خير منكم فلم يسلمكم إلينا هذا طعن في عقله ثم أمر بأتراحهم فأخرجوا من المدينة فلما صاروا إلى قراقوش وعلم القصة عظم عليه الاسر وأراد الفتك بهم وعلم أنهم قد تقروا عليه ذملا لم يسكنه رغبة أبدا وتيقن أنه لا يمكن البلد أبدا وأنفذ عبد المجيد إلى قراقوش ابنته بهادر على أخذ هذا البلد لاجل ما تقر به أصحاب قلوب أهله فان رأيت أن تجعل لك جمعا فتحملها إليك في كل سنة وترذل عناقلنا فأجاب إلى ذلك ورذل عنهم بعد أن احتوى عليهم قال وتوافقت إليه الفرسان من مصر حتى صار في جماعة فارس من الأتراك وسار من جبل نفوسة إلى قابس في يومين ثم إلى قصر الزم وغيره من المواضع والقلاع فجمعهم ونهب وغنم وأخذ أهل تلك النواحي

(فصل) في فتح آمد قال العاد من سار السلطان إلى آمد وتزل عليهم يوم الاربعاء صايب عشرين ألفه بعد أن استأذن الخليفة في ذلك فأذن له فنصب السلطان عليها المجانيق وضايقهم وطل حصارهم ثم أخذها في السنة الثانية كما سيأتي

في اخبار (٣٩) الدولتين

«ثم دخلت سنة تسع وسبعين» قال ابن أبي طي والسلطان منازل لا مدول شدة قتال الصامقية فأمر السلطان بكتيبر فاعيا براق واعاد ووعدهم بالعدا وان دلموا على القتال لتستأمن شامتهم وان اعترى لواء سوا البلد لنصنن اليهم ولنضعن ما عليهم من الكلف والضرائب وأمر أن تعلق تلك الرقاع على السهام وترى إلى آمد فرى من ذلك شيء كثير فكفوا عن القتال وأشاروا على ابن تيسان بطلب الامان فأوسى على أن يخرج بجميع أمواله دون النخائر والسلاح وأموال ثلاثة أيام فلما عول على قتل أمواله قعد به أصحابه فأرسل إلى السلطان فأخذ إليه غلانا ودواب وضربت له خيمة بظاهرا آمد وجعل يتقل ما يضر على قتلهم من المال والقتال وآلات الذهب والفضة مدة ثلاثة أيام به لم عظم كافوا يزيدون على ثلثمائة انسان ولم يتقل عسرا كان له وسرق من أمواله أكثر مما حصل له لأنه ما أخرج أحد شيئا الا وأخذ نصفه أو أكثر وكان ابن تيسان قد حصل في آمد أشياء كثيرة لا يمكن وصفها من الاسلحة والاموال والغلال والكتب وما انقضى الاجل أخلها حصل وصار قاصدا بلاد الروم وتسلم السلطان مدينة آمد بأموالها ونخائرها ونصبت أهلامه على أسوارها وتلك في رابع شهر المحرم ووجد فيها من الغلال والسلاح وآلات الحصار من الخناجر والسيوف والبنادق والآليات كثيرة لا يمكن أن يوجد في بلد مثلها ووجد فيها برح من ابراجها فيه مائة ألف خنجر ورجل مئود وصول النساب وأشباه يطول سرها وكان فيها خزانة كتب كان فيها ألف وأربعون ألف كتاب فوهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل فأقتب منها رجل سبعين هزاره ويقال ان ابن قرا ارسلان باع من نخائرها آمد ونخائرها ما لا حاجة له به مدة سبع سنين حتى امتلأت الأرض من نخائرها وكان السلطان لما تسلم آمد وهب النور الدين محمد بن قرا ارسلان بما فيها وكتب له بها ما عاها وقيها ووفى له بما وعده ووفى للسلطان انك وعده بما وعده بما فيها من الاموال والنخائر وفيها من النخائر ما يساوي ثلاثة آلاف دينار فقال لأرض عليه بما فيها من الاموال فانه قد صار من اتباعنا وأصحابنا قال وفي فتح آمد يقول سعيد الحلبي من قصيدة في السلطان

رى آمد يا الصافنا فأذهنت * له طاعة آكامها ووعورها
فما عز نادها ولا اعتاص ثورها * ولا جاش طامنها ولا ردسورها
وأترلت بالكرام بن تيسان محمدا * كأترل الزبابة كرها قصيرها
نهضت لها حتى اذا انقاد صمها * تنقضى على طول النخائل غورها
سمعت بها جودا لمن نزل برهة * بنافورها طورا وطورا بغيرها
وملكت ما ملكت منها تحولا * وكان قبلا في ذلك كبيرها
وان بلادا تجد تلمسوا كلها * لاجدران يرو جودك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فما كنى الزعماء من سفع آمد * أرى عارضا ينزل بالموث هاطله
لئن غضبت يوما عليك عروشها * فهذا ابن أيوب وهذي معاقله
ولوراهما يوما مسواه لقطعت * أباهر من دونها وأباجله

قلت وقال آخر

لو عرفت آسمن جاءها * ينظب في الاسلام تسليمها
لصيرت أهلى شرار بقها * لمن على الأرض سلاطينها

قال العماد أمأ آمد فحصل فقها يوم الاحد في العشر الاقل من المحرم وكان مديرا مديان تيسان فهور رئيسه والقائم بأمرها وكان لا مديرا قد يقال له لا يكلنى من أيام السلاطين القديما وولده محمود شيخ كبير عنده يطعمه وبقية ويرى الله من غلاته وصنعيه وأنه يحفظ البلد وأنه لا يغدر ولا يؤثر يده وإذا جاوره سولي يحضره عند أميره ويستدما يديره الذي يديره ويقول انه غلام وماسه كلام وحافظ على سر هذا السرره وأمن باختياره من جور الجيرة بل منهم الامن يخاف مكره ويحفظ منه مكره وينكر عرفه ويعرف نكره ولم يزل الحصار عليهم الى أن

أذعنوا لآلهة وخرجت نوازهم بحر إلى الخيم القاضى بطلب الامان فانهم السطان على انهم يخرجون بعد ثلاث ويحملون ما قدروا عليه من المال والاثاث وأعانهم السطان على نقل الاموال بالواب والرجال فلما انقضت مدة الامان تسلمها السطان وسلمها إلى نور الدين بن قرا ارسلان بأعمالها وأفيها وكان السطان وعده بها قبل ذلك فأنجز له الوعد وقد كان أومعاً ناهماً وتناهاها فقدر عليها ثم وصف العمالما كان في قلعة آمد من الفتنار والاموال والحواصل والامنة وان أصبحها لم يقدر وافي تلك الايام الثلاثة الا على تحويل ما خفي منها واستخفى الماسدون لهم في تحويلها اليهم وكتب الماخضل عن السطان إلى الديوان في بغداد ورد إلى الخادم التقليد الشريف بولاية آمد فلما آراء مستقر اعندمه قال هذا امتحانها ومع الوصايا فاستصاعها في طلبات الفصنوهال هذا صاحبها وتناوله فاخته الا كتاباً أنزل عليه من المعافى في قرطاس وما يقنه الا نور اعمى به في الناس فسار به ولولا العادقما استعجب جند باوعقل عليه ولولا الرتبة لما تقلد هند ياوطرق باباه باقليله ولولا ما استطاع للاولياء أن يظهره وما استطاعوا له تقبلاً واشاد للقيم بتعليمه ثلاثة أيام بثلاث رسائل فلما كان ذاهباً صمى ولو كان ذالاب لبي فلما انقضت ضيافة أيام النذارة واحترق من أيامدار الحرب بجهلان وقوده الناس الجارية عند ذاك اليوم الرابع فزلزل عمدها وقتلها فأنزل جلدتها وزيل جلدتها ثم رأى ان الشوكه ربما أصليت غير ذات الشوكه من جندتها وان المسلم قد مل من عذاب الحريق ولا يأمن أن تحرقه القسي من الصمام بشرار زندها ففصل إلى مخفيقه الذى أهل صاحبانه منعا بنقه ورأى ان سوط سطوته يضرب الحجر ويضرب عن أن يماثر البشر وتلك الاربعة قد شجعت بأفنها وثأت ببطفها وتأت على ولعها وغشت عين راقها فهي في مضارب لوح الجوكالطائر الآن المجهنق أقرى بعاقبيه وضغها بمخيليه وختم امامها بياضها وقام إلى الغريصا كها ويضرب بعصا الحجر فتنبس من الثقب اعين لا ترسل الماء ولكن ترى العطاش إلى منهل المدينة وتقتل الطمأى كذلك أما حتى يحى من الشرقات شنب نقرها وتناوبها كاس فتك تبس بهز ارجحها آثار سكرها وعلت الايدى الزامة لها وغلت الايدى المحامية عنها فلم يبق على سورها من يقع جفنا وشى المجهنق عليها غارته إلى أن صارت سنا وفشت صناديق الجارية القفلة وصلحت منها أعضاء السور المتصلة ووجب القتال ثلاثين بالخدامان لا جندله الا جندله فأعززت التقدم إليها ودخول النفايس فيها فاختفت براميا بالثقب وعتك الخباب من أضالع اللطف كاد تبصل إلى ماوراءها من القلوب وخشيت معرفة الجيوش في وقت هجومه ووصل صاحبها بأنه كشفه الخلدن حتى نصر على شكه بعله فأعاد الرسول مسنكها فتجيب النجاها بارسال دوات الخباب وبارازهن رسته كما يد الفل بسبب لم يكن جوابه هير لولاه واسرارهن ولم يعارض في نفسه ولا في قومه ولا في أمراله وهي ما هي ذخائر موفره ومكاسب من أرباح خضره كانت الحقوق عنهم مذوده والامال دونهم مطروده وغض الخدام كل عين عن عينه موفره وصانق في شجهم من النقر صياته في ذات صورده وخندقه واستوفى شرط الوفاء بما أعطاها من موثقه ووذ آمد فقهى بمن يذكر هابن العالم متعالم وطاماماد جانبها من تقادم فرجع مجذوعاً أنهوان كلن فخلاروقر عافريد الهمة واستعجب فخلارواى جبرها فقدر انه لا يفلح له جبر وسوادها حسب انه لا يذنه مظهر وجية أنف أنفها فاعتقد له لا يسع ميب زجر من ملوك كاهم طوى صدره على القليل المصوردها ووقف بهلوقى الخجبالائل فلا يقترأ مل من جواب معبدها ثم ذكر تسلمها إلى ابن قرا ارسلان ثم قال (ولما رأى صاحبها قراهن أن أخت صاحبته قد بلغت بها خاف ان يجمع له بين الاختير فراسل يبذل الخدمة التى يكون فيها نور الدين ثمانى الفدين) ثم ذكر اجتماع المواصله وساهل من وصاحب ماردين وصاحب ارزن وبديس وغيرهم على قصد الخادم وزلوا تحت الجبل فلما صبح عندهم قصده تلتوا انه وقع بهم فأخذوا عنه الفرار نقوة وذكر واما فى لقاءه من عوائل كانت عندهم مخوفة وعندهم جوقه وسار كل فريق على طريق بنية عدو وفعل صديق والخدام يقول معهما أرادته في الاراء الشريفة أنه ومهما نوت فيه من احسان قرب لهما نوافه فهذه أملا أرسل اليه متاعها وهوا التقليد فقها وهذه المواصل لما تأخر عنه المحتاج منها بما فيها ولو أعين به لعمقت على الاسلام عانته وتظهرت في دفع منار فادته لان اليد كانت تحرك به على عدو الحق واحدة والهمة لا تلات النصر واجده فان رأى امير المؤمنين ان يعين بين اوليائه ونظر أيمهم أبرزيا وليائه وأشد على أعدائه وأقوم بحقه وحق

في اخبار (٤١) الدولتين

آبائه وأبيهم أنزلوا على أشراف المهد واهتلك للطريق الممتد والهجري سبيل الله راحه واصبر في جهاد عداؤه على مضض جراحه واسلى عن ربحته فتواد وأكثر ما رست عليه قواد فختار له الامه التي جعله هاهنا ماما وأماما أسعد من أجرى في طاعته ضامرا وملا ولا ياتيه غيرا فمن عدله أن يولى عليه العدل الذي يقرع عنها ومن فضله أن يبنى الفضل فيها وقدر ذلك المشهور بآمنه فاورد للصور فان وردا المشهور بالشار اليه بلجزر وتوا وسعت فانه نور على نور وما يحسب الخادم ان كيدا للعد والكافر أكيد ولا جهدا لاهل الضلال أجهد ولا عائدته يغير رأسا أهل الاتحاد أعود من تقويم أمر الخادم بين بالاحتماد والاطيق نظر هل يشق على الكفار مزيد أحسدوا من ولادة الاسلام فكل ذي سلطان هو الطامع الكاسي المحي بالماض لا السامى المكتفى لا الكفى يقضى عزمه وهو لا يشهد الطعن الا في الميادين ولا يحمل الخاطا ثارا لولا انك في الصولجان ولا يشق بجمعه الاقرطاسه ولا يحظى برفعه الا كياسه فأعاد الله بأمر المؤمنين هذا الدين الى معالم حقه الاولى وأطال بدسلطانه الفولى الى ان تأخذ الامور مأخذها عدلا واعتدالا وسلاوقتا لا فيعود الى الاسلام عوايد ارتياحه وأيام منصور وسفاحه (ومن كتاب آخر فاضل عن السلطان الى وزير بغداد) أسعد هذه الدولة الى المجلس السامى معولا على كرمه فيما حلت من الباتة مستغنيا بشهرة الحال المتجددة عن الآبائه فان أمد قصر الامد في التفريها واتخاذها من المقام التي كانت تلبس بها رها بقية غيرها وسار اليها بقية الصاكر بعد الذين ساروا الى الشام وأقاموا قبله الكفار بصدة اختصر عليها أكثرها من عساكر الديار المصرية على بعد تلك الديار ليظهر راس نوى المناواه ويبين لمن كان على منافاة الملاحاه ان رجا لا من مصر فقام أمد بعد سنة من اليكسار وبعد غزوتين قد طلع بهما في نوار يخمسها الى الكفار في ذلك ما ينص الحماحد ويض الحماحد ويعلم ان في أوليائه وله ما رد كل مارد فلاحل بقوتهم اراد ان يجرى الامر على سواه ويلج الامر من بابيه وان يندرك المقدر بوقته ويضنه بقول النصارى عن الرقيق ان لا يظنوه فبعت اليه ان يهب من كراهه ويصلب في التقدير قراه ويغيب نفسه معيا الذئاب ولا يعرض بان يكون متخبا للذئب فاذاع ريكته لاتبيل الا بالعرك وطرد به لاصداد الاباشراك فهناك رأى عاجلا ما هناك وقوتل حتى القتال في يوم واحد عرف ما بعده من الايام ووقع الاشفاق من روعة الحمر يهيمونك الحرام ونصب المنصب في قارسل عارضها مطره وفطر السور بقدره الذي ظفروه وخطب امامها خطيب خطبه وأغدغ الصارم اسكتها بصره وقرقه أهل الحرب لحسن الشان منه عن خز به فصار في اقرب الاوقات جبلها كتيبا مهيبا وحفرت الابرجة وجهات رطلونظرت القلعة نظرا أكيدا حتى اذا أمكنت النقوبان تؤخذ وكبد السوران تفلذ رأى الذي لا يصر على بعضه واعتذر اليه البناء الذي بناه ان لم يقضه فلا بد من قرضه وسأل فاجيب الى الامان على نفسه وخرج منها وانما أخرجه النظم وسلم وهو يرى السلامة امان الحلو وامان الحكم ثم قال (ولو لا تقليد أمير المؤمنين لما فتح له الباب الذي قرعه ولا أنزل عليه النصر الذي أنزل معه ولا ساعد سيفه ساعدا ولا تدمت من مصر فأخذت أمدوم بآمد وكوقبت مسانته في تقليد الموصل لكان تدويلها ولويدلج أدلجها وأخذها ولوحصاتها تبها وهو توقع في جواب هذا الفتح ان يمدح بحسب هو الكلام وراح هي الاقلام ونصر هو واقد الامر وترشيد هو فك انجر وليس ذلك لوسائل من دولة أقامها بعديل عر وشما ولا دعوة قام فيها بما تصاغر دون مجيوشها ولكن لان هذه الجزر رة الصغيره منها تبعث الجزر رة الكبيرة وهي دار القرقر ومدار الشقه ولواتنا في السك لا تنظم جميع عسكرا الاسلام في دار الشرك ولكان الكفر يلقى بيديه ويقلب على عقبيه ويتشاء الاسلام من الخفون بين يديه ويغزى من مصر را وجرا ومن الشام را وجرا ومن الجزر رة مد او جزرا ويكون خادمه تدوب ان يغتزل بوله تعالى ولقد متنا طيلك مر أخرى) ومن كتاب آخر (كتاب اهدا والدينية تدفقت أبوابها وهذقت بدولتنا آسيابها وتكلم لسان هاننا في قوم طاعتها وبعد ان ليستاد وتناوفا بجمع عدل طاعتها فالملقه الذي تتم التمجيد ويضع الامل يقصده ما يفتح اقل نقاس من رحمة فلا يملكها وما يملك فلا يملك مل لمن بعده) قال الامام محمد بن علي السلطان مدينة أمد وحسن في دار الامارة وحلف قواد الذين قرأ الرسلان على انه يظهر بها العدل ويقمع الجور ويكون سامعا مطيعا السلطان من معاداة الاعداه ومصافاة الخلال في كل وقت وزمان ولنه متى استقدم أمد لقتال الفرغ وجمد ذلك يقطان

مكتوب (٤٣) الروماني

والله عشتان قال لو كان هذا في الدين في خدمة السلطان بنفسه وعسكر من مذهب الفرنج من ان يرسل ملوك الاطراف اجتمعت عند السلطان كل يطلب لمصاحبه الامان وان يتخذ من جهة الاعوان منهم صاحب ماردن وصاحب ميافارقين وهما قريتان في أرض سلطنة السلطان كل رسول يسوله وأجاب الله بقوله ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات قصد حلب وولانيته فجلس في طريقه ثلث ايام بالعرب ولم تكن منهم بالقرب فأقر أهلها فيها ثم نزل على عين تاب فبادر صاحبها ناصر الدين محمد بن خماري زكى الى خدمة السلطان فأعاد الى مكانه بالاحسان وقال ابن أبي طي: تسل السلطان ثلث آلاف رابع عشر المحرم وسأله الى يد الدين بدمر ومن مكتوب فاضلى (نزلنا ثلث خالد يوم الثلاثاء ناني عشر المحرم وكان قد تقدمنا الاجل تاج الملوك اليها وأما خلعها ولباسها وقلعها ونالها ولوشاه لها حلها ولما أطلت عليها راياتنا في من مهابيده وانتمز الحرس صادق وعده وأرسلها حلب مقدمة لفتحها وقد أتم الله علينا بنعم لا تحصى تعدادا ولا تنقص اعتبارا ولا تستوعبها ولو كان المارطرا والبحر مريدا ورايتنا النصورة قد صارت مغناطيس ايلاد تعجبها بظهورها ومروفاة صارت معانج الامصار تفصحها بنصر الله لا يجدها ولا يقصها قلت لها أحسن ما مال اليك من قصيدته في السلطان

فر لوك نعواد من هالككم • فعدائق آخذ الدنيا ومعطيا

(فصل) في فتح حلب قال القاضي ابن شداد لما عاد السلطان بدأ بقتل خالد فقتل عليها ولباسها وأخذها في ناني عشر المحرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى حلب فقتل عليها في سادس عشر المحرم وكان أول نزوله بالميدان الاخير وسير المقاتلة بقاتلون وبياسطون عسكر حلب يلقون سوابب الجنان غدوة وقوعه وفي يوم ثرو لمصر اخوه تاج الملوك وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرج ونزب قطعة من ارق تلح جادى الا الى سنة ثمان وسبعين ونزب حصن كفر لا تأخذها من يكش فانه كان قد صار مع الامان وقد نزل بالشر فتم قدر عليها وجرت غارات من الفرنج في البلاد يحكم اختلاف العساكر فالولما نزل السلطان على حلب امتدحى العساكر من الجوانب فاجتمع خلق كثير وقتلوا قتالا شديدا وفتح عماد الدين زنكي انه ليس له به قبل وكان قد ضرب من امتزاج الامرا اعليه وجبههم اياه فأشار الى حسام الدين طمان ابن بصر لمع السلطان في اعادة بلاده وتسلم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشعر أحد من الرعية ولا من العسكر حتى تم الامر ثم أعلمهم وأذن لهم في تدبير أنفسهم فأنفذوا عنه عز الدين جرديك وزين الدين بك فبقوا عنده الى الليل واستخلفوه على العسكر وعلى أهل البلد وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الاخير ومقدوا حمله وطلع عليهم وطيب قلوبهم وأنام عماد الدين بالقطعة بقضى لشغاله وينقل أقسمته ونزائنه الى يوم الخميس ثالث عشر صفر وفيه توفي تاج الملوك أخو السلطان من الجرح الذي كان أصابه مشق عليه أمر موته وجلس الغزاة قلت وكان أصفروا ولا دأبوا ذكر ابن القادسي ان مولده سنة تسع وخمسين في ذي الحجة فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وأشد له شعر اوقال الهادي الكاتب في كتاب التاريخ انه لم يبلغ العشرين سنة وله ظلم لطيف وقوم شريف ثم قال القاضي أبو الجحاش وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزا دوار مع الميادين الاخير وقررت بينهما فوعدوا وتزله عنده بالحقية وقدم له ثمة منسية توين لاجلة وطلع على جماعة من أصحابه وصار عماد الدين من يومه الى قرى احصا سائر الى خصار وأقام السلطان بالحكم بعد عشر عماد الدين غير مكرت بأمر حلب ولا مستظلم شأنها الى يوم الاثنين سابع عشر صفر ثم صدق في ذلك اليوم قلعة حلب حصرها منصورا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنه وكان قد تخطف لاختها من خلف لعماد الدين من قناش وغيره وقال الهادي وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين زنكي من موته والذي كان صاحب سنجار وتدهن بصكره فزاد الجناد والعدد وأراد مقابلة السلطان ومقاتلته وأراد السلطان ان ينظر بها بدون ذلك من القتال وعدوا الرجال لكن الشلب وجهال الاصحاب واموا القتال وأحبوا النزال وتقدموا وانضموا والسلطان بينهما فلا يتهمون وكان فيهم تاج الملوك يرى أخو السلطان فطلع في فخذته ثم مات بعد ذلك ايام بعد فتح البلد وكان السلطان ذلك اليوم قد صنع لفتح عماد الدين زنكي وكان السلطان أول ما قتل على حلب نزل في صدر الميدان الاخير وذلك في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم وخرجت من حصارها

في اختيار (٤٣) الدولتين

نستغل البلاد وماطينا من الحصن الذي يبلغ منه هذا العناد ونغدرسل للترهيب اليهم ففكر عماد الدين زنكي في أمره ورأى ان الصواب معالجة السلطان فاختصر الى حسام الدين طمان وصاحبه وحلفه على أن يسلم اليه حلب ويرق عليه بلده سنجار ففعل وزاده الخابور ونصيبين والرتة وسروج واشترط عليه ارسال العسكر في الخدمة ففازة ومن كتب خاضليه (تسلما مدينة حلب وقطعتا لم توتعت به الحرب أو زارها وبلقت به الهجم أو طارها وعوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لانه مشروط عليه به الخدمة نفسه وعسكره ومحتلطا بالجله فهو أحدا أو ليا في مقبليه ومحضره وعوض عماد الدين عتبان من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والخابور والرتة وسروج فهو مصرف بالحقيقة اخذنا فيه الدينار وأعطينا الدرهم وزئنا من للتيحات وأمرنا العوامح وسرنا القبط والكافرا المحارب والمسلم هو المسلم واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في وقت القزو والمصاربه فانتظم الشغل الذي سكان كثيرا وأصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشغب وأخذ اللهب واتصل السبب وأخذت الغزاة الاهب ووصلت الى غاية هذه الطلب والاتفاقه والمصلحة سامعه واسعة أنوار الاتفاق (شاهه) ومنها (فقتنا مدينة حلب بسلمنا كشتت بحرمنا قناعا وقلنا قلعتنا التي ضمنت أن تسلم بعدها بثينة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما شترط عليه من الخدمة في الجهاد للعدو الموفوره فبني بيدها بالحقيقة لأن مرادنا من البلاد رجاها لأموالها وشوكتها لأزهرتها ومنافرتها القعد ولا نضرتها وإن يعظم في العدو والكافر كنايتها لأن تعذب بالولي المسلم ولايتها والاوامر بحلب نافذه والرايات بأطراف قطعنا أخذناه وياه أهل المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤملون وأمنوا ما كانوا يخشون وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة على أن تكون العساكر بحجة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاذ بأيدئنا امتنعها ولتبرنا مفرها وفي خدمتنا ما لا نسبح به وهرعسكنا وفي يدنا ما لا تضن به وهو دهننا شمرطنا على عماد الدين التجدد في أوامرها والقناصرة على العداقة عند ملاقاتها فلم يخرج منا بلدا الا لينا عاده عسكره وانما استبقنا فيه من يحمل عنان مؤنه ويديره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافه ونتمثل قوله سبحانه وتعالى (وكانوا للمشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ومنها (نتمنا الامير بما من الله به من فتح مدينة حلب التي هي مفتاح البلاد وتسلم قطعنا التي هي أحدمارسه به الارض من الاوتاد فقه الحد وابن يقع الجند من هذه المنه ونسال الله الغاية المطلوبة بعد هذه القايه وهي الجنه وصدرت هذه البشري والموارد قد مضت الى مصادرها والاحكام في مدينة حلب نافذه في بادئها وحاضرها وقلتها قد أوفوا وأعلى أنفها وقبضت على عقبه بكفها واعتذرت من لقائه أسس برشقها ورأينا أن تشاغل عابورك لناسا فيه من الجهاد وإن توسع المجال فيما نضيق به تغلب الذين كفروا في البلاد) قلت ولا ينبغي الحسب في مدح السلطان عند ارادة فتح حلب تصيد مقبينا

ما بعد تيقن الكفاين من أمل ● ملكت الملوك وعذى دولة الدول

فانهض الى حلب في كل سابعة ● وسرجها قل تعني عن القتل

ما خضع غير اقلد المالك والبداعي اليه جميع الخلق والملل

وما عشت منعة لكنه غضب ● علام أهلتها اهل بيتك

غلوت وحقتك من جارتها فاشكت ● ما باله في صامعي غير محتفل

وتمناضي السعدين سنه الملك من قصيدة

بذلة الترك عزت دولة العرب ● وابن أيوب ذلت بيعة الصلب

ان العوامم كانت أحمى عامه ● لنفسها بتعالسها عن الرنب

جلسة النجم في أهل مراتبه ● وظلما غاب عنها وهي لم تقب

وما عشت حكم مشوق فعهه ● أحلى من الشعد وأشهى من الضرب

فمر عنها بلا غيظ ولا حنق ● وسار عنها بلا حقد ولا غضب

قلوى البلاد وأهلها كآثبه ● طبا كاطوط الكاب الكتب

أرض الجزيرة لم تنظر عمال كها ● بمالك فطس أو ساس درب

كتاب (٤٤) الزمتمين

عالم لم يدبرها مسدورها • الا رأى نهي أو بقل صبي
حتى ألهام صلاح الدين فأنصلحت • من الفساد كما صحت من الوصب
وقد حواها وأعطى بعضها مية • فهو الذي يهب الدنيا ويهب
ومذرات صدقة من ربعها حلب • ووصله لبلاد القير بالحلب
غارث عليه • وملك كفى مقتدر • منها اليه وأبدت وجهه مكثف
واستعطفت فواقها عواطفه • وأكب الصلح اذ نادته عن كتب
وحل منها بأفق غير منخفض • الصاعدين ورج غير منقلب
فتح الفتوح بلا من وصاحبه • ملكا الملوك صولاها بلا كذب
وقال ابن أبي طي • وكان حكيم من الشعراء يمرضون السلطان على فتح حلب منهم أبو الفضل بن جيل الحلي له
من قصيدة

يا ابن أيوب لا برحت مدى الدهر ربيع المذكان والسلطان
حلب الشام فهو مرآك ولحي • وله الصب ربيع بالمحبران

وقال ابن سعدان الحلي من قصيدة

دونك والحسنة أم القسري • ونارها الا شيب والطود الا لثم
واركب الى القلعة كل صعبة • أيت لنا وخلاك كل ذم
وارم فكل الصيدي جوف المرى • لا صارم السهم ولا ابى الحكم
مسلكي أخذت المسألة زورة • لا فسرقي يعقبا ولا ندم
فيا لها شقاء من عسرة • تطارح البرق وساحات الديم
ايه صلاح الدين شذا زرها • واعزم عليها فازمان قد عزم
ودونك المنعة من قباها • وبابها المطلق في وجه الامم

قال في آخر يوم السبت ثامن عشر من شهر محرم حقق السلطان الامير على سور قلعة حلب وضررت له البشارة وفي ذلك
الوقت تحقق عماد الدين وخرج من القلعة ليلالي الخيم وأعطى اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح وأثاث وكان
استناب الامير حسام الدين ما من في القلعة حتى نوافي رسله بنسائم سحار وتصيدين والخابر اني نوابه وأعطى السلطان
طمان ازالة لوساطته في أمر عماد الدين وكان السلطان شرط انه ما يريد من حلب الا الجهر فقط وأذن لعماد الدين في
أخذ جميع ما في القلعة وما يمكنه حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيئا وباع في السوق كل ما لم يبق من حمله وأطلق له
السلطان نقالا وجالا وخيلار يرمحل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الاحد التاسع عشر من دعوة عظيمة في الميدان
الاحضر وأحضرها جميع الامراء ومقتدى حلب قال ويوما السلطان على اذنه بالدعوة والاختدوا الاعطاء والاعوام
والحبا ان حضر اليه من عرفه وفاة أخيه تاج الملوك بسبب الضرر التي أصابته على حلب فلي يتغير ذلك ولا اضطرب
ولا انقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الاحسان وأمر بستر ذلك وتوعد عليه ان ظهر وكثام حزنه
وأخبر رزقته وسير على مصيبتيه ولم ير على حلافته وبشاشته الوقت البصر وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة
وترق الناس فحينئذ فارحوا الله واسترجعوا وبكى على أخيه ثم أمر به فقتل وكفن وصلى عليه وأمر به فدفن في مقام
اراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم حمله بعد ذلك الى دمشق ودفنه بها قال وكان تاج الملوك ملجأ الحسن للشباب
ملجأ الأعطاف عذب العبارة حلو الفكاهة ملجأ الرى بالقوس والطنع بالرمح وكان شجاعا باسلا مقداما على
الاهوال وكان قد جمع الى ذلك الكرم والدين في الادب وله ديوان شعر حسن متوسط قته

يا هذه وأمان النفس قريبكم • باليتها بلغت منكم أمانيا

ان كانت العين مذفوفة فكيف نظرت • الى مساوكم في انتها المقام

قال ولما انقضت فعزى السلطان بأخيه خلق على الناس في اليوم الرابع وفرق في وجوه الحلبين الاموال وفي

في اخيار (٤٥) الدولتين

سادس عشرى صفر ورد أصحاب عماد الدين وأحضروا اليه الصلاة ثم تسلم سحار ونصيين والخابور في ذلك اليوم قسما قلعة حلب ونازل منها الأمير طغان وأصحابه ولما سلمها الى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه أصحابه وأمرائه ونخرج الى خدمه السلطان ظاهرا وركب السلطان الى لقائه فاجتمعوا عندهم هذا الدعاء الذي يظاھر حلب من جهة الشمال قسلا لاولم يترجل أحد منهم صاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب الدين فترجل للسلطان وترجل السلطان له واعتقه وعاد افركا وسار هو وأبوه في خدمة السلطان الى الخيم بالميدان الاخضر فاجلس السلطان عماد الدين معه على طراسته وقدم له مقدمة حسنة عشرين بقعة صفر فبها ثوب من الغاني والاطلس والمعتق والمرس وغير ذلك وعشرة جلود قدس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قباونائة كنه وعجريتین هريتين باداتهم وبضرب منسوجتين وعشر قاكاديش وخمس قطر فبال وثلاث قطر جمال هريسات وقطار بخت ولما فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام فلما أصيب منه عماد الدين نهض لركوبه فخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه الى قريب من بابي وودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده قال وفي يوم الاثنين صابح عشرين صفر ركب السلطان وصعد الى قلعة حلب وكان معه صوده اليها من باب الجبل ومعهم وهو صاهدا الى قلعة حلب بقرأ قل اللهم ملك الملك توفي الملك من شاءه الآتية وقالوا قد ساررت بفتح مدينة صكسكس وري بفتح هذه المدينة والآن قد تبينت اني املك البلاد وعلت ان ملكي قد استقر وثبت وقال صعدت يوما مع نورا الدين رحمه الله تعالى الى هذه القلعة فسمعت به بقرأ قل اللهم ملك الملك الآتية قال ولما بلغ السلطان الى باب عماد الدين قرأ وأورثكم أرضهم ودينهم وأموالهم وأرضهم تناوؤها ثم صار الى المقام خشي ركعتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع القلعة ثم عاد الى الخيم وأطلق المكوس والضرائب وساعج بأموال عظيمة وجلس لهاتهنا بفتح حلب وأنشده جماعة من الشعراء منهم يوسف البراعي له من قصيدة

شرفت بسامي مجدك الشهباء • وتجلتها بجهة وضياء

ألفت اليك قباها واهلها • كل المسلوكة ترفع واباء

ومهم سعيد بن محمد الحريري له من قصيدة وتقدم بعضها

وصبحت شهباء العوام مصلتا • قواضب عزم لا يفل شهبها

فامطبت منها غاريا فيل تراغبا • وعاديسرا في عديك صيرها

وأوطأت منها الخصيص تنوقة • يمز على الشعرى المهور عبورها

وردة الباروح عذلة بروحها • وكانت رميلا لا يرعى شورها

قال وقال والدي أبو طي النجاش من قصيدة

حلب شامة الشام وقديز • ن جلالا لا يوسف وجالا

هي اس الفخار من نال أعلا • هاتما لي خامة وقالا

ومجل العلام حل فيها • تاه صكبرا وعزة وجالا

من حواها على ملك الار • ضراقتا اسهولة وجالا

فأقترعها مونة مجمل • سلك الانجم الوضاه والالا

قال وحديثي جماعة من الجلبين منهم الركن بن جهيل العدل قال كان الفقيه محمد الدين بن جهيل الشافعي الحلبي قد وقع اليه تفسير القرآن لابي الحكيم القمري فوجد فيه عند قوله تعالى المخلص الروم الآية ان بالملك قال ان الروم يقبلون في رجب سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ويقيم البيت المقدس ويصير دار الاسلام الى آخر الابد واستدل على ذلك بأشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه المجدين جهيل ورقة يشتره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين فيه الزمان الذي يقسمه فيه واعطى الورقة الفقيه عيسى فلما وقع الفقيه عيسى عليها لم يقاسر على عرضها على السلطان وحدثت بماني الورقة لمحبي الدين بن زكي الدين القاضي الدمشقي وكان

مكتتاب (٤٦) الروضتين

ابن زكي الدين واقصا بعقل ابن جهمل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه وثيق به فعل فصيده روح السلطان بها حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك نجب من مقالته ثم حين فتح البيت المقدس خرج اليه المجدين جهمل من ثاله بفتح موحده حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك عيسى الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حظا لا راحك فيه احدثم جمع لمن في المعسكر من النعماء وأهل الدين ثم ادخله الى القدس بعد ما خرج المرح فوجسه وأمره ان يذ كر دسار من الفضة معلى الصخرة فدخل وذ كر دسار هناك حتى جمل بمحله به غيره التتوسيات في فتح بيت المقدس في فصل المنبر ذكر ما قاله أبو المرحم في تفسيره بوقيره عما يناسبه وبالله التوفيق وقال العماد ثم فتح حلب في صفر من هذه السنة ومدح القاضي يحيى الدين بن الزكي السلطان بأبيات منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتح القدس في رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره فكانه من انقيب ابنكوه قال ويذهب هذا التت في سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جاري من سبي الاسطول المنصور في أبيات وهي

يؤسل المسلول مملوكه * تبذل الوحشة الانس

تخرجه من ليل وسواسه * بطلمعة تشرق كالشمس

فوحده العزة قد حركت * سواك البلبال والمس

فلاندع يهدم شيطانه * ما الحكم التقوى من الاس

فوقع اليوم عطلوبه * عاصي الاسطول بالاس

لازلت وهابا لما حازه * سبقتك من حور ومن لاس

وانتي اسلم من بعدها * كرايم السبي من القدس

قال لجاء الامر على وفق اول قوله لما املت تمام القدس

(فصل) فيما جرى بعد فتح حلب قال ابن أبي طي كاتب الوالي بصرام الفرنج واستدعاهم اليه لمطعم عالم في الاستيلاء على حارم بشرط ان يعصوه من الملائك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم بما عزم عليه فتقوا امر وادخلهم في القبض عليه وكان هذا الزوال يزل من القلعة ويصعد اليها في أموره ودلته فاتفق انه تزل منها البعض شأنه فوثب أهل القلعة لما خرج وأغلقوا بابها وادوا بشار السلطان وكان السلطان راسل والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه في أشياء كثيرة منها ولاية بصرى وضبعة في دمشق ملكها باباها ودار العقبي التي كان يقيم الدين أوب والى السلطان يسكنها وحارم العقبي يدمشق وثلاثون ألف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتعالى في العوض فأنفذ اليه السلطان وتوعدة وتودده فكاتب الفرنج يطلب نجدهم وقيل ان تقيب القلعة أراد ان تنفق سوه عند السلطان ويحصل منه شيئا فكاتب السلطان بالعمل على الوالي فكاتب اليه السلطان بفتح ذلك وعدهما شيئا يمكن اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي وقيل ان التقيب وأهل القلعة لما أغلقوا الباب في وجهه شعروا عليه بكتابة الفرنج ولم يكن فعل ذلك إقامة لعظمهم وتذودوا بالحجارة وادوا بشار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال أخذت في الدين الحارم ليتسلطها فامتنع الشعب وأهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما أشرف عليها نزل اليه النقيب ووجه القلعين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضروا عند السلطان حققه كيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضرا فقال السلطان يلوموا لا تتلف الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الزوال وكذبوا عليه حتى قوتوما كان السلطان وعدهم ورافقت هذا الايام تجرية فانتقم لما كنت متوليا لهذه القلعة فصرى على من كذبهم في حق وتغيرتهم على أمور كذب بها أهلهم مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وما أرى ان السلطان يفرهم في القلعة على هذه التجرية ففعل السلطان وأمر لهم بما كان وعدهم به وأفضل عليهم وولى في القلعة غيرهم وقال لابن الداية

في أخبار (٤٧) الدولتين

ان من ايدنا يمكنه نريد اخذها حتى لم تحب بما فقد ونزل الطعام بشق بنا أحد ديوات السلطان بقلعة حارم اليبتين وعاد الى حلب في النشريع الاول قربها وقرر ولده الظاهر سلطانها وقرر له في كل شهر أربعة آلاف درهم وعشرين كبة وتيا ما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين اركش الاسدي وولى حمام الدين بيراك الخليفتي شحنة حلب وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العبد الممتنى ودار الضرب فغضب الدرهم الناصري الذي سكنه خاتم سليمان ونقل الخطيب من بني العديم الى أبي البركات بن الخطيب هاشم بسفارة القاضي الفاضل وولى القضاء محيي الدين ابن زكي الدين الدمشقي فاستتاب فيه ابن عمته أبا البيان بن أبي الياقسي وولى الجامع والقوف لابي علي بن العجي وقال العماد كان في قلعة حارم مملوك من عبيك نير الدين فغصى وتأبى عن تسليمها فأخرجهم منها أهلها لما اتهموه بكتابة الفريخ وأرسلوا الى السلطان فقبلها ودير أمرها وأحكمها وقال ابن شداد انفذ الى حارم من يتسلمها وادفعهم الى الوالي فانفذ الاجناد الذين بها يستلقونهم فوصل خبرهم اليه يوم الثلاثاء ثامن عشرى صفر فحلف لهم وسار من وقته الى حارم فوصلها ناسع عشرى صفر فتسلمها ويات بها اليبتين وقرر وقاعداه وولى فيها ابراهيم بن شره وعاد الى حلب فدخلها بالنشريع الاول ثم أعطى الصاكر دستوراً فاسار كل منهم الى بلده وأقام يقرر وقاعداه ودير أمورها قال العماد ورجعت انطاكية بعد ذلك ربعاً فأرسل صاحبها جماعة من أسارى المسلمين واتحاد وسار على امان السلطان وولى السلطان القضاء بحلب محيي الدين بن الزكي فاستتاب قبازين الدين بنابر الفضل بن سليمان المعروف بابن الياقسي وكشف السلطان عن حلب المظالم وأزال المكوس وولى قلعتها سيف الدين يازكوج وولى الديوان صاحب الدين اسماعيل بن العميد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازي وكان استعجبه من مصر عند وصوله الى الشام وأقر عين نائب على صاحبها وأعطى على خالد وقل بنير بدر الدين دهرم بن بهاء الدولة بن ياروق وأعطى قلعة عزازع بن سليمان بن جندر ثلث وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام الفاضل عن السلطان (وانتهى الزمان بمدينة حلب رسوماً استقرت الايدي على تناولها والالسة على بداولها وفيها بالزعارف افاق وبالزاعاض ارار ولما مقدار الاغنص من كل شيء عنده بقدر منها ما هو على الاواب المحلوبة ومنها ما هو على الاواب الماركوبة ومنها ما هو على المعايض المطلوبة وقد رأينا بنحوه ثاقته ان يطلها ونضعها ونطلها وندهها ونضرب عنها قايأنا ونضرب عليها باقلانا ونسلط ما هو أهدي سبيلا وتقول ما هو أقوم قسلا ونكر ما كره الله ونحظر ما حظر الله وتناجره سبحانه فانهم ترك شئنا لله عوضه الله أمشاله وأرج مخبر في الربعة اليوم بما يوسع عنهم من أمرها ولنا غداً عشية الله ما يرفع من أجرها فعلى كافة اوليانا وولا سواهم ائنا والمتصرفين من قبلنا ان لا يرووا اليها ولا يردوا ولو بلغ الظعاً منهم ممرودا ولا يشقوا بها ميزان المال فتخف ميزان الاعمال ولا يرفعوا في كثير الحرام فان الله ينفى عنه يقيل الحلال ويعلم ان ذلك من الامر المحكم والقضاء المبرم والعزم الماتم) وفي منشور أهل الربعة بمنزل ذلك (ان أشقى الامراء من يمن كسبه وأهزل الخلق وأبعدهم من الحق من أخذ الباطل من الناس وصدا الحق ومن ترك شئنا لله عوضه ومن أقرض الله قرضاً حسناً وما أقرضه ولا انتهى أمرنا الى دفع الربعة أشهر فنامنا على سحت يؤكل وظلمنا على الله ان يقطع وأمر التالمون ان يوصل فأوجبتنا على أنفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم لمصرها ويقفوا الزعاب من يشار أيام ملكنا بأسرها ونعتق بلد الربعة من ردها وتثبت أحكام المعدلة فيها بمسح هذه الرسوم وبحققها وقد أمرنا باناس نسد هذه الابواب وتقتل وتسحق هذه الاسباب وتبطل وتسقط مصائب الخصب بالعدل وتستقرل ويعفى خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعا جميع الاغنياء والمساكين مسخرة ماضية الاحكام مسخرة الايام دائماً لخدمتنا الدوام تامة البلاغ بالله التمام موصولة على الاحقاب مستوفى الاغتاب لمعونا من بطمخ اليها ناظر وشتاوا ليه اويك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه فهد) قال العماد وورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان احداهما الان اسطول المصري غزاقا خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة ايام وقد تلفر سطحة مقلعة من الشام فيها ثمانية وخمسة وسبعين علما من خيال التجار والثانيان فرج الداروم فمقوا فخذ بهم والى القريفة فخرج اليهم فالتقوا على ما يعرف بالصبيح فاستولى عليهم المداون بعدان كادوا يلكون عطشان لان الفريخ كانوا قد ملكوا الماعفار واهم الله بقاء

الملك قلت وكتب القائل عن السلطان الى عبد الله بن النصارى وضع حلب وعلوم كتابا فيها قوله (أمامه) أيام
 الديوان العزيز ولا تشغلنا من ملكه من قبل التقديس والتعظيم والوفاء بأقصى اللطاف من أرواحه موجب لتقديم
 والتصدير والامة جموعة العمل باماته جمع السلامة لاجمع التكسير الحاد من نهي لن الفتنة بشفقة من البلاد
 ونسلكا ما يسكن التفتد أو بجر كتماني الاغدا غامضة طرقا الى الانتظار الى بلاد الكمار وبجسبه جاسية كنه
 به المطاري ما يلبسه الكمار من الاقطار وعلى هذا المقدمة فهو يستعبد كنف من السلام يرى ويحمرى شامى
 ومصرى أحدهما وهو البحرى عودا أحد الاسطولين الذين أغزاهم أخواله المدام أبو بكر مصر وكانت مدعة غيث من
 حين نروجه الى وقت عوده الى دمياط فنهأ أيام فظفر بسطة مقلعة من الشام فيها الفخامة وخسعة وسبعين هجلا
 منهم خيل الذو شكة وازعه وتجارا ولور وخواصه والثاني وهو البحرى نموش فرج الباروم الى أطراف بعيدة فظفرهم
 والى الشريعة فركب بهم الليل فرسا كبار كيوه جلا وسروا يقتلا وسروا زمل قتوا فى القرقران الى ما يعرف بالاصيلة
 سبق الفرغ الى موردته والسابق الى الماء محاصر للسوق وورد وازرقه فخصص لارزهم فظفر المؤمنين ان الكافر
 مبرزق واشتد بالمسلمين العطش ثم نابوا الى الفرغ فمروا بمجاد العماما مظهرين من القرقران الى الجبلان احدهما
 الدليل والثاني الغليل وعاد المسلمون برؤس عدوهم فى رؤس القنا وقد اجتمعوا ثراها وبار واحهم فى رؤس الغليا
 وقد ألقوا وابعادها بجراتها ثم قال (وينبئ الحاد من كرم المتلهس الاوامر العلية فى انغام مسيع بجرته من
 استندى بجريده ومورده من عرض له وورده) ثم (ذكر تسليطه) لمب وانه لا يؤثر الا ان يكون كلمة الله فى العليا لاغير
 وتقوم المسلمين لها رعاية ولا ضمير ولا تخفارا الا ان قد وجبوش المسلمين متحاشدة على عدوها لامتجادة بعوتها ولو
 ان امور الحرب تصلحها الشر كتنازع عليه ان يكون كثير المراكين ولا أساهه ان تكون الدنيا كثيرة فلا تكون وانما امور
 الحرب لا تتحمل فى التدبير الا الواحد فذا صمغ التدبير لم يحتمل فى اللقاء الا الله فمؤش عماد الدين من بلاد الجزائر
 صفار وناوراها ونصيين والقرقرى وسرج على ان النظام توت فلا ينشر مقبورها والعسا كرت شرأية غزوها فلا يطوى
 مفشورها وأجاب الحاد عماد الدين الى ما سأل فيه من ان يصلح المواصله معها المتقاموا لعماد الدين لا يهتدى
 بهم وان كان لهم أنا ولم يطمحن الى مجاورتهم الى ان يضرب منه ومنهم من عناية برضا فليخلى الآن عن الرأى اجنى اذا
 لم يبق ولتكن هذه نصحتهم من عوتب فى شكرهم حسن الطيق فلم يبق ومن شره على المواصله المونة بعكرهم فى
 غزواته والمخروج من الخلل فإزاد على ان غال مللوا اسلا وداروا كافرا واسكنوا الكون الرعية ساكنة وأظفروا
 ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة الجاد فى سبيل الله والكشف عن مقام عباد الله والطاعة لحقيقة
 الله من ادم الحاد من البلاد اذا مضىها ومفقه من الدنيا اذا مضىها والله العالم انه لا يقتل لعش الاين من
 عيش ولا تعذب بملأ العيان من رزق ولا طيش ولا يرد الا هذه الامور التي قد توسم انها تازم ولا يؤذى الا هذه
 النية التي هي خير ما يطرر في الصعق ويرتم وكتب الحاد من هذا الحاد بعد ان بان بجليلية وخرج منها الى
 حرم وكنيت استخففت ملوك لا يملكه دين ولا عقل غرما حديثه فخر ولأهل فاعتقد ان يسلم الى صاحب
 انطاكية يسر الله فيها اعتقادا صريحه وشهره بكتبه ورسله وواطاع على ذلك نفر من رجال يعرفون بالسيرة
 ولا يعرفون خالقا الا من عرفهم رزقا ولا يبعدون الا من رونه فى نهر النهر ارباجا وفى بحر الظلام غارقا فشر به
 من فيها من الاجناد المسلمين فمتردوه ومن تابسه على قتله ونظره الملوكة عمر بن اعيه فى منوالى البلد فآخذ
 وأرسله الى قلع حلب وسار الحاد الى القيا قسلا وتربها حامية ورايطه ولم يعمل على انهاء العمل طرف بل انها
 للمقدوا سطة والحاد كاطالها بما ضيه الذى حازه الامس المذكور بطالع بمسقبله الذى يفخر به حيث الله القصد
 المشكور فهو متاهل للفروج نحو الكفار لا تسامى به النصب ولا جهة سبر الرقولا وادنه الحفر ولا يصنى الى قول
 خاطر لراحة الحقد لا تنفر والى امار ولا يصيب دعوة الفرار المهد ولا يرح على اقل المهد ولا دمية القصر
 الشديد ولا يطف على راحة فذا بطرقة حولا ويقام يوما ولا يقيم على زعمه فاستعمل لخي ذكره للفطر على
 واحته قال فى نعت طر من صوا (ومن كتاب آخر انفسه من نصيبين ستمائة وسبعين الى بغداد (سبيل
 الحاد ان يبنى ولا يهدم ويرفر جانب ولا يلم وان فرقته منه ومن مكنون اعنة الجياد المسومة ولا يطلقونها

في أخبار (١٩) الدولتين

ويكثرون الذهب والفضة ولا يفتقروا فقد علم ان الخادمين أمواله في بيوت دجاله وان مواطن تروله في موافق نزاهه ومضارب خياله أكلة غلاله وأنه لا يذخر من الدنيا الا لشكته ولا يتألم من العيش الا مسكنه وعدو الاسلام شديد على الاسلام كلبه مضطرم على أهله لجهه زحل اذا أصفت اجماع اتنامل لجهه ولوان أحلمن يدعى الملك سراجا ويصدق بالبلاده نزاهة دفع الى مدافعتها العدو الكافر والى منافرة هذا الفريق لنافر لمرته الا ياهما هو جاهله ولقلته الحرب ما هو قاتله ولجلته الاحوال ما هو زخمته محاله وفي كتاب آخر (واذا أولاد أمير المؤمنين تفرقوا لم يبت في وسطه وأصبح في طرفه وإذا سوغه بلدا لم يفر في نخل خيمه ولم يفر في نخل غمره وإذا ابتاع بانيسيفه ضعيما وإذا أصبح أصبح ومسترك القتال له ربحا لا حكا للذين يغيرون أبواب الخلافة اغياب الاستبداد ولا يؤامرونها في تصرفاتهم مؤامرا فالاستعداد وكأن الذي يلهم اضطلاع لا يداع وكأن الامار لهم تقليد لا تقليد وكأن السلاح هذهم زين طبامه ولا يسهه وكان مال الخلق عندهم ودعة فلا عذر عندهم لانه ولا لخالديه وكانهم في البيوت دمي مصورة في لزوم جذرها لافي مستحسنات صورها راضين من الذين بالعروة اللقبيه ومن اعلى كئنه بما يسمعون على الدرجات المحتشبه ومن جهاد الخارجين على الدولة باستحسان الاخبار الملهيه ومن قتال الكفار بانه فرض اكفاه تقوم به طائفة فيسقط عن الاخرى في آخرها ومن طاعة الخلافة بذكر اسمها والمقروحين سبها فلا يبتعون بانهم لا يماجدون الى ان ينعوا من يماجد عنهم وينافروا بانهم لا يساعدون المسلمين الى ان يساعدوا عليهم عدوهم الكافر قد قتلوا الشيطان تليدا وطربا ووطوا الاسلام وأهله وطاه عنيقا فاذا جاء وعد الاخر جاء الله بهم في زمرة الشيطان لفيضا وقال في هذا الكتاب (ان المواصله ما فرعو الدار للخلافة لا بعد ان فرها والاضطلاع اطمع اولهم كاطمعوا وقد يدعوا الى طاعتها فاسمعوا وسمعوا فاتبعوا حتى ان الاولين منهم علوا أولياء الدولة من الاثر انك ضما جلبت اخلاقهم عليهم من عقوقها وسنواهم اضاعة حقوق الله باضاعة حقوقها فاين كان التعلق بالدار التي رزقهم محاصروا دار الاسلام يلزمهم ويرامون التاج الشريف بشاههم ومعدون محاصرتها بالاسلحة والمجنقيات والازواد والامامات ويصافون الخلفاء ماصفا المواقف وكاشفونهم مكاشفة الخلفاء ويمزجون زردا وتكرت وهي من أهون بلاد الله يجور الجوار ويجعلونها سجننا إليك الخلافة ذوى الاقدار ولوقمرك اليوم محمرك لكانوا له كانه ولكانت بلادهم له خزانه ويرجو الخادم بالموصل ان يكون الموصل الى القدس وسواحه ومستقر الكفر من القسطنطينية على بعد مراحله وبلاد الكرج فلوان لهم من الاسلام جارا الاستبحار الدار وبلاد اولاد عبد المؤمن فلوان لها ماصيف لاطفا مافيها من النار الى ان تغلوكلة الله العليا وتلا الولاية العباسية الدنيا وتعود الكائن مساجد والمذابح المستعبدة معابد والصليب المرفوع خطبا في اوقاد والتفوس الصاهل انوس القصة في المشاهد ويضيف الى الديوان عيشة الله تعالى في صاير اكنافه ويعتاطرافه مثل تكريت ودقها والبواريج وخوزستان وكيش وعمان والذي وقع اعظم من الذي يتوقع والذي طلع اكثر من الذي يتطلع والذي رؤى أمس أكثر من الذي يجمع قلت يعني ان ما تقدم من البلاد اعظم من هذا الذي رجوها وأشار بفعل المواصله الى ما سبق من قتل زكي في حصار بغداد ومساعدته للسلجوقية على العادة في ذلك الزمان والله أعلم وفي آخر كتابنا ضل الى حطان بن مقطب الجين عن السلطان (نعم الله علينا مالك وضافها وبلاد آفنديا ما آفنديا وبلغنا في صنع لا يبلغ أحد أو صافها منها بلاد الشام يترها وملكه حلب يجمعها والمدينة بقلعتها وبلاد الجزيرة بجلتها فهما ما اعيد على من اشترط عليه استخدام عسكره في بكارنا ومنها ما استمر في اليد ولنا من أوليا ثلثا أو نصارنا ولما يبق في البلاد الاسلاميه الاما هو في دينا أويد مطيع لنا كان من شكر هذه النعمة ان تصرف القوة وثني العزمه ونقد الشوكه وتليس الشكه ففرغ الملاحين فننازلهم وقارعهم ونفاههم الى الله وننازلهم فقطر الارض المقدسة من رجصهم بدماهم الى ان ترق السيف للمهزلة الشريفة لما حرمهم من قوة كفرهم واعتدائهم فمن ترجوان تكون عين الطامع من الامة التي أخبر نينا صاير ان الله عليه انها لا تزال على الحق ظاهره وشواب الله وعدوه ظاهره والله تعالى يعيننا على ما يعيننا ويبلغنا الاستجابة لدعواته الى ما يعيننا

(فصل) في رجوع السلطان الى دمشق وخروجه منها للفرار بمخاضة الاردن رحل السلطان من حلب فرحل
 حياه ثم جئتم ثم بعلبك ثم دمشق قال القاضي ابن شداد لم يقيم السلطان في حلب الا الى يوم السبت الثاني
 والعشرين من ذي القعدة الآخر وانما عزما على الفرار فخرج في ذلك اليوم الى الوضيحي منبرنا نحو دمشق واستنفض
 العساكر فخرجوا فبقعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماة فوصلها ثم رحل في بقية يومه ولم يواصل بين
 المتنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الاولى فاجابها متاعها الى السابع والعشرين منه ثم رزق في ذلك اليوم ونزل
 على جسر الخشب وثبته العساكر بمرزوقا ما به تسعة ايام ثم رحل في ثامن جمادى الآخرة حتى أتى القنطرة وتبع فيه
 الحرب وسار حتى نزل القصر فبات به وأصبح على المحاض وعبر وسار حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد ترحلوا عنها
 وتركوا ما كان من ثقل الاقشة والعلال والاشعة فيها فذهبها العسكر وغنموا وأحرقوا ما لم يكن أخذه وسار حتى أتى
 الجالوت وهي قرية عاصره وعند هاهنا جارية تخيم لهم او كان قد تقدم عز الدين جردك وجماعة من الممالك النورية
 ويولون ملوكهم أسد الدين حتى تكشفوا فيه الفرغ فاتفق انهم صادفوا عسكر الكرك والشرىك سائر من نجد للفرنج
 فوقع أصحابنا عليهم وقتلوا منهم مائة عظيمة وأسروا منهم زهاء مائة نفر وعادوا ولم يقدّم من المسلمين سوى شخص واحد
 يدعى بهرام الشاويوس فوصل اليه في بقية يوم الكسرة الواقعة وهو العاشر من جمادى الآخرة وفي جمادى عشر ووصل
 أخيرا الى السلطان بن الفرنج قدما جئتم في مشغوره ورهالوا في القوتلة وهي قرية معروفة وكان غرضنا انصاف قلنا
 سمع ذلك تعصب للقتال وسار لقاتل العدو فالتقوا وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة وجرح جماعة وهم ينضم
 بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم ولم ينجح والأصاف ولم ير الواسرين حتى أتوا العين فترلوا عليها ونزل السلطان
 حولهم والقتال والجرح يعمل فيهم ليضربوا الى المصاف وهم لا ينجحون خوفا منهم من المسلمين فانهم كانوا في كثرة
 عظيمة فرأى السلطان الانتزاع عنهم لماله من رحاوين فيضرب بهم مصاف فرحل نحو الطوس رابع عشر جمادى
 الآخرة قتل تحت الجبل مائة قبلوا عليهم لم يأخذ منهم فرصة فاصبح الرابع عشر راجعين وعلى اعقابهم ما كفي فرحل
 وجه الله فهوهم وجرى من ذي النشاب والتمصاف أمور عظيمة فلم ينجح وأول من رل السلطان حولهم حتى
 نزلوا القنطرة راجعين الى بلادهم وعاد السلطان منصورا وقد مال منهم قتلا وأسرًا وخراب كفرلا وبيسان ووزعين
 وقرى عديدة قتل القنطرة وأعطى الناس ستورا فاه ارم من آثار المسير وأتى هودمق يوم الخميس الرابع والعشرين
 من جمادى الآخرة قال فانظر الى هذه الهمة التي ابدت عليها عن الفرار أخذت لب ولا نظير بها بل كان غرضه
 رحمة الله عليه الاستعانة بالبلاد على الجهاد والله يحسن جزاء في الآخرة كما وفقه للاعمال المرضية في الدنيا
 وقال لهم اخرج السلطان الى القنطرة ورايت العدو بعير الجالوت وعبروا الخاصة الحسينية ناهج جمادى الآخرة فوصل
 الى بيسان وقد أخلأها أهلها فاطلق الناس فيها النيران ونهبوا ما فيها وكنتك فعلاوا بإخراج وتلاع غيرها وصادقت
 مقتدتها الصاكر جلاور ولا فرنج عابرين من ناليس ومقتدتهم ابن همنفرى قتل منهم وأسروا وتول الباقين
 في الجبال ووصل الخبر بان الفرنج قد أتوا الى ألف وخمسمائة ربح ومثله تركبلى وخمسة عشر ألف راجل فاناهم
 المسلمون وذلك على عين الحالوت فانكسروا العرب وقاموا على الاقدام عليهم فخذ قرا أحواهم وأسندوا ظهورهم
 الى الجبل وأما ما كذبت خمسة ايام فلما رأى المسلمون منهم فلما جوعتهم فقتلهم فقتلهم فقتلهم فقتلهم فقتلهم فقتلهم
 الى الناصرة وعاد المسلمون بالغنائم والاسارى لم يخلص العدو منها شيئا وذلك يوم الخميس السادس عشر جمادى الآخرة
 وقد كانوا مائة مقامهم بخفضهم المسلمون من كل جانب ورموهم بالنبل وبتقارون ان يجموا أولا كما هو عادتهم فما
 ضلوا ومن كتاب فاضلى عن السلطان الى بغداد لما كان يتارح لثامان من جمادى الاولى سارا لخدم من أدى المتنازل
 من بلاد الاسلام الى بلاد الكفر وقد تكلمت جنود الاسلام فقتلهم ما منهم ميسره وأخذت أهله وشملت قضيه
 وهاهنا الله ما اشتراه ومثل لاهين ثوبه فكانا تراه وساروا تحت ليل عجاج ستر السائر تحت سره وأصبحوا في الحاد
 وياهم عين الله في سبيله على ماء الاردن وهو النهر الفاصل بين الاسلام والكفر والمخاضة الضروية بها يسور على
 ذلك القصر فحاش ذلك البصر ذلك النهر وامتد منقطع الحديد فاذا الماء على السور وخلف بالجبر وذلك يوم الخميس
 ثاني يوم المسير وهو تاسع الشهر ولما جاز المخاضة أخذت البلاد ضرب المخاض ووزلت أرضها ففى بالقوم ترض والقنية

في اخبار (٥١) الدولتين

راض وأخذت رجال الاسلام تقص الارض من أطرافها وتقطع قلاع الجبال وتطير رؤسها من أكافها فاذا
البلاد قد انزعم أهلها فالحق المسلمون مسكن في الهزيمة وعولوا فيها على سيف المعاول فاذا هي راحلة وكأنها
مقيمة وهذه البلاد مدلت ما كان عزم قبل منها مدنيا وعمارات ما كان أمل اليها مفضيا بل طال ما كان عنها مضيا
مثل يسان وكفريل وزرع وسجين كلها بلاد مشاهير لحاقري ممله وساتين مظله وأتبار مقله وقلاع مقله وأسوار
قد ضربت على جهاتها وأساطت بجبانتها واتخذتها المدن سياجها على قصباتها فقيم المسلمون ما فيها من أقوات مخترنة
وشغوا منها خزائن القلوب المضطفة وأحرقوا أوعية كمرها بالنار وعذبوا عذاب أهلها من الكفار وقتلوا هواك
الضرام كان لها ما وكتبوا عليها الحراب وكان السيف كان فيها قلاعها فاجلوا عن جامها جما وتساقت جدرها فكلما
أسارت فيها النوى لما ولما كان يوم السبت الحادي عشر ورد الخبر بان عسكر الكافرين قد ركب من مكان مجتمعه
وزحف بلا بسه ومد زرعه فركب الحادوم وسوى المؤمنين في مواقف القتال ومنارل النزال فمن متسرع بطوف
عليهم بصفاح ليطفي عليه بصفاح ومن مثبت يمشي إلى الموت منى العروس ساعة الزفاف وهما اللام نظروا
للمؤمنين لوان أميرهم له فاطر كما هو به أمر ولا غرو ان يصفا الحادوم ليسر التحذول لا ليوصف الحادوم ومن وصف
ضربة السيف فأنما وصف الضارب ولم يصف الصارم ونزل العدو إلى الارض من سطحه من سرجه ومضازع ان يله
وسالكها فنجاه منحه وأحرق بها راجله وهزها عشرين ألف راجل وركب حليب صلبه فاستوى في الهزم المحول
والحامل نزل محصورا وخندق فكانما أصبح الكافر في حفرة لا الخندق مقبرا وأقام بارائه نعمة أيام غماسيه
الوفاء ولم تصاحبه وتماشيه لرواؤه وتماشيه ويقترع فيه إلى الحفر ويكره إليه في اليوم الواحد ان يفرو ويعت إليه
المهم وهو في الحرب الصغير فيقبل تحية الضرب مترددة ولا يردّها وتيسر إليه صفعة النصل متوددة فلا يردّها
ويجتهد في استنراجه وقد رأى العزائم ولم يفرج يد عوتها والمكارم ولم يرحل لبثتها ومن كذب آخر إلى وزير ينفذ
(أثاروا على يوم الكفر لمة عجاج جعلت أبل من روا هم من الاسلام سكا وصبر واوصار واكاد كان السيف لهم
أليسا وكان المعتزك لهم مولنا وأخذت في البلاد النار ماخذها وتخذت فيها العبر منافلها وثلت عروشها وثلت
غرسها وجلبت في مصبات النيران عروشها وأصبحت تناحي العينين روا كلها وتصف التوالت منازلها ده ناعلي
الاطلال مظلوه وصري يسيوف البلاد مقتولة وباء العدو فأخذت به الابطال وتجزت عادة حله ظلت وما كان
خلفها المطال فلما كثر الله المسلمين في عيونهم ورواوا بملأه كوفوا برؤس قبلها بنظنهم واستجدوا مغالي الشكوى لتروح
بها الستم اذا خلوا إلى شياطينهم فأخذوا إلى الارض زارلين وقعدوا عن الجلاء تالكين واتقى فارسهم راجله
وراعهم بناله ولا ذم فيهم يحفظه ولا خير في سامله ولا ذم فيهم بطرافه خوفا من كله بسهم قتله وأقاموا محصورين
لا يستطيعون وردا ولا صدرا ولا يجدون منقما ولا متأثرا لما كان الكفر تنة ينصره من دون الله وما كان
منتصرا وعرف النصل في الحن السيف ان الشجعان التكل أمران يقدفهم الله في القلوب فلا يقل الناس

كف

(فصل ١٠) في ولاية الملك العادل حلب وولاية تقي الدين مصر وغير ذلك قال العادل وقد كان العادل نائبا بمصر
فلما فتح السلطان حلب كتب لأماد إلى بطليما منه مع أعمالها ويدع الله بارا مصرية فكذب السلطان إليه ان
يوانيه إلى الصخره فانه سار إلى نحه فأشار القاضى الفاضل على السلطان ان يستنقب الله بارا مصرية
موضع أخيه العادل ابن أخيه تقي الدين فاستصعب السلطان معه في رجب إلى الكرك هذه السنة وخاف في طريقه قبل
وصوله إليها غنائم ونجم على الزبية ثم حصر الكرك ورواه بالجنايق صلبا ومساء وتناوب عليه الامراء حتى خرج
شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عاقبت النكاية في الكفر بأخذ أموالهم وقرب يد يار ووصل الخبر ان
الفرج قد استصعبوا ونجحوا في الموضع المعروف بالواله على تصد المسلمين ونخلص الكرك من أيديهم وراى السلطان
ان أمر حصره بطول فقول على الرجل إلى دمشق ووصل العادل إلى السلطان وهو يعد على الكرك فيمضي تقي الدين
إلى يارا مصرية واليا عليها وقرى عضده بصحة القاضي الفاضل له وتولى العادل حلب وأعمالها ومنهج جميع
قلاعها فصار إليها في رمضان ورجع منها إلى دمشق الملك الظاهر وتناوب السلطان ظلت وكتب العادل إلى الفاضل

مكتب (٥٢) الروضتين

يستشير في التوضيح من مصر بطلب فكتب إليه الفاضل ككتابيه
انما أنت كفتي مطر * حيثما صر فله انصرف

(والولى أعلم) وبسبب الدنيا أقوم وقد تكررت لكاتب الناصري اليه بجانص عليه وكشفه القطاء ومنى له العطاء
وقالت له المخطوبة هيت لك وأدى اليه مالا لا امر ما قدمك فلا زالت سعادته أنفوس شمس وأدور من فلك ولا
زال راجعا على الدهر ان امره خسر وباقيان امره هلك (ومن كتب آخرا اليه) (أداما قدمه وسأى الخ) وثبت الدولة
الناصرية التي يقوم بها ملكان هما من هذا صلاح يمنع فسادوه هذا سيف يحقن دما) قال ابن أبي طي كان
السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع الأمور عشرين عشرين ولا يعلم به أشار على السلطان بأمر خالفه
حدثني قاضي الدين جمال الدين قال كان السلطان يجمع الأمور للشورى فإن كان العادل حاضر سمع من رأيه وإن
لم يكن حاضر لم يقطع أمر في المهمات حتى يكتبه بجلية الأحوال ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثني أبي قال حدثني
بجاءة قالوا كان السلطان ليس له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل بمصر وبعد عن السلطان هناك
صار السلطان يتكلف في مكاتبته الأخبار ويؤخر الأمور إلى أن يرد عليه جوابه فيفوت به ذلك كثير من المنافع الحاصلة
للدولة وللهاد فلما حضر الكرك في هذه السنة كاتبه بالخطور اليه بغير أمواله وجميع أصحابه وولى مصر قتي الدين
ولما حصل العادل عند السلطان وضع في نفسه أن يعزوه عن ولاية مصر ثم حارفي ولاية بوليه ياها قال وحدثني
علم الدين قيسر الصلاحي قال أنا أقدم السلطان العادل من مصر لاجل ولاية حلب وذلك كاتبه ولما خرج العادل
بأمره وبعدها قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله وأثقله كانت الأموال غفلت
على السلطان وقد حصلت عنده عسكرة عظيمة فأحضر العادل ليل ولا يزال أبدا أن ترضى مائة وخمسين ألف دينار إلى
الميسر فقال الجمع والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه يقول أموالي جميعها بين يديك وأنا عموك وأنت سي
أن أحل هذا المال إلى خدمة السلطان ويكفون عوضا عنه مدينة حلب وقلعتها فأجاب السلطان أنني والله
ما أقدمت لك إلا لولاك حلب وإن قد فرحت ذلك فقد وافق ما عندي فلما أصبح العادل أنفذ رسال السلطان أن
يكتب له بمدينة حلب كابو يجمعه ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال أنا لا تكون حلب إقطاعا والمال على
لما عذر العادل إلى السلطان ولما أتته السلطان أنما أنت ان البلاد تبع أو ما علمت ان البلاد لا عليها
المرابطين بها ونحن خزنة المسلمين ورعا قلة الدين وراسلناهم وأما علمت ان السلطان ملك شاه السجوقى لما وقف
طبرية على جميع خراسان لم يحكم به أحد من القضاة ولا من الفقهاء ثم قرر السلطان ولاية العادل لحلب وأعمالها إلى
رحبان إلى الفرات إلى حماه وكتب له التوقيع وقر عليه مالا يجمعه رسم الزدونات ونزارة الجهاد ورجاله من الحلبين
ورحل السلطان إلى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر أمره بالعادل إلى حلب وتسليمها إلى عمه العادل
فقبل وعاد إلى دمشق وسار العادل إلى حلب فاتت بالرسالة وناقبه فكانت ولاية الظاهر بحلب إلى هذه التوبة نحو
سنة أشهر والموصل الظاهر إلى دمشق أقبل على خدمته ولده والتعزب إليه إلا أن الانتكاس ارتد وج حلب عنه ظاهرا
عليه وهو مع ذلك لا يظهر شيئا إلا الطاعة لولده والاحتيال إلى مرضاته حدثني أبي عن مجد الدين بن الحشاش قال
حدثني الملك الظاهر قال لما تفتي ان السلطان أحلى حلب لملك الحمال جرى على ما قدم وما حلف وأصاب من المم
مال أن قدر على النورس وهو دعت إلى أن أحسن رأيها ولا دخلت إليها أن قلب أحبا وقبلها وطاب لي هواؤها ولها
فارتبها كنت أحسن اليها وأشتهتها قال ودخل العادل حلب في رمضان وطلع على المتقدمين والاهلوان وكان قد
قدم بين يديه كاتبه المعروف بالصنيع فسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين برغش وولى
الديوان والإقطاع شيخاع الدين بن البيضاء صباغ غزنه وولى الانتكاسها يخلق بأمر السر لصفين من النصارى
وسكن ناصريا ثم أسلم على يد العادل فولى ابن الخصال والوزائف جماعة من النصارى وفي ذلك يقول الشاعر

فأقدين السمع في دولة العا * دل حتى علا على الاديان

ذال أمير وذا وزير وذاوا * لودا مشرف على الديوان

كتاب (٥٤) الروشتين

فاستفتح مدارا لخلافة الى ان أرسل منها شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشيرا الى السلطان ان يعهد لصاحب الموصل
الامان ويكون لهم جهة الاعلن حرا لمن حاربه صلوات الله عليه وسلم صاحب الموصل فاضي القضاة محيي
الدين أبو حامد محمد بن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهير زوري دفع في أداء الرسالة وأغلف
في الكلام فالان له السلطان وقال أنا أنقض حاحته على ما أورد ولكن قد سبق بني عباس لذلك السلطان فانا
استنهم وأردهم الى اختيارهم في أوله فأي ذلك وأرا ان تكون الصدقات تدوين سائر ذوى المالك وأشار الى ان لهم
من ينصرهم من جهة البهلوان ملك الجهم فخطم ذلك على السلطان وكان ذلك محر كاله ان يعهد الى الموصل
ورجعت الرسل على ذلك غير ظافر بن بطاقل وكان منزل شيخ الشيوخ بالباط على التيسع ومقر القضاة محيي
الدين في جوسقستان الحال وشهاب الدين بشير بحقوق الريدان وتوفي وله شيخ الشيوخ بدمشق وكان
في محبته فدفعته في المقبرة المحاذية للباط وحضر عنده السلطان وجاعة الامراء القراء
(فصل ١٠) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد وكنه شتوة هذه السنة كثيرة الاطوار وكثرت مكاتبات
العماد الفاضل وأورد في بعضها أيا تالها

عذر الزمان بأى وجه يقبل * وعجبكم بالصدفة يقتل
ما لى سوى انسان عيني مسعد * بالدمع انسان عليه أعول
الدهر ليل كله في ناظري * لاصبح الا وجهك المتهلل
خير من بين النية والمشي * لا تمجروا فاللون عندى أسهل
يا غائبين وهم يفكرى حضر * يراطين وهم يقبلي نزل
مالسلو الى فزادى منهج * ملاصباة غير قبي منهل
لا تمذلوا عني فالى معدل * عنكم وليس سوا كلى موئل
كل المختوب دفعتها بغلدى * الا التفرق فهو حطب مضل
ان لم يجدنى طيفكم فزورة * فلا تقي منه أدق وأجمل
لا صبر لى لا قلبى لا غمضى لى * لا على بل يبين ماذا أقفل

قال ابن الاثير وفي جمادى الاولى من سنة تسع وسبعين قبض عز الدين أتابك على مجاهد الدين قايماز وهو
حينئذ نائبه في بلاده واتبع في ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة صاحبه وكان الذى أشار به عز
الدين محمود زلقندار وشرق الدين أحد بن أبى الحسير الذى كان أبوه صاحب التعزاف وهما من أكابر الامراء قلما
قبضه كان يسد أنزل وشهر زور ودوقا جزيرة ابن عمر وكان بهام عز الدين سفير شاهين سيف الدين صغيرا
والحكم فيها الى مجاهد الدين ولهم أيضا قلعة العقر خين قبض استمع من زين الدين يوسف بن زى الدين على باريل
وكان فيها لاحكم مع مجاهد الدين وامتنع مع عز الدين بالجزيرة وأرسل الخليفة الناصر لدين الله عكره - صردوقا
فلحكما ولم يحصل لعز الدين الا شهر زور وصارت هذه البلاد التي كانت يسده أضرب على الموصل ونفى مقبوضا
فاخرجوه وأعادته الى ولاية قلعة الموصل الا ان الذى أخذ من السلاطيم بعد الى طاعته وقبض عز الدين على من كان
أشار عليه قبض مجاهد الدين قال ابن الاثير وعلى الحقيقة ليس على الدول شئ أصرم من ازالتمدبرها واقامة
غيره فان الاول يكون كالطبيب للحاذق العارف بمزاج الانسان ومريضه وعلاجه وما يوافقه ويؤذنه فالى ان
يعرف حاله ينفسد أكثر مما يصلح قال ابن القادسي وفي هذه السنة في جدى الاخرة توفى الابله الشاعر وهو من
أسماء الاشداد واسمه أبو عبد الله محمد بن مختيار بن عبد الله وكان فصحا مجاهدا له أشعار رقيقة منها

زار من أحباب زورته * والذى فى بلون طرته
يلامن زورة قصرت * فامقت طول جفونه

(ثم دخلت سنة ثمانين) قال العماد وقد تقرر اص لبرد فلما طلب الزمان تجهيز السلطان بالأساكر المتصورة الى الكرك
مر فأتى وأرسل الى تقي الدين بجاء بالأساكر المصرية والاجل الفاضل وتابعت الأساكر للشرقية والملك العادل

في اخبار (٥٥) الدولتين

وجاء نور الدين بن قرا ارسلان صاحب الحصن وأمدوصاً حيداراً وأخوصاً صاحب شنجار وصكر ماردين فاجتمعت العساكر برأس الماء وأتفق السلطان على ابن قرا ارسلان من اقتحام للمناق فأقامه برأس الماء بمحوربان الى حين العود وأمر العادل بالأقامة معه وقال القاضي ابن شداد سير السلطان الى العساكر يطلبها فوصل ابن قرا ارسلان نور الدين الى حلب ثامن عشر صفر فأكرمه الملك العادل اكراماً عظيماً وأمدده بالعقمة وبأسه ورحل معه طالباً دمشق وكان السلطان قد مرض أياماً ثم شفاؤه الله تعالى وبالبقيع وصول ابن قرا ارسلان خرج الى لقائه وكان رحمه الله يكامر الناس مكارمة عظيمة فالتقاء على الجسر بالقلاع في ناسع ربيع الأول ثم عاد الى دمشق وخلف نور الدين وأصلح العادل قنابلاً فخره فخرج مبرراً الى جسر الخشب ووصل العادل وابن قرا ارسلان دمشق فأقاما بها أياماً ثم رحلوا لالتقاء السلطان ورحل السلطان من رأس الماء ثاني ربيع الآخر طلباً للكرك فأقام قرية يسمونها أياماً ينتظر وصول الملك المظفر من مصر الى ناسع عشر الشهر فوصل في الدين واجتمع به ومعه بنت العادل ونحو ثلثه فسرهم اليه وتقدم اليه وللي بقية العساكر بالوصول اليه الى الكرك فتناحرت العساكر الى خدمته حتى أحدها بالكرك في رابع عشر جمادى الأولى وركب الجناح على عليه وقد التقت العساكر المصرية والألمانية والجزرية وبالمبلغ الفرج فخرج من جوارب أحدهم وفارسهم الى الدفن الكرك وكان على المسلمين فيهم ضرر عظيم فانه كان يقطع عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج الامع العساكر الى الجفة فاهتم السلطان بأمر متكبرين الطريق سبيله وبسر الله ذلك والجدول منه ولكن كان قتها بعد ذلك وبالمبلغ السلطان خبر خروج الفرج فخرجت للقتال وأمر العساكر ان تخرج الى ظهر الكرك وسير النفل نحو البلاد وفي العسكر جريدة ثم سار السلطان بقصد العدو وكان الفرج قد تروى موضع يقال له الواله وسار حتى تزل بالبلقاء على قرية يقال لها حسان قبالة الفرج في طريقهم ورحل عنها الى موضع يقال له ما عين والفرج مقيم بالواله الى السادس والعشرين من جمادى الآخرة شهر حلو فاصدين الكرك فارب بعض العسكر وراءهم فقاتلوه الى آخر النهار ولم يراى رحمة الله تصيب الفرج على الكرك أمر العساكر ان يدخل الساحل لخواص العساكر فاجتمعوا على نابلس ونهبوها وغنموا فيها ولحق فيها الاحصاء واخذوا جنيناً والتحقوا بالسلطان برأس الماء فالت وقدم وصف القاضي الفاضل حص الكرك في بعض مكنته فقال (هو شعبا في الجناح وقضايا المحاجر قد أخذ من المال بمخنفها وقيل بصادقها ثم وطرقها وصارت بالسر في ذلك الفرج وعذرا لتارك فرضاة لهم المالح وهو حص الشوبك يسمي بالاله انحر كريت الواصف للاسدن

ما يروى الاوعندها • لحم رجال أو يوفان دما

وفي كتاب آخر (وأما الكرك فكثرت الخبيثات عليه متاعه وحجارتها على من فيه ساجره وقد جنته انوف الابرجه وأسبلت قناع الستار وجوها التبرجه وكل جوانبها وعرة المرتقى صعبة المحتظي والسلطان يستعذب المتقاس التي تصادى منها اللحم ويباشر جرات الشتاء الكالح بوجهه المنقسم) ومن كتاب آخر (وقد جنت الحجارة في الاسقاط برؤس الابراج ورؤس الاعلاج فرمت الشراريف والوافقين عليها الجناحها وأرت الفرج فاجتذاتها الى اردائها غايه غوايتها مما أخرج أحد من برأس الادخل في عينه فصل وما هجر قواب الاسلام سيف الاله مع رقاب الكرك عند قطعهها وصل وما على الجحرق الاسراف والتبذير هجر وكل ليله من تقع لموا من سنن الاستعجر ولقد أخذنا من العدو بالحق وشرعنا في طم الحندق والحائط واقع الواقعة بهم محيطه والدروع بالسيف مفصله وبالجرح محيطه) ومن كتاب آخر (عذاب الله بالحص وأهله واقع ماله من دافع وان دليل التنصر قد ظهر ومادونه من مانع وأما الخبيثات فقد نكأت في الابراج بالهدم وفي الاعلاج بالهتك فلم تبق لها الحجارة للطاراة البهاج حارة قائمه وان لها من اطلارها عليها ليلانها رادعة دأته واما غنا عليها بالزجوج حتى وقعت الاسوار من سكرها وضربادونها الستار حتى رغبت لعضها وعاطتها كفة الخبيثات عقار عقرها فالسور المقابل للخبيثات قد تدهست ابراجه وأبدانه وانهدت قواعد مؤار كاته ولولا الخندق الذي هو واد من الاودية واسع عميق لما تعدد الى الزحف اليهم والمهم عليهم طريق) ومن كتاب آخر (الحصن الذي نحن حاضره وحاصره في حصاننا الحصانة

فهدئت الجار فغنمنا ما حكموه بالجارية وعدا عليه بالتقريب ما عتدوا له العار فغنى المجنبتان نرى ولا نرى
سهماها ويستديم من أعداءه وقومهم ما يقتل والهدم انتقامها فاقابل المجنبتان من الأبراج والابن قد أفق
التقريب على ما غنم من العيران فلم يبق الاطم الحندق والاخذ بعد ذلك من العدو بالخنق والقلوبوا فتنصبصول
الفتح وقدر كل واحد من المغير فخانز بالريح فاصبح مناجده من أحدمل ولا مضبر ولا تفر هذلتونية
ان شاء الله تعالى الا عن نصر ونظر وقال العباد دخل السلطان من رأس الماء على طريق القليل والزرقا وعان
والبلقا ثم الرقيم وزير الوالتوب والعمون ثم أدر ثم الزبة ونك في بلدنا هل تالاحت العساكر زل على وادي
الكرك ونصب عليها تسعة محاريق فمقام الباب فهدمت السور والمقابل لها ولم يبق مانع الا الحندق الواسع
العريق وهو من الأودية الهائلة والمهاوى الحائلة والمهاالك العائرة القاتلة وأمكن في أراى الاطعمه ولتؤكل
يمكن وردمه فعد ذلك من الامور الصعاب وعذر لغزوة الارض وتجرها حفر الاسراب فامر السلطان بضرب
اللبن وجمع الاخشاب وبناء المحيطان المقابلين من المبيض الى الحندق ونسقيها وتلقي ستائر هاوا فيقها فقت
دروبا واسعة لا يزحم فيها الجنائي الذاهب وتوافدت رجال العسكر واتباعه وغلبه وأشياعه على قتل ماري في
الحندق وهان طم الحندق بالبابات التي قدمت والاسراب التي نبت وأحكمت فوجد الناس الى الحندق طريقا
مهيأ فاهم يزجون آمنين من الجراح ما طعن بالاثراج والناس يجب القلعة على شفير الحندق لا يستمر من حذرا
ولا يفتشون سهاولا حذرا وقد امتلا الحندق حتى ان أسرا مقيدا روى بنفسه اليه ونجا بعد ما تولى من رى الفرج
رى الجارة عليه وفي بعض الكتب العادية (ولا الحندق المانع من الارادة وانه ليس من الحنادق المعادة بل هو
بالخنق فعدت دبابات قمتها وبينا الى شفير الحندق ثلاثة اسراب بالبن سقتهاها وأكمتها فصار منها الى
طرف الحندق طرق آمنه وشرع الناس في طم الحندق منها وغفوسهم مطمئنة فطربهم ساكنه وكان الشرع فيه يوم
الخميس سابع جمادى الاولى وقد نسي طمعه ونهيا وردمه وتسارع الناس اليه وازدجوا عليه ولم يبق صغير ولا كبير
الا وهو مستبشر بالعل منتظر ليشرى فبح الامل وقد تجلسوا وحى ازدجوا تحت القلعة نهرا كان سهاهم في المعلى
يوم العيد ولما كحسوا هم في جامع دمشق ليلة النصف السعيد وهم يجملهم من الجراح سالون وبالنصر موقنون
عالمين وان ابدا العدو في القعدة فالنصر سريع والحصن وس فيه مصرع قد خرفت الجارة بجابه وقطعت
بهم اسبابه وتاوت من الاجل كابه وبرت لسان سور وحلت حياه فاناف الارجة مجدوده وثنا بالشرقات
مقلوعه وروى الابن محسوزة وحروف العوامل مهموزة وبطون السقوف مبقره واعضاء الاساقف
مقصوره ووجوه الجند ومسلوخه وجلود البواشر مفسوره والنصر أشهر من نار على علم والحرب أقوم من ساق على
قدم قال واثرف السلطان على أخذها فوصل الخبر ان الفرج قد تجمعوا واما من بعد بن لاهل الكرك ليزخرجه
عن حصارها فغنى السلطان عنان العزم اليهم وكان في منزلة الواله وتلك المواضع ضيقة صعبة للملك فانتظر
السلطان ان يجزى الى البلقا وتقدم عندها مبال فرجوا وارتقوا ولم يقدر وادعى قصد الكرك عزوا ولما
راى السلطان ان الفرص من القتدين فانتصر على نابلس فاغار وغم في طريق عودته على سبطيه وفيها
مشهد ذكر يا عليه السلام وقتا تحته الفرج كنية وأودعها المنعة فغلبه وبها من الفرج اسقف وقس وريهان
فقدوها بأسارى مسلمين ولاذوا بالامان فقتلهم ثم أباخ على جينين فاهبطوا وجها وهدم رجها وآب بالنهاب
والسبايا والرماح والصفايا واجتمع بها مصابه على القول وتعدت بالايدي لحولوات التورق القول
(فصل ١٠) ثم رحل السلطان الى دمشق للاجتماع برسل الخلافة شيخ الشيوخ وبشير وكانوا واصلوا والسلطان
محاصر الكرك فاجتمع بهواكرهم وكانوا يقدم من اموان جماعة من أصحابهم وعاد السلطان شيخ الشيوخ كل
يوم ودية في الرباط بالمينع واستأذنى في العود قبل الشفاء فضاقت الصدور بصدور ذلك الصدر على ثقالة حاله
وجزت تلك العزة كما شاء الله من الاثاله ثم استقل مودعا واداع الابد وكان حسام الدين طمان مقدمه عسكر سنجل
مع السلطان حاضرا في الجهاد فانتهى الى المودود امره بمرافقة صدر الدين والرسول معه والفرق فيهم فسيرهم فساروا

في اخير (٥٧) الدولتين

على سمع الرحبه فاغتم الامير طمان بركتكت الصعبه فادركت الخبيثه شهاب الدين بشيرا بالهضنه ووصلوا
 بشيخ الشيوخ الى الرحبه وهناك تلقى ربه قال ولقد توفاه الله على الوفاء بعهد والوفاء بقعه مشيم الكرم كريم
 الشيم صالح العمل نابع الامل مفارق الدنيا في حياته مقبلا على الآخرة قبل وفاته فهو بمن وفقت سريره الملائك
 ووضعت له في عليين الارائك وكانت وفاته في شعبان يوم اقامه الجنان قلت كان صدر الدين هذا أحد السادة
 وأبوه وجد من أكابر الاعيان وشيوخ مشايخ ازمان وهو عبد الرحمن بن اسماعيل بن أبي سعد احمد بن محمد
 النيسابوري وقد ذكرت ترجمته والدفن تاريخ دمشق والمحققان أغيار جده بما ذكره أبو سعد المعصاني في تاريخه
 وقال ابن القادسي توفي صدر الدين في رحبه رحبه ملك بن طوق ودفن في قبة الى جنب قبر الشيخ موفق الدين
 محمد بن المتقنة الرحبي وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان وخمسمائة وكان شجاعا طلاقا للعلم والدين والعداد
 ثابت الجنان في الحوادث المزيجية والوقائع الباغية المجلبة سديد البديهة صافي الفكره جمع بين نظم
 الشعر ونثر الترسل وكان يرسل الى اطراف ورتب في مشيخة الشيوخ منذ توفي والده في جمادى الاولى سنة احدى
 واربعين وخمسمائة ولم يرزل على ذلك الى أن توفي وتولى بعده مشيخة الرباط صفي الدين اسماعيل ومن شعره معنى
 صدر الدين

ولم أخضب سبئي وهو زين * لا يشارى جهالات التصابي

واصكن كبراني من أعادي * فارهبه بوثبات الشباب

قلت ووقفت على كلب فاضلي اليه جوابا عن كتاب عتب فيه (وقفت على النخبة الطيبة والكرامة الصبية والانفاظ
 العذاب الاتهام الغضاب والنعيم الا انه العذاب والمساخطة لانها الحساب والمقاربات اللواتي أولها أحسن
 تأويلها والمحكيات اللاتي هن أم الكتاب ويكنى انه مزج الصاب بفسله وأرغف قلبه بالارغفة الشجاع من
 انوف أسله وهذا باب قد آن سده وسبيل قد وجب صدّه وعين دهر أصابت هذه المودة وقد آن لها أن تنطرف
 وتنصرف وبادرة هم قدحان ان تنكشف وتنكشف فلانظر بعد هذا العين التي اصابت ولاخط في أثرها
 للنظر فالتى آبت ولا كان لا بام في فضل ميلا على عهده نصيب ولا عدا أبدا على شباب الرضى هتم مشيب ولا
 تمكن من حبيب وذه الى القلب رقيب ولا ملك رقه غير تلك اليد الكريمة ولا سمعت حديث الحوام تلك المودة
 للقدية) قال العباد خرحنا من دمشق في شعبان وخيمنا على معصم ودعاني الدين فأمر ان يرجع بالعسكر الى
 مصر فسار في منتصف الشهر ثم خرج معنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام بدمشق ورجع كل عسكر الى امره ومذح
 العباد في الدين في هذه الكوفة قصيدة ثمانية نحو خمسة وخمسين بيتا أولها

اذا امتناع عن غير قلبي تعسدا * فما حل فيه الهم الاليلشا

خذنا هدى صدق على صفة الهوى * مناسا كامن ووجدا محدنا

مر يضكا أشقى على الناس سقمه * فلاتهلا في أمره وزرشا

رني على عدوى من جفا: احبتي * وناهيك من حال عدوى لحارفي

هو دكم بعد النوى ما تنسنت * وحاشي لذلك العهد ان يتسنا

واملك بالملك المظفر ظافرا * من الجدد والجودى قديما ومحدنا

خوف السطاصع الا باحسن الننا * مرجى الندى سهل الرضى طيب النشا

حقا آخر العمر من ٦٤ الذي * به العمران اليوم العدل ثلثا

هم أحد تراقع الضلالة لهدى * هذملكوا ملق في الدين محدنا

غشائي وغش أنت حامل قصه * فضلك ان العصر يحفل النشا

ومنها في وصف القصيدة

وقد سمعت والشاء أو عمر رقيق * فلا فرق عندى بين ناه وبين تا

(فصل) لا يتوى على ذكر الغفلة بين مصر والشام والتعريف بحال زين الدين الواعظ الذي كان صلاح الدين

مكتاب (٥٨) الروضتين

يكتابه مرقا نعه وهو الذي هم على علمه وأصحابه بما كانوا هموا عليه من قلب الدولة الناصرية مصرية كاسبق
وسبب ذكره هنا أنه هو الذي شرع في تفصيل مصر بكتاب كتبه إلى السلطان في هذا العام وقد تقدم المقام في الغاضل
كلام في تفصيل مصر وذه الشام في أوائل أخبار سنة أربع وسبعين وله من كتاب آخر (قد عونا من يعلى البلد
الاعسر ومن رأس عينه الحقيقة المحرر ومن ليجها الذي تنقش الجبال بعينه ومن بردها الذي لا يشق البحر عنده
الابانة وعردوا إلى المار فتم فيه وما كنك فاتها قد علمت أوحى لقطبها فأسالت سلطانهم دستور ما هن أقر سلاطينها
وأذكر والنيل الذي في لكم في هذه السنة قصه وأنى أن يكون ملؤه ذخيرة لتغير جود كذا الذي أحصاه الله ولم يخصه
بإذكره وأقضيها أسماء طوبتها قد كان يقيم الحجة على نبي الشام ووجهه ويتقلل برده فيسرى إلى قلب الطليل وكان جاريا
على غير طريقه وأذكر وأحصة هواتها وتصبه لا يأمك حتى أتم الله عليكم قبل حصة أجسامنا بحصة أجسامكم) ومن
كتاب آخر (وأما أحوالنا فاني لما أنزل ملتأله فدخلت دمشق لغفرانها وهواتها وأهيتها وأبنائها وأوديتها وأدواتها
وقراها وقرانها ومن لي بمصر فاني أضع عاتقته أرضها من قبلها وقائما وأتبع ردى وما عساه بشيرة من مائها وأمنطى
من السيف في هجر مصادها وسوداتها فالدمل هائل ولا خائل وما كان معي بمن تلك الفضائل متضائل حتى إذا
جامع لي بحمد شيا فني بلاد تحدي ولا تصدى وفعل للمال بالآزم التعدى) وقال العماد هذا زين الدين علي بن نوح
الواعظ من أهل دمشق ومن ساكني مصر وهو من جملة في الوعظ فصحه وبهجة للفصل صححه وقبول من القلوب
وقبول في فصل الخطاب للقطوب وقد أنشأ وتائل وقيل وأقبل وأحسن السلطان إليها الاعطيات والاقطاعات
وأجل واعطاه واجزل وأتم لهم رادوا كل وكان السلطان يستشيره وبروقه تدبر وبجل إلى تقديم معرفته وكرمه
سهيته ووصل في هذه السنة من كتاب إلى السلطان يشوقه إلى مصر ويطلبها ونعيمها وسليها ودار ملكها وداره فلكها
ومصرها وخليجها ونشرها وأربعها ومقبعها ومقاسها وأتبعي ناسها وتصومعزها ومنزل عزها وجبرتها وجزيرتها
وخبرتها وجزيرتها وبركتها وبركتها وعدوتها وعدوتها وتطق القلوب بقلوبها واحتلاب النفوس بأسلوبها وملتقى
البحرين ومرتبتي الحرمين وروضة جناتها وجنته رنوتها ومساجدها وجوامعها ومشاهدها ومراجهها ونواظر
بساتينها ومناظر مبادئها وساحات سواحها وآيات فضائلها ورحاب سوارعها وحلاب مشارعها وشرق غريبتها
وغروب شرفتها وطيب طوبتها ومسارمرها ومحرى فلكها ومرساها وغائب بناها وغرائب مناسها وبيان
عيلتها باسان بلسانها وكياسة أخلقاتها ونفاة أعلامها وشاؤها في الفضل ربح نصير وغيارها غير ماثوا
كوتري وزابها غيري ثم وصف العماد غير ذلك ثم قال وذكر زين الدين الواعظ في كتابه ما يدل على فضيلة تلك الديار
من الآيات والأخبار والآداب والآثار ولون فقرته لاوردته بالفظه وجاهته برعظه لكنني قد نعت فزعت معانيه
وأحكمته معانيه قال فكنت إلى زين الدين الواعظ في جوابه عن السلطان (ع) فطاب الله دياره المصرية ورقه
هواتها ونحن نسلم المسئلة في طيبها وتوفير نصيبها ورقه نسبيها ورأى نسيها لكن لا ريب أن الشام أفضل وأن
اجسا كنه أنزل وأن القلوب إلى قلبه أميل وأن الزلال البرد به أغل وأنهل وأن الهواء في صيفه وشاته أعدل
وأن لزمه به انسب والنبه بأكل وأن الجمال فيه أكمل والكمال فيه أجل وأن القلوب به أروح والروح به أقبل
ودمشق عظيم المشروطة وعقله المشروطة وحديثه الناضرة وحديثه الناضرة وهي عين انساني بل إنسان عينه
ومصر في قوده في عين فضل مولينه فسمها مستهام وما على محبها ملام وما في ريويتها ربه وفي كل حبو حبيبه
ولكل شائب من نوره شائبيه وعلى كل ورق قورقا وعلى كل معاقبة من قدودها بالث عفقا وشدايتها على
الاحواد تطرى وتطرب وساحاتها بالارادتهم وتغرب وكقها من جولر ساقيات وسواق باريت وأشار
بلاشمان وروح وريحان وفا كسمه ورومان وخيرات حسان وجسم ما في سورة الرحمن ونحن تتلو عليها لا اله الا
ان يرجع البنات فتلوعلى متكرها فبأى الأمر بكتكليات وقد تمسكت بالآية والسنة والابحاج وغنيها هذه الالة
عن الاختراع والابتداع أما أقسم الله تعالى بدمشق في قوله (والثين والاربتون) والقسيم من الله لما أدل دليل
على فضله الحسن أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام خيرة الله من أرضه يشوق إليها خير من عباده)
هذا أوضحه رها ن قاطع على أنه خير بلاد أما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على اختيار السكنى بالشام أما فاع

في أخبار (٥٩) الدولتين

دمشق بكر الاسلام ومانكر ان الله تعالى ذكره مصر وسما الرضا في الذكر والتمعية في جنب فضيلة القسم ولا الاخبار
 هنا بل على الكرم وانما كتبت الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه افضل الصلوات والسلام ثم
 المقام بالشام اقرب لرباط وأوجع للشايط وأجرح لعاكر الساترة من سائر الجهات للجهاد وأين قطوب القلوب
 من سناء سنير وأين ذرى منقبا مشرف من ذروة الشرف المنيف المنير وأين الحرم المحرم من الحرم المحترم وبينهما
 الرق ما بين الفرق والقسم وهل لتليل مع حاول يله وطول ذيله واستطال نفسه بردى في تقع القليل ورفع
 قليل وما ذاك لكثير طلاوة هذا القليل وسيل هذا السليل وإذا فخرنا بالجامع وقفة البصر ظهر هند
 ذلك قصر القصر على ان باب الفرار ليس في الحقيقة باب النصر وما رأس الطاية كتاب الجايه ولو كان لتاسها باس
 لم يحتاجوا الى قياس القياس ونحن لانجفوا الوطن كاجفاه ولا تآبى فضله كآباء وحبا للوطن من الاملان ومع هذا
 فلا نكر ان مصر اقليم عظيم الشأن وان مظهرها كثير وماها غزير وان عذاتها غير وان ساكنها ملائكة وأمر ولكن نقول
 كما قال المجلس السامي الأجل القاضي اسماء الله ان دمشق تصلح ان تكون بدنا للمصر ولا شك ان احسن ما في
 البلاد البستان وزير الدين وقعه الله قد تعرض للشام فلم ير ان يكون المساوي حتى شرع في هذا المساوي ولعله
 يرجع الى الحق ويعيد سعدا سعادته وفاته الى الاوق ان شاء الله قلت وقد قيل في وصف دمشق ومدنها ثني
 كثير من النظم والنثر واشتمل ما جمعت في أول تاريخ دمشق على قطعة كبيرة حسنة من ذلك ما وصف شيخنا أبو
 الحسن علي بن محمد الهناري رحمه الله في مقامه تستعمل على الفاخرتين دمشق ومصر ووصف كلا من البلدين بما يليق
 به وكان أول ما قدم دمشق بذخها في مكاتبه الى مصر نظا ونثرا حب الوطن ثم لما استقر فيها قوت وعينه وفضلها
 في بعض مكاتبه وقد ذكر كل ذلك في جزء مستقل به وأما القاضي الفاضل رحمه الله فقد قال في بعض مكاتبه
 الى مصر (وعا سر به تلبه الكريم اني وصلت الى دمشق المحررة وسحين شر بردها وورد دورها واخضر نبتها
 وحسن نبتها وصفامواها وصفادواها وتفتت أطيارها وتبسمت ازهارها واقتد زهارها وانما غكى نفور
 غزلانها ومالت قصبانها فانتدقتى ولانها فلما قربت من يسايتها ولاح في فبح ميادينها وتوسطت حنة
 وادها ورأيت ما يدعاه الله فيها سمعت عند ذلك حاما يفرده وهزارا يندد دور رد وقرا يندوح وبلبلها بشعبانه
 يندوح فوقت اني على بلادها وأكاد بالدمع أباديها أسفا على أيام خلعت بعد ما حلت منها وفيها فندد ذلك
 عادت بروى وزال أنيني ونوى

وكانت النفس قد ساتت بقصتها * فندد ذلك عادت روحها فيها

قلت ووصف أيضا دمشق من أهل مصر من يرجع الى الله وورثى يحكمه لفضله وقصه وهو الوزير العادل صفي
 الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بيا ن شكري كتاب البصائر له فقال (دمشق زهرة الاجصار وعروس الامصار
 وبحرى الانهار ومقرس الاتجار ومعرس السفار ومعيد الاررار المستغفرين بالاسفار ظلمة الدود ومقامها
 الجود وماؤها المسكوب وعبها الملووب ومحاسنها المجموعة وقضائلها المروية المجموعة ودرجتها المرفوعة وفاتها
 الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ونسبها الطيل ومجيرها الاصيل وماؤها السليل وقد شرفها الله تعالى بالذكر
 في كتابه وآوى اليها من اختار من أنبيائه وأحبابه فقال تعالى في كتابه المئين (واورناهم البروة ذات قرار ومعين)
 ولم تزل مقر البركات ومعدن النبوات ومقل الرسلات وممكن ارباب الكرامات ووردي تفضيل بقصتها
 من الاخبار ما لا يشك في صحة اسناده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام صفوة الله من بلاده فيها خيرة
 الله من عباد) وفيه في خبر آخر على عظم فضله فقال ان الله ترك كل لي بالنام وأهله وبارك في سكناها وركب
 في سكناها أهل الاسلام بقوله عليه السلام (البركة في الشام) وذهب بعض المخبرين من أهل الاجتهاد الى انها المرم
 ذات الهاد التي لم يخلق مثلها في البلاد) قال (ولما أتم الله تعالى على بلسكا في قناتها وتقدير بلبنتها وزعمي
 في اقناتها وانسي بانسانها مضيت الى جامعها الجامع وشقت بادوك للصمرته ادراك المصامع فلما وصلت اليه
 وحلت الحبي لديه رأيت من آى صفرا روايه وروقا حصل من الحسن على التباه ونورا يجلو الابصار وجما يفضل

كتاب (٦٠) الرومانيين

على جوع الامصار وعبادة موصلة على الاستقرار وقرآنا على في انا طليل وأطراف النهار ومنقطع من ليله قد انتقوا في الاكثاف به تعالى الاعمار والبرككت تحف بجوانبه والعلوم تشر في زواياه وعجابه والا حاديت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تستدوي وللمصاحفين ابدى التالين تشر فلا تطوي واعلام اليه في خلاصة فلا تخفي ولا ترى والخلق منقسمين الى طلق قد نذا اهلها ماوراهم من الطلق والاسلام في غاش والجبل بهمتلاش وهو بمناها الاوون لعبادتهم وجعلوا ذخرا لا آخرتهم وبارح عبدا لكل مله اتقذته المحوس واليهود وانصارى قبل الاسلام هيكله وقبه وهو من المتقين وسوق المتصدقين ليله للتجدين ونهار للملح المجتهدين) قال (وعاشرت اهلها وبارتتهم ثم كاثرتهم وكاشتهم فرأيت ساداته وعلمائيه وأتيتهم يشاغلون في الفتحة مناظره والواقم ولده وقضون عند كتاب الله فلا يدلون عن واضح جده ويقره من علم واستبصار ويشتاطون في علمهم بصح الاخبار ويتبعون ماوردته قساة الاثار وعاستهم شغلون بالمعاش آخذون من زينتهم عند كل مسجد أفضل الراش لا يخرضون في لقط ولا أكابر ولا يمتعون على فسادية في مقام ولا بعيد الدار) قال (فاقت منها في شرف البلدان التي هي اقرب من الجنان وعنوان الدار التي خازنها رضوان والقلوب فيها عند ذكر الله حاضرة والتفوس بالخير دين الشرائع)

(فصل ١٠) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد كُتبت اربل وما يجري معهما من البلاد والتسلاص من ولايات الموصل معدودة في ولاية السلطان فأراد صاحب اربل ان يفرغ عنه ويستبد بالبلاد فاض الى السلا ان كاتبه وطلب منه منشور ليلاده فكتبه وفيه (ان الله لما مكن لنا في الارض ووقتنا في اعزاز الحق وانله له لاداء الفرض رأينا ان نخدم فرض الجهاد في سبيل الله فنوضع سبيله وقبل على اعلاء كلمة الدين ونصرتييه وندعو أوليا الله من بلاد الاسلام الى غزوا وحدائه ونضع كتهم في رفع كلمته الطليق أرضه على استئزال نصر من جمائه فن ساعدنا على اداء هذه الفريضة واقتناء هذه الفضيلة يحظى من عوارض الجزيلة بحس الصنيع فتخرج الوسيه ومن أخذنا في الارض واتبع هوله وأعرض عن حق دينه بالاقبال على باطل دينه فان اناب قبلناه وان أصر على غرأته اولنا دموع لثناه وتفصيل ما كتب في منشوره اربل وتلقاها وأعمالها جميع ما قطعه الزاوي الكبير شهر زور وأعمالها معاشيت فتحقاق معاشيت الفرائي القست والزر زلزيه قال وفي هذه السنة تمستهل جمادى الآخرة توفي صاحب اربل وهو قطب الدين البغلازي بن النبي بن قراش بن البغلازي ابن ارقق والامراء الاثبية هم الذين يتقوا في الاسلام أولا وكافوا بتولين بيت المقدس وجموعه من الاقرب قبل المصريين وانما أخذ الفريضة اثنتين وتسعين وأربعمائة من المصربين في السجل كله مع أهل الشراكه من الارثقية ديار بكر وما والاها وحلب وأعمالها وتوارزاد ديار بكر كابر اهن كابر الى ان انتهى الى هذا قطب الدين أعمال صافا قريش واردين فلما مات بقيت على ولده وله عشرين وانهى الى ابن عمه نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سليمان بن ارقق حص كيا فلو تبرت والبلاد التي تاسها وأضاف السلطان اليه امدود كان قطب الدين أولا على مضافه صاحب الموصل لما بينهم من القرابه ثم أذعن للظفان ودخل تحت طاعته قلت وفي هذه السنة أيضا توفي خليفه المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وولى ابنه يعقوب طال القاضي ابن شذاد وبعد عود السلطان من حصار الكرك وصل رسل الخليفة وسعهم الخلع طلبها السلطان وألبس أخاه العادل ابن أسد الدين خلعا جاعل لها ثم خلع السلطان خلعة الخليفة على نور الدين بن قرا ارسلان وأعطاه مستورا فصار الى بلاد موصل برسل زين الدين مستمر خا الى السلطان يخبر ان عسكر الموصل وهك قزل تزلوا على اربل مع مجاهد الدين قايماز وانهم نهروا وحرقوا وانه مصر عليهم وكسرهم فلما سمع ذلك سار من دمشق يطلب البلاد وتقدم الى العسا كرفتيه وسار على طريق الحصار ويوس البقاع الى بعلبك ومن البعلبك فاقطعها وسار السلطان الى حص ثم الى حماه فاقطعها الى ان شفي الجند ولحقها وكان الاجل الفاصل بدمشق فأرسل الحكيم ابن الطران واسمه أسعد بن الدرس الى العماد بعلبك لاسمع جمع حربه فصار من دمشق الى بعلبك في يوم وليلة وعمل معه عمل من طبلين حب فبرق بعين الله تعالى فرجع الى دمشق فلما استقام من اجبرحل الى السلطان فواته بجهاه

ودخلت سنة إحدى وثمانين) في محال ألماد والسلطان فخرج بظاهرهما فصاروا إلى حلب وتلقاه أخوه العادل واجتمعت لهما العساكر فخرج منها في صفر قصد الموصل فصار وفتح العراق وأقام العسكر ثلاثة أيام بمصر وبها وكان السلطان قد سيرا في معقل الفرات وقلاعه وقلاعيه وضياعه وأمر أهلها بإجاعة كل غنينة في الفرات وزورق ومركب وجههما من كل مشرق ومغرب ثم وصل إلى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو أخوزين الدين يوسف صاحب أربل وقد كان أول من دخل في خدمة السلطان وأول ما قصدت تلك البلاد في المرة الأولى واقصدى به أخوه وغيره من أصحاب الأطراف في الانتماء إلى السلطان وحضر معه حصار عذق بلاد الموصل وسنهار وأمدو حلب وأظهر من المودة فوق ما كان في الحساب وكان كثير الحيلة لئلا يمان على المير إلى الموصل هذه المرة برسوله وكتبه وقال رسوله السلطان إن مظفر الدين إذا هزم الفرات يستدرك كل ما فات ويقوم بكل ما يحتاج إليه في تلك البلاد من الثغقات والفرامات والأزواد وتقدم يوم الوصول إلى حران خمسين ألف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان إلى حران لم ير منها إلا التزمه الرسول فارتاب به وطارق أنه مال مع المواصلة ووشى الأعداء فيه بذلك وإن تته قد تغيرت نظر السلطان أنه لم يتغير وإن ما التزمه الرسول لم يكن بأمره وابن ماهان فاعتزل عنده من مرتبه وهان فقبض السلطان على مظفر الدين ليتبين أمره وتاورفبه أصحابه فأشاور بعضهم باتلافه وبعضهم باستبقائه واستلافه فضا السلطان عنه على أن يسلم إليه قلعة التي أرهاو حران ففعل ذلك وهو مسرور به فقامت معه ثم أهدت إليه القلعتان في آخر السنة لما رأى السلطان من حركته المستحسنة قال أنقاضي ابن شذاد وشار السلطان حتى أتى حران على طريق إليه والتقاء مظفر الدين بالبيعة في ثاني عشر المحرم وكان قد وصل إليه هز الدين بن عبد السلام يعني الموصل رسولاً واسمه إبراهيم بن علي بن عبد السلام ويكنى بأبي الخليل ظفيرة بجها يعتز بها جرى فأعطاه دستوراً بعد أن أكرمه وسار من غير غرض قلت وصحب ابن عبد السلام في هذا السفر من الموصل عن ابن مجد العرف بن ابن السجدة قدح السلطان بقصيدة أولها

على الخي من وادي القضا ان تقروا * سلام مشوق قد براه التشوق

فما بلغ مديحه إلى قوله

وقالت لي الآمال ان كنت لاحقاً * بأبناء أبيوب فانت الموفق

قال له السلطان لقد وقت وأجازته بآزتيه ثم قال القاضي وتقدم السلطان إلى سيف الدين المشطوبان يسري في مقدمة العسكر إلى رأس عين ووصل السلطان حران في الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض على مظفر الدين لشيء كان جرى منه وحديث كان بلغه عنه رسوله ولم يقف عليه وأنكر ما أخذ منه حران وأرها ثم أهام في الاعتقال نادى به إلى مستلربيع الأول ثم خلعه عليه وطيب قلبه وأعاد عليه قلعة حران وبلاد التي كانت بيده وأعادته إلى قانونه في الاحترام والاکرام ولم يخلف له سوى قلعة أرهاو وعده بها ثم رحل السلطان ثاني ربيع الأول من حران إلى رأس عين ووصل في ذلك اليوم رسول فبلغ أرسلا بن مجبر أن مولك الشرق بأسرهم قد اتفقت كآتهم على قصد السلطان أن لم يصعد الموصل وماردين وأنهم على عزم ضرب المصاف مع ابن أصر على ذلك فرحل السلطان يطلب دينهم فوصله ثامر ربيع الأول عماد الدين بن قرا أرسلان ومعه عسكر فزاد الدين فالتقاء السلطان واحترمهم ثم رحل من دمنهر نحو الموصل حتى نزل بموضع يعرف بالاسماعيليات فرتب الموصل بحيث يصل من العسكر طمعا في ملك أخيه فأعطاه دستوراً وقال العماد خرج السلطان من حران في ربيع الأول فمر على رأس عين ودارا فخرج أسيرها بأصحابه في الخدمة وقدم عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان بصرى كركديكر وأمدنيابة عن أخيه نور الدين فإنه كان من بصرى ثم رحل إلى نصيبين وقدم صاحب الجيزة صغير شاه ابن أخي صاحب الموصل فأكرمه السلطان ثم سار من أقرب الطرق من دجله وتكب طريق الدولة فقتل على بلد آخر ربيع الأول ثم توجه إلى الموصل ونسب على الاسماعيليات وقدم على السلطان زين الدين صاحب أربل وأول ما بدأ به السلطان يوم نزوله على بلد قبل

الاسماء عيليت ارسال ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الى الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل خان أهلها واصلون الاعاجم وضايطون لسلطانهم القائم وناشوا معه في التناهي والنداهم وانهم ينزرون باليهولون ويجوزون الاعان الطاعون الاذعان وانهم يرسلون الى الفرنج ويقنعون قوسهم على قصد التفرج وتفرق الجهور وانهم ما جاءهم عافى استضافة ملك ولا استزادة ملك ولا تلعب ثوبت تديم ولا تلعب اصل كريم واعا مقصوده الاصلى ومطلوبه الكللى ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام واكشفوا اعتداد وواعودوه من الظلم والظلام وكظمهم عن استغلال الحرم وقطعهم عن مواصلة الاعمال والزمامم عليهم من حفظ الجبل وصلة الارحام فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخى صاحب الموصل ولى عهد أبيه لم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحقه بالارث والتولية وحرمه ما يستوجب من الترية والتلبية وأخاف حرمه وقطع رجحه ولو تمكن منه لاطاح دمه ولو لا خوفه من جانبه وتوقيه من ديب عقارب له لما التجأ الى هذا الجانب وبما اختار الاجانب على الامارب وهذا صاحب اربل جار للموصل أبو مزين الدين على هو الذى حفظ بيتهم وخلف في حياتهم ميتهم وهذا دلفى جوارهم مسكوه بجورهم وحديث صاحب الحديث في سادة لا تقنى وعين من شكرت من مخافتهم وأتقن لا تكبرى قلت وفى بعض الكتب الفاضلية عن السلطان الى الديوان (وكان قد تعجب الى الحداد فى وقت حركة صاحب تكريت والحديثه وهو يستأذن فى استبعا عسا بمحك التقليد الذى تناول هذا وغيره ولم يستأذن فى ذلك باستئذنا مخصوصا بالتحملهم من جواردار الخلافة ولانهم بما يرى الحساد مضافة الى ما يجرى فى خاص الديوان العز رضع غير هاهما يجرى مجراهما فى القرب من الجوار والقبول فى زمان شرف تلك الدار فان أذن له استئذناها فى صلحان ثم معهم أوجها مع ما يذبه ان اختار المشار اليهم البقاء عليها وهذا برشرف قد أعوزه عمله وتاج اذا أسله لخط الشرى فظلم العمار منتظمه) وفى مكتاب آخر (وما كتابها ذاتها فى قتال المذكرين الا كطالع كفه ليسم سائر جمعه وكراكب حذالستان مضطرا فى حكمه) وأصحاب العباد الرسول قصيد مدح بها صاحب مجد الدين أبا الفضل أولها

فنى الوجدل ان لا أفتى من الوجد * فياضه الا لا اذا ظن ان يهدى
محيطهم جلد على كل حادث * ولكن على هجرانكم ليس بالجلد
يفقد حصار حاكم لخصم * أبا الفضل مجد الدين بالفضل والمجد
وأه الامام الناصر الدين ناصر * خافول تعول على تجده المجدى

ومنها

الملك صلاح الدين الجاه أمره * خطار كته والعقبات الشد والشد
ملك على حرب العدو مصمم * وما زال فيه غالب البدو والجد
تساور أفواء الجراح رماحه * مساورة الاميال بلا عين الرمد
يصل لنا يا الجهر بالآسر محرا * دم الاصفر الروى بالايض الهندى
وس لامر المؤمنين كيوسف * فتى فى مرضيه بمحسته ندى

قال وشرع السلطان فى اقتاع البلاد والتوقيع على الاجناد وسير الامير سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمطوبى المكررى ومعه الامراء من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد المكاربه وجماعة من الامراء الجليلية الى القرواء لما لا متناح قلاعها واستغلال ضياعها ونصب الجسر ومالك الامر وغيره مظفر الدين صاحب حران وغيره من الامراء وخير الجانب الشرقى وكان المراد لك شديدا فأمر السلطان بالصبر عن القتال الى ان يطيح الزمان وأهل الموصل فى الحصار وأشهر عليه بحويل دجلة وكان ماؤها قد قل بطريق ذكره خبرها زعم الله يمكن سد دجلة وسرها وبقوة أخرى وكسرها ونقلها وتحويلها الى دجلة تنوى وقطع الموصل اذا الماعنها اترى وعرض ذلك على رأى الفقيه العالم فخر الدين أبى شعاع ابن الدهان البغدادى وكان مهندس زمانه وانسان عين الفضل وعين انسله وكان منذ عهد قدیم سكن الموصل فى نخل كبير من أصحاب زين الدين على ولما سمع بكرم

في اخير (٦٣) النولتين

السلطان قتيبا بظلمه وتعرف الى فعله فصلى المشرى بذلك وقال هذا يمكن ولا يتعذر ويتمر ولا يتعسر ومن كتب عمادى الى بغداد (وذكر المهندسين أهل الخبراته يعمل تحويل دجلة للموصل عنها بحيث يبعد مستقى الماسنها وحينئذ يضطر أهلها الى تسليمها بغير قتال ولا حصول ضرر في تصديق ولا نزال)

(فصل) وفيما فعل السلطان في أمر خلاط وميفارقين وغيرهما من البلاد قال العماد وصل خبر وفاة شاه أرم من صاحب خلاط فقهر آل اليها العزم وترجى بها الحزم وكان ورود خبر موته في العشرين من ربيع الآخر وكان موته في التاسع منه ولم يختلف ولدا ولا ذاقرا به يكون خلفا له فيها ووردت كتب الاولياء من أهل بليس وغيره الى السلطان بخطبه لها وهم خائفون من البهم ان يتولوها فاختلف الناس على السلطان فن مشر بالاقامة الى انفصال أمر الموصل ومن مشر بالمسير الى البلاد الارمن فان الموصل غير فائتة ومن قاتل بالقسام العسكر لها الجاهلين قتر يرى السلطان على المسير اليها فكتب الى الخليفة يطلب منه كتاب تقليد بلاد الارمن ود يار بكر والموصل فجاء بعد فتح ميفارقين مثال شريف بتقليده النظر في أمر د يار بكر والنظر في مصالح أيتام ملوكها ثم رحل السلطان عن الموصل في أوخر شهر ربيع الآخر وقدم في مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوبان معه ومظفر الدين صاحب حران وأمرهما ان يسيرا الى خلاط من أثرى الطرق فلما وصلوا وجد سيف الدين بكتمر أحد عمال شاه أرم قد دخلها وحاصرها وتقلب عليها وجاء بهلوان في عساكر الشرق وعو شمس الدين أوجعفر محمد بن ايلدر كمرتولى ذلك البلاد قدزل من الجانب الآخر وكان وزير خلاط محمد الدين بن الموفق بن رشيق يظهر للسلطان المودة والمناجحة وهو على خلاف ذلك وكتب الى ناصر الدين ان يقيم على القرب فهو أشد تقلا رهاب والعرب فعل ولو خلاه لسبق اليها وقتل ان هذا الوزير أيضا اغتذى بهلوان وأمره بالانتيان وأظهر له المودة والاحسان ولما تداى الزمان وقرب منها بهلوان واسله بكتمر وحل اليمع اخته زوجة شاه أرم من الاموال التي أودعت المحزن وتب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى قد خلعها وتلقاها وتأملاها وتكلم مع الوزير وشاوره فأحال الحال على بهلوان وانها لم يملك الملكا ولو استجلبت لسهل ما صعب الا ان وهان ثم جرت مراسلة بين السلطان وبهلوان وانفصل الامر كما ما كان وقال العاضى ابن شذادوفى ربيع الآخر توفي صاحب خلاط ولوى بعده قلامه يدعى بكتمر وهو الذى كان وصل رسولا الى خدمة السلطان بسجائر فقتل وأحسن الى أهل خلاط وكان مصروفاتى طريقته فأطاعه الناس وماوا اليه ولما ملك خلاط امتدت نحوه الاطماع فسار نحوه بهلوان بن ايلدر فلما بلغته ذلك سيرا الى خدمة السلطان من يقرر معه تسليم خلاط اليه وادراجه في جنته قطع السلطان بخلاط واربعل عن الموصل فتوجه نحوها وسير اليه الفقيه عيسى وفرس الدين طبع لقرير القاعدة ونحى رها فوصلت الرسل وبهلوان قد عارب البلاد جدا فخوف بهلوان من السلطان وأشعره انه ان تصده سلم البلاد الى السلطان فطلب بهلوان اصلاحه وزوجه بنت لهم وولاه وأعاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان وعادوا من غيرز بدت وكان السلطان قدزل على ميفارقين فحاصرها وقتلها قتالا عظيما ونصب عليها محاسيق وملكها في آخر جمادى الاولى قال العماد واستشعر ملوك د يار بكر من حركة السلطان وكان قدمات صاحب ماردين كانت قد تم وبقيت الولاية لولده الكبير وله عشرين وكان القائم بتدبير ملكه نظام الدين ابن البقش ومان أيضا صاحب آمد فورا الدين محمد بن قرا ارسلان رابع عشر ربيع الاول من هذه السنة وقول ابنة قطب الدين سكران فاحتزروا من السلطان تنافوا ان يترد بلادهم ففتن السلطان اليهم فحس الدين بن الفراه ليخبرها لهم في المحاربة والمسالمة فوجههم على الطاعة فمقيين واليه مراغبين ومنه راهبين ووصل السلطان في جمادى الاولى الى ميفارقين وسكن دخلها من أمره صاحب ماردين أسد الدين برقتش واستعصى فيها على السلطان فحاصره وفاتله ثم رأى ان القتال يطول فراسل أميرها الاسد ورغبه في المودعة ونهاده عن المقاطعة وكان في المدينة ثمانون ابنه قرا ارسلان وهي زوجة قطب الدين صاحب ماردين الذى توفي فاحال الاسد الامر على الخاتون فرسلها السلطان ورغبها ضمن لها كل ما تطلبه منه ووعدها ان يصار اليها فزال بها وبالاسد حتى لا تقرر بالسلطان لها كل ما كان يامسها واسم خدامها وطلبت حصن المتناخ ليكون لها عشا الا فراخ وزوج السلطان ابنة من الدين سمحاقا بحدى كرايمها وابرهم العهد وأحكم العهد وسارع السلطان الى نداء كل

ما اقترحوه وقتئذ معاقرين وأقبل صاحب آمد قطب الدين حكيان بن نور الدين على مفرسته الى خدمة السلطان
فاكرمه وأعاد الى منصبه وكان معه وزير مقرام الدين أبو عبد الله محمد بن جهاق وقتل غيلة في رمضان من هذه السنة
كاسياتي ثم سار السلطان لتصد الموصل وولى تلك الدار مولوك حكام الدين سنقر الخلاطي قتل السلطان على دجلة
بكر زمار بقرب الموصل في شعبان وعزم على انه يثني في ذلك الحصان فخرجت من الموصل امرأة اتين اليه بكاتب
من ممرضاة الشفاعة فاكرمه السلطان ووهدهن بالاحسان وقال قد قبلت شفاعتك لكن لا بد من مصلحة تتم
ومصلحة تفهم واستقر الامر على ان يكون عماد الدين ركني صاحب خيبار أخو صاحب الموصل وسطافي
اصلاح ذات البين وحكما فيما يعود لمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقه ورأى بهذا الرأي قضاء الحقين
وقصاف وتلف لاجلهم واجلالهم وأن بالكرامة بما يليق بأمثالهم وكن خلفاته لا يقيم لحرمة قصدهم
ولا يصدق ظنونهم وانه لا يعرف حقوقهم ويقضي بكارمه دينهم ولا يستغل بأمر لا يؤذن بمردهم فعدن
لا بد من تلويحات من ذمات وبلغ الله لذات معصيات

(فصل) في انتظام الصلح مع أهل الموصل ومر من السلطان المرصاة المنهورة بحران قال الحمد وكان السلطان لما
دخل شهر رمضان دأب قراء القرآن وحفظه واستغل بالصيام والتقليل من الطعام فظهر اثر عاجه وتغير مزاجه
وقطر عياله وطال مرضه وندم على رذائله وسير الى عماد الدين صاحب خيبار في آخر شهر رجب ليعود ركن
ما يعود بسؤله فوصل رسوله شمس الدين بن الكافي وكان من قبل قد سبق القول في تسليم بلاد شهر زور وفلاهما
وحصنهما وضاعها وكذلك ما وراء الزاب من البواريج والسناق وبلد القرابية وبني قحاق قد دخل شمس الدين بن
الكافي وشمس الدين القاضي العسكر من جانبنا الى الموصل لا خذ العهد على هذا الملتزم ورحل السلطان قبل عید
القطريوم وهو من بحر ممرانه في عوم وخيما على نصيبين في سؤال ولم ترقب عود الرسول ليعجز الاشغال بل كان
الارتجال على الارتحال ثم استمر الصلح وبلغ الامر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبة السلجوقية
وفي ديار بكر أيضا والولايات التي بضمها به الديار والدرهم وانحل الاشكال وكشف المهم وكتب الامام
عن السلطان حكايا الى أخيه سيف الاسلام بالين يشرح الحال وفيه (وتزل لنا صاحب الموصل عن جميع ما وراء
الزاب من البلاد والقلع والحصون والضياع وشهر زور ومعاقلها وأعمالها وولايات بني قحاق وولايات القرابلي
والبواريج وعانته وقرنا عليه الموصل وأعمالها على انه يكون بحكمتنا ويفذع عنك الى خدمتنا وتكون تحت يد السكة
باسمتنا وان يطلق المظالم ولا يرتكب المآثم وقد حصل لنا من صاحب الموصل ومن جميع من بالجزيرة وديار بكر
الطاعة والسكة والخطبة وبعثت الحية والرهبة والفرأتم الى الجهاد في ميل الله فزاع وقد زالت العوائق وارتفعت
الموانع قال وهذا السلطان الى شهر زور مولوك مجاهد الدين أيارسريك فتلا بها وتملك وقال المقاصد وأدرك وكان
للكركان الايوبيات مستولية بما قننت شملها ونذبت لظرف تلك الاعمال القاضي شمس الدين بن الفراهي وأقطع
البوزج بعض خواصه المالك وسير الى البلاد وتوليه ورتب غير اناءة من الحبل والاحسان اصحابه ووقف
ضيعة في البوارج تعرف بنافيل على ورثة شيخ النيموخ بغداد وقال القاضي بن شداد ايس السلطان من أمر
خلط عاد الى الموصل قتل بعد ما نهاه في الفتنة الثالثة بموضع يقال له كقر زمار وكان المرشد لنا فاهام مدة
وفي هذه الميزة اناه سحر شاه من الجزيرة واجتمع به وأعاد الى بلده ومر من السلطان بكقر زمار مرشدا ليدلنا في
من غائته فرحل طالب الحزن وهو مرضى وكان يقبل دلم ركب في محفه ووصل حزن شديد المرض وبلغ الى غاية
الضعف وابس منه وأرجف بموته ووصل اليه أخوه العادل من حلب ومعه الاطباء قال وكان سبب صلحهم
المواصلات من عز الدين صاحب الموصل سري الى الخليفة يستخذه فلم يحصل منه زبدة وسير الى العجم فلم يحصل
منهم زبد فلما وصلت من بغداد أذيت جواب الرسالة ايس من تحده فلما بلغهم من السلطان روافدك
فرصة وعلموا رقة قلبه وسرعة انقيادهم في ذلك الوقت فشدوا في تلك الامن وبها الدين الريب وقوسوا الى
أمر النجدة وقالوا امض يا يصل جهدهم وطاعتكم اليه فمر ناحي أتينا العسكر والناس كلهم ايسون
من السلطان وكان وصولنا في أوائل ذي الحجة فاحترمنا واحترلنا عظماء وجلس لنا وكان أول جلوسه من مرضه

وحلف في يوم عرفة وأخذنا منه بين الثمرين أخذها من صغير شامو أعطاهما المواصل وحلقته بمينا تامته وحلفت أناته
 العادل ومات قدس الله روحه وهو على ذلك السطح لم يتغير عنه وسرعان وهو بحران وقد عاقل ووصله خبر موت
 ابن أسد الدين صاحب حصن وكانت وفاته يوم عرفة ونحن في العسكر وجلس العادل في القزوين في تلك الأيام كانت
 دفعة التركان والاكراد وقتل بينهم خلق عظيم وفي هذا الشهر وصل خبر وفاة بهلوان بن ايلدكرو كانت وفاته في سطح
 ذي الحجة قال العماد وأقام السلطان على تعيينين أياما قلائل ثم رحل إلى حران فالتقي بها عصي التوى والقلوب
 بمرض السلطان متفائلة القوي متواصلة الجوى والفضل خائف من كساده أسف على عتاده مشفق من
 انخفاض قدره وانحراض عصره والسماح يقول هذا أوان كسوف سماي ونضوب عاني والذين يندب والملك
 يهضب والأيدي إلى الله تعالى مرفوعة والنيات بالاختلاص مشفوعة والكفر في أراجيف والقدرة في تصاريف
 والسلطان كلما زاد الله راد في لطف الله أمه وكلما بان ضعفه قوى على الله توكله وأما ملازمه ليملاونه نهارا سرا
 وجهارا وهو على على في كل وقت وصاياه ويفرق بغلي على عفافه عطاياه ومن جهة ذلك أنه اشتد به الحال ليله
 ليس بملته الأطباء وظل القنوط وعدم الرجاء فلما أصبح اجتمع المعنفون والوافدون إلى بابه والقاصدون المرتجعون
 جنى جنباه وضجوا ضجعا أربعت منها الدها ولانت لهما عها المصفرة الصبا فسأل عن ذلك فقيل هو لا موفدك
 قد اجتمعوا على بابك متأسفين على ما بك قد عانى وأمر في كتب أسماهم وتقريب ما اجتمع في خزائنه من المال
 عليهم وأمسينا وما على الباب سائل وكناظن أن ما به من الالم شغل شاغل فوجدت تلك السماحة راحه واستمر
 مدة استمرار مرضه على بذل جوهره ما هو عرضه وكان خلقه أحسن ما كن في سال الصحة بضامنا يسجيا ياله السهولة
 السجوه ولا تخلو مجلسه من ذوي فضل وأولي نباهه ونيل يتجاوزين بحضرته أطراف القوائد ويهزون بلكارمه
 أعطاف المحامد فارة في أحكام شرعيه ومسايل فقهيه وأونفى صناعات شرعيه وألفاظ عربيه ومعان أدبيه
 ومرة في أساليب الأجواد وشبه الامجاد ودفعه في دكر فضائل الجهاد وفرائض التأهيل والاستعداد وينظر
 أنه انخلصه الله من بؤة هذه النوبة وأهفاهم كد هذه المرضى وسر ارتبها العافية للصافية الحلوه استنفل بفع
 البيت المقدس ولو يسئل نفائس الاموال والافئس وأنه لا يصرف بقية عمره الا في قتال أعداء الله والجهاد
 في محبيه واجداد أهل الاسلام والاقبال على قبيله وأنه لا يترك نسجه المجد والسماحة الموجود والوفاء بالعقود
 والحفاظة على العهود واتخاذ الموعود قال وربما استروح في بعض ساعات الليل أول النهار إلى السماع لاشارة
 الأطباء به لاجل التفرغ والامتع ولقد كان ذلك المارض يحبص من الله للذوب وتزنيها وذكرا موقظة من سنة
 الغفلة وتنبهها قال ولما سمع العادل في حلب عرض أخيه السلطان ووصوله إلى حران بادى بالوصول وصادف وقت
 القبول وقام بضبط الامور وسياسة الجمهور والبلوس في كل يوم في التولية السلطانية لتولى مصالح الرعية
 واما مة ونليقة السماط والعمل في كل يوم بالاحتياط والتصدى لكشف الغطاء وربط المكارم وتنفيذ ما عجز عن
 للرأس ورقع كل خرق ورتق كل فتق وحفظ للهاية والقيام عن السلطان في كل مهم بحسن التيا به ولقد تفضنا
 حضوره ورفعنا دبيره فقد كان على خوف من ارجاف بقوى وانتشار خبر سوء لبطوى لاسما اذا خرج الأطباء وقالوا
 ما فيه أمل ولكل عراجل فهناك ترى الناس يستشعرون ويباعدوا عن عزلهم من اعلاقهم وقد ولهم يستظهرون
 فرال بحضور العادل كل محتافه وسلم اليه برأته من كل آفة وكُن الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع أبيه مقتدى بإيماليه
 مقتديا بأرضيه وكان من جهة وصاياه عند شفاؤه وارجاءه ترجى شفاؤه ان اذكر في الاجل المحتوم وذاك اليوم المعلوم
 فقد خلفت أبا بكر وعمر وثمان وعليا وكلهم اراءه برادى في اقامة الجهاد مليا فبنى بابي بكر سيف الدين أخاه ودمرت في
 الدين ابن أخيه وثمان وعلي ولديه المذكين العزيز والافضل ورأى عليهم بكافة سيف الدين وتقى الدين في الشام
 ومصر العقول وأقام العادل إلى ان وضع المزاج وصح المنهج وطابت القلوب وغابت الكرب ثم وصل مع أخيه
 إلى حلب وتم معالي حصن ودمشق وهبه لنسيم مصر فاستخذ إلى نشره النشوق ويأتى ذكر مضيه إلى مصر مع الملك
 العزيز في سنة اثنتين وثلاثين وصل الملك الافضل من مصر ويصده الملك المظفر تقي الدين قال العماد وكانت
 صدقائه الزاينة داره وبالأبرار ياره على ان جوده مستوعب للوجود ولا يترك فضلا لا لوفود ولما مرض وعرض له

من الالام عرض قال لي اكتب الى الولاة والنباب بالدير المصر يقول الشامية ان يصدقوا على الفقراء والمساكين من المال المصدق ليعاين على قدره في التصمين فليسبق في الجائحات الامر وصل اليه نصب ودعا بالصلوات ومن الله دعائه بحجب دفع المصدق البلاء ورفع باصدق الولاة ونظر اياه الى النيات واسنى سلامته السنين ومن جهة تلك الصدقات انه امرني ان اكتب الى نائبه بدمشق الصوفي القايض ان يصدق بخمسة آلاف دينار صوريه فقلت ما عند غير نائبه مصريه فقال يصدق بهامصريه خمسة آلاف لغوزن الثواب يا معاف قال ولما امتد زمان مرضه امرني بمائة درهم سدس اذقه وحلم فبينت في أربعة لحو خمسة أيام وكان قد استخضر من دمشق ولديه الصغيرين قورانشاه وملكشاه وامهما فاسكنهم في مائة مقامه وبما هادر العافية لغيره في ما من مقامه ثم اخلاها المرنزل بها ضيفا وجعلها الاوين الباقوقا وبهذا اتصلت المواسلة بين السلطان والمواصلة فاحدى السلطان لهم هذا يا عظيمة لصاحب الموصول ولوالده ولصاحبه ولا به نور الدين رحمه الله وقوم مسيره اليهم بباري على عشرة آلاف دينار وى الخليل والطيب والثى الديدع والغريب وجرى امر المواسلة على السداد وقهر زواقي النصره الشامرية على ما ساقى شرحه الى الجهاد وأول ركاب الاتفاق فمع البيت المقدس وسائر البلاد فوجدت الفتوح وانجحت الملائكة والروح وانجحت بالسر العمرة وصحت بحضرة الكرمه وخص الله السلطان بحضرة فمع القدس وقضى حاجاته التي كانت في النفس وساقى ان شاقه شرح كل فمع في موضعه وكيف أشرق سناء النصر من مظهره وكتب الفاضل من دمشق الى تقي الدين بغير (ان العافية الشامرية قد استفاضت أخبارها وفاضت أنوارها واذا نراها وولت الملهة والجليلة وأطعته نراها وانجلي غبارها ونجدر اهرها وما كانت الا لفة وفي الله شرها وعظيمة كفى الاسلام أمرها ونوة امتعن الله بها فوسنا فرأى أقل ما عندنا صبرها وما كان القليضيع الدعاء وقد أخلصت القلوب ولا يوقف الاجابة وان سدت طريقها القلوب ولا يلف وعد فرج وقد ايس صاحب والمعصوب

نبي زاد فيه الدهر ميا * فاصبح بعد يومه نعيما
وما صدق التنبيه لاني * رأيت الشمس تطلع والخبوا

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية قصة جديده والعزم مضاهية جديده والنشاط الى الجهاد والنبوة معسوط العباد وقد اتفقت الحاسب بوزن الامراط وعرضنا نحن على الالهال التي من خوفها كاد الجبل يلج في سم الخياط) و من كتاب آخر (الاحوال بالحضرة مستقيمة والنبوة بالعافية عظمه والبقية الموهوبة من البر الناصري كريمة النجيمه عرف وعرف الناس شكرها وزم وزموا وقد رها فسيوف الجهاد قد كادت تهتز في اغاهاها ونخل الله قد كادت تنادي أهلها الركني ليعاد طر لها والمجد الاقصى مبشر تأييده بما استوحش منهم القرآن وتظهر دعا استولى عليهم رجس الصليان)

(قصص) في ما في حوادث هذه السنة من توفي بها من الالهان قال العجاني هذه السنة توفيت الخاتون العجيبة بدمشق في ذي القعدة وهي عصمة الدين اسمعيل الدين انز كانت في عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زكي رحمه الله فلما توفي خلفه السلطان بالشام في حفظ البلاد ونصرة الاسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وهي من أعف الناس واعصمهم وأجلهم في الصيانة وأزهرهم متمسكة من الدين العروة الوثقى ولها أمرنا فذكر معروف وصداقات ورواتب الفقراء وادارات بنت الفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورابا قلت وكلاهما ينسب اليها فالمدسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب قرب الحمام المراكبي والرابا خارج حلب النصر راك على نهري ناس في أول الشرف القبلي وأمام مسجد ثانين في آخر الشرف القبلي من القرب فهو منسوب الى خاتون أخرى قديمة تقدم ذكرها وهي زمره بنت باولي أخت الملك دقاق لاهم زوج زكي والد نور الدين زعيم الله قال العباد ونكح سوي وقوفه اعلى معتقها وعولها وأبايها وكان السلطان حينئذ بصرى في عمر المرض وبجراته وحذف الام ومعتقها قاله خبنا بوقاتها خوفها على زائدته وتو دغته وهو سدي في كل يوم جديا ويكتب اليها مكاتبا طويلا ويلقى على شخص من تسبيل الكتابة والفكر حلقيا حتى سمع نقي ناصر

في أخبار (٦٧) الدولتين

الدين محمد بن شيركوه ابن ٤٠ فنعبت اليه الخاتون وقد تعذبت عنه اليها المذون وكانت وفاة ناصر الدين محمد في ماسع ذي الحجة فآخاه من غير من وأجرى السلطان أسد الدين شيركوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عوانته قلت وقبر الخاتون المذكور في الزبارة المنسوبة اليها بفتح جبل فاسيون قبلي المقبرة العسكرية وأما ناصر الدين فنقلته زوجته ابنة عمه ست الشام بنت أيوب فنقلتته في مقبرتها بدير سنها بالدونية فوولقها بالوسط بين قبرها وقبر أخيه بارجم الله وكانت ست الشام كثيرة المعروف والبر والصدقات وكتب الفاضل الى تقي الدين (رود الخيرة) عيشة يوم الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجة من محس بأنها كان عيشة يوم الاحد وقت الوقفة انتقل الى رحمة الله ورضوانه المولى الاجل ناصر الدين محمد بن المولى أسد الدين رحمه الله بمر من حادثا نخل من لمح البصر ومرد النظر فاما الله وانا اليه راجعون وشاهد المملوك كيا من ولده أسد الدين شيركوه أحيا الله الى كتاب أبيه رحمه الله يقول فيه وكتبته وتصارت في حفرة واستقر في قبره ففسأل الله حسن المرجع والخلاص من هول المطلع والمعونة على ساعة هذا المصارع ونشكر الله ثم شكره ونذكر بأحسن ما يذكره من يدكره أدق النفس الشكر به العالمة الشريعة الناصرية وقدم قبلها من لا يسر الله ثم بين يديه وجعل الله أنفسنا فادها فان ذلك نعمة علينا كما هي نعمة عليه ولا ترقى الله لهذا البيت عملا ولا تقبله - عملا وأعظم الله أجر الملك المنظر في ابن ٤٠ وأتمته بقاءه وأعاده من مقابلته مقدور الله بهم ودهم فليس الا التسليم لما لا يستطيع الخلق لدفعه وتقويض أمر هذه النفس اليه تعالى فان لا غلظك لما ضرا ولا نفع ولا تحرف المملوك ان يتبس المتبري مع الله ويحترف الحكم عن مواضعه بجل بالانباء والاشعار وسبق بما لا يسرد السابق به من هذه الاخبار قال العماد وفيها في جادى الاخرة توفي أخو الخاتون المذكور سعد الدين مسعود بن زرعين قد فتنها مافارقين بها ولقد كان من الاكارم الاكابر ومن ذوى الآثار والمفاخر وما رأيت أحسن منه خلقا وأزكى عرفا ولم ير في الدولتين النورية والصلاحية أمرا مقدما وعظما كما وفور فضائله وفور فواضله وجذبته امته وحذر صرامته ورغب السلطان وهو زوج أخته ان يكون هو أيضا زوج أخته فزوجها الى تزوجهما مظفر الدين كوكبرى بعده قلت وهي ربيعة خاتون بنت أيوب عمرت الى ان توفيت بدمشق بدار أبيها وهي دار التي في شهر رمضان سنة ثلث وأربعين وسبعمائة وهي آخر أولاد أيوب لصلبه موتا وكان يحترمه المملوك من أولاد اخوتها وأولادهم يزورون في دارها قال وفيها توفي الامير عز الدين جاولي وهو من أكابر الامراء وله مواقف حميدة في الهجاء بحس بلاؤه وصدق غناؤه ولما دعا بفتح مافارقين الى الموصل طرقة البلا في طريقه ففزع حصانه على بعض السواقى فغتر به وانكسرت رجله ثم علمت عليه قدمه واشتد ألمه وطال به سقمه وانتقل الى دمشق وتوفي في آخر هذه السنة أو في سنة اثنين وثمانين ولقد جمع الاسلام منه بذكر مسج لعماد الكفر متع قال وفيها يوم الاربعاء ثامن رضان قتل بآمد وزير ابن قرا ارسلان وهو قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سماعقة قتله هائل كبحمدوم غيلة وتمحواله في مباغتته بالقتل حيله وذلك انه كان ساسي ديوانه وابوانه متصدرا بجمكاته في مكانه وعنده الاكابر والامائل فدخل عليه واحد منهم وقال له الملك يدعوك عولك وحك فقام فدخل الدهليز وقد أغلق الباب الذي يصل منه الى الامير وأغلق وراءه الباب الآخر وقتلوه ثم أخرجهوا الصلاح من حسبه وهو أحد الامراء الاكابر فقتل أولئك القاتلين وكانوا به واقفين قال وفيها توفي الفقيه مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي وكان المدرس بها وكان علاما مرمناه في عمله ونسج وحده في نظامه وقد أوردت من شعره صدر الكتاب ما يستدل به على فضله وانه من عظم الدهر مثله واشترت كتبها على الايمان ولكن أخرج بجمرة فلاح اللؤلؤ والمرجان قال وفي هذه السنة تردد السلطان طغتي الزهاجر الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لتعرف في الخدمة على حفظ القوانين ونظره منه كل ما حقق به الاستظهار وأوجب لأمه الامرار ورغب في مصاهرة السلطان وقطعه طوق الامتنان قال وكان السلطان قد سكت نفسه للقيام وأراد ان يسكنه من حركه بعد استكمال السكون وعنده أولاده الاصاغر والملك العزيز والملك الظاهر بدمشق والانضيل بمصر والمؤدق الخاتون وناصر الدين وخلشيله أسد الدين بديع في العرين وخيف على بلاده لصغر اولاده واحتج ايضا الى الاحتياط على ما في خرائته واستخراجه فدانته وكذلك الخاتون خلفت املاكا وثرانا وأوقافا واهمة وأنما لم يكن من الحركة وقد كتب الى

كتاب (٦٨) الروضتين

البلاد بما يصح عليه عزمه وأجره بحسبه وأمر بالاستعداد لثقب الاستدعاء ومما هم في سائر المقاصد والانتحاء
 وكتب (الى ولد ناصر الدين قدس قنا المصاحب والده رحمه الله وعظم أجرنا وأجره في وان مضى لبيبه فولدنا أسد الدين
 أحياء الله نعم الخلف الصالح وان انتقل والده الى دار البقاء فهو في مكانه المستقر من المجد والعلاء والولايات والبلاد
 والمعاقل باقية عليه مسئلة اليه مقرر في يديه ومما مضى من والده رحمه الله الا عينه وولدتا قرعة الصبيون وبه استقر
 السكون والجليلة الذي جبره كسر المصاحب وأبناؤا ياه اتراب الثواب فليشرح ولدا صدره ولا يغفل سره ويعرف
 خواصه وأصحابه ولا ته وتوا به بمحض والرحمة وغير هاهم باقون على عادتهم وكان المندوب اليه القاضي نجم الدين
 أبو البركات بن الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون ولم يغارق الخدمة السلطانية في هذه السنة قال وفي هذه السنة لما كان
 على ميفارقين وقد فتحناها ورد السلطان مثال شريف امامي ناصر بن عفيف ولاية مارد بن المحسن وهو حصن
 كيفوا العلامة الشريفة الناصرية في ثاني سطره بالقل الشريفة (الناصر بن الله) قتل وفيها في جمادى الاولى توفي
 الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد المديني الأصم في محدث مشهور له تصانيف كثيرة وفي هذه السنة توفي بمصر
 في شعبان الشيخ جمال الدين أبو الفتح أبو النساء أبو محمد محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن المحمود
 المعروف بابن الصابوني ودفن بساريس من الرافقة ومولده ميسعد سنة تجمعا سنة وبعدها لا مشع الاسلام أبو عثمان
 اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في عرف بابن الصابوني وكان جده صاحب السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وابنته
 بالمحمودى اليه ودخل ابن الصابوني هذا دمشق زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنگي رحمه الله واجتمع به وزل الى
 زيارته وسأله الاقامة بدمشق فذكر له ان قد صدر امر بالامام الساسي رضي الله عنه بمصر فخرجته وسأله بمصر
 نجم الدين أبو الويل والصلاح الدين سنة سار الى ولده بمصر وصار منه وبينه محبة اكيدة ومحبة عظيمة بحيث انهما كان
 يصبر عنه ساعة واحدة وأقبل عليه ولما كان ولد الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله بمصر لم يكن من العود الى الشام
 ووقف عليه ومقامه بالمرحبة وعلى عقبه وهو باق بأيدهم الى الآن وزأن بخط صلاح الدين رحمه الله ما كنه في
 حقه الى الملك العادل لما كان نائبه بمصر (الاخ الاجل الملك العادل أدام الله دولته) غر خاف عنه تضيعة الوقف الذي
 أوقفه الوالد نجم الدين فعمده الله رجته ورضوانا على الشيخ الفقيه ابن الصابوني وانه لما جرى له من المحاجعة مع الشيخ
 الفقيه نجم الدين (يعني الخو شاني) ما جرى افضت المصلحة لتسكين الفتنة وتذليل الكلام انتقله الى موضع غيره
 لتقطع الفتنة والمصومة بينهم ما أمر بالله مع بقاء الوقف في تصرفه وتصرف من عنده من الفقهاء والاخ الاجل
 الملك العادل يهتم برعايته وحفظ جانبته ويكسبه من التصرف في الوقف المنزاليه ومنع من يعتز به فيه بوجه من
 وجوه التأولات بحسب ما ذكره الشكوى منه من يتعدى عليه ان شاء الله تعالى وترأت بخط الشيخ عمر الملا الموصلي رحمه
 الله كتابا كتبه الى ابن الصابوني فها هو يرار به لمب منه فيه الدعاء ويصف حاله أوله أخوه عمر بن محمد الملا يقول فيه
 (وبعد الذي يتطلع اليه من معرفة أحوالي فجللها خبر وسلامة غارق في بحار النعماء ومغمور في هياكل الآلاء
 غير ان أيدى البوارى بالنعم ترفعني باردا الى مقام الصديقين وتضعني تارده أخرى الى مقامات الخطفين ومع هذا
 فطلب العجالة لا يقر والحركة في طلب القبول لا تسكن والعمر ينقص بالعوا والمني وما أشبهه على بحال الفائل
 أمل في بوي ادراك المنى * حتى اذا ولى تمتب غدا
 لا وطرا أتقى من الدنيا ولا * أفعل لا أخرى فقال العدا
 والعمر مضى بين هاتين فلا * ضلالة طالصة ولا هدى
 يا نعمي أخبرنا بأخبار والى هذه الايام ان تغرك هتلك بالاشقة والرافة قد قدر الله لي قلب حاضر منور والشقة
 والرحمة وزمن على دعائكم من حضر من السادة الاخوان وتقول اللهم عبدك الضعيف عمر بن محمد الملا يدعوك
 ويقول

لا تخني بعدا اكرامك لي * فشد يد عاده منقطعه

وقد توسل باليك نسايا ان تبلغه آماله وان تحيي حياة العدا وان تميموت الشهداء وتحشر في زمرة السعداء
 وان تجعل خير عمره آخره وخير أعماله خواتمها وخير أيامه يوم ايلقاه فيه

ثم دخلت سنة اثنى عشر ثمانين قال العماد فرحل السلطان الى الشام وودع منظر الدين صاحب حران من الغرات ورحل صوب حلب وللعادل صاحبها على مقدمته وقدها السباب التكرمه فوصل حلب في الضرا الاوسط من المحرم ثم رتب العادل في حلب نزيله وصحب السلطان فوصلوا جاهد فيها ما تسقى الدين ناصر الدين منكر من بن ناصر الدين حجازي تكتين وهو صاحب بوقيس وقد جمع النهضة والامانة ثم وصل السلطان الى حصن وقرر اسرا للمجاهد اسد الدين ابى الحارث شيركوه بن ناصر الدين وكان عمره اذئذ ثلاث عشرة سنة سمعاه اربعين يوما ثم جدت عليه ببقعه وكتب له منشورا بما قرر عليه من البلاد ونكح محبوس عليه ومنذر ووادى حتى حصين والرحية وزيلو كتب منشورا آخر باسقاط المكوس بالرحية وفيه (وهذا باب السلطان في جميع البلاد اقتصر منها على الرسوم التي يبيعها الذرع وهي الخراج والاجور والزرع) واعتمد على الامير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شيرة الهكاري في ولاية قطنة حصن ثم نقله الى قطنة حلب والى ابياست سستين ورتبه العز في آخر عهد السلطان بقوس خال غربت السلطان مع اسد الدين محبوس امير من الاسدية يعرف بالرسلان بوناقه قدم على امحابه بتولى مصالح يابه حتى تهدد الاسديا بالامرداء وبلغ مدي رشاده ونعت بالملك المجاهد وتم من أعمال المجاهد قال واقتنا محبوس اياما حتى استعرضنا خزان ناصر الدين وقبضنا امره وكانت تحت السلطان الحسامية تزوجة ناصر الدين وهي مستقيمة الفطن والياقين البفت والابن وخلف عينا بورقا سمجته ومفتراها وبلغ التراب في الملك والعين والالان ما عظم عن ان يقدر تقدير واماف على قلب القدينا قال اعارة السلطان طرفة بل تركه على اهل الترك كمال ولما شاع بدمشق خبر ذنوبه احتفل اهلها واجتمع بالاسرا شملها وطلعت أعينها وابيعت عيونها ووافقت ابكارها وعونها ونظروا مكنونها ونحوها ورامت السينا بخراتها ومكرها ما تسهلها وخرزها ودخلنا المدينة ووزنة الدنيا بخرجه وسكنته النعمي فارجه ومنسق كالمدي خرفوقه وبالهدى عصفوه وبالحسن موصوفه وكان الناس قد سلمهم خبر المرض فصرهم عيان السلامه وأحبرهم المهمل الشافق فراجعوا للشفاء كرى لذكره وما أئذ الرجاء بعد الابلان والثرى غيب الاقلان والامل حبيب الياس وانهم تغفروا في حالة الايجاش بالانسان وأمنوا بمشاهدة الانوار السلطانية حنادس الوسواس واجتمع السلطان في القطعة بأهلها وأقلع المرجف عن جهله وحسنت الاحوال وأمنت الاحوال وشاهدنا الفضل والكرم بمشاهدة الماضية التكرمه وعدنا الى عادة السعادة القدييه واجتمع السلطان به فيقه أسراره واستزال بصفوقها كداره ودخل جنة موحى بخاره وزارهم قواسم تزاره وراجعهم في مصالح دولته واستناره وجلس السلطان في دار العدل لكشف المصالح وبث المكارم وأحياه المعالم وأقامه مواسم المراسم وقال الفاء بن ابن سداد ولما وجد السلطان ساطما من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها يوم الاحد رابع عشر المحرم وكان يومها مشهودا لشدة فزع الناس بعافيه مولفائه فأقام بها اربعة ايام ثم رحل في ثامن عشر من محرم منسوق فلقبه اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه أخته وقد صبحه خدمة عظيمة وقرى من اقدم من عليه محبوس وأمام اياما صبرته كذا يه ثم سار يطلب جهة دمشق وكان دخوله اليها في ثاني ربيع الاول وكان يومها برمهله فرسا صبرورا

(فصل ١٠) في ذكر ما استأذنه السلطان بصره والشام من نقل الولايات بين اولاده قال العماد وكان السلطان للالزمة أخيه العادل له قد مال الى رأييه وكان الملك الافضل نور الدين على بصره وولده الاكبر وقد بدا يظهر وعلى عجوب الخط والادب وسماع الاحاديث النبوية يتوفر وقد مال اليه بصر جماعه ولمنهم طاعه وراحمته في الدين التائب هناك من أحد أمر افوضت منه في شطاعه فكذب يشكوس اختلال أمره واشتغال امره وكان في نفس السلطان ان ينقل ولده الملك العزيز بن عثمان الى مصر لئلا يكون عز يزها ولا يحجز ملكيتها ويجوزها وهو مقرر في طو ببق نذيره ووجه تقريره حتى بدا له نقل الافضل الى الشام فكاتب اليه يشوقه ويستدعيه بجميع أهل وجماعته ووالدته وحشمه وأصحابه فخرج يوم ولدمشقي يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى وخرج السلطان لاستقباله وأمره بالقطعة في دار رضوانه وكتب الى تقي الدين انه قد استقل أمره وزال عذره فانيه حج بغيره وخطي عنه انه كان في قمة ولد السلطان وصحته وان تمام حرمته بصره قال ولما وصلنا الى دمشق كان بها من اولاد السلطان للالك الظاهر غازي غياث الدين خزان عمه للعادل وهو صهره وقد اشتد ببصاهرته ظاهره فقال له قد نزلت عن حلب

كتاب (٧٠) الروستين

لك وأنا أقتنع من أختي باق طاع أين كان وأزيم الخدمة ولا أفارق السلطان فأطلب لمن أيتك ان كانت رضىك وجاء الى السلطان وقال هذه حلب مع رغبتى فيها رجعتى لتوليا أرى ان أحدا وأولادها أحق وهذا ولد الملك الظاهر أجب ان اوثمها فقال السلطان انهم الآن تدير وندى الملك العزيز فان مصر لابد ان يكون لى بها ولد اعتمد عليه وأستعملها اليه ورحل الى الزرافا ومعهم ولدا العزيز والظاهر وأخوه العادل فالتس العادل عوض حلب بلاد اعينها ونواحى بصرىنها وكان قسما للملك العزيز اليه لاشاقه عليه فقال أباه ان يسير معه العادل فانه تم الكفى الكافل فأعطاه السلطان بصرى البلاد المعروفة بالشريعة واعتمد عليه فى نيابته فى سائر الملك المصرى ولم اسمع نقي الدين هذا الخبر بانه غير ودم القبر واستبدل من الصفو والكدر وغار من تغير الى فى فيه واذا تولى أو بكر فلا عر فغير الى الجيزة مظهر انه بعضى الى بلاد المغرب ليتملكها وكتب يسأل السلطان ان لا يمنعه من سلوك مسلكها وسميت هتته الى مملكة جديدة وأقاليم ذات ظلال مديده وبلاد واسعة ومدن شاسعه وقد كان أحد ممالكه المعروف بقرقوقش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد بركة فلكها وهزته الامنية للنفاس من بلاد نفوسة تداركها وتجواز الى افريقية وهو يكتب أبدا الى مملكة تلك المظفر رغبه فى تلك المملكة ويقول ان البلاد سانية فلما جئت حتى الدين ما مجد وتهدد لهم العادل ما تهدد عاده ذلك المغرب فغير بعسكره ومالت اليه عسا كمر ببلده وندم بملوكه بوزانى المقدمة فلما انتهى الى السلطان خبر عزمه قال لعزى ان فجع المغرب مهم لكن فجع البيت المقدس أهم والفائدة به أتم والمصلحة منه أخص وأعم واذا توجهت حتى الدين واستعجب مع رجالنا المعروفة ذهب المعزى اختلاء الرجال واداد فقتلنا القدس والساحل طوي بنا الى تلك الملك المراحل وهما تحتاج حتى الدين فى ركوب تلك البقية فكتب اليه يأمره بالقدم عليه وجهز ولده العزيز الى مصر وترأه قوس وأعمالها وسار معه معه العادل قد دخل القاهرة فى خامس شهر رمضان وأما الملك الظاهر فسيرد السلطان الى حلب وأنتم عليه بها وبسائر قلاعها وأقاليمها وندب معه الحاجب شجاع الدين عيسى بن بلاشور عاد السلطان ومعه الافضل وقدم حتى الدين فى آخر شعبان وتلقاه السلطانان وخيم على المصرى فوق قصرهم حكم فلما قرب ركب الى موكبه ورحب به ودخل دمشق وعاد الى ما كان له من البلاد ومنع المعروف سائر أعمالها ثم أضاف الى ميفارقين وجميعه فى ذلك الاقليم من المعاقل وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخير عزم المغرب بل ابطاله فامتلأوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى بملوكه دين الذين بوزافانه رتب له عسكر الى المغرب بعضى واستعجبه وغلب على بلاد افريقية ثم قصده صاحب المغرب فاخذه مأسورا ثم أغزاه مع الغزوفى نفر من الغور فالغامده مهورا مشكورا فقدمه عليهم قلت وكتب الفاضل الى تقي الدين (سبب هذه الخدمة ما اتصل بالمولوك من ترذير سائل مولانا فى التماس السفر الى الغرب والدمستور اليه (يكفى الزمان فالتناستجىل) ماولا ما هذا الواقع الذى وقع وبهذا هذا التفريم من المهم الذى ما تدفع بالامس ما كان لكم من الدنيا الا البلقه واليوم قد وهب الله هذه النعمه وقد كان الشمل مجموعا والمهم مقطوعا عن مجموعا افصح الآن الدنيا سيقه علينا وقد وسعت والأسباب بنامق طوعة ولا والله ما تقطعت يا مولانا ابن والى الفاية وهل نحن فى ضائقه من عيش أوفى قلته من عدد اوفى عنهم من بلاد اوفى شكوى من عدم كيف فخر على الله وقد اختار لنا وكيف ندير لافنا هو وقد درنا وكيف نتقم الجذب ونفى فى دار الحصب وكيف نعدل الى حرب الاسلام المنهى عنها ونفى فى المسدع واليهام من حرب أهل الحرب معاشرا للحدام والجيش وأرباب العقول والاراء ليس فيكم رجل رشيد

تعب الراى وانظر فى وأخبره ❦ فطالما التهمت قدما أوائله

لارال مولا بعضى الاراء صائبه ويحفظها ابداعه وعاقبه ولا خلت منه دار ان خلت فهجات ان تعمر لا عدتهه أيام ان تطلع فيما تأس وجهه دخلت فى عداد الياى فلم تذكر وقال القاضي ابن شذاق فى سابع عشر جمادى الاولى سنة اثنين وثمانين وعسل الملك الافضل الى دمشق ولم يكن رأى الشام قبل ذلك وكان السلطان رأى روح الملك العادل المنصر فانه كان أنس باحواله من الملك المظفر فزال يشاوضه فى ذلك وهو على حران من بصرى وحصل ذلك فى نفس العادل فانه كان يحب الديار المصرىه فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بما فيه سير يطلب العادل

في اخبار (٧١) الدولتين

الدمشق فنجده من حلب جريدة وأقام بدمشق في خدمة السلطان يجرى بينهما الحديث ومراعاة ما أوجبت في قوا وعدتقرر الى جادى الآخرة فاستقر عود السلطان الى مصر وسلم بلاد حلب الى الظاهر وسلم السلطان اليه وولد الملك العزيز وجعله أمانيه قال ولقد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعدنا جمع تحت خدمته الملك العزيز وولد الملك الظاهر وجلس بينهما وقتا طويلا فاعلموا ان السلطان قد امرني ان أسير في خدمتك الى مصر وأنا أعلم ان المفسدين كثير وغدا فما تغلوص يقول ما لا يجوز عني ويحذركم معنى فان كان لك عزم تمنع قتل حتى لا أجي قال لا أسمع وكيف يكون ذلك ثم التفت وقلب الملك الظاهر اما عرف ان أخاك ربما سمع في أقوال المفسدين وأنا هنا الى الأنت وقد نعت منك بمنع حتى ضاق صدرى من جانبته فقال مبارك و ذكر كل خير ثم ان السلطان سير وولد الظاهر الى حلب وأعاده اليه وكان رحمه الله يعلم ان حلب هي أصل الملك وجزئته وفاعده ولهذا أدب في طلبها ذلك الدأب والمصلحة له أعرض عما عداها من بلاد النرق وتنع منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد فسلمها اليه علمه علمه بجنائته وزعمه وحفظه فصار حتى أتى العين المباركة وسير في خدمته فحنه حسام الدين يشارونوا اليها جميعا الدين عيسى بن بلاش ووزل يوم الجمعة بالعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة السبت تاسع جادى الآخرة وصعدا لقطعة ضاحي نهاره وفرح الناس به فرحاشددا وودع الناس جناح عدله وأفاض عليهم وأبل فضله وأما الملك العزيز والعادل فان السلطان قرر حاله وكتب الى الملك المظفر بضميرها اليه وبعثها الى مصر وأمره بالوصول الى الشام ففقد ذلك عليه حتى ظهر للناس وعزم على المسير الى ديار الغرب الى برقة فقبض ذلك عليه جماعة من أكابر الدولة وعرفوه انه معه السلطان يخرج من يد في الحال وأنه يعلم ما يكون منه بعد ذلك فرأى الحق بعين البصيرة وأجاب بالسمع والطاعة وسلم البلاد ورجل واصل الى خدمة السلطان فدار السلطان الى لقائه فظف به مخرج الصف وخرج بوصوله فرحاشددا وذلك في الثالث والعشرين من شعبان وأعطاه جاموسا اليها وكن عقديس الظاهر وبعض نائب العادل عقدن كاح الذين محمد بن شريكه في شوال من هذه السنة ومن كان فاضلي الى السلطان (الملك العادل والملك المظفر المذكوران ماها أخ وابن أخيل هما وولدان لا يعرفان الا للمولى والداه وضمعا وكل واحد منهما له عش كثير الفراه ويت كرفة السطرنج فيه صفار وكرار كالبياض والرخاخ فلا يقنع كل واحد منهما الا طرف ملكه وأقليم يتفرده فيه بدمولا ما في ذلك بما يقتضيه صدره الواضع وجوده الذي ما نطر منه الساطر ولا سمع السامع ولا ينس قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه سر والعرابة ان يتزاو واولا يتجاو واما على مولا لا ينجح في تدبيره ولا في أمر بيته (وسبى في ذلك الاياما كنت عارفا) وفي غدا ما ليس في اليوم ولله أقدار ولما امدوقن رزق الله مولا نازر يدتوؤ لوقد مت أنفسها بين يديه ولوا كتحلت اجفائها بغير قدميه ما فيها من رشكى منه الا تزيد في الطلب وهم من باب الثقة بكم المنتم ولهم أولاد واولى مدال لهم كقال مولى الامة (تأخوها تسالوا على مكاتبكم الاظم) طالما حال لهم المولى يد واهل فيهم الزالمان وغي في الذكور وسواء على أفق هذا البيت طالع الشمس والبدوي قال العادل ومدحت في الدين بقصيدة سينية سمية فها وقد اذنية جنبه تشغل على مائة واربعين بيتا أشته اياها في ثالث شهر رمضان من هذه السنة بدمشق وأوردت بعضا من مصلحتها

عفا الله عنكم عن ذوى الشوق فصولي • فقد طنت مناقب وافتس
ألم تعلموا اني من الشوق موصري • ألم تعلموا اني من الشوق موصري
ظنتم بعينها تألف الكرى • ههلا بعين طيقكم • نخس
وليس قلبي في السرور تصرف • قلبي على الاحران وقف محبس
لقتل محبة يفظ طرفة • وقسمه من سقم عينه ينس
له ناطر عند الخلاف مناظر • يقول دليل الدل عندي اقبس
لذا درست الحافظه السحر أجهت • رسوم اصطبوري درسا حين تدرس

ولم أنس أنمي إلى الحي ربي الحي * عشية لي مجي ويحي ويلمس /
 لي الله أنباء الزمان فكلهم * جميعه أودى بهما التمس
 ولولا ابتسامات المظفر بالندى * لما أرق نفسي صهه المتفنن
 جلت نفس لقياء المتناس بعدما * هرتنا وهل بقي مع أنفاس خندس
 وصار بهذا الزمان جميعه * نهرا قافلا ساس ليل مصعب
 انصافا لظلال الف مدرع * وان جاد فالبذول ألف مكبس
 وليس يجنون على فضل رأيه * ويضن في الاموال منه ويخص
 اذا أطلق الملك المظفر في الرعي * اعنته فالنفس بالرفع تمس
 فذاك ملوك لا يلبون داهيا * وكلهم من دعوة الحق يفس
 نكسك ليلك القرب جور ماله * فاشكره والجبور بالعدل يمس
 سيدي الى المهدية النصر والهدى * بهديكم فيها وتونس تونس
 ردت كرايس الفرج وكلهم * لذي الاسرى غل الصغار مكرس
 ويضت وجه الدين يوم قيتهم * وأيضكم من اسود القصر اسوس
 أقاددم الانحاس طهر سبوقكم * وما يستفاد الطهر لولا التبعس
 شموس تلي قدودها الملام معدا * فقه نصرانسة تهيم
 وكفى الاسلام وما جللكم * كفيتم على رغم المعادين كل سور
 ولا يبع البيت المقدس غيركم * ويحكم من كل عاب مقدس
 لم يحل يوم في جهاد ملكت * اذا نصروا النوحيفه تخس
 انما اتقى الدين صال تماطت * لاقدامه من عسبة الشركاروس
 وما عرا الاشيه سبيبه * سدي على الاعداء ثبت عزم

(فصل ١٠) فبلغ حوادث هذه السنة حال العادكان التجمين في جميع البلاد يحكون بخراب العالم في هذه
 السنة في شعبان عندا جماع الكواكب الستة في الميزان بطوران الرمح في سائر البلدان وحوثوا بذاقتس لا ونوق
 له باليقين ولا احكامه في الدين من ملوك الاعاجم والروم وأشعرهم من تأثيران النجوم قشرعوا في حفر مغارات
 في النجوم وتعميق بون في الاسراب وتوثيقها وسد منافقها على الرمح وقطع طرقها وتقلوا اليها الماء والازواد
 واتغلوا اليها وانتظروا اليها وكما سمعنا يا خبرهم استغرسنا في الضحك من عقولهم وسلطنا منهم من اباطيل
 التجمين موقن ان قولهم مبني على الكذب والتضمين فلما كانت الليلة التي عنها التجمين تثلر ريمعاد وقد
 شارفنا اليها بعد ونحن جلوس عند السلطان في فضاء واسع واد القنوع الزهراء جامع وما نزلنا نسيم
 ولا صبح المراء في مدي منابت الازار مسيم قارنا باليلة سلمها كروها رصصكونها وهنودها وهنودها
 قال ابن القادسي وحكم أصحاب النجوم ان في الشام والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة قصر
 الكواكب السيرة الخمسة والنفس والقمر في برج الميزان ويؤثر ذلك هواد عظيما وشيئا موميا وفي يوم الثلاثاء
 التاسع والعشرين تهلك البلاد وتجل الرمل ونفسه في الكواكب (١) وما لو يكون أشد ذلك من ليلة الثلاثاء الى
 نصف ليلة الأربعاء فاستعد لذلك أقول في البلاد وجعوا الأكل وحفروا الدواب فأهل رجب ما جرى ما قالوا
 شيء غري أهل التجمين ذلك طبع في ذلك اليوم هو ليلة وكان الزمان حاروا واشتد الحر في ذلك اليوم وبعد ذلك
 في ظهر مائة الف و عمل الشعرا في ذلك شعر ايزرون طيهم في حكمهم منهم نجم الدين أبو القناصم محسن علي بن المعلم
 الحرفي وغيره من عيسى بن مودود ودارقطة تركيت وأبو الفتح سبط ابن التعاودي قال أبو القناصم بن المعلم

في اخبار (٧٣) الدولتين

قل لا اى الفضل قول معترف * مضى جادى وجاء نارجب
وما جرت زحزح عاكما * ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا اظلت ذككاه * ولا * أبدت اذى فى قرانها الشهب
يقضى عليهما من ليس بعلماء * يقضى عليه هذا هو المحجب
فأرم يتقوى القرات والاصطرلاب خبر من سفره الخشب
قد بان كذب المخمين وفى * أى مقال فالوا كذبوا
مدير الامر واحد متى * للبع فى كل حادث سبب
لا المشتري سالم ولا زحيل * باق ولا زمر ولا قطب
تبارك الله حصص الحق وانجبا * ب التمدى وزالت الرب
فليطل المدعون ما وضعوا * فى كيمم ولحقه الكتب

وقال عيسى بن مودود

مترق القويم والزيج قد بان الخفاء * اعمال القويم والزيج هواء وهباء
قلت للسبعة ابرا * م ومنع وعطاء * ومتى ينزل فى الميزان يستولى الهواء
وتشير الرمل حتى * يمتلى منه الفضاء * ويم الارض خسف وخراب وسلاه
وبصر القناع كقصف وكالطود العراء * وحكمت فأبى الحيا * كم الا ما يشاء
ما أفى الشرع ولا * جاءت بهذا الانبياء * فبقيت ضحككم من الاعمال
حسبكم خزى او عارا * ما تقول الشعراء * ثما اطمعكم فى السحك الا الامراء
ليت اذ لم يحسنوا الى الدين ظننا ما اساءوا * فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفاء
وعليه المخرى ما * جادت على الارض السماء

ولم يذكر شعربط ابن التهاويذى قال وفى السابعة والعشرين من شوال توفى محمد أبو عبد الله بن برى بن عبد الجبار
النحوى وكان آية فى الفقه عا لما سألوا كان ميلدا فى أمر دنياه حدث عن ابن الخطاب وم سعد بن صادق وغيرهما
قال العماد وفى هذه السنة فاجانى أنا بل محمد بن أنا بل كذا المعروف بالهوان وهو الذى كان نزل على خلط فى العلم
الماضى وكانت حياته متصلة بالجد والجدى واضربت من بعده تلك الممالك واخترت اصفهان والى اليوم من
سنة أربع وتسعين ما وضعت الحرب أوزارها وبلى بعده أخوه قتل ارسلان فزال ما هابة الملك السجوقى وسلك
تخيم السعيد الشقى الى ان ذهب فانضع الملك وانقطع السلك واتسع الملك وطعمت خراسان فى العراق وعمدت
الافاق من الاتاق وأملت مطالع الاشراف قال واشتغل السلطان فى بقية سنة اثنتين وثلاثين بدمشق بالصيد
والقصر والانتماء فيه ليوادر القصر وكان يركب الى تل واهط للصيد بالزرافة والشاهين مع محالكة الهواص الميامين
وله شاهين يجرى كانه يجر اذ خلق قشره وان أحرق فخر فكم ادا يوسف يعقوبا وعقر بالخيال وعد صيده عرقوبا
فطلبته من السلطان فقال أنت للقاء والهواوين هناك والبراء والشواهين فقلت يكون فى ملكى وكل ما ينقصه
يا مولى بى المولى وهذا أرجى لي وانفع وأولى فقال نعم فلما أصبح سبى الى سبع عشرة قطعة من طبر ورجل وقال
هذا سيد شاهينك فى طلق واحد على جعل فلك ذلك الشاهين خمس ست سنين والسلطان بصطاميه
ولى قصصه وله مطاعه ولى شامعه فإزالت على هذا الحق يحافظا وهذه النكتة ملاحظا الى ان أودى الجراح
واقطعت تلك المناجم فبأنه درهم من سلطان لم ينس ذكر هذه القضية لثلى أعاد من جهاجدا واعتدلى حقامعا
قدون حقه على مثله ان يوسف ومن حقنا بعده ان تسلو (يا أسفى على يوسف) قال ولما دخل شهر رمضان نزع
أقسام الانعام واتفق ان بعض التجار كانت بضاعته يافى برفيعه والمجانة فى وهى أكثر من مائة قطعة فقلها الى
الخزائن السلطانية فى بضاعات وقال خذوها واكتبوا لى بأثمانها فى مصر على بعض الجهات فاشترت منه
بما كان برحوه من الربح وكان من كرم شيم السلطان اذا عرف فى خزائنه موجودا انه لا يستطيع فكك اليه حتى

بفرقه جودا فقال لي قد اجتمع لنا يا سيدي وعمام وقد تناقشت في نفسي بخلعها على أهل الفضل والمكارم فنبذ بأهل الدين والتقوى وجعل لهم أوفر حظ من الجددى وكان في الواقد بن من أهل البدو عاظم وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكرة نومة من يتكلم على المنبر ويذكرنا بالحلل والحرام والبعث والمحشر ثم يخلع عليهم وعلى القراء فاستغل مدة اسبوعين بالمواظع ووضع المنبر في ابواب القطعة فقلت في انصار النخلة في المدة الباقية من الشهر فقال انهم يضيئون الخلاف الى التشاجر والتضاعن فقلت انا اضمنهم ولا يحضر الا اوفرهم ورزقهم فاستبدل اول يوم برهان الدين معوم مدرس الخنفة في المدرسة العمورة النورية واعترض عليه العماد الكائن في اليوم الثاني استبدل اكبر مشايخ الخنفة بدر الدين عسكرا واعترض عليه قاضي القضاة عبي الدين بن الزكي فكان السلطان مجاس في كل يوم لطائفة فلما دنا العبد امر باتباع العمائم وغيرها وصرها اليهم قال القاضي بن شدداد في شهر ربيع الاقل من سنة اثنتين وخمسين وقتت وعاتت كثيرة بين التركان والاكراد ارض نصيين وغيرها وقتل من الفتنين خلق عظيم وبلغ السلطان ان معين الدين بن معين الدين قد عصى بالاروندان فكتب الى عسكر حطاب حاصره وكان نزولهم عليه في العشر الاول من سنة اثنتين وخمسين واعطى يريخ الرصاص ليعبرك في بقية ذلك الشهر وفي ثاني يجادى الاولى وصل معين الدين من الروندان وقد سلمها الى علم الدين سليمان ثم مضى الى خدمة السلطان قال ابن القادسي وقدم الحاج في عاشر صفر فأخبروا ان سيف الاسلام اخص صلاح الدين ملك مكة وضرب النانير فيها باسم أخيه ومنع من قولهم حتى على خير العمل وشرط على العبيدان لا يؤذوا الحاج وأخبر الحاج ان فضل باب الكعبة تعسر حتى فخرنا فاضمان في المدوسة اربعون ثلاثين شخصان بين رجل وامرأة قال ووصل الحنبران ربحا بعت بالبصرة فكسرت نخيلا كثيرا وماتت بها ثم كثيرة ووصل الخبر الى بغداد بقتل البهلوان وان القتال وقع هناك واحرق الحمال ونهبت الاحوال واقتل أهل المذاهب واحترقت مدارس وفي الامر على ذلك من سابع محرم الحرام يريخ الاخر فاحصوا من القتل اربعة آلاف رجل وسبع عشرة امرأة عذبان احرقوا اطفالا في المود بالليل وقام قتل احوال البهلوان فكف الناس وكان قتل قدر تب شحنة في اصفهان بعد الفتنه التي وقت بها معه ألف فارس فزال هرب البلد والراسبي بالقتل والصلب وصادروهم وأشيع في قتل بان يلزم أهل البلد سبعين ألف دينار فقال له الشحنة أهل البلد فقراء فقال بعض المصلحة لقتل ما نأخذ الامن الاغنياء فوثب عبا فقتل المصلحي وكان العيار متلفا على قاضي البلد فوكل الشحنة بدار القاضي فجاء ابن الخنذي الى دار القاضي فحسن له اخراج الموكلين به وتجا القاع على اخراج الشحنة من البلد وان قطعوا خطبة السلطان الذي نصب قتل فقتل ذلك في سابع شوال ثم كثر القتل في البلد فكل من في قلبه على أحد شروئ عليه فقتله من رجل أو امرأة وكان القتل الكثير في اصحاب ابن الخنذي وكان الحرق والنهب واحرق الله وفي اصحاب القاضي وجرى القتل يوم عرفة ويوم العيد ودام وبطل الناس من المعاش وتخربت الاسواق وتعمت القلا ومات الناس من الجوع وفي أهل اصفهان على قدم الحرف وأخذت ثياب الناس فلا يتجاسر أحد ان يلبس ثوبا جديدا والعيارون يأخذون أموال الناس مقاووه هرب الناس من اصفهان

(فصل) قال العماد بما قدره الله تعالى من أسباب نصر الاسلام ووهن الكفر ان خص طرابلس ورغب في مصافاة السلطان والاتجاه اليه والمساعدة على أهل ملته بسبب الله كان تزوج بالخصمة صاحبة طبرية وكان أخوها الملك المجذوم لها ملك اوصى بالملك لابن أخته هذه وهو صغير فترجى له من أمه فأتى الصغير وانتقل الملك الى أمه ثم انها مدت عينها الى بعض المتقدمين من العرب فترجته وفوضت الملك اليه فصرع بطلب حساب البلاد من القسم فوقم الاختلاف بينهم لذلك فالتجأ القسم الى ظل السلطان فصار له من جملة الاتباع فقبله السلطان وقواه وشده حصاره باطلاق من كان في الامر من أصحابه فقبوت مناجسته للسليمان حتى كادوا لاخوف أهل ملته يسلم صرابط دولة السلطان وملكه يقدم ومال اليه من الفرع جماعه وظهرت لهم من الطامعة طامعه ودخلت الى بلادهم من جلبه السرايا وخرجت بالفتن والمسايا وأعطى الذنية في دينه بما استدانها من العطايا فصار الفرع يدينون شره ويحذرون مكره فتارة يدأرونه وأوتة يارونه وللقسم قوم صدق يساعدهون في كل حق

فخايل (٧٥) الدولتين

وباطل قبلي منهم أهل الساحل بشغل شاغل وهذا الملك المجذوم هو ابن الملك أماري بن فلك وهو مري الذي تقدم ذكره وتوفي أماري في آخر سنة تسع وستين سنة مات فخر الدين رحمه الله تعالى وخلفه المعون هذا الولد المجذوم فبقي بينهم زهاء عشرة عشرين ملكا مطاعا فلما حضر الموت أوصى لابن أخيه بذلك قال وكان ابن رنس الكرك أنطا أعذر الفرجية وأخشيأ وأخذها عن الردي والرداء وأجبتها وأخذها للرائيق المحسكة والايمان المبرمة وأنكها وأحتها وصمها شذمة فحاش ذمه وهي من شر أمه على طريق الحجاز ومن نهج الحج على الحجاز وصكنا في كل سنة تنزوه وبالوائقي نعرو، وبصيه منا المكره فآظها على الهندية وجعل قسما وأخذها لامن بالبلد وأهل وقومه ور وجهه ونقي الامن له شاملا والتفعل من مصر في طريق بلده وتواصل وهو يمكن الجاني والغائب حتى لاحت له فرصة في العدر قطع الطريق وأخاف السبل ووقع في فاطمة تقيله معها ثم جليده فأخذها بأسرها وكان معها جماعة من الاخذ فأوقعهم في الشرك وجعلهم الى الكرك وأخذ خيلهم والعقد وسامهم التسق والشدة فأرسلنا اليه وودعنا فاطمة وقبحنا احتياله واغتياله فأبى الا الاصرار والاضرار فنذر السلطان دمه ووفى في اراقة دمه بما التزمه وذل في السنة الآتية كما سيأتي ان شاء الله تعالى وأقام السلطان بدمشق بقية هذه السنة وهو في الاستعداد للجهاد وقد أرسل في طلب العساكر من البلاد المشرقية والمصرية فانطلقت أموره على أحسن فضيه ومن كآب فاضلي الى بعض اخوانه (كنت هذه المكاتب من جسر الحشيش ظاهر دمشق وقد ورد السلطان أعزاقه أنصاره لفترة الى بلاد الكفر في عسكر فيه عساكر وفي جمع البادية فيه كانه حاضر وفي حشد عساكر وان يحمله الناصر الى ان لا يحصله الشاطر وقد نهضت به همة لا يرجى غيرها لانه لا نهايتها وبجته به همة الله المسؤل في حسم عراض اعتراضها وباع الله نصابا يستمتع أهل الاسلام بصفقتها وبذهب الله الشرك ببيتها وأرجوان يتخلص عن زبدة وتسترع الايدي بعدها عن المحض وان يكون الله قد بعث سقبة نصره الاسلام وسلطانه قد نهض

لقد نهض

ثم حدثت سنة ثلاث وثمانين هـ وهي سنة كسره حديد ونزع الساحل والارض المقدسة للسلاطين فان العباد في كتاب البرق وهي السنة الحسنة المحسنة والزمان الذي تنصت على انتشار احسانه الازمنة وطهر قبه المكان المقدس الذي سلت لسلامته الامكنه وخلصت بفتح الله من الحنة الارض المقدسة المعقنة وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة بالسفك ونصرت الدولة الناصرة وخلخت الله امراته وانتم التوحيد من التثليث وشاغ في الدنيا بجماع الايام الصلاحية من الاحاديث ثم ذكر في ذابي الفخر والبرق ما جلته ان قال نبز السلطان من دمشق يوم السبت أول المحرم في العسكر العرم ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم فلما وصل الى رأس الماء أمر ولده الملك الأفضل بالاقامة هناك يستدق اليه الامر المملوكين والاملاك ويجمع الاعارب والاعاجم والأتراك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلام وأقام على ارتباب اقرب الحاج وكان فيهم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين والدة أخت السلطان مع جماعة من الخواص وقد تقدم ذكر غدر ابن رنس الكرك وهو على طريق العسكر المصري والحاج ووصل الحاج في آخره فمروا بخلاسر السلطان من شغلهم ثم ساروا على الكرك وأخاف أهلها وأخذوا كان حوله ورعى زرعهم وقطع أشجارهم وكروهم ثم سار الى الثويلت وقفل به مثل ذلك ووصل عسكر مصر فتنقبا القريتين وقرقه على أعمال القلعتين وأقام على هذا الحال في ذلك الجانب شهرين والملك الأفضل ولده معمر رأس الماء في جمع عظيم من العظاما وعنده الخفاف الحفاظ والمواصل الحاصلة والعساكر الكاسرة والقصور القاسرة وهو يتنظر أمرا من أبيه ويكتب اليه ويقتضيه وانقضى من السنة شهران وطال بهم انتظار السلطان فانهم من منهم سر يئسوه وأمرها بالفتارة على أعمال طبرية وربت على خيل الحزيرة ومن جاء من الشرق ودلوا بكر مظفر الدين كوكبري صاحب سران وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلفر بن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صام الدين فاما باز النجمي فسلروا مدحجين وسروا مدحجين وصحبوا صوفية يتوسا صليح المنذرين فخرج اليهم الفرنج في حشد هائل فاتهم الله النصر الحني والظفر السني وشعوا منهم حين الحنايا وأدركوا فيهم من الحنايا وقازوا ونفروا وقوا وأسروا وهلك تقدم

الاستار وحصل جماعة من فرسانهم في قبضة الاسار وأفلت منهم الهادى بقره حصاص ووقع الباقون ولم يكن لهم من الملاك خلاص وعادوا سالمين سالكين غانمين غاليين فكانت هزيمة كورة البركات ومقدمة متابعها من مرامن الحركات وجاءتنا البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك فسار السلطان ووصل السير بالمرى ونجم بعشرا والقدر يقول له تعيش وترى وقد عصمت بحول الله الوها والندى وامتد العسكر فراح صخر ضواطولا وملا بالمالا خرونا وسولا ومارأت عسكر أركنك مولا كبر ولا كرت لكفرولا أكثر وكان يوم عرضة مذكر اليوم العرض وما شاهده الامن تلا (ولله جنود السموات والارض) وعرض العسكر في اثني عشر ألف مديج في دليل الجناح مديج ولما تم العرض حمم الفرض وسالت بأفلاك السماء والارض وتعين الجهاد وتبين الاجتهاد ثم رتب السلطان للعسكر اطاليا وخزبه اخرايا وسار يوم الجمعة اربع عشر ربيع الاخر زما على دخول الساحل فاناخ ليلته السبت على خمسين ثم سار في الاردين الى ثمر الاقحوانة وأقام هناك خمسة أيام وقد عين مواقف الامراء وشعارهم وأحاط بحيرة طبرية بحيط وضائق يدايط خيامه ذلك البسيط ولما سمع الفرنج ما جماع كذا الاسلام عليهم وسير ذلك الجيش الهم علما انه قد جاءهم بالا عهد لهم بئله وان الايمان كله قد رزى الشرك كله فاجتمعوا واصططحوا وحشدوا وجعوا واتخذوا ودخل القمص معهم بعد ان دخل عليه المائت ورمى بنفسه عليه وصغفوا راياتهم بصغوره ولوا الاولية وحشدوا القارس والراجل والراجم والنابل ورضوا صليب الصليب فاجتمع اليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا في نوادي اهل اقاليم اهل الافانم وصلبو الصليب الاعظم بالتعظيم وباعصاهم ربه عصى وخرجوا عن العدد والاحصا وكافوا عدد الحصى وصاروا في زهاء خمسين ألفا اوزيرديون ويكيدون مايكيدون قد توافوا على صعيد ورافوا من قريب وبعيد وهم هناك مقبضون لا يرمون والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويتعرف عليهم وراميمه ويشكى فيهم ويتعرض لهم بقره والى وردا عن رقباهم مسبوقة وعن شعابهم سيولة فربضوا وما نبضوا وقعدوا وما نبضوا فلور زوالا صاف اطالت عليهم يد الانصاف فلما رأى السلطان انهم لا يرمون ومن قرب مقوريلا لا يترجون أمر امراءه ان يقبضوا في مقابلتهم ويدعوا على عزم مقاتلتهم ونزل هوى خواصه العسسية على مدينة طبرية وعلم انهم اذا علموا بقره له عليها يادر والوصول اليها فحينئذ يتمكن من قتالهم ويحيط في استنصاحهم ثم أحضر الجالدية والقاين والامراسية والجارين وأطاف بسورها وشرع في تخريب ممرها وأخذ النابون في التنب في برج فهدوه وهدموه وتسلفوا فيه ونسوه ودخل الليل وصباح النجم سقر وليل الويل على العدو معسكر وامتدت القلعة بين قها من القمصية وبنها ولما سمع القمص بفتح طبرية وأخذ يباديه مقتضى يده وخرج عن جلد جلدته وسمح للفرنج بسبده بلبده وقال لهم لا تعود بعد اليوم ولا يبتلنا من لقاء القوم واذا أخذت طرية أخذت البلاد ونهبت الطراف والتلاد وما بقي لي صبر وما بعد هذا الكمر لي جبر وكان المائت قد خالفه فخالفه ورافقه فانا فاقه ورحل بجمعه وأتباعه وشباطينه وأشباعه فغدت الارض بحرركة وعامت السماء من غبرته ووصل الحبر بربانة فيضركوا ووثبوا فغصر السلطان وقال جاء المازيد ونحن أولو بأس شديد واذا سمعت كسرهم فطبرية وجميع الساحل مادونه مانع ولا عن فقه وازع واستخار الله تعالى وسار وعدم القرار وذلك يوم الخميس ثالث عشر ربيع الآخر وانفرج نجاتون الى طبرية بقتهم فقتلهم وعم كالجبال السائرة والجناح الاخوه امواجها متلطمطة وأقوا جميعا من درجة قرب السلطان في مقابلتهم اطلابه وصل بعسكره قدامهم وحجز بينهم وبين الماء واليوم قيط ولقوم غيظ وحجز الليل بن القريقين وحجز الحيل على الضريقين وهيئت دركات النيران وغشمت درجات والجنان وانطمر مالك واستبشر رضوان في ليلة القدر خبر من ألب شهر نزل فيها الملائكة والروح وفي صهر هاتر الظرف فوج وفي صباحها الفتوح فأبهر بآيات الله اليه الاخره فقد كان قال الله تعالى فيهم فأتاهم الله نواب الدنيا وحسن ثواب الاخره وبتنا والجنة معروضه والسنة مفروضة والكثرة وافقة مقاته الخلد فاضفة جناته والسبيل واضع سبيله والاقبال ظاهر قبيله والظهور قائم بلبله والله ناصر الاسلام ومدينه وسهر السلطان تلك الليلة حتى عين الجبال الشبية من كل طالب وملا جعابها وكأتم بالنبال وكان ما فرقه

في أخبار (٧٧) العولتين

من النشاب أربعمائة رجل ووقف سبعين جازة في حومة الوعى يأخذ منها من خلت جماعه وفرغ نشابه حتى اذا سفر الصباح خرج الجلاله فخرج من انوار النار ورنى القصى وغنت الاوتار اذذاك واليوم ذاك والجيش شاك ولقيظ عليهم فبعض وما لقيظ منهم غض وقد قد الحار واستدري الشر ووقع الكرواقر والسراب طافع والنظاء لانخ والجو محرق والجوى مقلق ولا واثك الكلاب من الميث لثت وبالبعث عيث وفي ظنهم انهم يردون الماء فاستقبلتهم جهنم بشرارها واستظهرت عليهم الظهيرة بنارها وذلك في يوم الجمعة يجمعون أهلها المجتمة ووراء عسكر تابعه بطريقه والورد عد ومامته بعد وقد قطعت على الفرج مارق الورد وبلوا من العطش بالنار ذات الوقود فودوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين فكتبوا على ضرلوهم وشرلوا مافي اوتهم وشغفوا ما حولهم من موارد المصانع واسترفوها حتى ماء الدماغ وأشرفوا على المصير الى المصارع ودخل الليل وسكن السيل وباتوا حيارى ومن العطش سكارى وهم على شفق البحيرة بجبره وقوا أنفسهم على الشده واستعدوا بالعزائم المحتده وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي وقاضيه الى القواض القواضي فأحدوا عزم البلاء وطلبوا البقاء بالنورط في الغناء وأما عداكرنا فمناجرات ومن كل ما يعوقها برئت فهذا السنة شاحذ وهذا العناء أخذ وهذا سهم مفوق وهذا سهم موق وهذا كبر لا تكبير ومنعك للتكبير وهذا نال السعادة وهذا راح للشهادة فبأله ذلك من ليل حراسها الملائكة ومن سحر انفسها الطاف الله التداركه والظان رحه الله قد وثق بنصر الله فهو بعض نفسه على الصفوف ويحصبهم ويدهم من الله نصره المألوف ويضري المؤمنين بالالوف وهم بعناشته اياهم يبيدون ويحيون ويصدون اعدوهم ورددون وكان لاسلطان ملكه متكورس جلى في أول الناس وكان حصانه قوى الراس فابعد عن اخوانه ولم يتابعه أحد من أقرانه فانفرد به الفرج فأنبت في مستنقع الموت رجله وقاتل الى ان بلغوا قتله فلما أخذوا رأسه ظنوا انه أحد اولاد السلطان وانتقل السيد الى جوار الرحى ولما شاهد المسلمون استشهاده وجلده وجلاده حيث جثمت وخلصت لله نيتهم وأصع الجيش على تقيته والصعر على تلبيته وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الآخر وهو يوم النصر ووقع الكسره وبرح بالفرج العطش وأبنت عثرته بان فتعش وكان النسيم من امامها والخيش تحت أقدامها فرمى بعض طعنة المجاهد بن الشارف الحشيش فتأجج عليهم استعارها وتوجع وارارها فبلاوهم أهل التليث من ناول السبلات لانه انقسام في الاصطلا والاصطلام نار الضرام وارالوام والاراسهام فربا الفرج قريبا وطاب ظلمهم المحرق فخرجوا فكلما خرجوا جرحوا وبرحهم جرحوا فاحرقوا وهم ظلماء وما لهم ما سوى ما يابنهم من ماء الفرج فندفستهم نار السهام واشوتهم وصمت عليهم قلوب القصى القاسية وأصمهمهم وأبجزوا وأزبجوا واحرقوا وانفجروا وتماجلوا ودوا وردوا وكاساروا واشدوا وأسروا وشدوا وما دبت منهم غله ولا ذبت عنهم حله واضطر موا را اضربوا وانتهوا وانتهوا وما شيبهم النشاب فعدت أسودهم فتأذ وضابقتهم النهم ووسعت فيهم الحرق لانفذ فأوا الى جيل حذابين يعصهم من طوفان الدمار فاحاطت بحطين نوارق الارار ورشدتهم اللجى وفردتهم على الرب ورشدتهم الحنايا وقدرتهم المنايا وقرضتهم البلايا ورقتهم الرزايا والاحس القمص بالكسره حصر عن ذراع الحسره وأتال من العزبه واحتال في الهزبه وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطراب الجرج فخرج دابة يطب الخروج واهوج الى الوادى وما ودان بهوج وصمى كومض البرق وسوع خاتمة قهبي اتساع الحرق وأفلتت عدة معدوده ولم بلغت الى مودته دوده وكان قال لا يحبه ابا أسبه كالحله وأفضل كفى الجله فاجتمع هم ومؤازروره وجماعة من المتقدمين مضافروه وصحبه صاحب صيدوا باليان بن بارزان وتوامرنا على انهم يحملون ويلغون الأغصان فحمل القمص ومن معه على الجانب الذى فيه الملك المظفر فرتى الدين وهو مؤيد من الله بالزيفيق والتكبن ففجع لهم طريقا ورمى من اتباعهم فريقا فخصوا على رؤسهم ونحو انفسهم ولما عرف لانهم اخذوا العزبه ونفذوا الهزبه وهنوا وهنوا ثم اشتدوا وما لانا وبتوا على ما كانوا واستقبلوا واستقبلوا واستلموا وجاوا ووقعت عليهم وقوع النار في المصفا وصيب الماء الحديدي لاطفاه فزاد في الازكاء خطوا خداهم على غارب حطين حين رؤا بهم محيطين فأعجبتناهم عن ضرب الحيايم يضرب الهمام ثم استنصر الحرب واستمر النضن والضرب وأحيط بالفرج من حوايلهم ودارت الدوائر عليهم وزجوا خبرا فجلوا عن الخيل

كتاب (٧٨) الروتين

وجرفهم السيف جرف السيل وملك عليهم الصليب الاعظم وذلك مصابهم الاعظم ولما شاهدوا الصليب سلبيا ورتيب الردى قريبا أيقنوا بالهلاك وأثخنوا بالضرب الدراك فاربحو بأسر ووزمقتون وضميدون ويصمغون ولوثوب يخفون والجراح تقاوت ومن مصارع القتل الى معاصر الاسرى عاين ووصلنا الى مقدمهم وملكهم واربهم فتم أمر الملك واربس الكرك وأخى الملك جفرى وأولئك صاحب جبيل وهنغرى بن هنغرى وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مرقية وأسرهم من مجاهدين القتل من الداوية وقدمها ومن الاستثنائية معظما ومن البارونية من أخطأه البوار فأصابه وساءه الأسار وأسر الشيطان وحشره وملك الملك وكنوده وجبر الاسلام بكسرهم وقتلوا وأسروا بأسرهم فحين شاهد القتل قال ما هذا أسير ومن عاين الاسرى ما له من القتل وما استولى القربى على ساحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين غليل فاقه عز وجل ملط المظلمة وأقدره على ما أعجز عنه الملوك وهدامى التفوق لا مثال أمره ومن إمامة فرضه للنجح المسلول ونظمه في خوف أعدائه والفتوح لا ليا له السلوك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الابر واليمن الاسر والفتح الادر ولولم يكن له الا فضله هذا اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة فكيف ملوك العصر في السوء اليوم غير ان هذا لتوبة المباركة كانت الفتح التقدمي مقدمه ولما قد النصر وقواهده مبرمة تحكمه ومن عجائب هذه الوقعة وغرائب هذه الدفعة ان فارسهم مدام فرسه مسالما لم يزل للفرسة فانه من لبسه الزردى من قرينه الى قدمه كان كانه قطعة حديد ودراك العرب البغيه مفيد لكن فرسه اذا هلك فرس وملك فلم يغم من خيلهم ودوابهم وكانت الوفا ما هو سالم ومارجل فارس الا والضع والارمى لم كوية كالم وغننا ما لا يصغر من بعض مكسبه وزغف موضون وبلا دوحصون وسهول وزون وابستلنا منهم هذا الفتح كل اقليم مصون وذلك سوى ما اسبغ من مال مخزون واستخرج من كنوز مدفون ومجت هذه الكسرة وقت هذه النصر يوم السبت وصربته أهل السبت على أهل الأحد وكانوا أسودا فعدوا من النقد فما اظلم من ذلك الا لاف الاحاد وما تجاس أولئك الاعداء الاعداد وامتلا بالأسرى والقتلى وانجلى القبار عنهم بالنصر الذي يقبلى وقبضت الاسارى في الجبال واجبة القلوب وفرضت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجيوب وحطت حطين تلك الجيف عن شتمها وطالب نهر التمر بفتحها وعبرت بها ظالمتها بحمل الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الانبيل باهل الدبادر وعابلت أعيانهم خبرا من الاخبار ورأيت الرأس المائره والنفوس المائره والعيون غائره والجسوم رمتها السواقي والرسوم درستها العرافى واسلاء المسالطين في الملتقى ملقاء بالراء عراة مخزقة بالمازق مفصلة المفاصل مفرقة المراقق مقلقة المفارق محدوقة الرواب مقصرة الاصلاص مقطعة الهام مزعجة الاقدام مجذوعة الاناف منزعة الاطراف معقوفة العيون مبعوبة البطون منسفة الاجساد مقصعة الاعضاء مقلصة الشفاء مخلصه الجبابه مائه الاحداق مائه الاعناق عديجة الارواح شبيهة الاشباح كلابهارين الاحجار عبية لاوى الابصار ولما أبصرت حدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا آربا تلت قول الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) فما أظيب نجات النظر من ذلك الحثث وما الحلب غنيات العذابي في ذلك الحثث وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث وما أجزأ صلاب الشائر بوقع ذلك الحادث هذا حساب من قتل فقد حصرت السنة الامم عن حصره موعده وأمام أسرفه تكف ما تنلب الحثث لقيده وشده ولقد رأيت في الحيل الواحد ثلاثين وأربعين يتقدمهم فارس وفي بقعة واحد قاتله وماتت بجريحه ملرس وحنالك القاتله عناه والعداء عره وذو الاسرة أسرى وأولاً الأثره عثرى والقول من قنائس والقول من فرائس وغوايى الارواح رخائس ووجوه الدواب عوايس والرؤس تحت الاخاص فكما أصيد صيد وفائد قويد وملك ملوك وهاتك مهتوك وحرق الرق ومبطل في يد الحق ولم يوشر الملك حتى أخذ صليب الصليبيون وأهلك دونه الطاهيون وهو الذي اذ انصب وأقم ورفع سجده كل نصرانى وركرم وهم يزعمون انه من الحثيث التي يزعمون انه صلب عليه ما معبودهم وقد غفلوا بالذهب الاحمر وكلوا بالذر والجوهر وأعدوا ليوم الروع المشهود ولوسم عيدهم الموعود فاذا أخرجته القوس وحطته الرؤس نبادروا اليه واتوا عليه ولا يسع أحدهم عنه التحلف ولتختلف عن اتباعه في نفسه التصرف وأخذوه هندهم أعظم من أسرا الملك وهو أشد مصاب لهم في ذلك المعتزل فان الصليب السليب ماله عوض ولا همى سواه

في اخبار (٧٩) الدولتين

فرض واتأله عليهم مقرض فهو ألهم تمفره جباههم وتسجه أفواههم يتخاشن عند احضاره ويتعاشون لا بصاره ويتلشون لاظهاره ويتعاضون اذا شاهدوه ويتراجدون اذا جسدوه ويلشون دونه المنهج ويلظبن به الفرج يل صاوغا على مثله صليان يعبدونها ويتعشون لها في بيوتهم ويشهدونها فلما أخذ هذا الصليب عظم مصابهم ووهت اصلاهم وكان الجمع المكسور عقابا والموقف المتصور كزما فكانهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يقتل أحد من يومهم العصب فهلكوا قتلوا أسرا وملكوا كسروا قسرا ولما صبح الكسر وهضى الامر وتمكن النصر وسكن البحر ضرب السلطان في تلك الحومة دحليز الماردق وتوافقت اليه جماعات الحفاق ونزل السلطان اوصلى للسكر وسجد وجدد الاستبشار بما وجد واحضر عنده من الاسارى الملك والبرنس واجلس الملك بجنبه وقال في كذب القبح وجلس السلطان لعرض أكابر الاسارى وهم يتجادون في القيود تهادى السكارى قد قدم بداية مقدم الداوية وعذته كبيره تمنهم ومن الاسناريه واحضر الملك وأحضره فخرى وأوك صاحب جيبيل وهنرى والبرنس لارنا صاحب الكرك وخواؤل من روع في الشرك وكان السلطان نذرهم وقال لا تجلس عند وجدانه عده فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه وقرعه على غلره وذكربذنيه وقال له كم خلف وتحت وتهد وتكث وتبرم الميثاق تنقض وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك واسلكت غير السنن الملوك وكان الملك يلهن ظمأ ويعمل من سكرة الرعب منتشيا فأنسه السلطان وهاوره وتكادورة الوحد الذي ساوره وسكر رعبه وامن قلبه وأمر له بماه مشلوج فشر به وأطأ به نجسه ثم راول الملك البرنس العدى فاستنقه وبريد خلفه فقال السلطان للملك لم تأخذني سقيه متى اذا غلابو جيبيل له منى أمنا ثم ركب وحلاها وبنار الوهل اصلاها ولم ينزل الى ان ضرب سرادقه وركبت اعلامه وبيارقه وعادت الى الجي عن الحومة فيلقاه فلما دخل سرادقه استحضرا البرنس قدام اليه وتقام بالسيف فخل عاتقه حين مرع أمر برأسه قطع وجرحه قدام الملك حتى أخرج فلما راع الملك وانزعج خرف السلطان انه صار له القزع وساوره الملع وسامره الجزع فاستدعاه واستدناه وأمنه وطاعه ومكنه من فريه وسكنه وقال له ان ترداثة أردته وغدرة كازا غادرت وقد هلك بغيه وبغيه ثم جمع الاسارى العروفين وسلمهم الى والى قطعة دمشق النافع القيدى فقال لهم انتم تحت قيدي وسلمهم الى اصحابهم فسلمهم الابدى وأمرهم ان يأخذوا خط الصقي ابن القابض في دمشق يوصلهم ويحاط عليهم في اغلالهم ويكبلهم فتفرق العسكرين فمته أيدى السبي أيدى سبا وهاذتهم الوهاد والربى فالولما أصبح السلطان يوم الاحد استقام على الجسد ونجم على طبعه ورامل القمصية وأخرجها من حصن بالامان ووفى لها ولفرسا بنهما بشرط الايمان فخرحت بمالها ورحلتا ونشأوا ورحلتا وسارت الى طرابلس بلد زوجها القمص بمالها وسالها وولى طسرية قايماز النصى وكانت مبرية في عهد الفرقة تقام على نصف مغل البلاد من الصلت واللقا وجبل عوف والميانية والسواد ونصف الجولان وما يقرب الى بلد حوران فخلصت المناصقات وصفت الصفات وأمنت الآفات هذا والسلطان نازل ظاهر ماريه وقد طب البريه وعسكره قد طبق البريه فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح يومين طلب الاسارى من الداوية والاستبشار به وقال أنا أظهر الارض من هذين الجنسين الخمسين فهاجرت عادت بها بالمفاداة ولا يقلعان عن المعاداة ولا يتخلمان في الاسروها حيث أهل الكفر فتقدم بها حضار كل أسير داوى واستبارى لبعضيه فيه حكم السيف ورأى البقية عليه عيا الحيف ثم علم ان كل من عنده أسير لا يجمع به وانه يرضى بطله فجعل لكل من يأتيه بأسير منهم امن الدانبار الجر خمسين قاتوه في الحال يمشين فأمر باعطائهم وضرب فاههم ومحو حاهم وكان يحصرته جماعة من المتطوعة المتورعه والتمسوة المتصوفة والتمسقة المتصرفه ومن تمت له المعرفة بالزهد والمعرفة فسأل كل واحد في قتل واحد وسل سيفه وحرر عن ساعده والسلطان جالس وجهه بانرا والكفر عايس والعساكر صفوف والامراء في الجمالين وقوف فقام من فري برى فسكر ومنهم من أبى وتلو عنذر ومنهم من بضل ستمه ونوبعوا عنه وشاهدت هناك الضمك القتال رأت منه القوال الضحال فكعدا الفخره وجدأ حرزه وأجر استدامه بدم الجواه وبراعتى اليه يعنى براه

كتاب (٨٠) الروضة

وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفرى وصاحب جبيل ومقدم الدواية وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليدعوا السجون وتبديل حركاتهم بالسكون وتفرقت العداكر ما حوت أيديهم من السي وسبق بهم إلى البلاد أناس ولم يقع على عددهم القياس فكاتب إلى الصلبي القبايض نائبه بدمشق أن يضرب عنق من يجدهم الدواية والاستنارية فامتثل الأمر في إرداهم وضرب أعناقهم فماتل الأمن عرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم وأسلم الآحاد حسن إسلامهم ونأ كدنايين عزامهم قال العمادومارأت أبحاث عن سبب نذر السلطان إراقة دم الأبرس حتى حدثني الأمير العزيز عبد العزيز بن شاذان بن محمد بن المعز بن باديس وهو ذو وليد كبير والحب الجليل وكان حده صاحب اقربقة والقيروان وكانوا يولونون ملكه إلى قريب من هذا الزمان ذكر أن الأجل الفاضل حدثه أن السلطان لما عاد إلى دمشق من حران بعد المرض التي صار بها كل قلب عليه حران وذلك في سنة اثنتين وثمانين وهو من عقايل سببه لا يفارق الاثني قتلته لما عناه ندأ بقضاء الله وما بعدك من هذا السوء رواه فأنذر انك اذا أظلمت من هذا المرض تقوم بكل ما لله من العترض وانك لا تقاتل من المسلمين أحدا أبدا وتكون في جهاد أعداء الله يجتهدا وانك اذا نصرك الله في المعترك وظفرت بالقمص وأبرس الكرك تقرب إلى الله بأقراقة دمه ما ذابتم وجود النصر الابد هما فأعطاهم يده على هذا النذر ونجى الله بركة هذا العذر من الدعر وخطه اخلاصه في مرضه الله فأبى من مرضته واستقل بنضته واستقبل السنة الثالثة بالهبة سنة الفزوة ومرضته ثم جرى من مقتدات الجهاد وتسلحه لما جرى وخيم الساذن في جوع الإسلام بعشرا وركب يوما في عسكره وعمره على نهر الفاضل وطى المراحل ودخول الساحل والقذف بالحق على الباطل فبدأ ببقاء الظلة المباركة من الأجل الفاضل فقال له ليكن نذرك على دكر ك واستزدة الله عنده بن يد شرك ولا تحط غير قع أهل الكفر بفكرك فما أنذرك الله من تلك الورطة وانعشك من تلك السقطة الالوف - فذلك من هذه القصة فوكل على الله عازما وجازا لاردن جارما وأرع جاش الكفر وكسر جيوشه وتل عروشه ووقع في الشرك أبرس الكرك فرقى بسرب عنقه ندره وأما القمص فأنه أخذ في الملتقى بالزينة حذره وما وصل إلى طرابلس أخافه في منامه العذر وجأ في صفوه الكدر وتسلمه ملك إلى دعر

(فصل ١٠) هذا الذي تقدم من وصف كسر محطين هو عين ما ذكره عماد الدين رحمه الله في كتابه الفتح والبرق اختصره منهما وهو مطول فيها وقد وقفت على كلام قصيره في ذلك فاجبت إراده على وجهه لما فيه من شرح ما تقدم وتوقيته وروا الشغل على زيادات من فوائد تتعلق بذلك لم يتعرض العماد لها أو حقا لفت بعض ما ذكره قال القاضي أبو المحاسن بن شذاد لما كان المحرم سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على قصد الكرك فسار إلى حلب من سجنر العسكر وبرز من دمشق في منتصف المحرم فسار حتى نزل بأرض الكرك منتظرا لاجتماع العساكر المصرية والنابيه وأمر العساكر المتواصلة إليه بشن الغارة على ما في طريقهم من البلاد الساحليه فخلوا ذلك وأدام رحمة الله بأرض الكرك حتى وصل الحاج الشامي إلى الشام وامتنوا غائلة العدو ووصل قتل مصر ومعه بنت الملك المظفر وما كان له بالذي راحه به وأخبرت عنه العساكر الحلبيه بسبب اشتغالها بالفرج بأرض انطاكية وبلاد ابن لاين ولأنه كن قلمات يوصي لابن أخيه لاون بالملك وكان الملك المظفر بما يبلغ الخبر بالاطمان فأمره بالدخول إلى بلاد العدو واتخاذ نائنه فوصل في الدين حلب ونزل في دار الضيفان زريق وانتقل إلى دار طمان وفي تاسع صفر خرج بعسكر حلب إلى حارم يعلم العدو أن هذا الجانب ليس بهممل وعاد السلطان فوصل إلى السواد ونزل بعشرا سبع عشر ربيع الأول ولفيه ولده الأفضل ومنظر الدين وجميع العساكر وكان تقدم إلى الملك المظفر بمصالحة الجانب الحلب مع العرب ليستفرغ البال مع العدو في جانب واحد فصار لهم توجه إلى حماه يطلب خدمة السلطان للفرار فماتت العساكر الشريفة في خدمته وهم عسكر الموصل يقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر ماردين إلى أن أتوا عشرا فلقهم السلطان وأكرهم ثم عرض السلطان العساكر منتصف ربيع الآخر على تل يعرف بتل تصيل ورتبهم وأندفع فاصد بلاد العدو في وسط نهار الجمعة وكان أبدأ بقصد دوقعته الجمع لخميا وأوقات صلاحه تبرك بعباد الخطباء على المنابر فرما كانت أقرب إلى الإجابة وبلغه أن الفرنج اجتمعوا في حصفورية بأرض

في اخبار (٨١) الدولتين

عكا قصد نحوهم لاصاف معهم فساروا زل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبره ورجل من هناك ونزل غربي طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب منتظر ان القرع اذابلتهم ذلك قصده فلم يجر كوام منزلتهم قتل جريده على طبرية وترك الاطلاب على حالها قباله وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها ففهمها واخذها فساءة من نهارا وامتدت الايدي اليها بالنهب والاسر والحريق والقتل وامتعت الفلقة وحدها فرحل القرع وقصدوا طبرية للدفع عنها فاخبرت الطلاب الاسلاميه الامراء بحركه القرع فسيروا الى السلطان من عرفه ذلك قتل على طبرية من يحفظ قلعتها وابق العسكر هروم معه فاتى العسكران على سطح جبل طبرية القرى منها وحال الليل بين الفتيين فباتا على مصاف شاكيتين في السلاح الى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وذلك بارض قرية تسمى اللوبيا ولم تزل الحرب الى ان حال بينهم التظلام وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والامور الجسيمة ما لم يحك عن من تقدم ويات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقعد التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذي يورث فيه فطلب كل من الفتيين مقامه وعلت كل طائفة ان المكسورة ثم عاهد حورة الجلس معدومة النفس وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا يخفيهم الله الله وكان الله قد قدر نصر المسلمين فيسره وأجره على وفق ما قدره خلعت الاطلاب الاسلاميه من الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فاتى الله العرب في قلوب الكافرين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكان القمص ذكي القوم والمهم فرأى امارات الخذلان قد نزلت ما هل دينه ولم يشغله ظن مجانسة جنسه عن يقينه فهرب في اواهل الامر قبل اشتداده وأخذ يظرفه بخصوصه ورتبه جماعة من المسلمين ففجأ وحده وامن الاسلام كيد و احتاط أهل الاسلام بأهل الكفر والبطغين من كل جانب فانهم من منهم طائفة فقبها ابطال المسلمين فلما بلغ منها واحد واعتصمت الطائفة الاخرى بثل حطين وهي قرية عنده وعند هاجر النبي شيب عليه السلام فضايقهم المسلمون على التل وأشعلوا حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون للاسرخوفان من القتل فاسر مقدموهم وقتل الباقون وأسروا وكان الواحد العظيم منهم يجلد الى الاسرخوفان على نفسه ولقد حكى لي من أتى به انه لقي بحوران شخصاً واحداً معه طنب خيمه فيه سيف وثلاثون أسيراً يجبرهم وحده بخذلان وقع عليهم وأما القمص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس وأصابه ذات الحنجرة فاهلكه الله بها وأما مقدمو الاستبارة والمباوية فان السلطان اخذوا رقتهم فقتلوا عن يمينه وأما البرنس ارناط فكان السلطان قد نذر ان تلخر به قتله وذلك انه كان عبر به بالشوبك قتل من الديار المصرية في حالة الصلح فقرر ان عند ما لان قتلهم وقتلهم فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما تبغين الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال قولوا لمحمد كينصركم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمية على انه نذر ان تلخر به قتله فلما فتح الله عليه بالنصر والظفر جلس في دهليز الخيمة فانها لم تكن نصبت والناس يتقربون اليه ولا سارى وعن وجده من المتقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحاً مسروراً شاكر المائتة الله به عليه ثم استخضر الملك جبرى وأخا د البرنس ارناط وناول الملك شربة من جلاب بلج فثرب منها وكان على اشدها من العطش ثم ااول بعضهم البرنس ارناط فقال السلطان للترجان قل للملك انت الذي تسقيه والا انا ماقبته وكان على جبل عادة العرب وكرم أخلاقهم ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من أسره من قصد بذلك الجري على مكارم الاخلاق ثم أمر بجرهم الى موضع عين لتزولهم فحسوا وكواشنا ثم عاد استخضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فاقعد الملك في الدهليز واستخضر البرنس ارناط واوقعه على ما قال وقال ها انا اتمرر لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل ثم سل النجباء وضربه بها فحل كفه وتم عليه من حضر وبجل الله بروجه الى النار فاخذ وري على باب الخيمة فلما رآه الملك قد أخرج على تلك الصورة لم يشك في انه يثنى به فاستخضر وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك وأما هذا فانه جاوز حده جبرى ما جرى ويات الناس في تلك الليلة على أتم سرور وأكل جهور ترتفع أصواتهم بالجدل والشكر والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الاحد فنزل ربه الله على طبرية وتسلم في بقية ذلك اليوم قلعنا وأقام بها الى يوم الثلاثاء قلت وذكر محمد بن القاسم في تاريخه انه ورد في هذه السنة كتب الى بغداد في وصف هذه الواقعة منها كتاب من عبدة الله

ابن أجد المقلد يقول فيه (كتب هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة) وفيه (ووجدنا الله عز وجل طول أعمارنا وما وجدنا بعشر معشار نعمته التي أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فانا خرجنا الى عسكر صلاح الدين ونلاحق الاجناد حتى جاء الناس من الموصل ودار بكر واربيل فجمع صلاح الدين الامراء وقال هذا اليوم الذي كنت أنتظره وقد جمع الله لنا العساكر وانا رجل قد كبرت وما اقدر على اجلى فاختتموا هذا اليوم وقاتلوا الله تعالى لا من اجلى فاختلفوا في الجواب وكان رأى اكثرهم لقاء الكفار كفر عن جنده ورتبهم وجعل تقي الدين في الجنة ومنظر الدين في المينة وكان هو في القلب وجعل بقية العسكر في الجناحين ثم ساروا على مر انبهم حتى نزلوا الاقحوانة فتركوا بها اتقاهم وساروا حتى نزلوا بكفرسبت فاقاموا يومين ينتظرون ان يبرزهم الكفار وكان عسكر الكفار على صفوية فلم يبرزوا فاصلاح الدين حتى نزل على طبرية فقتل فرسانه وجماعه وروماه والنصارى قد خلوا تحت الحصن فلما تمكن النصف منه انهار من غير وقود نار ودخل المسلمون فاستهبوا يوم الخميس واصبحوا يوم الجمعة فشرعوا في نهب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر ان الكفار قد توجهوا اليها فارتحل صلاح الدين على صفوة فلقهم ثم لم يزلوا يتقدمون حتى صار المسلمون يحيطون بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فتراصوا ساعة وبات كل فريق على مصافهم ثم أصبحوا فصار الكفار يقصدون طبرية يقول المسلمون حولهم يطعون عليهم بالرمي فاقطع المسلمون منهم فوارس وقتلوا خيالة ورجالته فاجازوا المشركين الى تل حطين فنزلوا عندهم فصبوا الخيام واقام الناس حولهم الى ان انصف النهار وهبت الريح ففهم المسلمون عليهم فانهزموا الى بلون على شئ ولم يفلت منهم الا نحو من مائتين وكانوا كاقيل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وعشرين ألفا لم يتركوا في بلادهم من يقدر على القتال الا قليلا وكان الفتي أسر الملك هودرباس الكردي وغلغام الامير ابراهيم المهراني أسرا البرنس وقتل صلاح الدين البرنس بيده لانه كان قد غدر وأخذنا فاهة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين الى طبرية فأخذ قلعتها بالامان ثم ضرب أعناق الاسارى الذين كانوا في العسكر وأرسل الى دمشق فحضره اعتناق الذين بهامهم) قال ورد كتاب آخر فيه هذه الفتوح التي سمع بها قاطع هذا ذكر بعضها مختصرا مع انه لا يقدر احديصف ذلك لان الامر اكبر من ذلك الذي يشربه المسلمون ان مدينة طبرية فتحت بالسيف واخذت فلعنتها بالامان واجتمع عسكر الفرنج معهم وانفقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وقتل من الافرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الافرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس وراجل وأسروهم ثلاثون ألفا وبلغ عن الاسير بدمشق ثلاثة دنانير واستغنى عسكر الاسلام من الاسرى والاموال والفتنائم بحيث لا يقدر احديصف ذلك وما سلم من عسكر الا فرنج سوى قصص اطربلس مع اربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع امراء الافرنج وكل قديسي من النساء والاطفال يساع الرجل وزوجته وأولادهم في المائدة واحدة ولقد سبى بحضور رجل وامرأته وخمسة أولاد ثلاث بنين وابنتان بثمان دنانير وأخذ صليب الصليبيون فطلق على قنطارته من كسكوا ودخل به القاضي ابن ابي عصرون الى دمشق وكل يوم يرمى من رؤس الافرنج مثل البطيخ وأخذ من المقر والقمم والحيل والغال ما لم يجيء من يشترها من كثرة السبي والفتنائم قال في كتاب آخر (وكان الافرنج خمسة وأربعين ألفا غلبوا على المسلمين سوى ألف وقتل الباقون واستأسروهم وكذلك السلوك) قلت وبلغني ان بعض قهراء العسكر وقع به اسير وكان محتاجا الى نعل فباعه بها فقبل له في ذلك فقال أردت ان يذكرك ذلك ويقال بلغ من هوان أسرى الافرنج وكثرتهم ان يسبع منهم واحد يجعل ولله الحمد وما أحسن ما قال أبو الحسن ابن الفريسي من قصيده

شرح لمتن الدين المعمر والطبي * من المجد معنى كان من قبل يغمض
وما كاد جيش الروم يبرم كيد * الى ان سرت منك المهابة تنقض
حيث تفور المسلمين فأصعبت * تنور بأموال الحسديد تخضض
أسرت ملوك الكفر حتى تركته * وما فيه عرق عن قوى النفس ينضض

وكان القاضي الفاضل غالبا عن هذه الكثرة يدعوى فلما بلغته كتب الى السلطان (لئن المولى ان الله قد أقام به الدين القسم وانه كما قيل أصبحت عولاي ومولاي كل مسلم وانه قد أسبغ عليه التسمتين الباطنة والظاهرة وأورثه

في أخبار (٨٣) الدولتين

الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة كتب الملوكة هذه الخدمة والرؤس الى الآن لم يرفع من معبودها والدموع لم تسمع من خدودها وكلما فكر الخادم ان البيع تعودوهى مساجد والمكان الذي كان يقال فيه ان الله ثالث ثلاثة يقال اليوم فيه انه الواحد جدد الله شكرًا تارة بفيض من لسانه وتارة بفيض من جفنه وجزاء يوسف خيرا عن اخراجه من سجنه والماليك ينتظرون أمر المولى فكل من أراد أن يدخل الحمام يدمشق قد عول على دخول حمام طبرية تلك المكارم لا تعيان من لبن وذلك الفخ لا عمان واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذى رزن ولا لسنه بعد في هذا الفخ شرس طويل وقول جليل) والعامدرجه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين لم يذكر فيها شيئا نابذ ذكر بعضها عند ذكر فتح نابلس وبعضها عند فتح القدس فنقلت الى هذا المكان منها ما يتعلق به والباقي يذكر في مكانه قال

يا يوم حطين والابطال عابدة * وبالهاجة وجه الشمس قد عسا
رأيت فيه عظيم الكفر محترقا * معفر أخذه والانف قد عسا
يا طهر سيف برى رأس البرنس قد * أصاب أعظم من الشرك قد عسا
وغاص اظفار ذاك الرأس في دمه * كانه ضيق في الماء قد عسا
ما زال يعطس من كوما بعد ربه * والقتل سميت من بالقدرة قد عسا
عزى نلباه من الاغنام مهرة * دما من الشرك دها به وكسا
من سيفه في دماء القوم منقمس * من كل من لم يزل في الكفر منقمس
افناههم قتلهم والاسراف تكسوا * وبيت كفرهم من خبثهم كسا

وقال ايضا مخاطب صلاح الدين رحمه الله

سحب على الاردن دنا من القنا * ودينية ملدا وخطية ملدا
حططت على حطين قدر ملوكهم * ولم تبق من أجناس كفرهم جنا
وفم بحال الحيل حطين لم تكن * مراكبه البسر دضر سا ولا دها
غداة أسود الحرب معقلوا القنا * أسودت بنى من تحور العدائنا
أنواشكس الاخلاق خشنا فلبت * حدود الرفاق الحش اخلاقه الشكا
طردتهم في الملقى وعكستهم * بجيديد ابحكم العزم طردك والعكا
فكيف مكست المشركين رؤسهم * ودأبك في الاحسان ان تطلق المكسا
كسرهم اذ صرع عزك فيهم * ونكستهم اذ صار سهمهم نكا
بوافع جفت بها الارض جيشهم * دمارا كما يست جبالهم يسا
بطون ذئاب الارض صارت قبورهم * ولم ترض أرض ان تكون لهم مسا
وطارت على نارها واذى فراشهم * صلاء فزاد من بخودهم قسا
وقد خشعت أصوات ابنا الهاما * بعي السمع الامن صليل الطيها
تقاديد اماء الدماء ملوكهم * أسارى كسفن التي نطت بها القنا
سبايا بلاد الله مملوءة بها * وقشريت بجها وقد عرضت نخسا
يطاق بها الاسواق لا راغب لها * لكثرة توجب الوكا
شعكا يسار رأس البرنس الذي به * تسدى حسام حليم ذلك اليسا
حسامه ماض القرار لقدرة * وما كان لولا غدره دمه يحمي
فقله أهدي بدا فتكت به * وأظهر سيفها معلما رجسه النجا

كتاب (٨٤) الروضتين

نسفت به رأس السيف بضربة * فأشبهه رأسي رأسه العهن والبرسا
تبوّغ في أوداجه دم بغيه * فصال عليه السيف يلحمة لحسا
بعثت لمام أمة النار تحسوها * فزار امام أرناطها ذلك الحسا
ولله نص النصر جاء لنصله * فلا قنوسا ابقي لرأس ولا قنسا
حكى عنق الداوى صل بضربة * طرير السباعود المضاربة حسا
أبوم وغى ندعوه أم يوم نائل * وأنت وهبت القاتين به الحسا
وقد طاب ربنا على طبرية * فيما طيبها رباو بأحسنها مرسي
وللهاب قيمان الساعوري من قصيدة سمياً في بعضها في مدح صلاح الدين رحمه الله

جاشت جيوش الشرك يوم لقيتهم * بتد امرؤ على متون الضمر
أوردت أطراف الرماح صدورهم * فولقن في علق النخيمع الاحمر
فهناك لم يرغب يرحم مقبل * في أثر عقرت رجم مسدبر
فن الذي من جيفهم لم يخترم * ومن الذي من جمعهم لم يؤسر
حتى لقد بيعت عقائل أرهقت * بالسبي بالغن الاخن الاحقر
سقت الممالك الكرام ملوكهم * كأسابه سقت اللثيم المنفري
وعجمت عود صليهم فكسرت * وسواك الفاه صليب المكسر
أغلى الاداهم من أسرت وأرخصت * بيض الصوارم من نهاب العسكر
وجعلت شرق الارض بحسدها * بك فهو دواع دعوة المستنصر
لا بعد منك المسلمون فكيدا * أوليتهم معروفها لم تنكر
آمنت سر بهم وصنت حريمهم * ودرأت عنهم فاحصات الاطرير
ما ان رأك الله الا آمرا * فيهم معروف ومنكر منك
متواضع الله جل جلاله * وبك أضجعت سطوة المتكبر
لم يصل سمع من هناء مهني * للمسلمين ومن سماع مبشر
واستعظم الاخبار عنك معاشر * فاستصغروا ما استعظموا بالمخبر
نصبت الملوك ولم تل عشر الذي * أوتيتهم من منجى أو مخفر
وقال أبو الحسن علي بن الساعاتي في فتح طبرية

جالت عزرائلك الفتح المبينا * فقد قوت عيون المؤمنين
رددت أخيدة الاسلام * غدا صرف القضاء باضمين
وهان بك الصليب وكان قدما * بعز على العوالي ان يهونا
يقا تل كل ذى ملثرياء * وأنت تقا تل الاعداء دينا
غدت في وجنة الايام خالا * وفي جيد العلا عقد اثمين
فيا الله كم مرتقلوبا * وبالله كم أبكت عيونا
وما طبرية الا هدى * ترفع عن أكف اللامينا
حصان الذيل لم تقذف بسوء * وسل عن اللبالي والسنيينا
فضضت ختامها قسرا ومن ذا * بصدا ليل ان يلج العربيينا
لقد أنكبتها صم العوالي * فكان تاجها الحرب الزبوا
هناك ندى أهل الارض طرا * سواك ومعقل أعما القرونا
فست حتى رأنا كفوا فلات * وغاية كل قاس ان يلينا

في أنجيل (٨٥) القديسين

قضيت فريضة الاسلام منها • وصدقت الاماني والظامونا
تهز معاطف القدس لتهابا • وترضى هنك مكة والجحونا
فلولان اليها يطبق نطقا • لئلا تترك ادخلوها آمنينا
جطت صباح أهلها ظلما • وأبدلت الزئير بها أنينا
تقال حجة حوزتها نساء • يخوضون الحديد مقتعينا
ليبيض في جباههم غناء • لتند عمل الطير الحنينا
تميل الى المتفة العوالي • فهل أمست دما أم غصونا
يكاد النقع يذهلها فلولا • بروق القاضيات لما هدينا
فكم حازت قدود قناك منها • قدودا كالتقنا لونا ولينا
وعيد كالخاذ رأست • كتعد نذاك إيكارا وهونا
ولما باكرتها منك نعي • بنان تفضع الغيث الحسونا
أعدت بها اليالي وهي ين • وقد كات بها الايام جونا
فليس بعامد مرعى خصيا • اخوسفب ولأما معينا
فلا عدم الشأم وساكنوه • تلي تنفي بها الداء الدفينا
سهاد جفونها في كل فنج • سهاد ينع التمهض الجفونا
فالهم بالسواحل فهي صور • اليك والحق الهام المتونا
قلب القدس معرور ولولا • سطاك لكان مكتسبا جزينا
أدرت على الفرج وقد تلاق • جموعهم عليك رمى طبعونا
ففي بيسان ذا قوامك يؤسا • وفي صفد أنوك مصفدنا
لقد جاءتهم الاحداث جمعا • كان صروفها كانت كينا
وخاتم الزمان ولا مسلم • فلبست بيمض زمانا حونا
لقد جردت عزمانا صريا • بجذت عن سناه طور سينا
فكنت كيوسف الصديق حقا • له هون الكواكب ساجدنا
لقد أنعت من طلب المعالي • وساول ان يؤوس المسلمينا
وان تك آخرنا ونسلك ذم • فان محمد الى الاخرينا

قال ابن أبي طي حدثني والدي عن أحد التجار قال كنت بالموصل في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فمرت الشيخ عمر الملا
فدخل الدير رجل فقال أيها الشيخ رأيت البرحة في النوم كافي برض غربة لا أعرفها وكانها جملة ما لا تتأخر وكان
رجلا في دمه سيف وهو يقتل المختار والناس ينظرون اليه فقلت لرجل هذا عيسى بن مريم هذا المهدي قال لا
فقلت من هذا قال هذا يوسف ما زادني على ذلك قال فتعجب الجاهل من هذا الذي رآه وقالوا انه سيقتل النصارى
وجبل يقال له يوسف وحديث الجماعة انه يوسف بن عبد المؤمن صاحب القرب وكان المستعبد بالله قدولى الخلافة
ثلاثة السنة قدس بعض الجماعة عليه قال وانبت أنا هذه الواقعة فلما كانت سنة كسرة حطب بن ذكرتها فكان
يوسف الملك الناصر رحمه الله قال وحدثني ظمري من نساء الخليلين كانت تدخل أخت السلطان الملك الناصر
فالت حكاية والدة السلطان فقبرها في نومه وهي حامل بالسلطان فقيل لها ان في بطنك سيف فقام
سيوف الله تعالى

(قصص) في فتح عكا وغيرها وهي بالكاف المجدودة ويدل على ذلك انه يقال في النسبة اليها عكاوي وقد وجدت
ذلك في شعر قديم ومنهم من يقول عكها بالهاء ومثل ذلك حصن مرته وبعضهم يقول عكايا بالالف وظهرت في بعضهم
يقول نهر تور بهاء فقال القاضى ابن شداد شعر لرجل السلطان طابا عكا وكان نزوله عليهم يوم الاربعاء سطر بجمع الاخر

مكتاب (٨٦) الروستين

وقال ليكر الخامس مستهل جدي الأولى فأخذها واستقطن من كان فيها من الأسارى وكانوا زهاء أربعة آلاف نفر واستولى على ما فيها من الأموال والخناثر والبطائع والغنائم فأنها كانت حظنة القصار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والتاصرة وكان ذلك غنائم الرجال بالقتل والأسر قال العماد دوحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التلث والطيب قدما من زمين الحبيث ونزل بدارض لوية عشية وأعاد هلبازهار بنوده وأتوا جنوده وروضة موشيه ثم أصبح مسارا إلى عكا فاشيا بسره بربايهم الذين زره وكان أمير المدينة النبوية صلوات الله على سائرهم في حربه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرا إلى نصرته من يرى بمن يثرب وهذا الأمير هلباز الذين بنى عليه القاسم ابن للهنا الحسيني قد وفد في تلك السنة أول من عهد الحاج وهو ذو شعبة قد كالمراج ومارس مع السلطان ما توارى المائر ميون العصبه مأمون المحبة مبارك الطلعه مشار كافي الوقعة فأتى خ في تلك السنين الإبحوره ولا أشرق مطلع من النصر الانشوره فرايت في ذلك اليوم السلطان مسارا ورأيت السلطان له مشاورا محاورا وأنا أسير معهما وقد دنف منهما لي معاني وأصعبها ولاحتا علام عكا وكان يسير الفرج الممركزة عليها السننم الخوف تشكي وكان غلبات النيران تصاعدت لعلاب أهلها وقد توافرت عساكر الإلام عليهم من دعرها وسهلها وبناشرفا عليها مستظهرين أيقنا بشغها مستبشرين فما كان فيها من محبة فاصدقا كيف غلبها ونحوها وتظهر على السور أهلها لأجل المنانته والتبنا على المدافعه وخفان ألويتا يشمر بقلوبها الخافقه وأرواح جلداهم الزاهقه ووقفتا تأمل طولها ونزول حصولها ونجم السلطان بقرها وراى القتل وانبث عساكره في الوعر والسهل وبناشرفا إليه وقد زنتنا الأطراب تقول متى يجمع المسباح والاصحاب فما يجدنا ولا غفرا ولا وجدنا من الفرج قرارا والسلطان جالس ونحن عنده وهو بعض جنده ويقدم معهم في اقتباس الارزنده ومنان يستبجرو عده ومنان يستبجرو عده ومنان يواصله بالداء ومنان يشافقه بالهناء وأصبح يوم الخميس فركب في خمسة ووقف كالاسدي عزيمته ووقفتنا لجزاء الملبد مقفوا وأطغانا على إطلاقه وقفنا فخرج أهل البلد بظلمون الامان ويذنون الانذان فأمنهم وخبرهم بين المقام والاتقال وهوبهم عسمة الانفس والأموال وكان في فلانهم انه يستبجرو عدهم ويسى خبرتهم ونساعهم وأملهم بالماحتي ينتقل من مختار النقلة فاشتتوا تلك الملهه وفتح الباب القاصه واستبجرو بالذخول إلى البلد جماعة من ذوى الخصاصه فان القوم صامد قوام الخوف المزيج والفرق المخرج كيف يتركون دورهم بما فيها ليلون وعندهم انهم اذا انجوا بأقربهم انهم يغفون فلما دخل الجند ركز كل واحد منهم على دلو رجمه واسم فيلهم رجه فحصلوا على دورا خلاها رايها ولموا خلاها اصحابها وكلاجل الامان نهايها قطاب لا وثقنها بها وجعل السلطان لفتقهم عصى المكارى كل ما كان للدأو ومن منازل وضياح ومواضع ووراع فأخذها بما فيها من غلال ومناخ واستخرجوا الدفائن وولجوا المخازن ودلروا الاماكن وكذلك هالك الملك الافضل وأصحابه وولاته ونوابه بنشوا المحارز وقتلوا الراكر واستباحوا الاهرا واجتاحوا الاشيا وكان السلطان قد قوض عكا وضياحها ومعاقها وقلاعها الى الجبل الاكبر الملك الافضل نور الدين على تذكرك العماد فزع ما استولوا عليه من الأموال ثم قال ومن جملة ذلك انهم احتاطوا بغير على على دار باسمي قباعوا منها ما عابى بعضا من دينار وأخلوها بما كان فيها من الآلات وأنظر وقلدوني المنة في تصصيل تلك الدار فانها كانت من أغنى الدار وسلموها الى غلام صديق لي يصونها ويقيم بحفظها والذب عنها والذفاع دونها فذكر ان الغلام انتفع من آلتها بعد خلوها بما يقتضيه سجون دينارا وان الأزلين تقبلوا منها من الخرافا قال وانما وصفت هذا العلم ما غفوه والتموا على حيازته ولتهمه وقصر الملك المظفر في الدين في دار الكرافة فتمدها واستوعب موجودها ونقل قدورها واحتاضها وحوى جواهرها وأمرها بها وقال في كتاب الفتح حتى سكان البلد دورهم وخزونهاهم وركبوا من أخذها وبسندوا ما حووه لمن حووها وأبغضاها واقتصر من الفرج أغنياء واستغنى من أجناسنا فقرا ولوذرت تلك الحواصل وحصلت تلك الخناثر وجميع لبيت المال تلك المال المجموع الوافر لكن عتلتهم الشدائد وعمدة

في اخبار (٨٧) الدولتين

لنصح المقاصد فرتعت في خضرائها بل في صفرائها وبضوائها سروح الاطماع ومطال استعظيمها واستعظيم الامتاع
بذلك المتاع قال الخالقي وقرئ على السلطان ليلة من كتب الفتح ونحن بالقدس يعني هذا المكان وذلك
سنة ثمان وثمانين فقال السلطان هندي فبعة على ثلاثة اثنان منهم في جوار الزوجه والاخر باقى في مقر الصمصه
يعني بالاثنتين الفقيه عيسى وقتي الدين وبالاخر الباقي ولده نور الدين قال لعمري هو كاذكره لكن الافضل
ما حصل له ولخواصه بل لنحوى اختصاصه واستخلاصه وفتحوا البلد يوم الجمعة مشتمل جادى الاول لختنا الى
كنيسها العظيم فازحاعنا البيومى بالنهى وحضر الاجل الفاضل قريب بها المنبر والقبلة وهي اول جمعة
أقيمت بالساحل بعد يوم الفتح وكان الخطيب والامام فيها الفقيه جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابى الغيب
الشهر وردي ووالا السلطان مناصب الشرع بفتح كاتولى الخطابة والقضاء والحسبة والوقف ومن كتاب خاضل الى
بنداد بعد فتح عكا نصف كمره طين (صبح الخادم طبر قفا قضى عذرتا باليف وحجم عليها بصوم الطيف وتفرق
أهلها بين الأسر والقتل وعالجهم الامير فلم يقدروا على الخداع والختل وجاء الملكش من معه من كفاره ولم يشعرا
ليس الكفر قد ان وقت اسفاره فاصرم الخادم عليهم نار اذات شرار اذكرت بما اعد الله لهم في دار القرار فترجل
هو ومن معه من صهارى الجياد وتسبحوا مضيقا ان تعجزهم من حى السيف الحداد ونصبوا الملك خيمة حمراء
وضعو على الشرك عمداها وتولت الرجال حفظ اطنابها فكانوا اوتادها فاخذ الملك اسيرا وكان يوم ما على الكافرين
عسيرا وأسر الارنس لعنه الله فصد بنذر وقته الخادم يسدو في ذلك نذره وأسر جماعة من مقدى دولته
وكبر اصلائه وكانت القتلى تزيد على أربعين ألفا لم يسبق أحد من الديوبه فقهه من يوم تصاحب فيه القتب
او النصر وتداول فيه القتل والأسر اسد الخادم هنما لخدمة من تفرع عكا والاسلام قد اتسع مجاهله وتصرف
انصاره ورجاله والكفر قد ثبتت أوجاله وذنبت آجاله قال العباد من جلة البشر بكسرة حطين (ولما أحبط بالقوم
وى ملكهم الى جبل يصعد من القوم فاجمعه السيف لا عامم اليوم واستولى الخذلان عليهم بأسرهم وبردت
أبدى المؤمنين بمزق قتلهم وأسروهم ولم يبق لهم باقية وغصت بقتلاهم في الدنيا والآخر أرض الله الواسعه وثار
الله الحاميه غايظا من يصل الى تخيمنا الاعلى رجمهم الباليه وأسر الملك وأخوه وأرويته ومقدموه ولم يفلت منهم
الا القمص وهو مسلوب ولا بد ان نذكره فهو مطلوب وقد كنا نذكرنا ضرب رقية الارنس صاحب الكرك القصار
كافر الكفار ونشيد النار لما رأى انه ضربه عنقه من عساكرنا الى عكا وهي بضمتهم ولوسطهم
ومن كثر دائرة كفرهم وجمع برهم وجرهم قد ساءا بالامان والعزة المقدسة الان بنا نصرخ ونستغيث
وعباد الله الصالحون قد وصلت اليهم بوعد الله الصادق المواريث والشارة بفتح القدس لا تأخر والحلم بعد هذا
الفتح السني على ذلك توغر والحمد لله الذى تم الصالحات بمجده ما يفتح الله الناس من رجه فلا يحسك لها وما يحسك
فلا يرسله من بعده)

(فصل) في فتح نابلس ووجه من البلاد الساحليه بعد فتح عكا وطبريه وذكر بعض كتب البشر الشاهدة
لذلك قال العباد أقام السلطان أياما بعد فتح عكا على القتل عجميا وعلى سائر بلاد الساحل معها وكان قد كتب
الى أخيه الصادل بمصر بما فتحه الله عليه فوصل بمسكه وفتح في طريقه حصن مجدل بيا ومدينة يافا عنوة
ف قصد من عسكر القاصد وفد اليه الوفاذ وأمره السلطان بأن يقيم في تلك الجنبات جامع الكتاب ليجمع به
الواصلون من مصر الاهلين بمعا النصر قال وتوجه عدو من الامراء والعسكر الى انصاره فقتلوا به والبلاد
المجاورة لعكا وطبريه ومضى كل فريق في حرب وآوا بالفتنة والسبي خيرا وب قال فاما الدولة فهي قلعة للداوية
حصينة وفيها ذخائر هسبها أولم فلما خرج الداوية منها وقتلوا الرقيق فيها الاتباع وعلمان فسلوها وجميع
ما يجاورها كدبوز وجنين وزرعين والطور زاد في كتاب الفتح والبصون ويسان والقبون وجميع عكا وطبريه
من الولايات والجزاير وسيلوا والبصنة واسكندرونه ومنوان قال وتوجه مظفر الدين كوكسكري الى الشامرة
فأسبأ حيا وصقرت صفورية من سكانها وتوجه بدر الدين بقرم وقرس الدين فطبع وجماع من الامر الى
قيسارية فاقطعها بالسيف وتسلت بعدها حيفا وارسوف واستولى على تلك النعموس والاقيار والكرسوف

مكتاب (٨٨) الرومانيين

والخسوف وحيفابين عكاو قيسار يعلى البحر قال وأما نابلس فأن أهل ضياعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين وفي تلك العينة مع الفرنج منتظمين وهم يحبون كل عام منهم فرارا ولا يفرحون لهم شرع ولا شعارا فلما عرفوا كسرهم وأنهم لا يرجون جبرهم خافوا من مسكة المسلمين فتفرقوا وكسبهم أهل الضياع في الدور والرباع وغفوا ما وجدوا من الذخائر والمتاع وأوقعوا بضعا فقام وضايقا الحصون على أقربائهم وطلبها من السلطان ابن أخنجه حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين وهو عز يز عند خاله ملئ بفضلها وأفضاله فأقطعه السلطان نابلس وأعمالها وضياعها ونواحيها وقلاعها فوجه اليه بالعسكر فأول ما أتاه على بسطة وقومها مشهد كريا عليه السلام وقد اقتطعوا القساكنية منذ غزاه الاسلام وهو شعبهم المعظم والمشهد المكرم وقد حجبوه بالاستار وحلوه بالفضة والنصار وعينوا له مواسم الزوار وقومته من الزهالين فيه مقيمة ولا يؤذن في الزيارة الا ان معه هدية لها قيمة قد دخله وحوى ما فيه وأبقى ما لا يحسن أن يخلو من مثله المجد وقطع السلطان أبوابه وأظهر للصليين تحريبه ثم سار الى نابلس ففتحها بالامان واستحال من سكانها من ضرب عليه الجزية بعد زمان وأجراهم على ما لهم من التجارة والبنيان وبقيت بيده الى آخر عهده وعمرت بعده وورثه قال العباد وأنشدته يوم فتح القدس قصيدة أوها

استوحش القلب مذ غيم فأناسا * وأظلم اليوم مذ بذمت فأناسا
ما طبت نفسا ولا استحسنتم بعدكم * سبأ نفيسا ولا استعذبت نفسي
قلبي وصبري وغضبي والسباب وما * الفخر من ناسطي كله خاسا
وهكيف يصبر أو يمسى مجتكم * وشوكركم تسولاه صباح مسا
عادت معاهدكم بالجزع دراسة * وإن معهدكم في القلب مآدسا
وكتب أحد من منكم كل داهية * وما دها من الهجران ما حادسا
لما هدت نار شوقي ضيف طيفكم * قرته بالكرى أنزارة مقبسا
ورمت قانيسه حتى وهبت له * إنسان عيني أفديه فأناسا
أنا الخيال نحو لا فالخيال اذا * ما زارو كف يلقى من به التيسا
لحنى على زمن قصيته طريا * أذل أم كن من صروف الدهر محترسا
عسى بعدو شباني ناذروا متى * أرجوا نصارة عود السباب عسا
وشادن يفر من الأسد نازره * فديته شادنا لا لاسد مقترسا
في العطف لين وفي الالهة شوس * بالين عطفه جنب خلقه الشوسا

ومنها في المدح

إن بان لبس مضينا لاجئين الى السفى الحسامين لاجين نابلسا
يمت اعداؤه وبأسا وأثاله * بجي رجا الذي هي نجه أيسا
مزمق المازق للمنسوج عشيره * وقد عا اليوم ليل الكقع فأنظما
لازلت مستويا فوق الحصان وفي * حصن الحفاظ ومن عاداك متكما

وسبق من أيضا أسات عند فتح القدس في مدح السلطان صلاح الدين رحمه الله وس كتاب عن السلطان الى سيف الاسلام أخيه (ك تبتأنا العادل أن يدخل بالعسا ك المصربة من ذلك الجانب فلما بشر بكسر الفرنج وفتح عكا وطبرية كان قد وصل الى الصوادي بخاز العرش وزار الداروم وأجملت قتامة البلاد ووصل الى يافا هتعا عنوة ثم حصر مجدليا فطلب منه الامان وقد اشتغل القتم على البلاد المعينة بعدوى

طبرية عكا الزيب مطليا لسكندرونه تبتين هوتين الناصره الطور صفورية القول جينين اربعين دبورية عفريليا يسان بسطه نابلس البجون لريجا سنجل البيرة يافا ارسوف قيسارية حيفا صرفند صيدا بيروت قلعة أبي الحسن جيبيل مجدليا جبل الخليل مجدليا حباب زلداروم غزه عسقلان تل الصافيه التل الأحمر الاطرون بيت جبيل جبل الخليل بيت لحم

لذ الزملة قربنا القدس صوبا هرمز سلع عقرا الشقيف قال ولما يذكر ما نقلناه من القرى والضياع والاراج الحصينة الجارية بحرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من هذه البلاد التي ذكرناها اعمال وتقرى ومزارع وامكنة ومواضع قد جاسوا خلخالها واستوعبوا غنائرها وغلاها قال المجاهد ما انشأته من شرح الفتوح وكتب به الى الديوان وبدأ بقوله تعالى (ولقد كتبنا الى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها اعبادي الصالحون الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين المنيع من قبل ومن بعد وجعل بعد عشرين سنة وقد أحدث الله به ذلك أمرا وقرن الامر انى ما ركن الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوطلا الدين بقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى قالوا في عصر النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والاخرى هذه التي عنت فيها من رقة الكتاب به فهو قد أصبح حرا ريان الكيد اذرا والزمان كهيته استدار والحق يبعثه قد استنار والكفر قد قوما كان عنده من المتاع المستعار قال الحمد لله الذى أعاد الاسلام جديا ثوبه بعد ان كان جديدا حمله مبيضا نصره مخضرا فصله منقشا فضله مجتمعا حمله والحامد يشرح من بناء هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين وينجى الجبور لكافة المسلمين ويود البشرى بما أنعم الله بهم يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر الى يوم الخميس منسحقه وثوب سبع ليال وشمانية أيام حروما نصرها الله على الكفار فترى القوم فيها مصرى كأنهم أعجاز نخل خاوية وادارت ثمر رأيت البلاد على عروشها خالية وأينها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية فيوم الخميس الاول ففتحت طبرية في يوم الجمعة والديت نزل الفرج فكسر والكسرة التي ما هم بعد ما فاتقه وأخذ الله أعداءه ما يدي أواباته أخذ القرى وهي ظالمه وفي يوم الخميس منسحق النهر ففتحت عكا بالامان ورفعت بها اعلام الامان وهي أم البلاد وأخت ارم ذات العمداء وقد اصدت هذه المطالع قوس صليب الصليبيات مأسور وقلب ملك الكفر الاسمر بجيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذى كان في يد الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديد اسماء يدوق خطوط الكفر عن الاقدام وأنصار الصليب وكبارهم وكل من المعجدين بمعدته والدير داره قد أعطيت بيد القبيضة وغلق رحته فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت اعلام الاسلام عليها ونكت من عكا ملك الكفر على عقيها وعمرت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يومها وقد صارت البيعة مع ماجد يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذاهب موافق لخطباء المنابر واهتزت أرضها لموقف المسلمين فيها وبالمنازل تجت لموقف الكفار فأما القتلى والاسرى فانهما يزيد على ثلاثين ألفا وأما فرسان الداوية والاستبارية فقد أمضى حكم الله فيهم وقطع بهم وق نار الجحيم ورجل الراجل منهم الى الشقاء المقيم وقتل الابرص كافر الكفر ونشيد النار من يده في الاسلام كما كنت يدالكلم والبلاد والاماقل التي فتحت هي طبرية عكا الناصرة صفورية تيساربه نيلس حيفا معليا النولة الناور الشقيف وقلاع بين هذه كبيرة والملك المظفر تقي الدين ظفر بالله مضايق لاسرور وحسن تبين والاخ العادل سيف الدين نصره الله قد كتب بالوصول من عندهم من العساكر ليزيل طرقه على غزوة سقلان ويجهز ما اكب الاسطول المنصورة الى عكا وما يتأخر التوضو الما للقدس فهذا هو اوان فقه ولقد ادم عليه ليل الضلال وقد ان بصرفه الهدى عن صجحه

(فصل في فتح تبين وصيدا وبيروت وجبل وغبرها وهي المركب الى صور قال المجاهد ارسل السلطان الى تبين لابن أخيه تقي الدين خضيتها وكتب الى السلطان أن يأتيه بفسه فوصل اليها في ثلاث مراحل ونزل عليها يوم الاحد الحادى عشر من جمادى الاولى فراسلوا السلطان وسألوا الامان واستعملوا خمسة أيام ليسزوا بأموالهم فاهلوا وبلدوا رهائن من مقدمهم وروا بما بذلوا وتقرىوا بطريق الاسارى المسلمين فخرج الاسرى مسرورين فسر بهم السلطان بسرهم وأفرهم وقرهم وكساهم وحباهم وآتهم بعدد زعمى ما غنمهم غناهم وهذا دأبه في كل بلد يفتحه وملك ربحه ان يبدأ بالاسارى فيغلق قيوها ويعيد دعمها ووجودها فخلص تلك السنة من الاسرى أكثر من عشرين ألف أسير ووقع في أسرهم من الكفار مائة ألف ولاحقوا القلعة وأحسوا البقعه سيرهم ومعهم من العسكر المنصور من أوصلهم الى صور وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى وكان شرط عليهم تسليم القلاع والادواب والخزائن وقال القاضي ابن شداد فتحها السلطان عنوة وكان بهار جبال ابطال

كتاب (٩٠) الروضتين

شديدون في دينهم فاحتاجوا الى معاناة شديدة وضراقة عظيم وأمر من بقي بها بعد القتل ثم رحل منها الى مدينة صيدا فأنزل عليها ومن القديس لها وهو يوم الاربعاء الحادى العشر من قال العباد سمعت له صيدا تصدى لصيدها وكانت همة في قيدها وبادر بالانقاص مكر العداة وكيدها ووصلنا في يومين الى صيدا الى منزل فقها صادين وعن حى الحق دونها لاهل الباطل صادين ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل مواتوع وصفان الامر ما ظن انه تكدر فصرنا الى الاعتناء الى صرفه وهى مدينة لطيفة على الساحل موروثة للمنازل ذات بساتين وأشجار ورياحين وازهار فأخذناها وخيمنا على صيدا وقديت برسول صاحبها فأتيناها وطلعت الازياء الصفرى على سورها وأقيمت بها الجمعة والجماعة واستدعت بها بعد العصيان لله الفاعه ثم سار في يومه على سمت بيروت فنزل عليها يوم الخميس وضابطها وحاصرها ثمانية أيام ثم طلبوا الامان فأمهم ونسبها يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى وهو من العاد فاملى كتاب صلح بيروت ورجع الى دمشق للحداد ثم وجد الشفاء وعاد الى السلطان يوم فتح القدس كاسياتى قال وسمت بيروت بحضورى فكان من سبب ابلاى سرورى بقهوى وحبورى ونج منها ومن فلعلها الفرخ واملأ بهم الى صور النهر وعاد الاسلام الغرب فيها الى وطنه وتوطن الذين بها في أمانته وسكن في مسكنه وأما جليل فان صاحبها أولئك كان في جملة من نقل الى دمشق مع الملك الاسير فضاقت ذرعا بسجنه الذى يقبل له فيه عذاب السعير فحدث مع الصفي بن القبايض في أمره وراح اليه سره وقال الملك في أسرى فأنه ولا غنىة على فتح جليل زائده وأبأ أهلها بشرط سلمتى فخذوها ولا تفقدوا فقد قامت قبايتى فانهم الصفي حاله واستصوب ما قاله فأمر بأحضار في قيده والا حتر من كيده فوصل به ونحن على بيروت فسلم جليل وسلم ورجع فجله وغنم ومضى اليهم من تولاهما ونازل منها صاحبها وولاهما وبعها ففتح بيروت وتولاهما فانتظمت هذا البلاد المتناصفة بالساحل في ذلك من الفتح فتسوق وأمر من الاستقامة متفق وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجليل مسلمين مساكن لساكنة الفرخ مسلمين فذاقوا العزة بعد الله وفازوا الكثرة بعد الله وصدقت البشائر وصدحت المنابر وظهر عيب البديع وشهر جمع الجمع وقرئ القرآن واستطاب الشيطان وخربت النواويس وبطلت الكواكب ورفع المسلمون رؤسهم وعرفوا نفوسهم وكان كل من استأن من الكفار بمضى الى سور محي النصارى فصار من عرش غشهم ووركمهم وملكهم طريدهم ومخبرهم ريدهم وهى التى فراقص اليها يوم كسرتهم بل يوم كسرتهم ولما عرف القمص ذرب السلطان منها اخلاها واخلها وأوى الى طرابلس وثوابها فامتع بمملكه وكان كما قيل (راح يبنى نجوة من هلاك فهلك) وتوضعت صور عن القمص بالمركب كى يتعوض عن الشيطان بالبلد فأدرك نمار الكفر بعدما أشقى وأيقظ روع الروع بعدما أغنى وضبط صور من فيها من مهزومى الفرس ثم ومنفيا وكان المركب من أكبر طواغيت الكفر واغول شياطينه واضرى سراحيته وأخذت ثابته وانجس كلابه وهو الطاغية الداهية الذى خلفت له ولأمنه الهاوية ولم يكن وصل الى الساحل قبل هذا العام وانفق وصوله الى ميناء عكا وهو مفتوحاها ومن فيها من المسلمين ذاهل فغزم على ارساء السفينة بالمينا ثم نجب وقال مازى أحد امان أهلم ابنتينا ورأى زى الناس غير الزى الذى يعرفه فارتاب وارتاع وحدث عن الدخول توقفه وبان تنذره وتأخر تغذره وسأل عن الحال فأحبرهم ففكر فى النجاة والهاجر أكد والقضاء عنه راقد فانه لو خرج اليه مركب لآخذه ولو وقف له فاصد لوقته فاحتمل كيف يخرج بسفينته ولا يدخل مع قدس كينته فقال عن متولى البلد وقال خذوا الى منه أمانا حتى أدخل وأرفع ما معى من المتاع وانقل ما عندى من الثقل فجئ اليه من الافضل بالامان فقال ما أتق الاخطأه ولا أنزل الا بعهدته الى بلده وهو يتنظر جيوب الرحى المواقفة فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى واقفته الرحى فأقطع واغلت من الشرك بعد ما وقع وصار في صور فزم الامور وجرأ الكفر بعد خوره وبصر الشيطان بعد عماه وعوره وأرسل رسله الى الجزائر ووزى الجزائر يستعدى ويستعدى ويستودع له الصليب عبادته ويسترى ويستثير ويستزير ويستنفر ويستنصر وثبت فى صور وثبت وجمع اليهم من الفرخ من قشت وما فتح بلد بالامان الاسرار له فى حفظ السلطان حتى يصبروا

بصور ويأتونوا المحذور فاجتمع اليها أهل البلاد المفتوحة بالقلوب المقفلة المغلوبة المقروحة فامتلات وكانت خالية وانتاشت وكانت باليه وتعللت وكانت معته وتعتقدت وتعتجل بها فآخر فتحها فاستحدثت مقابله وتصبعت بعدد مقابله السهل والمهي عن طلبها طلب ما هو أشرف وهو البيت المقدس فان فتحه من كل فتح أنفوس والمركيس في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكه ويعقد الموتى ويبرمه ويجمع المتفرق وينقحه

(فصل ١٠) في فتح عسقلان وغزة والداروم وغيرها قال الناصر لما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل ثنى عنه انه اذا على صد اودر قند وجاء الى دارناظر اليها وتابرا عليها في مكثت بأمرها ولا تمكث في حصرها ودلته الفراسة على ان يحاوتها تصعب وحرزها وتهاجب وليس بالساحل بلد منها أحسن فغطف الاعنة الى ما هو منها أهون وكان قد استحضرت ملك الفرج ومقدم الداوية في قيودها وشرط معها واستوثق منها انه يطلقهما من الاسر والتبليه متى تمكن باعائتهما من البلاد البقية وعبر والعيون صورا الى صور وملك المركيس انه بها محصور محصور فلما أرخى من وثاقه واتسع ضيق خناقته خلق في مطار اوطاره وحرك لغواته أوتار اواره واجمع السلطان بأخيه العادل وانتقاعا على المراحل وشر القسائل فنزل على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وشديدها تدلان فقبل من بها على الحصار وتصوروا صبروا فغضب السلطان عليها جاقق وورما هم بها وجسر النقب خسر النقب وباشر الباشورة فرغ الجباب واشتد القتال واحتد المصال ورأسهم عند ذلك الملك المأمور وقال قد بان عذركم بين ثقب السور وجرت حالات وتكررت حالات وقال لهم الملك الاسير لا تخلفوا ما به اشير واحفظوا رؤسكم فهو رأس مالك ولا تخفوا واغري بالسلك فان اذ انقلصت خاصيت واذا استغذت استغذت وخرج المتقدمون وشاور الملك ونصحوا في التسليم فجمعهم الى ذلك وسلموا عسقلان على خروجههم بأموالهم سالمين واستوفوا بذلك الميثاق واليمين والاب يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة فخرجوا انسابهم وأموالهم ومضى استشهد على عسقلان من الامراء الكبار حسام الدين ابراهيم بن حسين المهراني وهو أول أمير افتتح بالتهادة واختتم بالهامة وكان السلطان قد أخذ في طريقه اليها لملمة وتبين بيت لحم والحليل وأقام بها حتى تسلم حصون الداوية وغزة والنظرين وبيت جبريل وكان لما استعجب معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلمها نزلهم أطلقه فسلم هذه الواضع الوقيفة كما أخذوا منه كذا قال العبادي في كتاب الفتح وقال في كتاب البرق وما ربح السلطان فيها ما ظاهرها عسقلان حتى تسلم المعازل المجاورة لها والبلاد المحيطة بما بينها فذكر الداروم وغزة والملمة وتبين وبيت لحم ومشهد الحليل عليه السلام ولد وبيت جبريل والنظرين قال ابن شداد لما فرغ من هذا السلطان من هذا الجانب يعني ناحية بيروت رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها وما ربح لان العسكر كان قد تفرق في الساحل وذهب كل انسان ياخذ لنفسه شيئا وكانوا قد ضرر سوا من القتال ومن ملازمة الحرب والزلزال وكان قد اجتمع في صور يصر الله فتحها كل فرنجي بقي في الساحل فرأى قصد عسقلان لان أمرها كان أيسر وتسلم في طريقه مواضع كثيرة كالملمة وتبين والداروم فأقام عليها المجهنقات وقتلها قتل الشديدا وسلبها الخ جمادى الآخرة وأقام عليها الى أن تسلم ابيها غزة وبيت جبريل والنظرين وغير قتال قال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فان العدو لم يكها في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسائة وذكر ابن القادسي نسخة كتاب كبة السلطان الى بعض أهل وقية (انقلنا الى الجانب الذي فيه القدس وعسقلان ففتحنا قلاعها وحصونها جميعها ومعاقلها يجهلها ومدنه بأسرها وهي حيفا ونيسارية وارسوف وياقاف والملمة ولد وتل الصافية وبيت جبريل والدير والحليل ونازنا عسقلان وهي المعقل المنيع والحسن الحصين والتل الرقيق وفيهم من القوة والعدو ما انتقامه الامال عن نيل مثله فافتحنها سلا لتمام اربعة عشر يوما من يوم نزولنا عليها ونصبت اعلام التوحيد على ابراجها واسوارها وعمرت بالمسلمين وخلت من مشركيها وكفارها وكبر المؤذنين في اقطارها ولم يبق في الساحل من جبيل الى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور والعزم معهم على قصد القدس فالتجسس به ولم يجعله فاذا يصر الله تعالى فتح القدس ملنا الى صور والسلام) وفي كتاب آخر تقدم ذكر بعضه قال (وقد تفرق العسكر وتوجه قوم الى القدس وابن زير الدين وتقي الدين نازلا على صور وفتح هونين بالسيف وتبين

بالسيف واسكدر ونه بالسيف وفي كتاب آخر (وتزل على صور وكاتبهم ملك بيت المقدس يطلب الامان فقال له صلاح الدين انما اعيى اليكم فقال له انمخروني على نجمك ان تدخل بيت المقدس وتذهب عين واحدة منك فقال قد رضيت بأن أعيى وأخذ البلد) قال (ولمعه من ذلك الاثم صوروا هي شيء يقف عليه وقد خطب لامر المؤمنين الناصر حين اقبله على ثلاثين منبراً من بلاد الحج) قال العماد وفوض السلطان القضاء والحكم والحاكمات وجميع الامور الدينية بحديث عسقلان. وأعمالها إلى جمال الدين أبي محمد عبد الله بن عمرو الدمشقي المعروف بفاضل اليمن قال ووصل إلى السلطان من مصر ولده الملك العزيز عثمان واجتمع به على عسقلان فقرر عينه ولده واعتضد بصدده ووضع يده بتأييده في يده وكان قد اتدعى بالاسما جل المنصور فوافقت كافتح الصخر واسر بالفلك للمواخير وجاءت كائنها امواج تلاطم امواجاً وافراج تراحم افواجاً تدب على البحر عقاربها وتقب كقطع الليل سحائبها لزوجة تمها ومقدماها وضغام غايها وهماها فطفق بكسر وكسب ويسل ويسلب ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه وسباق ذكر كذا ان ساءلته تعالى

ففتح البيت المقدس سره الله تعالى

قال القاضي ابن شداد لما تسلط السلطان عسقلان والامام حسن المحيط بالله درس شعر عن سابق الجند والاجتماع في قصده واجتمع اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد هزاه لياتهم من النهب والغارة فسار نحوهم معتمداً على الله موقفاً أمره بالله متمتزا فرصة ففتح باب الحبر الذي حث على انتهاز ما اذا فتح بقوله عليه السلام (من فتح له باب خير فليتز به فانه لا يعمى بفتح دينه) وكان تزوا على مقدس الله روحه يوم الاحد الخامس عشر من رجب فدخل بالجانب الغربي وكان مشغولاً بالمالا له من الخيالة والارحالة ولقد تهازل راسل الخيرة عسقلان من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على سائر القاماعا النساء والصبيان ثم انتهل رحمه الله تعالى لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي وكان انتفاخ يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب عليه المنجنيقات وضابته بالرشق والقتال وكثر المارما حتى أخذ القنب في الدور على وادي جهنم في فترة شمالية ولما رأى أعداء الله منازل بهم من الامر الذي لا يندفع ونظرت لهم ما وارت نصره الحق على الاطل وكان قد أتى الله في قلوبهم مجارى على ابطالهم ورجلهم من السبي والقتل والاسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والخذل عموالهم إلى ما صار والله صائر ووبالسيف الذي قتل به اخوانهم يقتلون فاستكاثوا وأخذوا إلى طلب الامان واستقرت القاعدة بالمواسلة بين الطرفين وكان تسلمه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليته كانت ليله المراجح المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الاسرا انبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى تلت خفا أحد الاقوال في ليلة المراجح وفي ذلك اختلاف كبير ذكرنا في مواضع غرضنا والله أعلم ثم قال القاضي وكان فرحاً عظيماً بما شهد من أهل العلم خلق عظيم ومن ارباب الحرب والمرف وذلك ان الناس لما باه بهم ما من الله به على يد من فتوح الساحل شاع قصده المقدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معر وف عن الحضور وارتفعت الاصوات بالهتاف والنداء والتكبير وخطب فيه وصليت في الجمعة يوم فقه وسط الصليب الذي كان على قبة المنصور وكان شـ كلا عظيماً ونصر الله الاسلام بنصر عزيز مقدور وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمس دنانير وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينار واحدا قلت كذا انال وسأني في كلام السباد ان على كل صغير دينار وكذا قال ان الجمعة صليت بيت المقدس يوم فقهه وبسبب أي في كلام العماد التصريح بأن يوم الفتح ضاق عن ذلك فصليت في يوم الجمعة الا في ثم قال القاضي في أحد خبر الفتيحة سلم بنفهموا الاخذ اسرا وفتح الله عن كان فيه من أسرى المسلمين وكانوا قد احتجزوا هذه ثلاثة آلاف نفس وأقام عليه رحمه الله جميع الاموال ويقرها على الامر والعلما ووصل من دفع قطية منهم إلى ماءه وهو مور قال وقد بلغني انه رحمه الله رحل عنهم ليقب معهم فلك المال شيء وكان ما في الله دينار وعشرين ألفاً وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وخمسين كاسياني

في اخبار (٩٣) الدولتين

(فصل) هذا الذي ذكره القاضي في أمر فتح بيت المقدس مختصرا بما عايناه ووسطه العماد فقال رجل السلطان

من عقلائه قدس طالبا وبالعزم غلبا والنصر مصاحبا ولذيل العز ساحبا والاسلام خطب من القدس عرسا وببذل الحافى المهر نفوسا وبحمل الميثاقى يحمل عننا موسى ويهدى بشرى ليذهب عروسا ونسمع صرخته الصخرة المستدعية المستعدة لآلائها على أعداها واجابة دعائها وتلبية ندائها واطلاعه زهر الصابغ في ثماثها واعادة الايمان القريب منها الى وطنه وردا الى سكونه وسكنه واقصاء أعداء الذين أقصاهم الله تعالى ببلعنه من الاقصى وجلب قباذقه الذى امتعنى واسكات انما قوس منه بانطاق الاذان وكف كهالكفر عنه بايمان الايمان وقطه به من أنجاس ثياب الاجناس وأدناس أدنى الناس وطار الخبر الى القدس فطارق قلوب من يبرغوا واطاشت وخدقت أقدنتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت وتغنت الفرخ لما شاعت الاخبار انها عاشت وكان به من مقدى الفرخ بالدين بن رزان وهو ملكهم فى السلطنة ابن رزان والبطرك الاعظم وهو النشافى العظيم الشأن والذين أعطتهم حياة حطين به من الانسان الذابيه والاسنارية والبارونية من ذوى الكبر والشأن وقد حشر واوحشوا وشؤوا ووشدوا وحجتهم واتت الضمى آتيتهم وحارت غيرتهم وغارت حيرتهم وتلدوا وتلدوا وقاموا وقعدوا وضؤوا ووضدوا فاشتغل بالبيان واشتغل بالنيران وتحدث بنظر البطرك وضاقت باقوم منازلهم فكانت كل دار من مشارك للشرك وقاموا والتقدير فى مقام الدبار وتغمت افكار الكفار وايس الفرخ من الزنج وأجمعوا على بذل المائج وقالوا اننا نطرح الرؤس ونسلو النفوس ونسفك الدما ونهلك الذهبا ونصبر على ارتعاق القروح واجترأ الجروح ونسبح بالارواح نحا عمل الروح فبهذا الماكن فيها قامتنا ومنها تقوم قيامتنا ونضع هامتنا ونضع ندامتنا ونسبح علامتنا وبها غرامنا وعلينا غرامتنا وبأكرامها أكرامتنا وبسلامتنا سلامتنا وباسقامتنا استقامتنا وفى اندامنا استدامتنا واذا تخلفنا عنها لم نمت لامتنا ووجبت ملامتنا فقبها المصلب والمطلب والمذبح والمقرب والمجمع والمعبود والمهدى والمرقى والمربى والمثرب والملاعب والمحق والمذهب والمطعم والمقطع المرمى والمرع والمرخم والمخترم والمحلل والمخترم والصور والاشكال والانذار والامثال والاشباه والاشباح والاعده والالواح والاجسام والارواح وقبها عور الحواريين فى حوارهم الاحبارى بأخبارهم والزاهبين فى صوامعهم والاقصاء فى جامعهم والصحرة رجاها ومثال السيد توالسيد والميكل والمولد والمائدة والحوت والمهوت والخوت والمليذ والملم والمهد والاصى الملم وصورة الكيش والجار والجنه والنار والتواقيس والتواميس والواو فيهما صلب المسيح وقرب الدبج وتقدس اللاهوت وقالة الناسوت واستقام التركيب وقام الصليب وتزل انوار رول الذبجوار وادرجت الطيعة بالانوم واترج الموجد بالمعدوم وعمدت عمودية العبود ومخضت البتة بالمولود واضافوا الى متعبهم من هذه الدلالات ماصلا وفيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ساموت وعنى خوف فوتها ما نفوت وعنها ندافع وعليها نتقارع ومثالا لنقاتل وكيف لا نتازع ولا نازل ولاى معنى تركهم حتى تأخذوا ونذعهم حتى يستحلوا ما استحلصناه منهم ويستنقذوا وتأهبوا بانهاؤا وامتثالوا بل فناعوا ونصبوا الجناحيق على الاسوار وستروا بطيات الستار وجوه الافاز واستشاطت شياطينهم وسرحت راحيتهم وطلعت طواغيتهم وأعلنت مصالبتهم وهاج هائجهم وهاج الحميم وحضتهم قدوسهم وحضتهم رؤسهم وحركتهم نفوسهم وجائتهم بخوى السوء وجايسهم ونصبوا على كل نيق مخيفنا وحفروا فى الحقد حفرا عمقا وشادوا فى كل جانب ركناوينا وفروا على كل برج فرسا وجعلوا الى كل طارق بالردى لى لى وطريقا وأعادوا كل نوح واسع بما عورده وعورونه مضيقا ونجل كل منهم ما لم يكن له من قبل مطيقا ونرج جماعتهم على سبيل اليك فادجوا ليللا واعرضوا عهدهم من أنجاسنا غاره على طريق السلامة وكان قد شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحضر ولا تحترم وما ظن ان قدماه من لهجاء الاقدام ومن يهتقد ان ربح كفرة خسارة الاسلام وهو الامير جمال الدين شروين بن حسن الزرزارى فوقه واعليه فى موضع يعرف بالقبليات فاستمر على رجه الله ولما بلغ السلطان خبره ساءه موغى ثم أتبل بالسلطنة وأبطل شجاعته وأبطل أولاده وأخوانه وأشباه مالهيكه ونمائه وكرام أمرائه وعظما أوليائه وأصبح يدأل عن الاقصى وطريقه الأدنى وفريقه الاسنى ويذكر

ما فتح الله عليه بحسن فقهه من الحسنى وقال ان أمة الله على انخراج أعدائه من يده المقدس فالأمة ما أوى يده
عندنا إذا أدينا وأنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يقبل الله فيه من عابده حسنة ودامت لهم الملوك
دونه من حسنة وخلت القرون عنه متخيلة وخلت الفرج به متولية فماذا خرافة فخره في هذه الآلة أيوب ليجمع
الله لهم بالقبول القلوب وكيف لا يهتم بفتح البيت المقدس الأقوى والمجد الأقصى المؤنس على التقوى وهو
مقام الأنبياء وموقف الأولياء ومعبد الائتلاف ومن أرباب الأذى وملأ مكة السماء ومنه المحشر والمشرق وما قد
اليه من أولياء الله المعسر بعد المعسر وفيه الصخرة التي صفت جدتها باجها من الانهيار ومنها مناجى المعراج
لها القبة السماء التي هي على رأسها كالشاح وفيه ومض البرق ومضى البراق واضاعت ليله الاسراء بحل السراج
المنير فيه الاتقان ومن أبواب باب الرحمة الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول إلى الخلود وفيه كرسي سليمان
ومخراب داود وفيه عين سلوان التي تمثل لوارد حامن الكوثر الخوض المورود وهو أول الأنبياء وثاني البيت وثالث
الحرمين وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي بأنها شدة إليها الرجال وتنفذ الرجاء بها الرجال ولعل
الله يعيدها إلى أحسن صورة كما تشره ذكره مع أشرف خلقه في أول سورة فقال عز من قائل (سبحان الذي
أسرى بعبد له من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) وله فضائل ومناقب لا تحصى ومنه كان الاسراء
ولارضه ففتح السماء وعنه تؤتى أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء ومشاهد الشهداء وكرامات الكرماء وعلامات العلماء
وفيه مبارك المبار ومسارح المسار وصخرة الطولى والقبلة الأولى ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة
العالية وعند هاصلي نبينا بالنبين وسميت الروح الامين وصعد منها إلى اعلى عيسى وفيه محراب مريم عليها
السلام الذي قال الله فيه كما دخل عليها كزيا المحراب ولها به العبد ولي الله الحيا وهو الذي أسسه داود وأوصى
بنيانه سليمان ولاجل اجاله انزل الله سبحانه سبحانه وهو الذي افتحه الفاروق وافتتحته به ورثة الفرفان
فيما أجله وأعظمه وأشرفه وأغنىه وأعلاه وأحسنه وأكرمه وأعين بركانه وأبرك ميامينه وأحسن حالته
واحلى محاسنه وأرين مباحجه وأجمع مزاياه وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله الذي باركنا حوله وكفيسه من
الآيات التي أراها الله نبينه وجعل مع معوناتنا من فضائله مروي به ووصف السلطان من خصائصه ومن آياه ما وثق
على استعداده الآيه ما وثقه وآله وأقيم لا يبرح حتى يرفعهم ويرفع بأعلاه عنه وتحظر إلى رياره موضع القدم
النبوية تدمه وتضي إلى صرخة الصخرة اذنوا اروا ثقبكم بالذنبر

(فصل) في نزول السلطان على البيت المقدس وحصره وما كان من أمره قال العماد انزل السلطان على
غري القدس يوم الاحد خامس عشر رجب وكان في الفـ قدس حيث من الفـ يستون ألف مقاتل من فارس
وراجل وساق وبابل فاستهدفوا للسهم واستوقفوا للعمام وقالوا ان واحدنا بعشرين وكل عشرة بعشرين ودون
العمامة تقوم انقيامه وبحسب سلامتها قل السلامة وأقام السلطان خمسة أيام بدور حول البلد ويقسم على حصاره
أغل الجبل وأبصر في شماليه أرضا رصيفها للحصار متسعة المجال للاسماح والابصار ممكنة لادقونه للثقب ان صار من
سير الانصار فانتقل إلى المنزل الشمالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب فما أصبح يوم السبت الاعلى مخيمقات
قد نصبت بالانصب قدام القتال والنزال وفرأ منهم في كل يوم يباشرون دون الجاشورة امام جوعهم المحصورة
المحسورة المحسورة ويرزون ويسارزون وبطاعتون ومحاجزون والمندمون لله عليهم يحجلون ومن دماهم ينجلون
وينجلون كما قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ومن استشهد مبارزا ولم يشهد بينه وبين
الجنة حاجزا الأمير عز الدين عيسى بن ملط كان أبوه صاحب قلعة جبر فانه حارب لها في فتح المحشر المنجز وأكرهه
الموت إلى ان ورد الكوثر وكان في كل يوم يفرس فوارس ويليقي يشروجه موجوده للذون العوايس فاغتم المسلمون
من ممرته وهان عليهم اتلاف المهج بعد اتلاف مهجته فركبوا كلف الالهج حتى وصلوا إلى الخندق فخرقوه
وبدوا جمعهم وفرقوه والتفقا باله فرقتهم وعلقوه وحشروا حرقوه وصدقوا وعمل الله في القتال لاعدائه وصدقه
ولما غصتهم الحرب ووقع السور واتسع النقب فصعب عليهم الهين وهان لنا الصعب عقدوا ما جهم مشور وقعدوا
ما بينهم ضرره وقالوا ما لنا الا الاستئمان فقد أخذنا بخطة الخذلان والحمران واخرجوا كبارهم ليؤخذوا لهم

في أخبار (٩٥) الدولتين

الامان فأتى السلطان الاقنالم وتدميرهم واستصاهم وقال لا أخذ القدر الا كما أخذوه من المسلمين منذ احدى وتسعين سنة فانهم استباحوا القتل ولم يتركوا طر فاستترسوه فانافى رجالهم قتل واحوى نساءهم مديا في رازان بارزان ليأمن من السلطان بموته وطلب الامان لهومه ونفع السلطان وتساعى في سومه وقال لأمن لكم ولا أمان وما هو ان الا ان نديم لكم الهوان وناخذكم ككم قبرا وتوسعكم قلا وأسرا ونسفكم من الرجال البما ونساط على النزية والنساء السبا وأبى في تأمينهم الا الا با فتعزضوا للتضرع ونوقفوه عاقبة التضرع وقالوا اذا أنستنا من أمانكم وخفنا من سلطانكم وخفنا من احسانكم وأبقنا انه لا نجاة ولا نجاح ولا صلح ولا صلاح ولا سلام ولا سلامه ولا نعمة ولا كرامة فاننا نسقل شفاقتك قتال الدم والتدم ونقابل الوجود بالعدم ونلقى أنفسنا على النار ولا تلقى بأيدنا الى التهلكة والعار ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة وانا تحرق الدور ونحرب القبة وتركنا عليكم في سينا السبه ونقل الصخرة ونوحدكم عليها الحصرة وقبة الصخرة ترميها وعين سالون نعيمها والمصانع تحسها والمطالع تكسها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكر ووصير فبدأ يقتلهم وشت شملهم وأما الاموال فاننا نعد بها ولا نعطها وأما الدراري فاننا نمارع الى اعدامها ولا نعتبها فلا يحصل لكم سبي ولا يقبل لكم سبي ولا يسلم عرو ولا عماره ولا نضار ولا نضاره ولا نساء ولا صبيان ولا جمار ولا حيوان فأى فائدة لكم في هذا الشئ وكل خسر لكم في هذا الرج ورب خيبة جاءت من رجاء النجح ولا يصلح الدوسوى الصلح فشاور السلطان أصحابه فقيل له الصواب ان نخسبهم اسارى فتبعضهم بنفوسهم ونعم لصغار الجزية رؤسهم ويدخل في القديعة من رؤسهم ورؤسهم واستقر الحال بعد مر اودات ومعاودات ومعاوضات وقبوضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطعة تكمل بها القبطه ويحصل منها الحوطه اشترى باهنا أنفسهم وأموالهم وخلصوا بهار رجالهم ونساءهم وأطماهم على انه من يجز بعد اربعين يوما عازمه أو امتنع منه ومنه ضرب عليه الرق ونبت في تملكه لئلا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمسة وكل صغيرة أو صغيرة دنانير الذكر والانثى فيما سبان ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدم الداوية الاسدي في هذا الضمان وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وقام بالاداء ولم يتكلم عن الوفاء فن سلخ ج عن يده أمانا ولم يعد اليها كذا وسلموا لاد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة وردو بال رغم والغصب لا الوديعه وكان فيه أكرم مائة ألف انسان من رجال ونساء وصبيان فأغلقت دونهم الابواب وربلحرضهم واستخرج ما يلزمهم النواب وكل بكل باب أمير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصر الداخلين فن استخرج منهم جرح ومن لم يجرم عليه فقد في الحبس وعدم الفرج ولو حفظ ذلك المال حق حفظه لغازمه بيت المال بأوفر حفظه لكن تم انتميط وعم التخليط فكل من رشاشى وتنسكب منها هيج الرشدا بالرشا فتم من ادنى من السور بالحيال ومنهم من حمل مخفياتي الرجال ومنهم من غيرت لبسته فخرج مخفيا يرى الجسد ومنهم من وثقت فيه شفاعته طاعلم تقابل مالد والثقافة الاكابر استنابوا اصاغرا فقاموا و تقصيرهم المعاصر وقنوا لانفسهم الدخائر وأدعى مظفر الدين كوكبرى ان منهم جماعة من أرم الرضا وعددها ألف نعمة فجعل الله امرها وكذلك صاحب البيرة أدعى ماعدته الكثرة زهاء خمسمائة أرمي ذكر انهم من يله وان الواصل منهم الى القدس لاجل متعبده وكذلك كل من استرهب عدة استطلقها وحصل له امر فقها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الاداء منها جهم وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والاخراج وتوفر لامة الناس وخاصتهم بجهة سماحة الانتهاج وما فينا الامن فاز باوى نصيب ورعى منهم في امرى خصب وكان السلطان قد ترب عدة واوثر في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين وفيهم من الشاميين فن أخذ من أحد الدواوين خطابا بالاداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من بالباب من الامناء والوكلاء فذكر كل من لأشك في محاله انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله فرما كتموا خطا لم يتقدم في كيسهم وتليس أمر نليمهم فكانوا تشر كاهت المال لا امناه وخافوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما اضر غناه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب ألف دينار وبقى من بقی تحترق اسارى ينتظر به اقتضاء المذا لضره والهجر عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة

مترهبه في عبادة الصليب متصله وعلى مصابيح مثله وفي النملح بلتها متصبة متعصبه انفسها متصاعدة
 للهن وعبارتها متقدرة تحتذر القطرات من المزن ولها مال ومناج واشياء واشياع واتباع فاستعانت بالسلطان
 فأعادها ومن عليها وعلى كل من معها بالافراج وأذن في تراج كل مالها في الاكياس والانتراج وايقي
 عليها من مصوغات حليتها الذهبية المجوهرت فغنائها وكرا تخم خزائنها فخرجت بجميع مالها مالها ونسائها
 ورجلها واساقطها واعدادها والصناديق باقفاها وتبعها من لم يكن من اتباعها فراحته فرحى وان كانت
 من هجرها فرحى وكذلك خرجت زوجة الملك الماسور كى وهي ابنة الملك امارى وكنت مقيمة في جوار القدس مع
 مالها من الخول والخدم والجواري فاستأفنت في الامام بزوجها وكان بقية مقيمها في جبالس موكلا به ليوم
 وعد قمر به فاذن لها فخلصت هي ومن تبعها وأطاعت عند زوجها وكذلك خرجت الابرنسة أم هنفرى وهي
 ابنة قليب وزوجة الارنس الذي سلك دمه يوم حطين وهي صاحبة الكرك والشولك وهي بوابها محوطة وبرأيها
 منوطة فجاءت سائلة في ولدها العاني فودعت انما سمحت بحضنها سمح لها ببنتها ثم أهفيت وأطلقف وعهدت
 على ان تحضر ابنها هنفرى ابن هنفرى من دمشق اليها وأقر برؤيته عندها وسار معه من الامراء الامناء
 من يسلم منهم تلك المعاول فخرجت فحقت الى حصونها لتسلمها فمات عنها أهلها ودافعوا ورؤوها دليل خاتبة
 فسكنت سورا واستودعت السلطان ابنها الماسور ووعدها باخلاقه اذا سلمت تلك الحصون

(فصل) في ذكر يوم القمع وبعض كتب البشائر الى البلاد قال العباد تسلم المسلمون المدينة يوم الجمعة أو ان وجوب
 صلاتها وطلعت الارباب الناصرية على شرفاتها وأخلفت أبوابها لا فقط ناسها في طلب القطيعة والغنايا وضائق وقت
 القمصة وتعدداؤها والجمعة تمتعت وشروط لم تكن استقامتها وكان الاقصى لاسيما عرابه متغولا بالمتنازير
 والتمناه بما لو ابدأ حذواس الاناء مسكونا بكنز وغوى وشمل ونظم وحنى مضور بالعباسات التي حرم علينا في
 تظهر معنا الويا فوقم الاستقبال بالانفع والام الاصح الاتبع وهو حفظهم وضبطهم الى ان يوجد شرطهم
 ويؤخذ قسطهم واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلة منة المعراج وتم باذرع من مناج النصر الاتباع
 وجلس السلطان بالانضم ظاهر القدس بملناه ولقاء الكابر والامراء والمتصرفين والملاء وهو جالس على هيئة
 التواضع وعية الواردين الفقهاء وأهل العلم جلوسه الاربار ووجهه بنور البشر سافر وأهله عزاءه خافر وبابه
 مفتوح ورفقه مفتوح ووجهه مرفوع وخطابه مصموم ونشاطه مقبل وباطنه مقبل وعياه يلوح وبابه مفتوح
 فدخلت لهالة النظر وكان دمه بهالة القمر والقراء جلوس يقرؤن ويرددون والشعراء توف يشددون
 ويستشدون والاهلام تبرز لتبشر والاملام تبرز لتبشر والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصرة تفتش
 والالسنه بالتهال الى الله تضرع وبشر المحدث الحرام بخلاص المسج الاقصى وتلى مشرع لكرم من الدين
 ما وصي وخشي الحجار الاسرى بالهجرة اليه ومنزل الوحي عمل الاسرا ومقرسه بالمرسلين وخاتم النبيين بمقر
 الرسل والانبياء ومقام ابراهيم وصم قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم عليهم واجمعين وأدام أهل الاسلام يشرف
 بنتمه مسة تدين وتسامع الناس بهذا النصر الكريم وانفتح انهم فوفوا واقر بارزهم من كل فج عيسى وملكوا اليه
 في كل طريق واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق وتزجوا من رهرك امانة في الرض الانيق وقديق
 ان العباد كان توجه الى دمشق واللسان على بيروت لئلا يلى آله لما جمع بزل اللسان على القدس ابل
 من مرضه وتوجه اليه فوصل يوم السبت ثاني يوم الفتح قال وطلعت عليه بجاعشد ملوح السج فاستبشر
 بقدوى وخلع على البشر قبل رؤيته وكان احبابه يطالبونه بكتب البشائر ليعتروا بها وبشر قوا وهو يقول لهم
 لهذه القوس بار ولله المأدبة فار قال ليكتب في ذلك اليوم سبعة من كتاب يساره كل كتاب بمعنى بزيع وعبارة
 ختمها الكتاب الى الديوان العزيز بقوا لافقتهم بهذا لا يا (وعدا الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليسخروهم
 في الارض كما سخرنا الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارضى لهم وليبدلهم من يبدلهم فاعلموا انهم
 الذي انجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف وتزجوا أهل التوحيد أهل الشرك والخلاف ونخص سلطان الديوان
 العزيز بهذا الخلافه ومكن دينه المرأى وبذل الامن من المخافة وذكر هذا الفتح الاسنى والنصر الاهنى للعصر

في اخبار (٩٧) الدولتين

الامامي النبوي الناصري على يد الخادم أخلص أوليائه والمختص من اعترازه باعتزائه اليه وانتمائه وهذا
 انفتح الاعظم والنجح الكريم قد انقضى الملوك الماضية والقرون الخالية على حسرة تمنية وحيرة ترجية ووحشة
 اليأس من تسنيه وتقاصرت عنه طوال الهجم وتخاذلت عن الانتصار له املاك الامم فالجده الذي أعاد القدس
 الى القدس وأعادته من الرجم وحقق من فقهه ما كان في النفس وبذل وحشة كقرفيه من الاسلام بالانس
 وجعل عز يومه ما جادل انس وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والفضائل من البطرك والقس وعبيدة
 الصليب ومستقبلي الشمس وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنودا مؤمنين الصالحين وقطع دابر القوم
 الظالمين والحمد لله رب العالمين فكان الله شرف هذه الامة وقال لهم اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها
 فضلكم وحقق في حقهم امتثال أمره في قوله الكريم (ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) وهذا انفتح قد
 اقدره الله على اقتضائه بالحرب العوان وجعل ملائكته المسومة لهم من أعز الانصار وأظهر الاعوان واخرج
 من بيته المقدس يوم الجمعة أغل الاحد وقع من كان يقول ان الله ثالث ثلاثة بن يقول هو الله أحد وأعان الله بازال
 الملائكة والروح وأفي بهذا النصر المنوح الذي هو فتح الفتوح وقد تعالى ان يحيط به وصف البليغ نظا ونثرا
 وعبد الله في البيت المقدس سرا وجهرا وملك بلاد الاردن وفلسطين غورا ونجدا وبرابو محرا وملكنت اسلا ما
 وعبد الله في البيت المقدس سرا وجهرا وملك بلاد الاردن وفلسطين غورا ونجدا وبرابو محرا وملكنت اسلا ما
 وكانت قد ملئت كفرا وتقاضي الخادم دين الدين الذي غلق رهنه دهرها والحمد لله شكرا حديا بعدد دلا سلام
 كل يوم نصرا ويزيد وجوده أهله بشري فتوجه بشرا وأبي الخادم الاستباحة أموالهم وأرواحهم وحسم داه
 اجترأهم باجتياحهم وانه لا بد من تطهير الارض المقدسة من رجس دنائهم وقتل رجا لهم وسبي ذرارهم ونسائهم
 ولما بسوا من الهجاء ونهوا أبوابا المرتجة من أسبابها المرجاه خوفوا بقتل الاسارى المسلمين وهم أكثر من ثلاثة
 آلاف وانهم يقدون جميع ما في البلد من مال وبنائه يدم واسراق واقتلاف وعرف ان جهلهم يجهلهم على كل مكر
 شنيع وانهم ندعوم فظافتهم الى كل أمر قذيع وبدلوا اطلاق الاسرى وشربوا جل مال العدا وما زالوا يبتلون
 ويضربون وينظرون ويضربون حتى استقر الامر انهم يبادون وأجيب الصخرة المقدسة عند استنصارها
 وبركت البركة الناهضة اليها في مناخها وغسلت من أوضارها وأزارها بعبات العيون ورجع اضطرابها الى
 السكون وفديت بنواظر أهل الايمان وصوحت لوقوفها بعدها المجدد بالايمان وذكر في يوم خلاصها من رجب
 بليلة المعراج وتجلت اظلامها بانارة سناء المعراج واعيدت الكنائس مدارس وأضحت باحيا ريم التوحيد
 رسوم الكثر عافية دوارس وزالت ضربة الصخرة ونعشا الله من العثرة وبذل بالانس فيما كان من الوحشة
 والحسرة والحمد لله على هذه النصرة والمنته على هذه المبره وقد تسلمت مع بيت المقدس جميع المعاقل من حد
 الداروم الى حطرا لس وكل ما كان جارا في ملكة ملك القدس وبالس ولم يبق الا صروفاتها قد تأخر انتزاعها
 وتقدم امتناعها والفرغ فيها قد ضربت بأمالها اطامعها وهي بتأييد الله مسفحة والقلوب بتذليل جابحها
 منفرحة ومن كتاب آخر (فتح بيت الله المقدس الذي عجز الملوك عن غنمه وكيف تسنيه وصانت الاطامع ودونه فلم
 تطمع فيه فمن الله علينا بتذليل صعبه واعذاب شره وتسهيل زهره وتحصيل غفره وقضى الملوك في ليله وحننا
 نحن عليه باسفار جفره وقد كانت الصخرة تستنصره ومطايالك الكبريكل كاهها عليها منوخه فأجبت دعوتها
 وأسبغت خطوتها وتناثرت على حفرتها اوقات الشفا وتولت قبلتها بقبل الافواه ودنا المعبد الاقصى للقاصي
 والداني وزال رين العائن وقررت عين الرائي هذا فاعظم عظيم قدره جسيم غفره فاضل عصره كامل نصره غير منسي
 الى يوم المحشر ذكره وقد افترض بناكره واقتضى سيقنا وزه وزهر زهره وتطهر قهره وهلك الكافر وكفره وباء
 من أم الله ما لزم على الابد شكره أينما الاحراقهم بنيران الصوارم واغراقهم في امواج الطلي والجحيم وعلينا
 القدس في يوم كانت في مثل ليله ليله المعراج وحنن الصخرة حينئذ جزع المجرة الاولى في ظلمة ليلها الى ذلك
 المعراج الوهاج والحمد لله على سلوكنا وضع من المنهاج ونضوب ما كان يسع من الاجاج وخلنا بيت الله لقصده
 الحاج وصديق الحاج مبشرة بما فضل الله به عصرنا وبجل به نصرنا ونظم به ملكنا وطرزه بملكنا وهو فتح
 بيت الله المقدس الذي غلق رهنه دهرها واغتصب من الاسلام قهرا وارتد كفرا وامتدت به الايام عبرا فمرا

مكتاب (٩٨) الروميين

وتهاصرت بهم عن استحقاقه وأصلدت زبد الملوك فيه فهدروا عن اقتداره وزلوا بالرغم على التماس الكفر واقتراحه واحتفلوا لحظ مواضعهم تكايدا اجتراحه واجتراحه فلا جرم أعده الله لآبائنا وذريتنا ما لموسى واعتزنا من فضله بناتنا لهذا الفضل هذه الأيام وإشارا إلى ما نحن نؤثر من إعلاء كلمة الإسلام فأصرحنا الصخرة وأهديت إليها النصر ومكان من قلبها وان كان من الجحش المسره تملأنا القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وقضينا من حق هذا البيت ماوجب وجه القدس إلى القدس وزال الرجس وذهب وتولى فيما للإسلام وتولى عنه الكفر وعظم الأجر ونظم الفخر وطاب النصر وزاد البشر وعنى الرجس وثبت الطاهر وهلك المشرك ونزل البطرك وأقصى من المسجد الأقصى الساجد إلى الشمس وتجلى الحق بنوره الكاشف لبليس عاديت الله للقدس إلى طهارته ونطق منه لسان التقديس بعبادته وتهلل وجه السعد بضرته وهذا القدر في إتمام أمره بخطابه وإشارته وزادت الوجوه بشاريات وقاد أعاد الله إلى الإسلام المسجد الأقصى وملكانا وأما قصاه وأسنى دولتنا بما سناه من فضله وهناه وعلاوا أنهم هالكون وألهم بالقوم ما يكون وفي سبيل القتل والامر والسبي سالكون فخرجوا بلبون الأمان وذلون الأذعان حتى يسلموا المكان قيل لهم الآن وقد عصيت ورضيت بما فيه هلاككم وأبتم فروعوا بقتل أسارى المسلمين هم ألوف وعرفنا أنهم لا يتصرفون في الشرفان جهلهم معروف قنصر عواوتشعوا وتعفروا في تراب الدل وتوقعوا وتقرر عليهم مال اشتروا به أنفسهم فزعوا به من الخوف ملتبسهم وسلموا القدس فاعادناه إلى القدس وطهرناه من الرجس وأجينا دعوة الصخرة وغسلنا عنها وصر الكفر بعبادته فخرج الله إلى القدس الذي غلق رهنه وطال في يد الكفر أسره وسجنه واستمل بقرأ بآمنانه وأباريته وعاد باحسانه وزال بنا خوفه وزاد آمنه وبقي قريبه ما تنقذ في يد الكفر معجونا وبرجس الشرك مشهونا حتى أعاد الله تاروقه وأذهب قلقه وأعدم فرقه وهذا فخر لم يكن منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم له نظير وأفق الدين به منيف منير وشرف أيامه كبير وهواما فتوحنا المذخر لنا والها بتأييد الله تأخير فتح البيت المقدس الذي لم يحطرت عينه بخاطر الملوك وتوعد على عزائمهم تسج طريقه للملوك وحالت دونه قطار بات الفرج وطوارتها وجنت على الإسلام فيه حوادث الليالي وطوارقها حتى دعانا الله لنقحمه فاجتاه وعلنا بالقور فاصناه وأوردنا مشرعه صفاته فاستعبداه وعرفنا طيب عرفه فاستطينا وذخرنا هذا الفخر فاستقبلناه وأروا أختار المخيفات قد أرلت الأسوار والأسوار وغارت الصخور للصخرة المباركة فجئت في اتقاه من الأسار وهتبت ثنائيا بالأبراج وأعظم بها في العلاج إله العلاج فبنا بها الحمام وشاهدوا الموت الزام أقامت المخيفات على عصابته حد الرجم وواقعت ثنائيا بشاراته بالهزم وتصارفت الصخور في نصره الصخرة المباركة وحجرت على حكم السور بسفاه الأختار لتسدرك وحمرت القوبع من عروس البلد ببقية الأسواة واستنفت العينون انكشاف الأسرار نهضت لاصراخ الصخرة المقدسة الصخور وطارت من أوكار المجانيق كأنها الصخور فأسر البيت الحرام بكلاك أخيه من الأسر واجراء الإسلام فيه لعل أول أوتار الكفر وانقضاء الصخر المباركة من قلوبهم كالجارأ وأشد قوه والخوفهم من الباء والرواق والعرا لاسلاى يسوءه ولقد غلغت من أذران الكفر وادناسه وطوبت من أدرجس انجاسه ببياد العينون التي بها نذبت وصقلت بشفاء المؤمنين وطال ما يدي الشرك صديت وأعيد إليها ذكر الله تعالى بعد طول الغربة وذكر بصحة الأولياء صلح لها في عهد الصحابة رضي الله عنهم من حذر الصحبة ودنا المسجد الأقصى فأقصى منه الساجد للشمس وسكن العلماء الفقهاء في مواطن البطرك والقس وأبدل الناقوس بالآذان بل الكفر بالإيمان وصلى رباب الإسلام في الحراب الذي أسلم وقسنى الله تعالى هذا الفتح الأعظم والفتح الأعظم وقد تدب فلان في الرسالة المقدسة والبشار القريسة التي فيها أتم الكفر وعروس الإسلام وعاد بها المسجد الأقصى إلى مداها المهدو المهرام وتجلت عروس الصخرة لعين الناظرين وقاضت عليها مياه حدائق الألباء فحضت عنها أوزار الكافرين وكان الإسلام منه غريبا فرجع إلى وطنه وسكن منه إلى التوطن في مكانه وزالت غفارة وما دلى ما منه ومن العرف من متبعه وأتار التوب يحسن مظهره وعلاما السنة وحلاجة الجنة وخلصت مواضع المخلصين من أولياء الأله ونجج

في اختيار (٩٩) الدولتين

البطارقة والفيسيون من مساجد الأئمة وعادت الكائنات مدارس وآيات التثليث بها دواوس ووجوه الايمان
باشرة ووجوه أهل الصليب عوايس ومحت أيام من هذه الأيام تلك الليالي الدوامس وقد أقيمت الجمع والجماعات
ونظمت قبل طهرت ذلك الحيات وصلى في عراب المحرب ودرس فيه الاخلاق والمذهب والحمد لله الذي تسنى
بفضله هذا المطلب وتسرى تأييد الامر الاصعب

(فصل) قال الحماد وكان المولى الاجل الفاضل ما أخرجه دمشق يعارض من مرض من الله بشفاؤه فمن جملة ما كتب
السلطان اليه (اما الفتح فمن جملة بركات همة وأثار حذبت عزمة فان الله تعالى سهل ما سهل ما سهل أذل الدهر بانه
صعب واهب نسيم النصر ايان يقال ليس له مهب ونحسنا بهذا الشرف والحقنا في هذه الفضيلة بصالحى السلف
وقد بذل الكثرة بالايام والناقوس بالاذان وجلس العلماء والتهقها في مجالس الرهبان وفحت بهذا الفتح
من بيت الله المقدس أبواب الجنان وتراحم الخارجون من البلاد من الفرنج والنصارى في دخول أبواب النيران
وصلى محارب الدين في المحراب ورفع الملائكة ما كان تكاثف بانفسهم الكثرة من الحجاب وغلت الصخرة
المباركة من أوضاعها دجاء العيون الفاضل الفائق غزارة الامواه وقبلى بالشفاء وبوشرت بالاغواء وطهرت باهل
العلم والحلم من ادناس أذل الجهل والسفاه والحمد لله ثم الحمد لله وما كان عوزا ووهله الاحضور المجلس الاساسى
أسماء الله فالحمد الامم رواء الابروأته واللائس لقاء الاناس لقائه وكسرت تصحف الفتح ولا صالح دعائه
وحسن آلائه والحمد لله الذى صنعنا بهذه الحاديه ونهنا بالنعمة القدسية وذكر لنا هذا البر الذى يحجز بل
قصر عنه ملك البريه والحمد لله على هذه النعمة السنية فحاشوقنا وأشوق القدس الى قدومه وما أطامه أنا وأطامه
الى خصوص الزى به وعمومه ويأخذ هذا البيت الذى وأخواليت الحرام من زيارته وما أتى روضه وأوفق
رضاء ادا غار بنظره ونضارته ونحس نعرف ان همة العالية تحده وان دينه الى اجابة دعوته ندعوه ونسأل الله ان
يكمل محبته وينعش قوته ويقوى نفعه وما أقبل بهذا البلد الانظهير وترتيب امره وتديره) ومن كتاب آخر
(نصرنا الله بلاكته المسومين وأولياته المؤمنين واسمنا بآية البلاد اوتار عنانها واقتضت بالبيض الذكور
من الحرب العوان أبكار الفتح واقتصر عنها وهذه هبة مذهبية ومنقبة لا يبلغ الى وصفها بلاغة موجزة ولا
محببه وفوق ما بعد هذا السلام بته وحظوظ في مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوه وبشرى تجوال وجوه بشرها
وقضوع مهاب المحاب بشرها ويعرف أهل الشرق والغرب بمحار غربها وتقر عين المؤمنين في البعد والقرب بانوار
قربها عادل القديس الى الارض التى به وصفت وأحاطت البركة بالنعمة التى قوله تعالى باركنا حوله عرفت وظهرت
الصخرة المقدسة وطهرت وزعت أيام هذه الايام وزهرت وقعت الفاتمة الطاغية من أهل التثليث باهل
التوحيد وقهرت واستبشرا المنير والمحارب بخطيه وامامه واقفر الزمان بعصر مولانا أمير المؤمنين وآيامه
وقدمت كمال البلاد السالطية وتسماها حاصنا ونقضت من الكبر ركاركا واجلمينا الكفا من بها فاحلينا
بها من الحسنى حسنى فتح شرف الله به هذه الامه وحلا به القمه وكشف الله بل شرفنا بغيره وأعزنا بغيره
وخصنا بفضيلة نقى عصره وأجرى لنا ما كان تدأبنا من عادة قصره وقبى بأهل دينه من عساكرنا أهل كثره
وعامت بوزنا بوتره وغرق البلاد السالطية من دم الكفار ببحره واصرخت الصخرة وحفت بها النصر وزالت
عنها المضرة وعادت اليها الميرة ونعشت منها العثرة وقاضت لها من عين المؤمنين العبرة وزفت عروسها البكر
محضنة لم تفتن منها العذرة وحالت العره ولاخت القره وظهرت من صفى قبتها الدرر وصرفت آثارا تقدم
النبوية بالايمان وجددت بعهد هاصفة الايمان وبطل لنا قوس بحق الاذان ونحت أبواب الجنان لاهلها
وأخرج منها أهل النيران والحمد لله على هذا الاحداث حمدا مستقرا على مر الزمان) ومن كتاب الى سيف الاسلام
بالحين (فتمتبت الله القدس الذى خلق نيفا وتسعين سنة مع الكثر رهنه وطال فى أسره هجته وأستحكم رهنه وقوى
سكره وصغف ركنه وزاد حزنه وزال حسنه واجد بت من الهدى ارضه وأخلف منزهه وواصله خوفه وفارقه آمنه
واشتغل خاطر الاسلام بسبيبه وساء محزنه وذكر فيه الواحد الاحد الذى تعالى عن الولد ان المسج انه وربع
فيه التثليث فزصليله وصلبه وافرد بالتوحيد فكاد يهيم متنه ودرج للملك المتقدمون على تحنى استنقاده فإبى

كتاب (١٠٠) الروتين

الشیطان غیر استیلاؤه واستحواده وكان فی القیام الالهی ان معاده فی الآخرة الی معاده وطنه وأوطانه بقراءة القرآن وروایة الحدیث و ذکر الدروس و جلبت الصخرة المقدسة جلاء العروس و زارها شهر رمضان مضیفها نهار صومها بالتسبیح ولیل فطرها بالتراویح) ومن کتاب آخر (البيت المقدس صار مقدسا وأصبح للإسلام معزسا ورجع اهل التقوى الیه فقد كان هم مؤسسا ونرس الجرس وذهب الدنس ویدل الناقوس وخرج القوس وزال الانزی بالاذان وصوفت الصخرة المقدسة بإیمان أهل الايمان وما حلت فی محراب البيت المقدس الثقله حتى صلت فی محراب رقب الكفر المشرقات واتم الرضی بفتح المعبد الاقصی حتى أقصی منه من أنصاه الله عن رضاه واتبوا المصل المصل فیهم مواء من الجنة حتى تبرأ الكافر المصل بالنار منواء صو فموضع القدم المباركة لیلہ المعراج بالابدى وقال لولیا الله اهل الاخلاص اهلا بكم فأحسن الخلاص من ولاية أهل التعلی وعاد المعبد الاقصی للمصلین المقربین جنة ومنارا بعد ان كان للمقصین المصلین زادارا وتسلم محراب الاسلام محرابه وأحبب لا إله الا الله التي أحسبها وترخ المنبر لترخ الخطیب ونجبر الدین بانكسر صلب عابد الصليب السلب خلا بآله من أمر القدس باعادته الی قدسه وأخلأهم من رجز الشوك ورجسه واجلاء داوید واستناره ویدركه وقسه وتغويضه من وحنه اضلال من الهدى بانسه ورد الاسلام الغرب الی بیته المقدس ونی الكافر منه كاسف البال راغم المعطس ونصب المنبر للمجد الاقصی لأقامة الخطبة الامامیه ورفق مرقع قدره من الاعلام العباسیه والا فرج عن محرابه بهدمانی دونه من مبانی الشوك وكشف استار الكبرياء التي حجب بالهلك والتكليف وأقامة الجمع فیها والجماعات وادامة أرواد العبادات به وطلائف الطاعات وغسل الصخرة المقدسة بدم الكافر ومع المؤمنين وزرع لباس یأس المسی عثم بافاضة توب نواب المحسن وتزید تلك الجنة من دنس أهل النار واعلاما كان درس من معالم الابرار ومطالع الانوار وقدرح الاسلام القرب منه الی داره وخرج قر الهدى به من سراره وذهبت ظلم الضلالة بأفواره وعادت الارض المقدسة الی ما كانت موصوفة به من التقديس وأمنت المخاوف فیها وبها فصارت مصباح السرى ومناخ التعریس وقد أقصی عن المعبد الاقصی الاقصون من الله الابدون وتوافد الیه المصطفون الاقربون والملائكة المقربون وخرس الناقوس بزحل المسیحین وخرج المفیدون بدخول المصلحین وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا وشمل جماعة الدلین من اقامة الجامعة والجامعة ما جمع الاسلام فیهم شلا ورفعت الاعلام العباسية علی منبره فاحت من بره أوفی نصیب وثلت بالسنة عذرها) انصر من الله وفتح قریب) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقین من دنس المشرك وبهدأ دل الاحد من قریبها قریبها اوحدين فذكرها ما كادینسی من عهد المعراج النبوی وأقامت بدلائلها براهین الابحاز المجدی عاد الاسلام بإسلام البيت المقدس الی تقدسه ورجع بنیانه من التقوى الی تأسیسه وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر قیاس قدسه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت فی الصخرة لتفضلها وباشرت الجباب بها مواضع سجودها وصاغت ابدی الاویام آثار القدم النبویه بنجد عهدها وشهد مقام المعراج وموئذی رآته ورأى نور الاسراء ومطلع إشراقه ودنا المعبد الاقصی للراکم والساجد وامتلا ذلك القضاء بالانقیاء الاما جد) ومن کتاب فاضل الی بغداد (تخلص ذل الكافر الميسوط وصدق الله أهل دینه فتلوا وقع الشرط وقع المشرط وجاء أمر الله وأوفی أهل الشرک تراغه وادلت السیوف والاحمال نائمه واسترد المسجون راناکا كان عنهم آتقا وظفر باقبضة جمالم یهدت واولتهم نظفوه به یطیف الی النائم طارقا) ومنه فی وصف نقب السور (فأخلى السور من السیارة والحرب من النظارة وأمكن التقاب ان یسفر للعرب النقب وان یعبد الحجر الی سیرته من التراب قد قدم الی الصخر ففتح سرده باب معوله وحل عقده بصربة الاحراق الدال علی لطافة أغله وسمع الصخرة الشریقة تحنیه فامتقنته الی ان كادت ترق لمقتله وثبر أبض الحارة من بعض وأخذ الحراب علیها موثقان تبرح الارض وثم استعزت علی الاعلی أقدامهم وخفتت علی الاقصی اعلامهم وتلاقوا علی الصخرة قبلهم وشفت بها وان كانت صخرة كما یشتی بالماء قد هم وملک الاسلام خطة كان عهدهم بادمنة سكان تخدعهم الكفر الی ان صارت روضة جنان لآحرمان الله أخرجهم منها وأهبطهم وارضی أهل الحق وأسخطهم وأوعز الخادم برء الاقصی الی عهد المعهود وأقام لهم الائمة من یوفیهم ورده

في أخير (١٠١) الدولتين

المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة وأربع شعبان فكلدت السموات الغيوم بنفطرن والكواكب منها الطروب يتسئرن ورفعت أمان الله ثلثة التوحيد وكانت طرقاتها مسدودة وظهرت قبور الانبياء وكانت الغياصات مكدودة وأقيمت الخس وكان التثليث يقدها وجورن الاكسنة باقة أكبر وكان معسكر العسكر مقدها وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الاشرف من الذير خرج به ترحيب من بر وخفق علماني حفاقيه فلوطا طرور والطار بجناحيه وكان الخادم لا يسي معه الا هذه الملقبة العفاقي ولا يقاسي تلك التوسمي الارزاء هذه التهي ولا يحارب من يستظله الا تكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ولا يغرز بجوهر الاخر فلا يهرض الا دني من الدنيا وكانت الاكسنة برما لقسته فاصح طوطها بالاكسفا والاقصا وكانت الخواطر برما غلت عليه من اجلها فاطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطير الخطا ومن رام صفوة راتجة بلس ومن سحالان تجلى غمر غامر) ووصف فيه يوم حطين فقال (وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة له مشهودا وكان الفضل صار خا وكان الاسلام مولودا وأسر الملك ويده أوثق وثاقته وأكدوصه بالدين وعلاقته وهو صليب الصابوت وقائد أهل الجبروت ماهدوا قاطبا من الاواميين دهائم صرختهم يسطط لهما به وكان مد البدين في هذه الدعوة وداعه لاجرم انه يتهافت على ناره فراشهم ويجمع في ظل غلامه خستهم ويقاوتون تحت ذلك الصليب أصلب قتال واصدده وبرونه ميثا فانيون عليه أسد عقد وأوثقه وبعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه ولم يقات منهم معروف الا القمص وكان لعنه الله جليا يوم الذفر القتال وعلينا يوم الخذلان بالاحتيايل فيها ولكن كيف وطار خوفهم أن يلحقه منسرا راع وجناح السيف ثم أخذ ماله بعدا بام يده وأهلكه لوعده وكان لعدهم فذلك وانتقل من حكا طلوت المملك وبعد الكسرة من الخادم على البلاد فغزاها بما يسر عليها من الراية السوداء صبغها بليضاء صنعائها الحفاقة هي وتلوأب أعدائها العالية هي وعزائم أوليائها)

(قصص) قال العباد من تصادى التي دنأت بها السلطان يرفع القدس وهو غنيم عليه
 أطيب باقاس قليب لكم نسا • وتمناض من ذكر أكم وشقي أنسا
 وأسأل عنكم عافيات دوارس • غنيت بلدان المال ناطقة ترسا
 معاهدكم ما لها كهودكم • وقد كرر من درس آثارها درسا
 وقد كان في حدسي لكم كل طارق • وما جئتم من هجر كن خالف الحديث
 أرى حد ثان الدهر ينمي حديثه • وأما حديث القدر منكم فلا ينمي
 نزول الجبال الراسيات وثابت • ريسين غرام في قوادى لكم ارسى
 حببت جببي قاسي القلب وحده • وقلب القذى يهوى بمهل الهوى اقصى
 أمالكم يملك الرق رقعة • يطيب بها ملوككم منكم نسا
 وان سرورى كنت أسمع حسه • قد سرت عنكم ما سمعته حسا
 وان نهاري صار ليلا بعدكم • فإلهرت عيني صبا ولا نسا
 يكت على متودعان تلوحكم • كما قد بكت فلما على حضرة الخنسا
 فلا تحبوا عني الجبل فأنسى • جطلت على حي أكم مهجتي حبا
 رأيت صلاح الدين أفضل من خدا • وأشرف من أخفى وأكرم أمسى
 وقيل لنا في الارض سبعة أبحر • ولست أرى الا انا ماله انسا
 مجيئه الحسنى وشيمته الرضى • وطشته الكبرى وعزته القصى
 فلا عدت أبا نمانه مشرعا • ينير بما يولى لبلالنا الدسا
 جنودك املاك السما وظنهم • عدل أن جن الارض في القتال لا الانسا
 فلا يستحق القدس غيرك في الورى • فانت الخى من دونهم فتح القدس
 ومن قبل مع القدس كنت مقدسا • فلا عدت اخلاقك الطهور والقدسا

مكتوب (١٠٢) الروضتين

وطهرته من رجسهم بدمائهم * فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجا
تزعجت لباس الكفر عن قدس أرضهم * وأبست الذين الذي كشف اللبسا
وعادت بيوت الله أحكام دينهم * فلا باسركا بقيت فيها ولا قسا
وقد شاع في الآفاق عنك بشاره * بأن أذان القدس قد بطل النقسا
جرى بالذي تهوى القضاء ونظايرت * ملائكة الرحمن اجنادك الجسا
وصكم لبني أيوب عبيد كعتر * فان ذكر وابالها من لا يدكروا عبا
وقد طاب ربنا على طيرة * فياطينها مغنى ويا حسن امرسى
وعكا وما عكا قد كان فقهها * لاجلائهم عن مدن ساحلهم كنسا
وصيدا وبروت وتبين كاهها * بسيفك التي أنفه الزعم والنعبا
وباقا وارسوف وتبني وغزة * تحذت بدارين الطلي والظلي عرما
وفي عمقلان الكفر نزل ملككم * هنظاره بل أمره اربذوا رجسا
وصار بصور عصابة برقبونكم * فلا تبطلوا عنها وجسودهم حما
توكل على الله الذي لك أصبحت * كلا تسمه درما وعصمت ترسا
ودمر على الباقي واجتث أصلهم * فانك تسميرت دينارهم قلسا
ولا تنس شرك الشرق غربك مرويا * با الطلي من صايات الظلي النجا
وان بلاد الشرق مظلمة فخذ * خراسان والخرين والترك والفرسا
وبعد الفرج الكرك فاقصد بلادهم * بعزمك واما من دماهم الرسا
أقامت بجناب الساحلين جنودكم * وقد ماردت عنه ذئابهم الدلسا
وهي طويلة وقد تقدم بعضها في ذكر كسرة حطين وللعادياض من جله القصيدة التي مدح بها احسان الدين
ابن لاجين وقد تقدم بعضها

قل لليلك صلاح الدين أكرم من * يمشى على الارض وأمن يركب الفرسا
من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى * صور فان فتحت فاقصد طر البسا
أثر على يوم انظر روس ذالجب * وابعث الى ليل انطاكية العسا
وأخل ساحل هذا الشام أجمعه * من العداة ومن في يمينوكا
ولاندع منهم نفسا ولا نفسا * فانهم يأخذون النفس والنفسا
ترلت بالقدس فاستفتحته وموتى * تقصد طر البسا فانزل على قدما

ومن قصيدة أخرى له انتقلها الى الخليفة الناصر

أبشر فتح أمير المؤمنين أنى * وصيته في جميع الارض جواب
ما كان يحظر في بال قصوره * واستعجب الفتح لما أغلق الباب
وخام عنه الملوك الاقدمون وقد * مضت على الناس من بلوا ما حباب
وباء عصره والايام مقبلة * فكان فيه لفيض الكفر انضاب
نصر اعد صلاح الدين زوجه * ايجازه يبيع القول اسباب
قرع الظلي بالظلي في الحرب بطرته * لاقبته صنع بالجن مطراب
أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه * لقد تجلى الهدى والشرك منجباب
بقهها للقدس للاسلام قد فتحت * فيقع طائفة الاشراك أبواب
ففي مواهة البيت المقدس للبيت الحرام لنا تيه وانجاب
والصخر والجور المشرجات به * كلاها لا عتار الخلق محراب

في اخبار (١٠٣) الدولتين

نفي من القدس صلحاً بما تفتيت * من بيت مكة انزلهم وانصاب
وكرم مدح الفضلاء السلطان عند فتح القدس وقد ذكر العادم ذلك جلة في آخر كتاب البرق فرأيت تقديم
ما اخترته منها هنا ورت عليه ما يدكره فمن ذلك قصيدة الحكيم أبي الفضل عبد المتين بن عمر بن حسان الاندلسي
الجلياني منها

أبا المظفر أنت المجتبي لمهدي * أخرى الزمان على خب برحمة
فلوراك وقد حزن العلى عمر * في قلة انتل قضى كنهه عبرته
ولوراك وأهل القدس في وله * أبوعبيدة فدى من مسرته
غداة جزوا النواصي في خامته * وأهلوا بالتباكي حول محزته
دارت بك المله الحسنى فحنن على * عهد الصفا بقى استقرار ملته
وأنت كاسمك صديق وصاحبه الملك المظفر سام في مسرته
وفي السلطنة عثمان يؤيده * علا على على ايثار نصرته
وكذلك ذو قمر في رقبوا شرفا * وكم بعيد رأى الزلفى بحزته
يشبه الفتح ما بين البراة لقي * ملك الفرج أخيد ابن عثرته
أما رأيت معالي يوسف نسقت * حتى رمت كل ذى ملك بحسرة
أخفى لنشر المهدي في فتح منهجه * وبان بطوى العدى في سذقرته
واستقيم الرجس متوا بمشده * فاستمع القدس محشوا بزميره
لكن بأس صلاح الدين اذهلهم * بوقعة التل واستمر اسوره
بعمى الجوارح والفرمان وهو على * بدو النشاط عشا مثل بركته
يا فاع المسجد الاقصى على بهم * وقافض الجيش لا يصحى بقفرته
ابشر بملك كظهر الشمس مطلع * على البسيطة فتاح بنشرته
حتى يكون لهذا الدين ملحمة * تحكى النبوة في أيام فترته

قال وانغذمن مصر بنحيم الدين يوسف بن الحسين بن الجاور الوزير العزى قصيدة وعمرتها على السلطان بالقدس
وفيه ذكر الانكسار وفتح يافا وذكر الهدنة التي باقى ذكرها في آخر الكتاب فنها وسأى الباقي المختار ايضا

الوقت أضيى من جماع قصيدة * موسومة بصفات أعيد أهيف
الخذ في هذا الزمان مبين * والحزل فيه مع القوايه مختلف
بالناصر المهدي والهادى الى * سبل الجهاد فى المظفر يوسف
المستعين بربه والوائى الى * منصور والمستظهر البر الوفى
شقت قوى أركان مله أحمد * وتحملت بجهاده فى الموقف
ملك اذا لم السلوك جنابه * لاذوا بكرم من يؤم وأشرف
واذا أتوا أسرى الى أبوابه * وقفوا باعظام من يصول وأرأف
مولى غدا للدين أكرم والد * حذب على أسنانه متر قرف
عزل الفرقة ثمولى جيشه * أعظم به من صارف ومصرف
تذأ نصف التوحيد من تليهم * وأقام فى الانجيل حد المصنف
مغرى بترجى الرجال لاه * يروى أحاديث العواالى الرعف
ملك له فى الحرب بحسرتقه * وله غداة السلم زهد تصوف
وعليه أنزل فى الجهاد مفصل * فلذلك يقرأه بسبعة أحرف
عزم وحلم انصيا ما كان من * عزم ابن مرداس وحلم الاحنف

كتاب (١٠٤) الروضتين

يا أيها الملك الذي لطبا عاهه * وسيفه خلقا رضى وتصف
 له يوم عسروية اذا عسرت * ساعته من نصرك للتعرف
 منت سبوك في الرؤس ختانة * ذهبت بمهجة كل على أظف
 آفاتهم واقت باخذك منهم * يا فاك فكم من حسرة وتأسف
 أو ما رأى الاعلاج حين دعوتها * بلسان سيف في الكربة ملحف
 لم تستطع عصيان أمرك بل أنت * متفاد طوعا ولم تخلف
 فاستدع جارها وثن باختها * وكذلك حتى الأربعين ونيف
 ما للمواحل غير محرك حافظ * بشبانان أو بصفحة مرهف
 هذا الطراز الاخضر استفتحته * فزهى بثوب من علاك مصحف
 أحييت دين محمد وأقتسه * وسترته من بعد طول تركشف
 وضبطت ديوان الجهاد بعامل * من عامل وشرف من مشرف
 وبجهبذ العزم الذى لا ينثى * وناظر الراى الذى لم يظرف
 نغذا الحراج من البسيطة كلها * واستاد فردى جزية وموظف
 واقبض على الدنيا بكف زهاده * وابسط لرحمتها جناح تعطف
 جاءت جنود الله تطلب نارها * وصورها بل هن تامل تشتفى
 فانقض بها وتفاض حقل موقنا * ان الاله بما تؤمله حنى
 هم فتية الزنا كل مجحف * بغشى الكربة فرق كل مجحف
 قوم يفضون الحمام بجاعة * لا ينظرون اليه من طرف خفى
 ان صهروا اعداء فى اوطانهم * تركوا ديارهم كقاع صفصف
 أنه اصطفيتهم لعمرة ديننا * لله در المصطفى والمعطى

قلت وذكر بقوله (هذا الطراز الاخضر استفتحته) حكاية حسنة لا تقه بالمال حدى نبها شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوى قال قرأت بخط شيخنا أبي الفضائل بن رشيق بمصر عقيب موته فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة قال رأى انسان كأنه شخص اذاجامة واقفا على حائط بمجامع دمشق يعنى النسر وهو يقول

ملك الصامى والصوامى ناصر * للدين بعدا باسه ان ينصر
 وسيف البيت المقدس بعدما * يدوى الطراز له ويقتل قيصرا

قلت وهذا قبل ان يفتح صلاح الدين البلاد بعشره غير وترأت بخط بعض أصحابنا قال وجدت على حاشية كتاب يروى عن خطيب كان بالرقلة انه رأى من ينشد هذا الشعر فى النوم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فذكر اليتين وهذا قبل الفتح بانياتين وخمسين سنة وقبل مولد صلاح الدين بسنة والمعنى الطراز الاخضر بلاد الساحل المصطفة على بلاد البحر من الداروم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها ولم يبق من اذارق اثناء ذلك سوى دورين صيدا وعكا وهكذا كان الامر على ما سبق بيان ففتح هذا الطراز اولاً ثم فتح البيت المقدس وكنى بقبصير عن الارنس الذى قتله بيده لانه كان من رؤس الكفر وملوكهم وغلاتهم فى معاداة الاسلام والله اعلم قال العماد وكان نخر السكاك أبو على الحسن بن على الجوينى المقيم بمصر من أهل بغداد ينفذ الى قصاده لا عروضا فوأيت ان أثبت له هذه القصيدة فى الفتح وهى مشتملة على ذكره لو كان الاسلام واهلهم له تسعين عاما حتى تجرد له سلطانا فذكرها منها

جند السماء لهذا الملك أعوان * من مثلك فيهم فهذا الفتح برهان
 متى رأى الناس ما فتحك فى زمن * وقدمت قبل أزمان وأزمان
 هذا الفتح فتح الانبياء وما * له سوى الشكر بالافعال اغان

في اخبار (١٠٥) الوثنيين

أضحت ملوك الفرج الصيد في بده • سيدا وماضعا وبها وماهاوا
 كمن خول ملوك فودر ولوم • خوف الفرجة ولان ونسون
 استمرت بملكها من الملوك • نظام عنها وعت منه آذان
 هذا وكم ملك من بعد نظر الاسلام بطوى ويورى وهو سكان
 تمعون علما بلاداه تفرخ والاسلام انصاره وموعيان
 قال ان لبي صلاح الذين دعوتهم • باهر من هو لوران معوان
 لتانصر انخوت على القصور وما • سمع لها هم الاملاك مذكافا
 حياهذا العرش بلانصر القصرقا • لالتاس دلود هذا أم سليمان
 في نصف شهر غدا لشرك مصلحا • فطورت منه اخلا وبلدان
 فابن مسلمة عنها واخوته • بل أين والدهم بل أين مروان
 وعدا علسوا بالقصر بحد • يدهم من ملوك الارض اتقان
 لوان ذا الفتح في عصر النبي لقد • تفرقت فيه آيات وقمران
 يا فم أوجه جبال الصليب وقد • غداير قهها نؤم وخذلان
 خزنت عند إله العرش سائر ما • ملكه وملوك الارض خزان
 فاقه يقيق للاسلام قهره • من ان يضاهو بلقي وهو حيران
 وهلمسنة أسكروم بهاسنة • فالكفر في سنة ولانصر يقتلان
 يا با معا لكة الايمان كامع من • معبود دون رب العرش سليمان
 اذا دوى الله ديول الباصا • يمارى لاجر صلاح الدين ديوان
 والشريف النسابة المصري محمد بن أسعد بن علي بن ممر الحلي المعروف بابن قتيب الاشراف بالله يار المصرية
 من قصيدة

أترى مناما ما يبغى أبصر • القدس رطم والفرجة تسكر
 وقامة قت من الرجز الذي • يزواله وزوالها ينطهر
 وملكهم في القيد مصفود ولم • ير قبل ذلك لهم ملك يؤسر
 قد جاء نصر الله والفتح الذي • وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
 فمع الشأم وطهر القدس الذي • هو في القلعة الا نام المحشر
 من سكان هذا قصه لمجد • ماذا يقال له واذنا ذكر
 يا يوسف الصديق أنت لفقهها • فاروقها عمر الامام الاظهر
 ولانت عمان النريضة بصد • ولانت في نصر للنبوة جبر
 ملكه للاسلام من عجب • يستلوا الدنيا به قبضت
 نثر ونظم طعنه مضر له • فالمرح ينظم ولان سندستر
 حيث الرقاب خوافع حيث العيو • دن خواشع حيث الجباه تصفر
 غاراته جمع فان خبابت له • فيها السيف فكل هام منير
 اذ تارى الاطلى بسنالك • تملى فعلا أو دماء تود
 وصواقا تحتار ان تطا ترى • فيصدها عنه طلى وسنود
 قفى على جبالها عربولا • من جرم المعكنا تسمت

وقال أبو الحسين بن جبير الاطلى

أطلت على أفقك الزاهر • سحر من الفلك النائر

مكتاب (١٠٦) الروماني

فابشر فان رقاب العدا * تمذ الى سيفك البار
 وسككك من فتكة فيهم * حكمت فتكة الاسد الخاد
 كمرت سليمان عنوة * فقه ذلك من كلس
 وغبرت آثارهم كلها * فليس لها الدهر من جابر
 وأمنيت جدك في غزوم * قصا لجندهم العائر
 وأدير ملحكهم بالثا * هوولي كأمهم الذابر
 جنودك بالعب منصوره * ففاجر متى شئت أوصابر
 فكلهم غرق هالك * بيار عسكرك الزائر
 تأرت لحن الهدى في العدا * فأنرك الله من نائر
 وقت ينصر إله الوري * فسمالك بالملك الناصر
 وباهدت بجتهدا صابرا * فقه أجرك من صابر
 نبئت الملوك على قرشهم * وترقل في الزرد السابر
 وقؤر ياهد عيش الجها * دهل طيب عيشهم الناصر
 وتسر ليك في حق من * سر ضيك في جفك الله نهر
 قصت المقدس من أرضه * فعدت الى وصفها الطاهر
 وجئت الى نفسه المرتضى * فخلصه من يد الكافر
 وأطيت فيه منار الهدى * وأحيت من رحمه الدائر
 لك ذنرا لله هذا التو * ح من الزمن الاقل القابر
 وخصك من بعد فاروقه * به الاصلناك في الآثر
 محبتكم ألقيت في النفو * س جذكر لكم في الوري طائر
 فكلم لهم عند ذكر الملو * لك مثلك من مثل سائر
 وباقي القصيدة تقدم في أخبار سنة أربع وسبعين وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعقي
 أعيانا وقد عاينتم الآية العظمى * لا يتجال نذر الشر والنظا
 وقد ساعفم القدس في كل منطق * وشاع الى أن اسمع الاسل المما
 حيا مكة الحسنى ونرى شرب * وأطرب ذياك الضرب وما ضما
 قلت فخي الخطاب شاهد فقها * فيشهد ان السيف من يوسف اصبى
 واسكان الاقداء أعيادواؤه * وغير الحسام العضب لا يحسن الحما
 وأصبح تفر الدين جذلان باسماء * والسنة الانعام تومعه لهما
 سلاوا الساحل المختفى عن سطواته * فما كان الا ساحلا صدف الجا

وله من قصيدة أخرى في السلطان

عصفت بدموع الخطوب زعازعا * فلقين طود الانقصف امانه
 هو مفقذ البيت المقدس بعدما * طالت فما وجد الشفاء شكا
 يت تأسس بالكون وانما * عند الزلزال تحركت مكانه
 أمست الاعداء وهي جهافل * عن تحمل دين جعت اشجانه
 أوثبت عز ملكي الحروب مسددا * لازفه بجيشي ولا هفواته
 أحسنت بالبيت القتيق ويثرب * ولك الفضال كثيرة حسنه
 هذي سيفوك محرمات دونه * ليكائن تبسعت حجراته

وله من قصيدة أخرى

هو العاتق البيت المقدس بعدما * تجمعت سادات الدنيا ومسودها
فضيلة فتح مكان ثاني خليفة * من القوم مبدىا وأنت معيدها

وله من قصيدة في بعض أقارب السلطان
الست من القوم الأولى بسيرة * ثنوا صغر تاليت المقدس ممجدا
وللمجاد الكاتبين قصيدة بمدح بها الملك الأفضل

وأقدس اعزل داؤه من قبلكم * فرفيتم بشفا هذا كالمفضل
دورج الملوك على غنى فغنى * زمننا وقتتم به لم تبل
وأنى زمانكم فامكن آخرا * ما قد تعذر في الزمان الأول
ما كان قط ولا يكون كفتكم * للقدس في الماضي ولا المستقبل
أوجدتم منه الذي عدم الوري * وقطتم في العنق عالم يفعل
أيدي الملوك تعاصرت عن مخفر * ظلمت به قلوبا لبعض الأغفل
أحييت شرع الكرام ولم يرزل * نصر الحق بكم وفهر للبطل

وله من قصيدة في مدح الملك المؤيد

وكم لبني صلاح الدين قينا * على الاحلام من حق تأكد
وان لم على الاملاك طرا * يفتح القدس فضلا ليس يبعد

وله من أخرى في مدح الملك الظاهر غازي

هم الملوك ذو وبأس ومكرمة * ان سالوا امنوا او طروا خيفوا
أغناهم القدس عن قول الوري ففتح * عكا وصيدا وبيروت وارسوف
جيش الذريح اذا لاقى سوابقهم * كأنه جبل بالريح منوف

وترأت على شيفنا إلى الحس على بن محمد الهادي رحمه الله من جهة قصيدة مدح بها بعض ولدا السلطان أثنى الملك
الحس ظهير الدين أحد بن صلاح الدين رحمه الله

ملكه وأبيه يفخر العلاء * ويثوق غفرها السها والغرفاء
ما يوسف من يقاس بحاتم * ألى وقدوب الحصون واصفدا
اولن ببال كأنه يوم الوغى * والروع كلاسدا المصور اذا عدا
أومن رشده به جوده بعمامة * او من يقال بمنله عمر الردي
بل مالك الدنيا صائى رحبها * خيلاور جلا ناهر دين الهدى
ويخلص البيت المقدس بعدما * رفع الصليب على ذراه وجددا
ومن الملوك الصيد يلقاهم اذا * رفع السراقد راكعين ومجدا
وبه ألى البيت الحرام وقوده * من كل فج أثنين المرءا
من بعدما درست معالمه * دهر او عزت وفها ان تصدا

(فصل) في صفة اقامة الجمعة بالاصمى شرفه الله تعالى في رابع شعبان ثامن يوم الفتح وقد هم محمد بن
القلاسي في تاريخه نجا قرأه بجماعة فانه قال فتح صلاح الدين بيت المقدس ونجا على المنبر فيه بنفسه وصلى فيه
وليس خلعت سوداء ولو يكن السلطان هو الذي باشر الحظبة على ما سذكره وقد تقدم ان يوم الفتح وان كان يوم الجمعة
الا ان الوقت ضاق عن اقامة فرض صلاة الجمعة فيه قال العلامة اسم السلطان القدس أمر باظهار الحراب وكان
الناوبة قد بنوا في وجهه جدران وتركوه قلعة لها وتبل كانوا اتخذوه مسترا ساعدا وتواضعا وكانوا قد بنوا من
غربي القلعة دارا لروسيه وكنيسة رفيعة فأوعز بكشف ذلك الحجاب وكشف القناب من عروس الحراب وهم

كتاب (١٠٨) الروضتين

ما قدمه من الآنية وتنظيف ما حولهم من الآفنة بحيث يجتمع الناس للبيعة في العرصة المتسعة ونصب المنبر
 وانظر المحراب المطهر ونقض ما أحدثوه من السورى وفرشوا تلك البيضة بالبطر الرفيعة عوض الحصر
 والبوارى وعلفت القناديل وتلى التتريل وحق الحق وبطلت الأباطيل وتولى القرفان وعزل الانجيل وصفت
 العبادات وصفت العبادات وأقيمت الصلوات وأدعت الدعوات وقبلت البركات وأجملت المكرات وانجابت
 القضايات واثابت الهدايات وقلبت الآيات وأعلت الزايات ونطق الاذان ونرس الناقوس وحضر المؤذنون
 وغاب القسوس وزال العيسوس والبسوس وطابت الانفاس والنفوس وأقبلت السعداء وأدبرن المحسوس
 وعاد الايمان القريب منه الى موطنه وطلب الفضل من معدنه وورد القتره وقرأ الاوراد واجتمع الزهاد والعباد
 والابدال والادناد وعبد الواحد ووجد العابد وتوافد الراكع والساجد والخاشع والواحد والراعى والزاهد
 والمجاهد والشاهد والجاسد والمجاهد والقاتم والفاقد والمتجبد والساهد والرائز والواقد وصدح المنبر
 وصعد المذكر وانبث المعشر وذكر البعث والمحشر وأملى الحفاظ وأبكى الوعائد وذاكر العلماء وتناظر الفقهاء
 وتحدثت الزواهد وروى المحدثون وتحف الهداء وهدى المتخفون واخص الداعون ودعا المخلصون وأخذ
 بالزعمة المترخصون وخص المصرون وفسر المحصون وانتدى النضلاء وانتدب المطياه وكثر المشهون
 لخطابه المتوشعون بالاصابه المعروفون بالغصاه الموصوفون بالحصاه فافهم الامن خطبه الزبده ورتب
 الخطبه وانشأ معنى شائقا ووشى لفظا رائقا وسوى كلاما بالوضع لائقا وروى مبتكر من البلاغة فائقا
 وفهم من عرض على تطبته وطلب منى نصيبته وتبنى ان ترج فضيلته وتبجح بوسيلته وتسبق بنبئته فيها امنيته
 وكلهم طال الى الاتمام باعنته وسال من الاتهاب عليها عرقه وامنهم الامن: أهاب ويترب وتوسل ويتقرب
 وفهم من يتعرض ويتضرع ويتشوق ويتشفع وكل قد لبس وقار ووقر لبسه وضرب فى انجاسه اسداسه
 ورفع لذهل راسه راسه والسلطان لا يعين ولا ين ولا يخلص ولا ينس ومنهم من يقول لىنى خطبت فى الجمعة الاولى
 وقرب البيل الطولى واذا نظرت بظالم سعدى فأناب الى من خطب بعدى فنادى بوم الجمعة رابع شعبان أصبح
 الناس بسا لن فى تعيين الخطيب السلطان وامتلأ الجامع واحتفلت المجامع وتوجست الابصار والمسامع
 وغاضت رقة القلوب الدامع وراعت لجملة تلك الجملة وهبات تلك الجملة الرائع وغصت بالاساقين اليها المواضع
 وتوسمت العيون ونسجت القننون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عظيم وموسم عظيم هذا يوم تصاب فيه
 الدعوات ونصب البركات وتسال العبرات وتقال العشرات وييقظ الغافلون وينعظ السامعون وطوفى فى
 عاش حتى حضر هذا اليوم الذى فيه انتعش الاسلام وانتاش وما أفضل هذه الساعة الحاضرة والعصبة
 الظاهرة والامة الظاهرة وما أكرم هذه النشرة الناصرية والامرة الامامية والدولة الباعية والمملكة الابوية
 والدولة الصلاحية وهى فى بلد الاسلام أشرف من هذه الجماعة التى شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة وتكلموا
 فحين يحط بلى يكون المنصب وتفاوض فى التعويض وتجدوا بالتصريح والتعريض والاعلام تسمى والمنبر
 يكسى ويحلى والاصوات ترتفع والجماعات تسمع والافواج تزدهم والامواج تلتطم وللعارفين من الضمير
 ما فى عرفات للجبج حتى خان الزوال وزال الاعتدال وحصل الداعى وانجل الساعى قصب السلطان الخطيب
 بنصه وابان عن اختياره بعد خصه وأوعز الى القاضي محيى الدين أبى المعالى محمد بن زكى الدين على
 القرشى بان يرفى ذلك المرقى وترك جباهه الباقيين بتقديمه عرفى فاعزته من عندى أهبة سوداء من تشرىف الخلافة
 حتى يكمل له شرف الافضاء والاضافة فرقى العود ولقى المهدد واهتز أعطاف المنبر واعتزت اطراف المعشر
 وخطب وانصتوا ونطقوا وسكتوا واقفوع واعرب وابدع واعرب وانجذبوا وبسب ووعظ فى خطبه
 وخطب بوعظيته وابان عن فضل البيت المقدس وتقديسه والمجد الاقصى من أول تاسيسه وتطهيره وبعد
 تغييبه واخراس ناقوسه واخراج قصيده ودعا الخليفة والسلطان وختم بقوله تعالى ان الله بامر العدل
 والاحسان وترزى وصلى فى المحراب واقف بسم الله الرحمن الرحيم من أم الكائنات فأم تلك الامه وتم ترزى لوجه
 وكل وصول لوجه ولما فضيت الصلاة انشأ الناس واشتهر الايناس وانعقد الاجتماع واطرد القباس وكان قد

نصب للوعظ ثم جاء القبله سرير ليعرجه كبير جلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجبا فذكر من خاف ومن رجا
ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجح وخوف يذى الخجة ذوى الجبا وجلسا نور عظمة من ظلم الشبهان مادبا
وأبى بكل عظمة قرا دين موثقه وثقاين عظمة ولا وليا الله مرقة ولا عداه الله مغفله وضع المتباكون
وعج المشاككون ورقق القلوب ونخت الكرب وتصاعدت النعرات وتحدت العبرات وناب المنقبون
وناب المخوفون وصاح التواوين وناح الواوين وجرت حالات جلت وجاوت حلت ودعوات علت وضراعات
قبلت وفرح من الولاية الهية انترب وحصر من العناية الربانية أحرزت وصلى السلطان في قببة الصخرة
والصوف على سعة العصر بهامتله والامة الى الله يدوام نصر ممتله والوجه الموجه الى القبلة عليه مقلبه
والايدى الى الله مرفوعة والدعوات له مسموعة ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استقر خطبته واستقرت
نصيته قلت هذه الفاظ العباد في هذا الفصل من كتاب الفتح وذكر في كتاب البرق بعبارة أخرى تشمل على فوائد
زائده وفي ذكر امراتقدم ايضا بغير تلك العبارة فائدة فانها معان جليلة كلما ذكرت جلت وكلما تكررت جلت
(فصل) قال العباد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة السابعة للجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الاقصى
يسط العرائس واختلاها لادل الانلاص وثغايةها من الاناس وكس ما في ارجائها من الارباب وقد كان
سبق امر من مبد الامر بهدمها هناك من أبنية الكفر وابرار الحراب القديم وأعاد موضوعه الى الوضع الكريم
فقد كان الدوايه بنواغر يهد دارا وادخلها فيها وخطوه بجانيتها واتخذ وامنها جانا مستر لاطلالا وبنانا
هر للقلل فأمر في العاجل يكف قاعه ورفق الوضع من أوضاعه ونقل ما وقع من انقاضه ونقض ما اعتور
ذلالا به وهر التقيس من اعراضه حتى ظهر موضع المنبر والحراب واستظهر باز التماثله من المحباب واجتمع
الخلق في ذلك الالاجع على تفرق ذلك المهدم المجموع وتفاوتوا وتفاوتوا حتى كشفوه ونفذوا دورهم وفروشه وكان قد
أمر بالخذاع عنبر في تلك الايام نخور وموركيه ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا الطل مزاحه والمهم مزاحه والمخاطر
الى وردها ملناحه من تاحه وذاك فضلا لمغناه وعلما لثقياه وكل منهم قد سبق بخطبه الخطبه وامل الفوز
به فضيلة تلك الرتبة وأعد لذلك المقام مقالا ونشط بشقيقة فصاحت من قمر حصاصته عقلا حتى اذا جعل
الداي وعين القرض على الساعى حضر السلطان صلاة قببة الصخرة بادية على أساريه أسرار سرور وبالاسره
وامتلأ تلك العرائس والصهور واستعبر للفرح بما يمر الله العيون وأن الدين الله انقضت له الديون
وتماك الزهون ووجلت القلوب وخشعت الاصوات وحسنت الظنون وعبر السلطان القاضي محي الدين بالامالي
محمد بن علي القرشي الزكي بن الزكي للصلاة والخطبه وقرع تلك الرتبة فصعد وسعد وحمد وأحد وأدب المعاني
الشرقية الفاظه ونبه الاقادي والاداني الفاظه وجلس السامع وجلب المدامع وأبى بالخطبتين المفروضتين
على الوجه المشروع والنهج المتبع والشرط الموضوع وذكر في الفتح البكر ما قضى به ابتكارا لاستعارات بادي
البراعات وابرع العبارات وصحب بالصدق ونفذ بالحق وعاز بالسبق وراحا لفضيله على فضلا القرب والشرق
فهو لشر المعاني أضغ خطيب له بشر المعالي أضغ طيب فابن قس في عكاملته من قياس الفاظه وأبن مهبان
من مبعاته وأبن ابن ثمانية من ثباته ولوحه شالاقرة الى فقره واحتقرا اعراضها عن جوهه وبعالا لمر المؤمنين
ثم لسلطان المسلمين وزل وقام اماما اكمل بصلاته القرض وأرضى بممت دعواته والطمانينة في ركعاته ومجدهاته
أهل السماء والارض وسر السلطان بنصبه مورضه وامتلاء دره حيو رامنه جيلابصره مسموعة فقد أختلت بالابصار
اشعة أنوار الخطبه في سواد الابهة وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحمية وكرمت مرار الرظي الى الله والقرية
ثم رتب السلطان بعده خطيبا سغرافاته للجمع والجماعات وتختزل ملازمته لاداء الصلوات ولما قضيت الصلاة
تلك الجمعة نصب سر للوعظ ابني تلك الامة المتجمعة وتقدم السلطان الى زين الدين الواعظ ليعرجه السرير وينفع
بعضاته الصغير والكبير وحضر المجلس برأى منه مسموع فكان أنوز مجلس وبجلى وأشرف جمع وجمع خلق ورقق
وأشهدوا ثم حق وخطب بعبارة الخلوفا العبرات وشار الفصل بمحصول الاشارات وبشر البشر بشارا البشارات
وذكر الفتح ويكرته والقدس وطهارته والدين وجسارته والكفر ونجسارته والقدر واعاياته والظفر وباتته

والصخرة واصرارها والروعة وافرارها والنار ومراطها والقيامة واشراطها والرحمة وما بها من باب الرحمة والجنس وجناتها هذه الامه وما أعد الله لهذه الطائفة وما أنزل من الامن على القلوب الخائفه ووصف بلاغته ما لا يبلغ اليه نطق الالسنه الواصفه ووصف الجهاد وقرائضه وفضائله والخير واولائه والنفع ووسائله والشرع ومساكنه والذنب وغوائله واحسان السلطان وفراصده والبحر وساحله والدين وحقه والكفر وباطله وكان يوما رحا وسوماراجا

(فصل) في ايراد ما خطب به القاضي محي الدين رحمه الله قال العماد وخطب القاضي محي الدين بن زكي الدين أربع خطب في أربع جمع كلها من انتائه وأودعها سر بلاغة عنيت بأفشافه وذكر كرت الخطبة الاولى وبدا فصاحت فيها طولي اختصها بهذه الآيات

وقطع دار القوم الذين تلجأوا والحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين الرحمن مالك يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وقل الحمد لله الذي لم يفتد ولد الآله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض والحمد لله فاطر السموات والأرض

والخطبة هي

والحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الامور بامره ومدمم النعم بشكره ومستدرج الكافرين بعمرك الذي خذرا لا يامد ولا يسلده وجعل العاقبة للتيقن بضله وافاده وعلى عباده من نخله وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خلقه من غلبته ولا ينازع والآخر بما يشاء فلا يرجع والمحاكم عماريد فلا يدافع أحده على انظاره واطفائه واغزازه ولولايته ونصره لا نصاره وتطهيره منته المقدس من ادناس الشرك وأوصاره جدم من انتشار الجده وباطن سره وظاهر جهاره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ورافع الشك وداحض الشرك وراحيض الافك الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه الى السموات العلى الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اديعني السدره ما يعشني ما زاغ البصر وما به وطئ صلي الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق الى الايمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلابة وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين وعلى بن أبي طالب عززل الشرك ومكسره الاوثان وعلى آله وأصحابه واتابهم لهم باحسان أيها الناس ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ومن الامة الضالة ورضاها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها في أبدى المشركين قريبا من مائة عام ونظيره هذا البيت الذي أن الله ان يرفع وان يذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن طرفة بعد ان امتد عليها رواحه واستقره وفيها سره ورفق قواعده بالتوحيد فانه بنى عليه وبالتقوى فانه أسس على التقوى ومن خلفه ومن بين يديه فهو موطن أيكم كبراهيم ومعارج نبيك محمد عليه السلام وقبلت التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهو مقرو والانباء ومقصد الاولياء ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزل تنزل الامر والنهاي وهو في أرض المحشر وصعده والمنشر وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين وهو المحجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم باللائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي أقامها الى مريم وروحها عيسى الذي شرع الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يرزحه عن رتبة عوديته فقال تعالى لن ينسكف المسح ان يكون عبدا لله وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهو أول القبلتين وثاني المعجدين وثالث الحرمين لانشده الرجال بسند المعجدين الالهيه ولا تتقد الخناصر بعد للمؤمنين الا عليه ولولا انكم من اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يباريكم فيها بحار ولا يباريكم في شرفها مبار فظنوا لكم

ومن جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والغزوات الصديقية والفتوح العربية،
والجيوش العثمانية والفتكات الهلالية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات الرومكية والمنازلات الحيرية،
والانجيمات الخلدية بجوارك الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر لكم ما تبذلونه من معكم،
وفي مقارعة الأعداء وتقبل منكم ما قربتم به إليهم من مهراق الدماء وأتابكم الجنة فهي دار السعداء فأقدر وارحكم،
والله هذه النعمة حق قدرها وقوم الله تعالى واجب شكرها فله الشكر عليكم بخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم،
ولهذه الحمد فها هو الفتح الذي ففتح له أبواب السماء وتبليت بانوار وجوده والنماء والتمسح به الملائكة المقربون،
ورق به عينا الانبياء والمرسلين فها ذا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخره،
والزمان والجن الذي تقوم بسيرهم بعد فترة من النبوة أعلام الايمان فيوشك ان تكون الثماني به بين أهل،
والخضراء أكثر من الثماني به بين أهل القبراء اليس هو البيت الذي ذكر الله في كابه ونص عليه في خطابه،
وقال تعالى سبحانه الذي أسرى بغيره لإلّا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله الآية أليس،
هو البيت الذي عظمته الملوكة وأنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الحكم عز وجل أليس هو،
البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على بوشع لاجله ان تقرب وباعد بين خطوئها لتيسر فقهه وتقرب أليس،
هو البيت الذي أمر الله موسى ان أمر قومه باسقاطه فلم يجبه الا رجلا من علمه لاجله فاقاهم في التهمة،
وعقوبة للصبيان فاحد والله الذي أمضى عزائمكم بما قد علمته نوا سرائيل وقد فعلهم على العاين ووقفكم بما خذل،
فيه من كان قبلكم من الامم الماضية وجمع لاجله كائكم وكانت شتى وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى،
وظينكم ان الله قد كرمكم به فبين عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهوتكم بجنده وشرككم الملائكة المنزّلون،
على ما هاديتكم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتعظيم وما أعطكم عن طريقهم فيه من أدى،
والشرك والتثنية والاعتقاد الفاجر الخبيث فالان يستغفركم املاك السموات وتصلى عليكم الصلوات،
والمباركات فاحفظوا رحمتكم الله هذه الموهبة فيكم وأخرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تحسب بها سلم،
ومن اعتمد بعروته المتجاوز عظم واحذر واسم اتباع الهوى ومواقفة الردى ورجوع القهقري والتكول عن العدا،
وخذوا في انتهاز الفرصة وازالها من بين الغصه وجاهدوا في الله حتى جهاده وبيعوا عباد الله أنفسهم في رضاء،
واجعلكم من خير عبادهم وبالن يستزكم السهان وان ينداخلكم الطغيان فيضيل لكم ان هذا النصر،
وبسوقكم الحداد وبخيلكم الجياد ويجلادكم في مواطن الجلال لا والله ما النصر الامن عند الله ان الله عز وجل،
وحكم واحذر واعباد الله بعد ان شرفكم بهذا الفتح الجليل والنجح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين وأعلق،
وأيدكم بجبله المشين ان تقترفوا كبير امن مناهيه وان تأتوا عظيم امن معاصيه فتكروا كالتى تقضت غزوها،
ومن بعد قوتها كانتا والذي أنشدها آياتنا فانسخت منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهادية ومن،
وأفضل عبادكم وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم اذكروا أيام الله يذكركم واشكروا الله يزيدكم،
ويشرككم جدوا في حسم الداء وقطع شافة الأعداء وتطهير بقية الارض التي أغضب الله ورسوله وأقطعوا،
وفروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الايام بالارات الاسلاميه والملة المحمدية الله أكبر ففتح الله ونصر غلب،
والله وقهر أذل الله من كفر واعلواو رحمتكم الله ان هذه فرصة فاتنزهوها وفرصة فأنجزوها ومهمة فأنجزوها،
همكم وأبرزوها وسيروا الباعز ما تم وجوهها فالامور باوانتها والمكاسب بذخاثرها فقد انظرتم الله بهذا،
والعدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضنى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى،
وان يكن منكم عشرون صابرون ونغلبوا ما تاتين اعاننا الله وما ياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجه وأيدنا معشره،
والمسلمين ينصر من عنده إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يتخذكم من ذا الذي ينصر منكم من بعده

وتعالم الخطبة الثانية قريب ما جرت به العادة وقال بعد الدعاء الخليفة

واللهم وأدم سلطانا عبدك الخاضع لهيئتك الشاكر لثمتك المعترف بجهيتك سبيغك القاطع وشهابك الالامع،
والحامي عن دينك المانع والذاب عن حرمتك المانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان وقامع

عبد الصليان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس ابا المظفر يوسف بن
 داود محي دولة اسير المؤمنين اللهم عم بدوك البسطة واجعل ملائكتك راياته حبيته واحسن عي الدين
 والخليفة جزاه واسكر عن الله المحمدي عز مومضاه اللهم ابق للاسلام مبعته وبق لاجل حوزته واتشره
 وفي المغارب والمشارك دعوتهم اللهم فكما فخت على بداليت المقدس بعد ان ظلت الظنون وابست للاؤمنون
 دفا فتح على يده اذاني الارض واغاصها وملكه صياصي الكفر وتواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة الاخرقها
 ولا جامعة الا فرقا ولا طائفة بعد طائفة الا لحقها بين سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه
 واغنى في المشارق والمغارب امره ونهيه اللهم واصح به اوساط البلاد واطرافها ولرباء الممالك واكافها اللهم ذلل
 وبه معاطس الكفار وارغم به اذن الفجار واتشر ذواته ملكه على الامصار واتم امره واجتوده في سبل الاقطار
 والله ثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في نبهه وبني ابيوب الملوك الياامين واشدد عهده ببقائهم
 وواقض باعز اوليائه واولياتهم اللهم كما جريت على يدي للاسلام هذه الحسنة التي تبقى على الالام وتخلده
 وعلى مر الشهور والاعوام فازرته الملك الابدي الذي لا ينفذ في دار المتقين واجبد عامه في قوله رب اوزعني
 وان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني رحمتك في عبادك الصالحين
 ثم ما برحت العادة به

فصل في المنبر قال العادل افضنا القدس امر بشعر المحارب وترخيه وتكليل حسنه وتقبه ووضع
 منبر رسمي في اول يوم قضى به الفرض واحتج بعد ذلك الى منبر حسن رائق بحسنة لائق وبجملته شائق وبكامله
 فائق فذكر السلطان المنبر الذي اُشاد الملك العادل نور الدين محمود بن زكي رحمه الله عليه في البيت المقدس قبل فتحه
 بفتح وعشرين سنة وأودعه لمن ذخايره عند الله حسنه فامر ان يكتب الى حلب ويطلب قمل وعمل على
 ما أمر به وامثل فجاء كالروض النضر والوشى الحبيب عديم الظنير وكان من حديث اخذته ما الما لله نور الدين
 رحمه الله لا ريب في خاطره اليه وابجائه وقد وقع في روعه من النور الفاضل من ينبوع ضلوعه ان البيت المقدس
 بعده سيف فتح وان صدور الحسين المرجح لاجل استسرح وهو من اولياء الله الملهمين وعباده المحمدين المكرمين
 وكان يعلب بحجار يعرف بالاختري من شيعته تعرف باخترين لم يلفه في فرائضه وصنعت قرين فامر من نور الدين
 بعل منبر لبيت الله المقدس وقال له اجتر دار ثابته على النعت المخدم والنعت المهندس فجمع الصناع واحسن
 الابداع واتمه في سنين واستحق بحق احسانه التحسين والناس يقولون هذا امر مستحيل وحكمه ماله دليل وذكر
 جميل وأجر جزيل لو كان اليه مسيل وهم ان ان يعودوا القدس الى الاسلام ويقضي الاصاب فيهم على الاظلام فان
 القرض عليه مستولون مستولون وهم يكثرون على الالام ولا يقاومون امانا صقوا على اكرامال حوران وقابلوا الكفر
 الايمان وقد أعجزوا ولولا الاسلام الى اليوم فما أصعب واتعب وقم القوم ويقولون له قوتهم اليقين وعرف ان الله
 كافل نصره فالدين اصبر واظمر هذه الامنة فهو كما قال الله تعالى ووضع الملك وكما امر عليه ملا ولم يزل لنور
 الدين في قلبه من الدين نور وأرتبوا المنبر مأثور أزده العباد وأعيد الزهاد وهوس الاولياء البرار والالتقاء
 الاختيار وقد نظروا نور الزمان ان الفخ تريب وان الله دعائه ولو بعد فتحه بحبيب وفي يده قوة مجدا وقته
 بجمها على الحياة الراية فعدا قد لله الله من العيب وأطلعه على سر القريب وزهه من الرب لقاء الجيب وشملت
 الاسلام بعنه بركة وختمت بافتتاح ملك صلاح الدين ملكته وهو اذ يدري به اولياءه وأحبوه بجاه وهو الذي سن الفتح
 وسنى الجمع وانفق ان جامع حلب في الالام النورية احترق فاحتجج الى منبر نصب فتنصب ذلك المنبر وحسن المشط
 وتولى حيث الفجار عمل المحارب على الرزم وشابه المحارب المنبر في الرزم ومن رأى حلب الان شاهدته على مثال
 المنبر القدسي الاحسان وما فتح السلطان القدس تقدم بحله ومعهم في محراب الا قضى فخرق ثملته وظهر سر الكرامة
 في فوز الاسلام السلامة وتماصرت الاسن بالذاعة لنور الدين بالرحمة وصلاح الدين بالنصرة والتمعه وقال العادلي
 موضع آخر من كتاب البرق وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زكي رحمه الله في عهده عرف بنور فراسه فتح البيت
 المقدس من بعده فامر في حلب بفتح منبر للقدس تعبا للجبارين والصناع والمهندسين فيهم سنين وابدعوا

في تركيبة الاحكام والتزتين وانفق في ايداع مجلسه وايداع ائمة ألوفاً وكان تردد النظر فيه على الایام ألوفاً
وفي ذلك المنير بجامع حلب نصوا سيقاقي صوان الحفظ مقروبا حتى امر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالاندر
التوروي وقيل المنبر الى موضعه القديسي عرفت بذلك كرامات نور الدين التي اشرق نورها بعد مسنين وكان من
المحسنين الذين قال الله تعالى فيهم والله يحب المحسنين قلت وهذا الذي نسب الي نور الدين رحمه الله من انه كرامة
من كراماته لا اتي بمجمله ومفتر من من الدين وليس بالبعد من مثل ذلك وكان رحمه الله قد بدت له غيايل ذلك بما تسمى له
من فتح البلاد الشامية والمصريه وقهر المدويين يد به مراروا كان فتح القدس في همتهم من أول ملكه فان لم يكن حصل
له مباشرة فقد حصل له تسبيا فان الفاتحين لمرجعهم الله سوا على ما أسسه لهم من الملك والتدبير وهم أمر الله واتباعه
واجناده واشياعه ثم يحتمل ان يكون رحمه الله وقف على ما ذكره أبو الحكم بن بركان الاندلسي في تفسيره فانه أخبر
عن فتح القدس في السنة التي فني فيها وعمر نور الدين اذ ذاك احدى عشر سنة وقد رأيت اذ ذاك في كتابه ذكر
في تفسير أول سورة الروم ان البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وخمسين وأشار انه بقي بأيديهم
الى تمام خمسةائة وثلاثين سنة قال ونص في عام اثنتين وعشرين وخمسمائة فليست بعد نور الدين رحمه الله
لما وقف عليه ان يمتد عمره اليه فهما أسبابه حتى منبر الخطابة فيه تنبر بالي الله تعالى بما يبيد من طاعته ويخفيه
وهذا الذي ذكره أبو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الامة المرحومة وقد تكلم عليه شيخنا
أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول قال وقع في تفسير أبي الحكم الاندلسي في أول سورة الروم اخبار عن فتح البيت
القدس وأنه يترجم من أيدي الصاري سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال وقال لي بعض الفقهاء انه استخرج ذلك من
فاتحة السورة قال فاحضرت السورة وكشفت عن ذلك فلم أره أخفنا ذلك من الحروف وانما أخذه فيما زعمهم قوله
تعالى غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيعلين في بضع سنين فبني الامر على التلويح كما يفعل
المتنبون ثم ذكر انهم يظنون في سنة كذا ويطلب في سنة كذا على ما تقتضيه دوائر التقدير قال وهذه جملة
واقعت اصابت ان صم انه قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه وليس ذلك بما عود من الحروف ولا هو من
قبيل الكرامات ايضا فان الكرامة لا تكسب بحسب ولا تستقر في تاريخ ولذا لم يوافق للصواب لما ادرك
الحساب على القرارة الاخرى الشاذة التي هي بفتح العين من غلبت الروم وروى ذلك انه قال في سورة التقدير لو علم
الوقت الذي أنزل فيه القرآن لم لم الوقت الذي رفع فيه

(فصل ١٠) قال الهماد وأما العصر المفسدة فان الفريخ كان ابنوا عليها كنيسة وأعادوا رسومها القديس قدس
وسر وهب الانبياء وعزجوا واضعها رعم التسوية وكسوها صورا هي أشنع من التعرية ولطوها بتلصيف التصاور
وفسوا في ترخيبها اشباها المختارير وجعلوا المذبح لها مذبحا ولم يتركوا فيها الايدي المتبركة ولا ليعيون المذبح حلسا
ولامطحا وقد زيناها بالصورة وانتائيل وعينوا بها مواضع الهبان ومعد الانجيل وكواها بالاسباب التعظيم
والتبجيل وافردوا فيها موضع القدم قبة صغيرة تعلوها باعد فالخام منسوبة وقالوا محل قدم المسح وهو مقام
التقديس والتسليم وكان فيها صورة الاعمام منبثة في الزخام والصخرة المقصودة لتزوره بجامعها من الانبياء
مستوره وبذلك الكنيسة المعهورة مشهورة فامر السلطان بكشف قبابها ورفع حجابها وحسرت امامها وقشر زخامها
ورحض وضرها ونقض ابنتها ونقل حجرها وابرازها للترارين واضلها للناظرين فباتت من الشين وباتت
لعين وحيث بالقبيل وفديت بالمثل فعادت كما كانت في الزمن القديم وشهدت حين شهودت بحسبها الكريم
وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطع من قنبا تحدا له الكفر في قنبا قتلها لان احسن ظهور وسفرت عين
سفور وأشرفت القناديل من فوقها نور اعلى نور وعلت عليها حظير من شبائك الحديد والاعتناء بها الى كل يوم
في مزيد قال وكان الفريخ قد قطعوا من الصخرة قطعةا وجلاوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى صقلية وقيل
بأعواها بوزن ذهبها واخذوا ذلك مكتوبا ولما ظهرت ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما باتت معاطعها
فهى الان مبرزة لتعريف جزها باقعة الى الایام يزها مصونة لا سلام في حذر حار جزها وقال في البرق ولما
ظهرت الصخرة وجدناها وقد اقيمت لها النوايب جزوا وأودعت ضهيرها من شر أهل الكفر شر امر موزا فان

الفرغ فقلوا منها الى بلادهم قطعاً وأبدعوا فيها بدءاً حتى قيل انها بيعت بوزن ذهبها وأفضى الامر بها ان يكون حجرها
 متبها فطهاها بعض ملوكهم اشفاقاً عليها لئلا تتبدد مني اليها فاقبت حروزها في القلوب خرازات وسرا حديث
 حداثتها في الاقاير وراياتها وازات وتولوا بعد ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى قصاصها بشيا بك من حديد وثبت
 اركانها بكل تسديد وقال في الفتح ربيب السلطان في قبة المعصر قلما احسنا ووقف عليها دلوا وأروا وسبنا
 وحل البهاو الى عراب المعجدا الاضي مصاحف وخطات وزجرات عظامات لاتزال بين ايدي الزائرين على كرسيها
 مرفوعة وعلى أسرها موضوعه ورتب لهذه القبة خاصة والبيت المقدس عامة قومة من المعارفين الماهكين
 القائمين بالعبادة الواقفين فاجمع اليها وقد حضرت الجموع وزهرت الشجوع وان الخشوع ودان الخضوع ووردت
 من للتحقين الدموع واقشعت من المعارفين الضلوع فهناك كل ولي يعبد ربه وبأمل ربه وكل أسعد أغبر لا يوفيه
 لواقم على الله لا يره وهناك كل من يحيي الليل ويقومه ويسبحوا خلق ويسومه وهناك كل من يحتم القرآن ويرتله
 ويطرد الشيطان ويطلبه ومن عرفته لمعرفته الاسرار ومن افقهه لتعبه الاوراد والافكار وما أسعدت ارباها
 حين يستقبل الملائكة زوارها ونطق الشمس أنوارها وتجل القلوب اليها أسرارها فالو تنافس ملوك بني
 أويوب فيما يؤثرونه من الامار الحسنه وفيما يجمع لهم والقلوب وشكر الانسه فامهم الامن أبجل وأحسن
 وفعل ما أمكن وجلى وبين وحلى وزين وأنى العادل أبو بكر بكل صنع بكر وتقى الدين عمر بكل ما عمر وعمر
 ومن جملة أفعاله المشكوره ومكراته المشهوره انه حضر يوماً في قبة المعصر فومعه من ماء الورد اجمال ولاجل
 الصدقة والرفق فالتفت فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص ثم غسلها
 بالماء مراراً حتى ظهرت ثم اتبع الماعجا الورد صبا حتى قطرت وكذلك طهر محيطاتها وغسل جدرانها ثم أتى
 بجبار الطيب فتجفرت وتضوعت ثم فرق ذلك المال فيها على ذوي الاحتقاق واغفران فالى الكرام الانفاق
 وبما الملك الأفضل نور الدين على بكل نور جلى وكرم على وبسط به الصنيع وفرش فيما البسط الرفيع وسيأتي
 ذكر ما اعتقده من بناء أسوار القدس وحفر خنادقه وأجر ما أعجب من صوابه معروفاً ووافقه وأما الملك العزيز
 عثمان فانه لما عاد الى مصر ترك خزائنه سلاحه بالقدس كلها ولم يزر بعد حصولها به قلها وكانت اجمالاً بأموال
 واقفاً لا كيبال ونخار واقية وعدداً واقية وكان من جملة ما شرط على الفريخ ان يترك كواثبهم وعدتهم
 قد قوت بذلك عند البلد واستغنى به عما يصل من المدد قال وأما عراب دار عليه السلام نارج المعجدا الاضي
 فانه في حصن عدياب المدينة منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقيم بها الوالى فرتب السلطان له لما
 ومؤننين وقواماً وهو مشابة الصالحين ومزار القاديين والراغبين فأحياء وجدته ونهج لقاصديه جدد
 وأمر بدمار جميع المساجد وصون المشاهد وانجاح المقاصد واصفاً الموارد بقاصد والورد وكان موضع هذه
 القلعة دلوا ودوسمجان عليها السلام وكان يتنابها فيها الانام وكان الملك العادل نازلاً في كنيسة صهيون
 واجتهد على يدها يجمعون وفواض السلطان جلساؤه من العلماء والاكرار والانتية الاخير لأن بني
 مدرسة لفقها الشافعية ورباط العلماء الصوفية فبين المدرسة الكنيسة المعروفة بصندخته عدياب اسباط
 وعين دار البطريرك في قرب كنيسة قمامة قارباط ووقف عليها عروقاً واسدى بذلك الى الطامختين معروفات وارتاد
 أيضاً مدارس لطوائف لضيقة الى ما أولاً من العولف

(فصل) في قول البق شرع الفريخ في اخلاء البيوت وسبع ما ذكره ومن الاثنا والعشرون واهلها حتى باعوا
 بأرض الاثنا وكان خروجهم شيباً بالبحان لاسيما ما عذر لقلعه وصحبته وكانوا كما قال الله تعالى (كم
 تركوا من جنات وصيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فكذلك ما ورونها قوما آخرين) فباعوا
 ما تم لهم على البيع اخر اجهر خيما وايقولوا ليعبدوا من ترك عبيها وقلوبها على ما في الدورن للماعون والمخو
 لما الصناديق والاشباب والزمام وما ييسر مجراها ما توفر منه الا انواع والاقسام فانها بقيت بحالها
 متروكة ولن يمكن تلك الاماكن ملكه وكانت قلعتها كنيسة العظمى ومعبدهم الذي يجمعون به الدين والدنيا
 مفروشة بالبسط الرفاع مكتوبة بالسور النسيج والمرمر المزجج من سائر الانواع والذي ذكره انه مقبر عيسى

عليه السلام على صفائح الغنصه والعين ومصوغات الذهب واليعين مصحف بالنضار مثقل من نقاش الحلي
بالاقدار فأعاده الطرث من عاطلا وتركه طلالا مالا قتلت له لطان هزلانا أخذوا الامان على أموالهم خابال
هذا المال وهو يوفى يحملونه في أمتاحهم فقال هم ما يعرفون هذا الثأويل وينسبون اليه لئلا حرمنا التحليل
ويقولون انهم لم يحتفلوا العهد ولم يحظوا العقد ونحن نجبرهم على ظاهر الامان ونترجمهم بذكرهم حسن الايمان
وكانت الهمة انهم يجز بعد أربعين يوما على اداء ما عليهم من القطيعه ضرب عليهم الف في مصحكم الشرطة
ووقف الشرعهم قولا لهم الثواب بعد عشر وجنا من القدس وبقي منهم عن ضرب عليه الرق خمسة عشر ألفا في الحبس
فترقهم السلطان وتناهبهم البلدان وحصل في منهم سببا ياتسوان وصيدان وثقب جدران وفي ابن بارزان بالضم
وادى ثلاثين ألف دينار واخرج من ذكره كراهه قصير بحسب الامكان وكانوا قد رغبوا في غايه عشر ألفا واعتقدانه
لم يبق غير فقير وبقي بعد اداءه على ما ذكرناه كثير وأما النصراني الساكنون بالقدس فانهم بذلوا من القطيعه الجزية
ليكنوا ولا يزجروا ويؤمنوا ولا يضرحوا فأقرروا بواسطة الغنيه عدي وأقر من قسوس النصراني أربعة قوام لقامه
فأعفاهم ولم يكلفهم القرامه وأمام مدينة القدس وأعمالهم الوق نشروا وعمرها وعزوها وغرسوا ظلم منها
بجان وقطوف وكانت لأمراء الفرنج ومقدمهم بجوارقهم وعند باب الرحمة مقبرة وقباب معمره فخطينا
آثارها ورخصنا أضرارها وقال في الفخ وأمر السلطان بأغلاق كنيسة فخامه وحرم على النصراني زيارتها
ولا إمامه وتفاوض الناس عنده فيها فنهضهم أشار بهم ميانها وتغية آثارها وتغية نهج من أراها وقالوا
إذا هدمت ونشبت المقبرة وعفيت ونوبت أرضها ودمر طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار وانحصرت
عن قصد ما مواد الخايع أهل النار ومها استمرت العمارة استمرت زياره وقال أكثر الناس لا فائدة في هدمها وهذا
فان متعددهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء ولا يقطع عنها قصدا جناس النصرانية ولونسفت
أرضها في السماء ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام أخرجهم على هذا المكان ولم
يأمر بهدم البنيان قال وأقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بهرهم من حصون واستباح كل ما لكفرها
من مصون ثم عدل ما جعه فترقه واخرج في ذوى الاستحقاق وانفقه فأكثر وأعدله على يده ولستكر وأما الفاضه
بفضله فقال كيف امتنع الحق مسخقيه وهذا الذي أنفقه هو الذي أنفقه وأداقيه مني المسحق فأنته له على فيه
فأنته مضاعف مني من الامانة ويوظف مني من وثاقها فان الذي في يدي ودبعا أحفظها لنزى استحقاقها وقيل له
لو أدركت هذا المال لما ل قال املى قوسى من الله الكافل بضع الآمال وجمع الاسماء المطلقين وكانوا الوفا
من المسلمين فكساهم ولساهم وواساهم وأدبأ ساهم فانطلق كل منهم الى وطنه ووطره نجاس ضره وضره
وقال في البرق جعلت الملك العادل يوما في أثناء حديثه في ناديه وهو يجري ذكر افراط السلطان في أياديه يقول
اني توبت أستغفاه قطيعة القدس فأنفذت له ليله سبعين ألف دينار فجماع في خازنه بكرة وقال زيد اليوم ما تقرحه
في الاشواق فغادتها كما كان بالاسم شي ياق فتفقت له ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال فترقها على رجال

الرباء يد النوال

(فصل) قال العادل وليكم أي الفضل قصائد قدسيات طوال كبيرة القوائد قلت قد وقتت على بعضها
وتقدم قبل ذلك ان قال من أول ما لى الملك الناصر الامر في عصر اعلم أنه مؤيد بعناية من الله سبحانه فامتدحه
في سنة خمس وستين بقصيدة تدف على مائة بيت منها في التباشر

لنظفرت بجالسوه ملك * أبالمنظر حقا خطه الازل
دليل ذلك آراءك اقترنت * بالحزم والعزم لم يخص بها الازل

وفيها

قدما لاسكندر أهل الزمان معا * في سن عشرين وامتدت له الحيل
وإلى التلاكين والافتقار أجمعها * طوعا له وسواك الأرض والمائل

قال ومحدثه سنة سبع وستين عند سقوطه من غزاة غزوة قصيدة منها

مكتتب (١١٦) الرومانيين

أبالتظفر فاهناً حظ منتقب * أخرى الزمان لدين كاديبيسنر
 زهدت فملسي الاملاك منكدر * علما بملك نصيب ماهه صكدر
 وطبت نغسا عن الدنيا وزمورها * وجئت تقدم حين المحول والخطر
 قال وصحته مسفتان رومين بقصيدة تنيف ايضا على مائة بيت مناهي التباشير

أرى للراية الصفر ايرى اصطفاهما * بنى اصفر بالراعات الكلاهزم
 قصبي فلسطينا وقصبي جزيرا * وتمسك من يونان لروض الاساحم
 وتضوا لها الاملاك شرقا وغربا * بذاحكت حناق اهل الملاحم

قال وبشت اليه في غرة سنة اثنتين وثمانين وهو على خمس بقصيدة هنأ به فيها بالعافية منها
 قياما لكل يبق للدين غيره * وهت عند الاسلام فاشدد لها دعة

فخوم فريق الشرك في الشام طائر * قصص جناحيه باقصى القوي قصما

نخصت بتمكين فم العداودي * فانهم بدأ جوج افخر بهار دما

اذ انصرفت من آل الامصر ساحة المقدس مناهت فم أم القري قصما

فذا المهدد الانصبي وهتك العلى * وعزمتك القصورى رر ميتك العصى

فما هو الا انهم وقد أدت * فتوح ككما فاض الحشم الذي حلما

وان أنت لم ترد القرمح بوقصة * فمن ذا الذي يقوى لبنيانها هدمما

وما كل حين تحسب للمروعة * ولا كل حال أمكنت تقضى غمما

وليس كفتح القدس منية قادر * وما ان تلقاها سوى يوسف جزما

قال وأنشأت قصيدة أخرى في سنة اثنتين وثمانين وحضر فيها بين يديه منها

ألقه أ كبر لروض القدس قد صرفت * من آل الامصر اذ حين به ساقوا

أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم * من غير تبعه سلاوى وامنان

لهم فلسطين ان يخرج عدائهم * عنها والاعدت يفس وخوصان

حتى نبت رباح القدس منفردا * وصعد المعصرة القصر اعلمان

واستقبل الناصر الخراب بعينهم * قدمت من وعد فمخ وامكان

وبانزع ينيه البهر فحقل من * غاراته ااروم والصقلاب والان

حتى يوحدا اهل الشرك فاطية * ورهب القبول بالناو ث رهبان

ولا بن اوبى في الافرنج لمحة * دلت عليه اساطير وحبان

ومن أحق بملك الارض من ملك * ككأنه ملك في الخلق حنان

ثم قال وأما القصيدة المعقبة الناصرية فأولها

في باطن القيع بما لا ندرك الفكر * فذو البصيرة في الاحداث يعتبر

ما يرى ملك الافرنج في قصص * أين القواضب والعساة العمر

والاستبشار الى الدواية التأموا * كأنهم حدى جوج اذا استبحروا

والنفس مولعة عجبا بسيرتها * وفي المقادير ما تنسى به السير

يا وقعة لتتل ما بقيت من عجب * محافل لم يفت من جمعها بشر

وياضى السبت ما تقوم قد سبتوا * تهتدوا أم بكاس الطعن قد سكروا

واخرجهم شعيب المسم بحمرا * صكمدن أم تقوا رجفا بما كفروا

حطوا بحضين ملكا كافياعجا * في ساحة زال ذال الملك وألقدر

أهوى اليهم صلاح الدين مقترعا * وهو القصف نغرا عدى ظفر والظفر

في أنجيل (١١٧) العولتين

املى عليهم قصار واوسط كفته * كسرت طير حواها القافض الذكر
 وأنجز الله سلطان موعدة * ونذره في حكور دينه البطر
 وعان الملك الابرس في دمه * خات حياحي وهو يتسلط
 رأى ملكا ملوك الارض تتبعه * والتجسم ضلعه والشمس والقمر
 اذا بدتهم ر الاعيان هيته * وفتق وهو في الاذهان مشهر
 تقدم الجليل في أخرى الزمان به * على صدور علا من قبلنا صدروا
 أما رأيت قسوس القادسية في * اكثاف لويستة تحلى وذاعمر
 والحق يعمرس والطغيان منجب * والكفر بطمس والايمان مزدهر
 هذا الملك الذي بشرى النبي به * في فتنة النبي للاسلام يقتصر
 أنبي ملاحم ذى القرنين واعترف * لهاروات بما لم ينه أنسر
 أعين اسكندر بالحضر وهوله * عون من الله يستغنى به الحضر
 وصنع ذى العرش ابداع بلايب * فلاقت كيف هذا الحادث الخطر
 ينالساياه تحلى في دمشق اذا * ملك الفرغ مع الاثر الا مخبر
 ازاهم الساطحين معا * مصفدين بحبل القهر قد أسروا
 يتلوهم صليوت سيق متعكسا * وحوله ككل قبس لهزبر
 ونحس في ذا وذا طير محييه * بفتح حكا التي سدت بها التفر
 تفزروا ساطلنا منها مقلية * قنذع الروم والصقلا بولنشر
 من ذا يقول لعل القدس مفتح * اليك بل سفر يعقوبه السفر
 أبو الخضر نوبها فذ سقا * من باب حكا الى طرطوش تنشر
 يسى فرجبة من أظفار هاله * مع المجرس حروب قدحها سمر
 وبعض أبنائه بالقدس منتدب * وبعضهم رومة الكبرى له وطر
 براية تشرق الارض الكبيرة في * جمع تقوله الاجسام لا وزر
 فالوا اطلت مدحافيه قلت كما * بدأت فالصبا للمحبوب مذكر

واما القصائد القدسيات التي فيها التائيه وقد تقدم ذكرها ومنها القدسية الكبرى عدد هامة واثنان ونسبون
 يتناولها

نصارى دهر اعرت لمن اهتدى * وبسطه أمر اعرت من عردا
 لمرعة فقع القدس سر مغيب * وفي صرعة الا فرغ معتبر بدا
 أوقا كبحال ابرمت لاسارنا * فسقناهم فيها قطينا مجندا
 وسامو لتجار اتت ترنا غواليا * قبعتاهم بالرخص جهورا على التدا
 وجروا جيوشا كالسيول على الصوا * فاضت فناء في البطاح مندا
 وقالوا ملوك الارض طوع قيادنا * اذا الكل منهم في القيد مندا
 وقد أقطع الكند العراق موقعا * فأودع معنا وسط خلق مؤندا
 وأقسم أن يسقى بجله نخيله * فأوردنا لاردن الأمصفا
 فكركم اوقا نخملان قهقهه صمعه * وحكم سائق عجلان قهقر قندا
 اتى الكند من اسبان يحسى قامة * فكان قضى ملكه قبيل يتدى
 فاصعد الرايات الاحملا * ولا حبل الرايات الامصفا
 ووقعت يوم التل اذا قبضت به * جبابرة الا فرغ حسيرو شردا

كتاب (١١٨) الرومانيين

عليهم من البلوى سرادقة • ومن ذل ماتت نفسه فقيدا
 ترى النمر الله يولي سلاحه • وينساق ملابن السبا يملها
 يا عون اسر البشرائح احبيل • كئيلة عصفور من الارش جردا
 قتلني نصارى جلق فيماتم • يبرونها الاشعي وتنبدا
 ألم تر السلطان مسدق نذره • دم القادر الازنس فاقتردا ردا
 وبشره بالقتل وسط جنابه • وعينه الكئيل الملك فاردا
 وضاعت نفس القمص الارض مهريا • فادره كالهوت للفاجي ممكدا
 وما طرق الامم من عهد آدم • كالحمة اثل التي تلت العدا
 اتوا وادبوا زال ينفي خباثتها • ويصفي بعضي الدار طائفة الهدى
 به جئت اصحاب ليكة وهي في • ذراه وذا فيه شعيب تأيدا
 أرى الله فيه معجز النصر خلصا • لاهر صلاح الدين في الناس غلدا
 واعدى جنود الرعب ردى عداته • وسلم جميع المسلمين مجندا
 ومن عجب خمسون ألف مقاتل • سبهم جيوش ليس فيهم اردي

ولرشيدين بدر النابلي

هذا الذي كانت الآمال تنتظر • ظيوف الله أقوام بما نذروا
 بمنزل ذا القمح لا والله ما حكيت • في سالف الدهر أجدل رولا
 حين بهمان هلك المشركين فيا • لله طيب العشايا منه والبكر
 الآن قوت جنوب في مضاجعها • ونام من لم يرل حلفاه المهر
 يا بهيمة القدس اذ اغشى به علم السلام من بعد طي وهو منتفر
 يا نور مسجد الاضي وتدرعت • بعد الصليب به الايات والصور
 شتان ما بين ناقوس يدان به • وبين ذي منطقي يصفي له الجمر
 الله أكبر بصوت تقسمعه • شم الذرى وتكاد الأرض تنفطر
 يا ملك الأرض مهدها فما أحد • سواك من قائم للهدى ينتظر
 ما خضر هذا الطراز الساحلي ثمرا • الالتملوه به اعلامك الصفر
 أنشئ بنو الاصفر الانكاس موهنة • فيها لاعدائك الايلن والندر
 صاروا حديثا وكانوا قبل حادثة • على الوري يتقمها الابدوا الحضر
 سلبهم دولة الدنيا وعيشتها • حتى لقد ضجرت من وفدهم سقر
 هذا الذي سلب الأفرنج دولتهم • وملكهم يملوك الأرض غاعتبروا
 مراكر ما اختطها الخوف فماتة • عاموا ولا ريع أهلها ولا زعروا
 ولا أصرح باسماء البلاد قد • أسميت ولقائل المنطق يقتصر
 فينك اجال قولي عن مفصله • في لحظة البصر حتى تحته الدور

وهي طويلا من قصيد أخرى

ألم بدار الناصر الملك الذي • في حكمة العبد سبعة أبحر
 فاذا هربت بلكه وقوحه • فاحضر عاروى عن الاسكندر
 واذا بصرت بجاشه وببيشه • فاحت التراب على ذوابه صخر
 والشهاب قتيان الشاغوري من قصيدة
 كسرت على كسرى لعدك دولة • قصرت مهايتها لتطول قيصر

في اخبار (١١٩) الدولتين

لهدى صلاح الدين الاسلام اذ * أدى قبيل الكفر ما يقدر
رب الملاحم لم يؤرخ من قبله طلاء قدامي قديم العصر
خطمت عليه خلعة الملك التي * زدت بهارا بالطرز الاخضر
راياته صفرا تؤود وتنقي * حرا تجميع آل الاصفر
لم تدن شوس الملوك له وقد * ملك السواحل في ثلاثة أشهر
واستنقذ البيت المقدس عنوة * من كل ذي نجس بكل مطهر
وأرثهم ما اتفق الجعان بالبيت المقدس هول يوم المحشر
وردت دين الله بصدق طوبه * بالمعبد الاقصى بوجه صفر
واعدت ما أباه قبلك فاتحها * عمر فانت شريكه في القصر
حتى جعت لعشر الاسلام * الصخرة العظمى وبين المشعر
قلعة تالي البيت المقدس كفوها السجهر المفضل عند افضل معشر
فكانه انسان عين صورة * يقاتل السور ومعنى أنور

(فصل) في حصار صور وقع هونين وغير ذلك قال العماد ثم ان السلطان ما زال مقيما بظاهر القدس بمحقق
الامال ويفرق الاموال حتى وردت كتب سيف الدين على بن أحمد المشطوب وكان نائب السلطان يصيد اربوروت
وهما جاورتان لصور فكتب يعرض السلطان على حصار صور فرحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس
والعشرين من شعبان واخذ صوب عكا وسبقه اليها الافضل وتقي الدين وودع السلطان ولده العزيز وورد ما لي مصر
فكان آخر عهده واستعجب السلطان أثناء العادل فوصلا الى عكا مستهل رمضان فاصبح من شأنها ثم رحل قنزل
على صور يوم الجمعة التاسع من رمضان ونجم بازاء السور بعيدا منه على النور وعظم البلقي البحر وهي مدينة حصينة
متوسطة في البحر كانها سفينة وكان المركب الذي في صور قد حفر لها خندقا من البحر الى البحر وبني بواسطه
واحكم في التجهيز به واستظهر بن كثير والعدد والعدد واغتم اشتغال السلطان بفخ القدس فاهام السلطان تلك
المنزلة على صور ثلاثة عشر يوما حتى تلاقت الامداد وكثرت العدد وآلات الجهاد ورتبت التحصينات ثم حوّل
السلطان مضطرا به الى تل قرييس المور يشرف منه ثم حاصروهم وقابل كلاما من الملوك بجانب بكفيه منهم الافضل
والعادل وتقي الدين الحاصر وهم وما يقوهم ووصل في تلك الايام من حلب الملك الناصر غازي ولد السلطان بعسكره
الحلبى فاستظهر السلطان به واستدعى الاسطول المصرى وكان يكافئه منه عشرة قشوقي وكان الفرغ في البحر
مراكب وسرايق وفيها ما من البحر والجزيرة وكانت برمون من دمان البحر فلما جلبه اسطول السلطان امتطال عليها
وأبعد ما فاجأ بهم المسلمون فقاتلهم بر اوجرا فيمنعاهم في أسلى ظفر واهنا وورد صدر اذ ملك الفرغ فخم من
شواني المسلمين وأسروا مقدم ما يروى يساهب السلام للفرغ ومثوله بدران الفارسي وألقى جماعة أنفسهم في البحر
من ناج وهالك وذلك انهم سهروا تلك الليلة بازا اميننا صور الى المهر ثم غلبهم النوم فانتبهوا الا والفرغ قد كبتهم
ونكبتهم فاصبح المسلمون وقد اتلموا وانهم من الاسر ما لم يعلموا ونفذ السلطان الى المراكب الباقية ان يسيروا الى
بيروت وشاف عليها القتل ان يسوق عليها عبدة الطافوت فغلبها شقيق رئيس جليل والبايون قنزلوا الى الفرغ
وراهم فالتقوا أنفسهم في الماء ونحو الى البحر على وجوههم ثم ان الفرغ بعد هذا طمعت فخرجت وما وقت العصر
مستعدة للقتال فالتقاهم المسلمون فكانت الدائرة على الكافرين وأسروا مقدم كبيرهم وتبين انه المركب فنبه
السلطان الى ولده الناصر ليضطره فغضب عنه وكان الليل قد دخل فلما أصبحوا تبين لهم ان المركب بعد في الحياة
فطال حصاره حتى فجر كثير من أمره المسلمين لانهم رأوا ما بالفرغ من قصر الفتح عليهم فاشاءوا على السلطان
بالرجيل ثلاثة تقي الرجال وتقبل الاموال وكان البرد قد اشتد عليهم وكان رأى السلطان والاقبياس الامراء
كالقبي عيسى وحسام الدين طيان وعز الدين جرديك النوري التاب الجنيان الى الفتح لثلاثين يوما قد من
الاعمال واتفاق الاموال وقال السلطان تدهمنا السور وقاربنا الامور فاصبروا فاحفظوا وصابروا فاحفظوا ولا تلهوا

فاظهر والمراقة في أنفسهم ما غلب صدقوا القتال وتلاوا بان الرجال حرجي والعلاقات قد قلت فزيع السلطان
بصدقك الا الرحيل فامر بقتل الاقبال فدخل بضمها الى صيد او يروى وتواحق الباقي لثلاثه العتور وحمل
في آخر شوال وهو أول يوم من كانون الأول وسارت في العين الى دمشق على طريق هونين واستعجب معه عساكر
الشرق وديكر والموصل والجزيرة وسجبر وماردين ورجل السلطان الى هكافوسا في ثلاث مراحل لامتلاك
طريق الناقورة وهي طريق ضيقة معطلة على البحر باضرب المثل لا يعبها الا جمل فجل فعبت بها الاقبال
والاجال في اسبوع وكان عين يوم حمله من صوراً امر اربعين عليها الى ان يعرفوا عبور التقل وخيم السلطان
هنا تلت وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب ويدر الدين دحرم الباور في بلاده قال وفي حدة فحصل
السلطان عن صور جاءه خبر سيف الدين محمود بن عيسى الدين جاولي انه استشهد في عصر بلا تحت حصن كوكب
كبسه الفرغ فيها ليلاً وذلك انه كان قد بقي على السلطان بعد ما فتح من بلاد الدرو من جهة اعمال طبرية والعتور
حصناً صدف كوكب وكان في مسدد جبهة الدأويه وفي كوكب جبهة الاسنارية فاحتاج السلطان في ههنا
الى المطولة فوكل بصفد جاعة يعرفون بالناصرة مة تهم معبود الصلتي ووكل بكوكب هذا الامير سيف الدين
محمود فاقام في حصن عفر بلا وهو قريب من حصن كوكب ونص على المقيمين فيه المظم والمضرب وضييق عليهم
الذهب الى ان يدخل الشتاء فاختل الحراسه واعتلت السياسة فلما كانت ليلة آخر شوال وكانت ليلة باردة
عاطرة حرس امير سيف الدين حتى ضجروا فقلهم الناس فاستيقظوا الا وفرغ كوكب عليهم باركه فداغوا
عن أنفسهم حتى استشهدوا واخذ الفرغ غنيمه المالحين ودخلوا بها كوكب وكان هذا الامر محموداً من متين
وسكان من النسل يمكن وهو سهر أكثر له منه بعدا وقد جعل منزله مسجداً لجمع بين التبعيد والجهاد وكان
كثير الاجتهاد فاعتم السلطان بمصابه وزاد تأمل الى مبابه وتقدم الى صارم الدين فاجاباً النجمي ان يرايط كوكب
في خمسمائة فارس ففعل ولم يرل بها الى ان تفتت كاسياً في قال وتفتت هونين والظاهر السلطان بمحاصر صور وكان لما
فتح تبين قدامت عليه هونين فوكل بها من رابطها وضايقة حتى طلبوا الامان وجاءه خبرها الى السلطان وهو
على صور فغذا الامير بدر الدين دحرم ففتحها وخرج الفرغ منها سائمين آمنين وكان قد بقي أيضاً من عمل صيدا
قلعة أي الحسن وشقيق لروين وأقام السلطان بظاهر عكا ناظر في أمور عينه ثم دخلها وسكن بالقلعة الا فضل
برج الدأويه وولى عكا عاز الدين رديك ووقف دار الاستبصار فصنع نسطاعاً على القنصاه ونصفا على الصوفيه
ووقف دار الاسقف بمارستانا ووقف على كل من ذلك كفايته وأظهر به عنايته وسلم جميع ذلك الى خاضرها
جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب وهو في ذلك مصيب

(فصل ١٠) في ورود رسل التهاني من الافاق وقدم الرسول العاتب من العراق قال الحمد ووردت رسل
الافاق من الروم وخراسان والعراق وكلهم بنى السلطان بما أفرده الله به من الفضيله وأقده عليه من تجميع
الوسيله وهو فوق القدس الذي درجت على حصره القرون الأولى وقاصرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده
الطولى فامتهم الامن يعرف جمته ويعترف من به وغيرهم كالتزبل او يتزل على حكه ويخطب
بصدائقه ويخبر بالوفاء والوفاء ويتابعه الشفاء والشقاق فمن جلتهم رسول صاحب الزى ورسول المستولى
على عاكه همدان واذربيجان وازان فامن يوم معنى وشهر تخفى الا دى صل منهم رسول ويتصل به رسول
وذكر العادى النبقاته ووصل الى السلطان وهو كارسول آتابك مظفر الدين قزل ارسلان وهو عثمان بن آتابك
المذكر المستولى على بلاد النجم بعد أخيه البهلوان ثم ذكر من ترجم في كرمه شيئا كثيراً ثم قال وهذا كله لا يكون
في بحر سلطان تاجدولا كان السلطان مذهب المذهب ظاهر المحفل والموصكب قد ختمه الله بالصدرا لارحب
والنصر الاظب عزم على الجهاد مصروف وخلقه بالمعروف معروف وهم بالفتح مع شغوف ما يقهه بالسيف
في البلاد يبه ان يضرب معه بالسيف في الجهاد ولقاتل تقواه ولتكون جدواه واغبار بدلا آخر تزداه فلا جرم
نعم الله بالسي قباء قال ولم يكن في الملك السالفة أمضى منه عزماً ولا جدى فضلاً وأعم جدوى واكمل جهدا
في الجهاد واماك جلد على الجلال فانه بالشر بنفسه الحرب ومارس الصعب وقذف بالحق حين حققه على

في أخير (١٢١) الدولتين

الباطل فازهقه ولا حدولا علمنا في سبيل الله من نفاس التنفوس والاموال افنقه ومن أول هذا العام الى منتهاه لم يصف لورده ليد ولم ينضب من ورده عد ولم يقرله جنب بل لقي في فحلى القيقض والقتر مض الحرو وعرض البرد بحر وجهه الكريم وقضى حق الدين موفيا بصدق غرامه حق التكرم وكل ما تم من النصر يوم حطين وفقر القدس وتسلم بلاد الساحل انما تشي بشورسفه في فصل الصيف وشهوره واستظها به بظهور الاسلام وشذظله ووره وأنشد العا لدلقاضي الفاضل في وصف ما يافه

ما ضيات على الدوام دواحي * هي في النصر نجيحة الاسلام
في عيّن السلطان ان جردتها * أشبهتها صواعقي في غمام
تشر الهام كالخروف ما أشسبه هذي السيوف بالاقلام
في محارب حربه البيض صلت * وركوع الظبي محبوب الهام

وذ كرم من كلامه في التوسط بين الاصدقاء (ما دخل ينكم الا كدخل للمرد في الاجقان يرثا اليها مذهب منها من النور والغمض او كنسم بين الاغصان يعطف بعضها على بعض)

قال العماد ووصل أني تاج الدين أبو بكر حامد من دار الخلافة رسالة في الغلب على احداث قتلت وأحاديث قتل. وشايات أثرت وسعايات في السلطان شعث وذلك في سؤال ونحن على حصار صور وسبب ذلك انه لما تم الفتح الاكبر ونص وعوم النجح الاظهر وقطع دابر المشركين وحط اقبال المسلمين أوزار اديار الكفر بطين أمرني السلطان بافشاء كتب البشار الى الآفاق وتقدم البشري به الى العراق قتل هذا فتح كريم ومنع من الله عظيم فلا ينبغي ان يكون مبسردا الخلافة بما أنزله الله علينا من الرحمة والرافه الا من هو عندنا أجل وأجلى وأعل وأعلى وأجمع لفنون الفضائل وأعرف بآداب الراسائل فلا يرفع العظم الا بالعظيم الرفيع فان الشريف يتضع شرفه بمقارنة الوضع فقال هذه نصره مبتكره وموهبة مشره بذرت ونذرت فحسن نهجهم البشيرا ونؤخر لاجلال كما ذكرت سفيرا وكان في الخدمة شاب بغدادى من الاجناد قد هاجر للاسترقاق وتوجه بعد وصوله وتنبه بعد خوله فسال في البشارة الى بغداد وزعم انه يداوم اليها بالاغذاذ وشفع له جماعة من الاكابر حتى حظى بأشرف البشار قتل هذا ليحصل له وقع ولا يصل اليه نفع والواجبان يسير في مثل هذا الخطيئة خطير ويسفر في هذا النصر فالكبرى كبر ثم سار المندوب وشغل عن ارسال سواء الفتوح والحروب وما فتح البيت المقدس أرسل بشارته فجاب ونفذ بها كآب ووصل البشير الجندى فقر وموما قروه فانه كان عندهم منظور اربعين الاحتقار فنظروهم تلك العين وجوهه بما يليق به من التقدير والعين وتقم على السلطان ارسال مثله وتسمح المندوب بكلام أدخل عليه وبدر منه أحداث نسبت اليه وقال في سكره وطافته ما تعرض عن ذكره تخيل وموته وتكره فكره وتظن ان لكلامه أصلا ولقظه مناوصلا وانتهت الى العرض الاشراف مقالته وعلت جهالاته وتجنى على السلطان بارساله وطرق الى هداما تانكره من مقال المذكور واصله ووجد الاعداء حينئذ الى السعاية طريقا وطلبوا التمثيل استعانة بالخدمة تقريبا واختلقوا أصابيل ولقنوا باطيل وقالوا هذا بزمع انه يقبل الدولة ويغلب الصولة وانه يعت بالملك الناصر نعمت الامام الناصر ويدل به من القوة والعسا حكر فاشق الديوان العزيز على السلطان من هذه وبرز الامر المطاع بارسال أني وانفاذه وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد تكمل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان أخاه هناك مطلع على الاسرار وهو منتظم في سلك الاولياء الابرار وعمل عليه الديوان في السفار ورد معه جراب البشارة وكتب له بذكره موجبات مقاصد الغلب ومكدرات موارد القرب والمخاطبة فيها وان كانت حسنة حسنة والمهاتبة مع شذتها للعواطف الامامية لئنه فصار الاخ الى دمشق وكان قد عاد المندوب بادبا عا ديا جاحدا للنعمة شاكا وقال أخوال العماد قد وصل بكل عتب وغضب ولفظ خط ومعه الملامات المؤلمات قتلته استكت واصمت وقلت للسلطان سمعا وطاعة لامر الديوان فان اظهرا سر العتب لك من غاية الاحسان فقال نعم ما قلت وما قرب أني أصبحت قدومه اتقنى فأمر السلطان الامر اعملى من انهم باستقباله وتقدم لجلالة قدومه باحلاله وتلقاه بالوك الحاضرون العادل والمنفرد والافضل والتاثير

ثم ركب وثقه ما بنفسه ونص من قريه بأبيه ولم يزل حتى أزلوا موضع الحصار ومصارع الكفار ثم قتل وأنزله بالقرب ثم أحضره وقد أخلى مجلسه ليومه وحده فأدى الامانة في مشافهته ووجه مقاصده في مواجهته وأحضر الذكر وقد جعلت للمعرفة والذكر قراءتها عليه وكان في الكتب غلظة عذت من الكثرة غلظه ونجيت سقطه وجبت سقطه فقال ان الامام أجل من أن يأمر بهذه الألفاظ الغلظة والامساج الغلظة فقامه كن ايداع هذه المعاني في ارق منها الغلظة ارق وأوفى منها فضلا وأوفى معاذاته أن يخط على ويهبط على واستغنى وارقت ثم اعرض عما عرض ورجع الى الاستعفاف واتجمع باري الاستعفاف وقال لما جعله الاعداء موعنا به المتصلون فما عرف حتى الاعتراف بالعارضة وذكر للسلطان أياديه المالفه في الفتوح واقامة الدعوة العامية بمصر واليمن ولزالة الدعية وابادة الاعداء وفتح البيت للقدس قال وأما النعت الذي أفكر ونسبه على موضع الخطاء فيعوز ذكر فهذا من عهد الامام المستغنى والآن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين من الجملة فانه اسمي من الذي هو اسمي وأشرف وأرفع وأعرف وما عزمي الاستكمال الفتوح لا مير المؤمنين وقطع دغير المناقضين والمشركين ثم نذب مع أني من سارني خدمت على يرة القدس ثم عود عودهم شفاعه كل مافي النفس وظهورت بعد ذلك بالقبول أنذر الرضى ومضى ماضى وكان جهاه من السلوك والامراء كالعادل ومظفر الدين قدوة ومنا قبيل في حقه وأرادوا أن ينصبوه فما غضب بل غاض غيظه ونضب وتلقى ذلك بصدر رحيب ولغظ مصيب قلت ووقف على كتاب كتبه صاحب قوام الدين ابن زيد من الديوان العزيز بسعد الى السلطان صلاح الدين وكان قوام الدين يومئذ استاذ اقدار العزيز يقول فيه (ولو لم يكن صلاح الدين من الخدمة والشعبه والمنافسة فيه لما جوعوا بالعتاب ولا رفعوا من الحجاب بل كان يترك مع الامر على اختلافه ويدمل المرح على اعتلاله وقد ذكرنا الاسباب التي أخذها الديوان العزيز عليه واستغفر وقوعها من كاليوسها جميعا الكريم ويستورى فيها رايه الاصيل وينصف في استماعها والابانة عنها غير عاج على الجدل ولا مؤتم بالمرء المنصوم عقلا وشرا على يحمل قول هذا على سبيل المحاضة والانتصاح وصدق النية في رواب التناهي والاصلاح فان ابحار الدواء انقر لا يتهم فيه الطبيب المحتلب لها فيه) ثم ذكر من تلك الامور (ان من اتقى من العراق بسبب من الاسباب لجأ الى صلاح الدين فرج عنه اقبال عليه وكان الادب يوجب ابعاد من بعدهم وتقرير من قريه اليه) ثم قال (وان مما أضحك بغير الاستبصار ما انتهى عن العوام واشباه الانعام وطعام الشام من الخوض في المناهب والانتها في التشيع الى اختلاف كل كاذب ومنها ما جرى من سيف الاسلام بالجهاز من ازعاج الجحاج وارهاج تلك الجحاج والاقدام على مناسك الله وشعاره وأعاد عبر القننة قبلوا زواره واحتذاه البيرة القسطة واحيا بدع القرامطة ما تفر منه كل طبع وعبد كل سمع فكيف جاز لصلاح الدين ان يرضى عن ابن أخيه فيما يقرض سوابقه وأواخيه ومنها ما قضى الناس سنة الحب وفوق فيه الخنز والادب وهو الواجب التلقب باللقب الذي استأثر به أمير المؤمنين) ثم قال (وقد سار وقت زمان الدولة العباسية ثبته الله خوارج دعوها البلاد وأسر غواي العناد وباسوا للال الديار وأخافوا المسالك واستضاموا المسالك واقصوا من الشقاق أشق المسالك فما انتهى أحدهم فيما احتجبوا وترك الى المشاركة في القرب ومن الحكم الفاضلة في حيز الكلام الذي يصلح لاولى على العبد حرام ومنها مكانة كل طرف يتأخر أعمال الديوان من مواطن التركيان والاكراد ورواسيهم ومهادتهم وقرع اسماءهم بما يعود باستزال أقدامهم وقل عزائمهم وهم لا يعرفون الا انهم رعية العراق وخول الديوان يربون الطاعة خائفين سائق) ثم قال في آخر الكتاب (وهذا كله لأن الله أنكلا لجلال مقامات صلاح الدين ومناهم مواقف جهاده في سبيل المؤمنين فانه أدام الله علوه ورحل وقتهم ونسج وحده والمري على من سلف من صنائع الدولة وعلى من يأتي من بعده وهو الولي المختص الذي عهد قوفنا واستكني قركنا وطبقنا فكيف يجوز له سعادته ان يجمع ساعة القرب المحبلة ويخرج من مكانته المكرمة المجلبة ويطل حفرته الثابتة المسجدة) ثم قال (قد علم كل من نظري التواضع والامار ونهضة ميسر في التبصر والاعتبار ان هذا البيت العظيم ما زال يرفع الاقدار الخاملة فينون عليه بطراف انوار الله له منتصرا ويعقبه عليهم انقارا

ونظروا كذاب آل طولون وآل سلمان وآل بويه وآل سليوق وقرونايين ذلك كثيره فغن الذي زلزلوه ثبت ومن الذي حصده ثبت وأى ناروقدوها فاجتبت ثم قال فى آخره اللهم قديفت ولراى الصلاحي ما بزبد علوه ان شاء الله تعالى) وذكر ابن القادسي ان الجنى الذى أرسله صلاح الدين بالشارة يعرف بالشيد بن البوشنجى قال وكان صيبا كثيرة الادبار مشعرا فى دبوب بغداد ثم توجه الى الشام هاربا من الفقر حين وصل الى بغداد رسولا قامت القيامة بمراملته وكتب الى صلاح الدين بالانكار عليه وقيل له لما كان فى أصحابك أمير من هذا ترسله الى الان بان فاعتذر صلاح الدين ووصلت كتيبه بالاعتذار وقيل عذره وأما ابن البوشنجى فانه حين وصوله الى الشام أكثر الكلام عند صلاح الدين فانكر ذلك عليه فلما مضى الاسبوع جاعته نشابة قد بحت

(فصل ١٠) فى باقى حوادث سنة ثلاث وثمانين هـ حيث اقبل الامير شمس الدين ابن المقدم وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفه بها قال النماز وكان السلطان لما فرغ من فتح القدس ونام موسم الحج قال الموقنون تخرم من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام وتفرج بالحج مع ادراك فضيلة فتح بيت المقدس فى هذا العام فالج والجهاد كننا الاسلام فاجتمع جمع جم من أهل ديار بكر والجزيرة والشام واصلهم الامير شمس الدين ابن المقدم شيخ امراء الاسلام الكرام فودعه السلطان على كرم من مفارقتة واستقبله بالحج فى الاخرى على مرافقته فقال ما معناه ان العمر قد فرغ والامر قد نطق والشيب قد انذر والفرض قد انذر فاعتنم فرصة الامكان قبل ان يتعدر فخصى والسعادة تقوده والشهادة تزوده حتى وصل الى عرفات وما عرف الا فأت وشاع وصوله وذاع فقوله وضربت طوبوه وسالت سيوله وحالت خيوله وضربت خيامه ونخفت اعلامه فلما أصبحوا انقروا كالعادة فآرانه ونعرت بوقاته فعاظ ذلك أمير الحاج العراقي فركب اليه فى اخرايه فأوقع به وبأصحابه وابلأهم بجرأحه ونهايه وجرى حكم الله الذى كان الظيل أو كذا سبابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وديكت استارهم واقتضخوا وقتل أمير الحاج طاشتكين شمس الدين ابن المقدم الذى خيمته وهو مجروح وفيه روح وجملة معه الى منى فقتل ودفن بالمسلى وتم ذلك بقضاء الله وقدره فى قلب حوادث الدهر وغيره وارتاع أمير الحاج بما اجترمه وكيف لم يراقب الله وأحل حرمه وكيف عدا على الحاج العائد بالله وسفك دمه فكتب محضر على ما اقترحه بعذره فيما اجترحه والزم اعيان الحاج من سائر البلاد بوضع خطوطهم على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين غير مستهين وكان هذا ربه أنكر عليه ضرب الطبل فأبى فلما انتهت الحالة الى الخليفة أنكرها أنكارا شديدا ونسب الى طيش طاشتكين ولم يجد له رأيا شديدا فلا جرم انضغ عنده قدره وانضغ له وزره وهى أمره وادخرها له حتى تكبى بها بعد سنين وجسدها بأطال سجنه ثم عفا عنه بعدمدة مديدة وشدة شديده وللا محرب بلاد خوزستان وخراسان وولى اماره الحاج غيره وما وصل الى السلطان خبر استشهاده ابن المقدم وجماعته لانه على ترك الحزم واضاعته فاحتسبه عند الله غازيا شيدا ساعيا الى الجنة بقدومه سعيدا وأقام ابنه عز الدين ابراهيم فى بلاده بمقامه وأقر عليه انعامه وقال محمد بن القادسي فى تاريخه نقلته من خطه أراد أمير الحاج بالشام وهو ابن المقدم أن يرفع علما على الجبل بالموقف فتعنه أمير الحاج طاشتكين وجرى بينهم ما رجعت افضت الى الخصومة بين حاج العراق وحاج الشام ونهب البعض البعض وجرى جراحت الجرح ابن القسدم ولم يبق العادة فى ذلك وما أن ابن المقدم بمضى فى اليوم الثانى ووصلت النجاشين مكة فآخبره وبجماعى من أصحاب ابن المقدم وتشدد الشهود بذلك من الحاج فقروا لنا بما عايناهم القصر الشريف قال وفى ثلثي شوال من هذه السنة توفى أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله سعد ابن التعاوىذى الشاعر وكان كاتباً بدويان المقاطعات وخدم بيت ابن رئيس الرؤسا وأضر فى آخر عمره ومولده عاشر رجب سنة ثمان وخمسمائة قال وفى خامس رمضان توفى الفقيه الحبلى أبو الفتح نصر بن قتيان بن مطر المعروف بابن المنى وكان فقيها زاهدا صالحا عالما مولده سنة احدى وخمسمائة وتفق عليه جماعة من أئمة الحنابلة كالحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن مرو ورواى عنه براهيم والشيخ الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ومحمد بن خلف بن راجح والناسخ عبد الرحمن بن نجيم بن عبد الوهاب وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الحبلى وغيرهم

ثم دخلت سنة أربع وثمانين **هـ** قال العماد خرج السلطان من عكا قتل على كوكب في العشر الاوسط من المحرم خلاصه ما صابرها لما فخر تمكن منها المتعزاه صلاتها ورافقتها نجا الطول صابر تومر ابطه ولم يكن معه جميع امرائه وأوليائه وانما كان في خواصه فوكل بها قايما زالحيمى ووكيل بصدد نظر الجاندا وكل واحد منهما في صحبته وسرا الى الكرك والثوبك سعد الدين ككشبه الامدى وكانت هذا الحصون الاربعه ضيقة المسكن صعبة المدرك قال ثم ان السلطان اشتغل بلقاء الرسل الواسلين من ملته من وصل صاحب آمد قطب الدين سكران ابن نور الدين بمجد بن قزل ارسلان وكانوا خائفين على آمد أن يسترجعها منهم السلطان لأنها كانت لهم من مواهبه كاسبق فاستوفوا بالوصلة باحدى ثبات العادل وكان العادل قد وكل أخاه السلطان في ذلك لما سار الى مصر وقدم رسولهم في ذلك فتمت الوصلة بينهما قال وأول من وصل والسلطان بكونك بختيار الدين حسن بن غفراس مدير دولة قلع ارسلان بالروم وكان هذا الرسول خرى بليس الحلى والدياج والوشى في يديه زفر وخواتيم من معتقنة تحمله بختيار هو رواقيت غيشة وفي عقودها درة نيرة وفي يده عود من العبد وكل عدته تبرها بجموهر وكان اذا شاهده السلطان تبسم وعامه يخلقه وقال هذا سافر بغيره لينظر ويدبره ليصير وقال القاهسى ابن شاذاد لما دخلت سنة أربع وثمانين رأى السلطان الاشتغال بأخذ هذه الحصون الباقية التي لهم بما ضعف قلوب من في صور وبهي أمره فلما اشتغل بذلك نزل رحمه الله على كوكب في أوائل المحرم وكان سبب بدهاته بكونك أنه كان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من أن يدخل اليهم قوت أو حاة فخرج الفرج خيل لاؤاخذوا عزهم وكبسوهم بغير بلا وقتلوا مقتداهم وكان من الامراء يعرف بسيف الدين أحمى جاولي وأخذوا ألقبهم بشار رحمه الله من عكا ونزل عليهم ايام كان معه من خواصه بكا فانه كان قد أعطى العساكر دستورا ولقي في طريقه شدة من النج والبرد فحملت السلطان مع ذلك الحمية على النزول عليها وأقام بقاقلها مدة قال وفي تلك المدة وصلت الى خدمته فاني كنت قد بعيت ستة ثلاث وثمانين وكانت وقعة ابن المقدم وجرح يوم عرفة على عرق قلع فجرى بينه وبين أمير الحاج طشتكين على ضرب الطبول والقدية فان أمير الحاج نهاده من ذلك فلقته ابن القديم وكان من أكبر أراءه السلام وكان كثيرا من كثير المفاخرة فقد رآه انه جرح بعرقة يوم عرفة ثم حل الى منى بجرح وفات باني يوم الخميس يوم عيد الله الأكبر وصلى عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك اليوم ودفن بالهلى وهذا من أتم السعادات ويبلغ ذلك السلطان قدس الله روحه فمضى عليه قال ثم اتفق في العود من الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بيزر بالانبي صلى الله عليه وسلم وزيارته ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس فبلغته خبر وصولي فظن اني وصلت من جانب الموصل في حديث فاحتضرتني عندموا في الاكرام والاحرام ولما ودعته ذاهبا الى القدس خرج الى بعض خواصه وأبلغني قتلهم الى بأن أعود أمش في خدمته عند العود من القدس فظننت انه بوعتي بهم الى الموصل وانصرفت الى القدس الشريف يوم رحيله عن كوكب ورجل رحمه الله لانهم لم ان هذا الحصون لا يؤخذ الا بجمع العساكر عليه وكان حصنا قويا وفيه رجال شداد من بقاء السيف وميرة عناية فرحل الى دمشق وكان دخوله اليها في سادس ربيع الأول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي الى دمشق عائدا من القدس فأتاه رحمه الله في دمشق خمسة أيام وكان له غالبها اربعة عشر شهرا قال وفي اليوم الخامس بلغه خبر الفرج خيلهم قد وادجبل ولغنا والها فخرج بمرتب عساكره بلوغ الخبر وكان قد سار الى العساكر ليستدعيها من سائر الجوانب وصار يطلب جيبل فلما عرف الفرج خيل بوجهه كفوا عن ذلك وكان بقلته وصل عماد الدين ومكر الموصل ومقتدر الدين الى حلب فاصدين الخدمة لفراة فلما فرغوا من الاكراد في طلب الساحل الفوقاني ولما كان مستهل ربيع الآخر خرجت على قل قبالة حصن الاكراد ثم سار الى الملك الظاهر ولده والملك الظاهر بأن يبعثوا ويزال بغير قبالة انطاكية فلفظ ذلك الجانب فضلا وصارت عساكر للشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذا المدة ووصلت اليه رحمه الله في هذه المدة فانه كان قد سار الى الدية يقول لطفنا قصصا فخرجت على عز المسير الى الموصل فبخرت الملك فوصلت اليه امثال الامراء فلما حضرت عند فرجى وأكسرتني وكنت قد جعلت كافي الجهاد بدمشق متفقا في فيها بجمع آدابها وحكامه فقدمه بين يديه

فأعجبه وكان يلزم مطالعته وما زالت أطلعت دستوراً في كل وقت وهو يدافعتي عن ذلك ويستدعيني للمضو في خدمته في كل وقت ويبلغني على ألسنة الحاضرين شأوه على وذكراً بما لجبل فاقام في منزله تلك شهر ربيع الآخر اجمع وصعد في أثناءه الى حصن الاكراد وصرعوا به فصار رأى الوقت يحتمل حصاره واجتمعت العساكر من الجوانب أغار على بلاد بلخ في هذا الشهر دعتين ودخل البلاد صغيراً ومختاراً بين يمين العساكر وتقوية العساكر بالفتاوى ثم نادى في الناس في أواخر الشهر راغداً خلون الى الساحل وهو قليل الزوال وهو محيط بنا في بلاده من سائر الجوانب فاجلوا زاد شهر ثم سيرا الى مع الفقه عيسى وكشف لي انه ليس في عزمه أن يكتني من العود الى بلاده وكان الله تعالى قد أوفى في طي محبته من شراً بأنه وجب الجهاد فاجبته الى ذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الاولى وهو يوم دخوله الساحل الاعلى وجميع ما حكيت من قبل انما هو روي عن أثق به من شاهده ومن هذا الترخيم ما أسطره الا ما شاهده أو أخبرني به من أثق به خبراً ياتقارب اليان والله الموفق

(فصل ١٠) قال العماد كان جماعة من أهل الحزم وأول العزم قد أشاروا على السلطان لما فتح عكا بحربها وتغيبه آثارها وان يبقى المرابطون المحامون مكانها فلا تآمن عود الفرج اليها وتلكها وان تبني قلعة الققيون فكاد يجيب قفيل لهذه مدينة كبيرة وعمارة كثيرة وأشهر عليه بتبقيتها وان تعمروا تحصن فوق أمره عمارتها وتديرها الامير به الدين قراقوش وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة فاستدعاه من مصر وأمره أن يستيب في ثلثها لعمارة فقدم عليه وهو بكوكب ففوض اليه عمارة عكا فشرع في تجديد سورها وتعليق أبراجها وكان قد قدم من مصر معه اساتيد العمل وانفاره وآلاته ودوابه وابقاره قال ولما رتب السلطان على كوكب رحل مستهل ربيع الأول ودخل دمشق في سارده وكان العسكر الغائب على مواعيد المعارضة في اربيع وأنه يجتمع على حصن بالجمع وكان اربيع السلطان على بحيرة طبرية من شرقها وتجنبه بقية بقى لاستعاب رقبها ولما قرب السلطان دمشق تلقاه الناس أحسن لقاء فقد كانوا متعطشين الى رؤيته ومشوقين الى طاعته لانه تاب عنهم سنة وشهرين وخمسة أيام فكم رقبها الكفر ونصر الاسلام وفتح فيها الارض الملة وتسعة وأشباهها من البلاد التي كانت باوضار الكفر منجسه فأصبحت بالايمن مؤسسه قلباً مستقر قراوله أمر بانشاء الكتب لاستدعاء الاجناد من الجهات للجهاد من سائر البلاد وابتدأ بالجلوس في دار العدل وبحضرة القضاة والعلماء من أهل الفضل قال وكان السلطان قد ولي دمشق بدر الدين مودود المعروف بالشهيد وهو أحد عوز الدين فرخشاه لاهه وفوض اليه في هذه الايام ولاية الديوان وكان مع الصفي ابن القاين فيقيت معه الخزانة وحدها وكان الصفي قتيبي لا سلطان داراً مطلة على الشرقيين بالقلعة وانفق عليها أموالاً كثيرة بالغ في تعبيرها وتحسينها ووطن انها تقع من السلطان بكان فاعارها طرفاً ولا استحسناها وكانت من جملة ذنوبه عند السلطان التي أوجب عزله عن الديوان وقال ما يصنع بالدار من يتوقع الموت وما خلقنا الا للعبادة والسعي للسعادة وما خلدنا مشق لنقيم وما نروم الا نرجم قال ثم هم بالقرابة فبدأ بارة القاضي الفاضل وكان مقبلاً بجوسق أسبق القراش بالشرف الاعلى في بستانه فاستضاء به فيمبارد قفله وهكذا لا يأتى أمر الامان به فاقام عنده الى الظهر ثم دهم رحل قلت وما أحسن ما قال ابن الفروي في الاراء القاضية من قصيدة مدحه بها

لأياك هذا النصر لادن ينقي * فلا ينقله كل غضب ولحنم

وان كان فيه للاسنة والظبي * مساعداً فالفضل للقدّم

تشير على الاسلام منك قراسة * لها حزم طبوا حترار منجم

وتحميه ألفاظك لذيك كأنها * قواطع بترأوا فذا سمم

الاجبذا فتح ثنرت لواءه * وقلت لنخل الله يا نخل اقدمي

وقت وقد نام الانام مناجيا * بولاي نفع المسلمين وسلم

(فصل ١١) في دخول السلطان رحمه الله الساحل الاكبر وفتح ميسره الله تعالى من بلاده قال العماد ثم رحل السلطان فسلك في جبل نبوس الى عين الجبر الى الدلمية على البقاع واتي ببلبك وخم بمرج حذوة ثم رحل على

سمعت الخليفة ثم أتى الفزاعه ووصل الخبر بوصول عماد الدين صاحب سفاري في جوعه وجنوده وتزوله على قدس من
 على حصن على نهر العاصي ولما زار أي موكبها وكب السلطان تقابل للفران وتقاتل النيرين واجتمع السعدان
 وسعدا لبعان فخيم السلطان عند خيجه وسأل ابن زوره السلطان بموكبه فاجاب دعوته ثم رتب السلطان يوما
 لحضوره عند مونتهد بأوصافها وكان أيام الشمس وقد وصل من دمشق فافرح قدومه وطلعت في أبراج الاطباق
 نجومه كأنها كرات من التبر مصوغه وبألورس مصبوغه صفر كأنها مازا أيات النصرية حلا منظر أودوقا
 ولونظم جوهر وكان طوقا صك كأنها خرط من الصندل وخطط بالندل وجمدن التيج والصل وتصاحب هو
 والسلطان في الركوب والمساوس والتناجي بمآلى النفوس وتكررت المشاوره في الموضع الذي يتبدأ خصمه
 واقفوا على عرفا وعقرها والنزول بعقرها وانما اذا ملكت ملكك طرابلس فاقاموا بقدس الى آخر الشهر حتى
 اجتمعت الجوع ووصلت قبائل العربان ثم ارسل السلطان أول ربيع الآخر وخبر بقرص حصن الاكراد على البقيعة
 ثم شن الاغارة على نواحي الحصن وصافينا والعربعة وثلاث الحصون فاستقر جحش ما فيهم من المخزون وفتح حصن
 يحمور وسامع المصور ولم تزل الاغارات والفتاوى وهم في اللطافة الى آخر الشهر فوصل قاضي جيلة منصور بن
 تيسل وجاعة معفا شرعى السلطان بقصدها وتكفل بعقوبتها وفتح الاذقية وثلاث الحصون والمعاقل الشمالية
 وكانت تلك البلاد قد ساهل اليه البرنس انطاكية وموعزل عليه فيها وقال ان الاشتغال بطرابلس مع احتراسها يذهب
 الزمان ويقوت الامكان والمسلمون بمجيلة يحمولون على التسليم مؤملون ان ينبدل شقاؤهم من تلك النعم فاصفى
 السلطان الى قوله واصفى لمورد طوله وكان قد وصل اليه مقدمو جبل جيرا فوفر لهم روايتهم وأجرى فندبوا الى
 اتباعهم وكتبوا الى اشياهم

(فصل في فتح انطربوس) قال العماد واجمع السلطان على دخول الساحل بتلك الصا كروا لبحاقل
 فرحل يوم الجمعة رابع جادى الاولى فصرنا في ايام مؤتنبه واكم معتبه وخزون وسهول وشعاب وتاول حتى
 خر جننا الى ساحة الساحل وزلنا بها وسرنا الى الساحل الساحل في ثلاث مراحل حتى وصلنا الى انطربوس مالدس
 لشهر فاحد قنباها من البهر الى البهر فاخلى الفرغ البلو ما خر جوا الى الحصن واجتمعوا في رحين عظيمين هما
 لانطربوس كالتعتين ونفاوا اليهم امان الاموال ما قدر واعليه فحضر منظر الدين كوكبرى احد البرجين حتى
 أنزلهم بالامان ثم بهمن أساسه وأقامه على أبراهه وبجمل دماره ورى في البهر أشجاره وملك جميع ما فيه
 وامتنع البرج الآخر وفيه الدواية وشركهم ومقدمهم الذى أسر يوم حطين وأطلقها سلم ما شرط عليه من
 البلاد ثم اجتمع بأصحابه في هذا البرج يوم ثمانى لان الحصن فامتنع ففهم فاشتغل المسلمون بتعفة البلد واخفائه
 وقال القاضى ابن شدد دخل السلطان الساحل على نصبة لقاء العدو ورتب الاطلاق وسارت المجيئة أولا ومقدمتها
 عماد الدين زنكى والقلبى في الوسط والميمر في الاخر ومقدمها متفرقا الذين زين الدين وسار على النقل في وسط
 العسكر حتى أتى المزل فتهنأ تلك الليلة في بلد العدو ثم رحل في صبيحة السبت وزل على العربة فلم يقابلها ولم يمرض
 لها ولكن أقام عليها باقية يومه ورحل يوم الاحد ووصل الى انطربوس فوقف بجانتها ينظر اليها وكان في عزمه
 الاجتياز الى جبله فاستهان بها فسير من رد المجيئة وأمرها بالنزول على جانب البهر وأمر الميمر بالنزول على
 البهر من الجانب الآخر فاستم نصيب الحسم حتى صعد الناس السور وغنم العسكر جميع من بها واصابها
 وخرج الناس والاسرى بأيديهم وأموالهم وترك الخيلان نصب الحسم واشتغلوا بالكتب والنهب ووفى بقوله
 رحمه الله فانه كان قد عرض عليه الفدا فقال تغدى بانطربوس ان شاء الله تعالى وعاد الى خيمته فرحامر ورا
 وحضر ناعند ملهنا بما جرى ومثل الطعام وحضر الناس وأكلوا على عادتهم ورتب على البرجين الباقين المحصار
 فسلم أحدهما الى منظر الدين فهازل اليه مصر حتى أخرجه وأخضع كل قبيلة وأمر السلطان بأحزاب سرب البلد
 وقصده على الامراء وكان البرج الآخر حصينا منيعا مبينا بالبحر الهيث وقد اجتمع من كان فيهم من الخيل والوفاء
 فيه وخندقه فيعلما وفيه جروح كثير فقصر الناس عن بعد قرأى السلطان تأخير حصره والاشتغال بما هو أهم
 منه فاشتغل في خراب السور حتى أتى عليه وخرب البيعة وهي بيعة عظيمة عندهم بمجوج اليمان أنظار بلادهم

فإنجيل (١٣٧) الدوتين

وأمر وضع النار في البلد فاحرق جميعه والاصول من نضعة التبريل والتكبير وأقام عليها نجرها الى اربع عشر الشهر وسار يريد جبلة وعرض له ولده الظاهر في أثناء طريق جبلة معه القساكر التي كانت ببيتين

(فصل ١٠) في فتح جبلة وغيره قال القاصي ابن شداد وكان وصول السلطان الى جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وما استتم ترول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون معيون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمنع وبقيت القلعة متحصنة ونزل العسكر بعدها بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة ففوتت قتال اقيم عدرا لمن كان فيها وطلت بالامان يوم السبت تاسع عشر الشهر وأقام عليها الى الثالث والعشرين وسار عنها يطلب للاذنية وقال العماد بعد ذلك انظر طوس ووصل البتار جال حافة فرحل السلطان يوم الاثنين رابع عشر الشهر ونزل على مرقه وقد أخلاها سكانها فقيم فيها أهل الاسلام وطالبهم فيها القام وكانت النار في الجبل على الساحل ضيقة المسالك صعبة المراحل وهناك الفرغ الاغتار حصن يقال له المرقب مأهول معدود ولا طريق له الا تحت تله وانفق ان ماغية مضطربة لما اشبهاهم ما على الفرغ في الساحل جهز اسطولا ينقل من الشواني على ستين قطعة بحسب كل واحدة منها قطعة وأتبعه وقدم عليها طافية يقال له المرحرير فوصل فوصل وما ضر ولا نفع فان فرغ الساحل ما رغبوا به رأسا وتضجر وامته وكان في عشرة آلاف رجل يحثون الى ممره وكلف كبير خسار الى صور ثم رجع الى طرابلس وتردد في البحر وتلدوا طلس واضطرب اشهر لا يظهر لهم اى ولا يرى له منظر افعالا سمع بعبور عساكر المسلمين على الساحل الى جبلة جاء بالشواني وصفها على موازاة الطريق ومباراة المضيق وفيها الزامة فامر السلطان بنقل الجفاني الى هناك وتصفيقها وتكريس ثراها وأجلس الزمانة ورواها فزال الامر على ذلك والما ترمى وتسمى وعامة المسلمين في سلوك ذلك المضيق حتى خفت الاقال وعبروا الى الجبل وخلص المسلمون من ذلك الشئ غير مشقة وجاروا على مدينة قال لها بلباس وقد اجتمع عنده الناس فقيم المسلمون فيها ثم أصبحوا على الرحيل فاعتز بهم نهر عريض عميق ما فيه طريق وهو مطرد من الجبل الى البحر وفيه خطرة واحدة فتكلم السلطان بالهفل ومضى يمينا الى الجبل وأبصر حتى عبر فوق رأس العين واخذت العساكر بالهرم الجبابين وتراحت الاقال على القنطرة فما خلصوا تلك القلعة الى آخرها ونزل السلطان قبل وصول الاقال على بلد وهي بلدة كاسها جلد وهي بلدة من غرق النهر على ساحل البحر وبينها الاخران بخندق وفيه البحران وقد أخلاها ايضا أهلها وتفرق ثلها وأصبح السلطان يوم الجمعة ثامن عشر بجادى الاولى على جبلة فقتلها المسلمون في الوقت وذلك ان فاضيا كان قد سبق ودخلها وقرن بالصبح للسليان أهلها فمباوصلوها على الاعلام التناصرية على سورها وخلص المسلمون بها من مساكسة الكفر وقصص الفرغ بحسبها واحتموا قلعتها فما زال قاضي جبلة ينتقمهم ويرهبهم حتى استنزلهم بشرط ان يسترحمهم الى ان يردوا من انطاكية وهما شئ جبلة من المسلمين فضبط عنده جماعة من رؤس الفرغ والمتدين حتى أعاد صاحب انطاكية الرهاث التي عند فمك ببارهاثة وتولى قاضي جبلة الامر فاستخرج ذخائر الكفر ودانته واستنظفهم من كل سلاح وعدة وخيل وقوة وجامع قدموا الجبل سامعين مطيعين وفي الجبل على سمت طريق جاء حصن يعرف بكمراثيل وكان أهل الجبل استعاضوا من الفرغ فيمنع من شئ قتل السلطان ايضا منهم ثم سلم جبلة الى سابق الدين عثمان صاحب شيزر ويحل قاضي جبلة ترشفه وحسن عليه مملكتها ووقفه وصرفه في املاك ابيه وحكمه في ولايته بحكمه وقضائه

(فصل ١١) في فتح الاذنية قال القاصي ابن شداد وهو بلد الملح خفيف على القلب قير مسورة وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد فنزل السلطان رحمة الله عليه يوم الخميس رابع عشر رجب ادى الاولى محققا بالبلد وأخذ العسكر منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيهما الا من ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف والتزلزل وارقت الاصول وقوى الضجيج الى آخر النهار وأخذ البلدون القلعتين وغم الناس منه غنمة عظيمة فانه كان بلد البحار وقرى بين الناس البلب وهو موم وأصبح يوم الجمعة تلاجهما الى اخلافتهم من شتات القلاع وتمكن منها القبط حتى بلغ طوله على ما حكى لي من ذرعه عشرين ذراعا وعرضه اربع اذرع فاشتد الزحف عليه حتى صعد الناس بالجبل وهاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتقاذفون بحجارة اليد فلما رأى عدو

الله ما خيل به من الصغار والبولر استغاثوا بطلب الامان وطلبوا فاضى جبله يدخل اليهم ليقتر لهم فاهض الامان
فاجيبوا الى ذلك وكان السلطان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يخل به فساد الناس عنهم الى خيامهم وقد اضعفهم
التعب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي جبله اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بانفسهم وذرارهم
ونسائهم واموالهم خلا القتل والقتار وآلات السلاح والدواب واطلق لهم دواب ركوبها الى ما بينهم وورق
عليها النمل الاسلاني المنصوري بقية يوم السبت واقام عليهم ايام الاحد سابع عشر جمادى الاولى فقال الامجاد
رحل السلطان الى اللاذقية يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الاولى فبات بالقرب منها وصحبها يوم
الخميس وقد لاذ أهلها بقتلاهم وهي ثلاث قلاع متلاحقات على طول التل متناحقات كما بنى على رأس جبل
رامخ وذر واثم شاخ فسيل لنا فرعها وشرعنا نأصل أصلها وفرعها فطلبوا المنجى الناصري ونصبوه
على السور عشية يوم الجمعة فلما أصبحوا صعد اليهم قاضي جبله واتر لها الامان وتسلمت تلك القلاع بما فيها من عدة
وذخيرة وأسلحتهم وخبيل ودواب كثيرة وامنوا على أنفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم وذرارهم وذريتهم
واموالهم وشغلهم انقاعهم ودخل جماعة منهم في عقد الائمة وعمكوا بحبل العصا وانتقل الباقون الى انفاك
ثمولى السلطان بما علكه من قنطرة اخلاطى وربك السلطان الى البلد طافه وهز الى احسانه اعطاه وامن بعد
ما اخافه قالوا رأيتها بلد قواسعة الاقنية جامعة الاقنية متناحقة المضاني متناسبة المعاني فى كل دار بستان
وفى كل قارب بستان أمكتها بخرمها وأروقتها ما ربحه وعقودها يحكمه ومساكنها من دسمة مهندمة وسقوفها
عليه وقطوفها ثمانية وأصوافها قصية وأفاقها مضية وارباؤها فسحة وأهواؤها محجة لكن الصكر شعث
عمارتها وأذهب من عمارتها ووقع من عذقها الامراء الزعام على الزعام وتقلوا من احمالها الى منازلهم بالناس
فنهروا حروما لا ما كن ومحواسنا الحسن قالوا يظاها الاذقية كنيسة عظيمة نيفه قديمة بايزاء الاجزاع
مرصعة وبألوان الزعام مجزعة واجناس تصاورها متنوعة وأصول تماثيلها متفرعة وهي متوازنة الزوايا
متوازنة البناء قد قصرت بها الاشباح وصورت فيها أمواج الامواء وزينت لآخوان الشيطان وبهت
لعبيدة الاوثان والعليان ولما دخلها الناس اخرجوا زعامها وشوها اعلامها وجروا لاسماها وكروا اجرامها
وأهدوا الاسى لحداسها وأقاموا عليها لباس ابلاسها وحكموا بعبادتها ببالاسها فافقرت وأفقرت وخربت
وزربت ثم لما طلبت النفوس وقبلى عن البلد بفتح البوس عاد الى هذه الكنيسة بالامان والقوس وهي مشوهة
متشعبة متمسكة بأركانها وغوا عدها لم تشبهه قال وقد كثر أسنى على تلك المماران كيف زالت وعلى تلك
الحالات الحالية كيف حالت ولكلما زافروا روى بانها عادت للإسلام م اربع ولشهمه مطالع فلو قمت
بمحدثها وماتها بعد ما تبدلت وشدها من ضلالتها لتأقت وراقت وكما تأقت فاخت ورغبى أهلها الجزية
سكان المدن المنصاري والامن جبال الوطن ولما أراد السلطان الرحيل دخل المدينة وبنى سكانها السكنى ودار
خلال ديارها وخرقا أسواقها فى سائر أقطارها ووقف على البحر للنظر الى موانئها وشواطئها وأقاصمها وادانيتها
وشكر الله على عكسها من ملكها وتخصيصه بملكها وفى كتاب عمادى الى سيف الاسلام باليمن عن السلطان
قال (وهذه اللاذقية مدينة واسعة وخطها جامع معاقها لزام واعلاها لامتام وهي أحسن بلاد الساحل
وأحسن وأزبدى اعمالا وضياعا وأزبدى وفى البحر مثل مينائها ولا لراكب الوارد مثل مرساها وهي
جنة كان يسكنها أهل الجحيم وطما لم يكتف بال كفر دار بؤس فسادت بالاسلام دار نعيم) قال وكانت شواطئ
مضيقه قد قامت فى البحر اللاذقية طمعانى لمتاعها فلما خابت خبت تارها وقصدت لجلها أخذ مراكب
من مخرج من أهلها حنقاع عليهم كيف ملوا البلدة ومجربوا بينها فكان ذلك مقتضيا لبقاها كتبها بالجزيرة
تؤديها ولما وقف السلطان على شاطئ البحر بمساكره طلب مقدم تلك الشواطئ لمانه ليمصود وشاهد سلطانه
فأمنه فمصد وعفر وكفروا ورساعة وشكر وقال ما من أمان أنت سلطان عظيم ومكبر حرم وقشاع عديك وذاع
غضبك وقهر سلطتك وظهور احسانك فلو مننت على هذه الطائفة الساحلية لما نفعه للمصكت قيادها اذا
أعلنت اليها بلادها وصاروا الان عبيدا وأطاعوا قريه لو بيضا والايمان من رولها بارى عديدا لأمواج أفواج

في اخير (١٢٩) الفولتين

هدأ فواج وسار اليك ملوك ذوى الاقانيم من سائر الاقاليم وهؤلاء هم منهم فازكم واصقح عنهم فقال له
لسلطان قد أمرنا الله بتحميد الارض ونحن فاعثون في طاعته بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وهو الذي بقدرنا
على فتح البلاد ولواجتمع علينا أهل الارض ذات الطول والعرض لئولكلنا على التفتى اللقاء ولم ينال باعداد
لاعداء فقلب على وجهه وركب بكرة ولم يرض خطابه عن خطبه

(فصل ٤) في فتح صهيون وغيرها قال القاضي ابن شداد رحل السلطان عن الازدية ظهره قالا احد
السابع والعشرين من جمادى الاولى طالب صهيون فزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين فاستدار العسكر بها
من جميع نواحيها بكرة فالاربعا ونصب عليها ستة مجانيق وهي قلعة حصينة منيعه في طرف جبل خدادقها
أودية هائلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار طولها ستون ذراعاً ولا يبلغ وهو
قرفي حجر ولها ثلاثة أسوار سوران دون بعضها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتها علم طويل منصوب
لحين أقبل العسكر الاسلامي شاهده وتوقع فاستبشر بذلك المسلمون وعلموا انه النصر والفتح المبين واشتد القتال علما
من سائر الجوانب فضر بهم حتى قتل ولده الملك الظاهر وكان نصبه قد الفجة قربة من سورها فاطلع الوادى وكان
صائب الجرح يزل يضر بها حتى هدم من السور قطعة جيدة عظيمة تمكن الصاعد في السور من الترقى اليه منها
ولما كان يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان على الزحف وركب وقصد وتوارت المجنيقات بالضرر
وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير والتهلل وما كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على أسوار الرض واشتد
الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الرض ولقد كنت أشاهد الناس وهم يأخذون القدر وقد استوى فيها
الطعام بما كلونها وهم يقاتلون القلعة وانضم من كان في الرض الى القلعة بما أمكنهم أن يحملوه من أموالهم
ونهب الباقى واستداروا من ثلثة احوال أسوار القلعة فلما عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان فامنهم السلطان
على أن يسلموا بأنفسهم وأموالهم وبأخذ عسكر الرجل منهم عشرة دنانير وعن المرأة خمسة دنانير وعن الصغير دينار
فسلمت القلعة وأقام السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعيدو بلاطس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها التتواب
فانما كانت تتلقى بصهيون وقال المادكان الطريق الى صهيون في أودية وشعاب ومناقص صعب وأوعاث وأوعار
واشجار وأغوار قطعنا تلك الطريق في يومين وصلنا ليلة الثلاثاء ليلة الاثنين وحينئذ على صهيون يوم الثلاثاء وهي
قلعة على فرة جبل بين واديين عميقين يلتقيان عليها وديران حولها والجانب الجبلى مقطوع منبضد عظيم
عميق وسور وثيق ماله سوى الخضاء والقدر من طريق والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب ممتلئة ذئاب
سقاب وأسد غضاب وأساطل العسكر بها يوم الاربعاء من نواحي الاربع وهي ممتنعة علينا باركن الامنع والسور لا تمتنع
وتقل السلطان خيمته الى جانب الجبل وأقام الظاهر غازى صاحب حلب مجنبيين ونهيج بهم من جانب الوادى الى
ردا الاعادى طريقين وكان له بفتح هذه القلعة الجدل العالي والجدل المتوالى فانه اتصل بنا قبل الوصول الى جبهة من طريق
جهاء وقد استحصل الكفاية الجاه ومعه الرجال الحلبية والمجنيقية والجرجية والجداد لوبه والخراسانية واستحب
الجبارين والجدادين والقبازين فأظهر على صهيون اليد البيضاء وأبارق فضاء الفضائل واضاء وكان نازلا
على جانب الوادى مقابل الحصن وشرع الجدار في الانتقاض وأصبحنا يوم الخميس والجمعة لا يمد وقوعه للسور مجيد
وركوع ومزالت المجانيق من جانبها جناننا ترمي والحنايا سهام المنيا ترمى حتى قتل وجرح أكثر مقاتلة
الحصن وهان عماد فيه من الوهن وأصبحنا يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة وبحر الحرب في أمواجه الزاهرة
وتطرق أصحابنا من قريته خيف عليهم من الخندق لم تحكم عمارتها كأن الله أعماهم عنها حتى سقط الخندق
اليهم منها تطلقوا في الصخور وتلقوا السور وملكو عليهم ثلاثة أسوار واحتوا على كل ما فيها من ذخائر وغلال
ودواب وابهار وانزحهم الفريخ في القلعة وتصادوا من الخوف لامن القلعة وصلوا الامان وبذلوا الاذعان ونادوا
مكنونا من السلامة وتسلموا المكان فما اسعوا على المال والنفس حتى قرنا عليهم مثل قطيعة القدس وأغلقت
دوتهم الابواب وصبرت اليهم التتواب وما استقر خروجهم حتى استفرج القرار وجبى الدرهم والدينار وعم الصغار
الكبار والصغار وتولى ذلك شجاع الدين ظفر الجانداز ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله وسائر ما حواه من

ذخائر وأمواله إلى الأمير ناصر الدين منكور بن خواركين صاحب بوقليس فأحكه وحصنه وحفظه وحسنه وتسلم يوم السبت قلعة العبد ويوم الأحد قلعة الجاهريين ويوم الاثنين حصن بلاطس ونذب إلى كل حصن من تسله وسلكه في سلك الفتح ونظمه قال ويفتح صهيون - حصل الامن على اللاذقية وقوى الامل في فتح انطاكية فانه قتل بحكم على يديها وسبب قوى من أسبانيا فتح التاج ووضع المتاج

(فصل ١٠) في فتح بكاس والشعر والمرانيه قال القاضي ابن شداد ثم رحل السلطان وسرنا حتى أتينا بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان المنزل بذاك المنزل على شاطئ العاصي يوم الثلاثاء دس بجادى الآخر وبعد السلطان جريده إلى القلعة وهي على جبل مطل على العاصي فأحرق بها من كل جانب وقتلها قتلا شديدا بالمجنهقات والزحف المضايق إلى يوم الجمعة أيضا ناسع بجادى الآخر وسر الله فحقها عنوة وأسمر فيها بعد قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قلعة تسمى الشعر قرية منها يعبر النهران بجسر وهي في غاية المنفعة ليس الباطر يرق فسلط عليها المجنهقات من سائر الجوانب ورأوا أنهم لا ناصر لهم فظلموا الأمان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشره وسأولوا أن يذروا ثلاثة أيام لاستئذان من انطاكية يسر الله فتحها فأذن في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشره ثم عاد السلطان إلى القل وسير ولده الظاهر إلى قلعة تسمى سرمانية يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتلا شديدا وضائقها مضائق عظيمة وتسلمها أيضا يوم الجمعة ثالث عشرى الشهر المذكور قال فاتت قنوصات الساحل من جبلة إلى سرمانية في أيام الجمع وهو علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر الله له الفتح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحصنات قال وهذا من توادد القنوصات في الجمع المتوالي لم يفتق مثلهما في تاريخ وقال العماد سار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرية وزل على العاصي في طاعة الله على تل كشفه ان قسطنطين بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر وحول خيمته خفيفة إلى الجبل لحصار قلعة الشعر وهي قلعة شاهجة من أعلى القل مطلة على واد عريق وكان الكفار قد أخذوا بكاس من العرب واجتمعوا بقلعة الشعر وهي عالية حصينة منيعة لا تصل المجانيق إليها فاستصعب السلطان أخذها وخاف من طول أمرها فبينما هو مفكر في ذلك والفرنج قد دخلهم العرب فارسوا في طلب الأمان واستعملوا ثلاثة أيام فذكر المسلمون وفرحوا وأصبحوا يوم الجمعة والشعر شاغر والكفر صاغر قتلها المسلمون وتصرفوا فيها وفيما يتوهم من ذخائر وعدود دواب وانعام وأنتم السلطان بها وقلعة بكاس وتلك الأعمال على غرس الدين تليج وكان هذا الفتح قد تسلم كورددين وهو مقل حصين يسكنه الأرمن في ذلك الصقع وبذل في استخلاصه غاية الوسع فولا السلطان ذلك الحصون وحاطها بالثمة أمرها بالمصون وعاد إلى شخيمه يوم السبت وهو حسن السمعت كرم الثعت قال وكان الملك الظاهر عند استغنائنا بفتح قلعة الشعر قد نزل على سرمانية مضائقها بالمحصن قتلها يوم الجمعة ثالث عشرى الشهر وذلك بعد قطيعه قورها وقبضها ولما أخرجهم منها دخلها فابل عارثها وعطلمها وهدم بنيانها وهدم أركانها وما برح حتى سواها بالارض وخطط طوعها بالعرض قال وهذه مستعدن وقلاع فتحت في ست جمع تباع جبلة واللاذقية وصهيون وبكاس والشعر وسرمانية وأطلق بها الانفس والتغاس العانية قد كان في هذه المعال من أسارى المسلمين عدو لولا فتحهم المازالت عنهم تلك الشدة وهذا اقليم جبلة واللاذقية هو عين انطاكية التي قتلت ونحرها التي عندهم حلت ولم يبق لانتاكية من الحصون سوى ثلاثة القصر وقراس ودر بساك وقد أصبحت معدومة الأطراف قد قطعت أيديها وأرجلها من خلاف

(فصل ١١) في فتح حصن رزبه قال القاضي ابن شداد ثم سار السلطان جريده إلى قلعة رزبه وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين يحيط بها أودية ومن سائر جوانبها وزرع عاوقها فكان جسمها ثلاثة دراع وفيها سبعين ذراعا ثم حرقه على حصارها بعد دوزنها واستدعى الثقل قتل تحت جبلها وفي مكة الأحد الخامس والعشرين من بجادى الآخر معد السلطان جريده مع اللقائات والمجنهقات وأتت الحصار إلى الجبل فأحرق القلعة من سائر جوانبها وركب القتال عليها من كل جانب وضرب أسوارها بالمجنهقات المتواترة الضرب ليس لا زنها أو قائلها حتى كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين فحسم العسكر

في أخبار (١٣١) الدولة

ثلاثة أقسام ورتب كل قسم بقاتل شار من النبل ثم سترع ويسلم القتال الشطر الآخر بحيث لا يقتل عنها أصلا وكان صاحب النوبة الأولى عماد الدين صاحب سنجار قتلها قاتلا شديدا حتى استوفى ثوبه وضرب الناس من القتال وثرأجموعه وتسلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب فحرك عدة خطوات وصاح في الناس فجاؤا جملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة إلى رجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن إلا بعض ساعة حتى رقى الناس على الأسوار وجمعوا القلعة وأخذت عنوة واستقاروا الأمان وقد ملئت الأيدي منهم فملك بعضهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ونهب جميع ما كان فيها وأسر جميع من كان بها وكان قد أوى إليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة حصونهم المشهورة وكان يرموا عظيمها وعاد الناس إلى خيامهم غائمين وعاد السلطان إلى الثقل وأحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلا كبيرا منهم فكان هو ومن أخذ من أهل سبعه عشر نفسا فخر عليهم السلطان ورق لهم وأنفذهم إلى صاحب انطاكية استأمنه فأنهم كانوا يتطوقون به ومن أهل وقال العماد وصف السلطان قلعة برزيه وأنها لحسن إقامته من أجه وله مناسفة مقاسمه وإن المسلمين من جوراها في جور وفي حوزة عذكو ووصفوا علوها فركب السلطان إليها وأشرق عليها فالتقاها كما وصفوها والتوافوا وما انصفوها فقتل عليها الجنابي فوقعت أجارها دونها ولم تحرك مكانها وكيف نهضت الحنايا بعضر والنفاء بصقر وجرار غيل بجر ومملر الفلك بمدر فلما رأى السلطان ذلك قوى رأيه على أن يفرق العسكر ثلاث فرق ويتناوبون على قتلهم زحفا ليتبهم ويصبروهم فأنهم عدد محصور عاتيل فتنى عذتهم وتقل عذتهم ففعل ذلك وكانت النوبة الأولى لصاحب سنجار والآنسة لسلطان وخواصه ثم امتزجت الثالثة بالنوبة وعاد ترحال النوبة الأولى وتناصرت أنصارا على التزال لأستزال النصر واجدوا عاقبة الصبر في الحصر فطلب العذر والأمان وأرسلوا إلى السلطان وكان أصحابنا الطوم وباسطوهم وأحاطوا بهم وهناك جاءتهم من دهات العسكر أشاعوا للناس أن السلطان يؤمنهم فرجع العالم عنهم ولم يأتوا منهم فلما رآه السلطان رسولهم وليؤمنهم ساقوا وأتلك السبا إقامتهم كما يسوقون أغنامهم وناخوا إخوانهم ورواها مناهم وتفرقوا إلى أيديها وسافروا بها من العسكر إلى البلاد وباعوها في سوق الكاد وتسلم السلطان حصن برزيه ظهر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة ولله الأمر عز الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن المقدّم وهو صاحب حصن إقامه مناظر برزيه وهو على الثغر وما بين الاثنين بحيرة تعجب الجائنين وصيدواها المسلمون بإقامه فخاص الأسلام الثغر وسكن الدهر قال وكانت صاحبة حصن برزيه زوجة الأبرنس صاحب انطاكية وقد سبيت وخيبت فما زال يطلبها حتى أظهرها وأحضرها وزوجها وابنتها وجاءت من أصحابها وصهرها وكانت امرأة أبرنس انطاكية تعرف بدم سليل في عوالة السلطان عينا له على العدو تهديه وتناجيه وتطلعه على أسرارهم والسلطان يكرمها لذلك ويهدي إليها أنفس الهدايا فلما فزع حصن برزيه وحصل في أمره جمع الجاعة واقرت بهم أيدي المسلمين تبعهم السلطان وخطبهم من الأمر وأتم عليهم وجههم وسبرهم إلى انطاكية لاجل امرأة الأبرنس فشكرته على ذلك ودامت مدة تهاونهم المسلمين وفي بعض كتب البشائر الحمادية (أخبرنا حماد بن حصن برزيه الذي ضرب حصناته الأمثال ولا ترقى إلى ذروة تيمية الآمال وقد أخذنا ما بالسيف عنوه وقتلناه بخو فباله من ضويرة اليوم الثلاثاء أظلمت على أهل التلث والحق الله المؤمنين عن ذكر الفتوح القديمة بهذا الحديث هذا الفتح الحديث ولو كان الله إلى اجتماعنا في الفتح لنظر ولكنه سبحانه سهل ورسر) ومن كتاب غاضلي إلى السلطان (وصلت كتب البشائر بتعج حصن برزيه وهو الذي ضرب به الأمثال وتضرب عنه الآمال ويكاد يهزأ إذا قادت أيدي السلاسل لزمة الجبال ويكاد يذم ساكنيه من خطر أن الأوجال بل من خطوات الأجال وكان الكفر قد رعا حصينة طالما كانت تهاون الاتصال فظلمت المنة السلطانية عند أهل الإسلام ودعوا إلى بخل الله حجة سبغة الإحصام وقد كان الناس يمتنون مواهبه مما لا تحصى فقد تحققت بها أقواته ففى أيضا لا تحصر فرحاً بفتح بقل غائبا الحمد لله وحاضر هائله أكبر وما بين الملوك يستبطن خبر انطاكية فقد ألفت الأرض أفلاذها وقد ولت لكر مذهبا ونصره فولانها ولم يرقى نعم الله منها نعمة كريمة وجبه ولا تعرف بعدها الزمن يستفولوا كرمه الأنازير جمع في مرة قد قرها

وإخلاص شكرها العلو عليه الله شكرهم نجا من أهوال يوم القيامة وأدخله دار القلعة بانهم قالوا الحمد لله الذي أنقذنا من الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا وكان آخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين فرضي بالجمع منهم ورضي عنهم وأثني عليهم بانهم اختفروا بواغفوا وقسوا بوجها وتقلت بهم موازين أعمالهم فرجوا ونجوا ونحن نقول الحمد لله على بركة الأنبياء لأنوا نضرتها وعلى عزه الملائكة ونصرتها وعلى بركة القلوب به ومصرتها وعلى غنى الأيدي به ومصرتها وعلى روعة القلوب بالاعادة به ومصرتها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقبح مولانا من تلك النعم ولن نحصيها في شكرها فما تحصى في ذكرها ولن نحصيها في حصرها فما نجز من العزقة بفضل قدرها وثقت التمجيد الله منتظمة العقود ماردة السعد متوافقة الرسل عامرة السبل خاتمة النوائد قارة المساعي بالمساعد كانت العيون قبل وفرة المحظوظا وكانت المنابر لما يدوس عليهم كتبها تحفظها فما يشرح صدر من خبرها فيمضه ذو صدر الأنا شرح وما يسأل الداس هل في الملك الفاسر وإنما يقال ما لم يبلد الذي فصح فن عند مولانا الجذان ومن عندنا اللسان وعليه الجهد وعلينا الجند فحسى روح كبريات الجنب لا مقطوع ولا ممنوعه وأعمال الجبروت نال الله من قومه ومن تصيدنا شهاب قتيان الشاغرورى وقد تدمر بعضها

- لما ملكت حصون أنطاكية • دس الصليب وخزبه من مظهر
- أردت كل مثلث متكبر • بموجده متراضع ومكبر
- برزت إلى برزبه عزمتك التي • ملئت بدا عن مطلب لم يقصر
- فتناوت به يدها من ياذخ • في الأفق ذي مثل يروع مسير
- فانهض لصور ففى أحسن صورة • في هيكل الدنيا بنت المصور
- ماسور صور عاصم منه وهل • سور العاصم عاصم المصور

(فصل ١٠) في فتح حصن دريساك قال الفاضل ابن شداد ثم سار السلطان حتى أتى جسر الحديدي وأقام عليه أياما صار حتى نزل على دريساك يوم الجمعة ثامن شهر رجب وهي قلعة متينة قريبة من أنطاكية يسارها قصها قتل عليها ما قتلها قتلا شديدا ما المتحيقان وضايقا مضايقة عظيميها وذات القسمة بروج منها وتمكن النقب منه حتى وقع وجوب الرجال والمقاتلة ووقف في الثغر قريال يجهونها عن يصدقها قال ولقد شاهدتهم وكنا قتل منهم رجل فام غيرة قامه وهم قدام عرض الجند اركشوفين واشتد الأمر حتى طلبوا الأمان واشترطوا من أجمعنا أنطاكية فتو كانت القاعدتان يتزلوا بانضمامهم وثياب أبدانهم لا غيروا في عليها العلم الأسلاوي يوم الجمعة أيضا ثاني عشر رجب وأعطاهما علم الدين سليمان بن جندر وسار عنهما من التدبير كمال البيت وقال العمد أشعر بنر العاصي إلى شرقيه عند شقة غدر كوش وهو قعر على الكرافة لا سلام متبوع جزوا من جانبنا على جسر الحديدي لما حتى استكمل العسكر راحته وتكامل ونحن يقرب أنطاكية وتدعونا إليها عزنا أننا نناكبه ثم غدا انضمامها حصون وجها بجانبها مصون فادأضيت معاتلها بجانبها فتلها فنزلنا على دريساك وهو حصن قداوية وقد اعتميا بعصمتهم وامتنعوا بمتمته فقصنا عليهم المتحقيقات فما زالوا يصيدون ويخيلون إلى أن ضاق بهم لفتاق وتلقى الثغابين إلى الباشورة وهذا بالنقب ربا وسعوا للزحف بها فطلبوا الأمان وقدوا أنفسهم بالوفاء فام متوا على أنهم يخرجون بولهم وثياب أبدانهم ويدعون كل ماني الحصن من خيل وعده وذخير وقوله وأتات وقاش وذهب برفقه وأهلها وثلاثة أيام ثم أخرجوا من ديارهم وتسلم الحصن يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وفي بعض الكتب المماثلة (عليها مكتبة مشرقا للفتح الألهي وللنصر الاسمي وهو فتح دريساك الذي لا يمكن لأنطاكية إلا به الامتساك وقد قص الآن جناحها وقتل صلاحها وحق فرجها وبطل اقتراحها ونرجت بانزاع حصن لمن ولايتها ارواحها وقد بقيت عرضا للسكر وعرضا لاجور وشبابا في روح وسدرا في غير مشروح والذكر مجموع بالنفس والبلد والامل والولد ونحن لا راحة لنا إلا في هذا التعب ولا راحة لنا في غير هذا الأرب ولا اجتهادنا إلا في الجهاد ولا مغزينا غير التزاه وانزح من الله الانظار الصلوات في جميع العصاة

أصبحنا يوم الثلاثاء قد صابحنا المثلثين وإن صباح الموحدين وأينألمانهم الآن يذوقونهم وينزعونهم
الحرب أيوسهم ويخلعونهم ويخلصونهم ويغفونهم ويغفونهم وقد أودعناهم ألفاً وستمائة من أجناسهم
(فصل) في فتح بفراس قال القاضي ابن شداد وهي أيضاً قلعة متينة أقرب إلى أنطاكية من دريساك
وكانت كثيرة العدد والرجال قتل العسكر في مرج لها وأخذوا العسكر بها جريده معاً واحتجنا في تلك المأثرة إلى برك
يعقظ من جانب أنطاكية لتلاخروج منها من هجم على العسكر فحضر برك الأسلام على باب أنطاكية بحيث
لا يشده منه يخرج منها قال وأما نحن كن في البرك في بعض الأيام لرؤية البلد وزر بترتيب النجار المدفون فيه
عليه السلام ولم تزل تقاتل بفراس مقاومة شديدة حتى طلبوا الأمان على استئذان أنطاكية هربوا في العلم السلطاني
عليها في ثلثي شعبان وقال العماد ولما فتح دريساك لم يبق لنا نهاية الابفراس وقد سار فرجاء أكثر الناس
في فتحه الياس وهو حصن حصين ومكان مكين هولاء ودية وجارضياعها وغالب سباعها وهو قريب أنطاكية
حصارها وحصارها وما لدوا مدار يمدوا قتل العسكر بين أنطاكية وبينه يتقاضون منها الدين دينه ويشغون
القارات ويسنون النكبات ولا يبرحون بازاء أنطاكية صفار مومن ولا هلهلها فتأخو تخفا يتناوبون على سبيل
البرك ويدعون العدا إلى المعترك وليس منه إلا انهز قصه السلطان جريد قال الجبل وأمر نصيب الجانيق
حولها على تلك التل وتقل اليها أحواض الماء ورواياه وبث في النواحي سراياه وفرق على الجميع عطاياه وأثنا
عليه اسبوعاً بحري اليه من كل مخفيين من فيض الجبارة ينبوعاً ونحن نفكر فيما يكون ومتى تتم الحركة وفيهم
السكون وهذا كبر بطول وقب لا يزول أن رأينا باب الحصن وقد فتح ونخرج من الحصن من أخذ الأمان
لأهلها وسلم الحصن بما فيه من الأموال وقدر ما فيه من التلعة تخميناً بثا في عشر ألف فراره وسلمها السلطان مع
دريساك إلى صاحب هزار علم الدين سليمان بن جندرو كتب عليه جميع ما في القلعين من الموجود من المكيل
والموزن والحدود وكانت القلعة أنطاكية غالية السعر فقلت كافي بن تولى القلعة وقديع القلعة وشقي من فقره
بها القلعة ثم أشار بخربها وهدمها ولم يزل يحميها وقال أبقاؤها غرر وحفظها على المسلمين ضرر وخطر فجاء
الأمر على ما حسبته بعد ستين عاماً وأعاد أخلاها بضر المؤمنين فإنه أظهر ذلك الوقت أنه أخلاها وأنه للتقريب
خلها فجاء إليها مقدم الأرمين ابن لاون قد دخلها وأتم غاراته وكلها وذلك في سنة تسع أوشمان وهذا الحصن
دريساك وبفراس كانا أنطاكية جناحين ولطافية الكفر سلاحين فتم السلطان فتح هذا الحصن المذكور
مرج أبرج ومغارات وشغاف كثيرة حتى طمس ذلك الأقليم ونم انفع العظم وعادت الكائنات ساجدة والبيع
معاد والصوامع جوامع والمذابح لعيدة الشيطان مصارع

(فصل) في عهد الهدنة مع صاحب أنطاكية وهو السلطان قال العماد كان السلطان قد عزم على قصد
أنطاكية فرأى هم الاجناد لاسيما القراء قد ضعفت ولبتهم في الجهاد قد قوتت ونشوتوا إلى بلادهم والراحة
من جهادهم وكان صاحب أنطاكية قد اشرف على الهلاك وعلم أنه ان قصد غلب فنقد أخا زوجته مرسل إلى
السلطان متذللاً يطلب الهدنة على أنه يطلق من عنده من أسارى المسلمين وهم جمع كبير فعدها معهم مدة تسيرة
ثمانية أشهر من تضرر الأول إلى الثاني فليكن اخلاء الهدنة قبل ادراك التلعة وإوان حصادها فيستريح
فيها الاجناد ويعودون بعدها إلى فرض الجهاد فتم كذب الهدنة وتوجه شمس الدولة ابن منقذ الخليل الأسرى
وانقادهم منه وقال القاضي ابن شداد وفي بقية ذلك اليوم يعني يوم فتح بفراس وهو ثاني شعبان عاد السلطان
إلى الخنجر الأكبر وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة صهر العسكر وقوة طلق عماد الدين صاحب
صغاري في طلب المستور وعقد الصلح يتناوبون أهل أنطاكية لا يخرج على أن يطلقوا جميع أسارى المسلمين الذين
عندهم وكان إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم والاسلوا البلد إلى السلطان ثم رحل عنه يطلب دمشق
وسأله ولده الظاهر صاحب حلب أن يختاره فأجاب به قد دخلها إحدى عشر شعبان فأقام بقلعتها ثلاثة أيام ثم سار
إلى دمشق فاعتزله ابن أخيه تقي الدين وأصعد على قلعة حماه وابت بها ليلته وأخذها بطلعة جبلية وللأذنية وسار
إلى بعلبك وأقام بمرجها يوماً ودخل جامها ثم أتى دمشق فأقام بها حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تطيل وقته

كتاب (١٣٤) الروضتين

هن المهاد متهما لكنهه وكان قديقي له من القلاع القريفة من حوران التي يخاف عليها من جانبها مفدو كوكب
فرأى أن يشغل الزمان بفخ المكاتين في الصوم وقال العماد وودع السلطان عماد الدين صاحب شجار والعساكر
القرية واتجههم بالغف الجيبه وارتاح الى العبور على ارتاح ووصل الى حلب وقد خرج كل من بها التفتي مستبشرين
بالاقبال المتضايف المترفي وشاهدنا من النظارة دعونا للعاس ناطره ووجوها ناضره وقوا باضاره والسناشأ كره
وأيد بالي بسطها الى الله فلا ينال بالدهاء متظاهره فأقام بقلعتها أياما يسيره وألقى ولده الظاهر قدسار فيها أحسن
سيرة ثم سار منها على طريق المعرة وقصد زيارة الشيخ الزاهد أبي زكريا بالقرى عند مشهد عمر بن عبد العزيز
رحمه الله فبرك بزيارة الميت والحي ثم وصل الى حماة فمقر لبقائها معه أمير المدينة النبوية على ما كتبنا أفضل
الصلاة والسلام وهو عز الدين أبو ظبية القاسم بن المهنا وكان للسلطان في جميع القروا وصاحبا وعلى معاضدته
مواظبا ومحاضر معن على بلد او حصن الاقحناه وكان السلطان يستوحش لقيته ويأنس بشيئته وكان يحب
السلطان جالساً ولنظرة عليه جالساً وكانت قلعة حماة ذات قل منطبج فلما قولاه التي الدين رفع لها وعق
خندقها وحصنها فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة وسر بما رأى من الحصانة والرفه ووقف الملك الخضر امامه
وجرى في الخدمة على رسمه وأصبح السلطان راحلاً ولم يقم بمحصن وجاء الى بعلبك على طريق الدارعة والاب ووصل
الى دمشق قبل رمضان وأشير على السلطان بأن يرجع عسكره فقد أجد في عامه مورد ومصدره وأرجع في سبيل الله
متعبه فقال ان القدر غير مأمون والعمر غير مطمئن والقرض أرفقت ولله أرفأت وقد بقيت مع الكفر هذه
الحصون وان لم يبادرها اختل أمرنا بالحصون لاسيما مفدو كوكب فانه ملادوية والاسنارية في وسط البلاد
والثغر الاسلامي متبهما واهية السداد فخرج ونشرو عندها وقصد قصدها فاذا فتحناها اخلصت هذه البلاد
وصفت الورد قال فالبث السلطان ولا مكث ولا نهض عهد عزمه على الغزاة ولا نكث وقال لا تبطل الغزوة
ولا تعطل هذه الشئرة

(فصل في فتح الكرك وحصونه قال العماد ووردت البشرية بفتح الدرك في تسليم حصن الكرك وذلك
انها في مدة غيبته في بلاد انطاكية لم تقدم من مامرتها المضايقة لنا كية وكان الملك العادل أخو السلطان
مقيمًا ببغداد في العساكر حتم زاعى البلاد من غائلة العدو الكافر فأقامه السلطان هناك عند توجهه الى البلاد
الشمالية لتصد جبهة والاذقية فأقام ببغداد في الكرك موكلًا بأهل من كركا قد خلق رهنه وبقي حصاره
في الامور عادة الكرك وكان مبرر مسعد الدين كشيبة بالكرك موكلًا بأهل من كركا قد خلق رهنه وبقي حصاره
معضلاً وأمر مشكلاً حتى فنت أز وادهم وغدت موادهم وثقوا من نغدة تاتيهم وأجملت عليهم مصايهم
ومشاتهم فتوسلوا بالملك العادل وأبدوا له مضارعة السائل فما زالت الرسائل ترد والاقتراعات تتحدد
والقوم يلينون والعدل يشدد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم وحلوا الحصن وقصدوا بالسلامة ونظفوا
بأقامة عذرهم عند قومهم من الملامه وتسلم بعد الدين بعد الحصن التي يقر بها كالشوك وهرمز والوعر وسلم
وقال القاضي ابن شاذ في أثناء شهر رمضان سلبت الكرك من جانب فواب صاحبها وخلصوه بهام الامر وكان
أسرى وقعة حطين المباركة وكتب العماد في بعض البشائر (سلم حصن الكرك وهو الحصن الذي كان طابقته
يحدث نفسه بقصد الجحاز وقد نصب اشراك شركه منه على طرف الاجتياز فأدقناه عام أول كاس الجمام
وتخلصنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام وتم جعل هذا البيت
أمن البيت الحرام) وكتب القاضي الفاضل الى السلطان شفاعته (أدام الله سلطان مولانا الملك الناصر وثبته
وتقبل الله بقبول حسن وأنبئه وأخذ عذرة فائلاً ووجه وأرغمه بشفقة وكتبه خدمة المملوك هذه واردة على
يد فلان خطيب عذاب والباب المثل منها وقل عليه المرفق فيها ومعهم هذه القسوس التي طبق الارض ذكرها
ووجب على أهلها شكرها وحصل ابن جرت على يده أجرها هاجر من ميعر عذاب وملمها سار بالي ليله أمل كلها
صباح فلا بد أل من معها وقد غلب في خطبة الكرك وهو خطيب وتوسل المملوك في هذا التمس وهو قريب

وزرع من مصر الى الشام ومن عذاب الى الكرك وهو عيب والفقر سائق عفيف والمذكور عائل ضعيف ولطف الله تعالى بالخلق بوجدهم ولا يطيف ورأيه أعلى ان شاء الله تعالى

(فصل ١) في فتح صفد قال القاضي ابن شذاد ثم سار في أوائل رمضان من دمشق يريد صفد ولم يلتفت الى مفارقة الاهل والوطن والولد في هذا الشهر الذي يسافر الانسان أين كان ليجمع فيه بأهله فأتاهوا هي قلعة منيعة قد تقاطعت حولها أودية من سائر جوانبها فأحسق العسكر بها ونصبت عليها الجناحي وكانت الامطار شديدة والوحول عظيمة ولم يتعه ذلك عن جده ولقد كنت ليلة في خدمته وقد عين مواضع خمسة بجناحي حتى تنصب فقال لي تلك القلعة ما ننام حتى تنصب الخسبة وسلم كل مخنيق الى قوم ورسله تتواتر اليهم يخبرونه ويعرفونهم كيف يصنعون حتى أظننا الصباح وقد فرغت المخنيقات ولم يبق الا ركب خنازيرها فيها فرويت له الحديث المشهور في الصباح وبشرته بقتضاه وهو قوله صلى الله عليه وسلم عينا لانفسهم النار عين بانت فحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله قال المؤلف أخرج الترمذي هذا الحديث وقال هو حديث حسن غريب قال ولم ينزل القتال متواصلا بالنوب مع الصوم حتى سلمت بالامان في رابع عشر شوال وقال الامام لما خرج السلطان من دمشق بحسبه الفاضل وجعل طريقه على مرج برغوث وعبر محاسنة الاحزان وجاء الى صفد وقد لان من فيها من الفرج وزادهم نقد فنزل عليه في العشر الاوسط من رمضان فضايقها ونصب الجناحي عليها الى أن سلمها فقدمها في ثامن شوال بالامان وراح الى صور وقد كانوا قدموا القوت ووجدوا الموت الموقوت وعلما انهم لم يفرج صفد من أيديهم دخلت ارجلهم في الاصقار فتمروا من الجهاد والجلاد وانما كانت في عين الاسلام قذى لا يتوقع منها على الايام الا مضرة وأذى فهل الله صعبا وأوطأ هضبا وكشف عن البلاد كرها وقذف في قلوب أهلها رعبا فخرجوا مذعنين واستسلموا مسلمين وتبرؤوا من حصنهم وتزلوا بيوأهم ودهنهم وأحضر وارهاقتهم للاستهال في ثقل متاعهم وندموا على ما كان من امتناعهم قال واجتمع الفرج بصور ونحن نضايق حصن صفد وقالوا متى ففتح صفد فان كوكب لا تمتنع وأملنا عن حفظها ينقطع والرائي ان يجردها لم يجد لها ما تثبت الى أن توافقنا من البحر ملوكا فسيروا ما نتي رجل تفرقوا في تلك الاودية يكونون في الشعاب والمضاب واتفق ان أميرنا من أصحابنا خرج منقضا فوقع أحدهم في قصصه وحصل طائر منهم في قصصه فاستغرب بوجوده في ذلك المكان فهذه وتوعدده وأقامه العذاب وأقده حتى دل على مكن ذئابه فأحسوا والبصار الذين قاموا بالضمي وأجناداه الا وقد تروا عليهم في أكام ذلك الشعب ورواده فلقطوهم من كل غار ووجار ولم يمتدأ أحسن أولئك الضلال الى نهب فرار فاشهرنا ونحن على صفد للحصار حتى وصل صاحب فاما بنا لا ساري مقرن في الاصفاد مقودين في الاقياد وكان فيهما قمتان من الاستبار وقد أشفي على البشار فان السلطان رحمه الله ما كان يبق على أحسن الاستبارة والادوية فاحضر عند السلطان لئنه فأنطقهما الله بما فيه حياتهما وانجاها به نجاتهما وقالاهند دخولهما ما نظنا اننا بعد ما شافناك لمحقنا سو فرقت ان بقاها همارجو قال انما قلنا وأمر باقتلها فان تلك الكلمة حركت منه الكرم وحقت منهما الدم وفتح الله علينا صفد ثامن شوال حين فرغنا من صومست منه بعد صوم رمضان وبجنايين فضيلى الصوم والجهاد وسلمت قلعة صفد الى شجاع الدين طغرل الجنادار واستبشرنا بانعكاس ما أحكاه الكفار

(فصل ٢) في فتح حصن كوكب قال القاضي ابن شذاد ثم سار رحمه الله عليه يريد كوكب فنزل على سطح الجبل ووجد العسكر وأحس بالقلعة فضايقها بالكلية بحيث اتخذ له موضعا يتجاوزه نشاب العدو ويبنى لها طار من مخبروطين يستروراه والنشاب يتجاوزوه ولا يقدر ان يقف أحد على باب خنقه إلا أن يكون ملبسا وكانت الامطار متواترة والوحول بحيث تمنع الماشي والراكب الا بمشقة عظيمة وفي شذاد وأهوا لامن شدة الريح وزاكم الامطار وكون العدو ومسلطا عليهم بطول مكانه ورح وتقل جماعة ولم ينزل اركباصا كسب الجند رحمه الله حتى تمكن النقب من سورها ولما أحس العدو والمخدول النقب وقد تمكن من السور علة ان يغتدول ما خوذ فطلب الامان فأمهم ونسألهما في منتصف ذى القعدة فنزل الى القروا الى النقب وكان قد أنزل النقب من شدة الوحول والريح

كتاب (١٣٦) الروضين

في سطح الجبل وقال الأعماد وجئنا إلى كوكب فوجدناه في مناط الكوكب كأنها أوك العنقاء ومنزل العزاة قد
 زرتها كلاب غايه وترتج بها ذئب غايه وقالوا لوني منا واحد لحفظيت الاستار وخلصه إلى الأبد من
 العار ولا بد من عود الفرغ في هذه الديار فتشدد لا تتأثر ثم وصف القتال بآري والمجنيق والنقب والتعليق
 والحفر والتعميق والمحصر والتصنيق ثم قال وكان الوقت صعبا والقيث سحبا وكثارت السيول ونكثت
 الوحول ودامت الدماء وعماها مريقه وبقيت الحميم في الطين غريقه **وكننا في شغل شاغل من قلع الازداد**
وتوتد الاقدام وهي الاطناب وقبع الحيام وقعدت الحيام مناخل الانداء والانوار معدومة لوجود الانواء
 وماء الشرب مفقود مع سيول الماء والرواحل في الطين ياركة وهي للعطف تاركة والظريق زلقه وهي مع سعتها ضيقه
 فقل السلطان خيمته في قرب المكان لتقريب وجوه الامكان وبني له من الجواهر ماصاره كالستاره ونزلت
 الاتقال والحميم إلى أسفل التل الغور وأقام السلطان على محاصر القلحس ومصارته ونحن زكباله من الحيام
 بكره وعشية للسلام وتنفيذ المهام حتى بلغ الرجال أما كرك القوب وتكن لهم المطاوب فشرع الكفرة في التذلل
 وسلوا الحصن بالامان وعرضه على جماعة في قبيل ولايته أحد سوى فأبماز التجعي على كرمه وذلك في منتصف
 ذي القعدة ونزل السلطان إلى المخيم بالغور ومن كلب فاضل إلى سيف الاسلام بأعين عن السلطان (عما تجدد
 بعضه تنافس كوكب وهي كرمي الاستبارة ودار كفرهم ومستقر صاحب أمرهم وموضع سلاحهم وذخروهم وكان
 يجمع الطرق قاعدا ولتقي السبل راصدا فتعافت بفحبه بلاد الفتح واستوطنت ولاكت طرقها وامنت وعمرت
 بلادها وسكنت ولم يبق في هذا الجانب الامور ولولان البحر يجردها والمراكب تردها لكان قيادها قاك. أكن
 وجها هادأ نحن وماهم محمد الله في حصن يحميم بل في محن يحويهم بل هم أسارى وان كانوا طغاة وأمواتا
 وان كانوا أحياء قال الله تعالى فلا تجعل عليهم غنا عنكم بل بآلئكم عدا وكان نزولنا على كوكب بعد ان فتننا صافد
 بلاد اذوية المصونه وفخنا الكرك وحصونه والمجلس السامي اعلم بما كان على الاسلام من مؤثته المتقلبه وقضيته
 المشكله وعلته المعضله والله تعالى المشكور على ما طوى من كلمة الكفر ونشر من كلمة الاسلام
 فان بلاد الشام اليوم لا يسمع فيها قولنا تأم الا لاسلاما سلاما فادخلوها بسلام وكان نزولنا على كوكب
 والشاء في كوكبه وقد طلع من الانواء في موكبه والثاوب تنشر على الجالطى ملائها والاذوية قد دغجت بمائها
 وقاضت عند امتلائها فتدغجت أنوفها ولا خرقت الارض وبلغت الجبال طولا والاحوال اعتقلت الطرقات
 ومنى المطلق فيها مشية الاسير في الحلقات فحشمت العناء نحن ورجال العساكر وكبرنا العدو وازمان وقد
 تحزرت الحظ المكابر وعلم الله النية فأنجدها بقلها وخبر الامانة فأعان على حليها ونزلنا من رؤس الجبال منازل
 كان الاستقرار عليها أصعب من نقلها ثم قال (والآن فالمجلس السامي يعلم ان الفرج لا يسون عما قضينا ولا يصبرون
 على ما جرحنا وانهم لعنهم الله أمة لا تحصى وجيوش لا تنقصي ويد الله فوق أيديهم وسيجعل الله بعد عسر يسرا
 وماهم الا كلاب قد تنعوت وشياطين قد فتاوت وان لم يقصد قوام كل جانب استأسدوا واستكلبوا وكانوا
 لباطلهم الادحض انصر من خلفنا الناهض وقد كتب المستخديمون بالاسكندرية وصاحب قسطنطينية والغور
 المغربي يندرون بأن العدو قد أجمع أمرا وحاول نكرا وعضبوا زادهم الله غضبا وأوقدوا نار الحرب جعلها الله
 عليهم خطيبا وسلاويو فاللحي لا بعد ان يكونوا انما دها وتواعدت جوع ضلالتهم أخلف الله معادها وأمان نحن
 في الله ندفع ما نطيق وما لا نطيق وأليه نرغب في ان ثبت قلوبنا اذا كادت ترزع قلوب غريق ونحن الآن نستعيد
 أئمانا ندعوه إلى ما له دعينا ونؤمل من الله ان ينصرنا ثانيا ويؤدينا وزجوان يعلنا بنفسهم رعا ويعسكرا جميعا ويؤنخوه
 الذي كان ثلثه مجموعا وان يليه ما دعوا قمان يطيع بهار به لانها دعوتهم واما ان يصبر بهائيه صلى الله عليه وسلم
 فانها شريسته ولما ان يعينهم أئمانا فانها شدة الاسلام لاشته هذا وان كان المجلس قد قصد عنا لم يعدنا في مرض
 الاجسام فلا يقعدنا في مرض الاسلام فالسيدار البدار فان لم يكن الشام له بدار فالجبل له بدار والجنة له بدار
 فانها لا تتل الا بياض الحرب على أهل النار والهمة الهمة فان البصار لا تتلقى الا بالبصار والملوك الكبار لا يقف
 قبح وجهه الا بالملك الكبار وفي هذه السنة تدر على انطاكية وينزل ولنا المظفر في الدين على اطرابلس ويستقر

الركاب الملكي العادلي بمصر لهما مذكرة عند العدة وانها تارق وان الطلب على مصر والشام منه يفرق ولا غنى عن ان يكون المجلس السيفي بحرا في بلاد الساحل برزخ سلاسله ويجرد سيفه ليكون على ما يقتضيه اقتلا ولما لم يفتح بعدم مقاسها وما يدعى العظمى والعظيم ولا يرجو لقب الصبر الكريم الا الكريم هذا والافتداج به وميثاق الله ماضيه فان بشأ ينصرنا على العدة المضعف بالعدو الاضعف فان لا ترتيبا بأن الله تعالى ما دفع علينا هذا الفتوح ليغلقها ولا جمع علينا هذه الامه ليفرقها وانما يؤثر أن يساهم آل أيوب في مبراهم من منصف الصبر ومطالع النصر ولا يبرنا ان ينقضي عمره في قتال غير الكافر وتزال غير الكفر المناظر فانها هي سفرة قاصده وزرعة واحدة فاذا هو قد يفيض الصفيحة والوجه والذكر فيحضر وليشاهد اولاد اخيه يستشعرون لفراقه غما قاسوا ما عاشوا ولا يعرفون ان لهم مع هم (١٤) وله اليه من كآب آخر وكان بعد اعتذاره عن الحضور (المولى على حسب اختياره ان سار فخله من ساروسر وفاد الجيش وجرى ونفع المولى وضرب العدو والذي اضرب وان اقام فالعدو الذي اقده واشفاق السلطان عن نصره الذي رد عن وجهه والراى الذي رده فلا يكس في صدره من الامر من حرج ولا يخف استقصار عزمه ان ركدا وخرج فكانه مكانه من القلب وودعه وله من اسنان حده وهو سيف الامان ان ضرب فبجده أو صين في غمده لا زال المولى منتو باسائه ومرفه في جسمه ويجرد سيف عزمه وسعيدا بحكم التوفيق فلا يخرج التوفيق عن حكمه) ومن كتاب عمادى الى الديوان: بفتح الكرك والشوبك ونافرو كوكبك قول فيه (والان فقد خلص لنا جميع مملكة القدس وحدها في بيت مصر من العريش وعلى صوب الحجاز من الكرك والشوبك وتشمل على البلاد الساحلية الى متى أعمال بيروت ولما يبق من هذه المملكة الامور ونفتح ايضا جميع اقطار كبة ومعاقها التي للفريج والامر من وحدته من اقصى بلاد جبله واللاذقية الى بلاد اسوان وبقيت اقطار كبة بفرد هيا القصر من حصونها ولم يبق من البلاد التي لم تفتح أعمالها ولم تقبل عما كانت عليها الحاموسى طرابلس فانها لم يفتح منها الا مدينة جبيل وقد سمعت عليها المهلة الدليل ومعاقلها باقية وليس لسان عذاب الله الواقع واقية والحامد الا على التوجه اليها وعزم التزول عليها وان قد قرب الجانب القبلي والبلد القدسي وشحن الثغور من حديد جبل الى عسقلان وبالرجل والاموال والآلات العدد والعدد المتواصل الممدد ووزب فيها اولاد الفضل عليها الجانبها وحفظ ولايتها وقلد له العزيز عثمان ولاية مصر ومملكة أقاليمها اتهذيب أحوالها وتقويعها

(فصل ١٠) في باقى حوادث هذه السنة قال العماد ولما فرغ السلطان من شغل القلاع ونزل الى الوها من التلاع فجدد لاجل الفضل عزم مصر فركب السلطان معه ثلثة اعداء ثم تحول الى حمراء ويسان وأقام بها الى مستهل ذي الحجة ثم رحل يوم الجمعة مستهل الشهر ومعه اخوه العادل وسائر طرقي الثغور الى القدس ووصله يوم الجمعة ثامن الشهر وهو يوم التروية وصلى الجمعة في قبة الصخرة وعيد بها يوم الاحد عيد الاضحى وسار يوم الاثنين الى عسقلان للظفر في مهاجمها ونظم اسباب أحكمها ثم اذن للعادل في العودة الى مصر ليعاد قوله العزيز وودعه وأعطاه الكرك وأخذ منه عسقلان قاله ابن شداد ورحل على ستمت عكا بعسكره موقفا في مودعه ومصدره فاعبر يلد الاقوى عدو مكره عدده وانفصل العماد عن خدمته الى دمشق عند درجيه من مدائن لعراض مرض سلبه الامكان وما زال منفصلا عنه الى ان وصل السلطان دمشق بعد شهر من مستهل صفر من السنة الجديده وفي هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان توفي الامير محمد الدين مؤيد الدولة اسماعيل بن مرشد بن علي بن منقود كان مولده بشهر رجب سنة ثمان وثلاثين واربعمائة فبلغ عشرين سنة وستا وتسعين سنة وفيما في الثامن والعشرين من جمادى الاولى توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحامزي الحمداني في بغداد صاحب المصنفات على صفر سنة منها الجلالة والناصح وغيرها ومولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى قال العماد ووصل كتاب من مصر ونحن على حصار صفدان اثني عشر رجلا اعلنا وبشعار أهل القصر ودخلوا من باب زوينة الى قرب الصياقة فجدد في السيف لاداة الدولة الزاهقة ونصرة الدعوة الباطلة وهم ينادون بالحق وفي زعمهم انهم يقبلون بالصلوة ويقبلون بالباس لباس الدولة ويحالفون انهم اذا ناروا أناروا واذا داروا أداروا فما كثر بهم مكرث ولا تبعث اليهم من تبعث فلما تحققوا انهم لا يجيب لهم ولا داعي تفرقوا في الدروب واضلوا وكانوا عدا على الوفاء

كتاب (١٣٨) الروميين

فأتوا ثم أخذوا وودوا واعتقلوا ولم يستنفذوا ولما علم السلطان بهذا الأمر عراه بهم وتضجر بمن على يابه من وفوده صر وقال إلى مني تعمل منهم هذا الوهم فطردهم وردعهم وردتهم وكان قد وفد إلى الباب السلطان جماعة من أولاد الوزراء المصريين والأمراء القسطنطينيين ومن أهل المعروف المعروفين ووافق ذلك دخول الفاضل إليه فأخبره بالحب فقال له يجب أن تشكر الله على هذه النعمة فقد عرفت بهذا طاعة رعيته وموافقة نياته لبنتك ليس لم يلب دعوتهم أحد ولم يكن من ورثتهم مدد قطب خفا وزد بهزلك عند الله أنسا فقال السلطان كان الملوكة قبل تخافهم وغرب منهم الرعيه وتتوقع منهم البلية والآن فقد نكروا وعلمنا وتوافقوا الدنيا حتى اضربونا وأملونا وفرونا فإذا ركبنا أو تزنا تعاورونا بالقصص وساورونا بالقصص فقال له أنت أولى بشكر الله على هذه العارفة كان بمصر من صاحب القصر وأشياعه وخدمه واتباعه وأمرائه وخواصه وذوى استخلاصه وجهاته وأزواجه كل من كان يرتع الخلق في رياض انعامه وكان بالشام في كل بلد والى صاحب له على أهلهم وموابه وملوك يوزيهم الأقاليم والواجب واليوم أنت سلطان الجميع وقد رزقته الآمال في تلك الصنائع كلها إلى ما لك من حسن الصنيع وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك ووفدوا إلى جنابك فلا يجدون بعد الله الأجود فأكرم وفودك فأغروا ردت بالدموع عيناه وبالسماح يده وأقسم انهما عاش لا يرتقا صدا ولا يصدقا وهذا وتقدم في الحال بقضاء حقوق الوافدين وانجاح آمال القاصدين فلبت وكسب إلى السلطان في هذا المعنى أبو الفتح سبطا تعاويذى من بغداد

فلا يصبر نك ازدحام الوفو * دعلوك وكثرة ما تبدل

فانك في زمن ليس فيسه جواد سواك ولا مفضل

وقد قل في أهله المنصمو * نو قد كثر البائس المرمل

وما فيه غيرك من يستما * ح وما فيه الاك من يسأل

وقرأت رقة بخط الفاضل (المسلوك) بنهى وصول غفر الكتاب الجويني وقد كاد يهلك من لب الحر والمشفة في السبر وكف يكون سال ابن السبعين مع المرض اللازم والقولغ الدائم ونحافة الاعضاء وضعف القوة واستشعار انقطاع الرزق الذي هو نظير انقطاع العمر وما أنظر ان الله أجرى على يد الولي ولا فرح عدا له بأن يتقطع رزق مثل هذا البقية الحسنة والضيف الزاحل والاديب الفاضل في أيام مولانا التي هي تاريخ الكرم ومواسم النعم) وفى آخرها (وهما يجب ان يعلم المولى ان ارباب النعماء في حيلته انقطاعا ورثا بتجاربنا تاتي الفد بنا ربه ما دة الله ورحما كانت فلحماته ألفه دينار) رفوق الرقة بالخط الصلاحي (وقفت على رقة القاضي الفاضل وما يقطع لاحد رزق ان شاء الله تعالى بل هي عدالات نحن مثل التفرغ المنكسر رضى لنا بما ل ذا وعلى الجملة ما تهتم بقطع رزق أحد والورقة قد علمت اكتب فيها الذى لها ونصيرها ان شاء الله تعالى) وكان في آخر الرقة ذكر الجلال الخفيف وكأه كان لمثل حاجة الجويني رحم الله الكل اجمعين

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين) قال الامجد والسلطان في عكا فاخذ الامر نابه القدر فأحكم أمرها وكشف ضررها واستعصر جماعة من مصر يجي بهم الثغر فما انفصل حتى وصلوا واتبعوا وأمره وأمشوا وتقدم إلى بهاء الدين قراقوش بإتمام العمارات وولى حسام الدين بشاره وعول عليه في الولاية والحفظ والحماية وقال القاضي ابن شداد أقام بعك معظم الحر ثم يصع أحوالها ورث فيها بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بحمارق السور والاطناب فيه وسعه حسام الدين بشاره وسار ير يد دمشق فدخلها مستهل صفر قال الامجد وولى عموه قاقوس الدين كشتندى شهرزور وأعملها وكان قدر زوج باحت عز الدين حسن بن يعقوب بن قحباق فولاه فلما قرب الولاية القضاة من الشهرزوريه وقصد حصول المناصره بحكم المصاهره قال وحكم السلطان بدر الدين مودودي في ولاية القضاة من وجدته منشور انما شائى فيه) وقد قلناه أمر دمشق وجهاته وأعمالها والعشيرة والازكرات وكل ما يجري في الدوان وما يتنازع القضاة وولاية للسر والتمطوة وما يضاف اليها من الاعمال وولاية الجبل ووادى بردا وبيسوس وتولى الشهبكات وحفظ الطرقات) ثم رحل السلطان إلى طبرية فالحقها بمجديته العربية ثم وصل وأقام بدمشق

شهر صفر ووجه الدين به قدسفر وعزم من آمن وذل من كفر وبدأ بحضور الدليل وحكم بالشرع المطهر ووصل في ثاني عشر صفر رسول الديوان ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه والوزير يومئذ من الدين بن حديد بأمر بالخطبة لولي العهد عدا الدين أبي الفضل نصر محمد بن الامام الناصر فاستقبله السلطان وأولاده وأمرأه وأجنداه وخطب له بذلك يوم الجمعة ثالث عشر صفر خطيب دمشق ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدروقي فلما انقضت الخطبة وعاد الرسول سير السلطان معه رسول ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري وسيرت معه الهدايا والتحف السنيا وأشارى الفرغ فرارارس وعددها الثمانس وتاج ملوكهم السليب والميوس والطيب والصليب وهو الذي كان فوق القبة بالصخرة المقدسة ليدل على تطهير ما كان هناك من الآسباب المذنبه وسار الضياء أن رسولهم ورسول السلطان ودخل بغداد وأشارى الفرغ على هبتها يوم فراغها را كبة حصنها في طوارقها وبارقها وأدوا عنها قد نكبت بنودها واتسبأ فرورها وهبت على هبة فتوحنا تحوقها قلت وقال ابن القادسي قدم ابن الشهرزوري ومعه صليب الصدوت الذي تعطمه انصارى قدس تحت عتبة باب الشريفين منه شيء قليل وكان من نحاس وقد طلى بالذهب فجعل يداس بالارجل ويصق الناس عليه وذلك في سادس عشر ربيع الآخر كذا قال صليب الصليوت وقد نضض الفخاد في البرق على انه الصليب الذي كان فوق الصخرة وهذا غير ذلك والله أعلم ثم ان الخليفة الناصر اعتقل انه هذا بعد مدة في سنة احدى وستائة وأراد على خلع نفسه من ولاية العهد ففعل وأشهد على نفسه بذلك ثم قضى الله سبحانه ان عادت اليه ولاية العهد في أواسر عر خطب له بذلك ونشأ اسمه على الدينار والدرهم الى ان توفي الناصر سنة اثنتين وعشرين وتولى بعده قافاقم وتسعة أشهر وكتب بالظاهر ثم توفي وولى ابنه المستعصر المنسوب اليه المدرسة ببغداد ثم توفي سار بعين وولى ابنه المستعصم بالله وهو الخليفة الآن والله المستعان

(فصل في فتح شقيف ارزنون قال القاضي ابن شداد وهو موضع حصين قريب من بانياس خرج السلطان من دمشق بعد صلاة الجمعة في الثالث من ربيع الاول فسار حتى نزل في مرج فاولس وزل من القديوم السبت في مرج رغوث فاقام به والعسا كرتابع الى حادي عشرة ورور الى بانياس ومنها الى مرج عيون تخيم به وهو قريب من شقيف ارزنون بحيث يركب كل يوم يشارفه ويعود والعسا كرتجميع وتطلبه من كل صوب فاقام اياما شرف كل يوم على الشقيف والعسا كرا الا سلامه في كل يوم قصص متراثة للعدد والعدد وصاحب الشقيف راى ما يفيق مع عدم السلامة فرأى ان اصلاح حاله معه قد تعين طريقا الى سلامته فقتل بنفسه مائة حسنة بالاهو فاقام على باب حجة السلطان فاذن له قد دخل فاحترمه وأكرمه وكان من كبار الفرنجية وعفلاها وكان يعرف بالعربة وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث قال وبلغني انه كان عنده مسلم يقرأ له ويهممه وكان عند مائة خضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه هلكه وقت طاعته وأنه يسلم اليه من غير تعب واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه لا يقدر بعد ذلك على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق يقوم به وباهله وأنه يمكن من الامامة بموضعه وهو يتردد الى الخدمة ثلاثة أشهر من تاريخ اليوم الذي كان فيه حتى يتمكن من تظليل أهله وجماعته من صور ويأخذ من قبل هذه السنة فاجيب الى ذلك كله وأقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت ويساونا في محبة دينه وتناظره في بطلانه وكان حسن المحاوره متاد باقي كلامه ثم استفاض بين الناس ان صاحب الشقيف فعل ما فعله من الملهة غيلة لانه صادق في ذلك وانما قصده تدقيق الزمان وظهرت لذلك مخايل كثيرة من الخوض في تفصيل البره واتقان الابواب فرأى السلطان أن يصعد الى سطح الجبل ليقترب من المكان ومنع من دخول نخدة وميرة اليه وأظهر ان سبب ذلك شدة حو الزمان والفرار من رجم المرج فقتل صاحبه وسأل أن يجعل تمام سنة في مطاله السلطان وما أنسه وقال نكسر في ذلك ونجسم الجماعه وأنأخذنا رجم ثم كره به من حيث لا يشمر الى أن كان من أمره ما سيذكر قال وفي اثنا عشر ربيع الاول وصل الخبر بتسليم الشوبك وكان قد أقام السلطان عليه جمعا عظيما بمصر وبه مدة سنة حتى فرغت أروادهم وسباهو بالامان وقال الحمد كان الشقيف في يد صاحب صيدا ارنط وقد أكل في حفظه الاحتياط فقتل الى خدمة السلطان وسأل أن يجعل ثلاثة أشهر يتمكن فيه من قتل من يصور من أهله وأظهر انه يحتر من علم الماركيس لعنه الله بجماله فلا يسلم من جهله وحينئذ

كتاب (١٤٠) الروضين

بسم الموضع بحافيه ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه ويخضع على اقطاع بعثته وعن حب أهل دينه يسليه فأكرمه وقربه ونصى أربه وأجابه الى ما سأله وقبل منه عزير ما بذله واقتنع بقوله ولم يأخذ رهنه ووجد اليه سكونا وسكينه فخرج الزنط في اذلة حصنه وازال قوته وتزيم مستدمه وتوفيق غلاله وتدبير أحواله ونص في غرة من تحفظه وفي سنة من تقطعه وكان يشاع من عسكرنا الليرة وكثر فيه الفخرة وقد أضر العذر وظن ان له النصر والسلطان حسن الظن به يحمل صدق الواشي به على كذبه وكان انتهاء المدة يوم الاحد ثامن عشر جمادى الآخرة وأقام السلطان بالمرج ينتظر ان يسلاخ الهدنة وتسليم الحصن وخاف ان يفارقه ان يقبض امداد الفرنج اليه وكان مشغفا بضعاف جانب انطاكية لانتهاء أشهر هدمتها فكتب الى تقي الدين بالمقام في تلك الحطة وسير بذلك الفقيه عيسى الحيكاري ولم تستدع الا صاحب آمد قطب الدين سكان بن قرا ارسلان بخاف في امداده واعداه ولازم السلطان فلما قرب انتهاء مدة صاحب النقيف أحضره السلطان فقتلوه وقال ان قومي الى الآن لم يخلصوا من صور وقد أنعمت فاتهم وسأل أن تكون المهلة سنة فعرف السلطان من غوى حاله أمارات الارتباب فكلمه بانياس ومارد بياس فأرخص طوله وأرخص ألمه وأمر السلطان بتحويل الخيم الى نادر الجبل ليقرب من الحصن وقد بقي من الهدنة يومان فتصور صاحب الحصن قتيلا له قتيلا في كنف الامان فبقي وتأم من ضبطه وانكشف سر سرته الفاديه فأمر بحمله الى الشقية حتى يسلمه ووكيل به وحفظ من حيث لا يعلم وقيل امله به بحسن ولا يوجه الى المقامحة ويسلم وقيل له قتيلا في يومان من المدة فتبقي حتى تنتهي وتسلم فأبدي ضرورة وضراعه وقال سمعوا طاعه وكان له ملق وملق وفي لسانه دلق وما عنده من كل ما يفرق فرق وقال اما انفذنا في نوابي في التسليم وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم فأظروا وعصيانته وقالوا بيبني مكانه فقتلوه جل الى قلعة بانياس وبطل الرجاء فيه وان الياس ثم استخفى في سادس رجب وهدده وتوعده فلما لم يقد خطابه ولم يجد غنايه سيره الى دمشق ومعه ورتب عدة من الامراء بملازمة حصر الحصن في الصف والشتاء الى أن تسلمه بعد سنة بحكم السلم وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الخليم

(فصل) وفي امدته قيام السلطان على مرج عيون لمحاصرة شقيف ارنون اجتمع الفرنج وجرى لهم مع المسلمين واقام قال القاضي ابن شد اركان السلطان فدا شرط على نفسه حين تسلم عقلا ان امان أمر الملك من يهايمها أطلقه فأمرهم بتسليمها وسلوها فطلبه الملك باطلا فاطلعه فاقام بالشرط ونص على حصن الاكراد أطلقه من انظر سوس واشترط عليه أن لا يشهرو في وجوه مسيافا بدا وان يكون ملوكا وطليقة فكثرت لعنه الله وجمع الجوع وأتى صور بطلب الدخول اليها فخرج على بابها راجع الرئيس الذي كان بها في ذلك الوقت وكان الرئيس للصين رجلا عظيما ذا رأي وبأس شديد وحرارة عظيمة فقال له انني نائب الملوك الذين وراء البحر وما أنوال في تسلمها اليك وطالت المراجعة واستقرت القاعدة بينهما على أن يتفقوا اجماعا على المسلمين ويجتمع العساكر التي بصور وغيرها من الفرنجة على المسلمين وعسكر واعلى باب صور ولما كان يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى بلغ السلطان من جانب البركة ان الفرنج قد دفعوا البحر الفاصل بين أرضه و أرض صيدا وهي الارض التي نحن عليها فركب السلطان نحو البركة فوصل وقد انفصلت الوقعة وذلك ان الفرنج عبر منهم جماعة البحر فنهض اليهم برك الاسلام وكانوا في عدة قوف ققات لوهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا وجرحوا وأضعاف ما قاتلوا وروما في النهر جماعة ففروا ولم يقتل من المسلمين الا الملوك السلطان يعرف بابيك الأخرش وكان شعبا عابسا بالبحر بالبحر بمارسا فقتلوا بفرسه نلبا الى حذرة قتال بالشاب حتى فنى ثم بالسيف حتى تسلم جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه وفي يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ركب السلطان يشرف على القوم على عادته فتبعه العسكر خلق عظيم من الرجال والنساء والسوقة وحرس وجه الله في ردهم فلم يفعلوا وخاف عليهم فان المكان كان حربا ليس للراحل فيه ملجأ ثم هجم الرجالة الى البحر وناوشوا العدو وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديدا وجمع لهم من الفرنج خلق عظيم وهم لا يشعرون وكشف فرهم بحيث علوا لاس وراءهم كمين فقتلوا عليهم جماعة واحدة على غرة من السلطان فانه كان بعيدا منهم ولم يكن معه عسكر فانه لم يفرج للقتال وانما ركب مستتر فاعلمهم على العاصد في كل

في أخبار (١٤١) البوئين

يوم ولما بان له الوقعة وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط والفرغ قد كثرت ورا حتى خافت منهم السرية التي بعثها السلطان وظفر وبالجالة ظفرا عظيما وأسر واجامعة وعذب من قتل من الرحالة في ذلك اليوم فكان عدد الشهداء مائة وعشائين نفرا وقتل من الفرغ أيضا عدة عظيمة وغرق أيضا منهم عدة وكان من قتل منهم مقدم الامانية وكان عددهم عظيما يحترقوا واشتد في ذلك اليوم من المعروفين من المسلمين الامير غازي بن سعد الدين مسعود بن البيطارو وكان شابا حسانا نجبا عا واحسبه والده في سبيل الله ولم يقطر من عينه عليه مدعة على ما ذكره جماعة لازموه قال وهذه الوقعة لم ينق الفرغ منها في هذه الوقائع التي حضرتها وشاهدتها ولم ينالوا من المسلمين مثل هذه الوقعة في هذه المدة ولما رأى السلطان ما حل بالمسلمين من هذه الوقعة السائرة جمع أصحابه وشاورهم وقتر معهم انه يحجم على الفرغ ويعبر على الجسر ويقا تلهم ويستأصل شاقهم وكتب ان الفرغ قد رحلوا عن صور ووزلوا قريبا الجسر وبين الجسر وصور مقدار فرسخ وزاد على فرسخ فلما صمم العزم على ذلك رحل الفرغ عاندين الى صور لمختشين الى صورها فرأى رحمه الله ان يسر الى هناك ليلحظ ما بين من صورها ويبحث على الباقي فراح على تبين ولم يرجع على مرجعيون فخصي الى هناك قريب احوالها وعاد الى العسكر مرجعيون منتظرا له تصاحب الشقيف ولما كان يوم السبت سادس جادى الاخرة بقله ان جماعة من رحالة العدو ينسبطون ويصلون الى جبل تبين يحتطبون وفي قلبه من رحالة المسلمين وما جرى عليهم امر عظيم فرأى ان يقرر رفاعه كين يرتبهم وقلعه انهم يخرج وراءهم ايضا خيل تحفظهم فعمل كينا يصلح للقاء الجميع ثم أنفذ الى عسكر تبين ان يخرج جوافي يفر يسر عابرين على تلك الرحالة وان خيل العدو اذا تبعتهم ينهزمون الى جهة عينها لهم وان يكون ذلك سبعة الاثني ثامن جادى الاخرة وارسل الى عسكر عكا ان يسر حتى يكون وراءه عسكر العدو حتى ان تحركوا في نصرة أصحابهم فقتلوا جميعهم وركب هو ورجله الى الجهة التي عندها الخندق عسكر تبين حتى قطع تبين ورتب العسكر ثمانية اطلاقا واخرج من كل طبع عشر من فارسا أو امهم ان يترأوا للعدو حتى يظهروا اليهم ويناسوهم وينهزموا بين أيديهم حتى يصلوا الى الكين فقتلوا ذلك ونظر لهم من الفرغ فجمع معظم عسكرهم بقدمهم المالك لعنه الله وجرى بينهم وبين هذه السرية اليسيرة قتال شديد والتزمت السرية القتال وانفوا من الانهزام بين أيديهم وجمعتهم الحمية على مخالفة السلطان واتصل الخبر بالسلطان في اواخر الامر وقد هجم الليل فبعث بعونا كثيرة فقاد الفرغ ناصحين على أعقابهم وقتل من الفرغ عشرة أنفس ومن المسلمين ستة اثنان من الترك وأربعة من العرب منهم الامير زامل وكان شابا ماما حسن الثياب يقدم عشرته وكان سبب قتله انه تقطرت به فرسه ففداه ابن عمه فرسه فقتلته ايضا وأمر هو وثلاثة من أدله فلما بصر الفرغ عدد العسكر قتلوه خشية الاستنقاذ وروح خناق كثير من الطامختين وخيل كثيرة قتال ومن نوادر هذه الوقعة ان ملوكا من ملوك السلطان يقال له ايسك الخن بالجراح حتى وقع بين القتلى وزجراته تنحبط دماوات ليلته أجمع على تلك الحال الى صبيحة يوم الثلاثاء فقتلته أصحابه فلم يجدوه فقتلوا السلطان فقتلوا وأخذ من يكشف عن حاله فوجدوه بين القتلى فحملوه الى الخيم وعافاه الله وعاد السلطان الى الخيم يوم الاربعاء عاشر الشهر فرجاسمورا وقال العماد اجتمع من سكان سلم من الفرغ ونصبا على ملكهم الذي خلص من الاسر وقالوا نحن في جمع جسم خارج عن الحصر وقد تواصلت اليها امداد البحر فسر بالشار وأعدنا من هذا العار وباعنا من كان بطرابلس وخيموا على صور واتفقوا انهم يقصدون بلادا اسلاميا من الساحل ويقمون عليه والركيس بمخيمهم من صور بالمدد والعدد ثم جاء الحسبانهم على قصد صيدا الحضر وقد جسر واعلى عبورا الجسر وذهبت عليهم الزكية فرددوهم ووقع في الاسر من سباعهم سبعة فخلوا الى سجن دمشق ثم ذكر قتلهما بلفظة المطوعة على الجسر وقال لم يصب الكفار من المسلمين مذابحوا غير هذه الكره واذا أتونا بعد ان حلالنا جنتا الفتوحات مرة هذه المرة فايقتنا الله من ردة القره وأخذ الناس حذرهم وقالوا بهذا وعد الله حيث قال فيقتلون ويقتلون وعبادهم الذين يتبعون أمره ويقتلون ثم ذكر وقعة الكين قال وكان مع المسلمين اربع مئة من أمراء العرب فحملوا كما وصاهم السلطان على عزم الغار اذ يقصدوا الكين وسلكوا أسفل الوادي وانما الطريق اعلاه ولاخبره لهم تلك الارض يعرف الفرغ انهم ضالعون فطاردهم

وردوهم الى المضيق وانفتح العرب من الخزي فاستشهدوا قال وكان معهم عكوك للسلطان يقال له ابيك الساسي فاعتزل الى حفرة واجتجى بها وتكب كائنه وورماهم بنشابها وهم لا يقدرون على الانتقام اليه بالجيل فرموا بالزبورك حتى كثرت فيه الجراحات وظنوا انه قد مات ووصل الخبر الى المسلمين فادركهم وقتلوا على الشهداء وقبروهم وجاؤا الى ابيك فوجدوا فيه الروح فتقلدوا الى الخيام وهم يظنون انه لا خلاص له من الحماة وكان في اجله باقية فن الله عليه بالعافية

(فصل ١٠) في نزول الفرنج خذلهم الله على عكا قال القاضي ابن شداد ثم بلغنا بعد ذلك ان الفرنج بصور ومن كان مع الملك قلسار وانحروا النواكير يريدون جهة عكا وان بعضهم نزل بآسكندر ونه وجرى بينهم وبين رجاالة المسلمين مناوشة وقتل منهم المسلمون نفر ايسر او اقاموا هناك ولما بلغ السلطان حركتهم الى تلك الجهة عظم عليه ولم ير المسارعة خوفا من ان يكون قصدهم ترحيلهم عن الشقيف لاقصد المكان فاقام مدة كشف الحال الى يوم الاحد ثاني عشر رجب فوصل فاصدا خبر ان الفرنج في بقية ذلك اليوم حلوا وازروا عين بصره ووصلوا وانزلهم الى الزب فعظم عند ذلك وكتب الى سائر ارباب الاطراف بالمسير اليه وتقدم الى الثقلان سار بالليل واصبح يوم الاثنين ثالث عشر رجب سائرا الى عكا على طريق طبرية اذ لم يكن ثم طريق يسع العسكر الا هو وسير جماعة على طريق تبين يستشرفون العدو وروا صولن باخباره وسرناحتي اتيانا للجولة منتصف النهار فنزل بها ساعة ثم رحل وسار طول الليل حتى اتي موضعا يقال له المنية صبيحة الثلاثاء وفيه بلغنا نزول الفرنج على عكا وسر صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة على سوء صنيعه واستدحقه عليه بسبب تضييع ثلاثة اشهر عليه وعلى عسكره لم يعملوا فيها شيئا وسار السلطان جريذة من المنية حتى اجتمع بقية العسكر الذي كان انقذه على طريق تبين بمرج صفورية فانه كان واعدهم اليه وتقدم الى النعل ان يلحقه الى مرج صفورية ولم يزل حتى شارف العدومن الحروب وبعث بعض العسكر ودخل عكا على غرة من العدو وقوى لمن فيها ولم يزل يبعث اليها بالعباءة بعد بعث حتى حصل فيها خلق كثير وسار من الحروب الى تل كيسان في اوائل مرج عكا فنزل على طوله وأمر الناس ان ينزلوا على التعبية فكان آخر البصرة على طرف النهر الحلو وآخر المنية نارب تل العياضية واحتاط العسكر الاسلامي بالعدو واخذوا عليهم الطريق من سائر الجوانب وفلاحقت العساكر الاسلامية واجتمعت وربت الرزك الدائم وحصر العدو في خيامه بحيث لا يخرج منها احدا لا يخرج أو يقتل وكان عسكر العدو على شطرن عكا وخيمة ملكهم على تل المصليين تريا من باب البلد وكان عددا كبيرا في فارس وعددا جليلهم ثلاثين الفا والواريات من نقصهم عن ذلك ورأيت من حزمهم زيادة على ذلك ومددهم من البحر لا يقطع وجرى بينهم وبين الرزك مقاتلات عظيمة متواترة والمسلمون يتماقون على قتالهم والسلطان يمنعه من ذلك الى وقته والبعوث من عساكر المسلمين تتواصل والمالوك والامراء من الاقطار تتابع ووصل تقي الدين من حاه ومظفر الدين بن زين الدين وفي اثناء هذه الحال توفي الحسام سفير الخلاطى وفاة باسها شديدا وكان شعبا عاديا فأسف المسلمون عليه ولما استحل أمر الفرنج استداروا بسكا بحيث منعوا من الدخول والخروج منها وذلك سلخ رجب فعظم على السلطان وضاق صدره وثارته الهة العاليتى فتح الطريق الى عكا تستقر السابلة اليها بالمرة والنجدة فباكرهم مستهل شعبان وضاق صدره مضايقة شديدة فكانت الحملة بعد صلوات الجمعة واشرع عسكر العدو الى ان ملكوا التلول وكانت مضررة عسكرهم الى البحر الحلو أخذة الى البحر الملح ومنهم قباله القلعة البسطى التي لعكا وانصلت الحرب الى ان حال بين الغتتين هجوم الليل وبات الناس على حالهم من الجيانيين شاكين في السلاح تحرس كل طائفة بقسمها من الاخرى واصبحوا ثاني شعبان يوم السبت على القتال وأنفذ السلطان طائفة من شعبان المسلمين الى البحر من شمالي عكا ولم يكن هناك للعدو حرم لكن عسكره مكان قدام متجريدة شمالي عكا الى البحر فحمل شعبان المسلمين على عسكر الفرنج والواقف شمالي عكا فأنكره وادبر ايديهم كدرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كبيرا وانفتح المسلمون منهم الى خيامهم وعجم المسلمون خلفهم الى اوائل خيامهم ووقف الرزك الاسلامي مانعا من ان يخرج من عسكرهم خارج أو يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة المتجاورة لقلعة الملك الى الباب فراقش الذي جدد موصار الطريق ميعاير قبة السوفى ومعا لحواجر

وبعده الرجل الواحد والمرأه والذين الطريق وبين العدو ودخل السلطان في ذلك اليوم الى عكا ورفى على السور ونظر الى عسكر العدو وزاجع الناس عن القتال بعد صلا قائلهم رسلتي الدواب وأخذ الراحة ولم يعودوا الى القتال وأصبحوا يوم الاحد فرأى بعض الامرأه ان أخبار القتال الى ان يدخل الرجل كله الى عكا ويختر جوامع العسكر اقيم بها من أبواب البلد على العدو من ورأته وترك العساكر من خارج من سائر الجوانب ويحلقوا حلة الرجل الواحد والسلطان رحمه الله تعالى بعاني هذه الامور كلها بنفسه وبصالحها بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدته حرصه ووفور همته كالوالدة الشكلى ولقد أخبرني بعض أطباءه انه بقي من يوم الجمعة الى يوم الاحد لم يمتناول من الغذاء الا شيئا يسيرا لفرط اهتمامه وفعلا ما كان عزموا عليه واشتدت منعة العدو وحي نفسه في خيامهم لم تزل سوق الحرب قائمة تباع فيها النفوس بالنفائس وتطرح سماء حربها الرؤس من كل رئيس ومتراس حتى كان يوم الجمعة ثامن شعبان عزم العدو على الخروج يجمعوهم فخرجوا جملهم وفارسهم وامتدوا على السور وساروا المؤينا غير مغرطين في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والراحه حولهم كالسور المبني بتلوا بعضهم بعضا حتى قاربوا خيام البرك فصاح السلطان بالعساكر الاسلاميه فركبوا باجهم وجعلوا حلة الرجل الواحد فعاد العدو ناكسا على عقبه والسيف يجعل فيهم فالسالم منهم يرجع والعاطب طريق يشتدون هزيمة يعثر جرحهم يقتلهم ولا يولوي الجامعة منهم على قبيلهم حتى خلق بخيامهم من سلم منهم وانكفوا عن القتال يابا وسكان قصاراهم ان يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم واستمر فتح طريق عكا والمسلمون يترددون اليها قال وكنت من دخل ورفى على السور ودام القتال بين الفئتين متصلا الليل مع النهار حتى كان الحادى عشر من شعبان ورأى السلطان رحمه الله توسيع الدائرة عليهم لعلهم يخرجون الى مصارعهم فنقل النفل الى تل العياضية وهو تل قبالة القتل المصلين مشرف على عكا وخيام العدو وفي هذه المنزلة توفي حسام الدين طمان وكان من شعبان المسلمين ودفن في سطحه هذا التل وصلت عليه مع جماعة من الفقهاء ليلة نصف شعبان وبلغ السلطان ان جماعة من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف الزهراء ما يبيت عايشه فكأن لهم جماعة من العرب وقصد العزب لحقتهم على خيلهم فحصبوا عليهم وقتلوا منهم خلقا عظيما وأسر واجاعة وأحضر وأرؤسا بين يديه وذلك يوم السبت تاسع عشر شعبان وفي عشية ذلك اليوم وقع بين العدو وبين أهل البلد حرب عظيمة قتل فيها جمع عظيم من الطائفتين وطال الامر بين الفئتين وما يخلو يوم عن قتل وجرح وسبي ونهب وأنس البعض بال بعض بحيث ان الطائفتين كانتا تعذنان وتتركان القتال وربما غشي البعض ورفض البعض لطول المعاشرة ثم رجعوا الى القلة بعد ساعة وسأوا يهاضوا الى كمتقاتل البكار وليس للصغار حظ يزيدان يصطرع صبيان صبي منا وصبي منك فاخرج صبيان من البلد الى صبيين من الفرنج فوثب أحد الصبيين المسلمين على أحد الصبيين الكافرين فاحتضنه وضرب به الارض وأخذه أسيرا فاستراه منه بعض الفرنج فذب نارين وقالوا هو أسيرك حقا فاخذ الدينارين وأطلقه قال ووصل مركب فيه خيل فهرب منها فارس ووقع في البحر وما زال يسبح وهم حوله يردونه حتى دخل متناعكا وأخذه المسلمون قتل وذكر العباد كل هذه الوقائع والتوارد في كتابه بألفاظه المسجوعة وقال كان من رأى السلطان ان يسارهم في الطريق وبواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ويدفعهم عن النزول فانهم اذ انزلوا صعب الزحم وأثعب قسا لهم وقالوا يعني أمرأه بل غشي على أسهل الطرق فسار النفل من الليل على طريق الملاحه وسرنا على جب يوسف الى المنية وحينئذ عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كنترس فكانت ليلة الأربعاء على جبل الخروبة ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر محيطين بها العصر وضرب الملك العتيق خيمه على تل اصابعه وربط مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالأجام المؤتشمه ثم عبر السلطان بحيمه ونزل بمرج عكا على تل كيسان وصرا نحا حاصر من المحاصرين قدام حطنا بالعدو وهو بالبلد محيط واستنظنا منعه وهو مستشيط واحد قنابا وتلك الكفرة اطاعة النار بأهلها ومنعنا الطريق من رؤسهم في عورها وسبلها ورتينا بالارب والتواقيع رجا ليدونهم عن سبلها ودمنا نصفهم ونصفهم وتوجد هم في البحر ونعددهم واستدارت الفرنج بعكا كالأثر قبل المركز وزادوا من جانبنا في الخزس والخوزر وذلك في آخر حجب الانسلاخه والاسلام ينادينا

بأصمراخه وأصبح السلطان يوم الجمعة متبرل شيعان وقد انفتحت الاراعلى ان يكون اللقاء وقت الصلاة عند ارتفاع
الدعوات على المنابر الاسلامية فأحاط العسكر الاسلامى بجيادهم فكثرت عليهم صفوف مشاريهم وقتل منهم مضاربهم
وهم في مواضعهم واقفين وعلى معارهم عاكفين وفي حواطهم ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خال وكالحلقة
المفرقة ما لها مدخل وكالمرء المحيط ما عليه تعلق وكالجبل الاشم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم فلم يرجوا
وقربنا منهم فلم ينزحوا ومناذعنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها وكما قتل واحد وقف آخر مقامه حتى دخل الليل
وهجروا حولان القدس من جانب البحر شمالي عكا فانهم في الفرع الى تل المصلين نحو القبة وشيئا عند الوتبه وانفتح
لنا طريق عكا فدخلها الرجال وحلت اليها القتال والفرع قد رهبوا ولقد روهوا لمرأوا وأصحابنا رأوا ان انفتاح
باب البلد غنيمه فتوقفوا عن غام الفرع ولولاهم استروا والباد المدقصره فان للخدمة الاولى في الريع روعه فبلغ
العدو بريقه وجدنا الى الجبل طريقه وتوقفوا كالسور من وراء الجنويات والتراس والقنطاريات وضربوا الحسروخ
وقترقوها وجعلوا العدد وعلى الرجال فترقوها وكانوا في عدد الرل ومدد النسل وهم في كل يوم يازداد والهر
يمدحها الامداد وشروعوا في حفر الخنادق وسد المصائق ونصب الطوارق والطلقات ساهرا للجن في قلوبهم قائم
بأمرهم في نهارهم ومن كلب خاضل في بعض الرقات (فاستدارت بهم رجال الجبال الشبيهة بقذف شياطينهم بشهاها
وتنوى الى اوكار اقدتهم بطير وشهاها وتجنيهم من القنا والنشاب ثم اراذ امتناها وقدرت على الاسلام الى دريات
سيد كرامها وانخفض الكفر الى دركات سيزد كرها فالنصر لما فاق علمه وكتب البشارة قد استخذ قله وقد
وثقنا بلفظ الله تعالى فيما يأتي فتأهبنا الخواطر اعمالى المسار واعدت الفاظ البشرى المهداة الى كافة البشر
من الاستبشار فان القصر فتح محصورون والنازل بالمحصور كالركب المكسور والنصر قد اهرب لعسكر الاسلام
والكفر بطر وبجور)

(فصل ١٠) في المساقف الاعظم على عكا وهي الوقعة الكبرى التي بدأت بالسور ووقت الحسنى قال القاضي
ابن شداد لما كان يوم الاربعاء الحادى والعشرين من شعبان فمركت عكا كالفرج فركم لم يكن لهم منهلها عادة
فارسلهم وراجلهم وكبيرهم وصغيرهم واصفوا خارج خيمهم قلبا ومجنه وميرة وفي القلب الملك وبين يديه
الانجيل يحول مستور بنوب المجلس مغطى بمسك أربعة أنفس أربعة اطرافهم ميسرون بين يدي الملك وامتدت
الجنة في مقابل ميسرة المسلمين من اولها الى آخرها وامتدت ميسرة القصد في مقابلته ميمتنا الى آخرها وملكوا
رؤس التلال فكان طرف ميمتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر وأمر السلطان الجاوش ان ينادى في الناس
بالاسلام وعساكر الموحدين فركب الناس وقبهاوا أنفسهم بالجنة فمستتت الجنة الى البحر كل قوم ركبون
وخفون بين يدي خيامهم والميسرة الى النهر كذلك ايضا وكان السلطان قد انزل الناس في الخيم معتومدة رة قلبا على
قبية الحرب حتى اذا وقعت مبعجة لا يجتاحون الى تجديد ترقيب وكان هو في القلب وفي معونة القلب وله الفضل
ثم ولده القناطر ثم عسكر المواسلة يقدمهم ظهير الدين ابن البكتري ثم عسكر ديار بكر في خدمة قطب الدين صاحب
الحسن ثم حسام الدين عمر بن لاجين صاحب ناليس ثم فاما ز النجوى وجوع عظيمه منضلين بطرف الجنة فكان في
طرفها الملك المظفر قى الدين يجهفه وعسكره وهو مطل على البحر وأما اهل الميسرة فكان يحملون القلب سيف الدين
على بن أحمد المشطوبين بكارملوك الاكراد ومقدمهم والامير محلى وجماعة المهرانية والمكارية وبجناحه الدين
برتش مقدم عسكر شجبار وجماعة من المالك ثم مظفر الدين بن زين الدين بمجناه وعسكره وأول آخر الميسرة بكار
المالك الاسدية كسيف الدين يازكوج ورسلا نيقا وجماعة الاسدية الذين يضربهم المثل وفي مقدمة القلب
الفتية عيسى وجميع هذا السلطان دجه الله تعالى يداف على الاطراب ينفعهم على القتال ويدعوهم الى
القتال ويرغبهم في نصره بن الله ولم يرل القوم ثقتمون والمسلمون يقدمون حتى علا النهار ومعنى فيه أربع
ساعات وعند ذلك فمركت ميسرة العدو على مينة المسلمين وأخرج لهم قى الدين المالكش وجرى بينهم قتال كثير
وتكاثر راعلى قى الدين وكان في طرف الجنة على البحر فتراجع عنهم شيئا لما علم لهم يعدون عن أعماهم
فبطل منهم غرضا فثار آله السلطان قد تأخر ظن به من خلفا مده بالاب هذ من القلب حتى قوى جانبه وزاجعت

ميرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر ولما رأى الذين في مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج منه من الاطلاب داخلهم الطمع وتغير كواخوه مينة القلب وحلوا حلة الرجل الواحد را جلهم فانهم قالوا وقد رأيت الرجال تسيرون سيرا خائفا ولا يبقونهم وهم يسيرون خيما ويا من الجنة على الدار بكية كاشا الله تعالى وكان بهم غرة عن الحرب فقرر كوليين يدى العدو وانكسروا كسرة عظيمة وصروا الامر حتى انكسر معظم الجبهة واتباع العدو المنزعين الى العياضية فانهم استداروا حول التل وصعدت طائفة من العدو الى خيم السلطان وقتلوا طشت دارا كان هناك وفي ذلك اليوم استشهد اسماعيل المعكيس وابن زواحة وجهه الله تعالى وأما الميرة فانهما ثبتت فان الجبهة اتصدها فولد السلطان رحمه الله فانه أخذ يوافي على الاطلاب ينضمهم ويصدهم الى العود الى الجبهة ويصنمهم على الجهاد ويثابدهم بالسلام ولم يبق معه الا خمسة أنفس وهو يطوف ويخبر قدام الصفوف وأوى الى تحت التل الذي كان عليا الخيام ولما المنزومين من العسكر فانهم بلغت هزيمتهم الى الاقواء فقاطع جسر طبرية وتم منهم قوم الى دمشق وأما التبعون لهم فانهم أتبعوهم الى العياضية لما رأوهم قد صعدوا الجبل رجعوا عنهم وجاءوا عاقلين الى عسكرهم فقيمهم جماعة من العلمان والخرنبة وبه والساسة من زمين على فعال الجبل وقتلوا منهم جماعة ثم جاؤا على رأس السوق وقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة عظام السوق كان فيه خلق عظيم ولهم سلاح وأما الذين صعدوا الحسيم السلطانية فانهم لم يبقوا شيئا أصلا سوى انهم تتلوا من ذكر ناموسهم ثلاثين ثم رأوا ميرة الاسلام ثابتة فقلوا ان الكسرة لم تبق فعدوا ومعدروا من التل يظلمون عسكرهم وأما السلطان فانه كان واقفا تحت التل ومعه نفر يسير وهو يجمع الناس ليعودوا الى الجبهة على العدو فلما رأى الفرج نازلين على التل أراد ان يقاتلهم فأمرهم بالاصبر الى أن ولوا ظهورهم واشتدوا يظلمون أصحابهم فصاح في الناس وحلوا عليهم وطرحوا منهم جماعة واشتدوا قطع فيهم وتكاثروا في الناس ورأهم حتى لحقوا أصحابهم والطر دورهم فلما رأهم من زمين والصلون ورأهم في عدد كثير قلنا ان من جل منهم قد قتل ولنه انما نجاة منهم هذا النفر فقط وان الهزيمة قد عادت عليهم فاشتدوا في الحرب والخرنبة وغرقت الميرة عليهم وعاد الملك المنظر فجاءه من المينة وقها بالرجال ونداءت وترجع الناس من كل جانب وكذب الله الشيطان ونصر الاميان وظل الناس في قتل وطرح وضرب ورجح الى ان انفصل المنزومون والصلون الى عسكر العدو فهجم الصلون عليهم في الخيام فخرج منهم اطلاب كانوا أهدها خشية من هذا الامر مستريحة فردوا الصلون وكان التعب قد أخذ من الناس والخوف والفرق قد أخذ منهم فراجع الناس عنهم بعد صلاة العصر فوضوا في القتلى ودماهم فخرج مسرورين وعاد السلطان وجلسوا في خدمته بتدكرون من قد منهم فكان مقدار من قد منهم من العلمان والمجهولين مائة وخمسين فتراوس من العدو وفي استشهد في ذلك اليوم ظهر الدرس أخو العقيقه عيسى رحمه الله وقدرأ به وهو السبعين والستون والناس فيزونه وهو يذكر عليهم ويقول هذا يوم الحنا لا يوم الفزا وكان قد وقع هومن فرس رحمه الله وأركبه وقتل عليه جماعة من أفاو بموت قتل في ذلك اليوم الأمير بجلى يعنى ابن من وابن وزاد العبادوا الحاجب خليل الحكاري ثم قال القاضي هذا الذي قتل من المسلمين وأما العدو فالتخذول فخر قتلهم بسبعة آلاف فخرورأيتهم وقد حلوا الى شاطئ النهر ليقوا به فخررتهم بدون سبعة آلاف ولما تم على المسلمين من الهزيمة رأى العلمان خلتوا الخيام عن مقرض عليهم فان العسكر انهم من الهزيمة ومقاتلين ففرق في الخيام أحد دورا والكسرة قد وقعت فقتلوا انهم اتهم وان العدو نهب جميع ما في الحسيم فوضوا ايديهم في الخيم ونهبوا جميع ما كان فيها وذهب من الناس أموال عظيمة وكان ذلك أعظم من الكسرة وقها فلما عاد السلطان الى الحسيم ورأى ما قد تم على الناس من نهب الاموال والخرنبة صار على الكتب والرسائل في رد المنزومين وتبع من شذ من العسكر والرسائل في هذا المعنى حتى بلغت عقبة فيق فرودهم وانجروهم بالكرة للمسلمين فعداوا وأمر يجمع الاقشمن أكاف القتل وجع الاقشمن في خيمته حتى جلا لالت الحيل والمخالي وهو السبعين ونحن حوله وهو يتقدم الى ان كان في عرفة شيا وحلف عليه بسم الله وهو تلقى هذه الاحوال فطلب صلب وصدر حبه وجهه منبط ورأى مستقيم واحسان الله تعالى وتوفقه من نصر دينه وأما العدو فالتخذول فانه عاد الى خيمه وقد قتلت شعبا منهم وتحت ملو صكهم وطرحه قتلهم وهم أمر السلطان

كتاب (١٤٦) الروضتين

ان نرجس عكاجيل يهيبون القتلى الى طرف النهر ليخافيه قال ولقد حكى لي بعض من ولى أمر الجبل انه أخذ خيطا وكان كل ما أخذ قتل عقد عقدة فبلغ عدد قتلى الميرة أربعمائة ألف ومائة وكسرا وبقي قتلى الجنة وقتلى القلب بعد هدم قانهم ولى أمرهم غيره وبقي من العدو بعد ذلك من حى نفسه وأقاموا في خيمهم لما يكرهوا بجبال المسلمين وعساكرهم وتشبب من عساكر المسلمين خلق كثير بسبب الهزيمة فانه ما رجع منها الا رجل معروف خاف على نفسه والباقيون ذهبوا في مال سيلهم وأخذ السلطان في جمع الأموال المتروكة وأعادتها الى أصحابها وأقام المتأدية في العساكر وقرن النداء بالوعيد والتهديد وهو يتولى تفرقتها بنفسه بين يديه واجتمع من الاخنة عدد كبير في شيمته حتى ان الجاسس في أحد الطرفين لا يرى الجاسس في الطرف الا خروا فقام من ينادى على من ضاع منه شيء فحضر الخلق وصار من عرف شيئا أو أعطى علامته حلف عليه وأخذ من الحيل والمخيلة الى الهيمان والجوهرة ولى من ذلك مشقة عظيمة ولا يرى ذلك الا نعمت من الله تعالى بشكر علمها ومبايعة القبول اليها ولقد حضر يوم تفرقة الاخنة على أربابها فرايت سوقا للعدل فاعلمت في طرف الدنيا أعظم منها وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان قال وعندنا انتقام هذه الواقعة وسكون نارتها أمر السلطان بالنقل حتى تراجع الى موضع يقال له المتر وبه تخفية على العسكر من ارايح القتلى وأتانا الواقعة من الوشم وهو موضع قريب من مكان الواقعة الا انه أبعد عنهما من المكان الذي كان نازلا فيه بليل وضربت له خيمة عند النخل وأمر البركة ان يكون مقبى المكان الذي كان نازلا فيه واحتضر الامراء وأرباب المشورة في سبخ النهر ثم أمرهم بالصفاء الى كلامه وكنت من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله اعلموا ان هذا عهد والله وعدوا وقد وطئ أرض الاسلام وقد لاحت لوائج النصر عليه ان شاء الله تعالى وقد بقى من هذا الجمع اليسير ولا بد من الاتمام بقلعه والله قد أوجب علينا ذلك وأنتم تعلمون ان هذه عساكر ناليس وروانا نجدد تنتظر هاسوى الملك العادل وهو واصل وهذا العنوان بقي وطال أمر ما لي أن ينفتح البحر امدد عظيم واذا رأى كل الرأى عندى مناجزة فليضربنا كل منكم باعندى في ذلك وكان ذلك في ثالث عشر تشرين يعنى الثاني من الشهر الشهيرة فانفصلت أراؤهم عن الالمصلحة تأخر العسكر الى الحروب وان بقي العسكر اياما حتى يسحبهم حمل السلاح وزجعت نفوسهم اليهم فقد أخذ منهم التعب واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم أمر اعلى خلاف ما تحمله القوى لا تؤمن غائلته والناس لهم يخشون يوم انقضى السلاح وفوق الخيل والحيل قد ضحرت من عرك البعم وعند أخذ حظ من الراحة ترجع نفوسهم اليها ويصل الملك العادل ويشاركنى فى الرأى والعمل وتستعيد من شذمن العساكر ونجمع الرحالة ليقفوا في مقابلة الرحالة وكان السلطان رحمه الله التيا من رضى قد دعا من كفرة ما حمل على قلبه وعاناه من التعب يجعل السلاح والفكر في تلك الايام فوقع له ما قاله ورواه مصحفه فقام بصلى من اجتمع العساكر الى عاشر رمضان قالوا كان لما بلغه خبر العدو وقصد عكاجيل الامر احواء أصحاب الراى بمرج عيون وشاورهم فيما يصنع وكان رأيهم رحمه الله ان قال المصلحة مناجزة القوم ومنعهم من انزول على البلد الا ان نزولوا جعلوا الرحالة قسورا لهم وحفروا الخنادق وصحب علينا الوصول اليهم وخيف على البلد منهم وكانت اشارة للجباة انهم اذاروا واجتمعت العساكر قلنا هم في يوم واحد وكان الامر كما قال والله لقد سمعت منه هذا القول وشاهدت الفعل كما قال وقال الصادق عليه السلام منته وميمرته وطلب من الله نصرته وهو يمر بالصفوف وبأمر بالوقوف ويحضر على حظ الابد ويبحث على الجلال والجلد قال وكنت في جماعة من أهل الفضل قدر كمنافى ذلك اليوم وقتنا على التسل نشاهد الواقعة ونحن على يقال بغير أهبة قال فرأينا العسكر موليا والمنزعم عمار كمن خيامه مور حله مقبليا فوصلنا الى طبرية فحين وصل ووجدنا ساكنة قدامنا فجعل فقتلنا الى جسر الصبرة ووزلنا على شريقه وكل من اذاهل عن شيمه ووريه ومن المنزعمين من بلغ عقبة فيق وهو غير ضيق ومنهم من وصل الى دمشق وهو غير مرج على طريق وصل جماعة من القزغى الى خيمة السلطان وبها واجولة ثم اراوا القطع اشباعهم عنهما فخذروا عن التل واستقبلهم اصحابنا فركبوا اكافهم وحكوا في رقابهم اسماءهم وكان ميسر تناسكهم شجار والاسدية تمازوا ولا زالوا يل وصلوا واصلوا وحلفت عليهم مينة القزغى فكا غمارت الراجح الجبال وعاد من كان من الجنة مثل

تقى الدين وقام بأمر النجدي والحسامين لاجئين ومن ثبت من أبطال المجاهدين فلم يفلت من الاعداء الا اعداد ولم ينج من الآفة الا اآحاد وفرس منهم زهاء خمسة آلاف فارس منهم مقدم الدابة الذي كالأظفان وذكرتهم في مائة ألف وعشرين ألفاً حين سألناه ثم ضربنا عنقه وقال في الفتح عشرة آلاف قال العماد ومن المحببان الذين تبتوا مناهلهم ليلقوا الأفاعيد واما تلك ألف وأتاهم الله قوة من بعد ضعف وكان الواحد يقول قتلنا من المثلثين ثلاثين وأربعين وتركهم مصر وعين وكان السلطان من الثابتين في تلك الجولة والكاثنين لاهل الصولة وقد بقي وحده عند تولى المسلمين ولا شك ان الله أنزل ملائكته المؤمنين حكى بعضهم قال كنت من زماني فارس مدج قدس بقري حصانه وهزل على سناناه قايت من البقاء ثم أبداً على طعنة فالتفت فاذا هو وحسانه كلاهما ملقى وبالقرب أحد ففرت انه نصر المهي وصنع رباني قال وعاد السلطان الى مضاربه وأمر بمرارة الشهداء ومن جلتهم الفقيه أبو هبل بن رواحه وكان غزير الفضل قدأ كل الشيعة وأمر راجحه وهو شاعر مثلي وقصيه محقق من ولد عبد الله بن رواحة الصعابي الانصاري في الشهادة والشعر عرق فذرة الأعلى يوم موته مع جعفر الطيار وظرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار قال في البرق وكان السلطان قد أنعم عليه في حلب بزرعة وكتب توقيعه واراد الله توقيعه اذ قرب الى الآخرة طارقه وحلت توقيعه الى السلطان تلك الليلة لم يلق فيه فاعلم وراجعه في معناه فسكت وماتكم وكان ساعة الواقعة راكبا معنا ثم قال وتوفي بطول فضى الى خيمته يتودع فلما علم باننا ساقوراءنا فقطع رءه قبل أن يقض الوادي وكان قال لنا لما أصبح رأيت رجلاً يخلق رأسي في المنام فقتله هذان أضغاث الاحلام فنقله الله بعد ساعة الى دار السلام قلت وليس هو من أولاد ابن رواحة الصعابي ذلك لم يعقب وانما في اجداده من اسمهم رواحه وقدينا في التاريخ والله أعلم قال ومنهم اسماعيل الصوفي الامروى المكسي وشيخ من الحاشية في بيت الطشت وغلما في الحرة أمين على البيت وانحرون صودفوا عند التل فجاهتهم السعادة وبجائهم الشهادة وهؤلاء سوى من وقع في الواقعة وذهب قبل الرجعة وأجمع السلطان وذو الاراء على انه يصح القوم فقتلوا العسكر فاذا هو قد غاب لما بان من الامر ورأى ذلك غلبان العسكرية والاباش ظنوا ان تلك القوة تزيمه فنبهوا بالاقبال وعدوا هاتحين فم عاد الى رحله وجسده منهبوا مسلحوا وكان في ظنه انه ان فرغ من لقاء خطب يلقي خطوبا وأصبحنا واذا العسكر مقرق والثابت خلق والا من فرق والغني معدم والجري متدتم فهذا خلف مذهب من ماله ذاهب وهذا الى طلب الطريق بانقائه طالب ففتقر ذلك الزعم وتأخر ذلك الحكم واتسعت الفرخ في تلك المدة واشتد لوم تلك الشدة وجاءتهم في البحر مما كتب أن خلف من عدم وبنت ما هدم وشكرونا في راحة تلك الحيف فحملت على الجبل الى النهر ليسرب من صديدها اهل الكفر فحمل أكثر من خمسة آلاف جنه حلت الى السار قبل يوم البعثة وأشيع على السلطان بالانتقال الى الحروب عند خيم الاقبال المضرويه فسار اليها رابع رمضان وأمر اهل عكا باغلاق أبوابها وإحكام أسبوابها فوجد الفرخ بذلك القصرج وشروعاً في حفر خندق على معسكرهم حوالى عسكران البحر الى البحر وأخرجوا ما كان في مرا كيم من آلات الحصر وفي كل يوم يأتيه الزكبة بخبرهم وبما ظهر من أثرهم والجند في تعميق الخندق وتعيم محترقهم فكان من قضاء الله أن أغفلناهم وأمهلناهم بل أهلناهم حتى أعقوا الحفر وتوأمنا زراياها الدور فكانوا يخذلون ويعمقون ويعملون من تراب الحفر وحلهم سورا فعدا حيمهم ببلدا مستورا معورا فلو وبالسائر ومنعوه من الطير الطائر ونهوه وأسوسه وسترود وتسوسه ورتبوا عليه رجالا دلمير كوا الى ما وغل مجالا وتروا فيه أبوابا وفروجا ليظهر واسمنا اذا أرا وانحروا ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالمحصر وانهطت الطريق على المسلمين الى عكا وبان ضعف رأى الانتقال فانه بعدما أنجلى أبكى وجاء كتاب من الناضل الى العماد جوابا عن كتابه المخبر فيه بوقعة مرج عكا يقول فيه (وعرفت ما جرى على قضيتي فنهجت الله تعالى فان من عجائب قدرته سلامة سيدنا على ضعف حركته والامر كن عظما والمدفع أعظم والسلامة كانت غريبة الا أن تقول ولكن الله سلم والسلطان أعز والله ادا سلم فكل الناس قدسوا واذا وجد وقد عدم الناس كلهم فقد وجدوا وما عدوا وكل جوهر بالاضافة اليه معرض وهو جوهر الحقيقة ما نه من كل جوهر عرض) ومن كتاب له الى

السلطان أوله (ثم أزل الله سكة على رسوله وعلى المؤمنين الآية) ومارميت اذ رمية ولكن افقرى ورد الكتاب بخط مولانا من معتز به وجلاده وتوفيق جهاده قبل أن تضع الحرب أوزارها وهرع الناس إلى المجلس العادل والعزيز يسعون الأخبار ويستوضحون من وجوها الأنوار ويسألون كيف كانت عاقبة أهل الجنة وعاقبة أهل النار ويشكرون الله على سلامة أديانهم وقلوبهم وديانهم وسلامة سلطانهم وما أدرك ما سلامة سلطانهم ونصرة كل ما يباينهم ودلائل الحيرة لا تحفى وقد بقر الكتاب وما يلعب قاره منه حقا وتصور الناس الامر الذي وقاهم الله شره وكفاهم أمره)

(فصل) في بابى حوادث هذه السنة بمرج عكا وغيره قال العماد في يوم الاثنين ثالث رمضان أخذ أصحابنا بمكاهم كسب الفرج إلى صور مقلعا محتويا على ثلاثين رجلا وأمر آة واحدة ورزقه من الحرير وجاءت حظوة جلوه وغنية صفوه وقد كان أن كسر نشاطهم وانقيض انبساطهم فلما عثر وبارك الله فيهم وصاروا يفرحون ويقتلون ويبحرون ويمسكون على القتال ويصجون وندم الفرج على ذلك الحركة فانها أفضت بهم إلى الملكة فانهم ما داموا راضين وعلى يد الصبا فاضين يتعذر الوصول اليهم والنفول عليهم وفي بعض الكتب إلى بعض الأطراف) والمرج من الله سبحانه وتعالى تحريكهم المؤمنين في تسكين نازهم وتقريب عاههم وبإدام البحر يذهب والبر لا يصدهم فلهذا اللادهم دائم وحر من القلوب بأدوائهم ملازم فأبرجاة المسلمين وغنوة أهل الدين وغيره أهل اليقين وما ينقض عجمان من تظافر المشركين وتعود المسلمين فلما لم يلبس منهم لناد ولا متقف لناد فأنظروا إلى الفرج أى مورد رددوا وأى حشد حشدوا وأى ضالة تشدوا وأية تجسد اتجدوا وأية أموال غرموها وأنفقوها وجدنا جمعها ونور زعموا فاجمأ بينهم فرقوها ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم وأكابرهم الأجرى جاره في مضمار الاتحاد وبارى نظره في الجند والجهاد واستقلوا في صون ملتزم بذل المهج والأرواح وأمدوا أجناسهم الانجاس بأفواع السلاح معاً كفاء الكفاح ومافعلوا مافعلوا ولا بذلوا ما بذلوا الجند الحمية لتعبدتهم والنخوة لعتقدهم وليس أحد من الفرجية يستعز أن الساحل إذا ملك ورفع فيه حجاب عزمهم هتكت بخرجلد عن يده وتحتيد إلى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قدوهنوا وفشلوا وغفلوا وكسوا وزموا الحيرة وعمدوا التغير ولواشئ والعيان بالله لا سلام عنان أوجبنا نوابسانان لما وجد في شرق البلاد وغربها وبعد الأفاق وقربها من دين الله بفار ومن نصير تالحق على الباطل مختار وهذا الأوان رفض التواني واستنداه أولى الحمية من الأفاصى والأداني على انما بحمد الله لنصره راجون وله بأخلاص السر وسر الاخلاص مناجون والمشركون باذن الله هالكون والمؤمنون آمنون ناجون) قال العماد وكان السلطان قد كتب إلى مصر يستدعى بأخيه العادل في رجال يقدم عليهم متصف شوال وكتب أيضاً إلى طرب الاسطول المصرى قدمت بحسون قطعة مع حسام الدين لؤلؤ متصف ذى القعدة بقاتم فأتى على مرأى كسب الفرج وفتحها ومهقتها وبندتها وكسبتها وسلبتها ونظر بيطستن كبيرتين بمافهم مام أموالهم ورجالهم وغلاهم قال وهذا لؤلؤ قد اشترت بالكفر قسكاته وشكرت في العدو نكايته وقد قدر بغزو وان لم يشاركه فيها أحدوه وان ذى القعدة الفرج عن بحر الخجاز ووقف لهم على طرق الخجاز ولم يترك منهم عينا تطرف ولم يبق لهم جديلا يعرف وغزواته مشهورة وقتكاته مذكورة وأمواله هائلة وأكسبه بعد الاتفاق في سبيل الله بحمله قال وقل السلطان إلى البلد في المراكب جماعة من الامراء ايمانهم وعددهم وأزوادهم واستظهر البلدا بضاير جال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف هذا ورأى جالة المسلمين يتطرقون اليهم ليلا ويذيقونهم من القتل والأسر والسرقة ولا حتى كان رجالة يمتنعون بالحشد في أفراف الأنهار فإذا صادفوا فارسا وردا لما عاجزو وما يقتل والأسار قال ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه لا سلطان من تكبر العدة وقوة الفخدة بكل ما يمكنه من أسباب اليأس والشدة سبر من أحوال النظم الايض مع عزوة جرد ما وجد من التراس والمراح من كل جنس اسكبه وأقوسه وأجوده وكبتنا في شكرة (وصل السلاح وبما لا سلام من قروح الكفر الاقتراح فان الحروب المتبادلة المند أنت على جميع العدد ومن العجب ان العدة تفتى وما يفتى العدة وتغمر على الحصاد كانها التلبات فالبحر يذهبهم والكفر إلى الردى

يردهم) ومن كتاب إلى الديوان (قد مضت ثلاثة أشهر شهرها التثنية على التوحيد سلاحه وبسط الكفر حناحه
وقتل من الفرنج وحصد في الوصاة التي رعت ولزوعات التي رعت أكثر من عشرين ألف مقاتل من فارس
وراجل وراجل وأبل فأتوا في قسهم ولا أرت الأنا حرمهم وليس هذا العذر بأحد فيضغ فيه التذير
وبأني عليه التذير وأغاهوكل من وراء البحر وجمعهم في ديار الكفر فأنه ليرقى لهم مدينة بولاء ولا جزر ولا
خطه صغيرة ولا كبيرة الأجهزت مرأبها وانقضت كتابها وقرض كتابها وبرز كتابها ونارها نارا وسار سائر طاها
طارتها وتحت خزائنها وانقضت سعادتها وحلت ذنابها وبذلت آثارها وتلت كائن كتابها واحترجت
دغائن كتابها وخرج بصلبها أساقفها وبطركها وغصت بالأفواج فجأها وساقها وتعلبت لاصليب السليب
وتعصبت لالصاب المصيب وزادوا في بواقيهم بأن البلاد هي بلادهم وان أخوانهم بالقدس أبزهم الإسلام وأبادهم
وانهم خرج من بيته مهاجرا الحرب الإسلام وبعث لهدونه وذهبت عنه عبوبه ومن عجز عن السفر سفر بعثه
ورثته من قدر فجاءوا إلى بين الحديديديعان كانوا إلى بين الحداد وتواصلت منهم الامداد) قال (ووصلت في مركب
ثلثاثة امرأة فرعية مصفحة اجتمع من الجزائر واتدبن للبرائر واغترن إلى ساحل القرواء وقصدن بضر وجهن
تسيل انفسهن للأشياء وانهن لا يمتنعن من الغزيان ورأين انهن لا يتقرن بأفضل من هذا القران وزعن ان
هذه قربة بما فوقها قربة لا سباجين اجتمعت فيه غريه وعزبه) قال (وابق من عسكرنا من الممالك الاغبية والمدابير
الجهلاء بجانه جتبهن الحموى واتبوعا من غوى فنهمن من رضى لذة بالفقه ومنهن من ند على الزلج فقيل في النقلة
فان يمين لا يرند لا تخذ وأمر الحارث اليهم لانتهاه بهتت وباب الحموى عليه يستد وما عند الفرنج على الغزاة
إذا أمكنت منها العزب حرج وما أزالها عند القسوس إذا كان الغزيان المضيقين من فرحها فرج) قال (ووصلت
أبضالى البحر امرأة كبيرة القدر وأفرقة الوفرة وحلتها خيمتها فارس يضيئهم واتباعهم ولعلهم وأشباههم
وهي كافلة لكل ما يحتاجون اليه من المؤنة زائدة بما تنفعهم على المعونة وهم ركوبين بركابها ويحملون بجلابها
ويبنون لوثباتها وفي الفرنج نساء سفوراس لحسن دروع وقوانس وهن في زى الرجال يبرزن في حومة القتال
ويحملن على أرباب الجبى وهن ذيات الجبال وكل هذا يفتقدن انه عباده ويحلمن انهن يستعدن به سعادته ويجعلنه
لحن علاه فسبحان الذى أمهلن وعن نهج الهدى أزلن وفي يوم الوجة مقلعت منهن نسوة لهن بالفرسان اسوه
وفرنج مع ليلهن قسوه وليس لهن سوى الدواب وخ كسوه فما عرهن حتى سلعن عترن ومنهن عتده سبعين واشترن
وأما الجائر فقد امتلأت بين المراكز وهن يشكدن تارة وبرخين وهن مضن ونخفن ويقلن ان الصليب لا يرضى
الابالاء وأنه لا فقاءه الا بالقتال وان قهره مبيودهم تحت اسفلاء الاعداء فانظروا إلى الاتفاق في الضلال بين الرجال
والنساء) قال وفي آخر هذه السنة ندى السلطان الرسل إلى الاقطار والامصار لاستغفاروا الاستصار وبت الكتب
وكتب باليت وحت الرسل بواصل بالحث وصرح عدنان النجباء إلى سيف الإسلام بالين وشرح في الكتاب
اليه ما جرى من حوادث الزمن ووصفه جليلة الخيال وطلب منه الاعانة بالمال وكوبت مغفر الدين قزل أرسلان
بهمدان بحث ما دامته عزه ودان وحكم على كل ملك بجهة الايمان وهدى إلى محبة الاحسان ووصل إلى السلطان
رسول ابن أخيه لا مكرن الدين طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه هو آخر السلاطين السلجوقية ينظم
من عمه قزل أرسلان ويطلب من السلطان اعانته فاعتذر السلطان بما هو عليه من شغل الجهاد مع الكفار وأرسل
رسولا إلى السفارة يتنوب عنه جمال الدين أب الفتح اسماعيل بن محمد بن عبد كونه نيب العماد وكتب إلى صاحب
ابريل وإلى حسن بن قنجاق ونائب بشهر زور بالثورة على خدمته والارتداد له الحنة وأشباهه ومعونه قال
وفي هذه السنة توفي الأمير حسام الدين منقر الحلالى أخى مالك السلطان وأخلصهم وقد قدمه على محاليكه
وكانت وفاة ليلة الاثنين والعشرين من رجب قال وفي ثالث عشر شعبان توفي الأمير حسام الدين طمان صاحب
الرقه وهومن المجاهدين المجتهدين والاقية المتجسدين ولما حضرته الوفاة تأسف من موته على فراشه وطلب
حاصله لركبه وينقل سبيدائمه إلى مساده من معاشه قال وفي تاسع عشر شعبان توفي الأمير عز الدين
موسك بن جكر وهو ابن خال السلطان وهومن أكبر أقرابه ومقضى كتابه وكان القرآن حلقا وعلى الاحسن

محافظة ولتقضاء حقوق الناس ملاحظا ولم يرزل السلطان في هذه الغزوات ملازما وعلى قمع جمع الكفر عازما ولما
استدبه مرضه استأذن في الدخول الى دمشق ودفن بجبل قاسيون قال وفي حادى عشره رمضان توفى بدمشق
التاسع شرف الدين ابن ابي عسرون ومولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فبلغ عمره ثلاثا وتسعين سنة
ونصفه وأضر قبل وفاته مدة عشرين سنة ودفن بالمدرسة التي أنشأها بدمشق قبل الدار منى بها عرض الطريق وكان
شيخ المذهب وتحدث به القيا وأوحشت غيبته الدين والدنيا قال وفي تاريخ ذى القعدة توفى الامير الفقيه ضياء
الدين عيسى الحكاري في المعسكر بمنزلة القرية وكان صاحب أسد الدين شيركوه ومضى معه الى مصر حين ملكها
ثم اختص بالسلطان بعده وتولى حله وعقده ووزن بوساطته وشفاعته للناس ارزاقا ونقل الى القدس فدفن
بظاهره ولقد كان من الاعيان ومن أهل الجند في نصره الالبان فثقله الله الى الجنان قال وفي هذه السنة
اقطع السلطان مملوكه مجاهد الدين اياز ولا يشتم زور وأعمالها وولى جمال الدين ابن الحسن نقابة الاشراف
بدمشق قال وفي عاشر جمادى الاولى منها كان مولد ناصر الدين محمد ابن الملك العزيز بمصر الذي اجتمع عليه
أصحابه بعد وفاة أبيه في محرم سنة خمس وتسعين وورد بذلك الى السلطان جند كبريما فاضلى من مصر
نسخته (الملوك يقبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر دام رشاده وارشاده وزاد سعده واسعاده وكثر اولادهاؤه
وعبيده واعداؤه واشتد باعضاده فيهم اعتضاده وانى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه اولاده
وينى ان الله وله الحدوزق الملك العزيز من نصره مولد اميركاعليا ذكر اسوبا برازكيا تقيانيا من ذرية كريمة
بعضها من بعض ومن ينشرف كذت ولا تذكرون ولا في السماء وبذلك تكون ملوك في الارض وكان مقدمه
الجنون قبله الاحد وهى من الجمعة أولى العدد وبه وبالله أهل الجمعة وبذل أهل الاحد) ثم ذكر باقى الكتاب
(فصل) في ورود خبر خروج ملك الالبان قال القاضي ابن شداد ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس
وثمانين وصل من حلب كعبس وله الظاهر يخبر فيها انه قد صبح ان ملك الالبان خرج الى القسطنطينية في عدة
عظيمة قيل ما تألف وقيل ما تاتون ألفا يريد السلاسل الاسلاميه فاستند ذلك على السلطان وعظم عليه
ورأى استنفار الناس للجهاد وعلام خليفة الوقت بهذه الحادثة فاستدبني الملك وأمرني بالمسير الى صاحب
سخيار وصاحب الموصل وصاحب اربل واستدعائهم الى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم وأمرني بالمسير الى
بغداد فمرت حادى عشره رمضان وبصر الله تعالى الوصول في الجماعة وبلاغ الرسالة اليهم فأجابوا الى ذلك
بنوسم وسير صاحب الموصل علاء الدين ابنه بمعظمهسكر مووعد الدينون بكل جبل وعدت اليه خامس ربيع
الاول سنة ست وثمانين وسبقت العساكر وأخبرته بأجابتهم وتأهبهم للسير فمر بذلك وقال العمادى كتاب
الفتح ونمى الخبر بوصول ملك الالبان الى قسطنطينية في ثلثمائة ألف مقاتل على قصد العبور الى بلاد الاسلام
وقطع بلد الارمن الى الشام وفيهم ستون ألف فارس مدترع ومعهم ملوك وكود وكل شيطان لم به كنود
وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن وهربى قلعة على القرائن وبين أهل الذمة في المأمن يمدى يدها واشغالا
وتحتوا على البلاد واحترقا وقطع ان الواصلين في كثره وان النشاهضين الى طر يقهم في عشره واربك
في كتابه وارعد وابدع في خطابه وأبعد ولا شك انه الى جنسه النجس مائل وعملاء قائل ملته قائل ولما وصل
هذا النبا وقيل انه عظم وورد هذا الخبر وخيل انه ألم كاد الناس يضطربون على انهم يصدقون ويكذبون ومن
طرف كل جبل من الرأى يجهلون وقتلنا وضع هذا الخطر وضع هذا الخبر فالساكنون يقومون لتلاوا يقصدون
ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يعضدون على ان الله ناصرنا ومؤازرنا ومظاهرا وحققنا باظهار القوت لن
استوحش الانبيس وبشتبا بالارسال الى بلدالاروم عيوننا ووليس ونذرنا رسل الاستنصار وبغتنا كتب
الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار وقتلنا هذه المرة لا يسهه الا كل مترابى واهذه المكرة
منش كل كره ولا يحضرها الا كل كيش كى قال وعزل السلطان على ارسال القاضي جمال الدين ابن شداد
يوسف بن رافع بن تميم ليكون كباية الى الدينون العزيز مع رسول كريم وقال له ما أحتاج اوصى وأنت توفى القول
وتستقصي وجعل له الى كل طرف في طريقه رساله وأودعه اليه مقالة فسار ووصل الى حلب والقاضي ضياء

الذين ابن الشهرزوري رسول السلطان ينفذ قد عاد وذكر انه قد بلغ المراد فاحذا الرسول الرابع ووصل وهو مغناط وتغير على ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الى ثم اجتمع السلطان ونذمه على ما قدمه واعلم بما عمله وعلمه وقال له الشغل قد فرغ والقصد قد بلغ وتزعم السلطان أمرا وعاد على النجب الى بغداد وصادف بها القاضي بهاء الدين ابن شداد فلما سافر أمر سفارته عن سداد وقيل: وابما أتيت فيممع ضياء الدين نسيه وتندبه فيما تحسره وقال في كتاب البرق وصل الحبيب بزوج ملك الامان من بلاد قفما عتي ألف دارع وفي راجل في ديب رجل الدنيا في عدد رمل القرا وأقام بحسره القيامه واستأثرهم لئلا يكتسبهم بالقدس قامه وساروا في شهر حتى وصلوا قسطنطينية وكان ملك الروم يكتب اليها بأخبارهم وبناء خروجه من ديارهم ويقول أنا لا أمكنهم من العبور فلما جازوا إلى يقدر على منعهم فصد عنهم الأزواد وحرمهم الأسعاد وعبروا الخليج وقد كثرت أملاؤهم وقتل أزوادهم ولما وصلوا إلى حدود بلاد السلام وملكوا في الأودية والاسام والوهاد والاكلم تسلمهم تركان الأوج وتراكم اللوج وشاء الكلاب في تكلم الشتاء واحتاجوا إلى كل الدواب واحرق عدد هدم لا وازال احطاب وعمدوا العلف وما وجدوا الخلف ومناهل الزلال جامدة وهم بالبلاد جاهلون ومن البلاد ناهلون لا يقطعون في يومين فرسها وقد أذهب الله عنهم البركة وصعب عليهم الحركة وخرج الامر عن حسابهم وهم كل يوم في نقص أنفسهم ودوابهم وكانوا يذنبون من اعلاهم النفيسه وعددهم الكرمه الزئبد ما يهزون عن قنله ولا يخفون ينقله فالتخذوا لاسرارهم اضلاع تلك السحاب وصدور تلك الوهاد والحضاب ضما لئلا يروح بها أبدا ولا تطلع على مكنتها ومدفنها أحدا هذا وبحرهم عباب الموج هباب الفروج فلما خلصوا بعد أشهر كانوا همزخروا بوج سبعة أبحر هذا وقد نقص شطهم واقطع ظهروهم لكنهم عروضا في ستم ألف مدرع مدجج مقنع ذلك وقد باد أكثر راجلهم وترجل معظم باطلا باطلهم وسياق باقي أخبارهم قلت ومن قصيدة للشيخ أبي الفضل الجلياني

يا منقذا القدس من أيدي جبارة * قد أقسموا بذراع الرب ندخله
فأكذبوا كنهم في وصف ربهم * وصدق الوعد مأمونا بمخوله
أما رأيت ابن أبوب استقل عما * يعني الزمان وأهليه فحمه
هاج الفرج وقد خار والتمكنه * فاستنقروا كل مرهوب تغلفه
لماسي القدس فالوا كيف تتركها * والرب في حفرة منها تمثله
فكم ملكت لهم شق البحار سرى * لينصر والقبر والاقادرا تخذله
وكم ترحل منهم فيلق بفسلا * الى الخوامع القاهم ترحله
استنصرخوا الاهل والعدوى غرقهم * واستكثروا المال والهيجاتقله
هم القراش لبيب الخرب خصره * وكلما جسد ما جل مقته
سيف امام فلسطين يرى اما * خلف البحار لقدامها صقه
كم ذاع عدواؤكم قد قل جمعهم * من غسر ضرب ولا طعن يزيله
وانما اسم صلاح الدين يذكر في * جيش العدو فسيهم تخيله

ثم دخلت سنة ثمانين (١٢٩٩) قال الامام رحمه الله والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة المخروبة في خيامه المضروبة على الحالة المحبوبة وعنده المائل والافضل والمظفر وعكا محصوره وانقضت هذه السنة وهو على مرابطة المحاصرين اسكوا واتفق في أوائل هذه السنة وقبيلها انصرف العساكر العربية إلى بلادها البعيدة والقريبة لمجموع الشتاء وتوالى الادعاء والنزاع وحالت الوحول عن الركوب والتدول وكانت فوب البركة متربة والاحوال متربة ورمكركب السلطان يوما للقتل بالبزاه ثم يعود لا تماز فرصة الغزاه ثم وقعت وقعة الزمل وثلك انك ركب يوما في صفر فتصيد وطاب له قرب النفس فابعد واليركيفية على الرمل وساحل البحر فخرج الفرج في وقت العصر في عدد لا يدخل في المصير وتسامع اصحابنا بهم فخرجوا اليهم وحكوا عليهم وطردوا عليهم الى خيامهم وأخذوا عليهم من خلفهم وامامهم ولهم في كل دفعة من العدو ولا تلاحق والفرنج في كل مرة على الرمل مصارع حتى فني الشباب

وفي الانتساب وشاع نداء الاصحاب باستدعاء الشباب والفرح لا يفرحهم الا الرما ولا يبتكمهم الا الالهة فلما انشروا
بجناح الجعاب تجاسروا على الدفون في تلك الشعاب وجعلوا حلة واحدة ودأبوا بحبابة الى النهر وكادت تعبت بهم
يد القهر فثبتت من العادلية في وجوده القوم صف من صوص البينان واستمر بد جاعة من الشعبان وذلك انهم
لمارذوا والفرح ظفروا فرسانا وصرعوا اقربا قتلوا بعد فرسهم بسلب لبسهم قرت بهم الحلة في الدوبه وأبغلتهم
عن الركبة والوثبة وأظلم الليل وأقترق الجعاب وكثر التأسف على من فقد منهم الحاجب ايد غش المجدي
قال ومن عجائب هذه الواقعة ان هلك كالسلطان يقال له امراسنقر عثر به جواده فقبض من أسره على شعره ليخذه
وسل آخر سيفه ليضربه فضرب يده فابض شعره فيه واشتد امراسنقر بعدو وهم خلفه فلم يذكره وعاد السلطان
من الصيد وقد انفصل الامر قال وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم شقيق اربون بالامان وكان الحصار
قد استمر عليه حتى فني زاده وصاحبه ارباط في الاسر فسلمه بخلاصه وصار الى صور قال واغتنم السلطان ههنا
الحجر وحضوره اكب الاساطيل من مصر فما زال يقوى بجكا تبشير القلاط والقوات الباقى المراكب وملاها
بالنظار والاسلحة والركام فلما سكن البحر عدت مراكب الفرغ الى مصر استباحت وبيت عقاربها وأقاعها وشدت
مراكبنا في مواهبها واتقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد فانتدب القوام بالسباحة وحملهم على ذلك
من السلمان السباحة حتى صاروا ويجلون ثغقات الاجناد على اوساطهم ويحاطون بانفسهم مع احتياطهم
ويجملون ككتبا يطير رواو يعودون بكتب وطير وكتب اليهم ويكتبون اليه على ارجحها لجام الترجمة المصطلح
عليها وكان في العسكر من اتخذ حماما يطوف على خيمته وينزل في منزله وعمل لها رجامن خشب وهو دوى من
قصب ويدرجها على الطيران من البعد وكذا نقول لهذا الولع بما لا يقع حتى جاءت نوبة عكاف فنفعت وشفت
القليل وبهتت وانت بالكتب سارحة شارحه وكنا نطلبها منه مع الليل والنهار حتى قل وجودها لكثرة الاسال
ولقد عطب هوام من همار يذرع الباقون ومنهم من سلم امراسنقر القوم فاجتروا أنس العلوم

(فصل ١٠) في قدوم السلوك وريق الابراج قال العماد وليا القضي الشنار وانفتح البحر وان زمان القتال
جاءت العساكر الاسلامية من البلاد فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصن والرحبة
وسابق الدين عثمان صاحب شيرز وعز الدين ابراهيم بن المقدم وقد معهم جموع من الاجناد والاعيان وحشود
من العرب والتر كان فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو ومعهم وزل على تل كيسان يوم الاربعاء
ثامن عشر ربيع الاول ورتب عسكره فكان تقي الدين في آخر الجبهة والعماد في آخر الميمر والافضل في أول
مدينة القلب وأخوه الظافر في أول الميمر على الجانب ثم وصل الظاهر في عساكر حلب وعماد الدين محمود بن بهرام
الارتقي صاحب دارا وغيرهم من الملوك والمقاتلين ووصل رسول الخليفة يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاول
وهو اثر يف نحر الدين تقيب مشددا بالتيين بغداد ووصل معه حلائن من النطف الطيار وحلائن من القنا الخطار
وتوزيع عشرين ألف دينار يقتصر على الديوان العزيز من الخمار وخمسة من الزاقيين النفاطين المتقنين صناعة
الاحراق بالنار فاهتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره غير انه أبدر ذ التوقيع
وقال كل ما معي من نعمة أمير المؤمنين ولولا صرف أهوال هذه البلاد الى الجهاد لكنت محمولة الى الديوان وأركب
الرسول معه مراكب اربار وأمرامبارك التزال ومعارك القتال حتى يشهد بما يشاهد ويبين له المجتهد والجاهد وأقام
طويلا ثم استأذن في العود فرجع وقال القاضي ابن شداد قبل السلطان جميع ما وصل مع الرسول واستغنى
من الرقعة والثقلين بها قال وفي تلك اليوم بلغ السلطان ان الفرغ قد زحفوا على البلد وضابطوه فركب اليهم
ليشغلهم بالقتال عن البلد فقاتلهم قتلا شديدا الى الليل وثاق السلطان ان يحجم العدو للبلد فانتقل الى تل
الجل في خامس عشر ربيع الاول القرب قال وفي صبيحة هذا اليوم وصل من البلد عوام معه كتب تنعى انه
قد طم العدو بعض الخندق وقد قوى عزم العدو على منازلة البلد ومضايقته فجذد السلطان العسكر الى
العساكر بالحث على الوصول وفي محراب ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الاول وصل ولده الظاهر وفي آخر ذلك اليوم
وصل مظفر الدين وسكان السلطان رجعه الله ما يقدم عليه عسكر الأوبع منهم ويسير بهم الى العدو وينزل بهم

في خيمته وعدهم الطعام وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا اياناب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر وينزلون
بها مكرمين قال وكان العدو قد اصطنع ثلاثة ابرحة من خشب وحديد والبسها بالجلود المسقة بالخل على ما ذكر
بحيث لا تتنفذ فيها النيران وكانت هذه الابراج كأنها الجبال نشاهد هاهنا مواضعنا عالية على الاسوار وهي مركبة
على عجل يسع الواحد منها من القنطرة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحه لان ينصب عليه مخنق
وكان ذلك قد عمل في قلوب المسلمين وأودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه وابتس الناس من البلد بالكلية
وقطعت قلوب القنطرة فيه وكان قد فرغ عملها ولم يبق الا جزءا الى قريب السور وكان السلطان رحمه الله قد أعمل
فكره في احرقتها واهلاكها وجمع الصناع من الزرافين والنفاطين ويا حشمهم في الاجتهاد في احرقتها وودعهم عليه
بالاموال الطائلة والعطايا الجزيلة وضائق حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي فذكر
ان له مصنعة في احرقتها وانه ان أمكن من الدخول الى عكا وحصل له الادوية التي يعرفها احرقتها فحصل له جميع
ما يطلبه ويدخل الى عكا وطبخ تلك الادوية مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كأنه جمر قاتم ضرب
السراج الواحد يوم وصول الملك الظاهر بقدر فاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالع
ذوائبه نحو المعاء فاستقنت الاسلحة بالتهليل والتكبير وغلبهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب فينبغي الناس
ينظرون ويتعجبون اذرى البرج الثاني بالقدر الثاني والثالث بالثالث فاحترقا كالقلا وركب السلطان والعساكر
وسار اليهم وانتظروا ينحصر جوافينا جزهم علباقوله صلى الله عليه وسلم من فتح باب خير فليتبره فلم يظهر العدو
من خيامهم وحال بين القنطرتين الليل واستمر ركوب السلطان اليهم في كل يوم وطلب نزالهم وقتلهم وهم
لا يخرجون من خيامهم لعلمهم بقاء شير النصر والظفر بهم والعساكر الاسلامية تواتر وتواصل فوصل في الثاني
والعشرين من ربيع الآخر عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وهو ابن أخي نور الدين رحمه الله
وصهر مروج ابنته فلقبه السلطان بالاحترام والتعظيم وركب له العسكر في قناته وسار به حتى اوقفه على العدو وعاد
معه الى خيمته وأزله عنده وكان صنع له طعاما لا تقا بذلك اليوم فحضره وجميع اصحابه وقد مله من الخوف
والطائف ما لا يقدر عليه غير وكان قد أكرمه بحيث طس له طراحة مستقلة الى جانبه وبسط له ثوبا طلس
عند دخوله وضربت خيمته على طرف الميعة على جانب النهر وفي سابع حادي الاولى وصل ابن أخيه صاحب
الجزيرة معز الدين شجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فلقبه السلطان وأزله الى جانب عمه عماد الدين
وفي تاسع حادي الاولى وصل ابن صاحب الموصل وهو علاء الدين خرم شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي
نايبا عن أبيه ففزع السلطان به فرح شديد وتلقاه من بعيد هو وأهله واستحسن أدبه واستنحبه وأزله عنده
في الخيمة وكارمه مكارمة عظيمة وقد مله تحفا حسنة وأمر بضرب خيمته بين ولديه الافضل والناذر وفي وأخير
الشهر وعمل صاحب أربل زين الدين يوسف بن زين الدين على فأكرمه السلطان وأزله عند أخيه مظفر الدين يعني
في الميعة وذكر العماد قدوم هؤلاء الملوك بمعنى ما تقدم قال وكان الفرج مئذرت لواعي عكا صمو على الإقامة والحضر
قصر عوا في بناء الابراج الطعام العاليه وتقلوا في البحر الاتها وأخذها الجانيه واقطاع الحديد ونوا ثلاثة ابراج
عالية في ثلاثة مواضع من اقطار البلد قدموا فيها سبعة أشهر فبضر غوامها الا في ربيع الاخر فطفت كأنها ثلاثة
اطواد قد ملئت طبقاتها بعدد اعداد وكل برج لا بد له في اركانه من أربع اسطوانات عالية غلاظا جانيات طول
كل واحدة خمسون ذراعا الشرف على ارتفاع سور البلد وبسطوها على دوائر الجبل ثم كسوها بذهب الحديد والوثنوق
الشديد يجلون البقر والسواخ وكل يوم يقرنونها ولوزا عا على حسب انيسرى في سيرها وسفرها بالخل والخر وكشفوا
من جوانبها الثلاثة سور البلد وشروا في طم الحندق وجاء عوام من عكا فاخبر السلطان فركب العسكر ولازمهم
من الجمعة الى الجمعة يقا تلهم صباح مساء ليلتهم فافتروا قسامين فرقى للقتال وفرق آخر عمار الابراج فاشفي البلد
وبقي له رمق ضعيف ورميت الابراج بكل فارور فقط خا أثرت ولم نشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الاخر
بالابراج الا وقد اشتعلت وانتهت ووتعت وكانت آية من قدرة الله ظهرت وقناته كأنه كاشاب من أهل
دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين وكان أبدا يجمع آلاف الزرافين مولعا وتحصيل عقاقيرها متبعها وكل من

عرضه له واكرهه وكان قد آلف مناهج دبر وقد رواه ملا بالقيظ من أهل تلك المصانع مدورا ولم يكن النقط من صناعته ولكن الله وقته لمعانه فلما كان يوم حريقها جاء الى الأمير قراقوش وعومقنتا واختلافه فظاظ غلاظ وقال تأذن لي في تصويب المجتبي لحرق البرج والله ولي التوفيق فحرقه بوزره ونهاه مظهره وقال صناع هذا الشغل قد خلدوا واداروا وبعدم اتحدوا أغاروا فقال النسر دعه وشانه وما يدريك ان الله وقته وأعانه فرمى ابن الصريف الى البرج الاقل قدور خط خليفه من تلحشي عرف النصارى رؤاه ثم اهدى بقدري عمره وأردفها بأخرى من هقه قدما طفت القاري على طبقاتها فاضرم على أهل السعير سعيها وكان يوما على الكافرين خيرا ثم أحرق الثاني والثالث فاجتمع عليه الاصحاب بفقونه ومن أوليا الله يعذونه وحاولوا دفعه الى السلطان فقبل عطله وقال علمه فقه أريد به من سواهم وأقبل احترق في البرج الاقل سبعون فارسا صفتها غطبت أعينهم وخابت أكرامهم وخرج رجال النمن البلد فنفقوا الخندق وسدوا النحر وأظهروا القدر يظهر القدر وجاءوا الى مواضع الأبراج وأما كتبها وأحضر حواله الحديد من مكانها ونشوا الرماح من الرزد ليت التي انسبكت وكشفوا عن الستار التي تمكنت فأخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا قال وكان السلطان قد كتب بالاستظهار من شواني الاصطول والاسراع في الوصول فوصل الخبر بوصول يوم الخميس نمن النهر فاستقر به الاصطول الاقل الذي بالتغر فركب السلطان بجميع كتابه وأحاط بالكفر من جميع جوانبه واشتغل الفرع عن عبادهم في البحر فجئوا في الأمر وجهوا الاصطول بعدد الرجال وعدد القتال وخرجوا للقتال الاصطول الراسل وقابلوا الحق بالباطل وجعل شواني المسلمين قد نكحت وطخت وأخذت من كالمعزجيه وأخذوا الناقطة وما زالت الحرب قرعة وقرعه وصرفه صرعه حتى دخل الليل فهاجز الفريقان وتفرق الاصطولان وكانت المقتتلي بالكفر شديد السطوة مبيده وقال القاضي ابن شداد لما كان ظهر يوم وصول علاء الدين ابن صاحب المومل ظهرت في البحر أنواع كثيرة وكان وجه الله في نظره الاصطول من مدرفاه كان قد أمسى بشي يوم وصوله فسلم أنه هو فركب والتاس في خدمته وتعبا تعبته القتال وقصد ضايقه العدو ليشغله عن تصد الاصطول ولما علم العدو بالاصطول استعمله وعرا اصطوله قتله وضعه من دخول عكا ولما خرج اصطول العدو واشتد السلطان في قتالهم من خارج وسار الناس على جانب البحر بقوة الاصطول وأياما له ولجأه النسي الاصطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نار الحرب واستمرت وباع كل فريق روحه براحه الاخرية وجرى قتال شديد أفضع من نصره الاصطول الاسلامي وأخلفه شئني وقتل من به ونهب جميع ما فيه وظفر من العدو مراكب أيضا كان واصلا من فلسطينيه ودخل الاصطول المنصور الى عكا وكان قد حصبهم اكب من الساحل فهاهم ونضروا طابت فلوب أهل البلد بذلك وانشرت مدورهم فان الضائقة كانت قد أخذت منهم واتصل القتال بين العسكرين من خارج البلاد ان فصل بينهما القليل وعاد كل فريق الى خيمه وقدة لمن عبد الله وجرى في ذلك اليوم خلق عظيم فانهم خالوا في ثلاثة مواضع فان أهل البلد انتدوا في قتالهم ليشاؤهم عن الاصطول أيضا والاصطولان مقابلان والعسكر من البر يقاتلهم وكان النصر مجدا لله للمسلمين قال العماد وقتالهم مدة مقامنا على عكا ستين اكر من ستين ألف فوزناهم بكل حذف وكلاهما في البر زادوا من البحر وكبحروا وخسروا وقتلوا وأسرروا وهزموا وكسروا وخافهم خلف ويهم مقام ماتهم ألف وقد أقتنا أنفسهم وأموالهم وقطعنا أرواقهم ووصلنا آبائهم

(فصل ١٠) فيما كان من أمر ملك الامان قال القاضي ابن شداد توأملت الاخبار بوصول ملك الامان الى بلاد طاج ارسلان وأنه انتهى لقاها جمع عظيم من التركمان وقصدوا منعه من عبور النهر وأنه أعجزهم لكثرة خلقه وعدم مقدم لهم جميع كلمهم وكان طاج ارسلان يظهر اشفاقه وهوى الباطل قد أخضر فاته شيا عبرا الى البلاد انهم من الفساد كان أخضر موافقه وأعطاهم هاتن مصعلى انه يغلبهم من بومه الى بلاد ابن لاون وانفذ معه دلائل لاون به وعراهم في الطريق جمع عظيم وأهوزهم الزاد وقتلهم الظاهر حتى أنهم القوا بعض أنفسهم ولقد بلغنا واقعة اهل انهم جمعوا عدا كثيرة من زرديات وخودا لات وسلاح أعجزوا عن حملها وجعلوها يدرا واحدا

وأضر موافقها النار لتغلب ولا يتفجع بها أحد وانما بقيت بعد ذلك أربعة من حديد وسلوا على هذا الحال حتى وصلوا إلى طرسوس فأقاموا على غير ما يعرفون وان ملكهم للمعونة عن لسان يسوع فيه وكان ما شديدا البرد وكان ذلك عقيب ما ناله من التعب وأنه مرض به بسبب ذلك مرض عظيم اشتد به إلى أن قتله ولما رأى ما حصل به أوصى إلى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات أجمعوا رايهم على أنهم سلقوه في خلج وجعلوا عظما من كس حتى يجالوه إلى القدس الشريف ويدفونه فيه وزنت ابنه مكانه على خلف من أحياه فان ولده الأكبر كان خلفه في بلاده وكان جماعة من أحياه يميلون إلى الدواب فقر قدم ولده الحاضر في تقدمه في العسكر ولما أحسن لافون بما جرى عليهم من الخلل وما حصل بهم من الجوع والموت والضعف يجب موت ملكهم ما رأى أن يلقي نفسه بينهم فانه لا يعلم كيف يكون الأمر وهم فرح وهو أرمني فاعتمد عنهم في بعض قلاع المنعة ولقد وصل إلى السلطان حكيم كتاب من الكاشي كوس وهو مقدم الأرمن وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الغرارات ومعنى هذا الاسم الخليفة ونسخة الكتاب كتاب الداعي المخلص الكاشي كوس مما أطلع به علوم منزلات والملك السلطان الملك الناصر جامع كنة الايمان ورافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين من أمر ملك الامان وما جرى له عند ظهوره وذلك انه أول ما خرج من دياره دخل بلاد المنكر فصبأه دخل أرض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها وأخرج ملك الروم إلى أن أطاعه وأخذ رهائنه ولده وأخاه وأربعين قار من خالصاته وأخذ منه خمسين قنطارا ذهباً وخمسين قنطاراً فضة وثياب ملبس ملبغا عظيما واغتصب المراكب وعديها إلى هذا الجانب وصحبته الرهائن إلى أن دخل حدود بلاد الملك طليح أرسلان ورزاقا من وثني ثلاثة أيام سائر وترك الأوج يلقونه بالأغنام والأبقار والخيول والبضائع فتدأخضهم الطمع وجعلوا من جميع البلاد وقع القتال بين التركان وبينهم وضابضه ثلاثة وثلاثين يوما وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولده طليح أرسلان للمساكر وقصد حروب معه مصافها عظيما فظفر به ملك الامان وكسره كسرة عظيمة وسلح حتى أشرف على قونية فخرج إليه جوع عظيمة من المسلمين فردهم مكسورين وهجم قونية بالسيف وقتل منها عا لما هبطا من المسلمين والفرس وأقام بها خمسة أيام فطلب طليح أرسلان منه الامان فأمنه الملك واستقر بينه فاعدا كيدوا وأخذ منه الملك رهائن عشرين من أكابر دولته وأشار على الملك أن يجعل طريقه على طرسوس والمنصة فضل وقبل وصوله إلى هذه البلاد انفض كتابه وورسوله بشرح حاله وأبى تصدده والقبية في طريقه وأنه لا يبتغي نازجها من ديار اختيار الأكرها فاقضى الحال انفا فالملوك خاتمة وبحسب ما سأل ومع من الخواص جماعة تلقاها الملك في جواب كتابه وكانت الوصية معهم أن يمتزقوه على بلاد طليح أرسلان أن أمكن فلما اجتمعوا بالملك الكبير وأعادوا عليه الجواب وعزفوه الاحوال إلى الانحراف ثم كثر عليه العساكر والجوع ونزل على شط بعض الانهر وأكل خبز زواياهم صاعقه واتبه فانت نفسه إلى الاستحمام في الماء البارد فعمل ذلك وخرج وكان أمر الله أنه تحرك عليه مرض عظيم من الماء البارد فكنث أياما قاتلا ومات وأما لافون فكان سائرا ليلقي الملك فلما جرى هذا التجري هرب الرسل من العسكر وتقدموا إليه وأخبروه بالحال فدخل في بعض حصونه وأحتمى هناك ولما ان الملك فكان أبوه منذ توجهه لقصده هذه الديار نصب لده الذي معه عورته وتأكدت قواعده وبلغه هرب رسل لافون فأنفذ واستعطفهم وأحضرهم وقال ان ابني كان شخصا كبيرا وانما قصد هذه الديار لاجل حج بيت المقدس وأنا الذي دبرت الملك وعانيت الشاق في هذه الطريق مع من أطاعني والآن كنت بدأت بقصد دياره واستعذفت لافون واقتضى الحال الاجتماع به ضرورة وفي الجلة هم في عدد كثير ولقد مرض عسكره فكان في اثنين وأربعين ألفا مجحف وأما الرجال فلا يصحى عدد هم اجناس متفاوتة وخلق غريزة وهم على قصد عظيم وحقق أمرهم وسياسة تامة حتى أن من جنى منهم جناية ليس له جازا لان يذبح مثل الشاة ولقد فلان بعض أكابرهم أنه جنى على غلامه ولبسوا الدف في ضربه فاجتمعت القسوس للمسك عليه فاقضى الحال والحكم العام ذبحه وشفع إلى الملك منهم خلق عظيم فلما بلغت إلى ذلك وذبجه وقد حزموا الملاذ على أنفسهم حتى أن من يلثمهم عنه يبلوغ لثة خمره وعزروه وكل ذلك كان حزنا على بيت المقدس ولقد مدح من جمع منهم لثيم هجر والاثياب مدهطولة وحزموها على أنفسهم ولم يلبسوا الا الحديد حتى أنكروا عليهم

الأكابر ذلك وهم من الصبر على الذل والشقاء والتمس على حال عظيم) وقال العماد القار وبالدهر الدين طبع أرسلان نهض اليهم ابنة قطب الدين ملك شاه فوقع بينهم الحرب ثم اندفع عنهم إلى مدينة فوننة فساقوا زواردهم ودخلوا هوسوقا أسواقها وتزلفوا فغذوا والى السلطان فطبع أرسلان أن لم ينزل لأخذ بلادك وإنما نزلنا بيت المقدس ونقدوا إليه هدايا وطلوبوا الهدنة فهداهم فقدمهم فقتلوا من تلك البلاد بما أرادوا من الجدد والازداد وانفذ قطب أرسلان وابنه يعقوبان إلى السلطان من تحريكهم من العبور وانهم غلبوا على ذلك ثم إن الألمانية طليبا من فطبع أرسلان انفضا جماعة من الامراء معهم بمنعوتهم من لصوص التركان حتى يصلوا إلى بلاد الارمن فغذتهم ثمانية وعشرين ووافق ذلك غرض قطب الدين فانه كان كارها لجماعة من المتقدمين فقدم اليهم بأن يكونوا في حجة ملك الالمان فحملهم على الخطر وأوقعهم في العرر ووزطهم في الضرر فانهم ما قدروا في الطريق على دفع كل سارق وقد تبعتهم اللصوص حتى وصلوا إلى بلاد الارمن ومقدمهم لافون بن اصطفان بن لاون فأخذوا أن تلك الزاهاز وقيدوهم وجعلوهم في الاسر وجردوهم ففهم من خلص بعد حين بمال خزيل ومنهم مرقى مأسورا حتى أماءه القين ووصل مقدم الارمن إلى خدمته ودخل في طاعته وهداهم بقصدته وقام لهم بالضيافات والعطافات وذلك في طرسوس فثكروا به اليهم النفوس فعس الملك الالمان ان يسبح في النهر لا ماطة مابه من الوضر فعرض له مرض سلب في سقر وقبل لما عبرت جموعه النهر ازدحما والظلم الموج بهم واقصمرا وطلب هو موضع يعبر فيه وحده ويتبعه من بعده قتل على مخاضات مخافة لا يخلص جميعه ما من آفة جفري اليها واجترأ عليها فجدت مسورة الماء إلى شجرة شجعت رأسه ومجت أنفاسه وأخرجوه ونفسه على المروج وعرد على الدروج فسلم ملك الالمان باله واجماله إلى الجنم وجلس ابنة مكانه واتبع شانه واستتبع رجاله وفرسانه وقيل عرض عسكره في نيف وأربعين ألف كى وانقطع عندها لاون واختلف عليه أصحاب آيه ميلادهم إلى أخيه وساروا على سمت انطاكية في فرق ثلاث كانهم من المرض قد نبشوا من اجداث وأكثروهم حلة عصى وركاب حبر وكل بالارض التي يسلكها غير خبير فقتلهم بهم صاحب انطاكية ونقلت عليه وطأتهم الفاجية وحسن لهم طريق بلاد حلب فلهروا إلىهم في ذلك الصوب من ارب وطلب منه الملك قلعة انطاكية لينقل اليها ماله وخزائنه وانقاله واخلاها له وولمها اليه ما طعم في ماله وأموال رجاله وكان على ما حدسه فانه لم يعد اليها واستولى الارمنس بانطاكية عليها وجاءت فرقة منهم ليلالي حصن بغراس وظنوا انه في أيدي أجناسهم الانجاس ففتحوا إلى القلعة الباب وأخرج الانجاس وتسلم تلك الاموال باجملها والصناديق باقلاها وأسروهم قتل كثير وخرج بعد ذلك أهل حلب وجند إلى طرقتهم وفرقوا بين فرقهم والنقطوهم من الخرو والقباض وكان الواحد يستأسر منهم ثلاثة ولا يرى من رفقاتهم انما هي فهائت الألمانية بعد تلك المهابة في الانقراض وابعوهم في الاسواق بالحق الانجاس ولما تكامل وصول السالين إلى انطاكية سادوا إلى طريق طرابلس جبلة والادقية فخرج عليهم رجالها فقتلوا منهم وأسروا فها وصلوا إلى طرابلس الا في خوف ولم يصف من جاء مع الملك غير ألف وجاءوا إلى التالزين على عكا فغزوا في بلجهم وخدوا في وهمهم ثم هلكوا على عكا بعد انقضائه واقضاء شدة بتاريخ ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان مائة وقال في الفتح وحين الملك عن السير على الطريق لمالقة جموعه في طرفاتهم من التهرب في فرك البحر في عديد سير الا يزيد على الآف برعب قلب وقصور وورغم ألف واختلط مع الفريخ على عكا فسط اسمهم وسخط حكمه وهلك بعد قليل ولم يحظ بقوم غليل وقال القاضي ابن شداد من ولد ملك الالمان الذي فام مقامه مرضا عظيما وأقام موضع يسمى التذات من بلاد لافون وأقام معه ثمانية وعشرون فارسا وأربعين دلويا وجهز عسكره فموا انطاكية حتى يقطعوا الطريق ورتبهم ثلاث فرق لكثرتهم ثم ان الفرقة الاولى اجتزت تحت نالعة بغراس ومقدمها كند عظيم عندهم وان عسكر بغراس مع انه أخذ منهم مائتي رجل تهاوهم واكتبوا يخبرون عنهم بالضعف العظيم والمرض الشديد وفلة الخيل والظهور والعدد والالاث ولما اتصل هذا الخبر بالتواب في البلاد الاسلامية انفضوا اليهم عسكرا بكشفون أخبارهم فوقع العسكر على جمع عظيم قد خرجوا لطلب العكا فغاروا عليهم وقتلوا أسرا وزهاء جميعا ثم نفس ولقد حضرت من يخبر السلطان عنهم يقول هم عدد كثير لكنهم ضعفاء قليلو الخيل والعدد قوا كثير

نقلهم على جبر و خيل مضيقه قال ولقد وقفت على جسر يعبرون عليه لا يعتبرهم فغيرهم جمع عظيم ما وجدت
مع واحد منهم طارقة ولا رجا الا ان ادرسا ائمتهم عن ذلك فقالوا اقتناجهم وخم يا ما وقلت ازوادنا واحاطا بنا فاودنا
معظم عددنا ومات منا خلق عظيم واحبنا الى الخيل فذبحناها واكلناها ومات الكند الذي وصل الى انطاكية
وطمع الافون فيهم حتى عزم على اخذ شمال الملك لرضه وضعفه وقلة جمعه الذي تأخر معه ولم تزل اخبارهم تتوارر
بالضعف والمرض قال ولما تحقق السلطان وصول ملك الامان الى بلاد الافون وقر به من البلاد الاسلامية جمع
أمر اموالته وأرأب الاراء وشاورهم فيما يصنع فاتفق الرأي على ان العسكر يسر بعضه الى البلاد المتاخمة لطرقي
عسكر العدو والاصل وان يقيم هورجه الله على منازلة العدو المقابل يباقي العسكر المنصور فكان أول من سار صاحب
منج ناصر الدين بن تقي الدين ثم عز الدين ابن المقدم صاحب كفرطاب وبارزين وغيرها ثم مجد الدين صاحب شيراز
الباروقية من جملة عسكر حلب وسار الى دمشق ولما لا فضل لمرض عرض له وكذا بد الدين شهنة دمشق ثم سار الملك
الظاهر الى حلب لانه الطريق وكشف الاخبار وحفظ ما يليه من البلاد وسار بعده الملك المظفر لحفظ ما يليه من
البلاد وتدير أمر العدو والجمناز ولما سارت هذه العساكر خفت الخيفة فان معظم من سار منها فامر رجة الله عليه
الملك العادل فانتقل الى منزلة تقي الدين في طرف الميمنة وكان عايد الدين زكي في طرف اليسرى وتوقع في العسكر
مرض عظيم فمرض مظفر الدين بن زين الدين صاحب حران وشفي ومرض بعده الملك الظافر ولما سار السلطان وشفي
ومرض خلق كثير من الاكاره وغيرهم الا ان المرض كان سلبا بمجده الله تعالى وكان المرض عند العدو أكثر
وأعظم وكان مقتربا بانهم عظيم وأقام السلطان مصابرا على ذلك ثم ابطل العدو قال العادل وقد تقدم السلطان
بهدم سور طبرية وهدم يافا وارسوف وقيساريه وهدم سور صيدا وجبل وقيل أهلها الى بيروت وفي بعض
الكتب السلطانية (قد عرفنا خبر العدو المشؤم الواصل من جانب الروم وهذا وان غرر كذوى الحية ونهوض أهل
الهمم الالية العلية وانهم في كرم مستدون في طريق العثرة والسيل اذا وصل الى الجبل الرامى وقف والليل اذا بلغ
الى الصبح المسفر انكشف فأين المؤذون فرض الجهاد المتعين وأين المهتدون في نهج الرشاد المتبين وأين المسلمون
ومضى ان يهكرونا الاسلام مسلمين وأين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان لا يكونوا في نصرته على الموت مقدمين
ولولا التقيد بهذا العدو لارضى لا طلقت أعنة النهضة الى العدو لناهض ولا بد من لقائه قبل تلقى الجمعين وباراة
الملاعين وجوه حشفتهم مل العين ومن كتاب فاضلى الى بغداد (ومن خبر انهم الان على عكا يهزم البحر
بمراكب أكثر عذبة من أمواجه ويخرج منه للمسلمين ما هو أمر من أجابه وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان ينقضوا
اليهم من كل فرقة طائفة ويرسلوا اليهم من كل سلاح شوكة فاذا قتل المسلمون واحدا في البر يبعثوا ألفا عوضه في البحر
فالزبرع أكثر من الحصاد والثرى ثمن الجذاذ وهذا العدو والمقابل فانه الله قد زرع عليه من الخنادق دروعا متينة
وأستجن من الجنات بمحصول حصينه فصار محصورا ومجتمع حاسرا ومتدعرا مواصلا ومقطعا وعددهم الجرم قد
كان اكثر القتل وراقهم التلب قد قطعت النصل لشدة ما قطعها النصل وأصحابنا قد أثرت فيهم المدة الطويلة والكلف
الثقيلة في استطاعتهم لافى طاعتهم وفي أحوالهم لافى شعاعهم وكل من يعرفهم يشاهد الله فيهم المناخلة النبوية
في الصعبة البديرة اللهم ان تهلك هذه العصابة ويخلص الدعاة ويرجعوا على يسديسنا أمير المؤمنين الاجابه وقد حرم
باباهم لعنة الله عليه وعليهم كل مباح واستخرج منهم كل مذخور وأغلق دوزهم الكائن ولبس والبهم الحداد وحكم
عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة فإعصية محمد عليه السلام أخلف في أمته باطنه فيه مضاجعه ووفه
الحق فينا فانا والمسلمون عندك ودائمه ومامثل الحاد من نفسه في هذا القول الامالة عبد لو أمكنه لو وقف بالعبات
ضارعا وقيل زبنا خاشعا ونجاها بالقول ملدعا ولورفعت عنه العوائق لما ج وشافه طبيب الاسلام بل مسيحه
بالداء الذي خامر ولوامن عدوا الاسلام أن يقول قولا آخر لاسفر ولولا ان في التصريح ما يعود على العدالة بالتجريح
لقال ما يكي العميون وينكي القلوب ولكنه صابر محتسب منتظر لنصر الله من عقب قائم من نفسه بما يجب رب
انى لا أمالك الاضفى وهما في سبيك مبسولة واخبر وقد هاجر اليك بحسرة في جوهها مقبولة وولدى وقد بذلت

لعدو مصحات وجوههم وهان على محبوبك بمكرهى قيمهم ومكرهم وتقف عند هذا الحد ولله الامر من قبل

ومن بعد

(فصل) في الوتة العادلية على عكاظهر يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة قال القاضي ابن شداد علم عدو الله ان العساكر قد تفرقت في اطراف البلاد وان المجنة قد خفت لان معظم من سار كان منها بكم قرب بلادهم من طريق العدو وجعلوا لهم واقفت كلهم على انهم يخرجون بغته ويجمعون على مارق المجنة فجاءوا واخذوا من طرف اليمين وفيها تخيم العادل فلما بصر الناس بهم صاح صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من اجامها وركب السلطان ونادى عن يديه بالاسلام وكان رحمه الله اول راكب ولقد رآته وقد ترك من خيمته وحوله نفر يسير من خواصه والناس لم يستم تركوبهم وهو كالفائدة لولدها الناكلة لو احدها ثم ضرب الكؤوس فاجابته كاسات الاسراء من اما كلها وركب الناس وسارع الفرح في قصد المجنة حتى وصلوا الى الخيم العادلي قبل استقام ركوب العساكر ودخلوا في وجافة وابتدت ايدى بهم في السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وقبل وصولوا الى خيمة الخصاص واخذوا من شرايعها ناسيا وركب العادل واستركب من يليه من المجنة كالطوائف فاباها النجوى وعز الدين جرديل النورى ومن يجرى بجراه وقد وقوف مخادع حتى يوغل بهم طمعهم في الخيم ويشغلوا بالنهب وكان كائن فانه عانت ايدى بهم في الخيام والاخته والفواكه والطعام فلما علم اشتغالهم بذلك صاح الناس وحل بنفسه بقدمه ولده الكبير شمس الدين ودود وحل بجملته من كان يليه من المجنة واتصل الامر بجميع المجنة حتى وصل الصالح الى عسكر الموصول وهجموا على العدو هجمة الاسود على فرائسها واكلتهم الله منهم ووقعت الكسرة فعدوا وايشندون نحو خيامهم هاربين وعلى اعقابهم ناكسين وسيف الله يقتل فيهم وصاح صائح السلطان في الناس يا ابطال الموحدين هذا عدو الله قد امكن الله منه وقد اكله الاعم حتى غشى خيامكم نفسه فبادر الى اجابته عونه اهل خلقته وخاصته ثم عسكر الموصول يقدمهم علام الدين ولده عز الدين ثم عسكر مصر يقدمهم سنقر الحلبي وتبايعت للعساكر وتجاوبت الابطال وقامت سوق الحرب فلما كان الاساعفة حتى رأينا القوم مصرى كانوا انجأ نخل خاويه وامتدوا مطروحين من خيام العادل الى خيامهم اولهم في الخيم الاسلامية وآخرهم في خيم العدو مصرى على التلول والوهاد وكان مقدارا ما متدفيه القتلى بين الخمين فرسخا وما زاد على ذلك ولم ينج من القوم الا النادر قال ولقد خضت في ذلك الدماء دبابتي واجتهدت ان اعددهم فاقدرت على ذلك لكثيرتهم وتفرقهم وشاهدت منهم امر اثنين مقتولين وحكى لي من شاهد منهم اربع نسوة يقالن واسر منهن اثنتان واسر من الرجال في ذلك اليوم نفر يسير فان السلطان كان قد امر الناس ان لا يستبقوا أحدا هذا اكله في المجنة وبعض القلب ولما الميسر فانا نعمل الصالح بهم الا وقد تجز الامر وقضى القضاء على العدو لبعده المساقين وكانت هذه الوتة فيما بين الفهر والمصر فان العدو ظهر في قائم الظهرة وانفصلت الحرب بعد العصر وانكسر القوم حتى دخلت طائفة من المسلمين رؤاهم الى مخيمهم على ما قبل ثم ان السلطان امر الناس بالترجع ولم يقدم من المسلمين أحد في ذلك اليوم سوى عشرة أنفس غير معروفين ولما احس جند الله بعكا بما جرى بين المسلمين وبين العدو من الوتة فانهم كانوا اياها دون الوقعات من أعالي السور خرجوا الى مخيم العدو من البلد وجرى بينهم مقتلة عظيمة وكانت النصر قوا المصلحة للمسلمين بحيث هجموا خيام العدو ونهبوا منها جعانا النساء والاخته حتى القدور فيها الطعام ووصل كتاب من عكا يخبر بذلك واختلف الناس في عدد القتلى منهم فذكر قوم انهم ثمانية آلاف وقال آخرون سبعة آلاف ولم يقصم حازر عن خمسة آلاف ولقد شاهدت منهم خمسة صفوف أولها في خيم العادل وآخرها في خيم العدو ولقد قبضت انسانا عاقلا جندا يابسى بين صفوف القتلى وبعدهم قتلته لم تعددت فقال الى هاهنا أربعة آلاف ونيفا وستين قتيلا وكان قد هتفتين وهو في الصف الثالث لكن ما معنى من الصفوف أكره دما من الباقى قال وجاء من القديس اب له عن حلب خمسة أيام بكتاب يتعنه ان جماعة عظيمة من العدو التما في خروجه والنهب باطراف البلاد الاسلامية ونهب العسكر الحلبي اليهم واخذ عليهم الطرق فلم ينج منهم أحد الا من شاء الله قال وجاء في ليلة ذلك اليوم من البرزك من ذكر ان العدو قد سأل من جانب السلطان من يعمل اليهم ليعم منهم حديثا في سؤال الصلح لضعف حل بهم ولم يرل العدو من حيث لم يمسور

الجناب مناض الجناح حتى وصلهم كنديقال له كندهرى وسياى ذكره وقال الامام اشاع عند الفرج خبر وصول
الامانة قالوا اذا وصل ملكهم ونكى في الملبس اكرمنا موسنا وتطاطأت عندهم رؤسا فذكر الواقعة بمعنى ما تقدم
الى أن قال ووصل السلطان وشاهل من مساة الفرج ماسره وعرف لطفاته وبره ونصره وعان هناك مصارع
الاعداء ومشاع البلاء وكانوا مرسوشين في مدى فرسخ على الارض وهم في تسعة صفوف من تلألؤ الرمل الى البحر
بالعرض وكل صف يزيد على ألف قتيل وشاع القتل في الفرج في كل قبيل وكانت هذه النوبة بلائها وبذلك الفزوة
بلائها وبقتل منهم هاه عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة مقرر واعتهم تجاروا بجمه وغنية
ميسره قال ولما عرفت بالواقعة والنصرة الجامعة صدرت ثلاثين اواربعين كتابا بالبيارات بالبلغ المعلى واربع
البيارات وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتيب حاضره ورأى الدشارة شائره وركبت انا والقاضي بهاء الدين
ابن شداد لمشاهدة ما هناك من اخلاء مصرى واجساد فما اعمل ما سلبوا وعزوا وفروا وفروا وقد بقرت بطونهم
وقشت عيونهم ورأينا امرأة مقولة لكونها مقاتلة وسماها وهي خادمة بالعبودية قاله ومازلنا نطوق عليهم
نصير ونفكر فيهم ونعتبر حتى اردى العشاء بالظلام فعدينا الى الحيام واطلنا الوقوف على تلك الطول الدارسة
واستدشرت الوجوه تلك الالوجه العائيه وخزناهم بعشرة آلاف قتيل لاجز تكبير بل خزر تقليل وكان الذين حلوا
ودزموا وقتلوا اقل من ألف قتلوا اضعا فاه ضاعفه وعدوا من وراءهم مساعدة ومساعدة وحكى من نوادر هذه
الواقعة ان فرنجيا عاقربنا الصرعة فقتلته را كبر رذون فقر قرب الفرجى فرسه سيف فيده قتل بعدة مستنقى
جده وقتل ذلك الفرجى وروى من دمه الهندى وحل من وسطه ثمانين ديناراً فانقلب ربحا ما عده خسارا
وامتلات الايدي بالالاب والاكساب وحصل من المدم ما لم يكن في الحساب وبيعت الزرديات ذات الاثمان
بالرخص قال وشرع الفرجى في الخداع والمراسلة وسألوا في الصلح واذن لهم السلطان في الخروج للتظاير الى اولئك
الصرى بذلك المروج وهي قد تورمت وانتفت وجافت وجبت الشمس على جفها ما حافت وضافتها القشاهم
والخواص وعليها طافت فباهم ما سارنا ونفرهما انزنا

(فصل) قال الامام وكان رأى بعد هذه النصر ان نرد عليهم الكره مرة بعد مرة الى ان هلكوا وحسره
ويبدو افلا يلقى لهم جرحه فاشتغل السلطان بمجاهدة من المكاتب بنظر التركمان وغيرهم بعسكر الالمان فقامت
للفرجى بحمد من البحر ومدد اضعا فمات من القعد والعدد فاضخوا كان لم ينجوا وشبوا ما كانهم ولم يبقوا
ووصل اليهم المعروف بالكندهرى فقرق الاموال واستخدم الرجال وانفق في عشرة آلاف راجل واطهراته
يخرج الى لقاء عسكر الاسلام فتحوّل السلطان الى منزلة الخروبه ليوسع عليهم الدائرة ونصب الكندى على عكا
مخيمقات كثيرة فاحرقها المسلمون وقتل منهم من الفوارس سبعين وأسر عذبة معروفة ثم نصب مخيمتين
فاحرقا اول شعبان وكان الكندى قد اتقى على أحدها ألفا وخمسة مائة دينار ومن جملة من وقع في الاسر فارس كبير
فأأهله حين أخذه حتى قتلوه وذكوه فطلبه منهم الفرجى بالاموال ولم يفرغوا بالخال فاحرقوه اليهم قتيلا فأكثر
الفرنجى عليه بعد العويل عويلا وباقوا يذبحونه فوحا ويذبحون سرقة منهم فبهم لوحا وحين وقعت أعينهم عليه قتيلا
ضربوا بغيرهم الارض وحوا على رؤوسهم التراب ووقعت عليهم بسبب ذلك خدة عظيمة وكتموا أمره ولم يظهر
احدا على سره واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم وجمع عليهم العرب من كل جانب يسرقون وينهبون وقتلون
ويأسرون هذا والكتب مواصلته من عكا البنا ومنا إليها على أجنحة الطيور وأبى السباح والمراسك
الطاف فخرج ليلادته دخل سارقت من العدو قال الامام ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا
واستعافا ويذكر بمخيمته من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة فيه وانه مستمر على المودة راقب
في المحبة ويعتذر عن عبور الملك الالمانى ولنه قد جلع في طريقه بالامانى ونال من الشدة وتقص العدة ما أضغفه
وأواه والله يصل الى بلادكم فينتقم نفسه أويغفر ويكون مصرعه هناك ولا يرجع ويموت بجاه كاده وانه قد
بلغ في اذاه اجتهدا ويطلب رسولا يذكرك به من السلطان سولا فاجيب في ذلك الى امراده ووقع الاعتراد بما
ذكره من اعتناده وقال القاضي ابن شذاذ كان بين السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة وكان

وصل منه رسول الى الباب الكرم السلطاني بمرج عيون سنة خمس وثلاثين في رجب في جواب رسول كان أنفذه السلطان بعد تقرير القواعد وأقامة قانون الخطبة في جامع قسطنطينية قضى الرسول وأقام الخطبة ولقي باحترام عظيم وأكرام زائد وكان قد أنفذ معه في المركب الخطيب والديبر وجعا من المؤذنين والقراء وكان يوم دخوله الى قسطنطينية يوما عظيما من أيام الاسلام شاهده جمع كبير من التجار ورقي الخطيب المنبر واجتمع اليه المسلمون المقيمون بها والتجار وأقام الدعوة الاسلامية العباسية ثم عاد فقام معه هذا الرسول بمنزلة النظام الحال في ذلك فاقام مدة وقد شاهده ن يبلغ الرسالة معه ثم جان يترجم عنه وهو شيخ من أحسن ما يقرض ان يكون من صور المشايخ وعليه زعمهم الذي يختص بهم ومعه كتاب يوثق كرامة الكتاب محتموم يذهب ولما مات وصل خبر وفاته الى ملك قسطنطينية فأنفذ هذا الرسول في تفتك ذلك ثم وصف القاضي الكتاب وعبر عنه بالفائز وقد عاب العباد عن معانيه فاغنى عن ذلك ثم قال وكان من حديث ملك الالمان انه بعد ان استقرت قدمه في انطاكية أخذها من صاحبها وتحكم فيه وكان بين يديه فيها ينفذ وأمره وكان له اموال برقته فاخذها منه غيلة وخديعة وأودعها في خزائنه وسارعها خامس عشر رجب نحو عكا في جيوشه وجوعه على طريق اللاذقية حتى أتى طرابلس وكان قد سار اليه من معسكر الفرج ببلقبة الرئيس صاحب صور وكان من أعظمهم حيلة وأشدهم بأسا وهو الاصل في تجميع الجميع وذلك انه صور القدس في ورقة عظيمة وصور فيه صورة القمامة التي يحجون اليها ويعظمون شأنها وفيها قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه بزعمهم وذلك القبر هو أصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول النور عليهم في كل سنة في عيد من أعيادهم فنصروا القبر وصور عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب وقود طي قبر المسيح وقبال الفرس على القبر وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الاسواق والجامع والقصور يجولونها ورؤسهم مكتشفة وعليهم المسوح ويناديون بالويل والثبور ولصور على قلوبهم فانها أصل دينهم فهاج بذلك ثلاثين لاصحى عددهم الا الله تعالى وكان من جلته ملك الالمان وجنوده فلقبهم الرئيس لكونه أملا في استدعائهم الى هذه الواقعة فلما اتصل به قوى قلبه وبصره بالطرق وسلك به الساحل خوفا من انه اذا أتى على بلاد حلب وجماعة ازله المسلمون من كل جانب أوعم ذلك لم يسأوا من شن الفارات عليهم واختاف جزر الناس لهم ولقد وقتت على بعض كتب الخبرين بالحرب فذكر زيارتهم دورا لهم بحجة الاف بعد ان كانوا قد خرجوا على ما ذكر بماتى ألف فأنظر الى صنيع الله مع أعدائه ولما ساروا من اللاذقية يريدون جبله وجدوا في أعقابهم ثيفاوستين فرسا قد عطبت واتبع لجماعا ولم يبق فيها الا القمامة من شدة الجوع وضعف الحيل ولم يزلوا سائرين وأبدى المسلمين تغلفهم من حولهم نبالا وأسرا وقتلوا حتى أوطأ طرابلس فاقام بها حتى استجمع عسكره وأرسل الى التارزين على عكا يخبرهم بقدومه فوجوه من ذلك لان الرئيس صاحب مشورته وكان الملك جفري وهو ملك الساحل بالمعسكر هو الذي يرجع اليه في الامور فطمأنه مع قدوم الملك الالمانى لا يبيت له حكم وفي آخر شعبان نزل الملك الالمانى في المراكب وهو عسكره فماتت عليهم ريح اهلكتهم منهم ثلاثة مراكب وسار الباقون الى صور ثم وصل الى عكا في شهر ربه في سادس رمضان وكان لقدمه وقع عظيم عندهم ووصل خبر وصولهم الى طرابلس نامن شعبان والسلطان نائب الجاش راسخ القدم لا يرعزعه ذلك عن حراسة عكا والحماية لها ومراصدة العسكر التنازل بها وشن الفارات والمجموع عليهم في كل وقت مقوضا أمره الى الله تعالى معتمدا عليه من بسط الوجه لقضاء حاجات الناس مواصلا بغيره من نغذ اليه من الفقراء والفقهاء والمشايع والادباء ولقد كنت اذا بلغني هذا الخبر تأرت حتى اذا دخلت عليه أجد عنده من قوة النفس وشدة البأس ما يشرح صدرى واثقين معنصر الاسلام وأهله

(فصل) في اندخال البطس الى عكا قال ابن شداد كان رحمه الله قد اعتبى روت بطسة وعمرها وأودعها أربع مائة غرارة من القمح ووضع فيها من البجين والبصل والقنم وغير ذلك من المير فوكان الفارس قد أداروا مراكبهم حول عكا حراسة لها عن ان يدخلها مراكب المسلمين وكان قد اشتدت حاجة من فيها الى الطعام والميرة فركب في بطسة يبروت جماعة من المسلمين وتزوا بزي الفرج حتى حلقوا لهاهم ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد وعقلوا الله لبسان وجاؤا فاصدى البلد من البعد حتى خالطوا مراكب العدو وخرجوا اليهم

واعتبر منوه في المراتف والشاوي وقالوا لهم نرا كما صدين البلد واعتقدوا انهم منهم فقالوا اولم تكونوا اخذتم
البلد فقالوا لم نأخذ البلد بعد فقالوا نحن نرد القلع الى العسكر ووراءنا بطسة اخرى في هوانها فانذروهم حتى
لا يدخلوا البلد وكان وراءهم بطسة فرجية قد اتفقت معهم في الخبر فاصدين العسكر فظفر واقرأوها قصدوها
ليشندوها فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقامت لها الرجح حتى دخلت مينا البلد وملت والله الحمد
وكان فرجا عظيما فان الحاجة كانت قد أخذت من أهل البلد وكان ذلك في العشر الاواخر من رجب قال
وفي العشر الاوسط من شعبان كتب بهاء الدين قراقوش وهو والي البلد المتقدم على الاسطول وهو الحاجب لؤلؤ
بذكر ان السلطان انه لم يبق بالبلد مديرة الا قد ركن في البلد الى ليلة النصف من شعبان لا غير فاسر هيا يوسف
في نفسه ولم يبد لها خاص ولا عام خشية الشيوع والبلوغ الى العدو فتضعف به قلوب المسلمين وكان قد كتب الى
مصر يخبره ثلاث بطس مشحونة بالاقوات والادام والمبروج مع ما يحتاج اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك
طول الشتاء فان لغت البطس الثلاث من الديار المصرية ولججت في البحر توشى النوبة بهال الرجح التي تجلها الى عكا
فطابت لهم الرجح حتى صاروا ووصلوا الى عكا ليلة النصف من شعبان وقد فبت الارزاد ولم يبق عندهما يطعمون
الناس في ذلك اليوم وخرج عليهم اسطول العدو مقاتلها والعساكر الاسلامية تشاهدك من الساحل والناس
في تهليل وتكبير وقد كشف المسلمون رؤسهم يتهلون الى الله تعالى في القضاء بسلامتها الى البلد والسلطان هلى
الساحل كالوادى الشكى يشاهد القتال ويدعو الى ربه نصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه غيره وفي قلبه ما
قلبه والله يشبه ولم يزل القتال يعمل حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها وار رجح تشد والاصوات قد ارتفعت
من الطاقسين والدعا عجزت عن الجبح حتى وصلوا بحمد الله سالمين الى مينا البلد وتلقاهم أهل عكا على الامطار عن
جذبوا متاروا عاقبها كانت ليلة طيال وكان دخولها في وقت العصر رابع عشر شعبان وقال العماد كان السلطان
قد أمر نواب الاسكندرية بنجهم بطس كانوا معهم ها من كل مبرو غلة وتسيرها الى عكا فاطبات هن المقات
وأضر المقيمين بالبلد داعوا لاقوات فافكر فيما يتجمل به القرض فكتب الى متولى بيروت عز الدين سامة فجوز
بطسة كبيرة ملاها ميرة وغلة كثيرة وأركبها جماعة على رى الفرنج محسوى اللهى محسوى الحلى وأحسبهم صلبانا
وخيل بهم هبانا وكانت هذه البطسة من الفرنج مأخوذة وهى ساحل بيروت منبوذة فامر السلطان بترميمها
وتجهيزها فخلت بالشعور والهدوم وأرجمائة غرارة غلة واحمال من النشاب والنفط ورتب فيها رجال مسلمون
ونصارى من أهل بيروت وارادوا ان تشته بطس العدو في البحر فشدوا زانير واحدة بحبو اخنازر وساروا بها
في البحر بمراكب الفرنج مختلفين والى محاذتهم وبمحاذيتهم منبسطين ولما حاذوا بها عكاصتوا بها انجوها والرجح
تسوقها والفرنج من مراكبها تقول ما هذه طريقها وهى كالسهم انما قد سدت دفتوقها فدخلت الكثر واجترأ
البلد بها نصف شهر وظهرت رابع عشر شعبان من نبح البحر ثلاث مراكب كأنها ثلاث هواضب فجاءت بجأة
اهلامها كالاعلام طائرة كالسهم ولم يتألم بمراكب العدو ففرقتها وقربت من سفينة فقرقتها وعبرت وعين الكفر
عبرى وامتلأ الثغرى ما أترى

(فصل) قال العماد ووصل ملك الالماني ورام ان يظهر رعيته وقها ويدي به نقفا قد بوا في ارجل كركل
البا وخيل انهم الصلوا هادوا الى قروموا من تل العياضه وعليمخيم البركيه والنوبة فيها الملقاة المنصورة
الناصرية والعصبة الموصلة فثارت اليهم ودارت عليهم وركب السلطان وتقدم الى تل كيسان ولم يزل الحرب
الى ان جن الظلام وكف الكفر وسلم الاسلام وكانت الدائرة على الكفرة قال القاضي وقتل منهم ورجح خلق
عظيم والسيف يعمل في بقيتهم وهم هاربون حتى وصل الخضم غروب الشمس من ذلك اليوم وهو لا يتقدم لامة
نفسه من شدة خوفاه وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اثنان ورجح جماعة كثيرة ومن كتاب الى بغداد (قنبلي)
الاسلام منهم يقوم قد استطابوا الموت واستجابوا الصوت وفارقوا المحبوبين الاوطان والاطوار وهجروا
المالوفين الاهل والديار وركبوا الحج وهجروا الحج كل ذلك طاعة لقيسهم وامثال الامير كيمهم وغيره
لتهبدهم وجبة اعتقدتهم وتهاكاه على مقببتهم وقتر على قمامتهم لا يظلمون مع شدة الاملاق والا ولا

يعدون مع كثرة المشاق ملالا بل يساقطون على نيران النابي تأسف الفرائش ويتقصون الردى متدعين الصبر
 متشبثي الجاش حتى خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسرن الى الشام في البحر والبر معجيزات وكانت منهن
 ملكة استبعت حشمة مقاتل فارس وراجل وراعي ونايل والتزمت بمؤتمهم فصدف مر كها بقرب
 الاستكدرية فاختفت برجلها وأراح الله من شر احتفالها ومن ملكة وصلت مع ملك الامان وذوات المقائع
 من الفرج مقعلت مقاربات يحملن الى الطعان الطوارق والقنطاريات وقد وجد في الوقعات التي جرت عدة
 منهن بين القتلى وما عرف حتى سلبن وان البابا الذي رومية قدسوم عليهم مطاعهم ومشاربهم وقال من لا ترجحه
 الى القدس مستخلصا فهو عندى محرم لا منسك له ولا مطع فلاجل هذا ابتاعون على الورود وبتهل الكون على
 يومهم الموعود وقال لهم في واصل في الربيع جامع على الاستنفار شمل الجميع واذا نهض هذا الملعون فلا يقعد
 عنه أحد ويصل مع اباه وولده كل من يقول ان لله أهلا وولده فهذا شرع هؤلاء وتعصبهم في صلاتهم وبلجاتهم
 في غوايتهم بخلاف أهل الاسلام فانهم يتضرعون ولا يصبرون بل يتظلمون ولا يجتمعون ويتسلون ولا يرجعون
 واغايهيون يذل نفسه واذا حضر واحضر وايقول غير متفق ايعلم ان الاسلام من عند الله منصور وان الكفر
 باراد الله محسور ومحدود قال القاضي ولما عرف ملك الامان ما جرى على أمهائه من البرك الذي هو شرذمة
 من السكر رأى ان يرجع الى قتال البلديش نخل بجهتيه فالتقى من الآلان النجيه والصنايع القرية
 ما هال التناظر اليه وخيف على البلد منه فجاأ حدته آله عظيمة تسمى دبابة يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم
 طيبة بصفة أفع الحديد ولها من قوتها على تحرك بها من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها السور ولها رأس عظيم
 برقية شديدة من حديد وهي تسمى كبشاً ينطح بها السور بشدة عظيمة لانه يجرحها خلق عظيم فتهدم شراك
 نطقها وآله أخرى وهي قبر فيعرجال تمجيد ذلك الان رأسها محدد على مثال الاسكة التي يجرث بها رأس الكباش
 مدور هذا يهدم ثقله وتلك تهدم بجدها وتقلها وهي تسمى سفودا ومن السائر والسلام الكبار الهائلة وأعدوا
 في البحر بطسة غائبة وصنعوا فيها رجا يخرطوم اذا أرادوا قلبه على السور اقلب البحر كات ويسير طريقا
 الى المكان الذي يقلب عليه يمشى عليها المقاتلة وعزموا على تفرسه المبرج الذين لبأ أخذوه (قال ونصب
 العدو على البلد مخيفات هائلة حاكمة على السور وتوارت جدرانها حتى أرت فيه اثر اينا وخيف من غائته
 فانسلهم من الجرج العظيم وأرق نصلها حتى غيا كاشعة من النار ثم رمى بالمتخنيق الواحد خلفا
 في مواجتها العدو في اطفاء النار فلم يقدر على ذلك وهبت رح شديدة فاشتعل اشعالا عظيما واتصلت لهبته
 بالآخر فارتقت واشتدت ناراها بحيث لم يقدر احد ان يقرب من مكانها لاحتراق اطفالها وكان يوما عظيما اشتد
 فيه فرح المسلمين وغم الكافرين) قال (ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها يعني نوادر ما جرى في القتال على عكا ان
 عواما مسلحا كان يقال له عيسى كان يدخل البلد الكتب والنفقات على وسطه ليل على غرة من العدو وكان
 يغمس ويخرج من الجانب الآخر من مرأب العدو وكان ذات ليلة شدة على وسطه ثلاثة آياس فيها آلف
 دسار وكتب الى الممسك وعام في البحر غري عليه أمر أهل مكة وابنا خبره عنها وكانت عادته اذا دخل البلد طارط
 عرفنا بوضو له فابط الطائر فاستشره لانه فلما كان بعد أيام سينا الناس على طرف البحر في البلد واذا البحر قد
 قلب اليهم مهاجرين فافاقا فتقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب
 نفقة للمجاهدين فآرى من اذى الامانة في حال حياته وقدر الله له ارامه بعد وفاته الا هذا الرجل وكان خلق في
 العشر الاواخر من رجب ايضا) وقال العماد قديني عيسى ولم يسمع له خبر ولم ينظر له أثر فظننت به الظنون وما
 تغت للظنون وكانت له لاشك عند الله منزله فآرى ان تبقى حاله وهي مجهلة محتملة فوجد في عكا بيتا قد رماه
 البحر الى ساحلها ورأى الله مما عاها للو اذهب حتى اليقين من الظنون بساطلها

(فصل في احوال ما حوصره برج النبان وتعميق الكباش قال القاضي وفي الثاني والعشرين من
 شعبان جهز العدو لعماله بطسامة عدة لحاصرة برج النبان وهو برج في وسط البحر مبني على المضفر على باب
 ميناء عكا فحرس من بلطينا ومشيهم للركب امن من غلبة العدو فاراد العدو ان يلبط في الميناء بحكمه ويمنع من

دخول شيء من البطاس اليه فتنقطع الميرة عن البلد فجمعوا على صواري البطس رجلا وملؤوه حطباً ووقفوا على انهم يسرون البطس فاذا قارب برج الذبان ولاصقته احرقوا البرج الذي على الصاري والصقرو مبرج الذبان ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من القاتلة يأخذوه وجعلوا في البطسة وقوداً كثيراً حتى يلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه وعبروا بطسة ثانية وملؤوها حطباً ووقفوا على انهم يدفعونها الى ان تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهيهم بها فتحرق البطس الاسلامية فويلك ما فيها من المير وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نساب ولا شيء من آلات السلاح حتى اذا حزنوا ما ارادوا احرقه دخلوا تحت القيوفا منوا واحرقوا ما ارادوا احرقوا وقدموا البطسة نحو البرج المذكور وكان طمعهم مشدداً حيث كان الهواء مسعداً لهم فلما احرقوا البطسة التي ارادوا يحرقون بها بطس المسلمين والبرج الذي ارادوا يحرقون به من على البرج فاوتدوا والنار وضربوا فيها النفط فانه كس الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وارادوا اشتعلت البطسة التي كان فيها البرج بالسرها واجتهدوا في الخفايا ما قدروا وهاك من كان بها من القاتلة الا من شاء الله تعالى ثم احرقت البطسة التي كانت معدة لاحراق بطسنا ووثب أصحابنا عليها فاخذوها اليهم وأما البطسة التي فيها القيوفا فانهم اترجعو واخطافوا وهو الجوع واخلفوا واضطربوا اضطراباً عظيماً فاقاقت وهاك جميع من بها لانهم كانوا في قبو لم يستطعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله تعالى واندوا بها ثياب نصرته في الله وقله الحمد وكان يوماً مشهوداً وقال العماد وعندنا عكا في البحر برج يعرف بمرج الذبان وهو في حراسة البنا عظيم الشأن وهو منفرد عن البلد محي بالرجال والعدد وقصد الافرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان بطس كبار جهزوها ومراكب عظام الاكالات ابرزوها ومكرهه ودر بدوره واحذتلك المراكب تركب برج فوق صاريه لابطالها ولطرد ليلياريه وقد حشى حشاه بالنفط والحطب وضيق عظمه بسعة العطب حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته اهدى اليه باقاته ورميت فيه النار فاحترق واحترق من الاخشاب والستار ما به التصق واستولت النار على مواقعها القاتلة فباعدوا عنها ولم يبقروا منها واوقدت بطسة الحطب التي من ورائها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحي عليهم الحديداً فاضطربوا واضطربوا وانقلب بهم الشقينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم فارقوا وفروا ولم يبقروا واحقق برج الذبان فلم يبق عليه من بعده ارباب ولم يبق العُدو في الكيد له ارباب ومن كآب الى سيف الاسلام باليمن (ومن حديث هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه وهو قتل مينا للفرعلى مراكبه وتدفعتها واعليناها وبالعدو والجال قويناه فعدوا الى كبريضة واتخذوا فيها مصقلاً كانه سلم وهو مقدمهم ارباب مقدم وقد جعلوا بحيث اذا قرب الى البرج ركب رأس السلم على شرايفه وصعد الرجال اليه في شجائفه وتعبوا في ذلك اياماً واشبهوه توثيقاً واحكاماً حتى اذا التصق بالبرج الصقت به قوارير النفط وتوالت امطار البلبا من الجروح والخبيثات على اولئك الالهط ثم عمل الفرنج رجا عالى في كبري كبح وحشوه بالحطب وجعلوا على رأس منكره مكاناً يقعد فيه الزرافة وقد موه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه النيران فاهب الله من مهبل لطفه نكباء نكبت النار من البرج المحروس وكبت الفرنج على الوجوه والروس قال القاضي وفي ثالث رمضان زحف العدو على قلبدق خلق لا يحصى فاهلهم أهل البلد حتى تشبث بخاليب اطعمهم فيه وسحبوا لانهم المذكورة حتى قاربوا ان يصقروا بالسور وتحصل منهم في الحندق جماعة عظيمة فاطلقوا عليهم الجروح والمجانيق والسهام والنيران وصاحوا صيحة لجل الواحد فصرخوا الابواب وجعلوا على العدو من كل جانب وكسوههم في الحنادق فصرخوا ووقع السيف ايمن يقي في الحندق منهم ثم هجموا على كبشهم فالتقوا فيه النار والنفط وتكنوا من ربه فحرب القاتلة هتفه فحرق حريقاً شديداً ظهرت له لمبة فصرخوا السهام وارتفعت الاصوات بالكبير والتهليل والشكر وصرت نار الكباش بهوتها الى السفود فاحترق وحلق المسلمون في الكباش الكلايب الحديد المتنوعة في الاسل فصبوا وهو لم يشتمل حتى حصاهو عندهم في البلد وكان من كان ان هاتلة عظمة والقي الماء عليه حتى بر دحديه بعد ايام بلطنا من البلد انه وزين ما كان عليه من الحديد فكان مائة قطار بالشامى والقطار مائة رطل وقد اغتذر رأسه الى السلطان ومثل بين يديه وشاهدته وقلبتة وشكله على مثال السفود الذي يكون بجحر المدار قيل انه ينطبع به بالسور فيهدم ما يلاقه وكان

ذلك من أحسن أيام الاسلام ووقع على العدو خذلان عظيم ورفعه وامامهم من آلتهم وسكنت حركاتهم التي مضيقوا فيها تفقاتهم وقال العماد واستأنف الفريخ عمل دبابته هائله وآلة تقترائل غائله قد ساء شكل عظيم يقال له الكباش وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الطليخين وهذه الدبابه في هيئة الحرس رشت الكبير وقد سقوها مع كبشها بأعناق الحديد ولبسوا رأس الكباش بعد الحديد بالنحاس فزريق لئلا يماسيد ولا العطب على دلائل وما زوها بالكماء والرماة ومحبوها وقرى بها فاجتات صورة مزججة وبلى البلد منها البلاء الألفظ وقال لما في دفعه حاجله ولا مطمع وتصبوا على صوبها بجانيق ورموا بخارقه الثقيله ذلك النيق فابعدت رجالهم من حوالها ثم رموها بهزم الحطب حتى ما بين القرنين وقذفوها بالارقياء يطبقونها بالخل والنحر وقد تمكنت النلرم من اضلاعها ثم خسفها المتجنيق وخرج من بالثغر قطعو رأس الكباش واستقر جولى تحت الرامدس الحديد بالنيش وقد رماهم من الحديد بمائة قطارو علم الفريخ ان اعمالهم حبطت وآمالهم هبطت وكان ذلك في ثالث عشر رمضان وفيه قدم الظاهر صاحب حلب والامجد صاحب بعلبك وسابق الدين عثمان صاحب شيزرو وعز الدين ابن المقدم والامير حسام الدين حسين بن ياروك وجماعة من الأمر اموالخواص والماليك

(فصل) في حوادث آخر متفرقه في هذا السنه قال العماد ووصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب انطاكية اغار على غمره نمر مشره فربب أصحابنا له كينا ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا فقتلوا أكثر رجاله وأفلت وباله في ذواله قال القاضي خرج عليه نواب الملك الظاهر قتل من عسكره خمسة وسبعون نفرا وأسر منهم خلق عظيم واستمعهم بنفسه في موضع يسمى شيع حتى ادفعوا وساروا إلى بلده قال وفي انهاء العشر الاوسط القتل الريح بطسطين فيها رجال وصبيان ونساء ومرة عظيمة وغنم كثيرة فاصدن نحو العدو فقتلها المسلمون وكان العدو قد نزل ناسبر كرس فيه عتقوه رجال الراد الدخول الى البلد فاخذوه فوق الظفر بهاتين البطسطين ما حافلتك وجاراله قال العماد وفي هذا التاريخ القتل الريح الى ساحل زب بطسطين خرجت من عكا بمجاء من الرجال والصبيان والنساء وفيه امرأة محتشمه غنية محترمه فاخذوا وأخلوا وأخذت وجد الفريخ في استنقاذها فاستنقذت قال وفي تاسع عشر الشهر رحلنا الى منزلة تعرف بشفرهم وسببها نكرا الاستأمنون من الفريخ واخبروا عنهم في عزم الخروج الى المرج هاجمين الى النصارى ثم الى الهيجا فاستأشار السلطان أمره فقالوا الصواب ان تقصم لهم عن هذا المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصحبهم في اليوم الآخر ولا يتعذرهم احدا في العساكر فنجيها هناك ورجعنا الى منازل وعذبت المناهل وعادت معالم تلك المجاهل وحللتنا التلال والاكمام وركنا نائلك الاعلام والعلام ونزلنا لغام الشتا متعدين ولا سباب التوقي من الامطار مستعجدين قال ومر من زين الدين صاحب اربل في شهر رمضان وتوفي في الثامن والعشرين منه قال القاضي وكان استأذن في المارواح فلم يؤذن له فاستأذن في الانتقال الى الناصرة فاذن له فاقام بها أياما ثم مرض نضه ثم توفي وعنده أخوه مظفر الدين يشاهده وحزن الناس عليه لمكان شبابه وغرته قال العماد وكان كرميا رحيما جوادا سخيا وبكرنا الى مظفر الدين نغربه في أخيه وظننا به الحزن قلنا نأظفه ونسله فاذا هو في شغل شاغل عن العزاء مهمته بالاحتياط على ما خلفه أخوه وتركمن الاشياء والاشياء وهو جالس في تخيم أخيه المتوفى وقد أشرف على حفظه وادق وقد قبض على جماعة من أمرائه واعتقلهم وجعل عليهم وما أغلظهم منهم صارم الدين بن بلد ايجي متولى خفيين كان ليس منه المكان وكذلك كل حاضره حصن ليحصل له من طاعته امن وخطب في اسباب ولاية اربل واعمالها وان يستقل ببلادها واموالها ورغب في شهر زور واستضافها لاستشارة رجاها منها واستضافتها وانه ينزل على حران والرا هو بسيط والموز ويجعل كل ما في يده من الاعمال في الموفى ويخدم بضمين القديسار يحضرها تقدا ولتزمهم بها على المشاق عقدا فاجيبت رغبته واصبغت طلبته وعقدوا لواءه ونجح رجاءه واراد سرعة الرحيل فاستهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين ليترك في منزله معجده ومحبه الميسامين فوصل يوم الاحد ثالث شوال واصيف اليما استعبد من مظفر الدين من الاعمال وكعب منشور اربل وكاتب الى صاحب الموصل فيه الاشك في احاطة العلم بانتقال زين الدين الى جوار الله ومقر رحته بجاءه في حيله شاكر النعمته وهو من السعداء الذين انزل الله تعالى فيهم ومن يخرج من بيته

مهاجر إلى الله ورسوله ثم بذكره الموت قد وقع أجرو على الله فما لجمع القلوب بحصابه وما تكتفى في النفوس افول
شبهه ولقد كانت الهمة متوفرة على تربيته وعلاده ودرجته ولكن الله تعالى استأثر به قبل ظهور حسن الأتقاني
أبشاره وبلى بده التمسيراره واصبح في ضمير البسلى من اسرار ه و هذا ريل من انعام البيت الكريم الانابكي
على البيت أن ينمي من مبعين عاما لم يحلوا لعقدانما مهم بانظاما ولم يزيدوا الاحكامه الا احكاما واما وما رأى ان
يخرج هذا الموضع منهم وان يصفه به عنهم والامير الاجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه والمقدم في الولاية
بمقتضى وصية أبيه وقد انقض بسدسداخيه قال وكان الملك المظفر تقي الدين متوليا لمسئنين افعال بما يوافقين
فطلب من عمه تفويض كل ما وراة القفرات اليه والاعتماد فيه عليه فانتم عليه بذلك فاقام عندنا بالقرنة المظفرية الى
ان يؤذن له في الماضي الى تلك الولاية وسر توليه اليها لاقامه رعاياها على شعبة الزعاية قال ولما أحس العسكر
الشرقي بالثأر أبدا وخلق السامة وضجر وامن الاقامه واما عاد الدين صاحب خنجر فانه عرف كراهية السلطان
افراقه فلم يجز الاعلى وفاته واما صاحب الجزيرة صغير شاه فانه استطل بالمقام وياه ودخل يوم عيد الفطر على
السلطان فقبل يده وودعه من غير سابقه الاستئذان فاغضبه انفضاله وساء له ارتحاله وكان تقي الدين واصل فقي
صاحب الجزيرة عنافا فاصلا فردّه عن طريقه وجدى تعويقه ورجعه الى الرضى وعفا الله عما مضى وقال
القاضي تردت رسله وبقا على السلطان في طلب الدستور والسلطان يعتذر بان رسل العدو مكررة في معنى الصلح
ولا يجوز ان ينفذ العساكر حتى يتبين على ماذا ينفصل الحال من سلم أو حرب فلما كان يوم عيد الفطر دخل على
السلطان وهو ملثا في الجسم وقبل يده وخرج وسار من ساعته ونبهه أصحابه فلما بلغ السلطان منيه كتب اليه (أنتك
انت قصدت الانتماء الى الابتدأ وراحتنى في ذلك امر ادا وانظهرت الحقيقة على نفسك وبلدك من اهالك فقبلت
واوتك ونصرتك فبسطت يدك في اموال الناس ودمائهم واعراضهم فغفلت اليك ونهيتك عن ذلك امر ارا فلم
تنته فأتفق وقوع هذه الواقعة لا سلام فعدوناك فأتيت بعسكر قد عرفتموه عرفه الناس واقتت هذه المديدة
وقلقت هذا التلق وتحركت بهذه الحركة وانصرفت عن غير طيب نفس وعن غير فصل حال مع العدو فانظسر
لنفسك وادمر من تتقي اليه غيرى واحفظ نفسك عن قصصك لما بقي الى اليك التفات) وسلم الكتاب الى
نخاج فلحقه قريسا من طرية فقرأ الكتاب ولم يلتفت وسار فلقبه تقي الدين عند عقبة فوق فاخبره باسمه وتعب
على السلطان كيف لم يخلع عليه ولم يأذن له في الرواح فغضبهم تقي الدين انفصاله عن غير دستور من السلطان فاحره
بالرجوع وقال أنت صبي ولا تعلم غائلة هذا الامر فقال ما يمكنني الرجوع فقال ترجع من كل بدمع غيرا اختيارك
وكان تقي الدين شديد اليأس مقدما على الامور ليس في عينه ما حدثني فلما علم انه قابضه ان لم يرجع رجعه معه
وسأل السلطان الصلح عنه ففعل وطلب ان يقيم في جوار تقي الدين خشية على نفسه فاذن له فاقام في جواره الى حين
ذهابه وقال العماد في الفتح وطل على الملك عماد الدين صاحب خنجر بالمقام وجسدى الاستئذان في الرجل
منه الاهتمام وهر رملاله وتكرسؤه فكتب اليه السلطان (من صاع مثلى من يديه ه فليت شرعى ما استفاد)
فلما قرأ هذا البيت مارواح في الخطاب ولا غادى وقال في البرق وفي مستهل ذى القعدة أذن لعلاء الدين خرم شاه ابن
صاحب الموصل وعتب الملك السعيد انقرس فيه من امارات السعد وأقام بعده عمه عماد الدين ولبن عمه معز الدين
صغير شاه وهما صاحب خنجر والجزيرة ووجوبوا بالحياة والافر والعطايا بالقريرة وما فارقا الا في السنة الاخرى في ثلاث
صفر قال وغلت الاسعار عند التفرج حتى بلغت القرارة أكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لقيمهم استعار وبلو
بامور صعبه وهرب النيام منهم عصبه بعد صعبه فاستأمنوا اليها فقرط جوعهم واشبعوا عندنا لم يرجعوا في جوعهم
فمنهم من أسلم فحسن اسلامه ومنهم من خدم فوافق استخداه ومنهم من جن الى الله فرجع القهقري الى خطاه
(فصل) كان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى في هذه الاوقات بالدير المصرى برتب السلطان أموره
من تجهيز العساكر وتجهيز الاسطول وسحل المال وحمل اللبر الى عكا والى السلطان يكاتبه في مهماته وترجع اجورته
باحسن عباراته مشيرا وناعما ووسليا وياحثا عن مصالح الاسلام مقصدا فمن بعض كتبه (المملوك ينهى ان الله

مكتئب (١٦٦) الروضتين

تعالى لا يزال ما عنده الايطاعته ولا تفرج الشدائد الا بالرجوع اليه والامتنان لاهل شريعته والمعاصي في كل مكان بادية والمظالم في كل موضع فاشبه وقد طلع الى الله تعالى منها الا يتوقع بعدها الامانة ان منه وقد أجرى الله تعالى على يد مولانا من نعم البيت المقدس ما يكون بمثابة الله به حجة في رضاه ونعمه بالظان يكون حجة عليه في غضبه بلغ الملوك من كل واردمته مكانة وعظامة بانصلي مفة تشعشع من الاجساد وتصدع بكرها الاكباد والملوك لا يتعرض لتغصيل ما بلغه من ظهور المنكر ان في اتباعه وشيوع المظالم في ضياعه وغراب البلود وعدم القدرة على الرمة فكلية العجز وقوا السجود الاقصي وبالغظة عن مرمتها وبقدرها في اشبة القدس العظيمة الجليلة المتلجة لا يؤمن سقوطهما واقصاح القدرة في العجز عن اعادتهما والمرمة اقرب منا ولا من الانشاء والتجديد ولا شبهة ان مولانا عز نصر في اشغال شاعته وامور مشددة وقضايا غير واحدة ولا تعدده ولكن قد اجتنب الناس قصبروا واضجرهم الايام فاضجر واوأى عبادة اعظم من عبادة التي قام بها والناس عنها قصود وصبر في طلب جنتها على نار في الحرب والوقت ذوا في الوقت غير ان مولانا اذا ذكر نصيبه من الاقدام فلا ينسى نصيبه من الخبز ولا يجعل في الامور الخطيرة ولا يقدم بالعدد القليل على العدد الكثير قالوا اذا قيل كان واحدا واذا اذبر كان معوما بجميع الحق ولا يطمع بان يقوم به الاثني ولا يذكر المولى في ثمة الملة التي كان وقوعهما من الله سبحانه آمنا لغضبه وتوفيقا لا اتفاقا ولا يكره المولى ان تطول مدة الابتلاء بهذا العدو فتروا به بطول وحسناته تزيد اثره في الاسلام يتي وقصواته بمشيئة الله يعظم موقعها والحق لا يقتري بل نصرت الله من بصره والله تعالى يسكن لولا ناجها هديده ويراه ويولده ويخاصه وبما جندته واعداد في اعدائه لجهاده بصاحب صلي في الفرج فهو جهاد قد ارى فيه رأى المولى فرج والحديد بالحديد يقطع واكيدا ما قبل به العدو سلاحه واسرع جناح طارقه قصه جناحه وولته مولانا كالمهر كراما ظهور عجايب وكالسماء مطرا واسنة كواكب ومن كذب آخر (الملوك) قبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر لطف الله بقلبه وحل عنده روح سره ووصل الراحته ونسأل ان يرحمنا الذي رحنا به قد بلغت منا الحناجر القلوب وقد وقعت في طرقنا الذنوب ويتناحن منتظر من كتب المولى ما يستدل به على ان قلب المولى قد طاب وقصد العدو قد خاب اذ ترد كتب يكون الوفوف عليهم فاطمنا لا بكاد مقتنا القلوب ولولنا جهاد) ثم ذكر البطس الذي تقدم ذكرها الواسلة الى عكالة نصف شعبان فقال (وبنا نحن نعتقد ان البطس في عكا وصل الخبر بانها في دماط وبوم وصل الخبر بانها في دماط نحن على انتظار نحن وجهامة موكب البطائق بالاسخنة والاستبجال وتحذرهم من تمادي القمام واتباعنا اخرجت ادهى باقية كان الرجح في بيت ما خرجت منه من هاتين الجمعيتين وطمان تاريخ خرجوها من الاسكندرية الى تاريخ تسطير هذه المقدمة خمسة عشر يوما والعيون ممدودة والايدي مرفوعة بان يفرج الله عنا ونحكم بوصولها في شعب في هذه الايام فواسي المسلمين ومن نام لم عينه فها همون اخوة المؤمنين والملوك شفي على البطس في وقت الفخول حذر ان يتعرض العدو لغيرها فيقول بنها وبس الوصول في توكس المارد بها ويحدث من المضرب بغير ما هنا اضاف ما يجد من النعمة بالفرج المسير فيها وكدها للحال في نفس الملوك وقوفه على كتب اصحابنا من عكا وقد وقع لهم هذا الواقع الذي وقع للملوك من خوفهم عليها واستعدادهم دخولها فلما الملوك وكل من يعرف الامر الا كاهل الصراط رب سلم رب سلم فنسأل الله سبحانه ان لا يكتنا الى انفسنا فنجزع ولا الى الناس قضيع وبجهود اهل الارض قد انتهى وبني ما يقبله الله والخير منتظر منه والفرج بالقوت قد سبر في البصر من خمسة عشر يوما والفرج بالثقة قد سبر في البر من عشرة ايام والله بامولا ما نتجشئ من هذه الامور الا بان تنزرب الوعود بالشوك وتسحاب الحجار قوت به النوم ونجم الاصوات من التسك كارتو في الاقلام من الكتابة ويضعف من يلزمه النحل كالخضوع لمن لا يلزمه والله المستعان فليخلص المولى نيتته في الاستعانة والاخوان قليل

وقد كانوا اذا عدوا قليلا • فقد صاروا اقل من القليل

ومن كذب آخر (وما تجدد للقدمون الشرع في آيات الحصار لكاد ما ارجف به من العبدتين الفرجية بين الواسلة والجيدة واقتراف العساكر في هذا الوقت الضرورة والتمس الصكر الشرقي البستور الصغير وماجة المولى من الاغلق الى ما ليسه التدبير ونضيق هذه الامكان ومطالبة التي بالزلا مع الفتي والضعف باكر ما يحتاج اليه وضباع

فرسفة واختلاف رأي بين المشاورين من الجماعة وجود الالسنه بالارامو على الايدي المعروفة واقراد المولى بالتعب واشترائه الناس في الراحة وما يتلى به المسلمون من من أظهوره ليكون لهم عذرا في القعود وكفه المولى على نفسه فلا يليب لاجبنا نصف النفوس فهد ما الامور وان كانت شدا وتزادات على العوائد فقد اهتم الله مولانا فيها سعة الصدر وحسن الصبر ليشعره ان صبره يعقبه النصر وحسبته يعقبها الاجر ولولم يرافقه تعالى ان قوة مولانا اكمل القوى وهرة عزمه اوثق العرى لما أهله لان نصره مله لا يعرف الملولك غير الله بنصرها وغير مولانا يياثر النصره ويحضرها فليس الا نصبر وللدعاء والجلد للقضاء فلا بد من قدر مقبول ودعاء مقبول والامثال المنظومه

نحن الذين اذا علوا لم يطرؤا * يوم المياج وان علوا لم يضفروا

ومعاذ الله ان يقع علينا البلاد ثم نظمها وان يسل على يدنا القدس ثم نصره ثم معاذ الله ان تغلب على النصر ثم معاذ الله ان تغلب على الصبر واذا كان ما يقدم الله اليه المالك قبل المولى لا بد منه وهو لقاء الله سبحانه فلا نلقاه والحق لنا خبر من ان لقاءه واجبة علينا فلا تعظم هذه القنوق على مولانا نصبر صبره وتلا صدره فلا تروو لولد هوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم وهذا على من ما غلب بكثرة ولا نصر يثروه انما اختاره الله تعالى له ارباب نبات وذوى قلوب معه وحالان فليكن المولى نعم الخلف لذلك السلف لقد هك كان لكفى رسول الله اسوة حسنة (واشتدى أزمة تفرج) والقعران نذهب ثم لا تجي والله تعالى يسمع الاذن ما يبر القلب ويصرف عن الاسلام وأهله غاشية هذا الكرب ونستغفر الله العظيم فانه ما يتلى الا يذب) ومن كتاب آخر (يا مولانا اعلم ان الله تعالى قد فعل لك ما فعله لنفسه ودل على لطفه بك كما دل على قدرته فانه تعالى خلق الخلق من غير مادة واقام السماء بغير عمد وكذا فعل الله بك خلقك بغير شبهة في الملولك ك ماود بنا وسهل لك من مصر ما لا من غير جهة وحى منهلنا باجر جند وسكن في اربعة بغير ولا فاشكر الله ولا تحقر خدمه من يبيع الانفاس والنوم والراحة اجتهدا في ابرمك ويخفف عنك ثم لا يرد العوض منك اغاير يد من الله عنك لان خدمتك طاعة له والوجه التي وقعت الاشارة اليها خضنا فيها وفي غيرها فاجادنا كثيرا بلغنا اليه يا مولانا ليس لك في مصر الا الثغور وما علمت في هذا السنة الا بقدر ثمن جبال ماسير اليك من الاساطيل ان الله اخذ يد الكرم والمعونة بحسب المؤونة فلن المولى العاقبة من الحساب فشتان ما حساب من كثر الذهب والفضة لم يفتقها في سبيل الله وحساب من قال يده هكذا وهكذا في سبيل الله) ومن كتاب آخر (وما في نفس الملولك شائبة الاقية هذا الضيف الذي يجيم مولانا فانه يقولوا ونفديه باسما عاوا وانصارنا

ناعمشر الخدام ما بك من اذى * وان اشفقوا بما اقول في وحدي

ومن كتاب آخر (انما اتينا من قبل انفسنا ولو صدقناه لجهل لنا عواقب صدقنا ولو اطعنا لما عاقبنا بعدونا ولو فطننا ما قدر عليه من امره لفعل لنا ما لا ندر عليه الاب به فلا يستخيم احدا لعله ولا يلم الانفسه ولا يرج الارب ولا ينتظر العساكر ان تحكث ولا الاموال ان تمصر ولا فلان الذي يقتد عليه ان يقتل ولا فلان الذي ينتظر انه يسيرة يحل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بما ولا نأمن ان يكلنا الله اليها والنصر به والطف منه والعاداة الجميلة له ونستغفر الله سبحانه من ذنوبنا فلو انها مضطرب في دعائنا كان جواب دعائنا قد نزل وفيض دموع الحاشعين قد غسل ولكن في الطريق عائق خارا فملوا لانا في القضاء السابق والا لاحق) وفي كتاب آخر وصف فيه الملك العزيز عثمان بن السلطان ثم قال (ولو شاهد مولانا اليوم شخصه الكريم وصورته الجميلة ونفسه الظاهرة ونظرة المطرقة وصفتها الحنية وسكون حر كاته الموزونة خلط عليه فتواده ووجهه عينه نور فاده ولقد رى المولى هرصات القيمة وثواب فراقه له لوجه الله اعظم من ثواب جهاد في سبيل الله وان ايماننا صبره عن ذلك الوجه الكريم الكريم وان ايماننا اسلى عن ذلك الملك العظيم لعظيم) ومن كتاب آخر (وعسكرا لا تشكو والجلد منه خورا وانما يشكو منه ضميرا والقوى البشرية لا بد ان يكون لها حد والاقدار الالهيه لها قصد وكل ذي قصد خادما مقصدا وواقف عند حددها وانما ذكر الملولك هذا ليرفع العزى من خاطره مقت للمقاس من رجا له كايثبت فيه شكر المارح من ابطاله قال الله تعالى فاعجبهم واستغفرهم وشاورهم في الامر يا مولانا ليس الله تعالى اطاع على قلوب اهل الارض ثم

يؤهل ولم يستعصم ولم يعتزل ولم يستعمل ولم يستخدم في إقامة دينه وإعلاء كلمته وقهر سلطانته وحماية شعاره وحفظ قبلة موحيه الانات هذا في الارض من هولاء قوت قراه ومن له الملكة وراثته ومن له المال كثره ومن له في لعد ثروفا قدهم وقامك وكسهم ونشطك وقبضهم وبسطك وحبب الدنيا اليهم وقبض اليك وصحبهم عليهم وهونها عليك واسك أديهم وأطلق يدك وأغدس سيفهم وبرد سيفك واشتاقهم وانتم عليك وبطهم وسيرك ولوارادوا لخرى لا عدوا له عدة ولكن كره الله ان يعاقبهم فنبطهم وقيل اقصوا مع القاعد من ثم وأخرى أهم من الأولى انه لما اتبعك كلفة الكفر من أقطار الارض وأطراف الدنيا وغرب الشمس ومن خر الجمرات أخر منهم من آخر ولا استجد المسافة بينك وبينهم مستبعد ونحو حوام ذات أنفصهم الحبيثة لأموال تنفق فيهم ولا ملوك تحمك عليهم ولا عصاة تسوقهم ولا سيف يزعجهم مهطعين الى الداعي ساعين في أثر الساعي وهم من كل حذب ينسلون ومن كل بر وبحر يقابلون كتب يا مولانا كما قيل أبقاك الله

ولست بملك هازم لنظيره * ولكنك الاسلام المشرق هازم

هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعد الا بدعوة ولا مجاهد معك الا بسانه ولا خارج معك الا هم ولا خارج بين يديك الا بالاجرة ولا قانع منك الا بزيادة تشتري منهم الخطوات شرا بذرار وذرار عابا ع ندعهم الى الله وكأنا ندعهم الى انفسك وتسلمهم الا فرضة وكأنا نكافهم النافذة وتعرض عليهم الجنة وكأنا نريد أن تستأثر بهادونهم والاراهة تختلف بمحضرتك والمشورات تتنوع بمحبتك فتعائل لم لا تتباعد عن القتل وأتو لم لا تغيث الى الصالحه ومتقدم على قائمها كان فيه حظ ومشير مستقبل ما يلوح فيمشر ومشير بالغلى عن عكا حتى كأن تركها تغلبني المعاملة وما كأنهم اطلبة الجيش ولا قتل الدار ولا خزة السك ان وهت ندعى السك وأنث في يد الملك فالحكم الله قتل الكافر وخلاف الخذل والجلد وتحت قدمك الجبر وأفرسك الطمانينة وتحت جنبك الوهر ولكن مولانا صفيحة وجهه * كضوء شهاب القبايس التنوير

قليل التشكى لهم نصيبه * كثير المحوى شتى النوى والمساك

لا شبهة ان الملوك قد أطال ولكن قد اتسع المجال وما مراده الا أن يشكر الله على ما اختاره وسره عليه وحبيه اليه فرب محقق ينعمه ورب منعم عليه بمشقه وكم مغبوط بنعمته هي دأوه ومرحوم من يلوى هي دأؤه ويريد الملوك بهذا ان لا يشيروا ولا يبقوا الله وجهه عن بشاشه ولا صدر عن سعة ولا تسكن عن حسنة ولا ترى منه ضهره ولا تسمع منه نهره فالشدة ذهب وبقى ذكرها والا زمة تنفجر ويبقى أجراها وكالم يتحدث استبقرار انهم مولانا هز نصره بطرا فلا تحدث له ساعات الامتحان ضجيرا والملوك يستحسن بيتي حاتم ومولانا أبقاه الله ونطد سلطانه وملكه يحفظهما

شربنا بكأس الفقر وما بالثنى * وما منها الا سقاه الدهر

فما زادنا بغي على ذى قرابة * غنانا ولا أزعجنا بحسبنا للفقر

والملوك بأن يسمع ان مولانا عز نصره على ما يعهده من سعة صدره أسر منه بجايهم مع من يشتر نصره وبأيتنى كدت معهم وماذا كانت تصنع الا باماننا بين من مشاهدة الحروب قد شيدنا واثقه من جماع الاخيار أو فر ما يمكن خلفه من الوفر قد قدر منافي بعد مولانا ما لا خلف له من العسر أو من جسم غير ما كمن الطيب حاضره ولقد مررنا أشدنا من لفرقة الا أن التجلد سارته ومن كآب آخر (الملوك) يوصى المولى بالسلام والاسلام هو قلب المولى فبروحه ولا يصح له ويشقه بما يتلقه ويوصى المولى بقلوب المسلمين وقلوب المسلمين جسم مولانا أبقاه الله من علمه لا ترفيقه عنده لرواتب الحياة اشتغل قلبه واستطار قلبه وضعفت نفسه فيصب المولى من جهاده فقد جهمه وآلات مطعمه وتروى خطراته فتبلغ الملوك من حله على قسما يمتشي على مولانا الاتم فيه وانما تعظم كل مشقة لتسلم عنه ونحن في ضرر قد مسنا ولا ترجو لكشفه الا من استلبه وفي طوفان قننه ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وتساند قد مسدت طريق دعاثنا فمن أولى بأن تلوم أنفسنا والله قد راسلنا سلاحا في دفعه الا أن نقول لا حول ولا قوة الا بالله وقد أشرقت على أهوال في الله ينجيكم منها ومن كل كرب وقد جمع العدو لنا وقيل لنا

أخشوه قتلنا حمدا لله ونم الوكيل منفض من ذلك موعود الانقلاب بنعمة من الله وفضل فازرجوا الاذاك الفضل العظيم وليس لنا الا الاستعانة بالله فاذكنا الله في الشدائد الا على الفعالة وعلى طريق باب كرمه على التضرع اليه لجلال انجاهم بأستأقصرها ولكن قست قلوبهم ونعونانهم من القصور ومن القنوط من الرحمة ومن اليأس من الفرج فانه لا يأس من الله الا سلب الرشد مطر ودهى الله مقطوع الحظ من ولا حيلة الا بترك الحيلة بل قصد من تمنى اقتداره بلا حيلة سبحانه وتعالى ان على الله من جند مولانا هم قد بذلوا الجهد وقد عذروهم في عذرهم المولى وان علم انهم قد فخذوا قوتهم وراى نصرة كلمة الله في قلوبهم مقت الله والمولوك يذكروا المولى بصبره ورحب صدره وبفضل خلقه ويتقوا له به وجمادات من اجبه ويرى القلوب الاسلامية ويرحمهم وان كان كبير عليك اعراضهم الآية الى ولو شاماهم لجمعهم على الهدى والمولى اولى بهذا البيت

لا يظن ان تابعتهم * وصار في البلاد محتجب

قيل للملوك ايسر لك ظفر ليس فيه تعب فقال اكره عادة الجز ولا بد أن تصفد من شدة الله في خلقه لا اراد لحكمه فلا يمتخط مولانا بشئ من قدره فلا يجرى القضاء وهو راض ماجور خبير من أن يجرى وهو سائط موزور فيصلى نارا لكثا عاذا الله منها ولا يحذر اذ التواب عفر الله حظه من من شكابه وزنه الى الله شكالى مشكى واستغاث بقادر ومن دأر به عا حفا استجاب له اسحابة ظاهرة فالتكى مكتوى ولاد الى الله خفية عنا ولا يقطع الظهور التي لا تشد الا به ولا يضيئ صدورنا لا تفرج الا منه وما سرد الكرى وأطال على الافكار ليل الصرى الاضائة القوت بمكالم يريق الاضعف نعم المعين عليه تر ويج النفس واعداؤه من الفكر فقد علم مولانا بالباشرة انه لا يدبر الدهر الا برب الدهر ولا ينفذ الامر الا بالصاحب الامر وانه لا يلقى العلم ان كثر الفكر

قد قلت لرجل القسم أمره * فوض اليه ثم قرر العين

وكل مقترح يجاب اليه الا بقران يصير نصرا يبعد ان أسلم أو يلد اعزسرة المنبر بعد ان تكلم بامولنا هذه الليالي التي رابطت فيها والناس كارهون وسهرت فيها والعين حاجرة وهذه الايام التي ينادى فيها يا خيل الله اركبي وهذه الساعات التي تزرع الشيب في الرؤس وهذه العمرات التي تنقبض فيها الصدور عا بها بل شأرها هي نعمة الله عليك وغراسك في الجنة ومجلان محضرك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وهي مجزواتك على الصراط وهي مثقلات الميزان وهي درجات الرضوان فاشكر الله عليها كما تنكره على الفتوحات الجليلة واعلم ان منوبة الصبر فوق منوبة الشكر ومن ربط جاش أمر المؤمنين عرين الخطاب ومنى الله عنه قوله (لو كان الصبر والشكر يعين ما باليت أيملا ركب) وهما العزائم سبقوا وتركونا لا نطمع في الحاق بالقيار وامتدت خطاهم ونعونا الله من العثار ما استعمل الله في القيام بالحق الا خيرا لخلق وقد عرف ما جرى في سير الاولين وفي آباء النبيين وان الله تعالى حرض نبيه صلى الله عليه وسلم على أن يمدى يدها من وسط سبيهم ويقتدى بولوى القرم منهم وما تناولوا الجنة وما ابتلى الله سبحانه عباده الا من علم انه يصبر وامور الدنيا يصنع بعضها ايضا وكان ما قد كان لم يكن وبذهب النعب ويبقى الاحراق باقنات العين كالعلم وأهم الوسايا ان لا يحمل للمولى هاء يصف به جسمه ويضر من اجبه والامة ببيان وهو ابقاء الله تعالى قاعدته وانه ثبت تلك القاعدة القائمة في نصرة الحق وعما يقسم من وصا بالفرس ان نزل بك ما فيه حيلة فلا تجزع وان نزل بك ما ليس لك فيه حيلة والعين بالله فلا تجزع ورب واقع في أمر لو استغفل عن حل المهمل بالتدبير فيه مع مقدور الله لا تصرف هم وكفى خطبه وما تأسوا ان الآن يشاء الله هلسا سلطان هو يحول الله أوثق منته بسلطانه قاتلت الملوك يطعمها وقاتل هذا يا بمانه واذا نظر الله الى قلب مولانا لم يجد فيه قبة بغيره ولا تصولا على قوة الا على قوته فهناك الفرج جميعا له ولطفه بقاته فلا يقنط من روج الله ولا يلقى متى نصر الله وليصبر فاما خلق الصبر بل يشكر فالشكر في موضع الصبر أعلى درجات الشكر ويقل لمن ابتلى أنت المحال ويرى عن الله سبحانه لثمان الرضى عن الله هو السلم الرضى فاما الخبر فكنه ببلاد الجهم فسبحان من الحق قلوبهم بالسهم قل الله ثم ذرهم في غيظهم يلعبون) وكتب السلطان الى القاضي الفاضل كتابا من بلاد الفرج بضره عما لاح له من اموال النصر ويقول ما نأف الا من ذنوبنا ان ياخذنا الله بها فكتب اليه الفاضل (فاما قول الملوك اننا

تخاف أن تؤخذ بذنوبنا الذنوب كانت مشقة قبل هذا المقام وفيه عيب والامام كانت مكتوبة ثم عني عنها بله
الساعات وعين فيكي مستغرا لسان السيف الاحمر في الجهاد ويكي قارعا لا بابا لمقتدون مغررة
الانذار ولعين الله موثقت وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك وطوقا لقد همت في مناجاك وطوقا لوجه ثم
بشار عجايبك وطوقا لنفس بين يديك قتلت وقتلت وان الحواما تشكر الله فيك وعن شمسك هاتك
قد شغلت

فصل كان يلقي ان السلطان رحمه الله لما اشتد امر الفرج على عكا أرسل اليه القاضى يستعديه
عليه لم يقطع عنهم مادتهم من جهة البحر وكنت اطلب حقيقة ذلك وأبحث عن شرح الحال فيه فان العباد والقاضى
لم يتعرفا له في كتبهم ما فيه ان العباد ذكره كتابا كنبه القاضى الفاضل الى رسولهم ما يقرب يستعزمه
ما كان ارسل لاجله وسياقى وغرضى كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومنه نواتم ارانى بعض الشيوخ الصالح
التقاء بخطهما كتب أرومه ففقتله على وجهه قال نسخة كتاب كنبه القاضى الفاضل وتقتل من خطه لا ين منفذ
يأمره فيبالبغرا في المغرب بالملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يستعمر بكتا المغرب يعقوب بن يوسف بن
عبد المؤمن لما حضر الفرج خلد الله عكا بعد كسر دحطين وقع تحت الحسد والكتاب الذى سيرة الى المغرب
والهدية التي حلت بأقذ ذلك ان شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم (الامير الاجل الاسفهلار الاصيل العالم المحترم شمس الدين هداية الاسلام جمال الانام
تاج الدوله امين الله صفوة الملوك والصلطين شرف الامر اسبقهم الخواص لادام الله توفيقه ويسر طريقه وانجح
مقصده واعلى ممرده وحسن مقببه ومشهده واسعد يومه وغده يستغفر الله سبحانه وتوجه كيف ما يسر الله الى
الجهة الاسلامية الفريضة من الله جانبا ونصر كذا بواصر اكبا ويستقرى في الطريق وفي البلاد من اخبار
القوم في احوالهم وادابهم وانشغالهم وافعالهم وما يحبونه من القول ترزاه وجهه ومن القامات منبسطه او منقبضه ومن
القصود بحالهم مخففة او مطولة من الخيرات المتبادات بينهم ماصية مما موقعه وهل هي السن الدينية او العوائد
الموكية ولا يلقه الا بما يحبه ولا يتناهب الا بما يسره والكتاب قد خذالي ولم يتم لي علم ما خوطب به والمقصود ان
قص القصص عليه من اول وصولنا الى مصر وازلتنا من البدع بها وعطنا من الالهاد فيها ووضعنا من
الظالم عنها واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها وغزواتنا التي توصلت الى بلاد الكفار من مصر فكانت مقدمة
ملك الشام الاسلامي باجماع الكلمة علينا ومقدمة ملك الشام الفرنجي باقصاد المسلمين لنا واتفاق الملوك
المجاورين على طاعتنا وتفصيل ما جرى لتلغ الفرج من الغزوات المتقدمة التي جنتها لخلال ديارهم وجعلها
الله تعالى مقدما لما سبق في علمه من اسباب دمارهم وما عقبها من كسر تلهم الكسرة الكبرى وقع البيت
الحقدس وتلك على الاسلام منة الله العظمى الى غير ذلك من أخذ التفرع وانتاج البلاد وانحان القتل فيهم
والاسرهم واستعباد قبضتهم الفرج المغرب ونزوح نجاتهم وكثرتا وقتوتها ومنعتا فغانها ووزوتها وسارعتا
وبادرتا وانه لا يهوى يوم الا عن قوة تتخذ ديرة تفصل وأموال واسعة تفرج ومعونات كثيرة تعجل وان تقربنا
حصره العدو وحصرتنا العدو هاتمكن من قتال التفرع ولا تمكن من قتال التفرع خندق على نفسه عدة خنادق
هاتمكن من قتاله وقدم الى التفرع رجة فارتقه اهل ونزح حرمين الى عسكرنا فكسر العدو قتاله فانه لغتتم اوقاتنا
لم تكن المساكر فيها مجموعها وارتاد ساعات لم تكن الا عبيها مؤخوذه وأقدم على خزة استيقلت فيها نصرته الله
بنو خنذله لم يهزم قتل الله العدو القتل الفرجع وأوقعه القتل الشيع وأقبلت احدى المركبين عن هذين
أقتتل من الكفار نرجت أنفسهم الى مصارعها وهدت أجسامها في مضاجعها والعدو بان حصرة التفرع
فانه محصور ولأبرز صفته كان بلذنه هو القبول والمكسور وبذا كرمادخل التفرع من اساطينك الاثلاث مرات
واحرارهم اكبرهم وهي الاكثر ودخلوا باليرة بحكم السيف الاظهر وان امر العدو من ذلك فتلطوا ونحطبه
قد قادى ويحدثه تواصل ومنها ملك الامان في جوع جماعه يرها مجهره وأموال قاتلها هماغنطره وان
عساكرنا لو ادر كسرها استودك ولولا سبقنا بالعدو الى انطاكيا لكانت خلف هلك وذكر ان انقم طافية

الامان وأخذت أسيرة هوية بالأغراق في بحر الدنيا التي هو طريقه الى الاحراق في نار الآخرة وان هذا العدو
لو أرسل الله عليه اسطولا لاقربا استعدادا يقطع صرعه ويمنع ملكه لاخذنا العدو اما بالجوع والحصر أو برزقا خذناه
يدينه تعالى التي بها النصر فان كثرت الاساطيل بالجانب المغربي مبصرة والعدو منها متفرقه والرجال في اللقاء
فأمره ولا يغير كارهه فاليدار اليدار وأنت أيها الأمير قبل أول من استخار الله وسار وان كانت حروب الاسطول
موانع امان فلهذه أومن شغل هناك بجمعة أو بشارعة أو ما تحصن منه العدو أو قد لا تحتصنه القصره
فالعدو ما طرقتها واحده ولا سيلاها مسدوده ولا أنواعها محصوره تكون تارتيا لرجال وتارتيا لمال وأما
أهلنا طائفتنا ولا كذا ولا لعلنا ولا حقوقنا فإدعونا ولا مليننا من رتا الانكسار الجنب فلهذه الالواجب عليه
والى ما هو مستقر به ومطبق له فقد كانت تتوقع منه همة تقديف القربانها ويستطير في الشرق سناها وتقرص
في الصدرة القصوى شجرتها فيقال من في العدو الذي اجانها فلترضى همتها بين الكفر والكفر ولا بين
الاسلام والاسلام وما تختص بالاستعانة الا لان العدو جاره والجار أقدر على الجار وأهل الجنة أولى بقتال أهل
النار ولأنه بحر والعدو صخره ولا غرو ان يحيش البحار البحار وان سئل عن الملوكن بوزاقوش وذكرا فعلا
في أطراف الغرب من معهما من ثقات الرجال الذين يفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان الملوكن من معهما
ليسوا من وجوه المالك والامراة ولا من المصددين في الطواشيه والاولياء وانما كسدت سوقها وتبعها
الغنائم أمثالها والعدو طرقتان العسا كرا طائفت ذوبها وكثرت جوعها خرج منها وانضاف اليها فلا ينظر
من يدها ولا تحصها ولا كان هذا الملوكان من اذا غاب أحضر ولا من اذا فقد اقتعد ولا يفتقر في مثلها من
يستطيع كتابه ولا ياتي بما يوجب شكوى من جنبه ومعاذ الله ان تأمر مفديا بان يفسد الارض ان أريد
الا اسلحها استطعت وان مثل من النوبة المصري وما فعل يحندها فيعلمهم الاميران القوم واسألوا الكفار
واطمعهم في تسليم الديار فاشي الاسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل
أحيان القبيدين فقبولوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومخاريفه بجماعوا في الارض من فساد فاما بقية
الجيش وان كان منهم من هو بوع للذكورين في الرضا فانهم اقصر بهم على أن لا يكونوا جندا ومنهم من أجزت
عليه أرزاق تبغفه وبعثته أمانة تسكنه وأما الهدية المسيرة على يد الأمير فقصصها يرد في كتاب الامير الاجل
الاسفهلار العالم الكبير محمد الدين سيف الدولة أدام الله علوه مقرنا بالهدية المذكورة ومع قرب الشتاء فليتو
الا الاسفحارة والتمجة ومبادرة الوقت قبل ان يظاق الصراقة الاشيه والله سبحانه يوفق الامير وسهلا
سديله ويهدي خليله ويكلا بعينه ويهدى بصره ويجعل رحله ويلبغه أهله ويشركه صدره ويصير له أمر
ان شاء الله تعالى وكتب ثامن وعشرين شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة

في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والهدية العنوان (بلاغ الى محل التقوى الظاهر ومسته
حرب الله الظاهر من المغرب على الله كلمة الامان ورفع يميننا البروا الاحسان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) من الفقير الى رحمة يوسف بن أيوب (أما بعد) فالحمد لله الماضي المشبه الماضي القضي
الرب البرية الحفي بالحنيفة الذي استعمل عليها من استعمر به الارض واغنى من أطعمها من ساءه القرض وأجز
أحر من أجرى على يده لثنا فله والفرض وزان مما لا يدور في الذراري التي بعضها من بعض وصلى الله على سينا
محمد الذي أنزل عليه كتابه بالانفاذ والتميان وبني الاسلام بأتمه التي شبهها صاحب البنيان وعلى آله وصحبه الذي
اصطفاهم وظهرهم فصرهم ومناهر وأرسله على الله عليه وسلم فصرهم وأظهرهم ويسرهم السبيل ثم السب
بصرهم وان الله بهمذا فضل على الناس ولكن أكثرهم ينافوننا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا ياتهم
في غلوبنا غلبتنا في أموارنا انك رؤوف رحيم وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبية الواجبة لارد الموحية لله
الطيبة لورد المتفصه من العنبر والورد وقادة على دار الملك ومدار الملك وجل الجلاله وأصل الاصله رؤا
الرياسة ونفس النفاسه وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وفيه ومقدم الاسلام ومقدمه مقتضى دين الله
ومثبت المتقين على اليقين ومطى الموحدين على المحدثين أدام الله له النصر وجهزه تيسير العصره ووزله لك

ويسطه باع القدره وأوتق به حيل الله ومهد درجات القدره وعرفه في كل ما عبرته صنعا على يلا جلا ولطفا
 حفيبا جلا ويمر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ وأقوم قلا فحبه استبر منها الكتاب واستتب عنها الجواب
 وقدره لما خزان أحدها شوق قديم كان مثل غربه ممكنا إلى أن تيسر الأساليب والآخر مرهم عظيم ما كرم إذا
 استفتحت به الأبواب وكان وقت المواصلة وموسم المكتبة هذه بهج البيت المقدس وسكون الإسلام منه إلى
 المقيمين والمترس وما فتح الله للإسلام من النور وما شرح لأهله من الصدور وما أنزل عليهم من النور ولم يضل
 المصلون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر وملاحقات أنوار ذلك البدر ومطالعات تلك الجهة التي هي وإن
 كانت غرسه فان القرب مستودع الأنوار وتزينت الشمس ومصب أنهار النهار ومن جاسه ياتي سكون الليل
 ومستروح الأسرار وعنه قلب الله الليل والنهار أن في الشصيرة لاوى الأيصار ولم تأخر المكتبة الأليمة الله
 ما بأس فضله وليفع حبه ما لم ينقطع بقطع يد الشر لمس حبله والمفتوح سدا لله من الشام مدن وأمسار وبلاد
 بكار وصغار وبحور وقلاع كانت لسكر له معاقل وللإسلام معافر وليكن الكفر مصانع وليكن الإسلام مصارع والباقي
 بدالك فرمها قراطر البس وصور ومدينة أنطاكية يسر الله أمرها وذلك من يد الكفر أسرها وإذا من المؤمنين
 على هذه الدعوة تخرج إصاها وما يتأخر من الله سبحانه جوليها فالعناء أحد السلاحين ومع النية يطير إلى وكرة
 من السماء يحنا حين بعد ان كسر الدود والكفرة التي لم يحجر بعدها والجي إلى حصونه التي لمصر أعدها وكان
 بوهما كرما ولد فب الله فيها عذبا قضت كل حاجة في النفس واغتنى للمسلمين فأما العدو بعد يومها فكأن لم يبق
 بالأسر وكانت على أن رغزوات قبلها فما لظن بالمجهز بعد التمسك ولم يؤخر فخر البلا بعد هذا الان فرع الكفار
 بالشام استمر شياصل الكفار من القرب فأجابوهم رجالا وفرسا وسنبا وشبابا وزرافات ووحدا وراوهم
 ومركبا نظرا وركبوا إليهم سهلا ووعرا وبذلو ما عوا واذنخروا واستاجوا ملوكا ترادهم ولا راسا تقتلهم
 بل خرج كل بلبي دعوة بطرقة ولا يحتاج إلى عزمة ملكه وخرجت لهم عذمة ملوك أظلت الجهة على أسماها وأنت
 العزيمة بمجد الله على أصحابها عند لهاثها ومنهم ملك الألمان خرج في جوع عريه من الله تعالى بربه ملائ
 الحاج وأزدحت فأنهذه الحاج ومنهم من دكب نبح الجور فركب الأجاج الحاج واستطاع من الجرم شبه
 الرجاء ليصردنا منه الرجاء يقبل الكفر ولا يصع إليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلا ساحل
 سلامة وإلى فاع كفر ولب الكفار إلى المصورين بالشام كل مجلوب وملؤوا عليهم ثوبهم من كل مطلوب ما بين
 أفوان وأطمه وآلات وأسلحة وسله ورجنه وحديد مضروب وزره ونقدى ذهب وفضه إلى أن شنبوا لأدهم رجالا
 مقادله وذخائر لمعالجة من حرمهم والآنجه لا تشرق شارة الاظلمت على العدوين البحر طالعهم تقوى من الرجال
 من قتل وتغلب من الزلحما كل فيهم كل يوم في حصول زيادة وفور مادة وقدها من عليهم موقع الحصر وأعطاهم
 البحر ما منهم البر ويطروا لما كثر واوتظروا فانهم لا يستطيعون أن يلقوا ويصعروا ويستطيعون أن يحصروا
 على أن يتصدروا ونزلوا على عكاجيت يمددهم البحر بامداده ويصل إلى القتال ما يحتاجهم من أسلحة وازادده
 وبم يكثر من مقاتله واجتاده فاقطعت ما ذهك من البحر وحصر ما نهزجهم من العدو من جهة جانب البر
 فحذروا على نفوسهم وحشوا إلى قرب على رؤسهم وعقدت عذتهم ما ألف أوبريدون كلها أقانهم أقتل
 أخطفتهم الغلبة فكلهم قيل المات يعودون فاقمنا بعمارة البحر بعتقنا عمارتهم بها فظفت عمارتنا التي انقتر
 وأوصلت إليه الأقوات التي جل منها البحر ما لا يجله الظهر والأسلحة التي أمضاها الله عز وجل يد الإسلام في
 صدور الكفر والفتنة عمارة العدو بأوفور من عذبة فهدموا أكيم كبيروا ولكن لبتانهم بأصدق منها عزمه والقليل
 مع العزم الصادق كبير واستقر مقام العدو محاصر للشر محصورا من أشد الحصر لا يستطيع قتال النفر لامن خلفه
 ولا يستطيع الحرج واليناخو ظان من حفته ولا يستطيع غنم الدخول إليه لانه قد سوزر وخندق وما جزم وراه
 الجدران وأغلق ولما خرج ملك الألمان بمجده ومجته التي هي منه أحشد عودا يشه المعون على رسم قديم إلى
 الشام فكان الردد لامة أحصل إلى الله عليه وسلم أحد قوت به نفوسهم وجمعت به رؤسهم وطمأنوا أنه يزعجهم
 محبنا ويحضر جنانهم خيما فيجتال اليمن من لقاها بصاكر الشماليه فسادت الأشغال شتورها فيها محبنا

في الخبر (١٧٣) العتوتين

عن لقائهما مظهر الله صريحا وباه غير دأتهما وكان أبوه الطاغية ملك الألمان شديدة اللعن العتوين فأنجيته
 إلى مجن مجين فذلك في طريقه عرفا وتماض للماء غاضبا لغيره فبقى له وقد هوانا أن ألقاهما المؤثر وقائد
 الجمع المكسر وروا عن صلهم إلى عكا في البحر تيمنا بملك البر ولوميق أبحنا إلى عسكار الألمان قبل دخولها
 إلى النطاكية لاخذوه أخطاس بها وسبق بحرسهم إلى أن يكون الطاغية فيه لاني التزم صريحا ولكن الله
 المشيئة في البرية والطاغية اغتاي إلى البلية فانه لولا احتجازهم فيهم بالحقائق واجتياز واصلهم بالمصالح
 لكان لنا ولهم شأن وكان ليومنا في النصر الكبري بحول الله فان لا يقنيه من العدو ثلث ولما كانت حضرة سلطان
 الاسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام وأولى من توجبه إليه الاسلام بشكواه ربه واستعان به على حمايته تسله
 وحرته وكانت مساعيه ومساعى ملغية في الجهاد القتر المحجله للمؤامرة الكاشفة لكل معضله الكاسفة لكل مشكله
 والاخبار بذلك سائر والاخبار ظاهره والصف عنه باسائه والسير به معلة وعالمه وكل بجاده قد سكر الالسيوف
 في اغادها وقد آمن الأكلة الكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله غادا يوارثها ومواجهها ومكافها ومحاسن ومصابها
 يجوز بلية البحر المجاهدين ملوكا على الامره وغزاة تهاض وجوهها السيوف فلا يتخذ نزال الامره يد ويد الفرق الكافرة
 ولوز لم يعلها بالافراة كل واد وكلأ وقد وافتا الحرب أطلعاها الله ولولا لاخذ شراره كل زباد كان المتوقع
 من تلك الدولة العاليه والعززة القاديه مع القدرة الوافيه والمهمة المهدية الهاديه أبعد غرب الاسلام المسلمين
 بأكرها مدي غرب الكفار الكافرين فيلأها عليهم جوارى كالاعلام ومدنا في الحج سوارثا كنها إلى اليان مقلعة
 بالايام تطلع علينا معسر الاسلام آمالا وتطلع على الكفر أجيالا وزدنا الما جلت واما الراسا مستومة عندها ملائكة
 مستومة ومعله تقدم حيازتها أقطامهم وزم تحت أجنابها وانما هي منه عزمه كانت قصعين أصحاب الميمنة على
 أصحاب المشأمة وكلما كانت تشغ الروح في الكلمه ولما استبشقت ظن انها توقفت على الاستدعاء فصر خشاها
 في هذه التحية فقد غفل الصحاب ولا تظن أن أن تحركها أبدى الرياح وقد تزلزله النصر فلا تظهر له أن تضرع
 اليها السنة الصفاح وسير على حمله الاظهر وعمله الأثر الامير الاجل المجاهد الامين الاصيل
 شمس الدين غير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والالطين أبو الحزم عبد الرحمن بن منفذ كتب الله سلامته
 وأحسن صحابته واما اختياره لوفاء الامن هوأهاها ولاجل الوديعة الامن هوأهاها ولاجل التمتع الصلة
 الامن هو مفتاحها ولاداء الامانة الامن هو حفظها ومهما استوضع منه وشئ عنه ناز على نفسه بصره ومن
 البيان دون خبره وفي العريسة ذويت وعشيرته والمجاهدة لها أوصف على ان تلك الجلسلة لقرى مجاذرة البيان
 فأخلف وما اجدره بأن يصادف بسطة على بساطه ونظرا ياذن له في القول على اختصاره وتوسطه واقرطه
 فكل هو به وفاء وكل هو فقههم الكريم كاف والله تعالى يجعل هذه العززة شافي استنهاض العززة
 منه بالقتل بلا بأس له دينه ويزعمهم بالقتل ضاعونه من الذين اتخذوا الحامن دونه والسلام الصادر عن القلب
 السليم والود العظيم والهدد الكريم على حضرة الكرم العاليه وسدة السيادة الجلية سلام مودة ما وفد التبريد قبلها
 مثلها ورسالة خاطرت إلى ان انتفت زواها المحبة سلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته
 ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة تسع وعثمان وخمسمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 وصلاة المدينة ختم كريمة في ربعة خيمنة بمسك ثلثائة منقال غنبر عشر قلاعد دهاستائة تحبه عود في سبط
 عشرة أمنا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسي بأوتارها مائة وقوسان سروج ضرورين فضول سيف هندية
 عشرون نقاشا من خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوق خشب مجلده سبعة مائة سهم
 وكان اقلاعه من الاسكندرية في شينى عمارته مائة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة تسع وعثمان وخمسمائة ووصل
 إلى اطرابلس أول البلاد في الخامس والعشرين من شوال وأقام بها إلى ثامن دى القعدة وتوجه إلى البلاد وكان
 الاجتماع بالوزير أبي محمد بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص ودفع كتاب السلطان إليه يوم الخميس سابع دى الحجة
 وكان الدخول على بقربى والسلام عليه في العشرين من دى الحجة وفي هذا النهار حلت هدية السلطان إلى خزائنه

مكتتاب (١٧٤) الروماني

وكان انفصاله من مراكش عاشر المحرم سنة ثمان وخمسين وثمانين ووصل الى الاسكندرية في الثامن والعشرين من جادى الآخر سنة ثمان وثمانين

(فصل) لم يحصل من جهة سلطان القربى القيس منهم التجدد بل اتفق انه عز عليهم كونه لم يخطب بأمير المؤمنين على جارى عادتهم وقد كان سلطانا عادلا مظهر القسط بقاؤه في سنة خمس وخمسين وفيه يقول شاعره

أهل لان يسي السهور يقي • وراز من أقصى البلاد على الريا
ملك غدا بالمكر مات مقلدا • وصونها وخطها ومنجوبا
عمرت مقامات الملوك بذكره • وتعتبرت بمنه الرماح تأرجبا
وبعد الوجود وقد جدى فأشاه • ورواه في الكرب العظام ففرجبا

وفيه يقول ابن عمه سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن أبو الراسع من قصيدة أولها

هبت بنصركم الرياح الأربع • وحررت بسعدكم الهجوم الطلع
ان قيل من خير الخلائق كلها • فإليك يا يعقوب نوى الأصبع
ان كنت تتلو السابقين فاعلم • أنت المتقدم والخلائف تبع

وقدمه أيضا شمس الدين بن منقذه هذا المرسل اليه من جهة السلطان بقصيدة منها

سأشكر بحمد أذاع باب قطعه • الى بحر جودها سماها ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الهدى • الى من يحب بالذكر منه الا وائل
إليك أمير المسلمين ولم تزل • الى بابك المأمول تريحي الراجل
قطعت إليك البر والبحر موثقا • بأني بذاك القطع بالجمع كافل
فما راعني من وجبة البررائع • ولا هالني من زائر البهراجل
ومن كان غايت المعالي طلبه • يهون عليه كل أمر يحاول
رحوت بقصديق العلى فيلقها • وأدنا عطاياك العلى والفضائل
فلا زلت للعلاء والجود غايبا • تيلفك الأيام مانت أمل

وابن منقذه هذا من أهل بيت أدب وشعر وله على ما وجدت بخط بعض الثقات

تصرم عرى في التفرج والتوى • وافى ارتحالي طماري وتلاوى
وأخلفت الأيام برد شيبتي • وأصلد من وقع التطوير زنادي
وأشغلت الحرس الموكل في الوري • عن العمل للمضي يوم معادي
فلا راحة الاخرى تقيت نيلها • ولأننا في الدنيا بلغت مرادي

وله على لسان بعض غلمانه

ورب همس دعاني الى احب خال الزناتة منه الصدم

أقرب وجهي له كلما • تهلل لي صاحبا حكاياهم

ومن كابد فاضلى الى بعض اخوانه (وأما الاخبار المغربية واخلال جانبها وضعف مطالبها وطالها فإذا لم يجزئ التلباء الى القرب فيحق كإان الانوار الناصرية قد تناصرت في الشرق فأخذ يسعد بلاد الدنيا بالانصراف الى سلك ملكه ويمكن من مؤمنها حكمه عنده ومن كافرها سيفه فتهك وافقه يعجزها الخير عن ذنبها في الخير ويكتب سلامه عزها في طرق النفع أينما جمت السمر) ثم انى وقتت على كتاب فاضلى السلطان بشعر بان الرسالة المغربية لم تكن رأى الفاضل ولا هو مختار لما صورته (الملوك يقبل الارض بل مقام العالي المولى الملكى الانصارى جعل له فدى الدنيا والاخر مقام العالي وأبقى دولته التي هي الايام بالحقيقة والايام قبلها هي الكيالي وبنيان ان لظاهر ان الملوك عند المولى ليس من أهل الاتهام وان له والله الحمد آرائى دولته تشهد بها الايام وآثار السيوف لماحت وبقيت آثار الاكلام والرسالة المغربية ليس الملوك مشير لبركها ولا كاره لفرسوها ولا مستبعدا

في اخبار (١٧٥) الدولتين

مصطفوية الامر منها لكن على وجهها وقد فزت الهدية المصرية على ما امر به وكتب الكتاب على ما مثل
ونظم الخطاب والوصف فوق العادة وبما يمكن مخاطبة مخلوق باكثر منه وعند وصول الامير نجم الدين من الخميم
المصروفاته المملوك في الله لا يمكن الا التضرع لانه لا يتجوز الحاجة اليه من لفظة امير
المؤمنين وان الذين افاضوا في هذا الحديث وأشار وابصارا فونقلا ولا اطوا به قياسا ولا عرفوا كاتبة المصريين
قديما وانما كتب في أيام الصالحين زريك فخطب فيه أكرام ولا دعبد المؤمنين رولى عهد الامير الامير الصالح النجار
الجسم الفخار وعادت الاجوبة الى ابن زريك وهو وزير سلطان مصر الذي اتبع مولانا اليوم ما مثل منسلة مترجمة
بعظم امره وملتزم شكره هذا الصالح يتوقع أن يأخذ ابن عبد المؤمن البلاد من يديه وما هو الا أن يهرب ما كان
طريده ان منافستهم وان على أطراف بلاده ويصل للشار الى ما امر من مرا كش الى القبر وان في ستة أشهر فلما هم
في كسر مره وتما سلك أخرى واعلم الامير نجم الدين بذلك فامسك مقبدا عشرة أيام ثم أنفذ الامير المذكور
اليه على يد ابن المجلس بأن الهدية اشير عليه بأن لا تسحبها وان اسحبها تكون هدية يرسم من حوائله
وان الكتاب لا يأخذ الا ينصر مع امير المؤمنين وان السلطان عز نصره رسمه ذلك والمالك العادل دامت
قدرته بأن لا يشير الابوابه ان الذي القوم مخاطبهم بهذه التحية عن السلطان ابقاه الله من لسانه فأجاب به المملوك
بأن الخطاب يكفي وطريق جده الله يمكن والكتابة حجة تعيد اللسان عن الإنكار ومتى قرئت على منبر من منابر
المغرب جعلنا خالعين في مكان الاجماع مبايعين من لا ينصره الله ولا شوكة فيه ولا يحمل اتباعه من خصين الغالي
مخطئين عن العالي ساقين عصا المسلمين مفرقين كلمة المؤمنين مطيعين لمن لا تحسل طاعته متقلدين لمن لا نصنع
ولائه فيفسد عقول الاسلام وينفخ باب يهجز وارده عن اصدار بل تخفى وتذنب الامور وتكف الاحوال
فان رأيت القوم شركة ولنا زبده فعدهم بهذا الخطاب وجعل كل ما نأخذ مثلا وعد بها خاصة فامتنع وقال
أنا قضيت اشغالنا وأنوجه الى الاسكندرية وانتظر جواب السلطان عز نصره وما يفوت وقت والى ان أنجز أمر
للمركب وان اراد الركاب فغير المملوك النسخة وان واقت فينم المولى على المملوك بترجمة بلصقا على ما كتب وبأمر
نجم الدين بنسمل الكتاب على ابن المجلس حدثه عنه انه ممنوع من السفر الا بالماكنية بها فأما الذي ترجمه
المولى عز نصره فيكون مثل الذي يدعى به على المنبر ولا نأوهو الفقير الى الله تعالى يوسف بن ايوب أدام الله
غنى مولانا الفقير الى ربه واذا كتب الصالحين زريك التبرسم من لاسيد الاجل الملك الصالح فحق ان يكتب اليه مولانا
ابقاه الله المتأدوم وهذا مبلغ رأى المملوك والمؤمن لا يذل نفسه واسم الارزاق يوصلها وان رغم من جرت على يده
وان كان مولانا عز الله نصره بقول أنت غافل وغائب وما تعرف ما الاسلام فيه فلو حضرت وعرفت ما شققت
الحديث فجواب ما كتب بعد ستين فاختل الله عنا ولا تستمر هذه الشدة ولا نسي الظن بالله واذا كانت لنا ان شاء
الله أخذت خالية من نطلب الآن مواساته واذا كان المملوك مستحيا ولا غير مستصحب ولا ضرورة حكمها والاحوال
المملوك غائب عنها فالهجوم من الامر للمملوك ان يتولى من الكتابة ترتيب المقاصد فحضر الالفاظ وتنصير الخبر
على أحوال الله تعالى على يد مولانا عز نصره والتانى المطلوب فقد فعل هذا كله في النسخة وبقيت الملاحظة التي ليست
كتابة المملوك لما شمر طاقها والمملوك عقبه مستحيرون بالله تعالى ثم بالسلطان عز نصره من تعرفهم كدرا الحياة وتوقع
الحقوق ومعداته من لا يخفى عنه جبر ولا تقال به عثرة وتكفي ان المولى انهم يخطه في كتابه الى المملوك وقها ما هو مخط
حضره سيدنا الاجل عماد الدين الكاتب الاصفهاني حرسه الله اوصى بأن لا يشارك في الحذاب ماصرح باللفظة
فهى اما تقية فالمملوك اولى بها ولما استهانة بنفس الملك لا تقاس بنفس المملوك فان كان ولا بد فالنسخة بين يديه
والقصد فيها من زيادة هذه الملاحظة ما يحتاج الى تعليم والكتاب الذين يستقلون بكاتب النسخة معدومون وقد
تاب المملوك عنهم والكتاب الذين يستقلون بالتيهض موجودون فينوبون عن المملوك في التيهض والاقبيص
يسير رسول بكاتب من مصر بلا خط سلطان وبغير حضرته كتب ولا يهديسار وبمحضر من الخاددة والمغاربة
يعلمون ان الكتاب كتب بصر وشهدون بما لم يرو وما لم يقرؤوه من الخطاب ولو وصل من المولى أدام الله إمامه كتاب
مختوم وسبوا نظم رايه لا قطع فضول كثير وتحت أراجيف شنيعة ولا يعتد المولى ان المملوك يعظم القصص

مكتاب (١٧٦) الروماني

فما لا لسته والاعين شغل الاسلاطين وأصالحهم وأقوالهم ولا لخلق خوض الا في أواخرهم ولحوالهم ولوعلم الملوك ان هذا الذي استعفى منه يضره بحيث يقع المولى بأقام الله لسان عليه ولكنه مضى يغير منفعة وتعرض لما تدم عاقبته أو يبق على الخوف منه وذلك مما لا يقضيه حسن عهد المولى وقضل رافقه فقصود المولى أبقاء الله تقصير بنييهم بين يديه وربما حصل استنار وأمنت للكار فيه ونغضت العيون عنه وشحت الايام عليه طامع الملوك بذلك

(فصل) وللقاضي الفاضل رحمه الله من كتب اخر ما يشرح لنا بعض ما تقدم وما لم يذكره فأحمد من أرباب السير منها قوله (كتاب بغداد كتاب بارد غث جامد ما فيه مقصود لقاصد ولا حلة ولا عائد ونحن نطلب الذهب الحمار فيضرب في حديد بارد) ومنها فيما خرب من البلاد الفرجية المغنومة (خراب البلاد في هذا الوقت الضيق لاشبهة في تقية لنفس العدو واصعاقة لافس الملمين وكل من يجمع بهما من يدهه اليأس ما يقع وجاه المولى يعلم ان العدو أخذها من الحرس من في تمام ستين سنة وخفضوها بالانحصار مرة وبالهدنة أخرى وبالقتال مرات وبلا تسو لو كان فيهم خبر ما عجزوا عنها ونحن قد جئنا من العدو المؤنة بجرب البلاد التي كان العدو يريد ان يحاصرها وما ينالها وينصب الخندق والبرج عليها ونخاف التجدد ان تصلها وقوة الاسلام ان يشرب اليها ويتوقع ان يبده المصاف قبل التزول عليها فخر فنانا دام على من لا سلاح له الا أن ياتي السلاح ولا حفظ للبلاد الا ان يخربها فقد زكنا عن اللسان وفرونا قبل المواجهة وزدنا زيادة عجيبة وهوان المنزلة من زعم رجال ونحن نهزم بالبلاد) ثم قال وموت ولا ناعلى عكا حراسه وحفظها وقوة نفس من بها وأهول الاعداء ملكا لايمان لا يشك مولانا ان يجمعه لا يفي بمصر ترا من سبب قرقورة وصلت الى الفرج فجدت من بلاد الجوس في السنة الماضية وانما الزائد سمعته ملك وقد حلك ورأس قد قلع وفائد جيش وقد كبا الحمار) ومنها عند ورود كتاب السلطان اليه يشير بعاقبته من مرض عرض له في شهر رمضان (أسفر بشارته عن ان المولى أناته الذرج وغذاؤه الفرج واستقل بمجد الله ومع وطالت العافية للرض نفع وكان ما في كساه الاولى من نهر في النون من المجد لله رب العالمين فيه أثر ضعف يتقدمه صارقة الخطوط فاما هذا الكتاب الماركة فقد صحت فيه التعرقة وقوت اليد وطلعت النون أهم النمان مطلع الهلال الفطري الذي يشبه الشعر اعيان النون ومنهم من قال

ولاح هلال مثل نون أجادها * بدوب النصار الكاتب ابن هلال

وهذا من أنواع الفراغ الذي ما أوجبه الملوك الاسرته بعاقبة المولى أدائها الله وأدام المصرة بها له والخلق فما يشبهه الماركة الانوار الشمس الذي له في كل مكان أثر ولكل عين به نظر فلا يخفى الله الانوار آثاره والعيون من أنواره وبعد عاقبة المولى قد انتظر الاسلام عاقبته به من المرض الذي هو العدو فيجمع الله تعالى للمولى والخلق بين العاقبتين ويستخدم شكرهم لثمتين فقد حلى الله هذا المرض سيف الله الذي هو المولى وما صقله الاتصدأ به قلوب أعدائه ومن فوائد هذا المرض ان المولى يستأنف العرج حديدا ويستقبل التدبير بنشاط قد حضر واعضاء قد بارها ما كان سبب الضجر) ومنها (وأما تبرم مولانا بكثره الطلبات منه فلا أخلى الله مولانا من القدرة عليها رهنه بخاله ان الله سبحانه يطالبه بحفظ دينه والتي صلى الله عليه وسلم يطالبه بحسن الخلافة في أمته والسلف الصالح من هذه الأمة يطالبونه بمباشرة ما لحضروا وما زادوا على ما فعله المولى وأهل الحرب يطالبونه بازاحة عنهم من الذهب والفضة والحديد وبقية الامة تطالبه بالامن في سربهم والاستقامة في كتبهم والخلافة في سبلهم ونحوه الكرمه تطالبه بالجنة بلغة الله اليها ولعالي الامور أعانه الله عليها واذا عُد دمارا د منه فلا بد ان يعدد ما يسر عليه فقل عدم من الله تعالى قط انصره وهل استجرت به قط عسرته وهل تمت لعدو قط عليه كره وهل بات قط الاراجيا وهل أصبح الاراضيا ألا يعلم ان الله تعالى بذخره من الصالحات ما لم يكن كرهه الا غيره ألا يصحى من سبته من الملوك الى الدنيا فيجوز واعما سبق اليه المولى من الآخرة وهل تعرف رايه فانت تحتها في سبيل الله الارايه وهل يعرف مال يتقى في سبيل الله الاماله وهل يصعق في مجمله الا كتاب الله يتلى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقر أو يرى به الا الخيل تعرض والسلاح يطلب لا اقتراح النشرين ولا أصوات الغن

المغنيين ولا وقائع الكذابين ولا سعيان التمامين ويحق اذا تفرغوا حفظ مولانا بقاء الله على تشييد المملوك فاذا كان مجلس ابن عبد المؤمن بالمسجد فان مجلسه أولى بأن يكون معجداً من كل مجلس ولا غرو ان تعترف المدائح كتعترف الضوال وان تتبعك كالمتبع الطرائد ولينصرت الله من نصرة ولعل المولى عز نصره قد نفذ الى جانب الشمال جماعة فان صاحب انطاكية خذله الله عاث وشعث وخلع الحيمان بأرض قطب الطعن وحده لوقرن أهل عكا وكذلك يفعلون بشيئة الله ولو كن ما هم فيه من جهاد بنية احتساب المسابقة الى الجنة سابق ولا لحقهم بعدهم لاحق فليمن مولانا تفرغوا على كل حال فله ثواب نفسه وثواب من جاهد بسببه فلا أعدم الله الحق واحداً به استقام جميعهم ومالكافام برعا باهم فاقعد ما برعهم وشفيقاً فيهم بنفسه وولده وبأخوته ويتقدم الى الالهوال أما بمالكه وأمرؤه وعسكره وحملته فصكاه منهم مكان بسم الله من الكتاب ومكان الامام من المحراب ومكان النواهي من وجوه الصواهل ومكان الاستمن وجوه الذوايل وخبر ما كان اذا لم تظ نفس بنفس خيراً وأغبر ما كان على محارم الله اذا كانت أنفس المملوك غير غيري وقد اطمانت القلوب الى ان الله سبحانه قد كشف الغمة وفرجها وأطفأ نار الحرب التي كان العدو وأجبتها فما يتوقع من كتب مولانا بقاء الله الان الاسلام قد رضى بما يخط الكفر ولا يسمع من قصصه الذي هو أحسن القصص الآن يقول ما قاله عليه السلام على نبينا وعليه السلام قضى الامر فأما ملك الالمان قد سلبه الله ما أضيف اليه كما كان المملوك رأى في منامه على كوكب واعلم مولانا في من رسالة فقال بقاء الله قد قبلت البشرى بصوره قال ويا ان رسولا جاه من السلطان عز نصره الى المملوك فقال كتب كتابا بشاره ملك الالمان قتل حتى أفكر فقال الرسول اكتب بأن الله قد سلب ملك الالمان ما أضيف اليه والمتمهرون ملك الالمان خرج في مائتي ألف وانه الآن في دوين خمسة آلاف ومنها (ورد كتاب من المهدي الى الاسكندرية فاني رجب بعد ستة عشر يوماً من المهدي وذكر من فيه أخبارا وقد طولع بها ولما تكررت علمت بحمتها وهوان عساكر الغرب الاسلامية نازلة على طليطله وقد انفتحت عدّة حصون كاقرة وان يوزنك وهد بالمهدي موقعا بالحديد وقد نفذه قراقوش الى صاحب تونس ليسير الى بلاد الاندلس موضع تولد ابن عبد الملك المؤمن بالاساكر وان أهل مقلية من المسلمين الى الآن في حرب قائمة بينهم وبين فرنجيها ومعتمون بالجبالي في اعمالها وان عسكر الفرنج قد خرج للنجاد أصحاهم بصفيلة والمسلمون يباعي توقع ورفقة وحلاروخية نصر الله كلمة التوحيد وأهلك كل جبار عنيد وان مراكب فيها أزواد الصنوين دخلت المهدي بآمان من صاحبها فباعته بها وتود منها وانها قاصدة الشام خيب الله قصدها ومنها (وقد سار الجلال الى تنس المجلس العزيزي بحضور فلان وفلان وكلهم مجتهد في الخدمة ولما عرف المملوك انهم لا يطرئون المعنى الذي يطرقة المملوك من تنبيه مولانا على ان يقتصد في الاتفاق ويشتر الانحراج للعلم ان هذا الجرح قد مر منابعدهم وسمع خبر المولى فانه زمر قرارا من سطوة كرمه والبالد ليست الآن كهدها في انقطاع أسفارها ووقوف معانيها وكساد اسواقها وانكسار تجارها ولولم تكن الادراهم سلعة لا تنجز من مصر كما يخرج الدينار لما وجد في كمال الإيجاد الدينار وان تصريف الدراهم بعد ان يصير مستخرجا بذهب شغل شاغل واستخرجا بجان غير الأول وعسى الله ان يأتي بالفتح وأمر من عنده بمجدت للاسلام نصر اعز بنا ولا كفر خذنا ناسرها وجيزا ومولانا خذ الله ملكه من وراء ضرورة لا تقتضي عن المملوك والممالك من وراء ضرورة لا تقتضي عن المولى وصدر المولى بمجد الله واسع وفرج الله منه قريب وهذه الضائق لم يرد الله تعالى من حسن موقع الفرج بعدها فقد أنفق المولى مال مصر في فتح الشام وانفق مال الشام في فتح الجزيرة وانفق مال الجميع في فتح الساحل وينفق ان شاء الله تعالى مال القسطنطينية في فتح رومية والمملوك كلهم كلاؤوا وأماؤوا على خزانهم الى أن يسلموها اليه فذكره الله على ما أخرجه في سبيل الله منها ومعتهم على ما كثره من ذهبها وفضتها فلا يكن في صدر المولى حرج ولا في خلقه فان الله سبحانه لا يضيّق رزقا على يده الكرمه لاسيما وقد أجرى عليها الرزاق خلقه ومنها (ينهي المملوك وصول رسول ملك الروم بمافي محبة من هدية وماعلى لسانه من رسالة وماعلى بدمه من كتاب وحضرين يدي الملك العادل وجرى من الفيا وضماز بدته امتنان الملك بكونه لا يجب رسول ملك الالمان وصاحب مقلية وغيرهم من جيوش الفرنج الى الواقعة على حرب السلطان والخلق طريقهم وامتنع وسدد الدرب سدات وحفظ عليهم الطرق

مكتاب (١٧٨) الروماني

وهي أرباب الحصون بالتبطلهم والمنع؛ ونهم وجعل عذرهم للمتمى موافقة ان البلاد في هذه السنة غالبية الشعر
والمنفعة تقتضي ان لا تكون الحركة الا بقوة وعلى تمكن من الليرة وتناخير الحركة الى السنة الاخرى ثم قال (وهذا ملك
الروم تائف من الغرض على بلده مدافع عن نفسه ان نه الدفع ادعى انهم يبتلون لم يتم ادعائه غائب عن مقصده
ومقصدا وقد جعل ما وروم من ان يقال ان البداركة في مقامه من قبله ولن يتقل من ولاية الفرج الى ان يولي بطاغية
من أهل غله مبيد ايسط بعذر مرفعه عند أهل جسده ورفعه عن نفسه لا سيما مع اقامة الخطبة الاسلامية وقوله
المنبر ونصحه في الصلوات اعز نزال كلمة الاسلام ارفع الله بها الله ويحل بسفها حخته ومولا بأهله الله ثبتت
في الاجوبة ولا يجب الى المعالي الاسلام في مغلضة ولا الى مال الكفر في قوة (ان نصر كلفه فلا غالب الحكم)
ومن كتاب آخر (ومل الى الملوك كتاب ذكر وصول رسول الملك العتيق من قبرس الى مصر بمصيده على ملك
انكليزية ومكاشفته بالعداوة والحرب والله قد كتب السلطان أعز الله نصره ميسل له من نفسه العبودية والطاعة
والظاهرة على ملك انكليزية والخبار متواترة بأن الملك العتيق أحرق موانئ قبرس ووعدها وقطع الميرة عن الساحل
ولا شبهة ان مولانا قد قبل من الملك كورويقوى نفسه على جند الماينة فان في تخاذلهم نصر الاسلام وشغل بعضهم
بعض واقتران كآتهم الحجة وقطع الميرة عن الشام وامن الجانب كثير من جوانب البحر وهذا الملك العتيق قد صار
لمولانا صديقا واسمى العتيق الا لانه صار مولانا عتيقا قالوا لا اعتبار بمعد ينافع صاحب القسطنطينية في ما اتجه
على قبرس فانما ناعا وعدا بما اتجه عليها لما كنت بيد عدو او والله ما أفزع ملك الروم فقط ولا تنفع أن يكون صديقا
ولا ضرر أن يكون عدوا وكذلك صاحب القبرس (والله يصيبك من الناس) وقف الملوك على كتاب بغداد والمقصود
الذي دب لاجله الرسول ما لم يذكر في الكتاب وهي المعونة على الجهاد وعرف امتدادها المساعدة على تكرير وتولو
كان افرار لا كان النظار الصحيح بقضية انهم ابقية في يد من هو الا نهب الكانت في يد المولى بأهله الله تعالى
وهما جرت عنه جرت عنها ما تقول ان ليس لنا قطع الى مله الاسيا وهي طريق الى غيرها وقد فتح الله للمولى
يلا دعي مع ستماضية عن ربوبتها فاحمر الى اولاد كثير الله منهم ما منهم الامن هو متطلع الى طرف وله أهل ما منهم الا
من هو متطلع الى ملكة وأمر اسامهم الامن هو متوقع يادونه اليك ما منهم الامن من يرد أن يوفي الحق عليه في
الخدمة ومن سره المولى لهذا الامر عدم من أصحابه متفعة فيما هو أهم مما سار فيه وما يليق أن يسر الامن من ربه
ما يجوز عنه وهو يكون عنوانا الى الطمأنينة في شك منه من قوة المولى على ما يدوم اسه كما مع القدرة ويري الملوك ان
مطليهم بقدر ودلنا منهم وعد وان كان ولا بد من تسيير فلا يسر الامن بقضي الشغل وتزيد الجعل وما تضمنه
الكتاب البغدادي من عزم الخليفة على الخ في هذه السنة الملوك يستبعد بالاضافة الى الوقت والى عادة أهل
وأخوهم بخال الرشيد رحمه الله ويستقر به بالاضافة الى خلقه وان سار صلح أن يتم بما أشار اليه ابن التمهز زوري ولا شك
انه قد أنسى الرسالة التي توجه فيها بابعتها بنفسه لتنتهية فالتة (هاتنا) وكتب القاض الى السلطان (ينهي الملوك
انه عرف تهمير رجل وصي من العصر القروي وان المؤيد يعني ابن السلطان وكان نوب من أخيه العزيز بمصر أحضر
نايبه الطوائف بها بالدين واستعلم أمرها فذكر ان هرهما صحيح وان أحدهما وهو الهبي من جملة ثلاثة وثلاثين
ولما كانوا اطعوا لوقت الحوطة عليهم بالقصر القروي وقد بلغ هذا وكبر وزاحم عشر من سنة والاخر كان معتقلا
في الايران في دثته خنازير في حلقه وأشفي على الحلاكة فأمر الطوائف بتخله الى القصر القروي من الايوان
وقل حديد وجعل ابتدأ في أوائل سنة ثلاث وعشرين واستمر مرضه ولسنة ضعفه وفي القصر القروي الى ان علم
انه تسحب فآله الملوك عن المستحفظ للقصر القروي فذكر استاذن كان الطوائف أفاضها موارضى أماتها وانما
يذكر ان هذا القصر القروي قد بودثر وأكتوت القسليات عليه ويجاوره اصطيلا في جامعة من
الخربندية والمخددين والأطرق مستمر من هذه الاصطيلات الى من في القصر من السامع منهم كانوا انهم لم يعد
أخرى ان المكان غير يزل والاعتقال فيه صغير وثيق قال وجهت أصحاب الارباع وجيرة القصر ورجوت ترك
الشناعة الظفر بها والبحث واقع عنهما وكتب الهاضل عن السلطان الى العادل وهو بمصر انتهى الى ان بالدار
المصرية وبالخبرة عليه ان جامعة من الفقهاء قد اعتضدوا بجامعة من أرباب السيوف وسطوا السنهم بالسكر

من القول غير المعروف وانتشروا من العصبية ما أطاعوا فيه القوى القضييه وأحباها ما أمانته الله من أهل حجة
المجاهليه والله سبحانه يقول وكفى بقوله حجة على من كان يسمعها طيعا (واعصوا بحمل الله جعلا) ولم يزل التعصب
للذاهب يلا القلوب بالشحناء وشحنوا وقد نهى الله عن المجادلة لأهل الخلاف فكيف بأهل الوفاق الآن يقال
أحسننا وما علمنا أن في ذلك نية تعبد ولا مصلحة توجد ولا هداية تعتد بدراية تقدر ونارعداوة توقد وقلنا أثمرت
المشاجرة الاختلاف ما فاجلس أعز الله بوعز بكف الالسة لخاصه وعقل الاعنة الرأضة فان أقمع بطقه المروءي
والا كانت همة الرأضة ومن عابدها أجزأ بعد عن مستقره وأزعج وليس يسع الحلف ما وسع السلف من الأدب
وليعل العبدان يكتب كتابا إلى ربه فليذكر فيما كتب والى من كتب

(فصل) في ذكر خروج الفرج خذله الله بعزم اللقاء ووصلهم إلى رأس الماء قال العماد ذلك يوم الاثنين
سادى عشر شوال بعد أن رتبوا على البلدم لازم القتال مع ملك الألمان وخرج معهم المركس والكندهرى وأخذوا
معهم عقيق أربعة أيام وزادها واستصحبوا أنجباب الكرمة وانجداها وكان تخيم الزك على تل العياضية فركبوا
وأشغلو القوم بغير أن النصال وأهل وقتل العدو وتلك الليلة على أباركامة حفرناها عند نزلنا هناك وبنواوا الأبرك
زسيم وتشويهم وتعيمهم وأصبحوا يوم الثلاثاء سائر إلى اللقاء ورفع السلطان تلك الليلة النقل إلى ناحية القيمين
وقد امتدت ميمته إلى الجبل صفا ومسرته إلى البحر زحفا وعندده في عين نلبه وأولاده الأفضل والمظاهر وأخوه العادل
في أول المدينة وبليهم حسام الدين بن لا حيم ثم صارم الدين فاجاز النجعى ثم حسام الدين بشاره ومعه بدر الدين ولدم
الباروق فهؤلاء أعظماء دولته وكبراه على كنهه ومعهم أمراء ومقدمون جريئون مقدّمون وكان في المدينة أيضا ابن
صاحب الموصل وعز الدين بريدك النورى وعلى يسرته صاحب سخاير وصاحب الجزير روتقى الدين وابن المشطوب
سيف الدين وخشعين والأمراء الحكام والحميدية والرزازية والمهرانية وأمرأ القبايل من الأكراد ورجال
الملقة الخاصة واقفين في القلب وضرب السلطان خيمة لطيفة بقرب الخزوة على تل مشرف وفي مرج عكا عين
غزير لما يجرى منها نهر كبير إلى البحر فسار الفرج في ذلك اليوم شرقى النهر حتى وصلوا إلى رأس الماء وشاهدوا
موافق أهل النجيين إلى الهجاء فأنحروا إلى غربى النهر وتزلوا واعتزوا بالاحتراز واعتزلوا فانقض السلطان اليهم
الجالشيه وانتظروا من الله في كسرهم المشيه فاستداروا بمر كرههم وأنخروا فيهم بالقتل ورضوا وبالبايس قضا
وبالنصال قرضا وبالأسنه وخزوا وحضا وقضا فيهم من حق الجهاد أسنة وقرضا وكان المراد أن يجهتوا فيشوزوا
حتى يلقاهم ويوروا غاراموا مكاتهم وأصبحوا يوم الأربعاء أرباعا كيين وحس سبيل اللقاءنا كيين ووقفوا على
صهوات الخيل إلى ضوة النهار والراجل يمدق بهم كالأسوار وأصحابنا قد فرأ منهم حتى كادوا يمتطونهم
وأرادوا يباسطونهم والسلطان بعد الرماة بالأماء والكجاة بالكماء وهم ثابتون ثابتون سا كنون سا كنون ونحن
تقول لعلهم يحملون ويغضبون فيجهاون فذة كن من تفصيل مجلتهم يحملتهم وتفرق بجماعتهم وأحسن العدو
بالضعف وانهم متروطين الخلف فاجتوا لجهزهم عن الدفاع إلى الادفاع وساروا عادين على هيئة الاجتماع
والنهر عن يمينهم والبحر عن يسارهم وقد أيقنوا ان مع منهم الثبات يانكسارهم وأصحابنا نحو اليهم ورائهم
يفرقونهم في دماهم ويشاؤونهم ويقولونهم ويشلونهم من ماء الحديد ويعلونهم وهم يهتفون في سكوت ويتظاهرون
في كون ويتذوقون في جود ويتلهبون في خود وكما صرع منهم قتل جاوره وستره وطمواد فقهوه طوره حتى
يتخى أمرهم ولا يصع دينا كسرهم وتزلوا لسة الخدس على جمر دعوق وقطعوا الجمر حتى منع عبورنا اليهم
ويعوق وأبلى المساقون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا وأتوا كل ما كان فيهم استطاعا كجنا وبذا بالازاويل هذا
اليوم جهده وفل في قل جهدهم حده وكذلك سيف الدين يلكوب عام في بحرهم وقام بأمرهم وأصبحوا يوم
الخميس إلى نار الوطيس ووصلوا إلى مرضهم ولم يحصلوا على غرضهم وقص منهم خلق وعدنا إلى الخيام ظاهرين
ظفر الكرام فحين بذل الكفر وعز الاسلام وعرف الفرج شمشاق خزيهم وانخاف سعيهم فاحترزوا من الهلكه
وما عادوا إلى مثل هذا الحركة قال القاضي وكانوا قد جعلوا أرباع لهم وراهم يضرب الناس بالزورق والنشاب
حتى لا يترك أحد يصل اليهم إلا بالنشاب فانه كان يطير عليهم كالجراد وخيالهم يسير ون في وسطهم بحيث لم يظهر

كتاب (١٨٠) الرضتين

منهم أحد في ذلك اليوم أصلاً وعلم العدو ثم رفع على عجلة وهو مفروس فيها وهي تعصب بالغال وهم يدنون من العلم وهو عال جداً كالمنارة رفته يابض ملوح بحمرة على شكل الصلبان ولم يزل الواسطرين على هذا الوجه حتى وصلا وقت الظهيرة إلى قسالة حصر دعووق وقد ألجمهم العطش من شدة الحر وأخذ منهم التعب وأختصم الجراح وكان الفعل معظمه لليلة المنصورة في ذلك اليوم فانهم أذاقوهم طعم الموت وخرج منهم جماعة كانا بالطويل فانه قام في ذلك اليوم أعظم مقام يحكى عن الأوائل وخرج جراحات متعددة وهو مستمر على القتال وجرى سيف الدين بأركوج جراحات متعددة وهو من فرسان الاسلام وشجعانه وله مقامات متعددة وخرج خلق كثير في ذلك اليوم وعزم السلطان في تلك الليلة على كبس بقيتهم في الخيم وكتب الى البلديع فهم ذلك حتى يخرجواهم من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فلم يصل من أهل البلد كآب فرجع عن ذلك العزم بسبب تأخر الكآب فلا أصبحوا كآب السلطان الناس عن القتال خشية أن يقتالوا فان العدو كان قد قرب من خيمه ووقف الاطلاب في الجانب الشرقي من النهر يسير قبالة العدو حتى وصل الى خيمه وكان لهم فيها اطلاب مستريحين فخرجت على البزك الاسلامي وحملت عليهم وانتشب القتال بينهم فقتل من العدو وخرج خلق كثير منهم شخص كبير فيهم مقدم عندهم وكان على حصان عظيم ملبس بالزرادى حافره وكان عليه لبس لم ير مثله وطلبوه من السلطان بعد انفصال الحرب فدفع اليهم جثته وطلب رأسه فلم يوجد عدا السلطان الى خيمته واعيد النخل الى مكانه وعاد كل قوم الى منزلتهم وكان عباد الدين زنتكي غائباً بنفسه سمع النخل لم يرض كان به وبقي عسكره فعدا وقد أفلتت جماعة بقي التياض خارج السلطان وهو كان سبب سلامة هذه الطائفة الخارجة لكونه لم يقدر على مباشرة الامر بنفسه ولقد أكرم الله الله وهو يبي في حال الحرب كيف لم يقدر على مباشرة القوم ورأيناه وهو يأمر أولاده واحد بعد واحد عصا خلف الامر وغنا طلبة الحرب ولقد سمعت منه وقال يقول ان الوخم قد عظم في مخرج عكا بحيث ان الموت قد كثرت في الطائفتين فاشتهت متلا

أختلاني وما لكأ * واقتلما لكأمي

ير بذلك اني قد رصبت بان اتلف انا دألتف أعداء الله وحدد بذلك قوة عظيمة في نفوس العساكر الاسلامية وكان مرض السلطان هو أحد الاسباب الحاملة للفرغ على هذه الحرب كتمنضها الى كثرتهم وشدة الغلاء والمجدب عليهم

(فصل ١٠) في وقعة الكين وغيره وادخل البديل الى عكا قال العادلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرون من شوال اتخبط السلطان من اجناده عذره وكثر لهم العذره وأمرهم أن يكونوا في سفح قل هوشما الى عكا بعيد من عسكر العدو بقرب المنزلة العادلة القديمة عند الساحل فكنوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركب منهم عذرة يسيرة وساروا نحو القرية وصالوا عليهم وأناروا فاستقبلهم الفرج فخرج اليهم زهاء أربع مائة فارس هكذا قال العادل في البرق وقال في النسخ مائة طلاري وكذا قال ابن شذاد ما تافاوس وطعمه وافي السليمان فأناروا قدامهم قليلاً قليلاً حتى أروا صولهم الى النكمين فخرج عليهم أسد العرين وقتلوا وأسروا واستولوا عليهم بأسرهم فلم ينج منهم ناج ووقع في الاسر مائة من أكاربهم منهم خازن الملك وجماعة من الافرنسية وركب السلطان فرساً به البشارة ووقف على نزل كيسان وقد توافقت اليه الاسرى والاسلاب فترك الاسلاب واحتيل لا أخذها وكانت مقومة بمال عظيمة فأغارها رافالو زردأمر فيها وجلس وأحضر الاسرى واسطهم وأطعمهم وكساهم وأذن لهم في ان يسروا غنائمهم لاحضار ما يريدون احضارهم ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقالة قال القاضي ابن شذاد ولما هجم الشتاء هاج البحر وأمر العدو من أن يضرب بمصافي وان يسالغ في طلب البلد وحصاره من شدة الامطار وتوازرها أذن السلطان للعساكر في العودة الى بلادها ليأخذوا نصيباً من الراحة فعماد الدين صاحب سنجار خامس عشرى شوال وعقبه ابن أخيه صاحب الجزيرة بعد ان أفيض عليهم من التشريف والانعام والتحف ما لم يعم به على غيره هارواراه الدين ابن صاحب الموصل في أول ذي القعدة مشرفاً مكرماً وسار الظاهر في الحر سنة ست سبع وبقى الدين في صفر منها ولم يبق عند السلطان الا نفر يسير من الامراء والحلقه المتناصه قال العادل واشتغل السلطان باخذ البديل الى عكا وحمل المرو والذخائر وأخرج من كان بها من الامراء لعظم شكائهم

من طول المقام بها معاناة التعب والمهر ولازمة القتال ليلانهارا وكان مقدم البذل الداخل من أمراء سيف الدين المشطوب دخل في سادس عشر المحرم سنة سبع وفي ذلك اليوم خرج المقدم الذي كان بها وهو الأمير حسام الدين أبو الهيثم وأصحابه ومن كان به من الأمراء مع المشطوب خلق من الأمراء وأعيان من الخلق وقدم على كل واحد أن يعطيه مئة مئة كاملة وانتقل العادل بمكره إلى حيفا على شاطئ النهر وهو الموضع الذي تجل منه المراكب وتدخل إلى البلد وإذا خرجت قهرج إليه فأقام ثم بحث الناس على الدخول وتقرس البرواقيش التي لا تخرق الباب من العدو من يتضرعها وكان عداها على الباب مع بعض عداة ميمونة وخار وبنقات كانت وصلت من مصر وكان دخولها يوم الاثنين ثاني ذي الحجة فأنكر منها مراكب على العسكر الذي هو قريب الميناء فاهلك كل من في البلد من المقاتلة إلى جانب البحر إلى البيطس وأخذ ما فيها وما علم العدو وأتقلا المقاتلة إلى جانب البحر واجتمعوا في خلق عظيم وزحفوا على البلد من جانب العز حفة عظيمة وقاربوا الأسوار وصعدوا في سلم واحد فاقبهم السلم كما شاء الله تعالى وأدركهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا عظيما وعادوا ثمانين خاسرين وأما البيطس فان البحر هاجهم فاعطوا مضرب بعضها بعض على الحضر فهلك جميع ما كان فيها وهاك فيها خلق عظيم قيل كان عددهم ستين نفرا وكان فيها مائة عظيمة لوسلت لكفت البلد سنة كاملة ودخل على المسلمين من ذلك ومن عظيم وخرج السلطان ففكر في ما يشاء وكان ذلك أول هلاكه أخذ البلد وقال العادل ما دخل الشام وعصفت الأهوا ووقع في سفن الفرنج الكسر فلهذا إلى الجزائر لا احتياط وخافوا عليها من احتياط البحر وهاك في الفتح قل الفرنج فسفهم خوفها عليها إلى مرفق بطوها بها فخلوا وجه البحر من مراكبهم وحصل الأمن فيهم جانبهم وكان أصحابنا في البلد قد ملوا فشكلوا ضربه وخبرهم وكانوا زهاء عشرين ألف رجل من أمير ومقدم ورجل وأسطول وبعري ومعيش وتاجر وبطال وغلان ونواب وعمال وقتل عندهم عليهم المرفوج فرأى السلطان أن يفسح لهم فيموت قاهم ورافه وما أكران في ذلك خيفة ورافه وأشير على السلطان بترتيب البلد وتكفل العادل بذلك وانتقل بجمعه إلى سفح جبل حيفا فاقطع النهر وتهدم جميع السفن لثقل واجتمع المسلمون بالساحل على الرمل من غير أمره انتقل وكان الرأى إزاحة على المقيمين فانهم قد جثروا وصبروا وخبروا وهم كنفس واحدة وكافوا في ثروة وكرم ونحو موقفهم أبو الهيثم والمعين ولها اتباع وأشياع وله في شرع السماحة امتدادا السلطان وأوضاع ولعله أنفق من ماله في تلك السنة خمسين ألف دينار فافسح لهم في الانتقال لأجل الاستبدال لثقل ذلك الضم وانتقل ذلك النظم ودخل إلى هكاهن لم يضر حصارها ولم يضر منافعها ومضارها وما نبت من كان مقيما بها إلا الأمير بهاء الدين قراقوش ودخل عشرون مقدما وأميرا شبه المكرهين عوض ستين واستغفرت الرجال وأغثت الأموال وقصاوت الداخلون والخارجون فلاجروهم وقع الوهن وقضى الأمر وتكفل بالداخلين المشطوب وضاع الزمان وتعدوا الامكان يعود مراكب العدو فلم يستم البلد ما كان يحتاج اليه من الرجال والأموال فان كل من غير الدخول كره هو صار يتوسل في أن يعفى ويسدل في نفسه الفداء ثم ما حقت كلمة الدخول على من تعينه له استعملوا ما نابتوا من قبله فدخل ولا تخاذ قضاء الله تعالى أسباب لا يضمن وقوعها

(فصل) في ما في حوادث هذه السنة قال العادل في ليلة سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فانهم الثغور بادر الفرنج اليه ليلاء أهل البلد وسدوها بصدورهم وقالوا لعنوا إلى ابن بنوها وعادت أقوى مما كانت وفي ثاني ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان وكند كبير يقال له كندنيان مرض الكد هوى بصلر يموت من الفرنج في كل يوم المائة المائتان ووزن الفرنج على ابن ملك الألمان خزنا عظيميا واشعلوا نيرانها ناله بحيث لم تنسج حيلة الا اشتعل فيها النيران والنسالة بحيث بقي عسكرهم كله مارقا وحصل للمسلمين غنائم أكثر كثيرة في سراياهم وأساطيل بحرية ومن جهة تلك ملوطة مكحلة بالبلو وتوسطه وبازار الجورهم بوطه قبل انهم من ثياب ملك الألمان وكان قد استأمن من الفرنج خلق عظيم أخرجهم الجميع النيا والبالا السلطان نحن نقوض البحر في براكم ونكب من العدو ويكون الكسب يمتنا وبين المسلمين فأذن لهم في ذلك وأعطاهم ركوسا وهو المركب الصغير فركبوا فيه وظفروا براكب لبحار العدو بضاعتهم معظمها فقتلوه صوغا وغير مصوغه فأسروهم

وكبسوهم وأحضر وهم بنى السلطان فأعطاهم السلطان جميع ما غنوه قال العماد فلما أكرهوا بهدملكهم
أنواع على البدل منه وأسلم منهم مطهره وأحضر ولما نذرة فضاة عظيمة عليها مكبة عالية ومعها طبق ياتلها في الوزن
ولو زنت تلك الغنيمات لقارت خطارها فلما رآها السلطان طرقا احتقارا قال واستشهد في عاكسة من الأمراء
منهم الأمير سوار والتي في هذه الشنوشاني المسلمين يشوان الفريخ في البحر فأقرحت لكثرة شوان البر الحادوا كان
عند العودة تأخرنا شينتي مقدمه الأمير جمال الدين محمد بن ابرص كركر فأطاحت به من أكاب العدو وقوا تقع ملامحه
الى الماء وعلوه الى البلاة قتل وصبر فصرخوا عليه الامان فقال ما أضعدى الا فيد مقدمكم الكبير فلا يخاطر
الخطر الامع الخطير فجاء اليه المقدم الكبير ونظن انه قد حصل له الاسير فقاموا معه وقوى عليه وما فارقوه
ودفعوا البحر وغرقا وترافقا في الجماد واتفقا وعلى طريق الجنة والنار اقرقا واستشهد ايضا الأمير نصير الحميدي
قال وفي تاسع جمادى الاول قتل القاضي المرتضى بن قريش الكاتب في خيجه قتله شريك في دار بنابلس
أراد على يدهما أخرجه من خيجه فوجد قاضي نابلس قتله وضربه وأمهله ومرا ليجوا فادرك وضرب بهود خيجه
فأهلك واستكتب السلطان أن الاستدعاء مكانه فليبلغ في الاحسان ميقاته قال وفي هذه السنة ورد كتاب سيف
الاسلام أخى السلطان من الدين بك كرسيلاه على صنعاء وامقناية ولده شمس الملوك فيها قال ووصل القاضي
الفاضل من مصر الى المعسكر المنصور في ذي الحجة وكان السلطان منشوقا للقدم ومطالعة البين لقيته عنه
سنتين على ان امور المالك بمصر كانت بحضوره مستتبه وقد جمع للملك الزين مقامه هيبه ومحبه وكان السلطان شديد
الوثوق بكانه دأب الاعتماد والاستناد على احسانه والى اركانه فلما استقدمه صنف على ما واورا من اللهام وان تركه
قال وحشة التفرد بالقضايا والاحكام وكان يكتبه يشرح الاحوال يستنيره والنصايين منقردون بالمكاتبين
والخطاطين والاستشارة في المهمات فوصل الى القدس واعتاق شوانى الامطار ثم وصل الى ذي الحجة ورجع
الفضل واجتمع الشمل واستأنس الملك بصاحب دينه وتأسس ركنه برأى مشيره خلف وفي جمادى الاولى من
هذه السنة ترقى بالوصول فاضى الفضاة يحيى الدين ابوامد محمد بن فاضى القصاة كمال الدين بن الشهر زورى وقد
أنهى العماد الكاتب عليه في الحريدة ثناء كثيرا وأثنى له اشعارا حسنة من نبال التوحيد

- قامت بآيات الصفات أدلة * قصمت ظهور أئمة التعطيل
- وطلائع التنزيه لما أقبلت * هزمت ذوى التشبيه والتعطيل
- فالحق ما حصرنا اليه جميعنا * بأدلة الاخبار والتسجيل
- من لم يكن بالشعر عبقرياً فقد * ألقاه قرد الجهل في التفضيل

وله في مدح العصاة رضى الله عنهم

لا تسمى في هوى الهوى * بقار جمع الى سقر * لا بلغت المنى ولا * نلت من رضك الزور
كيف تنهى عن حباقوا * هم السمع والبصر * وهم سادة الورى * وهم صفوة البشر
فأبو بكر المقدم * من بعده عمر * ثم عثمان بعده * وعلى على الأثر
أبى الزاضى حبلىك فخلق قد ظفر

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ففتحنا وصل الى الفريخ ملكا فرنسيس ومعه كتكتيرة وغيرها وأخذت عكاير
الله فتحها قال العماد والقلم في حلالته والبحري هيئته والسلطان مقم بمخيه على شفرهم ولطف الله به قد
خص وعم والعماد بنحيم فاطع نهر حيفا على الرمل وسفن البديل الى عكا الى البحر متلة السبل والفريخ مسجون
على الحصار مقرزون من الاجلار وثوب البرك راتبه ووظائف الجهاد ما تلبيه ووصل من الديوان الفرنسى مثال
ومعكم كاتبة الملك الافضل وفيها اكرام واجلال وهزل وافضال وفي ثالث صفر رحل تقي الدين لتسلم البلاد الى
أضيقت اليه شرقى الفرات وكان له بالشام المعرة وحما وسليه وجبله والاذقية والجزيرة ياربك وحران
والرها والمزور ومجسلا وضياها وميا فارقين وحضرها واعمالها وقلعها وسار على انه يرجع عن قرب فأبطلها
وتشوق الى اقتحامها بياضه من البلاد وسار الى ميا فارقين فكان السلطان ينسب ما جرى من استيلاء الكفار على

في أخبار (١٨٢) القوتين

عكا بعد قضاء الله تعالى الى غيبته فانه تأخرت حركات تلك البلاد الشرقية لحوق مضرتة وجور مجاورته وسيأتي ذكر وفاته في آخر السنة ووصل كآب المجاهد أسد الدين شيركوه انه أغار على جسر الفرج ببطر الماس فاستاقه ولم يبق الكفار لحاقه واخضع لحاصته من أربعائه رأس تلف في الطريق منها أربعون غنم اجارا وغنما وأغسل للمجاهدين في ذلك ربيع صفر وفي ليلة هذا اليوم ألقوا الحجج بكالعدو على الزيب فذكرته وكان فيه خلق عظيم منهم ففرق بعضهم وأسرى بعض وبقيهم أسرا فكان حينا وقبيلة أول ربيع الأول خرج أصحابنا من البلد وجمعوا على العدو وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم من خيمهم جماعة منهم انتاعوا قمارا وفي ثالث ربيع الأول كان البرك للسلطنة وخرج اليهم من العدو خلق وجرى بينهم وقتل حتى قتل فيهم من العدو جماعة منهم مقدم كبير ولم يبق من المسلمين الا نادى روى صغير عثر به في الحلة فترسه يسمى قراقرش وكان شجاعا له قهقان وفي تاسع ربيع الأول بلغ السلطان ان العدو يضر من طائفة لا احتشاش فأمر العادل أن يكن بالهسكر خلف التل الذي كانت فيه الوهمة المعروفه وسار هو فكن وراقت العاضية ومعه من أولاده الصغار والقاضي الفاضل وانذر الفرج فلم يخرج منهم احد ووصل في ثمانية ايام ذلك اليوم خمسة وأربعون أسيرا من الفرج أخذوا في بيروت فيهم شيخ كبير هرم لم يبق في نفسه ضرر ولم يبق فيه قوة الا مقدار ما يتحرك فساله عن بيت فقال للرجع الى قاصية وبينى وبين بلادى مسير تأشير فرق له وأطلقه واعادته الى العدو را كاعلى فرس وطلب أولاده الصغار ان يأتوا فلم يبق في قتل أسير فلم يأتوا وسئل عن ذلك فقال لا يبعدا وامن الصغر سفل اللهم ويهون عليهم وهم الا أن لا يفرقون بين المسلم والسكران ثم أقبل الى ربيع ثوانف العساكر وواجهوه ما فوصلت في شهر ربيع الأول فأولئك من قدم الامر على الدين سليمان ابن منذر صاحب قلعتي عزاز وخراس وهو شيخ له رأى وتجر به وتزلة كبرية ومير تبه والملك الامجد صاحب بطليق وبرد الدين مودودي الى دمشق في رجا الحسم وابطال الحسم وفي كل يوم يقدم امير بعد امير وانه يتولى التسدير وكان قد شاع الخبر بأن ملوك الفرج في حراسين وهم حاشدون حاشدين فوصل ملك افرنسيس قليب في عدة من هيئة الصليب ثاني عشر ربيع الأول في ست بطس عظام ملوذة يفورس ذوى اقدام قتلنا ما جل الماء الا اهل النار وما أجب الله وابر الا الدبار وكان عظيماء عندهم من ككبار ملوكهم يتقادون له بحيث اذا حضر حكم على الجميع صلاوات واعادته حتى قدم ومحب من بلاد باعظيم عندهما مثل الخلق ابيض اللون نادر الحسن وكان يمز ويحب حبا عظيما فطامه يده حتى سقط على مور عكا فاصطاده اصحابنا وأنفذوه الى السلطان وبذل الفرج فيه ألف دينار فلم يجابوا قال القاضي بن شداد لقد رأيت وهو يضرب بالي الباص مشرق اللون مارا بت بازيا أحسن منه قال العماد وكان مع هذا الملك بازيا شهب ككاسه عند ارساله مارا تلعب ففارقته يوم وصوله بحيث يحجز عن حصوله وكان في ظن الفرج انه يقدم في جمع جم فلما رأوا وجهه قليلا سقط في أيديهم فوعده بمال يمدد خلفه قال القاضي وقدم بعده كندفري وكان مقدما عظيما عندهم مذكورا كان حاضرا مع حمارم عام الرملة وفي ثاني عشر ربيع الآخر وصل كتاب من الملك فدان جماعة من المستأمنين تروا حاجتهم من جزيرة قبرس في عيد لهم وقد اجتمع جمع كبير في قرية قريبة من البحر وانهم صلو معهم صلاتا لعبد فلما فرغوا من الصلاة تضرعوا على كل من كان في البيعة من الرجال والنساء عن آخرهم حتى القسيس وجلوهم الى مرا كبريم وساروا بهم الى اللاذقية وكان فيهم سبع وعشرون امرأة وكانوا قد اغلقوا باب الكنيسة عليهم لئلا يذروا قلاتهم وأسروهم بأسرهم وكسوا جميع ما في الكنيسة من الاتعة والاعلاق النفيسة واقتسموها ووصل الى كل واحد على ما قبل أربع آلاف درهم من النفقة النقرة كذا في كتاب القاضي وقال العماد في الشعب وتيل حصل لكل واحد منهم على كثرتم أربع مائة درهم وجمع جماعة من العسكريه على غم العدو فأخذوها وكان عددها مائة وعشرين رؤسا وركبوا في طلبها بأسرهم فبخلهم ورجلهم في أثرهم فلم يظفروا بباطل ولم يرجعوا بحاصل قال العماد كان عز الدين سامة متولى بيروت ولم يكن لمرآك العدو بد من الجواز بها وأجبرها واذ عجزت أخذت وان كانت مستعدة لتعربها فتم هور جاله مقام خلعت له ادخال الفتي وكثرت في المعز فزواته ووصل ملك الانكليزية الى قبرس في السادس والعشرين من ربيع الآخر واشتغل ببعض الوصول الى عكا حتى أخذها عنوة من صاحبها وكانت مقدمات سفنه قد وصلت فاستولى سامة على

خس منها ملو قوترا لاجل اونداءه او اولا و خيلوا كان في الزيب وهو شمالى عكا طائفة من المسلمين مجهزون السفن الداخلة الى عكاو يقطعون الطريق على الفرنج قال القاضي وكان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام العدو فيسرقون منهم حتى الرجال ويخرجون فآخذوا ذنبا لطفلا رضيعا له ثلاثة أشهر فلما تقدمت أمه باتت مستغيبة بالويل والكرب في طول تلك الليلة حتى وصل خبرها الى ملوكهم فقالوا لها ان السلطان رحيم القلب وقد أدناك في الحروب الى حرج اليه فاخرجي واطيعيه منه فانه يرده عليك فخرجت تستغيث الى الزنك الاسلاي واخبرتهم بواقعها فاطلقوها واخذوها الى السلطان فأتته وهو راكب على تل الحنروبة وأثنى خدمته وفي خدمته خلق عظيم فبكت بكاء شديدا و امر غت وجهها في التراب فقال عن قصتها فأخبروه و فرق لها ودعت عينه وأمر باحضار الرضيع فحضره و وجده قديس في السوق فأمر بدفعه الى المشتري وأخذته منه ولم يزل واقفا رجا الله عليه حتى أحضر الطفل وسلم اليها فأخفته وبكت بكاء شديدا وصحته الى صدرها والناس ينظرون اليها ويرون وانا واقف في جملتهم فأرسلت معا ثم أمر بها فحملت على فرس وألحقت بمسكهم مع طفلها قال فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس الانس اللهم انك خلقتها رحما فارحمه رحمة واسعة آمين قال وفي ذلك اليوم وصل ظهير الدين ابن البكرى وكان مقدما من أمر الموصل وصل مفارفا لهم طالبا خدمه السلطان

(فصل) في مضايقة العدو وحله الله لكاي سراقه فقها واستياهم عليها قال العمدة لما كان يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف الفرنج الى عكا ونهبوا عليها سبعة مجاثق ووصلت كتب من عكا الى السلطان بالاستغاثة والاعطيم والتماس شغل العدو عنهم فركب السلطان بعسكره وكان هذا بأبيه معهم كباياو البلد ناهم فاذا زحف البهر جمعوا عن الحضر واذا رجع عنهم عاد وودعوا علامة بين السلطان وأهل البلد انه متى زحف الفرنج عنهم دقوا كؤسهم فتدق كؤس السلطان ايا به لم واستبعد السلطان مغزله فتحوّل الى تل العياضة ناسع جمادى الاولى ووصل ملك الانكثيرة في عشر جمادى الاولى من قبرس معه خمس وعشرون قطعة وهو في جمع شاك وبجر ذلك فيلبي الثغر منه بغير البلا الا في هذا مجاثق الكفر على الوعى مقبىه والرى مدبىه وتكن الفرنج بها من الحندق فدروا منه دنوا المحنى وشروا في هجمه واسرعوا الى طمه وداموا رمون فيه جثث الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه قنابلهم ويحلقون اليهم موتاهم وأصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد استعصوا فترقين واقترقوا فحين ففرق بيني الحندق وما لقي فيه وفرق في بقار العدو ويلاقيه قال القاضي ولقد بلغ من مضايقتهم البلد وبالعظيم في طم خندقه انهم كانوا يلقون فيه ودى وبهم وكانوا اذ اخرج منهم واحد رجاحة مشننة ممشقة القوة فيه وانقسم أهل البلد اقساما قسم ينزلون الى الحندق ويقطعون الموى والدواب التي يلقونها فيمقطع السهل نقلا و قسم يقولون ما يقطع ذلك القسم لا يلقوه في البحر وقسم يذبحون عنهم ويذبحون حتى يتكفوا من ذلك وقسم في المخنقيات وراحة الاسوار وأخضعهم الشعب والنصب وتواترت شكايهم من ذلك قال وهذا ابتلاء لم يزل به أحد ولا يصبر عليه جلد هذا السلطان رجا الله وقطع الزحف عنهم والمضايقة لهم على خنادقهم بنفسه وخواصه وأولادهم يلاونها راحتي يشغلهم عن البلد وموتوا مغبين فاتهم الى برج عين البقر وتواترت عليه أحجار المخنقيات ليلا ونهارا حتى أثرت فيه الاثر اليين وكما زادوا في قتال البلد زاداد السلطان في قتالهم وكس خنادقهم والمجوم عليهم ودام ذلك حتى وصل ملك الانكثيرة قال وفي مادم عشر جمادى وصلت بطسمة من يبرون عظيمة هائلة مشهورة بالالان والمير والرجال والاباطال المقاتلة وكان السلطان قد أسمر بتبعتها في يبرون وتوسيرها ووضع فيها من المقاتلة خلقا عظيما حتى تدخل الى البلد سائمة العدو وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا فاعترضها ملك الانكثيرة للملوع في عذة سواي قبيل انها كانت أربعين قطعة فاحتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها وجرى القضاء بان وقف الحوام فقاتلوا قتالا شديدا وقتل من العدو عليها خلق عظيم وأحرقوا على العدو شائبا كبيرا فيه خلق كثير فهدكوا عن آخرهم ونكازوا على أهل البطسة وكان مقدمهم رجلا جديدا شجاعا عجزت بالى الحرب اسمه يعقوب من أهل حلب فلما رأى امارات الغلبة عليهم قال والله لا تقتل الا عن عز ولا تسلم اليهم من هذه البطسة شيئا ففرعوا في البطسة من جوانبها بالمعاول يهدمون بها حتى فحقوها من جانب أبوابها ثلاثاء وعشر في جميع من فيها

وما فيه من الآلات والمبرول ينظر العدو منها شيء أصلا وتلقف العدو بعض من كان فيها وأخذوه إلى الشواطئ من البحر وخلصوه من الفرق ومشاولوه وأغذوه إلى البلد ليخبرهم بالواقع ووزن الناس لذلك حزنا شديدا والسلطان يتلقى ذلك سيد الاحتساب في سيد الله تعالى والصبر على بلائه قال وكان العدو والمخوذول قد صنع دبابه عظيمه هائلة أربع مائة من الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تعلق على السور ويركب فيها القاذوة وفي أهل البلد منها خفا عظيميا وحدثتهم فروعهم بطلب الأمان من العدو وكانوا قد تروهم من السور بحيث لم يبق فيها وبين السور الأقدار خمس أذرع على ما شاهدوا وأخذ أهل البلد في تواتر ضربها بالنفط ليسلوا منها راحتي قدر الله تعالى حريقها واستعمال انذارها وتظهر لها ذؤابة نار تحول السماء واستندت الأصوات بالتكبير والتهيل ورأى الناس ذلك حيرا لذلك ألوهن وعوا لذلك الأروعة فعدتمة وابنا ساعد ياس وكان ذلك في يوم غرق البطشة حال الحماة فكان ذلك تسميتا لتلك العطسة ثم جرى بعد ذلك عدة وقعات في هذا الشهر وهو جمادى الأولى وهجم المسلمون خيم العدو ونهبوها ووصل رجل كبير من أهل ما زبدان يريد القرية فوصل والحرب فاقعة فحمل حمله استشهد فيها في تلك الساعة ثم لزم الأخبار واصل من أهل البلد ما يستحال أمر العدو والشكوى من ملازمهم قتالهم ليسلوا منها راحتي ما ياله من الذل العظيم من تواتر الأفاعيل المختلفة عليهم من حين قدوم الانكليزي الملعون ثم مرض مرضا شديدا الشفي فيه عذاب الحلال وجرح الأفرنيس ولا يزيدهم ذلك إلا أصراروا وعزوا وهرب إلى السلطان خادما من ذكر انهما لا اختلثا الانكليزية ولهما كان يكتمان إيمانهما فبعدهما السلطان وأكرمهما وهرب أيضا الماركيس منهم إلى صور وكان قد استشهد ومنهم ابن يجر جوامكها عن يده قال الحماة في البرقي ولما أعوزت الفرغ في الخيل وأعجزتهم تفاهل تدابرهم والجل وذلك ابن جرحهم الحسبية اسرقت وسبائرهم ودباباتهم وبكاشهم وزعت ومنعت ومنعت فاهاء واقام خيامهم صوب عكنا لاس التراب مستظلا ورفضه كنيدها ثم تقاهوه وتولوه وكانوا بقية من وراءه ويحذون إلى قدماه تراه ويقربون إلى قرب البلد فراه فهم من خافه من الشكايات محجوبون يسبون ويذبون ويذرون الحسب الزنون والبل المخوذول إلى البلد قد أهبوا على أهل البلد لانقل فيه النار ولا يصل إلى دفعه الاقتدار حتى صار من المدينة على نصف غلوة منهم وري بكل جمره ورجم فابز بد في كل يوم الاثرا وما يجر في كل وقت الاخطار وحيوا وكان الاصحاب يجرحون من البلد اليه ويقاتلون عليه ويطيقون بحول الله واليه ومن كتاب فاضلي إلى الديوبان (ما قطع الخادم الخدم الا انه فداضه واسأ من المظالم بغير هذا العدو الذي قد استمر أمره واستمر أمره فان الناس ما سمعوا ولا رأوا وعدوا حصارا محصورا عامر امصورا فتحصن بخنادق يمنع الجائر من الجواز ويعوق القرض عن الاتهاز ولا تقصر عديتهم عن خمسة آلاف فارس ومائة ألف راجل وقد أقنأهم القتل والاسر واكتمها الحرب وقامه النصر وقد أمدهم البحر بالبحار وأمان أهل النار واجتمع في هذه الجوع من الجيوش الفرة والاسنة الأعجمية من البحر معدوده ولا يصور في الدنيا وجوده فها هم يقولون إلى الطبيب

تجمع فيه كل لس وأمة * خايمهم التحديد الاتراجم

حتى انه اذا أمر الاسير واستأمن المستأمن احتج في فهم لفته إلى عذرتهم بغيره يسقل واحد من آخر ويقول نان ما يقول أول والثالث ما يقول نان والاحباب كاواو لبا وصبروا إلى ان هروا وتجلدوا إلى ان تبدلوا والناس كراحتي فصل من المكان اليه لا تصل الا تذكل ظهرا وقل وفردا يضيق باليكارس صدرها ولا تستفتح الا بطلب الدستور ويصير ضجرها مضر بالبيعة عند العدو والمخوذول ولهم قاتله الله تعالى في المكافأة فاهم فلوامرهم بالارحمة وأخرى بالمجنبيات وردا فبالدايات وما بعة باليكاش وآونة بالالع وبومة بالنقب وليسلا بالسرابات وطاويرظم الحفادق وأنا نصب السلام ودفعه بالزحرف في الليل والنهار رسالة في البحر فلما كتب ثم شرعوا فاهاء وفي وسط خيامهم ما ناطم مستظلا يشبه السور من التراب وللا تشبه الابرجة مدورة ورفوها بالاشباب وعالوها بالحجارة فلما كملت أخذوا التراب من ورائها ورموه قدماها وهم يتقدمون أول أول وترتفع حلالا بعد حال حتى صارت منه كنصف غلوة قسم وقد كان الحجر والنار تواران في أبرجة الحشب وهذا ما راج واستمر للرجال بالمجنبيات

من العطب لا تؤثر فيها الحجارة الراميه ولا تعمل فيها النار الخاميه) قال ووصل في آخر جمادى الاولى من العساكر الاسلاميه مجاهد الدين يرتقش ومعهم عسكر سنجار وفي ثاني جمادى الآخرة ابن صاحب الموصل وجماعته من أمرهم مصر والقاهرة كعلم القيس كرجيوس غلب الدين بن مقر الدوى وغيرهم اسامى الاسدي والنصارى به ولما عساكر ديار بكر فاتهم بأخراواته وراى الخوف من جوارق في الدين وكان قد عرض للمويد وغيره ما وضع ذلك على السلطان وقال هتاس على الشيطان وفي مثل هذا الوقت يتعرض لهذا الفتى وانى أخاف عليه في هذه السنه حيث أساء عند ملكه الحسنه واستند من الانكليزيين بحيث شغل الافرنج بحرضه عن الزحف وكان ذلك خبر من الله عظيمه فان البلد كان قد ضعف من فيه عظماء وهدمت المنيقنات من السور مقدار قامة الرجل فكان في هذه الفترة قلبه اذ بهارمق رزوال فرق وانتاش عثره وانجبار كمره قال القاضي وللصوص يدخلون عليهم الى خدامهم ويصرون أقسهم ونفوسهم وبأخذون الرجال في عاقية بأن يجسوا الى الواحد وحدهم فامضوا على حلقه الصكين وبوقطوه وبقولون له بالاشارة ان تكلمت بدينك ويحمله ويخرجون به الى عسكر المسلمين وجرى بذلك مرورا كثيرة ثم ذكرت الرسائل من الفرنج الى السلطان شغلوا وقتهم بالاطائل فجاءه من ملك الانكليزيه طلب الاجابة ثم بعد ايام جاءه رسوله لطلب الاستئذان في اهداء جوارح جاءت من البحر وبذكر انها قد ضعف وتغيرت وطلب ان يحمل لها دجاج وطير فأكامه تقوى ثم تهدى لهمهم انه يحتاج الى ذلك لنفسه لانه حديث عهد بمرض ثم نفذ أسير امير باعده فاطلعه السلطان ثم أرسل في طلبها كفه وقيل فأسرسل اليه ذلك وكان غرضهم من ذلك تفسير العسرات وتضييع الاوقات على المسلمين وهم مستغنون بالحضر وموالى القارى والمجدفى الزحف حتى تبطلت قوة البلد بالضعف وتخلل السور وانزل الله والسر أهل البلد لضعف عددهم وكثرة الاعمال عليهم حتى ان جماعته منهم بقوا الى عدة لا ينامون أصلا ليلالوا نهارا والعدد كثير يتناولون على قتلهم واشتد ذلك عليهم سابع جمادى الآخرة فركب السلطان بالعسكر الاسلاني ورغبهم بتخاهم وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيما العسكر وجرى قتال عظيم وهو كالوالدة النكلى يصرك فرس من طلب المنيقنات ويحث الناس على الجهاد وينادى بنفسه بالاسلام وعيناه قد فارت بالله مع وكلنا نظر الى عكاولا محل بهامس الاله ما يجرى على من بها من المصاب العظم اشتد في الزحف والحث على القتال ولم يضمن في ذلك اليوم طعما لليلة وانما شرب شيا أنشأ به الضييب ولما هجم المنيقنات عاد الى الحث وقد أخذ منه التعب والكالبة والحزن ثم ركب سحرار وصحوا على ما أسوأ عليه وفي ذلك اليوم وصلت مطاعة من البلد يقولون فيها اقد بلغنا العجز الى غاية ما بعد هذا التسليم ونحن في القدر ان لم نعلموا عنا شيا أنطب الامان ونسلم ونشتري سحر در فاشا وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكافى قلوبهم فان عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ومشق وحلب ومصر ايضا قرأى السلطان مهاجرة العدو فطلب يساعده العسكر فان الزحف من الفرنج وقوا كالسور المحكم البناء السلاح والذوروك والنساب من وراء أسوارهم وهم عليهم بعض الناس من بعض اطرافهم فبتوا يوزعوا غايه الذب وحكى بعض من دخل عليهم أسوارهم له كان هناك واحد من الفرنج معدسور خندقهم وجماعة بناولونه الحجارة وهو رما على المسلمين ووقع فيه زهاء خمسين مهاجرا وهو يتكلمها ولم يعمد ذلك عما هو يصدمس الذب حتى ضربه بزق بخط فارقه ورزيت امره أعظمها ملوطة خضره فما زالت ترمى بقوم من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت وجلت الى السلطان فجهب من ذلك يوم رل الحرب الى الليل وضعف نفوس أهل البلد وعسكر العدو من الخندق فلو وهوا وتبوا سور البلد وحشوا وأحرقوه بموت بدت من الباشاور وتدخل العدو والمهاو قتل منهم قبل زهاء مائة وخمسين نفسا وكان منهم منة أنفسهم من يكارهم فقال لهم واحد منهم لا تقتلون حتى أرحل الفرنج عنكم بالكلية فيأخذ رجل من الاكراد وقته وقال الجسة الباقية وفي القتل داهم الفرنج محضوا الستة فانا نطقكم كل كبرهم فقالوا ان انا قد تلتناهم فخرن الفرنج وبطلوا عن الزحف ثلاثة ايام وخر سيف الدين المنطوب بنفسه بأمان الى ملك الافرنج وهو كان مقدم الجماعة في الزحف وقال له انا قد أحضارنا منك بلاد عدة وكانهم البلد ونخل فيهم مع هذا اذا سألوا الامان أعطيناهم وحملناهم الى ما نهمزأ كرهناهم ونحن نسلم البلد ونصليها بالامان على أنفسنا فقال ارى فيكم رايي فأغلظ له

المشطوب القول وانصرف عنه ولم يدخل المشطوب بهذا الخبر خاف جماعة من كان في البلد فأخذوا لهم ركوسا وهو مركب صغير وركبوا فيه ليلًا خارجين إلى العسكر الإسلامي منهم عز الدين أرسل وحسام الدين تيراش بن الجاولي وسفر الشافعي وهومن الاسدية لا كابر وذلك في ليلة الخميس التاسع جادى الآخر فقاموا ليلًا وسفر شافعيًا خوفهم من السلطان وأما ابن الجاولي فظفر به ورمى في الزبد خائفًا وكان شابًا ولم يات في والد فاقطع السلطان أقطاعهم وقطعه وأوجب عنهم عند الرضا بعد مدة مدينة شاشة وجهه لومنها وكان من جهة الحارث بن عبد القاهر الحماي قتيب الجاندارية الناصرية فحضره في علمه أنه يضيق على نفسه العودة فعلمهم ليلته وتوقع بعد ذلك في الأسار واستفكه السلطان بعد مدة ثم مات في سائر ومن كتاب إلى صاحب ريل مظفر الدين (لما عين أصحابنا بالبلاد ما هم عليهم من الخنار وانهم قد أشقوا على الفرغ فرج جماعة من الأمر ابن قل بالله وثوته وأبغى قلبه سفيوره وفسوفه ولقد خافوا المسلمين في نفرهم وبأوا بوال غدوهم دماوى طمع العدو في البلاد الأخر بهم وما أرب قلوب الباقين من مقاتلتهم الأرههم والمقيمين من أصحابنا الكرام قد استحووا من الجاه وأجمعوا انهم لا يملكون حتى يقتلوا من الأعداء أضعا في أعدادهم ولهم يبدلون في من نفرهم غاية اجتراحهم وكانوا يتخذونهم الفرغ في التسليم فاشتطوا واشتطوا فصوروا بعد ذلك وصاروا وامتدوا أيديهم في القوم وبسطوا قنطرة يخرجونهم من الشاور قنطرة من النقيب والله تعالى يسهل تنقيص ما هم فيه من الكروب) قال القاضي وفي سحر تلك الليلة ترك الساعان مشر الله ريد كبس القوم ومعهم المساحي وآلات طم الحنفاق فأساعده العسكر على ذلك ونفذوا وأوقالوا بخاطر بالسلام كله وفي ذلك اليوم خرج من عند ملك الانكسيرة رسل ثلاثة طلبوا فاقا كهو لجاوذكروا أن مقدم الاستبارة يخرج في القديعني يوم الجمعة يفتحت وتحدثون معه في معنى الصلح فأكرمهم السلطان ودخلوا سوق العسكر ونظر جواقيه وعادوا تلك الليلة إلى عسكرهم وفي ذلك اليوم تقدم إلى قاعاز النجصى حتى دخل هو وأصحابه إلى أسوارهم عليهم وترجل جماعة من أسراة الأكراد كلنحاح وأصحابه وهو أخذوا المشطوب وانضمهم وزحفوا حتى بلغوا أسوار الفرغ ونصب فاجاز علمه بنفسه على سورهم وقاتل عن العلم قنصة من النهار وفي ذلك اليوم وصل عز الدين جرديك النورى وسوق الزحف فامة قتل فرجل هو وجماعته وقاتل قتلا شديدا واجتمع الناس في ذلك اليوم اجتمعا عظميا قال العماد وبان العسكر تلك الليلة على الميل تحت الحديد منتظرا النجى الأمل البعيد ولما عرف الساعان أنه لاسلامه وان عكادمت الاقامه نفذوا إلى جماعة عكاسرا وقال لهم خذوا من العدو خيرا واتفقوا وانخرجوا ليلامن البلد اواحدة وسيروا إلى جانب البحر وصادموالعدوبالقهر وغلوا البلد بما فيه وأتركه بما يجوبه فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستحباب ما يملكه ولم يعلم ان التماسه بملكه فانهكوا من المراد حتى أسفر الصباح ولم يصح ذلك في الليلة الثانية لمصير السراى العلانية قال ولوضع ذلك لئح المقصد لكن الفرغ اطلموا على هذا السر فخرسوا الجواب والاولى وكان سبب علمهم اثنين من غلمان الحارث بن خرجالى الملاحين وأخبراهم بيلة الحال وعزعة الرجال قال وخرج يوم الجمعة العاشر من الشهر جماعة من رسل الفرغ ونص على الحرب ومحاطة الطعن والضرب وفهم صاحب صيدا فطلب نقيب الدين العدل وكان السلطان يقف على في رسالات الفرغ وتردد العدل من أراق الحطاب والجواب فلم ينفصل الأمر على الصواب وبذلناهم عكاه في ما فيها دون من فيه وأوانطلق لهم أسرى بعد العدة التي يجوبها قابوا غير الاشتطاط فردناهم صليب الصليب فلم يحصل لهم به كمال الاقتباط هكذا قال في البرق وقال في التفتان ذلك كان يوم السبت وقال اشتراطا وإعادة جميع البلاد والاطلاق أسراهم من الاقياد وضعف البلد ونجرت من فيه ضعف الايكن تلافيه ووقف كرام أصحابنا وسدوا الثغور صدرهم وشرعوا في بناء سور يقطع جابا حتى ينقلوا إليه ان شاء الله العدو غالبا وكذا قال ابن شداد ان ذلك كان يوم السبت الحادى عشر وقال بسبب الفرغ فتح بأسر هالياس الحرب وتحت كوا حركه عقيمة بحيث اعتقد ان زعماء كان مصاف واصطفوا وخرج من الباب الذي تحت القبر هادأ بعض قضا واستدعوا جماعة من المباليك وطلبوا منهم العدل الرائد يذكروا أنه يعنى الخاريج صاحب صيدا طليق السلطان قد كرموا ما تقدم قال وقصر من نهار السبت ولم ينفصل أمر ظالولما كان يوم الاحد تانى عشر شهر وصل من البلد كتب يقول فيه لانا قدينا ناعلى المارت فايا كم انخصهوا

لهذا العدو وتلذذوا به فاما نحن فقد فاقنا امرنا واذكر العوام الواصل بهذه الكتب انه وقع في الليل صوت ان يجمع منه الطائفتان وظن الفريخي ان عسكرا عظيما قد عبر الى عكا وسلم وصار فيها وادفع كيد العدو في ذلك الايام بعد ان كان قد اشفي البلد على الاخذ ووصل من عسكرا الاسلام صاحب شير سابق الذي ينذر الذين دلدروا معه تركان كثر كان السلطان انفذ اليهم ذمها لانفقهم فيهم وصاحب حصن واشتد ضعف البلد وكثرت قنور وسوره فبقوا معوض التهمة سورا من داخلها حتى ان انتم ايام دماها فأتوا عليه وثبت الفريخي على انهم لا يصلحون ولا يعطون الذين في البلد أما حتى تطلق جميع الاسرى الذين في أيدي المسلمين وتعاد البلاد الساحلية اليهم وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج العوام وفي كتبه ان أهل البلد ضاق بهم الامر وتيقنوا انه متى أخذ البلد عنوة ضربت رقابهم عن آخرهم وأخذ جميع ما فيه من الدود والاسلحة والمراكب وغير ذلك فصالحوهم على انهم يسلمون اليهم البلد وجميع ما فيه من الاثاث والعدد والاملاك وما تاتي ألف دينار وألفا وخمسة أسير يحاميل الاحوال ومائة أسير معين من جانبهم ويتنازلونهم وصليب الصليب على ايام يخرجون بأنفسهم المين وما معهم من الاموال والاشياء المختصة بهم ومن ذرارهم ونسأولهم وضغوا للرئيس للمعونة فانه كان قد استرضى وعاد عشرة آلاف دينار لانه كان وابططة ولا حاجة له بربعة آلاف دينار واستقرت القاعدة على ذلك بينهم وبين الفريخي فملا وقت السلطان على ذلك انكره وأعظمه وعزم على ان يكتب اليهم في انكار ذلك عليهم وفي سبل هذه الحال وقد جمع امره وأحبب مشورته فأحسن المسكون الاوقار ترفع بأعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على أسوار البلد وظنك ظهره نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصاح الفريخي صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزن الموحدين وانحصر كلام العقلاء من الناس في ان الله واما المراجعون وغنى الناس به عظمه وحيرة شديده ووقع في العسكر الصباح والعويل والبكاء والحجب وكل لكل قلب حفظ في ذلك على قدر ايمانه ولكل انسان نصب من هذا الحظ على مة دار دينه وبخوته واقشعت الحال على ان الرئيس لعنة الله دخل البلاد معه اربعة أعلام للولاء فنصب علما على القلعة وعلما على مئذنة الجامع وفي يوم الجمعة وعلما على برج الدوايه وعلما على برج القتال عوضا عن علم الاسلام وحبر المسكون الى به عن أطراف البلد جري على أهل الاسلام المناهضين لتلك الحال ما كثر التجنب من الحياة معه حال وصلت بخدمة السلطان رحمه الله عشية ذلك اليوم وهو أسهل حاله من الولاية التكملي والولاية الحيزية فليسته بما يتيسر من التسلية واذا كره الفكر فيما قد استقبله من الامر في معنى البلاد الساحلية والغدس الشرير يكو فيه الحالة في ذلك وان أعمال الفكر في خلاص المسلمين بالمأسورين في البلد وانفصل الحال على ان رأى التآمر عن تلك المنزلة مصلحة فانه لم يسبق غرض في المضايفة فتقدم بنقل الاثقال ليلا الى المنزلة التي كان عليها أولا يشفرهم وأقام هوجرة مكانه لينظر ما ذا يكون من أمر العدو وحال أهل البلد فانتقل الناس في تلك الليلة الى الصباح واشتد العدو بالاسيلا على البلد وأقام السلطان الى التاسع عشر ثم انتقل الى النقل ووصل ثلاثة نفر ومعهم اقروش حاجب بهاء الدين قراقوش وكان لسانه فانه كان رجلا عاقلا مستنجزا من واقع عليه عقد الصلح من المال والاسرى فأقامه الى ليلة مكرمين وساروا الى دمشق فيصرون الاسارى قال العماد اخرج سيف الدين المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذ الأمان الفريخي يعني على القطيعة المقدم ذكرها قال ولم نسمع الا بالارباب الفريخية على عكاس كوزه واعطاف اعلامهم وزوره وعم البلاد وغم الغناء وعز الغناء وقط الرجا وحضرنا عند السلطان وهو مغمم وبالتدبير للستقبل مهم فجزيتا وسليتنا وقلنا هذه بلدة عاقبة الله قد استعاضها اعداء وقتلها ان ذهبت مدينة فما ذهب الدين ولا ضعف في نصر الله القيين قال ودخلوا عكا وتسلوها وبقوا على الشرائط التي أحكموها فانهم منعوا اصحابنا من الخروج واحتاطوا عليهم وعلى أموالهم بحبسهم واعتقالهم ثم طلبوا المال لجمعه السلطان وكله وأودعه خزائنه بعدما حصله واحضر صليهم المطلوب الملبوس وانتم شرطهم المختطوب فظهرت امارات غدرهم وبيد دلائل مكدهم وفي كتاب كبة الفاضل من السلطان المشيخ الشريف منقذ وهو بالمغرب في الرسالة (لقد تجاوزت عدة من قتل على عكا يعني من الفريخي الخمسين ألفا قولاً لا يطرقة التسليم بل بحمزه انصف فانبوا في هذه السنة ملكا فرنسيسا وانكثرت قومه لولا آخر من في مراكب

بصره وحواله حملوا فيه الحيل والخياله والمقة فله والاله ووصلت كل حفيته تحمل كل مدينة وأحدثت بالبحر
 ففتح النافل بالسلاح اليه والداخل بالبرية عليه ثم قال (وأخذ البلد على سلم كالحرب ودخله العدو ولم يدخل من
 الباب دخل من القبة وما دونه لما أصابنا في سبيل الله وما ضغنا ولا رجونا واننا لا نصرنا بل نحن بمكة منتظر
 ان يتردوا فبازروهم ويخرجوا فنتأجرهم وينشروا فنتوهم ويقبضوا فنتوهم وأقنعنا على طرقهم وخيبتنا على
 مخنقهم وأخذنا بطراف خندقهم وأخرجنا من حصننا الى العدة البحرية والا ساطيل الغربية فان عاريتنا به ترد
 وعادتنا بما تشدد والامر يبلغ ما يلقيه من خطاب الاسلام وخطوبه ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه
 ويجعل العود وقبلها الاجابة ويستعجب السهم ويسبق بشرى الاصابه وشعران الربة قد رقت لتصر تخدم
 به عرا به فان للاسلام فخر ان الاقوى الغرضي يقبلها وخطرات من اللطف الحق يعزها ويكنى من حسن الظن
 انها نظرة ردت الهواء الشرقي غربا وخطرة أو هبت ان تلك الحمة لوتنا بالسفائن لاخذت كل سفينة فصبها قال الامراء
 وعزم ملك الافرنسيس على المسير الى بلاده لا مراختل عليه فأخذ قسما من الاسارى وسلمهم الى المركس وركبه
 في قبض نصيبه ورعى بشيعة وترتيبته وخرج القرم بخرم الجليس انصلاح القهر من جانب البحر وانتشر بالبرج
 ووصلوا الى الابار التي حفرها البركة فواتوا مع اليرك وامداهم السلطان فقالوا العدو مصرع منهم خمسون فارسا
 حال القاضي وخرج خلق عظيم ولم ير السيف فيهم حتى دخلوا خندقهم قال ولم ترل الرسل تتردد بين الطاقتين حتى
 كان يوم الجمعة سمع رجب نحر جحسام الدين حسين بن تاريك المهراني معه ما ثلثان من اصحاب الانكليزي فأخبر
 ان ملك الافرنسيس صار الى صوري ذكروا اشياء من قصص رأى الاسارى وطلبوا ان يشاهدوا صليب الصليبيون
 واهمل هو في العسكر أرحل الى بغداد فأحضر صليب الصليبيون وشاهده وعقدوه ورده وانفوسهم الى الارض
 ومصرقا وجوههم على التراب وخضعوا خضوعا عظيما لم ير مثله وذكروا ان الملوكة قد أبوا السلطان ان ينكون
 ما وقع عليه القرار بدفع في روم ثلاثة أي فبحوم كل ثم شهر ولم ترل الرسل تتوار في قصر للقاعدة وتغيير ما حتى حصل
 لحسم الناس من الاسارى والمال المختص بذلك المترم وهو للصليب ومائة ألف دينار وسماثة أسير وأنفوا انقيادهم
 وشاهدوا الجميع ما عدا الاسارى الميعين من جانبهم فانهم لم يذكروا فرغوا من تعيينهم ولم يذكروهم حتى يحصلوا ولم
 يروا بداولون ويقصرون الزمان حتى انقضى الترم الاول في ثلثين شهر رجب ثم انشدوا في ذلك اليوم بطلون ذلك
 فقال لهم السلطان امان تنفذوا البنا احيانا وتسلوا الذي عينكم في هذا الترم ونعطيكم رهاش على الباقي يصل
 اليكم في ترمكم الباقية واما ان تعطونا رهاش على مانسلة اليكم حتى تقهر جوار البنا احيانا فقالوا لا نفع لنا شئ من
 ذلك بل تسلمون ما قبضه هذا الترم وتنعون بامانتنا حتى نسل اليكم احيانا فأي السلطان ذلك لعله انهم ان تسلموا
 المال والصليب والاسرى واحبا بنا عندهم لا يؤمن غددهم فلما رآه قد امتنع من ذلك انخر جوارحيهم الى ظاهر
 خندقهم بمنزلة في الحادي والعشرين الانكليزي وجماعة من الحيات والثر والثر والثر والثر والثر والثر والثر والثر
 السابع والعشرين من رجب وساروا حتى أتوا الى الابار التي تحت تل البياضية ثم أحضر وامن الاسارى المسلمين
 من كتب الله شهادته وكانوا نواز ثلاثة آلاف مسلح في الحبال وقفوفهم وحبالا عظيم حبله الترحيل الواحد قتلواهم
 صبرا لمنا وضربا بالسيف رحمة الله عليهم واليرك الاسلبي يشاهدهم ولا يعلم ما ينعون لبعده عنهم وكان اليرك
 قد أخذ الى السلطان واعلمه بركوب القرم ووقوفهم فأخذنا الى اليرك من قواه وبعدها فرغوا منهم حل المسلمين عليهم
 وجرت بينهم حرب عظيمة جرى فيها قتال وجرح من الجانبين ودام القتال الى ان فصل القليل بين الطاقتين وأصبح المسلمون
 بكثرة من الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم وعرفوا من عرفوا منهم وغشى المسلمين بذلك حزن عظيم ولم
 يبقوا من المسلمين الا جلا مرقم فقامت اوقيا عدا العمل في عمارتهم قال الامراء وطلب السلطان منهم ان يضمنهم
 الداوية في قبض المال فقال الداوية ما تدخل في العهدة فاقعوا منهم بالقول والامان فظهر من عوى كلامهم
 الخلف ثم قتل الاسرى قال شاهدناهم مستشهدين بالمرارعا بالجزيرة ولا شك ان الله كساهم من سندر
 التسمي وقطعهم الى دار القامة في العزائم وقصر السلطان حيث خلف المال وقصر مجموعته في رءاء الرجال وأعاد
 الاسارى الى اربابها واحتوت عليهم بدمشق أيدي احيانا وحفظ الصليب والصليب وركبه وركبه وأعاد

الى صوانه لانهم لم يملوا منه فانه لا مصاب عندهم اعظم من استيلائنا عليه واستدادا يدنا اليه وقد نبل فيه لزوم
ثم الكرج بنذولا وانفذوا بعد رسولهم سولا فاجدوا قبيولا واصادقوا سولا ومن كتاب علكدى عن السلطان في
ذلك (والكراج اقبال والحرب محال والله من المؤمنين رجال والان فقد تارت الحيات وهبت النضوات ووجب على
كل مسلم ان ينضى لنصرة الاسلام ويتدارك ما حدث من الكسر والوهن يلجى به الى الاحكام ويعيد ما وهى من فقد القنوج
الى النظام فابن ذروا الفتنة والجهل واهمهم العلية والنفس الالهيه اما يغفون لهم ع من استنهدس اخوانهم اما
يثورون ثاراتهم انا انكى العيون من قتل من امانهم واعلمهم فان مصابهم عظيم ومقامهم عند ربهم الكريم
كريم ولما الله بذلك تقبيله اجمع الزايدة وآثاره التزايم الا اكد)

(فصل) في ما جرى بعد انفصال امر عكا قال العماد بن الفريخي رحلت صوب عسقلان مستهل شعبان وسار
السلطان في عراضهم والمسلمون يحفظونهم ويقتلون منهم ويأسرون ويبحرون ويسلبون ويسرقون وكل أسير أتى به
السلطان أمر يقتله ووصلوا الى حيفا فاقاموا بها وازل المسلمون بالقهون وقدم السلطان شهلا الى مجدل بابا واخفى نازلا
على النهر الجارى الى عسقلية وودع للقاضى السلطان وسار الى دمشق لانهم ادجى الوافدين من الاكابر والنواب بها
رعيما جينا وعن اقامة الوظائف وكان الامر للقاضى عندهم كالامر السلطاني فاذا استناروه وخلصوا من كل
تبه مقدر لوفى تاسع شعبان ما لم يحضر بان الفريخي رحلوا واثارهم يسرون في الساحل بالفارس والراجل وعن
بينهم البحر وعن يسارهم التزل وكانت الرحالة حولهم كالسور وعلمهم الكبرية الشجينة والازدابات البضة
المفككة بحيث يقع فيهم الشاب ولا يتأثرون وهم مرمرن بالزورك فقبحر خيول المسلمين وغيرهم قال القاضى
وقد شاهدتهم وفي ظهر الوادى حدهم القشابة والعشر مقفوز وهو يسير على هيئته من غير ان تراجع وهم قسم آخر من
الرحالة منصرح عيشون على جانب البحر ولا قتال عليهم فاذا نصب هؤلاء المقاتلة وانقضت الجراح خاف مقامهم القوم
المستربح واستراح القوم الجمال هذا والحياة في وسطهم لا يخرجون عن الرحالة الا في وقت الجلب لا غير وقد انعموا
ايضا نالوا انقسام الاول الملك العتيق جفرى وجماعة الساحلية معه في المقتدة والاندكار والفريسيه معه في الوسط
والاولاد للست اصحاب طبرية وطاقفة اخرى في الساقه وفي وسط القوم رجع على عجلته وعلمهم على ما وصفته من قبل
يسير ايضا في وسطهم على عجلته كالنار العظيمة وساروا على هذا المثال وصوق الحرب طامعين الطامعين والمسلمون
يرمونهم من جوانبهم بالنشاب ويحرقون عزائمهم حتى يخرجوا وهم يحفظون نفوسهم حفتا عظاما او يقطعون
الطريق على هذا الوضع ويسرون سيرا رفيقا ومراكبهم تسير في مقابلتهم في البحر الى ان اتوا المنزل فتراوا كانت
منزلهم قريبة لاجل الرحالة فان المستريحين كانوا يحملون اثمانهم وخيولهم لقلة الظهر عليهم قال فانظر الى
صبر هؤلاء المقوم على الاعمال الشاقة من غير دواين ولا تنفع وطاف الجيش حولهم من كل جانب ولزواهم بالنشاب
وكما نصف قسم عاونه الذي يليه وهم يحفظون بعضا والمسلمون يحدقون بهم من ثلاثة جوانب ورايت السلطان
وهو يسير بنفسه بين الجبال الشبيهة ونشاب القوم تحاوره وليس معه الا صبيان بمخدين لا غير وهو يسير من طلب الى
طلب يصنهم على التقدم ويأمرهم بمضايقة القوم والصياح بالتهليل والتكبير ورفع العود على اثبات ترتيبهم لا يغيرون
ولا يتجزئون وجرحت حملات كثير قورباياتهم تحسح المسلمين وخروهم بالزورك والنشاب الى ان اتوا الى نهر القصب
فقتلوا عليه وقد قام قائم الظهيرة وضروا خيامهم وراجم الناس عنهم فانهم كانوا اذ نزلوا ايس الناس من امرهم
معهم وفي ذلك اليوم قتل من فرسان المسلمين وشجعائهم بالزورك وهزم عيال السلطان وكان ذلك بهم وقتل
خلفاء من خيالاتهم وشجعائهم وكان قد استفاضت شجاعته بين العسكرين بحيث انه جرت له وعات كثيرة صدقت
اخبار الاوائل وصار بحيث انه اذا عرفه الفريخي في موضع يخافون منه فاتفقوا ان يخطروا فرسه فاستنهد في ذلك اليوم
جودفن على تل مشرف على النهر كعوز المسلمين عليه خرا عظاما وقتل عليه جلوسا ونزل السلطان بالثقل على البركة
وهو موضع يجتمع فيه مياه كثيرة ثم رحل بعد العصر واتى نهر القصب فقتل عليه ايضا فكثر نرب من اعلاه
والعدو شرب من اسفله ليس بيننا الامساقه يسيرة ويات الفريخان هناك قال العماد وكانت نوبة البرك لعز الدين
بايراهيم بن المقتدة في الساقه وكانت الفريخي قد انست باعضاء الحرب فخرج منها جماعة مسترسلين وقتلوا

على البركة مشرفين فبصرهم ابن المقدم فصر اليهم من وراءهم هو ومن مصانيرهم ولم يأخذوا من خلفهم
 الخنزير فقامهم وجعلهم وفرغ من شغلهم قبل ان يدركهم الصريح وسليمهم وغنمهم ثم نهض الفرج اليه وجعلوا عليه
 وجرت وقعة شديدة لحرب الضلال مبدية جابيت لنا غنية وعليهم هزيمة واحضر الاسارى عند السلطان بجزام
 الفذل والخوان فاحبوا وانهم جرح منهن بالاسلح صرى فبصرهم وضعف ثم رحل السلطان وعبرهم
 ارسوف ونزل على قرية تعرف يدور اراغب وطلب ملك الانكسيرة الاجتماع بالملك العادل خلوة فاجتمعوا
 فاشار بالصلح وصكان حاصل كلامه انه طال بيننا القتال ونحن جشنا في نصره افرغ الساحل فاصططحو
 انتم وهم وكل من ارجع الى مكانه فقال على ماذا يكون الصلح قال على ان يسلم الى اهل الساحل ما اخذ منهم
 من البلاد فابى الملك العادل واخبره ان دون ذلك قتل كل فارس وراجل فرجع مضطربا وفي يوم السبت
 رابع عشر رمضان كانت وقعة ارسوف تأهب المسلمون للقاتلهم فازرعوهم وابوهم يسلاهم فلما رأى العدو
 ما هو فيه من الضيقة اخفوا وجعلوا حلة واحدة فأنكشف من كان قدامهم وانفضوا وثبت ذلك اليوم العادل
 وأصحابه وفاجار العجمي وعسكر الموصل ثم كرت العساكر اليهم وجرت التوائب عليهم فجرت بين الفتيين معقله عتية
 فجلأوا الى جدران ارسوف ولولا ذلك لاستوعبت فيهم الحتوف قتل السلطان على نهر الديار ورحل العدو
 الى يافا قتلوا بها المسلمون حل العادى عراضهم مقبلة على تبديد جوهم واعتراضهم وقتل يوم ارسوف لهم
 كند كبير فقتل حكمه من الفرج عدد كثير وكان من عظم شأنه وخفاة مكانه انه يوم مرع قاتل دونه جماعة
 من المقتدئين فما قتل حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا وروحهم قال القاضي ابن شداد رأيته وقد اجتمعوا
 في وسط الرحلة وأخذوا رماحهم وصاحوا وصيحة الرجل الواحد وخرج لهم بالانهم وجعلوا حلة واحتمس
 الجوانب كلها فاندفع الناس من ايديهم ولم يبق في طلب السلطان الا سبعة عشر مقاتلا والاعلام باقية
 والكؤس تدق لتفتت فلما رأى السلطان ما نزل بالمسلمين سار حتى أتى طلبة فوقف فيهم والناس يصفرون من
 الجوانب وكلما رأى غارا بأمر من يحضر عسده فاجتمع في الطلب خلق عظيم ووقف العدو قدامهم على رؤس
 التسايل والراوى وخلف العدو وان يكون في الشعراء كين وثابت العساكر كلها فترجع العدو الى منزله وجلس
 السلطان ينظر الناس من العود من السبي والمجرى يحضر من بين يديه وهو يتعجب بما ادواتهم وجعلهم وقتل رجاله
 كثيرة وجرح جماعة من الفاتحين وصدم الملك الافضل واقتحم دمل كان في وجهه وسال منه دم كثير على وجهه
 وغوصا برمحته في ذلك كله وقتل من العدو جماعة وأمر واحد واحضر فأمر بضرب عنقه وفي بعض الكتب
 السلطانية (سار العدو من عكا على صدرة عقلا ومقاتل عارضتهم في كل طريق ومضايقتهم في كل مضيق
 ومنزلهم في كل منزل ومدافعتهم على كل منزل وهم يسرون البهر البحر لا يفارقون ساحله ولا يلبثون
 مراحل والمواقع مضائق وشعراء يورمال والمقاتل فيها يحال وما وجدنا نسخة الاوضاع فيهم فيها وأخذنا
 عليهم في نواحيها ومن جهة ايماننا المشهورة المشهورة ومواسمنا المعر وقتل المجردة يوم الاثنين تاسع شعبان عند
 رحيلهم من قسارية) فذكر الوقعة السابقة وفيها (انه تحقق من خيلهم ألف فارس) ثم ذكر يوم ارسوف وحسن
 عاقبة المؤمنين بعد الياس ثم رحل السلطان تاسع عشر شعبان ونزل بالرحلة واجتعت الانقال بها في تلك الرحلة
 ورحل ليلا واصبح على تبنيا وياوزها الى نهر امران الخيام عليه ثبني قال وزيرنا بئنا قبرا في هريرة رضوان الله
 عليه وتبادرنا سبالتين به اليه قلنا اعتد العادى في هذا على ما شئت بين العامة من ذلك وأما اهل العلم
 للمسنون في اخبار العصابة ورضي الله عنهم كابن سعد وغيره فذكر ان ابا هريرة توفي بالمدينة ولم يذكره واخبره
 على ما ذكرناه في ترجمته في التاريخ والله اعلم قال العماد ورحل السلطان ونزل بظاهر عقلا بعد النصر
 وشرع فيما عز عليه من الامر وكان لما نزل بالرحلة أحضر عنده أمانا العادل وأكابر الامراء وشارروا في امر
 عسقلان ذوى الاراء فاشار علم الدين بن سليمان بن جندر بخير لها فجز عن حفظه على ما بها وواقعها بجماعة
 وقالوا قد ضاق عن صونها الاستطلاع فان هذه باقنا فذروا لها ما يرضى عنها وهي مدينة بين القدس وعقلا
 متوسطة ولا يبل الى حفظ المدينتين فاعدا الى انصرف للموضعين فقصه وحكه فاقتضت الراء اقامة العادل

قرب بالجامع عشرة من الامر احمسك اذا تمرك العدو كما نامة على علم قال القاضي اشار عليه بتقريب عسقلان خشية ان يستولى عليها الفرنج وهي عامرة فيتلقوا من بها من المسلمين ويأخذوا بها القدس الشريف ويقطعوا طريق مصر وخشي السلطان من ذلك وعلم بجزم المسلمين عن حفظها القرب عهدهم من عكا وما جرى على من كان مقبها ما فارقني اتي عسقلان وقد ضربت خيمته شمالها فبات هناك مهموما بسبب خراب عسقلان واثام تلك الالبسة الاقبيلا ولقد دعاني الى خدمته مصرا وكنت فارقه بعد مضي نصف الليل فحضرته وبدأ بالحديث في معنى خرابها وأحضر ولدهما الفضل وشاوره في ذلك وطال الحديث ولقد قال رحمه الله والله لان أقدأ ولادى بأمرهم أحب الى من ان أهدم منها حجرا واحدا ولكن اذا قضى الله بذلك وصينه لحفظ مصلحة المسلمين طرعا فكيف أصنع قال ثم استغار الله تعالى فاقوم في نفسه ان المصلحة في خرابها ما تستحقه الوالى وأمر بذلك فى التاسع عشر شعبان ولقد رأيت أنه وقد اجتزأ بالسوق والوطاق بنفسه يستنفر الناس للفراب وقسم السور على الناس وحصل لكل أسير وطائفة من العسكر بديعة معلومة وبرج معلوم يخرج منه ودخل الناس الى البلد ووقع فيه الضجيج والكداء وكان بلد انضرا حيفا على اللعب عكم الاموار عظيم البناء مغر على سكانه ففحق الناس هليم من عظيم وكان هو بنفسه ولولدهما الفضل يستعلان الناس فى الخراب خشية ان يسمع العدو فيخسر ولا يمكن من خرابها وأباح الناس المهرى الذى سكان ذخيرة فى البلد للجزع نقله وضيق الوقت والخوف من هجوم الفرنج وأمر بحرق البلد فاضربت النار فيه والخابر سوار من جانب العدو بهجارة يافا وترب من سور عسقلان معظمه وكان عظيم البناء بحيث انه كان فى موضع تسع أذرع وفى موضع عشرين ذكرا بعض الحجارين السلطان وأنا حاضران عصر من البرج الذى يتقون فيه مقدار ربع فمزل الخراب والحرق يعلان فى البلد واسوارها الى سطح شعبان وعند ذلك وصل من جردك كلب يدركهم ان القوم قد قمعوا وصاروا يخرجون من يافا فيسيرون على البلاد القريبة منها فلو قهره السلطان لعله بلغ منهم غرضنا فى غرتهم فغزم على الرحيل وعلى ان يتخلف فى عسقلان حجارين ومعهم خيل تحميم يستقصون فى المقرب ثم رأى بان يتأخر بحيث يحرق البرج المعروف بالامبار وكان برجا عظيما مرفا على البحر كالقلعة المنبوعة ولقد دخلته ووطقه فرأيت بناءه أحكم لانه لا تعمل فيه الماء لعل وانما أوقد ليقبى بالمريق فابلا للفراب وبقيت النار تشعل فيه يومين بليتهما قال العادى قدس منها الاربع التى على ساحل البحر ودخلتها فرائتها أحسن مدنية متينة حصينة فطال بكأى على رسومها وفن ختموها وقبض أرواحها من جسموها بحلول الدوائر بدورها وتزلزل السور بدورها فابرح السلطان منها حتى رأينا طولها وارس ورسومها اطوارا والروس حيا من معاهداتها كس دالولا حفظت لكان حفظها متعينا وصونها مكما لك وجدكلا له متجنبنا متجنبنا وقد اعتمدت فوبه عكا وحفظها ثلاث سنين وعاد يبعد ذلك عشرة السنين وقال من قتل واعترعن دخولنا ندخلها أنت وأحد أولادك فدخلها أتيا عالمادك فحيتن ليدبدا من قنص أسوارها وقنص سوارها وسكانها كانوا فى رفاهية فاتفقوا على كراهية وباعوا أنفس الاعلاق بلجنس الاغنام ونجعوا بالاطار والاطان

(فصل) فيما جرى بعد خراب عسقلان قال الممد طرقتها السلطان يوم الثلاثاء ناني رمضان وتزل على تينا وتزل بالرملة يوم الاربعاء وأمر بتقريب حصنها وتقريب كنيسة له وركب جريدا الى القدس فاقام يوم الخميس وأعاد اليه رسوم التأسيس وخرج منه يوم الاثنين ثامن رمضان وبات فى بيت توبة وعاد الى المنجم يوم الثلاثاء وصل معز الدين قيصر شاه صاحب طليطية بن قليج أرسلان واغدا عليه منتصرا به على أبيه وأخوته فانهم كانوا يقصدون أخذ بلده من يده فاقام فى الخدمة السلطانية مدة وتزوج ابنة العادل على صداقته ألف دينار وسار يستل ذى القعدة وفى ثامن الشهر أيضا خرج الكمين على ملك الانكسار تو سكان خرج فى قوارسه مخفر البطاية والمشاينة وكان يؤخذ للملك لكن أحد خواصه قد له بنفسه بان أظهر حسن لباسه فظن انها الملك فاسر وقال ابن شداد حال بينه وبينهم فرغى بقتل الفرنجى وجرح هو وفى ثاني عشرة جرت ايضا وقعة كان النصر فيها للمسلمين وقتل مقدم كبير من الفرنجى وازال بقع منهم وبين اليرك وقصا وقهرق العرب من خيلهم وبغالهم ورجالهم

فما أخبر (١٩٢) الدولتين

ومن كتاب الى صاحب سنجار (قد تقدم الاعلام بما جرى عند رحيل العدو على قصد عسقلان وما تم عليه من) في طريقه من التكاثر واخذ لان وانه قطع في سبعة عشر يوما مسافة يومين الى ابيه وما غامر من الحين وما صدق كيف وصل الى ابا فاطمهما على الاستطاع وأقام بها يوم المكان وهذه مدينة باها متوسطة بين القدس وعسقلان ومنها الى كل واحدة منهما مسافة نصف النهار وكلنا هاهما العدو على خوف وحذر وكل واحد من الموضعين محتاج في شخصيته الى ثلاثين ألف مقاتل وقد اجمع بين حفظ الثغرين وتحصين البلدين وتعينت في ثغري عسقلان عمارة القدس وتحصينه وعصيته من العدو وأمينته ثم رحل السلطان الى النطرون ونجم على تل عال والنطرون حصن حصين كان للدوابه لسكر الخشخشة اسواره وانقض جداره فامر بهدمه فهدم ثم بعث ملك الانكليز قراغباتي المصالحه والمسالة الى العادل وزعم ان له اختا تزوجة عليه كبر القدر وانها كانت زوجة ملك كبير من ملوكهم ودع صاحب حقليه توفى عنها ورغب ان يتزوجها العادل ويجعل له الحكم على بلاد الساحل يشهدهم امره وهو يقطع انداوية والاستمرار من البلاد والقرى دون الحصون وتكون أخته معه بالقدس وبها فيه قيسون ورعيان حافظه لهما أمه الزمان فرأى العادل في ذلك عين انصواب وساور السلطان قواقه فيما أجاب فعد الرسول الى الانكليزي بالاجابة فدخل الفرنج على المرأة ونحو قواها وأتهموا في دينها وعنفوها واولها لهما معناه هذه نصيحة فظيحه وسية شنيعة وقنع على النصراية وقضيته وأنت عاصية للسبح لا مطيعه فرجعت عن ذلك وأجابت فاعتذر الانكليزي بهدم مراقبتها الا ان يدخل العادل في دينها فصر فاتها خديعة كانت من الاركلبي قال القاضى ورسول من الرئيس يذكر انه ابتاع الاسلام بشرط ان يعطى صيدا ويروى على ان يجامع الراجح بالعداوة ويقصده كما وجب حشاوا واحدها منهم فاجيب الى ذلك على ان يطلق من يهاويه وروى الاسارى ولما سمع الانكليزي بذلك رجع الى عكا لفتح هذه المصالحه واسترجع الرئيس اليه وجاء الخبر ان من الانكليز من اتلفا كيه ووصل كتاب من قى الدين بحبر فيه ان تزل صاحب دار الهيم ان الذي كرتل وجرى بسببه في بلاد النجم جنب عظم قال العماد وكان محققا للفتنة مقرا فالأثم واصلا شارب والصف الماوسم وقتل بالحقه من رؤساء الشافعية الموقوفين وكبراء الموقوفين ووصل من الديوان ما يشكره بمصدق في الدين خلاط وبهذه العادة التامة يكتم ويقنع في حسن فحقاق ويتقدم باطرافه وكان قد تفرغ عليه من راد بر بارل وتقدم بحبر القاضى الفاضل الى الديوان ليت حال وفصل أمر فاجاب السلطان بما لنا من قى الدين بشئ من ذلك واعا غير ليجمع العساكر وعود الى الجهاد وأما ابن فحقاق فقد تقدم الى مظاہر الدين حتى حضره الى الشام فيمنعه فيه ويكره من زلما للجهاد وأما الفاضل فاعتذر عنه بأنه كبير الامراض وموت قد تضعف عن الحركة الى العراق قلت وبلغتني ان الفاضل رجع اهله كتب في الاعتذار بالمرض والى الديوان وتدل في كتابه بدين البينين

ما كنت أول ساغره قهر * ورائد خدمته خضر قائم
من نفسك تخفى اننى رجل * مثل المعدي فاسمعى ولا ترى

قال القاضى وأرسل الانكليزي الى السلطان ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وغرت البلاد وتكلفت الاموال والارواح وقد أخذوا الامر حقه وليس هناك حديث سوى الدس والصلب والبلاد والقدس متعبدان ما تزل عنه ولولم يسبق منا واحد واما البلاد فساد اليها هو فاطم الاردين وأما الصليب فهو خشيعة عندكم لا مقدار له وهو عندنا عظيم فمن بالسلطان علينا ونستر من هذا الغناء الدائم فأرسل السلطان في جوابه القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم ما هو عندكم فانه مسمى شيننا وجميع الملايكة فلا يتصور ان تزل عنه ولا تدر على التلطف بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي ايضا لنا في الاصل واستلواكم كان طار فاعلمنا الضعف من كان بهام المسلمين ذلك الوقت ولما الصليب فعلا كد عندنا قربة عظيمة لا يجوز ان نقرط فيه الا لنصلح راحة الى الاسلام هي اوفى منها وهر بشير كونه من باخل الكردى من عكا وكان أسير بها وكان اذخر جلا في مخدعة فتسلى به من طاعة بيت الطهارة واشتد دورا في قيوده الى تل العباسية فكفى الجبل وقد طلع عليه النهار ثم كسر قيوده

وسار الى المسلمين ثم نواز الخبران الفرنج على عزم النهوض فصار السلطان من الخجيم النطرون الى الرملة سابع شوال وأقام بها عشرين يوما فصبرت وقعات وتعددت فمنا وقعة في ناحية بازور وكان النصر فيها للمسلمين وقتل من المسلمين ثلاثة وذلك ثامن شوال وفي سادس عشر شوال وقعت وقعة أخرى عظيمة قتل فيها جماعة من الامراء وأسرا قراسان من الكفرقة معروفان بالبأس سوى غيرهما وقتل منهم زهاء مئتين نفرًا وفي خامس شوال وصل الخبر ان الاسطرلغمى استولى على مرابك الفرنج وفيها مرابك تعرف بالسطح قيل ان كان فيه خمسمائة نفر وان دعى ذلك وأنه قتل منهم خلق عظيم واستبقى منهم أربعة نفر مذكورون وفي ثامن عشر شوال اجتمع العادل والاكتبرى على طعام ومجادة وانفصلا عن تولد ومطايبة وطلب منه الاجابة بخدمة السلطان فامتنع رحمه الله وقال الملوكة اذا اجمعوا فنجب منهم الخاصة بعد ذلك واذا انتظم امر حسن الاجتماع ورحل الفرنج ثالث ذى القعدة الى الرملة وأظهروا قصد القدس بتلك الترجله ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم ورحل السلطان الى القدس بنسبة المقام في الثالث والعشرين من ذى القعدة وكان الشداء قد دخل والقيث قد اتصل فوصل الى القدس وقت العصر وتزل بدار الاقساء انجسورة كنيسته حامية وفي ثالث ذى الحجة وصل عسكر من مصر باموال ورجال مع أبي المهيبة المعين وتحسّل الفرنج الى النطرون فقوى السلطان اليك فوقه واعلى سرية ففتحوها وسبق منهم الى القدس نفوس وخسوف أسير اسوى من قتل منهم ووافقهم ما بقى الدين عثمان صاحب شبرز يوم عيد الاضحي ففهمهم وخصي واحتوى على عشرة من مقدمهم أسرا وقتلوا وتسلق باقي الفرنج في الجبال وتركوا خيلهم فقتلها المسلمون ولمزل المسلمون عليهم مستظهري مدة مقامهم بالنطرون وجعل المسلمون يقطعون الطريق على تجارهم حتى انهم أخذوا فافله ثقيلة بما فيها ولم يقدروا على تخليصها ففرحوا وعادوا الى الرملة في الثاني والعشرين من ذى الحجة وفي ذلك اليوم وصل من الموصل خيولهم رجل برسم قطع المصور من الخندق فان السلطان شرع في تحصين القدس وعمارة ابراجه واسوارهم وحفر خنادقه وأرسل الى البلاد في جمع رجال هذا الاعمال وقيل الامراء فيه العمل وعمل فيه السلطان بنفسه بفعل الحجارة هو اولاده وأمر ائمه وأجنادهم ومعهم القضاة والعلماء والولاة والامراء قلبت وفي قصد الفرنج السلطان بالقدس يقول الرشيد بن انا بليس من جملة قصيدة له

ويج الفرنجية بل ويل أمهم أوما * فيهم ليب على العلات يعتبر
فكم نثرتم ضربا اذا تنعموا * وكفلنهم طعنا اذا تستروا
كم قد سقيتم ذلا فلا تجب * ان عريدوا فها القوم قد سكر وا
ان يموك فلا بدع لجهلهم * تسى الى الاسدى غاياتها لجر
زاروا عروا ولا تنسى وفاحتهم * اذا اسودك في أبطالهم زاروا
فخام عن حوطة البيت المقدس لا * خوف وحاسك من خوف ولا ضرر
هو الشريف وقد نالكم معتهما * فما على مجدهم بعد ما حذر
وسوف تستغفروا الايام هفوتها * وتحصل الفنة الاوغاد ما بدروا

(فصل) في باقي احوال هذه السنة قال العماد في ربيع الاول من اتوا الى القاضي عجي الدين محمد بن اركى قضاء دمشق وفيها يوم الجمعة ناسع عشر رمضان كانت وفاة تقي الدين عمر بن أحمى السلطان ووراء الفرات وكان قد امتدت عنه الى بلاد غيره فاستولى على السويداء وعلى مدينتي حماة وعزم على قصد خلاط وكمر صاحبها سيف الدين بكتر وملك معظم تلك البلاد ثم أتاه على منازك دبحا صرها ومعه عساكر كثيرة فأتاها تحت بحسده المنيعة بسبب من اعتراه وزاد الى أن بلغ منه المراد واخفى ولده الملك المنصور وفاته ورحل عن البلاد المحصور وفاته وعاد به الى البلاد التي فيده وعجب الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده وجاءت رساله الى السلطان بخبره بأنه قام مقام والده فيما كان لهم من البلدان وطلب منه شروطا تنسب بسببها الى العصفان وكاد أمره يضطرب وقد برز كئيب وشأنه يعكس ويتقلب حتى احتسب بالملك العادل فصر مؤظفوه الى الوجود وظاهره وقال القاضي

ابن شداد كانت وفاته في طريق خلاط عائدا الى ميفارقين فحمل ميتا حتى وصل به الى ميفارقين ثم علمته تربة عليه بمدرسة مشهورة بيارض حاصو جل اليها دفن بها قال العماد وفيها توفي ابن أخت السلطان حسام الدين محمد بن عمر بن لا حين يدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان فقع السلطان بآبن أخيه وابن أخته في تاريخ واحد وكانه من أعظم الاعوان على ما يكاد من الشدائد قلت ودفن بالترية الحسامية المنسوبة اليه من بناء والدته المستاشم بنت أبي يحيى المدرسة الشامية بظاهر دمشق بالعورنه قال وفيها في أول ردى الخشنة توفي الأمير علم الدين سليمان بن جندرس أكبر أمراء حلب وكان في خدمة السلطان بالقدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذي أشار بغرب عسقلان لتوفر العايدة والاهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى الوطن فأدركته المنية بقرية غياغب على مرحلة من دمشق وقبره في الثالث والعشرين من رجب كانت وفاة الصفي بن القاضى نائب السلطان بدمشق وكان قد خدم السلطان أيام عمه وهو في كنفه أيامه وعنه فقامت مصر أمره في أمورها وحكمه في أعمالها حتى نال المنى ووجهه ونجم وحصل على الفنى وكتب لمالكه دورره وأملأكه وجميع أمواله وفيها توفي نقيب العماد وهو جلال الدين أبو الفتح السماعيل بن محمد بن عبيد ابن كويه أبيع عشر ردى الخشنة مشق قال العماد وكنت استنبهته في كتابة الانسوخ وخرجه وقلته في مراتب العالي ودرجته واختتم السلطان عليه في الترسل المسلطين العجم ونحوها من الامراء منهم بالخدم وكان بيلانينا كرميا وجيها وفيها توفي الحكيم الموفق أسعد بن المطران في شهر ربيع الأول وكان من أهل النظافة والظرافه ومن ذوى الاقتصاد والحصافه وقته الله في بدايته هدايا الاسلام ونال أسباب الاحترام وتقدم عند السلطان ومثاله كبير وهو كبير الشأن وفي آخر هذه السنة توفي الشيخ النقيب نجم الدين الحيوشانى بصره وهو الذى عمر تربة الشافعى رضوان الله عليها وبني المدرسة في جوارها وأجلى شعار التوحيد وبني أمره على التسديد والتشديد وحفظ شمل الشافعية من التهديد وكان السلطان يجيئه الى كل ما يستدعيه ويقضى له من الحاجات بما يقضيه ووقف على المدرسة التى بناها وقرقا وأعطاهما في جنايتها الزوا فلما توفي الحيوشانى طلب المدرسة جماعة من العلماء فردوا وضع العادل في صدر الدين أبى الحسن محمد بن حويه شيخ الشيوخ فكتب بها له ورث وبقيها وتدرى بها استقلاله وذلك في أول رسة عثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ونسب ذات بالوشة الانسه قلت ثم استقرت عليها ذى أولاده واحد واحد بعد واحد الى الآن قال وفيها توفي الوحيد بن النفيس مشوق ديوان دمشق بها وكان نيبا مهييا تزها عارفا مهييا وفيها توفي القاضى أمين الدين أبو القاسم بجمادى حادى عشر رمضان وكان كرميا مهييا نايها سريا وفيها قتل تربة بالقاضى محيى الدين أبى حامد محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى الى المدينة المنورة على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام وكان قاضى الموصل وقد بنى رباطا هناك وكانت وفاته بالوصل في الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وقد تقدم ذلك وسأل ابن أخيه القاضى بعده كتابا الى أمير المدينة فكسبه كتابا عنه (سبب إصدارها الى الأمير من نائب القاضى كمال الدين بصرى بمانن عمه محيى الدين من الموصل الى المدينة المقدسة على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ليذكر في الرباط الذى أنشأه حيث يعث مع شقيق الامير يوم البعث والنشور وبأمن تسلام الحمد المحفور في جوار الضياء والنور ويحشر بما يناله من البركة والمجد ومنشع الصدقات اجترما في القبور وحصل ما في الصدور ولقد وفق في اختياره أيام حياته قبله الى ذلك البيت المعجور ظن من الأمير على هذه المكرمه وليعتبر بمولاه في التربة الجوارق فليسمعوا له عظمه) قال وكان هذا القاضى حقا جوادا لبذل اللهى معتادا واسع المروء جامع أسباب الفتوة يحب معالى الامور فضائله محاوره حذ الوقر قال ابن القادسي ووصل الحاج في صفر بعد ما اعتنقت أخبارهم وأخبره وان داود أمير مكة أخذ ما في الكعبة من أموال وأخذ طوطا كان يلزم الحجرة الاسودقا وجب ذلك الشئمة وكان قد دخل بعض الباطنية بعد سنة تأربعته فخره بديوس وقال الى كحجر وفي بذلك الرجل سيف لما تقاسم أحد يقرب منه فقتلوه ورجل وبنل نفسه للقتل وتقدم اليه فقتله فأخذ الحجرة وجعلت شظاياها الفقت وجعل له طرق فأخذ أمير مكة ذلك الطوق فلما وصل أمير الحاج عزرم داود وولى أخاه مكرنا ونقض قلعة كان بناها داود على جبل أبي

مكتاب (١٩٦) الروضتين

قيس وهو داود بن عيسى بن ظنين بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسيني ولما صرغ عن مكة أطم بفضله وتوفي بها في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وهو أمير ابن أمير إلى آخر من ذكرنا من آبائه وهم بستة نفر قال ابن الأثير وفي ربيع الأول سنة سبع وثمانين سار عز الدين يعني صاحب الموصل إلى بئر تاب عن قصر هادو بها ابن أخيه معز الدين سخر شاه لأنه كان سبي السبيس معه فلو جاع من طاعته مساعد إلا عدم عليه ففرم على أخذه هانم نخضع وطلب العفو ولا عفو فأجابته وصالحه على قاعدة استقرت بينه وحواد عنه إلى الموصل فعاد سخر شاه إلى حالته الأولى فتمسك وزعته وأطرحه

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين قال العماد والسلطان مقبيل بالقدس وقد قسم سور البلاد على أولاده وأخيه وأجناد فترعوا في أنسا سوري جديد محقق به مطب وكان ركب كل يوم وينقل الصغير على قريوس مرجع فيمن الأكار والامراة فيقل الحجاره تنجيه ولورأيته وهو يحمل حجر في حجره لعلنا له تباقد مثل جبل في فكره ولعل جنتي جاية الصغير المنة حتى حمل لها الصغير وأخرج صدره لانه جاءه إلى صدره حتى بات مصدور على كبة بها الصدور وانقل دار سني في الجنتي نقل حجارها ليهكون طلكا في دارها وراق في دارها وتاوم البكر في الكروب وعرض وجهه الكريم لشعوب قال وفي ثالث الحزب من رجل الفرع على سمت عقلا وأساعوا انهم يعدلون بها العمران وهم نازلون بظاهرها جاثلون في موارد هادو صادرها فرأى الانكساري دناءا على بعد قصده وكان ثم جماعة من الاسديتوسيف الدين يازكوج وعلم الدين قصير وهم غايز ٤٠٠ درهم فوصل المعين اليهم وقبالمقرب فوقع عليهم وكانوا فرقتين مازلتين في موضعين فلما وقع على أحد هاركب الفرع في اللان وانه حتى ركب الفرع في الآخر فذا فقومهم وواقعهم وساقوا فذا همهم أذلهم وخلصوا ناجين وسلم الله أنفسهم من أيدي الملاحين ولم تقدم المسلمين الأربعة وكانت فرقة عظيمة دفع الله خطارها وهون ضررها وفي حادي عشر المحرم كبس عز الدين جريد قتيبي على من تزل بهما من الفرع فأوقع بهم البلا وساق منهم اثني عشر أميرا وساعا كبيرا وأغار أيضا إلى صفر على ظاهر عقلا وجا بهيلا بئس أسير أو في ليلته رابع عشر صفر كنت سرية مفد مهاو ارس الدين سمون التصري عند دنتي إلى ان عبرت فوافل الفرع فسا فيها ما جاءها وأماها ونساها ورجاها وفي مختل ربيع الآخر وصل سيف الدين المخطوب وتخلص من الأسر وقطعت عليه الفرع في خمسين ألف دينار يحمل منها عشر أنفها وأعضاهم بالباقي رهائن فأحسن العساكن لساها وأقنعها باليسر بأعمالها فتوفي بها في آخر شوال وفي ثالث عشر ربيع الآخر دخل المركيس لعنه الله بصور وقلاندر جلين دخلا صور وتنصروا وأظهر الله ربه والتعدوا إلى الكنيسة وشكروها الأفسا والرهبان وأحبها المركيس ولم يكن يصبر عنهم فافى بعض الأيام وبلغ عليه وقلاندر فآخذوا وقتلا وعرفا لهما كأناس الحشوية بقلس مكاه الكدهري بأمر الانكساري وسر الانكساري بحساب المركيس فانه كان يضاد دور اسل السلطان في الاعاد عليه لما قبل سكن روعه ونهب عنه صره و تزوج الكندهري بالملكة زوجة المركيس في ليلته ودخل بها وهي حامل وما الحل في مله الفرع فيع النكاح حائل ويكون الولد منسوب إلى الملكة هذه متاعده الطائفة المشركه هذا الكندهري ابن أخت ملكا افرنيس من أسبه وملك انكساري من أمه ودخل الفرع في حكه وعاش إلى آخر سنة أربع وتسعين وتولوا لهم دون سبع سنين فقال العماد في الفتح اضافته الاسقف بصور فاستوفى رزقه وتعدى وما دونه تتردى وكل وشرب وشبع وطرب وخرج وركب فوب عليه رجلا وسكاو كنه بالسكاكين وذكاه عند تلك الكاكين وهرب أحدهما ودخل الكنيسة فذا خرج تلك النفس الحبيسة فقال للمركيس وهو مجروح وفيه روح أحطوف إلى الكنيسة فخلوه فلما أبصره أحد الجارحين وثب إليه وزاد من حاله جرح وقروح على قرح فآخذ الفرع في الفتح فالتوها من القداو إلى اسماعيلية من تدن فمالها من وضعها على تدبير هذا التدمير فقال الملك الانكساري قتلنا قتله فياقتنه من كافرين سفكادم كافر وفاجر فكابا فاجر قال ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه الحالة وإن كان من خواغي الصلاة لأنه كان عدو ملك الانكساري ومنافعه على الملك والسرير ومناقشه على التليل والكبير قال وفي تسع جمادى الآلى استولى الفرع على قلعة الهاروم ثم غرورها ورجلوا عنها وأسر واس فيها

كان الاتراك كثيري للمؤمن قد استقدم من رتبة عسكاريين طيبين فحكموا من تحت الملكان وأحرقوا النقب وطلب
 هل الحصن مهلة ينابرون فيها السلطان فلم يجابهم وفي رابع عشر مخرجت المراكبة على الفرنج على قلعة تعرف
 بجبل جناب كذا هالي في الفتح وقال في البرق بمجدد بابا وكذا حال ابن شاذان وصل كد كبير ثم نزول الصاقيه
 ثم الى النطرون ثم الى بنتوبه وهي وطانيه بن جبال بينها وبين القدس مرحله وقد الميهم المسلمون بينهم
 وأضغروهم عليهم بدلتون عليهم كل ناحية ويكون لهم قس كل راسه وقد قوت قلوبهم بنيات السلطان
 بالقدس وفي اسلح الشهور التي الجماع وتوصل العدة الى خزينة موسى من القدس على فرحين لما رأى العدة
 ما لا يدان له به رجوعنا كما على عقبيه والمسلمون في أثرهم يكون لهم وبناتون منهم وكان يدانين له في البرك
 فبعث من كل لهم عند طريق ياما فزب بهم قوارس حاستون عليهم الكين واسلم منهم أمد وفي ثالث جمادى الآخرة
 كبيت الكناخلة فكسبت وسلبت وأمرت وث تاسع وصل الخبر بان الفرنج رحلوا ليلاء رهم ليلاء وأملجوا
 ولم يسلهم خصدهم ففرغ السلطان الله الى طريق العسكر المعري فذهب الأمير طرادس الطنبلي العادل ومضى
 الدين أسلم الشامري حتى بعنا العسكر فالتقى بهم حامى وأخبرهم الخبر بقرود عزير اهرام بظنون ان لا من
 لا حول وارض الحامي فبما هم وقبأهم فاستوى على بعض الاموال وخلص أكثرها مع الرجال ومن يخلص من كان
 في العسكر فثنا الذين أنحو العادل لاه فبما بعد رعليهم القرافل قال العادل وحري هذا كله والملك العادل
 والافضل غايبان وعساكر الموصل وصغار وديار بكر متباطئة في الانيان وسيما كان من قى الدين وموته
 وتشرط ولده في بقا بلاد له عليه وان الاقتل كان طلب من والده البلاد طامم القرات ونزل عن جميع ماله
 من الولايات وأنه اذا عالى الرها وحران ملك تلك البلدان ورحل من القدس في ثالث صفر وأطلق له السلطان
 عشر من ألف دينار سوى ما أصعب برسم الخلع والتشريفات ووصل الى حلب فاحتفل أخوه بالظاهرة ليلومه وأقام
 له عيشا الكرام ورسمه ووزف بدخسته ما تلا ويحلف الابتاح اليه ما تلا وأحضره مفايع ببلده وقدم له كل
 ما ليد ومع ناصر الدين بن قتي الدين بما ألقفه ودفع منه الى ما أرحبه وأرفقه ووصل رسوله الى العادل وهو
 بالقدس لا جأالى ذلك رايما لافسه لا فناء بجنابه عائذنا بيل فاحمى له واحقه وقوى في توبته أمه وخاطب
 لسلطان في حبه واستعطفه وقال أما احبني اياي وأحضره وأنه مما يحضره وثبقى هذه السنة عليه حراب والرها وناقطيه
 في السنة الآخرة حياه والمهر ثم قرر السلطان مع أخيه العادل ان يأخذ هبة البلاد وبقيل من اقطاعه بمصر
 ونصف خاصه فضل واستزاد فاجبر فاستمع الملك القاهر من تسليم باحتي استظهر فسلر العادل في الضرا الاول
 من جمادى الاولى وكتب السلطان الى الفضل بالعدو فاجاه هذا راجعا وذهب خلت عساروا ووصل الى حران والرها
 وعاد في آخر جمادى الآخرة ومولى بن قتي الدين فان القاضي ابن شاذان عاد الافضل منكسر امتعيا فوصل دمشق
 ولم يضر الى خدمة السلطان فبما انتقته براه فرج سير اليه وطلبه فاقوسه التاخر فزال مع العساكر الواصلة
 اليه من الشرق فقيه السلطان وترجله بجبر القلبه وتعليق الامر قال لولاي بلغ ان قتي الدين موحدة السلطان
 أخذ الى العادل يستغفره ليطيب قلب السلطان عليه ويقترح أحد قسعين أما حرا والرها وجميعا وامامه
 ومنع ومليه والمهر مع كفته أخوته فرأى العادل السلطان مرارا فلم يفعل ذلك ولم يجب الى شئ منه فكثرت
 الشقاة اليه تخلف له على حران والرها وجميعا على أنه اذا عبر القرات أعطى المراضع التي اقترحها وتكفل
 اخوته وتغلى عن تلك المواضع التي في يده ثم اتهم العادل ضد السلطان فأولع عليه فغرق نسخة اليمين
 ولقطع الحديث وأخذ من السلطان القبط كيف يظايط بجعل فقام من بعض أولاد أولاد أبيه ثم أخذ منه
 بما استغفر من القاعده ثم ان العادل اتهم من السلطان البلاد التي كانت بيد ابن قتي الدين بعد تناقها وحررت
 مر اجعات كثيرة في العروض عاها فكان آخر ما استقرانه يتزل عن كل ما هو سأل القرات ما خلا الكرك والشوبك
 والصلت والبلسا وخاصة بمصر ويدلزل عن شيز وعطيه في كل سنة ألف غرارة غلة فجعل السلطان من
 الصلت والبلسا الى القدس

﴿فصل﴾ في عزم الفرنج على قصد القدس وسببه قال القاضي ابن شداد وكان قدّم السلطان الى عسكر مصر بالمسح وأوصلهم بالاحترار عند مقاربة العدو فافوا ما لبس ألبان حتى اجتمعت القوافل اليهم واتصل خيبرهم بالعدو وشاروا طالي البلاد والعدو يترقب أخبارهم ويتوصل اليهم بالعرب المفسدين ولما تحقق العدو أمر القفل امر عسكره بالانخياز الى منقح الجبل وركب في ألف راكب مرفقين ألف راجل فاني تل الصافية فبات ثم سار حتى أتى ما يقال له المسعى فانفذ السلطان الى العاقلة بترميمه ووض العدو وأمرهم ان يعدوا في البرية وركب الانكثير المعون مع العرب بجمع يسير وسار حتى أتى القفل وطاف حوله في صورة عربي وراهم ساكنين قد شفيهم النعاس فعاد واستركب عسكره وكانت الكيسة قرية الصياح فيبعث الناس ووقع عليهم بغيلة ورجل فكان الشجاع الابد القم الذي ركب فرسه ونجا بنفسه واقسم القفل ثلاثة أقسام قسم قصدوا الكرك مع جماعة من العرب وقسم أوغرا في البرية مع جماعة من العرب وقسم استولى العدو عليهم فساقتهم بجهلهم واجملها وجميع ما معهم وكانت وقعة شتعا لم يصب الاسلام عندلها من مدّة بعيدة وتبدد الناس في البرية وروا أموالهم وكان العدو منهم من نجا بنفسه وجمع العدو ما أنكمو جميع من الخيل والبغال والاقتدة وسائر أنواع الاموال وكلف الجالين خدمة الجبال والخرنبدية خدمة البغال والساسة خدمة الخيل وسار في جهل من غنية يطلب عسكره ولقد حكى من كان أسير معهم انه في تلك المدة وقع فيهم النصفون ان العسكر السلطاني قتلهم فتركوا العنجة ولم يزموا وبعدوا عنها زمانا ثم انكشف الامر فعادوا وتدهرب جمع من الاسرى وكان الحاكم منهم واخبر ان الاسارى جميعا منه والجبال تناهز ثلاثة آلاف رجل ووصل العدو الى مخيمه سادس عشر جادى الاخرة وكان يوما عظيم اعاذهم وضع عزهم على القدس وقويت نفوسهم بما حصلوا عليه من الاموال والجبال التي تنقل البرية والازوا ورتبوا جماعة على لم يحفظون الطريق على من يقل الميرة وانفذوا الكندهرى الى صور واطرايس وعكا يستخفرون فيهم ان المغاللة ليعصروا الى القدس حرسه الله تعالى ولما عرف السلطان ذلك منهم عمد الى الاسوار وقسمها على الامراء وتقدم اليهم بمرشة اسباب الحصار وأخذ في افساد المياه ظاهر القدس فخرب الصهاريج والجباب بحيث لم يبق حول القدس ماء يشرب أصلا وأرض القدس لا تطعم في حفر يرفقها ماء معين في حبيبه الاناجيل عظيم وجحر صلب وسير الى العساكر ينزلها من الجوانب والبلاد قال ولما كان ليلة الخميس تاسع عشر جادى الاخرة أحضر السلطان الامراء عنده فحضر الامراء والوجهاء العيين عشقة عنية وجلس على كرسي في خدمة الملك المنان وحضر المشطوب والاسدية بأمرهم وجماعة الامراء ثم أمر في ان كلهم واحتم على الجهاد فذكرت ما به رايته من ذلك وكان مما قتله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استنذبه الامر بايعة الصحابة بضران الله عليهم على الموت في لقاء العدو ونحن أول من تأمى به صلى الله عليه وسلم والمعجزة اللاحقة عند الصخرة والخالف على الموت فلم يبرك هذه النية يندفع هذا العدو ما تحس الجماعة ذلك ووافقوا عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكت زمانا في صورة فكر والناس صكوت كان على رؤسهم الطير ثم شرع وقال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعلم انكم جنسد الاسلام اليوم ومنعتوا وتمتعون ان دماء المسلمين وأموالهم وذرائعهم معلقة في ذمكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا نتم فان لو تم اهتمكم والعباد بالله طوى البلاد كل السبل للسكاب وكان ذلك في ذمكم فانكم أنتم الذين قد بتم لهذا كله وأكلتم مال بيت مال المسلمين فالمسلمين في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال باموالنا نحن محالكم بعبيدك وأنت الذي أنتمت علينا وكبرتنا وعظمتنا وأعطيتنا وأغنيتنا وليس لنا الا قرباننا وهي بين يديك والله ما رجعت أحد منا عن نصرتك الى ان يموت فقال الجماعة مثل ما قال وانبطت نفس السلطان بذك المجلس وطاب قلبه وأطعمهم ثم انصرفوا ثم انقضى يوم الخميس على أشد له في التأهب والاهتمام حتى اذا كان العشاء الاخرة اجتمعنا في خدمته على العادة وصمرا نحس مضي هزيع من الليل وهو غير منبسط على عادته ثم صلينا العشاء وكانت الصلاة هي الدستور وانعام فصلينا وأخذنا في الانصراف فذعناني رحمه الله وقال أعلمت ما الذي تجتهدت لا قال ان أبا الهيثم السمين انقضى في اليوم وقال انه اجتمع عندي جماعة الجبال الكرام اعرأنا وعادوا ما وقتلناك على الحصار والتأهب له وقالوا لا مصلحة في ذلك

في أخبار (١٩٩) الدولتين

فانما تخافان فانهصر ويحرق عليا مثل ما جرى على أهل عكا وعند ذلك تؤخذ بلاد الاسلام جمعا والى ان تلقى مصاف فان قدر الله ان تهرزهم ملكا بقة ببلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر ومضى القدس وقد انخفضت بلاد الاسلام بعضا كرها مدة تغير القدس وكان رجا الله عنده من القدس أمر عظيم لانجمه الجبال فتش عليه هذه الرسالة وأوقت تلك الليلة في خدمته حتى الصباح وهي من الالى التي أحياها في سبيل الله رجا الله وكان عاقله في الرسالة انك ان أردت ان تفر فتكون معنا لبعض أهلنا حتى نجتمع عنده والا فلا كرا لا دينون للترك والترك لا دينون لا كرا وادفضل الحال على أن يقيم من أهل الجند الذين بن فرخسا صاحب بعلبك وكان رجا الله يحدث نفسه بالمغامر ثم منعه رأيه عنه لما فيه من خطر الاسلام فلما قارب الصبح أشققت عليه وخاطبته في أن يستريح ساعة لعل العين تأخذ حظها من النوم وانصرفت عنه الى دارى فواصلت الا والمؤمن قد أنقذت في أسباب الوضوء فمأقرت الا الصبح قد طلع وكنت أصلي الصبح معه في غالب الاحوال فصعدت الى خدمته وهو يجسد الوضوء فصلينا ثم قلبه قد وقع لي واقع عرضة فأذن لي فيه فقلت المولى في استعانة ومادة دخل نفسه من هذا الامر يجتهد فيما هو فيه وتديجرت أسبابه الارضية فيبغى أن يرجع الى الله تعالى وهذا يوم الجمعة وهو أرك أيام الاسبوع وفيه دعوة مستجابة في جميع الاحاديث ونحس في أركه وضع بقدر أن يكون فيه في يومنا هذا فالسلطان يغفل للجمعة ويتصدق بشئ خفية بحيث لا يضره منك وتصلى بين الاذان والاقامة ركعتين تنجى فيهما ريك وتغوص مقابل يد أمورك اليه وتعرف بهزك عما تصدبته لقلل الله رحك وبسحب دعائك حال وكان رجا الله حسن العقيدة تام الايمان تلقى الامور الشرعية بأكل انقياد وقبول ثم انفصلنا فلما كان وقت الجمعة حملت الى جابه في الاقدى وصلى ركعتين ورايته ساجدا وهو يركب كليات ودعوة تنقاد على مصلار رجا الله ثم انقضت الجمعة بخير لما كان عديتها ونحس في خدمته على العادة وصلت ركعة تجرديك وكان في اليرك يقول فيها ان القوم ركبوها أسرفهم ووقوا في البر على ظهرهم عادوا الى خيامهم وقد سيرنا جوابا ليس تكشف أخبارهم ولما كان صبيحة السبت وصلت ركعة أخرى يخبر فيها ان الجواسيس رجعوا وأخبروا ان القوم اختلقوا في الصعود الى القدس والرحيل الى بلادهم فذهب الفرنسية الى الصعود الى القدس وفالوا نحن اعاجبنا من بلادنا بسبب القدس ولا ترجع دونه وقال الانكثيرى ان هذا الموضوع قد أشدت حياسه ووليت حوله ماء أصلا من أين تنسب فالواله تنسب من نهر نفوع وينسب من القدس مقدار فرسخ فقال كيف نذهب الى السقي فقالوا انفسم قمين يذهب الى السقي مع الدواب وقمين يبق على البلدى في اليرك ويكون الشرب في اليوم مرة فقال الانكثيرى اذ ان يؤخذ العسكر البراني الذي يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلدى السابق ويذهب دين الصراية فانفضل الحال على امهم حكوا نلماثة من أعيانهم وحكم الثلاثة اثني عشر من أعيانهم وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم وقد اتوا على حكم الثلاثة فابا من نهم به بفعل فلا أصبحوا حكوا عليهم بالرحيل فتمكن الخلفة وأصبحوا في بكر فالمدى والعشرين من جمادى الاخر فزارا حلين الى نحو الزملة نا كمين على أعقابهم ولله الحمد وقف عسكرهم الى ان لم يبق في المنزلة الا الاثنا عشر ثم نزلوا الزملة وتواتر الخبر بذلك فركب السلطان قوس الله ووجهه ركب الناس وكان سرور وفرح ولكن السلطان خاف على مصر لما حصلوا عليه من الجبال والظهور وكان تدكر الانكثيرى مثل هذا مراما

فصل في تزدورسل الانكثيرى في معنى الصلح وما جرى في انشاء ذلك الى أن تم ولله الحمد وقد ساق ذلك القاضي ابن شذاد أحسن سياق واستقصى الامر فيه بخلاف العباد فقال ان الانكثيرى جاءه من رسول يقول قد هلكنا نحن وأنتم والا صلح حق لنا ولا ينبغي أن نعتقد ان ذلك عن ضعف من بل للصليحة لا تفر بتأخرى عن منزلي فالكثير يتأخر لينطعم جاعا رسوله يقول لا يجوز لك أن تمك المسلمين كلهم ولا يجوز لك أن أهلك الفرج كلهم وهذا ابن أخي الكندهرى قد ملكته هذه الدار وسلته اليك يكون هو وعدك ويحكمك ولو استدعيتهم الى الشرق سمعوا وأطاعوا وان جاء عمن الزهبان والمنقضين فطلبوا منك كناس فاختلعت عليهم بها وأنا أطلب منك كنيسة وتلك الامور التي كانت تضيق صدرك لما كانت تجرى المراسلة مع الملك العادل قد ظلت يركها وأعرضت عنها ولولا عطينتي مرقعاً وقر به قبلتها وقبلتها فاستشار السلطان الامرا في جواب فأمروا بالخاصة وتعدت

كتاب (٢٠٠) الروميتين

الصلح لما كان قد أخذ المسلمين من الضجر والتعب وعلاهم من الدين واستقر الحال على هذا الجواب انك اذا دخلت معنا هذا الدخول فاجزاء الاحسان الا الاحسان ابن اختك يكون عندي كعض اولادى وسيلعلنا افضل في حقه من الخير وأأعطيك أكبر الكائنات وهي القمامة وبقية البلاد تقسمها والساحلية التي بيدك تكون بيدك والتي بأيدينا تمن القلاع الجبلية تكون لنا وما بين العلمين يكون مناصفة وعسقلان وما وراءها تكون خرابا لنا ولا لكم وان أردتم قرأها كانت لكم والنبي كنت أكرهه حديث عسقلان فانفصل الرسول طيب القلب واتصل الخبر انهم بعد وصول الرسول اليهم راحلوا الى جهة عسقلان طابون جهة مصر ووصل رسول من جانب قطب الدين بن قايح ارسلان يقول ان البابا قد وصل الى قسطنطينية في خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال الرسول اني قلت في الطريق انني عسر فرسا ويقول تقدم الى من تسلم بلادى متى فاني قد عجزت عن حفظها فاني صدق السلطان هذا الخبر ولا كثر شيء ثم جاء رسول الانكليزي يطلب ان يكون في قلعة القدس عشرين نفرا وان من سكن من النصارى والفرنج في البلد لا تعرض لهم وأما بقية البلاد فلنأمنها الساحليات والوطاء والبلاد الجبلية لكم وأخبر الرسول من عنده نفسه مناصحة انهم قد تزلوا عن حديث القدس ما عدا الزبارية انهم يقولون هذا اتصاعا وانهم راغروا في الصلح وان ملك الانكليزي لا بد له من الراح الى بلده فأجاب بان القدس ليس لكم فيه حديث سوى الزبارية فقال الرسول وليس على الزوار شيء يؤخذ منهم فعلم من هذا القول الموافقة وأما البلاد فعسقلان وما وراءها لا بد من خرابه فقال الرسول قد خسرت الملك على سورها ما لا يجزى لافسأل المسطوب أن يجعل من ارضه اوقرا لله في مقابلته خسارته فأجاب السلطان وان الداروم وغيره يغربو ويكون بلادنا مناصفة وأما باقي البلاد فيكون لهم من اقاليم صور باعها لها ومهما اختلفنا في قرية كانت مناصفة ثم جاء الرسول بالملك يسألك ويخضع لك في أن تترك له هذه الاماكن الثلاثة عامة وأي قدر لها عندك ملك وعلمتلك وما سبب امر اسلمها لأن الفرنج لم يسموا بها وهو قد ترك القدس بالكلية لا يطلب أن يكون فيه لاهب ولا رهبان ولا قسوس الا في انقمامة وحدها فترك له أنت هذه البلاد وكون النسل عاماف يكون لهم كل ما في أيديهم من الداروم الى انطاكية ولكم ما في أيديكم ويخضع الحال ويرور وان لم ينضم الخلف الفرنج ما يمكنونه من الراح ولا يمكنه مخالفتهم قال القاضي فانظر ان هذه الصناعات في استخراج الفضة من القرض بالدين تارة وبالحنوة أخرى وكان لعنه الله مضطرا الى الراح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في أن يكفي المسلمين مكروه خابوا بأعظم حيلة ولا أسلحة اذ امامته فأجاب السلطان بأن انطاكية لم اعمهم حديث قيم ارسلة اعندهم فان عادوا بما يريد أدخلناهم في السخ والأفلا وأما التي سألتها فلا توافق المسلمين على دفعها اليه والأفلا قد لها وأما سور عسقلان فيأخذ في مقابلته ما خسره عليه في الوطاء ثم عاد الرسول وقال ان الملك قال لا يمكننا أن نخرب من عسقلان حجر او احد او لا يسمع في البلاد مثل ذلك وأما البلاد فخذوها معروفة لا مكره فيها وعند ذلك تأهب السلطان للفرج الى جهة العدو وظهر القوت وسد العزم على القناع بلغه في العاشر من رجب ان الفرنج خذ لهم الله قد رحلوا طابا ليس بخوير وث فرمز القدس الى منزلة يقال لها الجيب وجاء العادل من الشرق والظاهر من حلب ورجل من الجيب الى بيت نوبة ثم رحل الى الرملة قتل بها على ثلاثين الرملة وله وركب جريد حتى أتى بازر وبيت حن وأشرى على يافا ثم نزل عليها من القدس ورتب عسكره في المينة ولده الظاهر وفي البصرة أخوه العادل وركب الخنيجات وزحف عليها فافسل العدو ورسول نصرانيا وفرنجيا لبيان في الصلح فلب منهم قاعده القدس وقطيعته فأجابوا الى ذلك واسترطوا أن ينظر والى يوم السبت تاسع عشر رجب فان جاءتهم بخسدة والامت القاعة على ما استفرغوا في السلطان الانتظار وأمر بالانقباض وأحرق فوقع بعض البسدة فوضع العدو وأخشا باعظية خلف الدخان فأظلم الأفق وما يجلس أحد على اللوج خوفا من افتحام النصار فلما انكشف القبة ظهرت أسنة قنابات مناب الاسوار وراح قد سدت التلة حتى عن نفوذ الابصار ورأى الساس هولاء عظيم من صبر القوم وثباتهم ولقد رأيتم رجلا على عشي السور ينعان المسلق فيه من جهة التلة وقد أتى أحدها بجراخ الجنيق فأخذه

فأخذهم وتزل الى داخل قها مرفيعة في مقامه متصد بالمثل ملحقه أسرع من لمح البصر بحيث لم يفرق بينهما الا فاد
 بصير ولم اراي العدو متاد آل الامر المسير واطلبون الامان قتال رحمة الله الفارس بفارس والتركي بكي بخله
 والراجل بالراجل والعازم في قطيعة القدس فظفر الرسول ورأى القتال على الثقة أشد من اضرار النار فخال
 السلطان ان يظل القتال الى ان يعود قتال ما أقدر على منع المسلمين من هذا الامر ولكن ادخل الى أصحابك
 فقبل لهم بفازون الى القلعو يتركون الناس يشتغلون بالبلد فاني دونما تم ففعلوا ونجازوا الى قلعة بافا بعد
 ان قتل منهم جماعة ودخل الناس البلد عنوة وبوامنه أشنة عظيمة وغللا كثيرة وأثابوا بها باقاس مانهم من
 القاهظة المعمر يتواسعت القاعد على الوجه الذي قررما السلطان وكان قايماز النجمي في طرف القروا لمناجيت من
 عسكر العدو الذي لعكا فوصل منه كتاب يخبر فيمان الا انك تيري المعنوع لما سمع خبر بافا عرض عن قصد يروث
 وعاد على قصد بافا فاشتد عزم السلطان على تغة الامر ونسلم القلعة وكنت من لمر الامان لانه قد لاح أخذهم
 وكان الناس لهم مقل منظر وامن العدو بخبر وبهم عظماء ممكن اخذهم عنوة بما بعث هم العسكر غير ان الامان وقع
 واتفق الصلح فكنت بعد ذلك بمن على اخراج العدو من القلعة ونسلمها خوفا من حقوق الجبدة وكان السلطان
 يشتد صرعه على ذلك غير ان الناس قد أقدمهم التعب عن امثال الامر وأخذ منهم الحديد وشدة الفرو ودخان النار
 بحيث لم يبق لهم استطاعة على الحركة وسعنا فوق الفرنج في المعمر فقلنا بوصول الجبدة عز الدين جردك وعلم الدين
 قيسر ودر يس المهراني وعدل الخزانة نفس الدين وقال امض الى الملك الظاهر وقل له يتفق ظاهر الباب القسبي
 وتدخل أنت ومن ترأى الى القلعة وتقر حيون القوم وتستولون على ما فيها من الاموال والاسلحة وتكتفي بظنك
 الى الظاهر وهو ظاهر البلد وهو يسرها النيا فقلنا ودخلنا القلعة وأمرنا بالفرج بالخروج فاجابوا وتيسوا فقال
 جردك لا ينبغي ان يخرج منهم أحد حتى يخرج الناس من البلد خشية ان يخطفوههم وكان الناس قد اخذهم
 الطمع في البلد وأخذ يشتد في ضرب الناس واخراجهم وهم غير مضبوطين بعدة ولا بمحصورين في مكان فكيف
 يمكن اخراجهم وطال الامر الى ان علا النهار وأبنا ألوه وهو لا يرجع عن ذلك والزمان عصى قبا رايت الوقت يفوت
 قلت له ان الجبدة قد وصلت والمصلحة المسارعة في اخراجهم فاجاب وأخر جناخه وأر بعنهم اخبوهم ونسأهم
 وسيرناهم ثم اشتدت أنفس الباقين وحدتهم فقومهم بالعصيان وكانوا اساقوا المراكب التي جاءتهم وثلثوا
 ان لا تخدعهم فيها ولم يعملوا ان الا انك تيري مع القوم ورأهم قد تأخر واع التزول الى علو النهار فخانوا ان يمتنعوا
 فيؤخذوا ويقتلوا فخرج من خرج ثم بعد ذلك قويت الجبدة حتى صاروا خمسة وثلاثين مراكب قويت نفوس الباقين
 في الحصن فظهرت منهم امارات العصيان ودلائله فقلت لا سيما نأخذوا حلقكم فقد قدرت عزائم القوم فما كان الا
 ساعة بحيث صرت خارج البلد وقد حمل القوم من القلعة وأخرجوا من كان في البلعم الاجناد وقد ازدحم الناس
 في الباب حتى كاد يتلف عنهم جماعة وبقى في بعض الكائنات جماعة من رعاك العسكر مشغلين بما لا يجوز فجمعوا
 عليهم وقتلوا منهم وأمرنا ولما عرف السلطان أمر الناس زحف وعاد للحصار كما كان وحضر والعدو في القلعة
 واستبطوا تزل الجبدة اليهم وخافوا خوفا عظيما فاطرسوا بطر كهم والقسطلان الى السلطان يستنران مما جرى
 وبأنا القاعدة الاولى وكان سبب امتناع تزل الجبدة فانهم رأوا البلد مشغورا بدارق المسلمين ورجاهم فافوا
 ان تكون القلعة قد أخذت وكان الجزع يمنع من سماع الصوت وكثرة الضجيج والتمليل والتكبير فلما رأى من في القلعة
 شدة الزحف عليهم وامتناع الجبدة من التزل مع كثرة تهاونها بلغت نيقا وخمسين مراكب منها خمسة عشر من الشواني
 عملوا ان الجبدة قد غلظوا ان البلد قد أخذ فوهب رجل منهم نفسه للسمع وقتر من القلعة الى المينا وكان رملا فلم يصبه
 شيء وعاد الى البحر فحدث الا انك تيري بالحديث فما كان الا ساعة حتى تزل كل من في الشواني الى المينا هذا كله
 وأبنا شاهد ذلك فعملوا على المسلمين فأنجز جوهم من المينا فقبض السلطان على الرسل وأمر بتأخير الثقل والاسواق
 الى بازور فحمل الناس وتخلف لهم ثقل عظيم مما كانوا يهابون بافا وخرج الا انك تيري الى موضع السلطان الذي
 كان فيه لمضايقة البلدوا من في القلعة ان يخرجوا اليه لتعلم مواردهم ثم اجتمع به جماعة من المالك طلبهم وحضر
 الحاجب أبو بكر العيادي وكان قد صادق جماعة من خواص المالك ومحل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا

كتاب (٢٠٢) الروتين

يجمعون به في أوقات متعددة وكان قد صادق من الامراء جماعة كبدو الذين بالدم وغيره فلما حضر واعنده جدد
 وذل ومن جملة ما قال هذا السلطان عظيم وما في الارض الا سلام ملكا كبيرا ولا أعظم منه كيف رحل عن المكان
 بمجرد وصولي والله ما كنت لامة حربي ولا تأميت لامي وليس في رحلي الا زبول البحر فكيف تأخرت قال والله انه
 اعظم والله ما ظننت اني ياخذ يا في شهرين فكيف أخذها في يومين ثم قال لا في بكر المحاسب تسلم على السلطان
 وتقول له بالله عليك اجب سؤالي في الصلح فهذا امر لا بد له من آخر وقد هلك بلادى نورا البحر وما دام هذا
 مصلحة لنا ولا لسلك فارس السلطان اليه في الجواب انك كنت طلبت الصلح أولا على قاعدة وكان الحديث في يافا
 وعقلان والآن فقد خربت هذه يافا فيكون من قيسارية الى صور فارس الانكليزى يقول ان قاعدة الافرنج انه
 اذا أعطى واحدا الواحد بلدا صارت معه وغلامه واما اطلب منك هذين البلدين يافا وعقلان وتكون عساكرهما
 في خدمتك دائما واذا انحلت الى وصال اليك في اسرع وقت وخد متك كما تعلم خدمتي فقال السلطان حيث
 دخلت هذا المدخل فاما اجيبك على ان تجعل البلدين قمعين أحدهما لك وهو يافا وما وراءها والثاني لى وهو
 عقلان وما وراءها ثم رتب السلطان الرزك يارور وام بخراجهما ورتب حارب رتب حارب رتب القباين لملك وسار الى
 الرملة فعاد رسول الانكليزى يشكر على اعطائه يافا ويجيد السؤال في عقلان ويقول له ان وقع الصلح في هذا اليوم
 الستة سار الى بلاده والا احتاج ان يشئ ههنا فاجابه السلطان في الحال وبال أما التزول عن عقلان فلا
 سبيل اليه وأما تنسيته ههنا فلا بد منها لانه قد استولى على هذه البلاد ويهمل ان تهتمى غاب عنها أحتلت الضرورة
 واذا أقام أضنان شاء الله تعالى واذا سئل عليه ان يشئ ههنا ويبعد عن أهل موطنه مسيرة شهرين وهو شاب
 في عتفان شبابه وقت اقتناص لاذنه فما يسلم على ان أشئ واصيف وأنا في وسط بلادى وعندي أهلى ولولا دى
 ويأتى الى ما أريد ومن أريده وان ارحل شيخ قد كرهت لذات الدنيا وشعبت منها ور فضمتها عني والعسكر الذى يكون
 عندي في الشتاء غير الذى يكون في الصيف واما العتقدان في اعظم العبادات ولا أرال كذلك حتى يعطى
 الله النصر ان يشاء ثم جاز رسول يقول كأمطر نفسي على السلطان وهو لا يقبلى وانا كنت أحرص حتى أعود الى
 بلادى والآن قد هجم الشتاء وتغيرت الاواء وعزمت على الاقامة وما بقى ريتنا حديث ثم طمع السلطان ان عسكر
 العدو قد رحل من عكا فاصدا يافا فاسار رجه الله فقتل على العوجا ووصل من أخبره ان العدو دخل قيسارية فوم يبق
 فيه طمع وبلغه ان ملك الانكليزى ازل خارج يافا في فريسة فوقه له ان يكبها فانه فوجد خيجه نحو عشرين خيما
 عليهم فنبهوا ولم ينجحوا ما كنهم وكسروا عن أنياب الحرب وكافوا على الموت أصبح فار تاع المسلمون منهم ورجوا
 من ثباتهم وردادوا حولهم حلقة وكانت عددا لحيل سبعة عشر وقيل تسعة والرجال ثلثمائة أو أكثر فوجد السلطان من
 ذلك موحدة عذبة ودار على الاطلاع بنفسه بمحتم على الحلة وبعدهم بالحسي على ذلك فلم يجد دعاء أحد سوى
 ولده الظاهر قال وبلغنى امقال له الجناس اخوا المشطوب قل لعلنا انك الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم
 الغنية ثم يمحون وكان في قلوب العسكر من صلح السلطان على يافا شئ حيث قوتهم الغنية فلما رأى السلطان ذلك أعرض
 عن القتال وغضب وسار الى بازور قال ولقد بلغنى ان الانكليزى أخبر بجهلك اليوم وجل من طرف المجنة
 الى طرف المبصرة فلم تعرض لى أحد قلت ووصل من القاضى كتاب من دمشق يقول فيه (كتر الاراجاف
 بهلا ملك الانكليزى فان كان كذلك فبواكل من قصر في يافا عن أخذه عن السلطان الاتصروه فقد
 نصره الله وجواب السلطان لهم عن ملك الانكليزى لا يقتلوه فقد قتل الله ولم يزل لطيفا ولم يزل مولانا
 يحصل الثقل ثقيل وخفيفا ومن كان الله عليه لم يكن قويا ومن كان الله معه لم يكن ضعيفا قال القاضى
 ثم سار السلطان الى النطرون ثم الى القدس فنظر الى العمائر ورتبها ثم عاد الى النطرون وتوافت اليه فيه
 العساكر ووصل علاء الدين ابن صاحب الموصل ثم قدم عسكر مصر وفهم سيف الدين بازكوج وجماعة الاسديبة
 في خدمة ولده الملك المؤيد مسعود ووصل المنصور ناصر الدين مجددين قتي الدين فقيهه الظاهر الى بيت توبه ودخل به على
 السلطان فنض واعنته وضحه الى صدره وغشبه اليك فصر بنفسه حتى غلبه الامر فيكى الناس لكانه ساعة ثم
 باسطه وسأله عن الطريق وكان معه عسكر جيل ففتر عين السلطان به ثم سار وزل في مقدمة العسكر مما يلي الرملة

ولما رأى السلطان العساكر قد اجتمعت جمع لرباب الرأي وقال ان ملك الانكليزية قد مرض مرضا شديدا والافرنسيه قد ساروا راجعين ليعبروا البحر من غير شك ونفقتهم قد قلت وارى ان نسير الى يافا فان وجدناها مع ما عملوا لاعدائنا الى عسقلان فما تلحقها النجدة والا قبلنا منها غرضافوا فقبوه على ذلك فارسل عز الدين جرديك وجمال الدين قرج سادس شعبان حتى يكونا قريبا من يافا هذا ورسلا الانكليزية الى تقطيع في طلب الذبابة والتلج وأوقم الله عليه في مرضه شهوة اكثرى والخروج كان السلطان بمقده بذلك ويقصد كشف الاخبار ثوارا الرسل والتي انكشف له ان فيها تلغاة فاقارسل على قول المكر وما تاتي فارس على قول القتل وان الكنديه ترى تردد بينه وبين الفريسيه في مقامهم وهم عازمون على عبور البحر قولوا واحدا فاسار السلطان الى بكة الرملة وباعرسل الانكليزية مع الحاجب الى بكة الشكر السلطان على اسعافه بالتا كية والخروج ذكر أبو بكر انه انفرديه وقال قل لاني يعني الملك العادل يتصرف كيتفصل الى السلطان في معنى الصلح ويستوجب له منه عسقلان وامضى ويبقى هوهمنا مع هذه الشريعة البسرة بأخذ البلاد منهم فليس غرضي الا اتمام ما همي بين الرعية وان لم ينزل الملك العادل عن عسقلان فأخذني منه عوضا عن خسارتي على عمارة سورها فارسل السلطان الى العادل ان تنزل عن عسقلان وعن العوض عنا واستوفى منه على ذلك ملازمة البكار والانتفاذ قد نفذت ثم ان الانكليزية نزل عن عسقلان وعن العوض عنا واستوفى منه على ذلك فاحضر السلطان اذ بان يوم السبت ثامن عشر شعبان وذكر يافا وعلمها واخرج الرملة منها ولهم وجدل بانام ذكر قيسرية واعمالها وارصف وعلمها وحيفا وعلمها وعكا وعلمها واخرج منها الناصرة وصفيه واثبت الجميع في روز تقوال الرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم فان صلحتكم على ذلك خباركم قد اعطيتكم بدي في تغد الملك من يحلف في بكة غد والانتعلم ان هذا بدع مع ومعا طلة وتكن من اعماعه ان تكون عدة لان غياواون يتفق اصحابنا واحصاهم على خرابها واسترط دخول بلاد الاسماعيليه واشترطوا همد دخول صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح وشرط ان تكون الرملة ولد بين المسلمين ويتهم مناصفة واستقرت الفاعدة على انهم يحلفون يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان ورضي الاستاذ والداوية وسائر مقدمي الافرنجية بذلك ولم يحلف الانكليزية بل أخذوا يدوعا عهده واعتلوا بان الماوك لا يحلفون وقنع من السلطان بمثل ذلك ثم حلف الجماعة خلف الكنديه راي اسخه المختلف عنه في الساحل وباليانين بارزان ابن صاحب طبرية وواصل ابن الغنغري وابن بارزان وجماعة من مقدميهم الى السلطان فاخذوا يدوعا الصلح واقر حواصيف جماعة العادل والافضل والظاهر المنصور وسيف الدين المشاطوب وبلدم وابن المقدم وصاحب شيرز وكل مجاوري بلادهم وحلف صاحب انطاكية وطرابلس وعلق الجين بشرط حلفهم للمسلمين قال وواصل رسول سيف الدين بكتر صاحب خلاط يبدى الطاعة والمراقبة وتسير العسكر وحضر رسول الكرج وذكر ففصلا في معنى الايات التي لهم في القدس وعارتهوا شكوا من انها اخذت من ايديهم وبسأل ردها الى أبدي نواهم وورد رسول صاحب ارض الروم بسذل الطاعة والعبودية قال اني ادعقد هدنة عامة في البر والبحر واليه الوعر وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وادخلوا في الصلح اطرابلس وانطاكية ووقعت المصالحة مثلا ثلاث سنين وثلاثة أشهر اولها مبتدأ ابول الموافق للحادي والعشرين من شعبان قال وكان الفرنج قد ملؤوا بياض الرجال والاسلحة والافوا لتقربوا بها على فتح القدس لتكون لهم ظهر اعوانا القربان من البيت المقدس قلت ومن الالفاظ العاضية (وقد فعلت الاقدار في راحة عراكتهم ما كان سببه هذه الحركات المباركة وكيف تشنع ملك الانكليزية القدر وولعه الله فاني باق القدر والغش في أهل عكا نهرا اجهارا وشهد فيه بجتره وضغينه المسلمين والنصارى وغدر الفرنج معلوم

اذا غدرت حسناء أوفت بعهدها • ومن عهدها ان لا يدوم لها عهد

القوم هادئو الماضعوا وشمخون اذا قوا ولعن شتظري عليك انك لسيرة ما تنصع عنه المقدار في أمر اما الهلاك ولا بأس بما يفتي الاجبة المراكيس واللوك ملك الالمان ويؤنس في النار غرتهم ويكرعدتهم واما ان يعافي فهو بين أمر بن امان رجع الى لعنة الله والى حره والذبح في قعره واما ان يقيم فيه: الكلد ابدى الشراذجه ونكص

كتاب (٢٩٤) الروضتين

للمؤمن من الوفاء على عقبيه وانتظر الفرصة لتبرز والعزوة قلبني وما قبل في هذه الهدنة أيات من قصيدة
نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجاور التي تقدمت في فتح البيت المقدس وهي

يا صاح قل للآن كثير الكلب دغ * عنك الجنون وخذه قالة منصف
القدس ما فيه لمرجك مطعم * كلا ولا نور الاله بمنط في
والمجد الأقصى فغنه نقص من * وقع الدبابيس الاليمية تعرف
واستقت نفسك فهي أحب ناصح * وأترك متابعة الحاج الملتف
واجب لمح بالروس معمم * وأطرب لسيف بالدماء مغلف
قد قلت لما قبل صلح قنبرى * هذا حديث مخزف ومخزوف
سلف تولى السيف عقد شروطه * أحجب به من مسلم وصف
ظنوه سلما وهو في أرواحهم * سلم إلى أجل لهم مختلف

وذكر أبو الحسن بن الساعاتي الأكتيبي هذا في شعره في قصيدة مدح بها السلطان رجه الله يقول فيها

منعت ظليما، المخني بأسونه * وأشتما أشكره فك ظمائه
فعلت بنا وهي الصديق لحاظها * كظي صلاح الدين في أعدائه
سل عنه قلب الانكثير فان في * خفقائه ما شئت من أنبائه
لولاك أم البيت غير مدافع * واسال سبيل نذاه في بطائيه
وبكت جفون القدس نائمة دما * لترث الناقوس في أفسائه

(فصل ١٠) فيما جرى بعد الهدنة قال القاضي أمر السلطان أن ينادى في الوغافات والاسواق الا ان الصلح قد انتظم في شامهم بلادهم يدخل بلادنا في فعل ومن شاء من بلادنا يدخل الى بلادهم فليعمل وأشاع رجه الله ان طريق الحج قد فتح من انشامه ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس وكنت حاضر ذلك جميعه وأمر ان يسير مائة نقاب اقريب سور عسقلان معهم أمير كبير ولاخراج الفرنج منها ويكون معهم جماعة من الفرنج الى حين وقوع الخراب في السور خشية من احد قيفائه عامر افعل ذلك ونزيت وكان يوم الصلح يوما مشهورا غشى الناس من الطائفة من الفرنج والسرور والابحار الى الله تعالى والله العالم ان الصلح لم يكن من ابتذله فانه حال في بعض محاوراته في الصلح أخاف ان أصالح وما أدري ايش يكون مني فيقوى هذا العدو وقد بقي لهم هذه البلاد فخرجون لاستعادة بقية بلادهم وزي كل واحد من هؤلاء الجماعة قد تعدى رأس قله يعني حصنه وقال لا تأمل وهلك المسلمون فهذا كلامه وكان كما قال رجه الله انه رأى المعصية في الصلح لاسام العسكر ومجاهرتهم بالمخالفة وكان ذلك معصية ظلمها الله تعالى فانه انقذت وفاته بعيسد الصلح ولو كان اتفق ذلك في أثناء الوقفات لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح الاتوقفا وسعادة من الله رجه الله عليه ورحل السلطان الى النمرودن واخطط العسكران وذهب جماعة من المسلمين الى باقيا طلب التجار ووصل خلق عظيم من العدو الى القدس للفتح وفتح لهم السلطان الباب في ذلك وتقدم معهم الخفر ليحفظونهم حتى يروهم الى يافا وصكان غرض السلطان بذلك ان يقضوا وطربهم من الزيادة ويرجعوا الى بلادهم فيأمن المسلمون شرهم ولما علم الملك كثرة من يزورهم صعب عليه ذلك وسير الى السلطان يسأله لمنع الزوار واقترح ان لا يأذن لاحد الا بعد حضور علامة من جانبه أو بكتاباه وعلت الفرخية ذلك فعظم عليها واعتموا في الحج فكان ردي كل يوم منهم جوع كثيرة مقدمون وأوساط ومسلوك متكرون وشرع السلطان في اكرام من يردون هذا الطعام لهم ومباسطتهم ومجاذتهم وعرفهم انكار الملك ذلك وأن لهم السلطان في الحج وعرفهم انه يلفت الى منع الملك من ذلك واعتذر الى الملك بلن قوما قد وصلوا من ذلك البعد ويسر لهم زيارة هذا المكان الشريف لاسيما منعهم ثم اشتد المرض بالملك فرحل ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من شعبان وقيل انه مات وسار هو والكندهرى وسائر المتقدمين الى جانب عكا ولم يبق في يافا الا امرىض أو عاجز وغر يسر ثم أعطى السلطان للناس دستورا افسار عسكر أربل والموصل وسنجار والحصن وأشاع رجه الله أمر الحج وقوى عزه على براء الدفعة منه

في اخبار (٢٠٥) الدولتين

قال القاضي وكان هذا مما وقع لي وبدأت بالاشارة به في يوم تمة الصلح ووقع منه رحمة الله عليه موقعا عظيما وأمر الدينون ان كل من عزم على الحج من العسكر ثبت اسمه حتى يمضي عذته من يدخل معنا الطريق وكتب جرائد بها يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد وغير ذلك وسيرها الى البلاد ليعدوها ويرحل من الطريق رابع شهر رمضان وسار حتى أتى ماري صمويل فقتل أثناء العادل وكان من بضائحه قوجه قد سار الى القدس وكان قد انقطع عن أخيه مدة بسبب المرض وكان قد مات فلعرف بجيئ السلطان الى ماري صمويل ليعيادته فجعل على نفسه وسار حتى لقيه بذلك المكان وهو أول وصوله ولم ينزل بعد وزل وقيل الارض وعاد ركب فاستدناه وسأله عن من أجهه وسار اجمعا حتى أتى القدس بقية ذلك اليوم وقال الحمد عاد السلطان بعد السلام الى القدس ليتفقد أحواله وعرض رجاله واشتغل بتشييد أسواره وتحصينها وتخليد آثاره وتحسينها وتعميق خنادقه وتوثيق طرائقه وزاد في وقف المدرسة سوقا بذاك كنيها وأرضا بساكنيها وتلك رتب أحوال الصوفية في رعايتها والوقف الكفايل بكفايتها وغير الكنيسة التي في شارع قيامتها بجمارستان ونقل اليه العقاقير والادوية من جميع الأنواع والالوان وأدار سور القدس على قبة صهيون وأضافها الى المدينة وأمر بإدارة الخنادق على الجميع وصمم العزم على الحج فلم يوافقه القدر وتأنف على فرواته بعد ان قد مضت مآته وأقام شهر رمضان وأفاض الاحسان وتؤوض ولاية القدس واعمالها الى عز الدين جردك حين استعفى منها حسام الدين سياروخ وولي مملوكه علم الدين قصير مادن القدس لعمل الخليل وغزة والد اردوم وعسقلان قتل ولم يبلغ القاضي النفاضل من قبل السلطان انه عازم على الحج كتب اليه مشيرا بنبطيله (ان العريخ يجبر جوائعهم الشام ولا سلاوا عن القدس ولا روي بعدهم في الصلح فلا يؤمن مع بقاء الفرنج على حاله فافترقا عنكنا وسفر سلاطينناهم امقترا معلوما مدة الغيبة فيه ان يسروا اليه فيسحبوا القدس على غفله فيسندوا اليه والى اذ بالله وينخرط من يد الاسلام ويصير الحج كبيرة من الكاثر التي لا تعفر ومن العثرات التي لا تقال) ثم قال (وحاج العراق وخراسان اليس هم مائتي ألف وثلثمائة ألف أو أكثر هل يؤمن ان يقال قد سار السلطان ابن نارو ملك دم وتوش موس فاقعدوا ولا فيكون تاريخه أو عوذ بالله منه ما هذه الشناعة من تنعة الوقوع ولا مستبشرة من العقول الضعيفة فيمن المولى يتأمل ما أنعم المملوك مستورا فانه يسأل مولانا ان لا يشارك أحدا في كنيته لامن مهم ولا من غيرهم يامولا ما نظام الخلق كشفها أهم من كل ما يتقرب به الى الله وما هي بواحدة في اعمال دمشق من النظام من الفلاحين ما يستغرب معه وقوع القطر ومن تسلط المقطعين على المنقطعين ما لا يندى وليده وفي وادي ردي والزنداني من الفتنة القائمة والسف الذي يقطر دما لا زجر له والمسلمين تغور ترديا التحصين والذخيرة ومن المهمات اقامه وجوه الدخيل وتقدير الخرج بحسبها فمن المستحيل نفقة من غير حاصل وفرع من غير أصل وهذا أمر قد تقدم فيه حديث كبير وعرضت للولي شواغل دونه ومشت الاحوال مشيا على ظلع فلما خلت الثوب أعان الله من عودها كان خلويت المال أشد ما في الشدة وليس المملوك مطالبا بذخيرة تحصل انما يبطئ شيعة من حيث يستقر) قتل ولم يزل البيت المقدس شرفه الله تعالى ملحوظا بالمعارة والتحصين من عهد السلطان رحمه الله الى سنة ست عشرة وستمائة فانه خرب في المحرم منها بسبب خروج الفرنج لعنهم الله وانتارهم في البلاد خيف من استيلائهم عليه وفي السنة التي قبلها توفي الملك العادل أبو بكر ابن أيوب اخو السلطان وتشتت الناس بعد خروبه ورغبوا عن السكنى به ورواه الرازي عن النفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها

أعيني لا ترق من العسبرات * صلي في البكا الا حال البكرات
لعل سيول الدمع يطغى فيضها * تودع ما في القلب من حمرات
وباقب اسعر نار وبيسبك كبا * خبت باذكار بيعت الحمرات
وإفمخ بالشجوماتك لهله * يروح ما أتى من الكمرات
على المسجد الاقصي الذي جل قدره * على موطن الانبياء والصلوات
على منزل الاملاك والوحى والهدى * على شهداء الابدال والبدلات

كتاب (٢٠٦) الروضتين

على سلم المراج والصخرة التي * أضافت إلى الأرض من مغارات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها * صلاة أبراراً في اختلاف جهات
على خبره مجرور وأكرم عامر * وأشرف مبنى لحسب رتبة
وما زال فيه للثنين معبد * يوالون في إراجائه المعبدات
عظا المعبد الأقصى المبارك حوله الرفيع العباد العالي الشرفات
عقاب بعداً قد كان لغير موسم * وللبر والاحسان والقربات
يوافي إليه لكل أشعث فانت * لمولاه بر دائم الخلودات
خلام صلالة لا يمل مقيها * توضع بالآيات والمصورات
خلام جنين النائين وحزنهم * فمن بين تزاح وبين بكاء
تنبك على القدس البلاد بأسرها * وتظن بالأحزان والسد فراحات
لنبك عليها مكة فهي أختها * وتنكوالذي لاقت إلى عرفات
تنبك على ما حبل بالقدس طيبة * وتشرح في أكرم الجحانات
لقد أشعثوا عكا وصور بهدهما * وباطلما غادتهما بشمات
لقد شتموا عنها جماعة أهلها * وكل اجتماع مؤذن بشتات
وفدهموا بجد الصلاح بهدهما * وقد كان بجدا بانخ القرفات
وقد أخذوا صوتاً وصدياً أثاره * لهم عظماء والوا من الفزوات
أما علمت أبناء أيوب أنهم * بسمعات عدوا من المروان
وان افتتح القدس زهرة ملكهم * دهل ثم الامن الزهرات
فمن لي بتوايح ينعن على الذي * شجاني بأصوات لم شحاة
يردون بينا للفسادى قاله * يؤن فيه خيرة المتغيرات
مدارس آيات خلعت من تلاوة * وممثل وحى مقفر العرصات

قلت هذا البيت الأخير لا يدل على الخزانة في أول قصيدة رثي بها أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السنة
التي توفي فيها العادل قبل التي خرب فيها القدس هي السنة التي نزل فيها الفرقنج خذهم الله على نغرد بما طحسه الله
تعالى وهي المرة الأولى في زماننا وأمامنا عليه إلا أن استولوا بعد أن جرى لهم بصرى مجرى لهم على عكا ثم أخذهم المسلمون
منهم وقتلوا أسرا ثم إن الفرقنج استولوا عليه صلح في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وشروا في بناء طائفة منه ثم أخرجوا
منه عنوة مرة بن أخرجه في إحدى المراتين الملك الناصر صلاح الدين داوود بن المعظم شرف الدين عيسى بن العادل
أبي بكر بن أيوب وقال فيه حينئذ بعض شعراء العصر (هذا الشاعر هو صاحب جلال الدين يحيى بن مطر ورحمه الله
تعالى)

للمجد الأقصى له عادة * سارت فصار مثل سائرنا

إذا غدا لكفر مستولنا * أن يبعث الله له ناصرا

فناصر طهره أولا * وناصر طهره آخرنا

ثم استولى الفرقنج أيضاً على طبرية وعدة قلان ثم أخذهم عنوة في شهر سنة خمس وأربعين وسبعمائة في دولة
الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وقد استولوا أيضاً
على النجف وصفد والله بسمل عودها إلى أهل الاسلام وبؤيد الدين الحنفي على عز الأيام
(فصل) في مصر السلطان رجه الله من القدس إلى دمشق قال العادل ولما استلم السلطان المنار في أحوال
القدس وعما ربه وقوض القضاء والسطر في الوقوف إلى النقاض بها والدين يوسف بن رافع بن تميم وعقل منه على
أمين كريم أن يرعد إلى دمشق على الثغور عابراً وفي أحوالها ناظراً وكان عزم على الحج وجمع وكتب إلى مصر

والذين بمعا عليه عزم وأمر أن يحمل في المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والتفقات والثياب والاكسوان.
فقبل له لو كتبت الى أمير المؤمنين وأعجبتك وعزته بنجك حتى لا يظن بك أمر أنت منه بري ويعلم ان
قصدا في المضي مضى والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الاطاق ثم هذه البلاد اذا سافرت تركها على ما هم من
الشعب وهذه المعال التي في الثغور حفظها من أهم الامور ولا تغتر بعقد الغنم فالتقوم على رقب الملكة
والقدر دأهم فزال بها الجماعة حتى حلو عقد عزمه على الحج فشرع في ترتيب قاعدة اتقدس في ولايته وعمرته
ثم خرج من القدس يوم الخميس خامس شوال وياوز ناحية البيرة فبات على ركعة الادوية وتول يوم الجمعة ينظاهر
نابلس وأقام بها الى ظهور يوم السبت حتى كسف مظالم ووظف مكالم وكان بهاسيف الذين المشطوب وشكا أهلها
نوابس من جهته متوب فأزال السكوى وأراح البلى ورحل بعد ظهر السبت وبات عند عقبة ظهر حاه بموضع
يعرف بالقر بديسه ورنه نافي من وجهه الا ان يسه وأصبحنا را حلين وتزلنا ضحوة على جبين وهناك ودعنا
المشطوب وداع الابد فانه انقل بعد أيام الى رحمة الواحد الصمد وجئنا نحو الانبيين الى يسان وسعدنا في قاعتها
للمجيرة الخالية فابصر قلها العاليه وقال الصواب بناء هذه وتخراب كوكب ثم رحل ظهر اوابان قلعة
كوكب وسعدنظر رايه فيها وصوب ورحل ضحوة اللاناء ونزل بطبرية وقت العشاء وهناك لقينا بها الذين قر اقوش
وقد خرج من الاسرة فغنياه بالبر والبر ووصل مع السلطان الى دمشق وأقام ايام ان نخلص أصحابه من الاسر ونوجه
الى مصر وقد ضاق نفسه بئس ماله وخرج من ثروته ودخل في افلاله قال وتوالت تلك الليالي الامطار وواصلها النهار
فأخشا يوم الاربعاء وسرا بكرا فاجلس وتزلنا سق الجبل الذي عليه قلعة صغد وصعد اليها وكل فيهم الرجال
والعدد ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عامل الى قلعة تينين وجاز يوم الاحد على هوتين وخي ناعلى عين الذهب
عند تزلنا من الجبل واجتمعنا تلك الليلة بالثقل ثم سارا الى مرج عيون من حله والى جسر حامد تله وطرقنا
بين عين صيدا ووادي التيم وطلعنا من تلك الاردة والنسحاب طلوع الانوار من النسيم وقال في الفصح على صيدا
يسره وعمل وادي التيم يمد وعمرنا على مرج ثاغيا تاما قبل مرج القنعية ودفعنا الى سلوك المسالك الصميه ورحلنا
يوم الثلاثاء الى البقاع فقمنا على جسر حامد يوم الاربعاء بناحية قب الياس و: خل يوم الخميس ببروت وبها
والنهار الذين سامه فاهتم بالكرامه ولما أراد عن بروت الانفصال في الحادي والعشرين من شوال قيسله
ان الارنس الانطاكي يمتد مع عصابة من الورد قد وصل الى الخدمه مستكما بجبل الصعصه ففني عنائه وتزل
وأقام وما الرحل واذا بالارنس في الدخول وشرقه في حضرته بالمشول وتزوه وأنسه ورفع مجلسه وكان معه من
مقضى فرسانه أربعة عشر بارونيا قوهب كلامهم تشرى فاسريا وأجزله ولهم العطاء وأبدى هم الاعناء
وكسبه من مناصفات انطاكية مبعشة يبلغ عشرين ألف دينار وخص أصحابه بمبار وأعجبه امسترساله اليه
ودخوله بغير امان عليه فلا جرم تلقا بالاحسان ووافاه وودعه يوم الاحد فارقه وكانت الاقوال قد اتفقت من
قب الياس الى مرج قليطيه من البقاع فبات في الخيم وعبر يوم الاثنين عين الجزل الى مرج تينوس وقد زال البوس
وهناك توافد اعدان دمشق وأماثلها وأفاضلها وفواضلها وتزلنا يوم الثلاثاء بالعزاه وجرى الملقون بالطرف
والخف على العاده وأصبحنا يوم الاربعاء الى جنس قد مشى داخلين بسلام آمنين لولا اننا غرنا الذين وكانت
غيبه السلطان عن اطال أربع سنين فأخرجت دمشق أثقالها وأبرزت نساءها ورجلها فكانت يوم الاثنين
وخرج كل من في المدينة وحضر الناس نجي ولشاعوا الاستبشار وفرحوا وكانت غيبه السلطان في الجهاد طالت
فاهتزت بقدومه واختلفت وتزنت بضائله الاعين وأثرت بفواضله الاسن وأبدوا جوده الاستبشار والسن
الاستغفار وأعين الاستعبار ورفعوا أيدي الابتنال بصالح الدعاء عن خالص الولاء جاريه التفضل في فصل
الخرى وتفصل تليد الجذب الطريف واتسع فضاء الفضائل وارتدع جاء الجماعل وحل في القلعة بحلول
الشمس في برجها وأخذت بحار سماحه في موحها وجلس في دار العدل فأجاب وأجار وبالنار وخرجت السنة
والسلطان في امنئ سنائه وأهوى جلالة وأجلى بهاته والناس را تعون في راض نعمائه ورسد الممالك القرية
الشرقية تحيط بونه ويطلبونه ويتظرون عزمه برقبونه وهو يهدمهم بالقصر الشناء وانكساره وابتسام ثغر الترسع

وأقراره وأختار على هذا العزم إلى آخر السنين والسيود والقنصل منتهزين من العمر فارص وقرب
العلماء وأكرم الفضلاء وفضل الكرماء وما كان أحسن إلى الحق إعفاء وأشرع إلى طاعت النعماء وقال القاضي
أبو المحاسن أمام السلطان بالقدر من قطع الناس ويعطيه دستوراً وابتاهب للسفر إلى الديار المصرية واقطع
تسوفه إلى الحج ولم يزل كذلك حتى جمع عنده ما قلاص من كبر ملك الأتراك كثيراً فالتحقول متوجهاً إلى بلاده في مستهل
شوال فغند ذلك حذر السلطان عزمه على أن يدخل الساحل جردقو يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ويدخل
دمشق يقيم بها إلى ما يلائم ويعود إلى القدس الشريف سائر إلى الديار المصرية يتفقد أحوالها وتقرر قواعد
والنظر في مصالحها قال وأمرني بالقيام بالقدس إلى حين عوده لعمارة بيمارستان إنشاء فيه إدارة المدرسة
التي أنشأها فيه إلى حين عوده ونسج من القدس وودعه إلى البيرة فوترل بها ثم ذكر أزالته للطعام عن بلدنا طيس
ثم رحل وترل إلى بسطية فتفقد أحوالها ثم أتى في طريقه إلى كوكبي في عاشر شوال وانفك بهاء الدين قراقوش من
الاسرا حادي عشر شوال ومثل بالخدمة السلطانية ففرح به فرحاً شديداً وكان له حقوق كثيرة على السلطان
والاسلام واستأذن السلطان رحمه الله في السفر إلى دمشق لتفصيل القطيعة فأذن له في ذلك وكانت القطيعة على
ما بلغني ثمانين ألفاً قال ولما وصل السلطان إلى بيروت وصل إلى خدمته البرنس صاحب انطاكية مستترقاً
فرغ إلى كرامته واحترامه وبأسبغته وأنعم عليه بالعمق وارزغان ومزارع فعمل خدمة عشر الف دينار ثم مر
السلطان إلى دمشق بعد الفراغ من تصفح أحوال القلاع الساحلية بأسرها والتقدم بخدمتها وأصلاح
اجنادها وانعاشها بالزجال فدخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشرى شوال وفيها أولاده الافضل والظاهر
والظافر وأولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر فيه الاقامه على سائر البلاد وجلس الناس في جمرات الخيل وحضر
عنده الناس وأبوا شوتهم رؤسهم وأشدته الشعراء وهم ذلك المجلس الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله
ويهطل مصاب انعامه وفضله ويكشف مقامه إلى عايات الارفات المتعذرة واتخذ الافضل يوم الاثنين مستهل
ذي القعدة دعوة لاختيه الظاهر وكان الظاهر لما وصل دمشق بلغه حركة السلطان إليها فأقام بها حتى يقبل بالنظر
إليه ثانياً لو كان نفسه الشريفة كانت قد أحسبت بدتو أجل السلطان فودعه في تلك الدعوة من ارتمد دعو وهو يعود
إليه ولما اتخذ الافضل له الدعوة وأظهر فيها من بديم الفهم وغمره ما يليق بحسنه وكأنه أراد مجازاته عما
خدمه حين وصل إلى حلب المحروسة وحضرها أرباب الدنيا وانباء الآخرة وسأل السلطان رحمه الله الحضور
لحضر حبر القلب قال وكان العادل قد استأذن السلطان في أو آخر رمضان في القدس بالمضي إلى الكرك لتفقد هاضمي
وأمره بصلاح ما قصد اصلاحه وعاد ما به الهضي إلى البلاد الفرائية التي أعطاها للسلطان إياها فوصل دمشق سابع
عشرى ذي القعدة وخرج السلطان إلى لقائه وأقام يصبر دحول غياغب إلى الأكوحة حتى لقيه وسار جميعاً بصيدان
وكان دخولهما إلى دمشق في الحادي والعشرين منه وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده وبنو جيون
في أراضي دمشق ومواطن الصبي وكان هو وجديهما حراهما كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ونصب
النهار وما كان ذلك الا كالأداع لأولاده ومرابع نزهة وهو لا يشعر بركة الله عليه ونمي عزه من مصرى وعرض له أمور
أخر وعزمات غير تلك ووصلني صكتله إلى القدس يستدعيه إلى خدمته وكان شتاء شديداً ووصله معاه
قلت وفي هذا الاصحى من هذه السنة أشده الشيدنا لبس قصيدة حنيفة على وزن قصيدة التمرى التي مطلعها
(حازك الذين حين أصبحت يدرا) يقول فيها يعني قصيدة

وأيهما لا تفرزل عنها * لما قلت في التفزل شعرا
ولكانت مدائح الملك لنا * صراويلي ما فيه أعل فكرا
ملك طبق المالك عدلا * مثل ما أوسع البرية برا

ثم قال في آخرها

قلت ما أتق من الدين والنسب يا قهيماعلى الملوك فخر
فحمل الأهل صوما وفطرا * وتلق الهناء فطرا وفخرا

ياسر الطاعات فدان اضحى عليك على الهنا نصرا
قد جئت المجدين أسلا فرعا * ومكنت الدارين دنيا وحرى

(قصص) في ذكر أمور آخر جرت في هذا السنة من وقايت وغيرها قال العماد في شهر ربيع الآخر
توفي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراس من أهل دمشق قاضي العسكر وكانت وفاته
بطلية وهو عاظم من الرسالة التي أولاد قلع أرسلان بالروم وكان هذا القاضي من أسدق الأصقاء وأكرم الأكرام
وسافر في من أيام الملك العادل نور الدين رحمه الله في السراء والضراء وكتب باحواله شديدا اعتناه وتوصلت له
عند السلطان في تعيينه بالموصلة الموصلية والمراسلة في المهام الخفية والبالغة ثم تولى نيابة عن السلطان في
الولاية الشهيرة زوريه والحكم على القطعين بها وانصاف إليه فلما أقدمت إلى طغر الدين صاحب أربل رجع
شمس الدين ودامت غيبته عن الحضرة مدة سبع سنين وكان تولى قضاء العسكر موضعه بها فدين بن شذاد وكان
خطب أولاد السلطان طبع أرسلان مها عند السلطان فاقدم على القاضي شمس الدين في الوصول إليهم والحكم
بتأليف ذات بينهم عليهم فمضى وعاد وأدركته المنية بمدينة تطلية قال في يوم الخميس السادس والعشرين من
شوال توفي الأمير سيف الدين علي بن أحمد الحاكم في المعروف بالمشطوب بنابلس وقد سبق ذكر هذا الأمير وبأه
ويسائه وأصابه وأصانته وأقامه في المروءة وقد حضر مع أسد الدين شيركوه التوب
الثلاث التي تقع في آخر عصره ولازم صلاح الدين إلى منتهى العمر ولما احتجج إلى البدل في عكا الذي حضر من أقامه
وتسكى أجاب الخدوخة وقابل الأمير بقوله وحصل بفضله الله في الأسر واحتون عليه قبضة الكفر وفدى نفسه
بخصمين ألف دينار ونجيا وأطعمه الله من نعمة خلاصه مارجا وأنتم السلطان عليه بنابلس وأعمالها وخص بأموالها
وحين جزاؤه عناء عديدين وداع الأبدان جنة علين وانما هي مشطوب بالثقة في وجهه من أثر طعنة في غزاة
حضرها وله مواقف في الجهاد كثيرة معهوده ومقامان مشهورتان مشهوده ووقف السلطان بقده ثلث نابلس وأعمالها
على مصالح القدس وأقطع ولده أمير من المثلثين بمحافظة على حقه الذي التزمه التزام الدين وقال القاضي ابن
شذاد وكان السلطان خلف المشطوب بالقدس من جله العسكر المقيمين به ولم يكن واليه إنما كان واليه عز الدين
جزيك وتوفي المشطوب رحمه الله بالقدس يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره به دارن على عليه
في المسجد الأقصى قال العماد في منتصف شعبان توفي سلطان بلاد الروم عز الدين قلع أرسلان بن مسعود بن
قلع أرسلان بقونية وكان أولادها كبيرا وتجبروا وتفرد كل منهم باقليم فضعف قوتهم وعجز بقدرتهم وانخفض
برقتهم فانه فرق بلادهم على جماعتهم طمعاً في طاعتهم واختار كديبر ملكه اختيار الدين حسن بن عفراس خالفه
عليه من أولاده فطلب الدين ملك شام صاحب سواس بغاوم قلب على والده وأخذ عليه الانتقام وقال له أنابن
يذلك عرض الاختيار ثم أنلى منه الدار ثم أبعد عن خدمته والده خواصه وأطباعه وأفضى بالقتل والاختيال
أمرامه وكراهه واستغاضه لنفسه وأجلسه على ملكه وهو في حبسه ثم جاءه إلى قصره ليأخذها من أخيه
وأظهر أنه بأمر أبيه فوجد قلع أرسلان فرصته خلاصه فساق وحده ودخل البلد ولجأ من الولد إلى الولد عاهد
ملك كراهه إلى قونية وانحصار دار ملك أبيه فقتل كراهه بزل قلع أرسلان بمقتول من ولدي ولد ومن يلد إلى بلد
يتروى في بلاده في حياة أولاده وكلهم معجرونه ويعرض عنه حتى حصل عند ولده شيل الدين كبحر صاحب
تغلغل فلما حضر موأبصره أولاده وجاءه إلى قونية فدخلها وحلى عطلها ولبس بها فجلس مكان والده وتولى
على أخيه قال الوالد السبع في شهر ربيع الأول فكسب إلى تشوال الدولة أحد بنات أبيه نايه عرفى إلى دمشق
في خامس جمادى الأولى وقد دخل أولاد الشمس المهود وهو يوم دمشق للمهود أولها

دعا الناس لثمان مئتين جلق * قد أسمرها من كل غرب وشرق
قمم يا عماد الدين تحفظاً بأكمله * ولا تبن عنه هزيمة البرنس بق
وقل حين يبدو أصفرك لكون مشرق * ويا حسنه من أصفرك لكون مشرق
(لا تكلن ما يطق الفؤاد وما تلقى * وتكونت عالم يسبقني وما تلقى)

مكتتاب (٢١٠) الروستين

قلبسوى الخلوافى القديس ماكل * وما جلبس ومن زيب وقتق
قال حضرت آياته على السلطان فقال ما قلت فى جوابه فأثنته

هلموا نساقى نحو مشى جاني * وم كانهوى على الأكل تلتقى
تصفر شوقا لا تنظار قدومنا * ومن يتعشق ذا الفضائل يتشوق
أرا حضرت المطبقة غاب رشدنا * لما يتلاقى من مشوق وشيق
حكى جيران بالفضاء قد نطقن * فيا عجبى من بحر المتعلق
كان نجوم الأرض فوق غصونه * فيا حيرتى من بحره المتألق
وجنائها بحجرة وجنائها * فمن يرها مشى بحب وبمشق
يتدوين أوراق النصوص كأنها * كرات فصار فى بلعين مطروق
قال فلما أنشدت السلطان هذا البيت قال تشبه الورق بالبحرين غير موافق فان الورق أخضر وقفات
كرات فصار بالزهرى محمدى

تساقطها الأشجار هاهنا كأنها * دنابر فى أيدى الصيارف ترتقى
ومشمش بستان الزكى بشهده * شهادته تنقى فزك وصديق
يقول رقيقى فى دمشق تقيبا * أما لك بستان مقالة مشقى
قللت الى باب البرد وسوقه * لاثالثنا تجنى بساتين جاني
ولو كان لى لهم سهم وجدت لى * منالى بايام النجار ومرقى
إذا كنت مبتاعا من السوق مشقى * فى الالة المسوق
وما لى بارباب البساتين خلطة * فيصبح فى حيطانها مقلقى
كرام وثوقى فى الشتاء بؤدهم * ولكنهم فى الصيف ينسون موثقى
وما ثم من صدق ويقرى ويقتى * ثنائى سوى المحي الكرم الموثقى
وذلك يوم واحد ليس غيره * لمن أجل يوم واحد قلت لى اسبق
على اننى لوقبل الصبح دعوة * أثرت اليها لوحة المتحرق
فان جئت قبلى خلفا فارم نعمنا * حدينى بنادى المنعمين وحلق
لعل كرمنا ينقى لضيافتى * بشمسة عند القدوم وينتقى
فلا تفس نشو الذين نشوة تاطرى * وتل عن صبورى كيف شئت ورتقى
وهلت وساعتنى وحظ من قريعتى * لعلمة دارى من الجد واعبى

قال فقال لى السلطان عن مبرح تركى كأنك تريد تخفى الى دمشق وتسبق قلت لا اهل والولد وقد عيل
عنه الجلد ولكن مغيبى عن الخدمة لا يدور به الخلد وظلك هو والسكن والبلد قال وكبت ايضا فى جوابه
وصفة الشمس وذكر تشبهاته وقد اذن لى السلطان انهم له ايضا اتفق

قد صمغ عزمى على المير قلا * أبهى مقامى والقلب قد رحلا
امضى الى دمية مقبلا * ارشف عنه المدام والصالا
مصوّر بل مسدور عجب * ترى به وهو بامد شاعلا
فى قلوب الاشجار منه جذى * وفى ظهور النصوص منه كلا
طوبى لى النصارى ظاهره * لبلطن لى حشاه نار طالا
تخفى لى انما بيا لى نك فى * فيك وفيه النوى اذا وصلا
حلى تبره لى عرائس أعما * ن تشكت من قبلها عطلا
حمر حسان الوجوه قد لبست * من خضر أوراقها الحاحلا

في اخبار (٢١١) الدولتين

عرائس من خدورها برزت • تحسب تجارتها لها كطلا
حلاوة لا يمل اكلاها • اذا الحلاوات أحدثت ملا
زهر كمشب السماء رابحة • جن جناة بقطفها كفلا
عيونها الزمرد في ترقيتنا • باخلة ابرزت لنا مقلا
ماذا التواني وذا التأخر والا • بقاء قدم مسيرنا عملا
قد وخنقا الى حواسيها • من قبل نبل بهيمة النقا
قد انتظرنا من الخزانة ما • نعطي فاكدي ثوابها الخلا
فان عدمننا من عندهم ذهب • فما عدنا عنه مبه بلا
وسكننا في عوارف الملك التنا • صر زعي ولسنا السبلا

قال وقلت فيم رابية

المعش لا انتظارنا مصفر • والروض الى ثقتنا مفتر
قم فقم الوقت فهذا الجمر • لالبت له فنبه يفتر

قال وفي هذه السنة نصرنا الاساطيل في البحر مرارا ونفذ السلطان في استدعائها استظهارا قال محمد بن القادسي
وفي مستهل رجب وكل يأمر الحاج طلة تكين يعني الذي قتل أمير حاج الشام شمس الدين ابن التتيم يعرفات سنة ثلاث
وتمانين ثم قبض عليه وسببه انه اتهم بكتابة السلطان صلاح الدين رجحه انه فيما يتعلق بقلب الدولة وأظهر عليه استاذ
الدار أبو المنظر بن يونس كذا قيل انه خطه وفيه (المصحة مهداة للفرنج والمجيء الى البلاد فما يقف بين أيديكم احد
والبلاد لكم اذا ملكنم العراق وهذا وقتكم ان كان لكم به وأتمددوا الوسط في الخدمه) ثم ذكر ابن القادسي ان
ذلك مستبعد على حق طاشتكين وزور وبتان ونسب ذلك الى اقتعال ابن يونس عليه وكان طاشتكين أمير الحاج
عشرين سنة مضطرب به بكة بعد الخطبة لأمير المؤمنين وله اقطاع بما له ألف دينار قال وفيها في ربيع الآخر توفي
أبو المرحف نصر بن منصور النجدي الشاهر الاديب الزاهد سمع قاضي الديارستان وروى عن ابن نبلو كان قد روى
بالشام وخال أهل الادب واخبر بالمدري وله أربع عشرة سنة وكان يصير الاشياء القريمة منه ولا يحتاج الى قائد
اذا شئ ثم قدم العراق لداومة به فابأسه الاطباء من ذلك فاشتغل بالقرآن وحفظه وصاحب المتدينين والزهاد
من أهل الفقه والحديث والفتوة ولد يوان شعر كبير ومثل عن مذهبه فاملى

أحب عليا والبطل وولدها • ولا أجد الشجين فضل التقدم
وأبرأ ممن قال عثمان بالاذى • كما أتبرأ من ولاد ابن ملجم
وبعيني أهل الحديث لصدقه • قلت الى قوم سواهم يهتم

وله أيضا في شيرتك

وهذه في جميع الاما • مقله انصاف من تعجب
هم الناس ما لم تجرهم • وتلس الدتال اذا جروا
وليتك تسلم عند البعا • منهم فكيف اذا تقرب

(ثم دخلت سنة ثمانين) قال العماد والسلطان مقيم بمشقي في داره ومالك الافاق في انتظاره
والانام مشرقه بمطالع افاره ورسلا الامصار بمجمعين على بابيه منتظرون لجوابه والضيوف في فيوض انعامه
غافلين والفقر في رياض صدقه مرقعون ويجلس في كل يوم وليله الاساء الجود وايداء السعود وبث المكارم
وكشف المظالم وبرز الى الصبيد شرق دمشق براد خمسة عشر يوما واستحب معه أناءوا بعضى البريه وظهر عن
صبر ضربه الى الجهة الشرقية وطابت له الفرض ووافق مراد القنص ثم غادر يوم الاثنين حادي عشر صفر ووافق
ذلك عود الحاج الشامي فخر جلتني وسعادته في الترفي ولما تلقى الحاج استعبرت عيناه كيف فاته من الحج ما فاته
وسألهم عن احوال مكة وأميرها وأهلها ونخبها واوليها وكوملهم من غلات مصر وصدقاتها والفقر والجارين

مكتوب (٢١٢) لروستين

ورواتها واداراتها ورسالة الحاج ووضوح ذلك الملتاج ووصل من اليمن ولأخيه صنف الاسلام فتلقاه بالاكرام قال القاضي ابن شذاد وخرجت من القدس الشريف يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم وكان الوصول الى دمشق ثاني عشر صفر وكان الافضل حاضر الى الايمان الشجاع وفي خدمته خاق من الامر أو رباب المناصب ينتظرون جلوس السلطان فلما شعر بحضورى استخضرنى وهو وحده قبل ان يدخل اليه أحد فدخلت عليه رحمه الله فقام ولقيني ملقى ما رأيت أشد من بشره فيه ولقد ضمني اليه ودمعت عينه وفي ثالث عشر صفر طابني حضرت فبأنتي عن في الايمان فاخبرته انه الملك الافضل جالس في الخدمه والامر اموال الناس في خدمته فاعتذر اليهم على لسان جمال الدولة اقبال ثم استخضرني بكرقا لمجلس رابع صفر وهو في حقة البستان وعنده أولاده الصغار فقال عن الحاضرين قبل رسل الفريخ جماعة الامر والاكابر فاستخضر رسل الفريخ من ذلك المكان فحضروا وكان له والصغير وكان كثير الميل اليه يسمى الامير ابا بكر وكان حاضر او كان رحمه الله عليه داعبه فلما وقع بصره على الفريخ ورأى أشكاهم خاف منهم وبكى فاعتذر اليهم وصرفهم بصدان حضروا ولم يسمع كلامهم وقال في أكلت اليوم شيئا وكانت عاتده رحمه الله هذه المياسطة ثم قال احضر وانما تيسر فاحضروا أرزوا بلين وما يشاء ذلك من الاطعمة الخفيفة فا كل رحمه الله وكنت أنظر ان ما عند مشهوه وكان في هذا اليوم يصعد الى الناس لنقل الحركة عليه وكان يده منه جملته وعنده تكسل فلما فرغنا من الطعام قال ما الذي عندك من خبر الحاج فقلت قد اجتمعت جماعة منهن في الطريق ولولا كثرة الرحل لدخلوا اليوم ولكنهم في غديد خلون فقال فخرج ان شاء الله الى قلاهم وتقدم بتظيف طرقاتهم من المياه فانها كانت حسنة كثيرة لا انداء والامطار وقد سالت المياه في الطرق كالانهار وانفصلت عن خدمته ولم اجده عند من القشاط ما أعهد منه ثم ذكر في يوم الجمعة فركب ثم لحقته وقد بقي الحاج ولم اجد عليه كراغندوما كان له عادة ركب بدونه وكان يوما عظيما فاجتمع فيهم لسلام الحاج والتفرج على السلطان معظم من في البلد فاذا كنت في ذلك كانه استنقظ فطلب الكراغندوم يوجد ووقع الله في قلبي نظره بذلك ثم سار رحمه الله بين البساتين يطلب جهة التيسيع حتى أتى القلعة فغير على الجسر الباهو وطرقه المعتاد وكانت آخر بكائه رحمه الله

(فصل) في مرض السلطان ووفاته أحله الله بحسنة جنته قال القاضي لما كانت ليلة السبت وجد كراغنديا فاما انصف الليل حتى غشيت حتى صغرواية كانت في باطنه أ كرمتها في ظاهره وأصبح يوم السبت سادس عشر صفر عليه أثر الحزن ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضي الفاضل ودخل ولده الافضل وطال جلوسا عنده وأخذت كومن قلعة بالليل وطالبه الحديث الى قريب الظهور ثم انصرفا والاقارب عنده فتقدم لنا بنا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الافضل ولم يكن للقاضي عادة بذلك فانصرف ودخلت الى الايمان التقبلي وقدمنا الطعام ولده الافضل قد جلس في موضعه فانصرف وما كان لي قوة لجلوس استيعاشا وبكى في ذلك اليوم جماعة تغاؤا بالجلوس ولم يوضع ثم أخذنا المرض في تزايد من حيث نول نحن نلازمه في طرفي النهار وأدخل اليه أنا والقاضي الفاضل في النهار مراروا على الطريق في بعض الايام التي يجدها خفقو كان مرضه يراسه وكان من امارات انتهاء العمر غيبة طيبه الذي كان قد ألقى من اجبه صغرا وحضر اراى الاطباء مقصده قصدوه في الرابع فاشد من مرضه وتلصطوبات بدنه وكان يظليه النفس غلبة عتاجة ولم ير الى المرض في تزايد حتى انتهى الى غاية الضعف ولقد أجلسناه في السادس من مرضه وأسندنا ظهره الى عتجة وأحضروا خاتر ليشربه عقيب شراب بلين للطلع فشربه فوجده شديدا الحرارة فشكاه من شدته فغير وعرض عليه ثانيا فاشكاه من برده ولم ينجب ولم ينجب رحمه الله ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله الا يمكن أحدا تعديل الماء فخرجت أنا والقاضي من عنده وقد اشتقنا البكاء والقاضي الفاضل يقول لي انظر هذه الاخلاق التي قد أشرف المسلمون على مفارقتها والله لو ان هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدر حراس من احضره واشتد من مرضه في السادس والسابع والثامن ولم ير من تزايد وتعب ذهنه ولما يمكن التاسع حدث به وعشتوا تمنع من تناول المتمرص واشتد الارطاف في البلد وناف الناس وقصوا الاقضية من الاسواق وغشى الناس من الكا بجملا لا يمكن حكايته ولقد كنت أنا والقاضي الفاضل نتحدث كل ليلة الى ان يمضي من الليل ثلثة أو ثرب منه ثم يحضر في بليل الغريبان وجدنا طرقتا

دخلنا وشاهدناه وتصرفنا ولا تصرفنا أحواله وتصرفنا وكلمته بالناس برقبون خروجنا الى بيوتنا حتى يفرزوا
أحواله من صفات وجوهنا ولما كان العاشر من يوم مرضه من فقهين وحصل من الحقة راحة وحصل بعض
الحقة وتناول من ماء الشربة مقدار اصاب الحمار فرح الناس فرحاً شديداً فاجتمعوا على العادة الى ان مضى من الليل هزيع
ثم اتينا باب الدار فوجدنا جال الدولة اقبالاً فالتفتنا منه تعريف المال المتخذ قد دخل ثم اخذ النافع الملك العظيم
تورانشا يقول ان العرق قد اشد في ساقيه فشكرنا الله على ذلك واتصرفنا طيبة قلوبنا ثم اسبغنا قباغبين ان العرق
أفرط حتى تغرق الفرس وتاثر به الارض وان اليس قد تزايد به تزايداً عظيماً ونارت القوتوا استعمر الأطباء
ولما رأى الملك الافضل ما حل بالدموق حقق اليأس منه شرع في تخليف الناس وحس في دار وروضان المعروف بكنهه
واستحضر القضاء وعمل له نسخة عين مختصرة محملة للقاصد تضمن الحلف للسلطان مدة حياته ولهم من بعده وفاته
واعترفوا بالناس بان المرض قلنا ثم واقفلم ما يكون وما فعل هذا الاحتياطي على جاري عاتق المملوك ثم مضى
القاضي من حلف له جماعة منهم بعد الدين مسعوداً وخويدر الدين مودوداً والشهنة وناصر الدين صاحب صهيون
وسابق الدين صاحب شيزرو وشهرين الحارثي وفوشروان الزراري وعطكان ومنكلان ثم قدما قوتوان وكلاهما
كان العصر أعيد مجلس الخليفة وأحضر ميون القصرى وشمس الدين مستقر الكبير وأسامة مستقر المشطوب
والبيكي الفارس وأبيك الانطس وأخوال امير سياروخ وحسام الدين بشاردة وبعضهم اشترط في حينه وبعضهم
لم يشترط ولم يحضر أحداً من الامراء المصريين ولم تعرض لهم ولما كانت ليلة الاربعاء السابع والعشرين من
صفر وهي ليلة الثاني عشر من مرضه اشتد مرضه وضعفت قوته ووقع في ألوانيل الامر من ألوانيل الليل وحال بيننا
وبينه والنساء واستحضرن أنا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكي ولم تكن عادته الحضور في ذلك الوقت
وعرض علينا الملك الافضل ان نبيت عنده فلم ير الفاضل ذلك رأياً فان الناس كانوا في كل ليلة يتنظرون نزولنا
من القلعة تخاف ان لا تنزل فيقع الصوت في البلد ويرى بجانب الناس بعضهم بعضاً فرأى المصلحة في نزولنا واستحضار
الشيخ أبي جعفر امام الكلاسة وهو رجل صالح يبيت بالقلعة حتى ان احضرنا بالليل حضر عنده وحال دينمويين
النساء وذكر مائة هادة وذكر الله تعالى ففعل ذلك فخرنا وكل منابؤنا لودفاد بنفسه وبات في تلك الليلة على حال
المنتقمين الى الله تعالى والشيخ أبو جعفر يقرأ عند القرآن ويذكر مائة هادة وكان ذهنه غائباً عن الدنيا
يفيق الا في بعض الاحيان وذكر الشيخ أبو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
سمعه وهو يقول صحيح وهذه نقطة في وقت الحاجة وعنا به من الله تعالى به فقهه الحمد على ذلك وكانت وفاته رحمة الله
عليه بعد صلاة المسحج من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وبادر القاضي الفاضل
بعد طلوع الصبح لحضر وفاته ووصلت أنا وكنات وانتقل الى رضوان الله ومحل كرامته ولقد حكى الى انما بلغ الشيخ
ابو جعفر الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت يسم وتعلم وجهه وسلمها الى ربه وكان يومه يصب الاسلام
والسبلون بمشله منذ قدما خلفاء الراشدين وغشى القلعة والبلد والديسان من الوحشة ما لا يملك الا الله تعالى
واتاه لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يفتنون فداء من يفرطهم بنفوسهم فكنت اهل ذلك على ضرب من القبول
والترخص الى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء لفداء بالنفس ثم جلس ولده الافضل
للمسرة الى الابوان الشمالي وحفظ باب القلعة الاغراما لحواص من الامراء والمومنين وكان يوماً عظيماً قد شغل كل
انسان ما عنده من الحزن والاسف والبكاء والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشديه
شاعر او يتكلم فيه قصاص او وعظ فكان اولاده يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس تهزق لحوول
منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلاة الظهر ثم اشتغل بتعجيله وتركيبه فاما ممكن ان يدخل في تجهيزه
ما فيه حجة واحدة الا بالقرض حتى فيمن التبن الذي يلبس به الطين وقسله الدولي القبيح ونذبت الى الوقوف
على غلظه فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلاة الظهر في بابوت مسمى بشوب فوط وكان ذلك يوم جمع
ما احتاج اليه من الثياب في تركيبه قد احضره الفاضل من وجهه عرصوراً ونعت الاصوات عنده مشاهدته
وعظم الضجيج حتى ان العاقول يغيبون ان الدنيا كلها تصيح صوتاً واحداً وغشى الناس من البكاء والحويل

ما شغلهم عن الصلاة وصلى عليه الناس ارسالا وكان أول من ألبس الناس القاضى محي الدين بن الزكي ثم أعيد درجة
ألقه عليه الى الدار التي في البستان الذي كان مقر ضامه اودفن في الصفة القريبة منها وكان زوله في حفرته قريبا
من صلاته المصغر ثم نزل في أثناء النهار وفيه الظاهر وعزى الناس فيه وسكن قلوب الناس وكان الناس قد شغلهم
الحزن والبيداء عن الاشتغال بالنهب والقصاد فابو جدي قلب الاخرنا ولا عين الا بالآية كمالا من شاعلقه ثم رجع
الناس الى سيوتهم فأقيم رجوع ولم يعد من أحد في تلك الليلة الا أنا حضرا وقرأنا وجدنا ما لا من الحزن واشتغل
فك اليوم الملك الأفضل يكتب الكتب الى اخوته وعنه يخبرهم بما الحاد وفي اليوم الثاني جلس العزله جلوسا
عاما وأطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء وعلموا تكلم المتكلمون ولم ينشد شعر ثم انفض المجلس في ظهره في ذلك اليوم واستقر
الحال في حضور الناس بكرة توعشة لقراءة القرآن والدعاء ورحمة الله عليه وقال العماد جلس السلطان ليلة
السبت سادس عشر صفر ونحن عنده حتى مضى من الليل ثلثه وهو بعد ثنا ونحن نحدثه ثم صلى بهونا امامه وكان
قيامه وانتصلا باحسانه فبطين وبامتنانه من تبطين وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في ابوانه تنتظر تخرجه لوضع
الحوان ووجدناه قد اغلق باب برهته ولم نشعر بما ضاء القدر واجنه وخرج من خدمه من أخبر بقمه
ودخل الخوف الى حرمه وأمر الملك الأفضل بأن يجلس في الابوان ليصط الحوان يجلس في مكان والده مرة
وكان من شرط الأدباء أن يجلي لموضعها قطيعا من تلك الحماله وتكرها مناسا له لاله فتلاعت فيه العيون
وتراجعت النذور ودخلنا الى ايسلة الاحد للعباده ورضه في الزيادة وفي كل يوم تقصف القلوب وتضاعف
الكروب وانتقل من دار القبة الى دار البقلة في صفر يوم الاربعاء ونابت الظلمة عن الضياء ودخل قمره الى السابغ
والعشرين في المرار ودبت مطالع الأنوار صارت بجمرة رجال الرجال وأظلم فرج وشبهه فضله الافضل وغاصت
الايادي وقاضت الاعادي ودفن بقلعة دمشق في مسكنه ودفن بجامع الكرم والفضل والدين بدمقه ثم في
الملك الأفضل قبة شمالى الجامع في جولره بشباك الى الجامع وزاره وقده اليها يوم عاشوراء سنة اثنى وتسعين
واسترجعنا وقتلنا لانا الآن نعتيد بباله ونستعين قال ومما اظلمت رابعة في المرتبة

قال الملك الناصر من كفتي • في الجود بغير شئني فالتفتني
ما يصلم ان ذلك الملك فني • لم يسبق من الجود الا كفتي

وقال العماد آيت الى رسالته للموسومة بعني الزمان وكان السلطان رحمه الله لما توفي بالقلعة في منزله وما زال الأفضل
يتروى في موضع يقوله اليه واستشار في ذلك فأشهر عليه في سنة تسعين من بني ترتته عند مسجد القدم ويسنى
عندها مدرسة للشافعية وقالوا فواصل الملك العزيز استغنى بزيارتها عن الفحول الى دمشق لاجلها وقالوا ان
السلطان رحمه الله لما مضى من سنة إحدى وثمانين بجزان كان قد وافى أن يدفن بدمشق قبلى ميدان الحصار ويكون
قبره على المنهج السائل وطريق القوافل ليدعوا له الوارد والصادر والبادى والحاضر وتجاوز عليه في القزوات
الساكر قالوا وان تأن هذه الارض عن مكان الوصية فهي منه قريسه فأمر الأفضل ببناء التربة عند مسجد
القدم وتولى عمارتها بدير الدين مودود الى دمشق فاتفق وصول العزيز في تلك السنة للصاروهم فمشرعوا في عمارتها
فحرب بما كان قد ارتفع من البناء ثم استقر الأفضل حدود الجامع ليعمل التربة فيها فوقه لو كانت لبعض
الصالحين وهي في حد المكان الذي رآه الاجل الفضل في المسجد فاشترى اها منه وأمر بعمارته فاجتهدت وتعمل
اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنى وتسعين بكرة الخميس ومضى الأفضل بين يدي نابوته وأراد العلماء
والدقهاء حمله على اغناهم التي فيها منته فقال الأفضل كفته أديعتكم الصالحة التي هي في المعاد جنته وحله
مما ليكه وخدمه وأولياؤهم وحجه وأخرج من باب القلعة في البلد على دار الحديث الى باب البريد وأدخل منه الى
الجامع ووضع قدام باب النسر وصلى عليه القاضى محي الدين محمد بن القرشي باذن الأفضل ثم جل منه على الرأس
الى بطن ملحده ثم جاءه الأفضل وحده ودخل لحده وأودعه وخرج وسد الباب على أبيه وجلس هناك الجامع
ثلاثة أيام فلما انقضت الأشاء مات السلطان في هذه النوبة أموالا كثيرة قال محمد بن القاسدي وفي يوم
السبت ثالث عشر ربيع الاقل شاعت الاخبار بعتي بغداد وبغاة صلاح الدين يوسف بن أيوب وذكر له دفن

في أخبار (٢١٥) الدولتين

معصية الذي كان معه في الجهاد وكان ذلك رأى الفاضل وقيل عنه هاتين قولاً هاهنا إلى الجنة وان الفاضل كفته من ماله وتولى عليه الفاضل وخطيب محقق قلت وحكى له أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم زاروا قبر صلاح الدين رحمه الله وأنهم لما صاروا عندك شباكاً مجبواً ووجدت في بعض الكتب الفاضلية (أن رجلاً رأى ليلة وفاة السلطان كأنه قال يقول له قد خرج الليلة يوسف من السجن وهم من الأثر النبوي (الذي لم يمت للمؤمن وجنة الكافر) قال وما كان يوسف جنة الله عليه في الدنيا إلا ضالة إلى ما صار إليه في الآخرة قال في معنى رضي الله عن تلك الروح وفتح له باب الجنة فهو آخر ما كان يرجوه من الفتح) ومن كاذم غير ما في وفاة السلطان رحمه الله تعالى (أقلت الشمس عند الصباح وذهبت روح الدنيا الذي ذهب بذهاب أكثر من الأرواح وذلك ساعة ظلت لها الأبواب حائرة وتحتل فيها السماء مائره والجبال حائرة وأغمسيف الله الذي كان على أهدائه دائم الفخريد ونحت الأرض من جبلها الذي كان يمنعهان عميد وأصبح الإسلام وقد قدنا صوره فأكلا لوحيد فهو أعظم فأقدلاً عظم فقيده وليس أحسن من الناس إلا وقد صم عن الخبر وأصيب في سواد القلب والبصر) قال (وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمر) ونعت الإمام كتابه البرق الشامي بقصيد قرئ بها السلطان رحمه الله عنده في ديوانه مائتان وأربعين وثلاثين بيتاً

- شعل المدي والملك هم شتاته • والدر سدا واطعت حناته
- أين الذي سذل يزل مخشيتة • مرجوة ترهبته وهباته
- أين الذي سكتت له طاعاتنا • ميسذ ولتوليه طاعاته
- يا لله أين الناصر الملك الذي • لله خالصة صفت نيته
- أين الذي مازال سلطاننا • يرجي نداءه وتتقي سطواته
- أين الذي شرف الزمان بفضل • وسبى على الفضلاء تشريفاته
- أين الذي عنت الفرج لبأسه • ذلا ومنها أفرسكت ناراته
- اغلال أعناق العدا أسياه • أطواق أحياء الوري مناته
- لم يجد تدبير الطبيب وكم • أجند طلب الدر نديراته
- من في الجهاد صفاحه ما أغدت • بالصرحتي أغمدت صفحاته
- من في صدور الكفر صدرقاته • حتى توارت بالصباح قتاته
- لذا المتأهب في الجهاد ولم تكن • مذل عاش قط لذاته لذاته
- معوذة غسوداته محمودة • روحاته ميمونة خيواته
- في نصرة الإسلام يهر دأما • ليطول في روض الجنان سنته
- لا تحبوه مان شخص واحد • فحمت كل العالمين همته
- ملك عن الإسلام كان محاميا • أبدا إذا ما أخلصه حماه
- قد أظلمت مذياع عهد دوره • لما ذات من بده داراته
- دفن السجاح فليس ينش بصدا • أودى إلى يوم النشور رقاته
- الدين بعد أبي المظفر يوسف • أفوت قوامه وأضرمت ملحاته
- جبل تضعض من تضعض ركنه • لو كنا نأتممتنا هذاته
- ما كنت أعلم أن طودا شامخا • يسوي ولا تمسوى بنامهواته
- ما كنت أعلم أن صرا مليا • قينا يطم وتنهي زخراته
- بحر خلا من ولديه ولم تزل • محفوفة بوقوده حفاته
- من إيتاني والأرامل داحم • متعطف مفضوضة صدقاته
- لو كان في عصر النبي لا تزل • في ذكره من ذكره آياته

مكتتاب (٢١٦) الروتين

فعل صلاح الدين يوسف دائما • رضوان رب المرحوم بل صلواته
لنصره معيا المهاب فان شب • تقصير لرحمة ربه سبحانه
وكعادة البيت المقدس بمن البيت الحرام عليه بل عرفاته
من الثغور وقعداها حقله • من الجهاد لم تصد عادته
بكت الصوامر والصورا هل أذخلت • من سبلها وركوبها غزواته
ويسيفه صدها طزن مصابه • انليس يشقى بعده صدياته
يا وحشنا الليض في انجادها • لا تنتضيا للوغي عزيمته
يا وحشة الاسلام يوم تمكنت • في ككل قلب مؤمن روعاته
يا حشر تلن بأس راحته الذي • يقضي الزمان وما انقضت حيراته
ملأت مهابة البلاد فانه • أسد وان بلاده غاباته
ما كان أسرع عصره لما انقضى • فكأنما من نواته ساعاته
لم أنس يوم السبت وهو ليا به • يدي السبات وقد بدت غشاياه
والبشر منه تليجت أنواره • والوجه منه تلا لأن سجاياه
ويقول الله المهيمن حكمة • في امر منه حصلت به امراته
وقفا للملوك على انتظار ركوبه • لهم ففهم تأخرت رصكياته
كانوا وقوفا أس تحت ركابه • واليوم هم حول السر رمياته
وبالآن لا فاق ساعة له • فمضى تحيى بفهمهم ساعاته
هذى مناشير المالك تنقضى • توقيعه فيها فأين دواته
قد كان وعده في الربيع يصعبها • هذا الربيع وقد دنا ميقاته
والجند في الديوان جدد عرضه • واذا امرت تجددت نفقاته
والقدس طامحة اليك عيونه • بجعل قد طمحت اليه ساعاته
والقرب منتظر طلوعكم نحوه • حتى تنفى الى هداك بغاته
والشرق يرجو غريب عزكم ما ضيا • في ملككم حتى تطيع عساته
مغري بأسدا الجبل كأنما • فرضت عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضار في موقف • شذت على أعدائه شذاته
واذا الملوك معا وقصر سمعهم • رجعت وقد نجت به ساعاته
صكم بما التوفيق في وقته • من كان بالتوفيق توقيعاته

قال ووجدت في العمل في حاشية ديوانه كانت علامته (الحمد لله به توفيق)

ياراهي الدين حين تمكنت • منه الذلل وأسلته رعاه
ما كان ضرك لواقف مرأيا • دينا تولى مذرحلت ولاته
أنه جرت منا أم أنفت فلم تكن • ممن تصاب لشدة ضهراته
أرضيت تحت الارض لمن لم يرزل • فوق السماء على سدة درجاته
فأرقت ملكا غير باق متعبا • ووصلت ملكا باقيا راحته
اعز زعلي عني برؤية بهجة السدني ووجهك لا ترى بهجته
ابني صلاح الدين ان اياكم • ما زال يأتي ما الكرام آياته
لاقتدوا الابسة فضله • لتطيب في عهدك تعم ساعاته
وهداهما ردهله وسماحه • لئلا من نعيم الشمان شماته

ولئن هوى جبل لقد بينت لنا * يتيه من هضبه ذرواته
وجنبل أفضل وعز عززه * وظهور وظاهره لناسرواته
الأفضل الملك الذي ظهرت على * الدنيا بهر جلاله جلواته
والدين الملك العزيز عماده * عثمان حاليقنا حالاه
والملك عازي الظاهر العالی الذي * صحت لاطهار العلی مغزاته
ولنا بسف الدين أظهر نصرة * بالعدل الملك المظهر ذاته

وللعماد فقه من تصيدقاخرى

من اللامن للذي من الهدى • يحميم من لباس من لثائل
 طلب البقاء الملكة في أجل • اذ ينق يقاملك العاجل
 بجر أعاد البر بحراره • ويسفه فقت بلا دالساحل
 من كان أهل الحق في أيامه • وبغزير دون أهل الباطل
 وقومه والقدس من ابتكارها • أثبت له فضلا بغير ما جمل
 ما كنت أسنسى بغيرك وإبلا • ورأيت جودك مخففاً لا أويل
 فمقلك رضوان الآله لا تني • لأرضي سقما التمام الماثل

(فصل في تركه السلطان ووجوب اخلاقه رحمه الله ذكر القاضي ابن شداده امامات مختلف في خزانته من الذهب والفضة الاسبعة وأربعين درهما صرية ودينارا واحدا ذهبيا صوريا ولم يختلف ملكا لادارا ولا عقارا ولا إستابا ولا ضرعة يعي في البلد ولا مستقفا ولا ظاهرا مائة من أنواع الاملاك وقال الصمدي كتاب الفتح خلف السلطان رحمه الله سبعة عشر واندكر اربعة صغيرة وأبقى له ما ترأثه ومحاسن كثيرة ولم يختلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما فانه كان باخراج ما يدخل من الاموال في المكرمات والقرنات مفرما فما كان يعود المال قبل الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول واذا عرف بوصول حل وقع عليه باضافه ونحو الاحاد من ذرى التتافي الجهادا بالافه ولا جبهه احد بالاراذل سأل به بل تطفله صكنا مناسله فانه يقول ما عندنا ثلثي الساعة ومعه مائة يعلى وان كان يطي وأن يعصيه بالنوال ولا يخفى وكان مشغوا في سبيل الله بالافتاق موقوفا عزمه في الاعداء بانداء الاجال وفي الاطيان اجرا والارزاق وما عقر في سبيل الله فرس أوجح الاوعض ما له كمثله وزاده من فضله فضله وحسب ما واهبه من الخيل العرب والاكاديش الجياد الحاضر رمعه في صف الجهاد مدة ثلاث سنين وشهر من ثل الفرغ على عكا في جيب سنة خمس وثمانين في يوم اغتصالحهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين فكان تقديره اثني عشر ألفا من حصان وهجروا كدش ونكحهم ما طلعهم من المال في اثمان الخيل المصان في القتال ولم يكن له فرس ربه الا وهو موهوب أو موهوبه وصاحبه ملازم في طلبه واحضر القاء الاستعار فرسا فركبه وهجر بياده فاذا نزل جاء صاحبه واستاعده فكلهم ركب خياله وطلب خيروه وهو يستعرجوا ويستعرج في الجهاد اجتهادا قال في البرق وحضر بعد عتد بعض الملوك وقد قيد اليه عرب ثقيل له كان السلطان يضع عنه وما عنده لها حساب ونسبوا جوده بها الى السرف وعدوه من معاليه واعرضوا عن ذكره مقانز ومناقبه ومثل ذلك استثبت به الفتوح وخلصت له طاعة كتابه قال في الفتح لا يلبس الا ما يحل لبسه وتطيب به نفسه كالكان والقطن والصوف وكسوته بخرجهما في اسد المعروف وكانت محاضره مصر ومن الحظر وخلواته مقسمة بالطهر ومجالسه منزلة عن المزمار والزل ومخاطبه ساقطة اهل باهل الفضل وصاحبه قطا كذا تنقط ولا لغة فظة نهض وبظنظ على الكافرن الفاجرين ولبس للؤمنين للمؤمنين ووزر سماع الاحاديث بالاسانيد وبعلم العلماء عنده في العلم الشرعي المقيد وكان لدوامه الكلا مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء اعلمتهم بالاحكام الشرعية والاسباب المرضية والادلة العربية وكان من جماله لا يعلم انه مجلس السلطان بل يعتقد انه مجلس أعين الاخوان وكان

حلياً مقيلاً للعثرات مخلو من الحفوات قتيلاً وفي مصيفيا يعني ولا يفضى ويشر ولا يقطب مازد سافلا ولا صدناثلا ولا أجمل قالوا ولا خيب أملا قال ومن جهة مناقبه أنه تأخر عنه في بعض سفراته الأمير أبو بين كنان فلما وصل سأل عنه من حيث خلفه فذكر دينا حاضر غرماً وتقبل بالدين وكان اثني عشر ألف دينار مصرية وكمرأ قال ولما كتبنا القدس في سنة ثمان وعشرين كتب إليه سيف الدولة بن منتلاً بيه بصران واحدا ضمن عمله يبلغ فاستنص مني الديار ونصه وبعيواصل إلى الباب فقبل وعمل وكذب بجان من أخبر السلطان أن الرجل بالباب فقال قل له إن من قد يطيلك فأجهدان لا تقع في عينه فجهنما من حله وكرمه بعد أن قلنا قدم الرجل إلى حيث يقدمه قال ومما ذكره في أول سفرتي مع إليه مصر سنة اثنتين وسبعين أنه حوسب صاحب ديوانه عتقوا في زمانه فكانت مسابقة الحساب عليه من ألف دينار وقاية عليه فساططها ولأولاد كرها وأمرأه أنه ما عرفها على أن صاحب الديوان ما أنكرها وكان يرضى من الأعمال بما تجمل صقوا عنها وتحصل حلوا وكله يخرج في الجرد والجهاد ثم يرض له العطية فولاد ديوان حيثه قال ولما كتبنا باهر حوان عم بصداقته انفقوا والمساكين وصكيب إلى توبة في الولايات باخرج المصنفات وقالوا كسب إلى الصفي بن القاض بدمشقان يستحق بخمسة آلاف دينار وصورة قلنا أغا الذهب الذي عند مصري فقال فيصنف بخمسة آلاف دينار مصرية وأشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراماً ويركب في كسب الأربابا فجمع ومنع وناجر الله ويربح ولما عرف على الرجل من حوان أفاض بها الفضل وبث الإحسان وقال في يوم الرحيل انظر كيفي بالباب من الوافدين أبناء السبيل وهذه تلحمة دينار أقمها عليهم بالقلم على أقدارهم وكانوا عتية يسر تلم بلغ عشرة فيمن شكل اسم قسما فيبلغ أرباعاً ديناراً فاعتته وظلت أنص من كل اسم ربعاً قلنا أجري به القلم قال وكان رجماً الله إذا أطلق لعاف عارته وقتل هذه متركه بردها مضاعفة قالوا كان يفضى للكبر ولا يفضى عن الصغار ويرشد إلى الهدى ويهدي إلى الرشد ويمتد الأمر ويأمر بالسداد فكل محاليكه ونواصه بل أمرأه وأجناده انفس الزهاد والعباد قالوا رأى في بلادها وحملات الباغية فأنكرها فقتلها ابن الشيخ أبا محمد وألغى المعالي قد ذكر وجهاً جزواها لم أكتب بها عنه بعد ما هو كان يحافظ على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها موافقاً على أداء مفر ونام واستنوتاتها خيراً أتى صلى الله عليه وسلم من ساعته إلى ساعه وكان له امام وأرب ملازم مواظب فإن غاب يواصل من حضر من أهل العلم أنما عرفه متعجباً من الألام وكان يأخذ بالشرع ويعطي به ولو يكن إلى النجيم مصفياً ولم يزل قوله ملغياً ولا يتعيف ولا يظفر ولا يتعب ولا يتغير بل إذا عزتو كل على الله فلا يفضل يوماً على يوم ولا زماناً على زمان إلا بتفضيل الشرع وما زال ناصر التوحيد فقامها جمع أهل البدع بالتبديد شافى المذهب أصولاً وقرواً معتقلاًه معقلاً ومهوجاً بدى أهل التنزيه ويقضى أهل التنزيه ويدبم استفادة فقهاء الفقيه واستزاد تباعاً النبيه وبهاجة الوجيه فالعالمون في عدله والعالمون في فضله والبلاد آمنه والصادق منه

(فصل ١٠) قال القاضي ابن شداد كان مولد السلطان رحمه الله في شهر رجب سنة اثنى عشر وثلثين وخمسة مائة فتركيت وكان والده أيوب بن شادي والياها وكان كبريا أرحمها حلما حسن الاخلاق مولد مبدون ثم اتفق له الانتقال من تركيت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه وأقام بها الى أن زهر عوسكان والده محمرا ما مقنا وهو أخوه وأسد الدين شيركوه عند أنابك تركي واتفقوا ولدا الانتقال الى الشام وأعطى بطيخ وأقام بها مدة ثمومه ولده المذكور فأقام في خدمته ووالده يتر في تحت حجره ويرفع ثدي محاسن اخلاقه حتى بدت عنه ما اراد السعاده ولاحت عليه ألوان التقدم والسيادة وقتله الملك الصالح فيروز الدين محمود بن تركي رحمه الله وقتل عليه ونظر اليه وقر به ونصحه ولم يزل كلما تقدم فلما يدونه أسباب تقتضي قهريما له ما على منمنتي اتفق لهما أسد الدين شيركوه الحركة المعمر والنهوض اليها وقد مضى ذلك فما زال ذكر ما شاهدناه من موافقته على القواعد الدينية وملاحتته الامور الدينية مع ماورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأقام الصلوة واتوا بالزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام فكان رحمه الله حسن

لعقبة كثير المذكورة تعالى تأخذ من الله عن الدليل بواسطة البحث مع ما يجزأ أهل العلم وأكاره القضاة منهم
من ذلك ما يحتاج الى ان يفهمه بحيث كان اذا جرى الكلام بين يديه يقول فقهوا ولا حسانوا لم يكن بعبارة الفقهاء
تفصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التثنية والتعطيل لارية على غم الاستقامة وكان قد جمع له الشيخ الامام
نطب الدين النيسابوري رحمه الله عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه عليها يعلمها
الصغار من اولادهم حتى ترسخ في اذهانهم من الصغر وراثة وهو باخلها عاينهم وهم يقرؤونهم حفظهم عليه
وأما الصلاة فانه كان شديدا مواظبا عليها بالجماعة حتى انه ذكر رحمه الله انه لم يستن ماضيا الى الجماعة وكان اذا مرض
يستدعي الامام وحده وكلف نفسه القيام وبصلي جماعة وصكان يواظب على السنن الرواتب وكان له ركعات
بصلتها ان استيقظ بوقت من الليل والآن ما قبل صلاة الصبح وما كان يترك الصلاة امام عقده عليه ولقد رأيت
بصلي في مرضه الذي مات فيه فاعلم انما ترك الصلاة في الايام الثلاثة التي تعقب فيها ذنبه وكان اذا أدركه
الصلاة وهو سائر نزل وصلى وأما الزكاة فانه مات رضي الله عنه ولم يحفظ ما وجبت عليه من الزكاة وأما صدقة النفل
فانها استغفرت جميع ماله من الاموال وأما صوم رمضان فانه كان عليه فيه فوائت بسبب أمر ابن تواترت
عليه في رمضان متعده وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الايام وشرع رحمه الله في قضاء فوائت ذلك في
القدس الشريف في السنة التي توفي فيها وواظب على الصوم مقدار ازيد اعلى شهر فانه كان عليه فوائت رمضان
شغلته الامراض وملازمة الجهاد عن قضائها وكان الصوم لا يوافق مزاجه فاحرمه الله الصوم لقضاء الفوائت
فكان يصوم وأنا اثبت الايام التي يصومها فان القاضي كان غائبا والبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول
ما أعلم ما يكون فكأنه كان ملهما براءة ذمته ولم يزل حتى قضى ما عليه رحمه الله وأما الحج فانه لم يزل عازما
عليه وما واه اليه لاسيما في العام الذي توفي فيه فانه مع العلم عليه وأمر بالنهيب وعلمت الزواجة ولم يبق الا السير
فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت و فراغ اليد عما يليق بأمره فأخر الى العام المستقبل ففرض الله ما قضى
قال وهذا شئ اشتد في العلم به للناس والعالم وكان رحمه الله يجب سماع القرآن العظيم حتى انه كان يحضر
امامه ويشرط عليه أن يكون عالما بعلوم القرآن العظيم متقنا لحفظه وكان يستقرى من يحضره في التليل وهو
في برجه الحسيني والثلاثة والاربع وهو يسمع وكان يستقرى في مجلسه العام من حوت عاذته ذلك الآية
والعشر من الزايد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يديه وهو يقرأ القرآن فاحس ذرأته فقر به وجعل له
حظا من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزا من مزرعة وكان رحمه الله شاع القلب رقيق الدمعة اذا سمع
اذن أن العزير يسمع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته وكان شديد الرغبة في سماع الحديث وسمي سمع عن شيخ ذي رواية
عالية وسماع كثير فان كان من يحضر عندهما صغیر مومع عليه وسمع من يحضر في ذلك المكان من اولادهم اليه
والمختصين به وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث اجلاله وان كان الشيخ لا يطرُق أبواب
السلامين وينتهي عن الحضور في مجلسهم سعي اليه وسمع عليه ترذالى الحافظ السلفي بالامانة ليرة وروى عنه
احاديث كثيرة وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه فكان يستخرف في خلوته ويحضر شيئا من كتب الحديث ويقرأ
هو فاذا امر بحديث خيه عبرة في قلبه ودمع عينه وكان كثير التعظيم لشاعر الدين قائلا ببيت الاجسام ونشورها
ومحلازة الحسن بالجنة والمسي عائلنا وصفتا جميع ما وردت به الشرائع من شرايعها من شرايعها من شرايعها من شرايعها
والعظمة والذرية ومن يعاد الشريعة والمطوعة ولقد أمر ولده الله امر صاحب حلب بقتل شاب كان نشايقا له
الشهر وردى فيسيل عنه انه كان معاد للشرايع مبطلا وكان قد قبض عليه ولما المذكور لما بلغه من خبره وعرف
السلطان به فأمر بقتله وصلبه وأما قتله وكان حسن التدين بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الاية اليه ولقد
شاهدت من آثار ذلك ما أحكيه فكنى التجاه الى الله تعالى عند خوفه من قصد الفرج بيت المقدس وامتناع
أفعابه من دخوله للمصر فصلى ودعا فكنى ذلك وقد تقدم ذكره ثم قال وكان رحمه الله عادلا رؤفا رحيمنا صرا
لغنه في على القوي وكان يجلس لاصول في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء
ويفتح الباب لمنها كمن حتى يصل اليه كل احد من صغير وصغير وعجوز ومشيخ كبير وكان يغفل ذلك سفرا

وحضر اهل الله كان في جميع زمانه قابلا لما يرض عليه من القصاص كاشفا لما يهي اليه من العقاب وكان يجمع القصاص في كل يوم ثم يجلس مع الكتبة ساعة في الليل أو في النهار ويوقع على كل قصة بما يوافق الله على قلبه وما استغاث اليه أحد الا وقف وسمع ثلاثه وأخذ قصته وكشف خبيته ولقد رأى بنو قدام استغاث اليه انسان من أهل دمشق يقال له ابن زهير على تقي الدين ابن أخيه وأخذ اليه ليحضر في مجلس الحكم فما خطبه الا ان شهد عليه شاهدين له وكل القاضي أمين الدين أبا القاسم قاضي جامعي المخاصمة فأقاما الشهادة عندى في مجلسه فأمرت أبا القاسم بحسبوا القاصم فساواه وكان من خواص جلساء السلطان ثم جرت المحاكمة بينهما واتفقتا العيين على تقي الدين وكان تقي الدين من أعز الناس عليه وأعظمهم عنده ولم يحاسبه في الحق قال وصككت يوما في مجلس الحكم بالله قدس الشرف اذ دخل على شيخ حسن فاجر معروف يسمى عمر الخياطى ومعه كتاب حكمى صار فقهه وقال خصمى السلطان وهذا بساط الشرع وقد سمعنا انك لا تحبى فقلت ولى أى قضية هو وخبرك فقال ان ستر الخياطى كان يملوك ولم يزل على ملكى الى أن مات وكان في يده أموال عظيمة كلها فى موات عنها واسألت عليه السلطان وأنا مطالب به فقلت يا شيخ وما الذى أقصدك الى هذه الغاية فقال الحق ولا تبطل بالتأخير وهذا الكتاب الحكمى ينطق بأنه لم يزل فى ملكى الى أن مات فأخذت الكتاب منه وتفتحت فوجدته يشتم من حليته سنقر الخياطى وأنه قد اشترأه من فلان التجار بار جيش في اليوم القلاف من شهر كذا من سنة كذا وأنه لم يزل فى ملكه الى أن شذ عن يده فى سنة كذا وما رقت شي من هذا الكتاب خروجه من ملكه بوجهه ثم الشرط الى آخره فنجيت من هذه القصة وأعلمت السلطان بذلك فأحضره واستناده حتى جلس بين يدي وصككت الى جانبه ثم انصرف من منزله حتى ساءوا رحمه الله تعالى ثم أذى الرجل وفتح كتابه فقرأ ناره فنه فقال السلطان ان لى من شهد ان سنقر هذا كان فى ملكى وفى يدي بمصر واني اشتريته مع غيبة أنفس فى تاريخ متقدم على هذا التاريخ بسنة وأنه لم يزل فى يدي وملكى الى ان أعقبته ثم استحضرت جماعة من اعيان الامراء المجاهدين فشهدوا بذلك وحكوا القضية كاد كرا هوذ وكروا التواريخ كذا فاعادوا على الرجل فالت به ياه ولا تها هذا الرجل ما فعل ذلك الاطلس المرحم السلطان وقد حضر بين يدي المولى وما يحسن ان يرجع نائب القصد فقال هذا باب آخر وتقدم له بخلة ونفقة بالقصة قال فانتظر الى ما فى على هذه القضية من المعاني القريية البعية من التواضع والاهتدالى الحق والارغام والنفس والكرام فى موضع المواخذة مع القدرة التام فوجه الله عليه قال وكرمه كان أظهر من أن يسطر كان رحمه الله يبالى الا قاله وفتح أمد فطيلها منه ابن قرأ رسلان فأعطاه باهاور آيته وقد اجتمع عنده وفوديا قدس ولم يكن فى الخزانة انما نعابهم فباع قرية من بيت المال ونقص منها عليم ولم يفضل منه درهم واحد وكان يعطى فى وقت الضائقة كما يعطى فى حال السعة وكان نواب خزائنه يصفون عنه شيئا من المال حذر ان ينفقاهم لمعلم أنه متى علمه أن يخرجه ويصمته بما يقول يمكن فى الناس من نظرائه المال كما ينظر الى التراب فكانه أراد بذلك نفسه وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب وما سمعته يقول أعطيتا فلان وكان يعطى الكبير ويصط بهجه ليعطى بسط من لم يعطه شيئا وكان الناس يستزيدونه فى كل وقت وما سمعته قط يقول قد زدت حرا فزادكم أزيد وأكثر ارسالى فى ذلك كان يكون على لسانى ويدي وكنت أنجل من كثرة ضابطون ولا أخجل منه لعلى يعدم مؤاخذته بذلك وما أخذ مع قط أحد الا وأغناه من سؤال غيره وأما تعدد عطاياه فقال حضرتنا سيدنا وما هو من الخيل يرجع عكالا غير فكان عشرة آلاف رأس ومن شاهد ما هو به يستقل هذا التقدير اللهم انك الهمة الكرم وأنت أكرم الأكرمين فتكرم عليه برحمتك ورضوانك يا أرحم الراحمين قال وكان رحمه الله من عظام الشجعان قورى بنفس شديدة الباس ضليل الثبات لا يهروله أمر ولقد رأيتهم مرابطا فى مقابلة عذبة عظيمة من الفرنج وغصده تواصل وعساكرهم تتوارز وهو لا يزيد الا قوة نفس وصبرا ولقد وصل فى ليلة واحدة منهم بنو سبعين صرا على عكا وأنا أخذتاهم بسد صلاة المصريين فرهب الشمس وهو لا يزال نادى الاقوة نفس ولقد كان يعطى دستورا فى أوائل الشتاء وسبى فى شرملة يسيرة فى مقابلة عذبة كثيرة وقد سألت باليان بن بلزان وهو من كبار ملوك الساجل وهو جالس بين يديه يوم القتل الصلح عن عذبتهم فقال التريجان عنه انه يقول كنت أنا وصاحب

في اختيار (٢٢١) الدولتين

صيدا وكان أيضا من ملوكهم وعساكرهم قاصدين عسكرنا من صور قلنا أنصر فقل عليه قضاة ووزراء ظهوره هرب فجماعة ألف وحرزوا ثمانية ألاف وأقال عكس ذلك قتل فحكم هرب منهم فقال أنما يقتل قسرب من مائة ألفا وأما بالموت والفرق فلا يصح وما يرجع من هذا العالم الا الاقل قال وكان لا بد له من أن يطوف حول العدو وكل يوم مرة أو مرتين اذا هكننا قري بيا منهم وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفيين ومعه صبي واحد وعلى يده حبيب ويحرق العساكر من الجنة الى البصرة يرتب الاطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يرأها هو وكان يشارف العدو ويجاوره ولقد قرئ عليه جزء من الحديث بين الصفيين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواضع الشريفة وما نقل انه سمع بين الصفيين فان رأى المولى أن يؤثر عنه ذلك كان حسنا فان في ذلك فاحضة زاهدناك من له سمع قرئ عليه ونحن على ظهور القوابين الصفيين يمشي نارية ويقف أخرى صار أبته استكثر العدة أصلا ولا استعظم أمرهم قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير يذكر بين يديه الاقسام كلها ويرتب على كل قسم مقتضاه من غير حذو ولا غضب يعتره ولقد انهمزم المسلمون في يوم المصافاة الكبير مع عكنا في القلب وبورجالة ووقع الكؤوس والصلب وهزات التقدم في غير يسير وقد انحاز الى الجبل يجمع الناس ويرددهم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يرزل كذلك حتى عكس المسلمون على العدو في قتال اليوم وقتل منهم هبة ألاف ما بين راجل وفارس ولم يرزل مصابرا لهم وهم في العدة قالا وافرأه أن ظهوره ضعف المسلمين فصالح وده ومسؤول عن جانيهم فان الضعف والمهالة كان فهم أكثر ولكنهم كانوا يوقعون العدو ونحن لا نتوقعها وكانت المعركة في الصلح وكان رجه الله يرضى ويصح ويعتره أحوال مهولة وهو مصابرا مابط وقرأ الناران ويجمع منهم صوت الناقوس ويعصون مناصوت الاذان الى ان قضى الامر قال وكان رجه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاتهام به ولو خلف حالف انما اتفق بعد خبر رجه الى الجهاد دنا راولا ودرها الا في الجهاد وفي الارفا لصدق ويرى بعينه ولقد كان الجهاد وجهه في الشغب به قد استولى على قلبه وسائر دوائحه استيلاء عظيما بحيثما كان له حديث الاية ولا نظر الا في الله ولا اهتمام الا بربها ولا ميل الا الى من يذكر موصى عليه ولقد هجر في حجة الجهاد في سبيل الله أهله ولولاد ووطنه وسكته وسائر ملاذ ذوقته من الدنيا بالكون في ظل خيمة تهبها الريح فتؤيرة ولقد وقعت عليه الحجة في ليلة ريمه على مرجعها فلولم يكن في البرج لفتنته ولا يزيد ذلك الارغبة ومصابرة واهتماما قتل وشواهد ما ذكر القاضي من ذلك كثيرة وقد سبق ذكر تفريقه تهرجه الله منها ما قاساه على حصار كوكب من الامطار والواحل وقال الرشيد بن النابلسي من قصيدته

ما أجمع الدين والدينا لهما الصديق يوسف لا لذت به القير
ملك تساوى جادى في الجهاد وقت وزلديه وضاهى نابرا مصر
قلير شتيه حزان توقد عن رضى الاموال ان اخفق المطر
ولا ينهنه عما يكابده ضج أحيد معال ولا خضر
ولا يرى الروح الا ظهرا سلهية في بطن معركة كرها وعر
صبر جميل كطام الذم في نفسه وعند هكل ملك طمعه الصبر

قال القاضي وكان الرجل اذا أراد أن يتقرب اليه يصحبه على الجهاد لويد كرشيا من اختيار الجهاد ولقد ألفت له كتب عدة في الجهاد دون ما نحن جمع له فيه كتابا جعت فيه ملاذ به وكل أيقه ردت فيه وكل حديث روى فيه ومن رحت عربيها وكان رجه الله كثيرا يطلع له حتى أخذ منه دولة الا فضل قال ولا حكيمن عنه ما سمعت منه في ذلك وذلك انه كان قد أشد كوكب في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأصل العساكر يستهوا وأخذ عكنا مصر في العرو والى مصر وكان مقدمه أنما المادل فصاره يلبود عمو يعطى بصلاة الصديق القديس ففعل بوقع له في معنى معهم الى عسقلان وروى عنهم ثم بعد على طريق الساحل ويتقدم البلاد الساحلية الى عسقلان رتب أسوارها ليطار على عليه ان لا يصل فان العساكر اذا فارتكتنا في عدة يسير فوالفرح كلهم بصور وعدة مختلطة عظيمة في كثرة ووقع أنما العسكر بعسقلان ثم سرنا على الساحل طالبي عكا وكان الزمان شتة عظيما وبهره انما عينا

نهما وموجه كالجبال كما قال الله تعالى وكنتم حديث عهد بركوبه البحر فعظم أمر البحر عندي حتى خيل لي
 لو قال لي قادر لو جئت في البحر ميلا واحدا لمكنتك الدنيا لما كنت أفضل واسقة ففت رأيت من ركب
 بحر رباح أكسب دينارا ودرهم واحد فستدري من لا يقبل شهادة تراكب البحر هذا كله خطري لعظم الخوف
 في شأني عنده من حركة البحر وتوجه قبينا إلى ذلك اذ التفت الي وقال في نفسه انهم في رافقه تعالى فغضبة
 ساحل سمعت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم اتبعهم فيها حتى لا أتقي على وجه الأرض
 في كبريائه أو أمت ففعلهم هذا الكلام عندي حيث ناقض ما كان خطري وقلت له ليس في الأرض شيء
 سامن المولى ولا أقوى منه في نصره دين الله وحكيت له ما خطري ثم قلت ما هذا إلا بهجة ولكن المولى يسير
 البحر لا كرك وهو سور الاسلام ولا ينبغي ان يخاطر بنفسه فقال أنا استعيتكم ما أشرف الميتات قلت الموت
 يسبيل الله قتال غايضا في البابان أموت أشرف الميتات قال فانظر إلى هذه الطوبى ما أظهرها وإلى هذه
 نفس ما أجمعها وأجبرها اللهم انك تعلم انه بذل جهده في نصره دينك راجع حرك فارجعه قال وأما صبره فلقد
 أتته بروج عكا وهو على غاية من مرض اعتراب بسبب كثرة ما عييل كانت تظهر عليه من وسطه الذي ركبته بحيث
 يستطيع الجلوس وانما يكون مذكنا على جانبه اذا كان في الحية وامتنع من هذا الطعام بين يديه لجزع من الجلوس
 كان يأمر ان يفرق على الناس وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الاطلال
 من العصر إلى صلاة المغرب وهو صابر على شدة الألم وقوة ضربان التماسيل وكان يجبر من ذلك فيقول رحمه الله اذا
 كنت بزل على المهاجتي أنزل وهذه عناية رانية ولقد صبر على الحر وقوة كان قنصا خر من ثل الجبل بسبب
 مرضه بلغ الفرح في ذلك فخر واطمعه في ان يالوا من المسلمين شيئا بسبب مرضه وهو زينة النهار فخر جوال في مرحلة
 إلى الأبار التي تحت التل ثم رحل العدو في اليوم الثاني يطلبنا فركب رحمة الله على بعض رتب العساكر للحرب
 وجعل أولاده في القلب ونزل هو وراة القوم يطلبه وكما سار إلى العدو يطلبه رأس النهار وهو يند إلى واليهم
 حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو رحمة الله يسير ساعة ثم ينزل يستريحون غل بتدليل على رأس من شدة وقع الشمس
 ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفه ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهار ونزل هو على ثل قبالهم مطل
 عليهم إلى ان دخل الليل ثم أمر العساكر ان تعود إلى محل المصارى قولان بينه واتحت السلاح وتأخر هو إلى قمة الجبل
 وضرب له خيمة لطيفة وبنت تلك الليلة أجمع الما والطييب تعرضه وشاغله وهو ينام تارة ويصقظ أخرى حتى لاح
 الصباح ثم ضرب البوق وركب رحمة الله وركب العساكر وأحدث بالعدو وورحل العدو عاذا إلى خيمه من الجانب
 الغربي للنهر وضايقه المولون مضايقة شديده وفي ذلك اليوم قدم أولاده بين يديه احتسابا لافضل والتظاهر والافتاخر
 وجميع من حضره منهم ولم يزل يذم من عنده حتى لم يبق عنده الا أنا وطييب وعارض الجيش والتمان بايديهم
 الاعلام واليارق لا غير فيظن الراي لها عن بعدان تحتها خلفا كبيرا وليس تحتها الا واحد بعد بخلق عظيم رحمه الله
 وبقي في موضعه والعساكر على ظهور الخيل قبالة العدو إلى آخر النهار ثم هم من يذم على مثل ما بانوا عليه بارحتم
 ويتنا على ما بنا عليه إلى الصباح وعاد العسكر إلى ما كان عليه بالامس من مضايقة العدو قال ولقد رأيت له على
 صفه وهو يصارعها وقال انتم الليلة حتى تصعب لنا نعمة محبتي ورتب لكل مخبئ قوما ولون نصير موكا طول
 الليل في خدمته في أنف كاهته وأرغد عيشته والرسل تواصل بخبرة يله نصب من المخبئ القلاني كذا ومن الآخر
 كذا حتى أتى الصباح وقد فرغ منها وكانت من المول اللالي وأشد هاردا ومطرا قال ولقد رأيت له قد جاءه خبر وفاة ولده
 بالغ وأمر احق يسمى اسماعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف أحد اول يعرف حتى سمعنا من غيرهم ولم يظهر عليه
 شيء من ذلك سوى انه لما قرأ الكتاب دعته عنه رحمه الله قال ولقد رأيت له وقد وصله خبر وفاة أبي الدين ونحن
 في محاسبة الفرج بحريه على الرحلة وفي كل ليلة تقع الصيحة فتقطع الحيايم ويقف الناس على ظهر إلى الصباح والتد
 وينزلون ويتنابذون به شوط فرس لا غير فاحضر العادل وابن جندروا بن القادر وابن الفايه سابق الدين وأمر بالانصار
 فابعدوا عن الحجة بجهد ليرتق حولها أحد من غلوسهم ثم أظهر الكتاب ووقف عليه وبكا بكاء شديدا حتى أبكا
 من غمهم فانهم لم يلبث ثم قال رحمه الله والعبرة تحتهم توفى في الدين فاشهد بكا وبكا كما جلاعة ثم عبت إلى نفسي

فقلت أستغفر الله من هذه الحال وانظروا ابن أتم وأعرضوا عما سواه فقال رحمه الله نعم استغفر الله وأخذك رها ثم قال لا يمل هذا أحد قال وكان رحمه الله شديد الشوق والشغف بالآلة الصغرى وهو صابر على مفارقتهم راض بهم عنه وكان صابرا على مر العيش وشوته مع القدر والتماسة على غير ذلك احتسابا لله تعالى اللهم أنه ترك ذلك كله ابتغاء لمرضاتك فأرض عنه قال ولقد كان رحمه الله حليما متقبلا قليل الغضب ولقد كنت بخدمة مخرج عيون قبل خروج الفرج إلى عكا يسر الله فتحها وكان من عادته أنه يركب في وقت الركوب ثم ينزل في هذا الطعام دوماً كل معاً أناس ثم ينفض إلى خيمة خاصة به ينام فيها ثم يستيقظ من منامه ويصلي ويجلس خلوة وأناجي خدمته بقرأشياً من الحديث أو شيئاً من الفقه ولقد قرأ على كتاباً معتصراً لسليم الرزقي يشتمل على الأرباع الأربعة من الفقه فتزول يوماً على عادته وهذا الطعام بين يديه ثم عزم على النهوض فقيل له إن وقت الصلاة قد قرب فعاد إلى الجلوس وقال نصلي وننام ثم جالس يتحدث حديث متصغر وقد أخذ إلى المكان الاعظم لم تقمذم إليه بمولك كبير محترم عنده وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال له أنا الآن ضيقاً آخر هاسعة فليقبل ونتمها إلى ترب من وجهه الكريم يده ونفجها بحيث يقرؤها فوقف على الاسم المكتوب في رأسها فقرأه وقال رجل مستحق فقال بوقع له المولى فقال ليست الدواة حاضر الآن وكان رحمه الله عاجلاً في باب الحركة بحيث لا يستطيع أحد الدخول إليها والدواة في صدر الحركة الحركة كبيرة فقال له المخلص داهي الدواة في صدر الحركة قال القاضى فليس لهذا معنى الأمر داهي حاضر الدواة لا غير فالتفت رحمه الله فرأى الدواة فقال والله صدق ثم استند على يده اليسرى ومزيدة اليمنى وأحضرها ووقع له فقلت قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وأنتك لى خلق عظيم وما أرى المولى إلا قد شرك في هذا الخلق فقال ما ضربنا في قضيتنا حاجة من حصل الثواب قال القاضى ولو وقعت هذا الواقعة لأحد الناس لقام وقعد ومن الذي يقدردان يخاطب أحد أهدوحت حكة بمثل ذلك وهذا غاية الاحسان والجليل والله لا يضيع أجر المحسنين قال ولقد كانت طارحته تداس عند التراجع عليه لمرض القصص وهو لا يترأه لك ولقد سئرت يوماً بقلتي من الجبال وأتارا كب في خدمته فرجت وركعتي أتمته وهو يتيسر ولقد دخلت بين يديه في يوم خرج مطير إلى القدس كثير الوحل فنضعت البغلة عليه من الطين حتى أهلكت جميعاً كان عليه وهو يتيسر وأردت التأخر عنه بسبب ذلك فما تركني ولقد كان يسمع من المستغيثين إليه والمتطالين أغلب ما يمكن أن يسمع ويبقى ذلك بالشر والقبول ثم قال القاضى وهذه حكاية يقدردان يدور مثلاً فذكر ما تقدم من ما شاع عنكم من المجموع على ملك الانكسرة وهو في جمع يسير من أصحابه بعد ان اطا فوبهم وواجه الجناح السلطان بذلك الكلام الحسن فرجع السلطان مغضباً وان انه ربما صلب وقتل في ذلك اليوم فتزلي يزور وقد وصله من دمشق فأكفه كثيرة فطلب الامر ائلياً كوا الحضر واقترأوا من بشره ولبس اسطه ما أحدث لهم الطمأنينة والامر والسرور قال وكان رحمه الله كثير المروءة ندى الوجه كثير الحيلة منبسط لمن يرد عليه من الضيوف يكرم الوافد عليه وإن كان كافراً ولقد وفد عليه البرنس صاحب انطاكية فما أحسن به الا وهو واقف على باب خيمته بعد وقوع الصلح في شوال عند منصرفه من القدس إلى دمشق وقد تقدم ذلك بعرض له في الطريق وطلب منه شيئاً فاعناه الملق وهي بلاد كان أخذها منه عام فتح الساحل سنة أربع وأربعين وثمانين ولقد رآته وقد دخل إليه صاحب صيدا فاحترمه وأكرمه وأكل معه وعرض عليه الاسلام وذكر له ما فام من محاسنه وحنه عليه وكان يكره من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم والنضل وذوى الاقدار وكان يوصي بالانكسار عن مجازات الخيم من المشايخ المعروفين حتى يحضرهم عنده ويأثم من احسانه وتقديمه ثمانية أربع وعشرين رجلاً جمع بين العلم والتقوى وكان من ذوى الاقدار وكان أبوه صاحب تور برز فاهرض هو من قن أبيه وانشغل بالعلم والعمل وجمع ووصل زائراً لبيت الله المقدس ولما قضى لباتته من مورأى آثار السلطان في موقعه لزيارته فوصل إلى النبال العسكرية فلقته ورجعته وعرفت السلطان وصوله فاستخضره وشكره عن الاسلام وحنه على الخير وانصرف فبات عندى في الخيمة فلما صليت الصبح أخذت ودعيت فقمت له المسير بدون وداع السلطان فلما بلغت ولم يلبس على ذلك قال تعبت حاجتي منه ولا عرض لى فيما بعد لربوته وزيارته ثم انصرف من ساعته وهضى على ذلك ليال فقال السلطان عنه فأكبر به بعله فظاهر عليه آثار الغلب كيف لم

نخبرهم واحده وقال كيف بطرقنا مثل هذا الرجل وينصرف عنا من غير احسان بمعصنا وشدد التذكير على خلقك فما وجدته بدماء من ان كتبت كتابا الى يحيى الدين قاضي دمشق كلفته فيه السؤال عن حال الرجل وابصال رقة كتبته اليه طي كاني اخبرته فيه بانكار السلطان وواحه من غير اجتماع به وحسنه له زعم العود وكان يني وينه صداقة تقتضي مثل ذلك فعادوا بجمع السلطان فرحب به وانسلط معه واستودش له وأمسكه أياما ثم خلع عليه خلعة حسنة وأعطاه مكر وكوالا تقوا بما كثيرا ليحمله الى أهل بيته ومتوابعه وجيرانه ونفقته يرتفق بها وانصرف عنه وهو اشكر الناس له وأخلصهم دعاءه لا يامه قال ولقد رأيته رحمه الله وقد مثل بين يديه أسير فرنجي وقد هاهم بحيث ظهر على لملارات الخوف والجزع فقال له لترجل من أي شيء تخاف فاجرى الله على لسانه ان قال كنت أخاف قبل ان أرى هذا الوجه فبعد رؤيتي له وحضورى بين يديه أيقنت اني ما أرى الا الخير فحق عليه وأطلقته ورق له قال وكنت راكبا في خدمته في بعض الايام قباله الفرج ووصل بعض الزكوة معه امرأه شديدة الخرق كثيرة البكاء وتارة تذاق على صدرها فذكر قصة أم الرضيع التي سرق وقد مسحت قال وكان رحمه الله لا يرى الاساءة الى من يحبه وان أفرط في الجناية ولقد بديل في خزائنه كيسان من الذهب المصري يكسب من الفلوس فما عمل بالانواب شيئا سوى انه صر فقيم من علمهم لا غير وكان رحمه الله حسن العشرة لطيف الاخلاق طيب الفكاهة حافظا لانساب العرب ووقافهم عارفا بسيرهم وأحوالهم حافظا لانساب عليهم عالما بحجائب الدنيا وادرها بحيث كنا نستفيد محاضرة منه ما لانسمع من غيره وكان يسأل الواحد من عنده ومداوئه ومطعمه ومشر به وتغلبات أحواله وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد الا بالخبر وطاهر السمع فلا يجبان يسمع عن أحد الا بالخبر وطاهر اللسان فما رأيته أولع بشتمه وطاهر القلب فما كتب بقله الدليل لمسلط وكان حسن الاهداء والوفاء فما احضر بين يديه يقيم الا وترحم على خلفه وجسر قلبه وأعطاه بجز مخلفه ان كان له من أهله كبير يعتمد عليه وسلمه اليه والا أتني له من الخبر ما يكفي حاجته وسلمه الى من يكلفه ويعني بترتيبه وكان ما يرى شيئا الا يرق له ويعطيه ويحسن اليه ولم يزل على هذا الاخلاق الى ان توفاه الله عز وجل الى مقر رحته ومحل رضوانه ظلت ببلده فربن شمس الخلافة من قصيدة رثاه بها

ألمست ترى كيف انبرى الخطب ناظرا * ومدبدا منه الى دافع الخطب
الى الناصر الملك الذي ملئت به * قلوب البرايا من رضاء ومن رعب
كريم اتاه الموت ضيقا فلم يكن * ليزله الا على المهل والرجب
ولو غاب منه قبل ذلك سائل * لحاب وليس الغل من شيم المحب
فضى فضي المعروف وانقرض الندى * وحط رحال الوفدي الله ورق والغرب
أفاض على الدنيا مجال نواله * ففاضت عليه عين النجم والعرب
ولوانه يمسكي على قدر حقه * اسال دموع المزن من أعين الشهب
جزاء عن الاسلام خيرا لله * فامسك عنه من دفاع ومن ذب
تذركه بعد ابتذال فقد غدا * وكان شديد الخوف في أمتع الخجب
وأصبح البيت المقدس منقذا * بأصلب عزم من مقاراة الصلب
أنزل الله العدا منذ أطاعه * وسهل منهم كل ممنوع صعب
سقى الخلد عند الله دار مآثره * بجمع منه بالجوار والقرب

(فصل) في انقسام عماله كمين أولاده واخوته وبعض ما جرى بعد وفاته قال العماد في كتاب البرق خلف السلطان سبعة عشر ولدا كبرهم الملك الافضل نور الدين ابوالحسن على ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمسمائه وتولى بعده دمشق الى ان خرج منها الى مصر فخلعوا لها عافه العلاد في شعبان سنة اثنتين وتسعين مضافة الى عماله بالبلاد الشرقية والجزيرة وديار بكر ثم الملك العزيز بن عماد الدين ابوالفتح عثمان ومولده

في أيلول (٢٢٥) القويثين

بصرى ثامن بجادى الأولى سنة سبع وستين وتوفى بها في ملكه ليلة الأحد العشر من من محرم سنة خمس وتسعين
توفى بعده أحد أولاده الصغار الملك الظاهر غياث الدين غازى ومولده بصرى منصرف شهر رمضان سنة ثمان
مستين وتوفى حلب وأعمالها فالوقد أنشأت الرسالة الموسومة بالعقبي والعقبي فيما طرأ بعد السلطان إلى آخر سنة
اثنين وتسعين وقال في كتاب التفتح تولى الملك الأفضل دمشق والساحل وما يجرى مع ذلك من البلاد وهو الذى
حضر وفاة والده ومقام بيته الفراء وغرض الاقتداء بآبائه بإيلاء الألاء وإدانة الأتلياء وخلع على الأمثال والأمره
والأفاضل والعلماء وأوى اليه اخوته وختم جماعته وجهاز أخاه الذى أخضره من أقطار الدين وأتمه به الاتحاد معه
العادل كما سلكه وكان من حسن المناظر والرحبة وطيبك وما يجرى معه فى المملكة الأفضل داخله وقدم عليه
سلطاناه الملكان المجاهد والابجدى دمشق قنأ كدت بينهم الفرية والافيه ولما استقر الأفضل بدمشق فى مقام
والده قدم إلى الديوان الذى يرتجلين بإنهاء الحال ثم ندب ضياء الدين ابن الشهرزورى فى الرسالة وأجبه عمدة والده
فى الفراء وسيفه ودرعه وحصانه وأضاف إلى ذلك من الهدايا والخلف والخيول العرباء المستغنى وسعوا مكانه فما
تنبأ مبر الرسول الأئى أو آخر بجادى الآخر حتى حصل كل ما أراد من الهدايا والفداء وحتى كاتب مصر وحلب
وأعلم بعير رسوله حتى لا يظن أنه انقضى رسوله وقصد طارقاته اخوته وفضل بفضل نخوته وذلك بعد أن جدد قنص
الدينار والدرهم بعثى أمير المؤمنين وولى العهد هذه الدين وقال ابن القادسى وفى يوم الثلاثاء من شهر رمضان من
ابن الشهرزورى ما كان أجمعه الأفضل من حل الشام إلى الديوان الذى رزوه وصليب الصليب الذى كان قد أخذ
والده وذكر أنه ذهب يزيد على العشرين زطلا من صعايل الجواهر ومعه خادم مختص بمقدمته وحل فرس أبيض وزرديته
ونخوته وكانت صفراء مذهبة وديوس حديد وسيف وأربع زرد ينفقوا الواحدة تركه بها كان يقاتل وتحفاجية
من الثياب وحل فى جلة الخفاف أربع جوار من بنات ملوك الروم قمين بنة بارزان وبنت صاحب جيله قال العباد
وأمرنى بإنشاء الكتب وتقريرها وتقريرها المقاصد وتقريرها منها (أصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء
وطبه محمود بالصفاء ويدمر فوعة إلى العبد لا تنال بالداء ولسانه ناطق بشكر النعماء وحنانه ثابت من المهابة
والحمية على الشرف والرجاء وطرفه مفض من الحياء وهو لا رضى مقيل وللفرض متقبل ودعيت بما قدمه وأسلطه
من الخدمات ونذر دخر الأقوات لهذه الأوقات وقد أضافت العلوم الشريفة بان والده السعيد الشهيد الشيد الشيد الشيد
المير لشركه الميرد لمزل أيام حياته والى مائة وفاته متقبها على جدد الجند مستليها فى صون فريضة الجهاد
الى بطل الجهد ومصريل الأمصار باجتهاد فى الجهاد شاهده والابجدى فى الأقوال فى نظر هزمه واحدة والبيت
المقدس من فتوحاته والملك العقيم من تافهم عزماته وهو الذى ملك ملوك الشرق وغل أعناقها وأسرطوا غيت
الكفر وشذخناقها وقع عبدا الصلطان وقنع أصلا بها وجع كلة الإيمان وعهم جنابها ونظم أسياها وسد الثغور
وسدد الأمور وقبض رعد له بسوط وأمره محط ووزره محطوط وعه بالصلاح منوط وما خرج من الدنيا الأوهو
فى حكم اللطافة الأمامية داخل وبغيرها الرام إلى دار المقام قرحل ولم تكن له وصية إلا بالاستعانة على جادتها
والاستعانة من مادتها وإنه منى والده على طاعة امامه فالملك أولاده وأخواته مقامه قال وتوفى وقعه
الملك العزيز أبو الفتح عثمان مصر وجميع أعمالها وأبقاها على اعتدالها وقهاها من شوائب اختلافها واعتلاها
والحي سقى الجود والباس وثبت القواعد من حسن السياسة على الأساس وأطلق كلما كان يؤخذ من الغبار
وغيرهم باسم الزكاه وضاعف ما كان يطلق برسم الغناء وقدم أمره من الله المقدس وعجل له عشرة آلاف دينار
مصريه لتصرف فى وجود ضروره ثم أتم بما جمل وتفاض عليه من الفضل وتوفى والى عز الدين جريدك على
ولايته وقوى يده رعايته وولى حل القلات من مصر إلى القدس وأبدل وحشته برفاة السلطان من وفاته بالانس
ثم أشفق من غدو القفر غنى فمع المدة فأتى من تجهيز العساكر إلى البيت المقدس بكل ما فى الملكة ثم سمع بركة
للاوصال من تابعهم وبايعهم وشايهم وقد خرجوا فى إيمانهم طين ولقد أبايمانهم ما كين تخيم بركة الجلب
واستشارهم أعلام أهل الرأى واللب وجوز حيث أفصولا إلى دمشق ونذر فى العادل من حرب القوم وسلمهم وهز
منهم أصفى الاستكانة بهدهزهم فقرأ أن كن الحمد أهدو والقود أجد قال وتوفى حلب وأعمالها وحصونها

ومعاقها وكرائم البلاد وعقائما الملك الظاهر غازي وهو رجا حتمو معا حته الطود والجود الموازن الموازي
وملك مملكة أقطر هاراسمه وأصهارها شاسعه فحماها وحواها وبياء الصلبر وأها وقراها وأقر البيرة
وأعالمها وباصيرى معها على أخيه الملك الزاهر مجير الدين داود ودخل في أمره صاحب جماء ابن تقي الدين فأعزاه
رجاء قلت هوما وذرية والده وبقي الملك منه في عقبه وانما كل من اخوته وأولادهم اليه وعقوله في عشية
أمورهم عليه والامر مستقر على ذلك في عقبه الى الان والله تعالى ولي الاحسان ثم زال ملك هذا البيت في صفر
سنة ثمان وخمسين وسقائه بسبب غلبة التتار الكفرة على البلاد والله بصير بالعباد ومن كلام القاضي الفاضل
في جواب ورد عليه منه به موت السلطان (مضى رأى المملوك خط مولانا طالعاني كتاب وطلبة على خطاب تمثل
ذلك الشخص الكريم وذلك السلطان العظيم وذلك الملقى الكريم وذلك العهد القديم فحي بعد موته وسجع من
يحيي العظام وهي رميم ورفع يده بآله رافعه ودعا بصالح الله سامعه) قال العباد وكان الملك العادل مع السلطان
في الصدرة قبل وفاته وكان موافقه وموافقته في مقتضاته فباءت السلطان الى دمشق ودعوه ومضى الى
حصنه بالكرنك فتابه النائب ولم يحضر وقت احتضاره الا اخ القائب فمات عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يزل المقام
ورحل طالع البلاد بما يجره حذر اعليها من أهل الجريه وكان السلطان جعل لكل ما هو شرقي القرات من البلاد
والولايات فمات الى القرات وحدها فنه دلائل القرات فقام بقلعة جبر وسير الى الولايات الولاء ووصى
برعايا الزاء واستتاب في سافار قرصاني وسجاسا وحزان والزهاوشنها لشحن وعلم العدا انه في خوف فخفوا
وعرضوا وصفا وكان سيف الدين بكتر صاحب خلافة قد استبشر موت السلطان وتغلب الملك الناصر وحدث
أمله بغير العساكر وراسل صاحب الموصل وسجبار وطبر اليهم كتب الاستغفار وضم اليهم من ماردن ماردن
وطار وناش وارناش واتناش فيقينا هو في انشاء الله قتله الامام عياض بفضله رابع عشر جمادى الاولى سنة
تسع وخمسين وأول من بدا أمره بالمروج على بلاد السلطان متولى ماردن ونزل على حصن الموزور هذا الحصن
كان السلطان اقتطعه عن أعمال العاردين حين صالح أهلها وأضاهى الى نائبها بها ثم تحرك عز الدين أنابك صاحب
الموصل وأخوه عماد الدين بنكي صاحب نصيبين وارسالوا الى العادل تخرج من بلادنا او تدخل في مراننا فكتب
الى بني أخيه يستغفدهم ويستغفرهم فمقدومه وكان احتداد حلب أقرب وتقدم في نجدة الافضل مع أخيه الظاهر
وتجدد الفزع والواصلة الى دمشق بعد فجاز الامر ووصلت للواصلة الى رأس عين والعادل بجران وتقارب العسكران
حتى ان الطلائع تتواجه وتقبله فرض صاحب الموصل ولم يبق الاقامة فساد ورجع عماد الدين أخوه وتضرع
صاحب ماردن وتوجه الى امرائه الكابر فرضي العادل عنه وبلغه قدوم ابن أخيه الظاهر الى القرات فكتب اليه
بمنزلة المروج وهي من أعمال ماردن وأمسده بابن تقي الدين وابن المقدم فنزلوا عليها ثامن رجب وقصروا تاسمه
ورحل العادل منتصرا رجب الى القرة وتسلها ثم تلك بلاد الحماور جميعه وجاء الى نصيبين فقتل بظواهرها وشرع
في ضم خاشرها فجات الرسل العمدية في طلب الصلح فرحل ونزل دارا وأناه خبر وفاة صاحب الموصل وتسلم بلده
الى ولده نور الدين أرسلان شاه وجرى بينهم وبينه صلح ثم كتبه أهل خلافة فرحل اليها فرأى ابن البرديستد
وامدا حصار يتد فساد الى حران والزارها وأعرض عن مخالطة خلاط وتأخر الى الربيع أمرها قال واقطع العين مستقر
للكاظمه الدين سيف الاسلام طمكتين بن أيوب أخى السلطان وهو هناك سلطان عظيم الشأن مستول على جميع
البلدان وكان قد وصل ولده مع الحاج تيسل وفاة السلطان بأيام قبل استقرار الملك الافضل على سريرته كاتب
عمد سيف الاسلام

(فصل) في وفاة صاحب الموصل ونجدة أخيه هذه الفتنة بلاد الشرق قال عز الدين أبو الحسن على بن
الاشميا موصل خبر وفاة صلاح الدين الى صاحب الموصل عز الدين استشار في الذي يفضله فاشار عليه أن يجمع الدين
أبو العدا بالاسراع في الحركه وقصد البلاد الجزيه فانها لا مانع لها منه وقال مجاهد الدين قايمز نلس هذا
برأيها فامترك وراى ان مثل المولى عماد الدين صاحب سجبار وعز الدين صاحب الجزيه ومظفر الدين صاحب اربل
وتسير انما ترى فانزاسهم ونسبهم وتأخذوا فيهم ينظروا ما يقولون فقال أن كان كنتم تقعون ما يشيرون به ويريه

فأخذوا فاتهم لا يرون إلا هذا لانهم لا يؤثرون حرّكم ولا تؤنكم انما الرأي ان يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويراسلهم
وبسببهم وينزل لهم الخيول على ما يابدهم ويعلمهم انه على الحركة فليس فهم من يمكنه ان يخالف خوفهم قصد
ولا يشبه لاسيما اذا راوا جده وخلو البلاد الجزرية من مانع وحام فهم لا يشكون انه يمكنهم سائر ما هم عليه من ذلك على
موافقة ومضى أراد الانسان ان يفعل فضلا لا يتطرق اليه الاحتمالات بطلت أفعاله انما اذا كانت المصلحة أكثر
من المضرة أقدم وان كان العكس أجمع فظهرت أمارات الفيل على مجاهد الدين فكثرت أفعاله هو كان مخدوم
الجميع على الحقيقة والهاكم بقولهم وتابع الرجوع يعني صاحب الموصل قول مجاهد الدين وأقام بما وصل عدة شهر
يراسل المذكورين فلم ينظم بينهم وبين أحد منهم حال غير أخيه عاد الدين فأنه انتفع على قواعد استقرت بينهم
فالى ان انقضى الحال وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام الى حران وأقام هناك وجأته العساكر من
دمشق وجنود حجاب وامتعت البلاد به وسار عز الدين عن الموصل الى نصيبين وقد ابتدأ به اسباب بتريف
واجتمع فيها بأخيه عماد الدين وسار في عساكرها الى تل موزن من شجستان لقصد إلهاها راسل العادل حينئذ
يطلب الصلح وان تكون البلاد الجزرية إلها وحران والثرقة وما معها يدي على سبيل الانقطاع عن عز الدين فزججه
الى ذلك وقوى المرض به واشتد الى ان يجزع الحركة فعاد الى الموصل في طائفة بدعة من العسكر لما وصل دنيسر
رأى ضعفا شديدا فاحضر أخى وكتب وصية ثم سار الى الموصل فوصلها صام بها بالاسمال وبقي كذلك الى ان توفي
في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة قال ولم اسمع عن أحد من الناس يمثل حاله في مرضه
فانه كان لا يزال ذا كرا لله تعالى حتى انه كان اذا تحدث مع انسان يقض حديثه مرارا يقول أشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وأشهد ان
محمد صلي الله عليه وسلم عبده ورسوله وأشهد ان الموت حق وعذاب القبر حق وسؤال منكر وكثير حق والصراف
حق واليزان حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ويقول لمن عنده من طائفة انهم سألوا
بهذا عند الله تعالى ثم يعود الى حديثه وأحضر عندهم يقرأ القرآن فلم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله ودفن
بالمدرسة التي أنشأها بابل الموصل مقابل دار الملكة وهي الفرقة الشافعية والحنفية وكانت ملكته نحو ثلاث
عشر سنة وستة أشهر وكان أمير ملج الوجه حسن اللحية خفيف العارضين وحكي الى والدي قال هو أشبه الناس
بجده الشهيد قدس الله روحه قال وكان رحمه الله يتأخر فدايتني في داره مسجد يخرج اليه في الليل
ويصلي فيه أو اذا كانت له وليس فرجسية كان قد أخذها من الشيخ عمر النائي الموصلي ويصلي فيها
وكان قد سج ولبس بكهت حرسا الله خفة التصوف من الشيخ عمر النائي المذكور وكان من الصالحين
وأوصى بالملك لابنه نور الدين أرسلان شاه وأراد أخوه شرف الدين بن مودود بن زنكي ان يولي به فلم يفعل وبقي نور
الدين الى سنة سبع وسبعمائة توفي في شهر رجب من اواخر سنة ثمان مائة بالمدسة التي أنشأها سلطان الموصل هذه دار السلطنة
وكان عهد الملك لابنه الشاهر عز الدين مسعود وجعل الأمير به الدين لمؤا القاهم بأمر دولته وولاه لماراة الجيوش
والعساكر وسياسة القبائل والشعائر ثم توفي الملك القاهر في ربيع الأول من سنة خمس وعسبمائة فجاءه وخلف
ثلاثة بنين صغارا قال وأما عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صهر نور الدين رحمه الله وهو صاحب شجر فانه
توفي في الحر سنة أربع وتسعين وكانت ولايته ثلاثين سنة وكان عدله قديم البلاد وغر العباد وأريقت الجور
وحشاشها وكانت صفاته تصل الى أفاصي البلاد وتولى بعده ولده الا كبر طلب الدين بمحمد بن زنكي وكان متولى
أمره ومجاهد الدين بريقش الحمادي قال وحاصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب ماريدين في سنة خمس وتسعين فبقى
محاصر لها احدى عشر شهرا ولم يبق الا الاسلام عليها فينما العادل يحاصرها فادى في ابن أخيه الملك العزيز صاحب
مصر وكان عسكره مع عمه العادل على ماريدين فلما توفي ملك أخوه الأفضل مصر وكان يشه وبينه عا العادل نرة فلما
ملك مصر أرسل الى العسكر المصري الذي معه يأمرهم بخيارته فصار قوه وعادوا الى مصر قتل جمعه وعسكره
ثم خرج الأفضل عن مصر غازا على حمص دمشق واستعادتها من عمه فصار العادل عن ماريدين حريدا في دمشق
ليحفظها بعد ما يمكن قتل طلع شغبه الى قلعة ماريدين وترك ولده الملك الكامل محمد محاصر لها الى ان اجتمع

صاحب خيبر وصاحب الموصل على رحيله عنها فرحل قال وفي سنة ثمان وخمسة مائة سار الملك العادل ابن أيوب من الشام إلى سنجار في العساكر الشامية والناصرية والجزرية والديارية بركة خضر هاوزل عليهما من كل جانب ونصب أحد عشر مخيمًا ثلاثة أشهر وانتهى صاحب الموصل وصاحب أربل لصاحب خيبر وأغلب الخليفة رسوله فاصح الامر وانتظم الصلح ووقع الحد

(فصل ١٠) وأما رسالة العادل الكاتب المعروفة بالعتي والعتي التي أشار إليها في آخر كتاب البرق فيما جرى بعد وفاة السلطان إلى سنة اثنتين وتعين قد وقت عليها وحاصل ما فيها أن قال لما توفي السلطان رحمه الله وملك أولاده كان العزيز يرمي بغيره بآشياء يكرهها والفضل يمشي في فعله ضد ذلك بقرب الأجانب ويبعد الأقارب وأشار عليه بذلك جماعة داره وله كالأوزر الجزري الذي استوزره قلت هو الضياء ابن الأثير أخو عز الدين المؤرخ ومحمد الدين ومعه يقول الشهاب تقيان الشاغوري حتى أرى وزيركم وماله من وزر • يلقه الله فلما أوان قطع الجزر

قال العادل فلما طلب من الأمراء أن يحلفوا بالأخذ بواله أيمانًا وطمعوا في ذلك فحلفوا عليه ولما رأى الفاضل أمور الأفضل مختلة تركه وسار إلى مصر وشرع الوزير الجزري في تفريق العصبة الناصرية وبما منهم الامم فارق إلى الديار المصرية وكان قد أتى مصر على الأفضل بإخلاء البيت المقدس وللب العزيز بآمنائه حذرًا من تكليفه وأثقله فاجاب إلى ذلك وقد كانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان ثلثها على مصالح القدس وأبقاها على ابن الأمير علي بن أحمد المستطوب فشاركه أحد الأمراء ألا كرادقيه ففقدوا أيديهم إلى الوقت وساعت سيرتهم ويتفقون من أنكار الملك العزيز عليهم فلجأوا إلى الأفضل فأفضل عليهم وسكن اليهم قناتر الملك العزيز بذلك وأقرى الأسباب فيما حدث من الغار فغار الأمراء الناصرية الكبار ومغارهم دمشق إلى مصر على ميل الاضطراب والاضطرار فاعزهم العزيز وزرهم فاتفقوا على أن تكون كلمة الاسلام مجمعة على الملك العزيز ولا حياة سنة والذهاب إلى الجرد والباس والكرم ومن جهة الأسباب الباعثة على الفرغ تفرج حبل من بعض مسقطه ووضف الأفضل من استخلاصه قتل العزيز بأن تواترت استولت الفرغ على البلاد فخرج العزيز بها كره وبلغ الأفضل فضاقت صدره واجتمع عن في خلعت من الأمراء رأس الماء وأراد أن يستعطف فأما زال الصبي وكان في إقطاعه بالسواد وكان يثنيه ويسأل الأفضل شقائق وعناد فأرسل إليه فطلبه وحل إلى عسكر العزيز وروى الأفضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يحب من إعلانه كفته والاجتماع عليه ويكون الأفضل من بعض القاضين بين يديه طلبًا لتسكين الفتنة وروى في ذهاب الأخ فأسر عليه بغير الصواب وقيل أنت الكبير واليك التدبير فجد واجتهد ولا يهمل أمجادك بهذا الحور الذي بداخلك والجن الذي نازلك ونحن بس يدك وكنا عاقدين بالناصر عليك ووصل رسول الملك الظاهر والكاتب من الملوك الأكراب بالاتحاد لانتظار الأفضل وسير الأفضل إلى عمه العادل وهو بصرى وائرثا كتب إليه أو سلافًا أبطأ عليه سيره من الذين عثمان الزنجبيل على نجيب ليسر عويًا يأتي به من قريب وكتبه وأمسكه بصره على نصره ونجده وذلك في أوائل جمادى الآخرة من شهرور سنة ثمانين ولم يشعر الأفضل إلا بالعزيز بها كره قدوس إلى القوار فجعل الرجل قدسًا لطمع عسكر العزيز برفاهة جيش الأفضل فأسر عورخل دمشق يوم الجمعة خامس جمادى ونزل العزيز يوم السبت بالكسوة ونزل على دمشق يوم الأحد فمزل الأفضل بما منع ويدافع حتى وصل عمه العادل فكتب إلى العزيز بماله الاجتماع قدسًا وأعدادًا واجتماعًا كبيرين بمصر لما نزلته قدسًا في أخيه واستقره عما كان فيه فقال علي رضاك وأتباع هؤلاء وقال قدس عن البلد الخلق وكان قد قبل البلد منهم بما لا يطاق من قطع الأنهار وقطف الثمار فأنكر العزيز إلى صوب ما يابوا والأعوج وكان قد اجتمع عند الأفضل من الملوك عمه العادل والمجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص والأجدد محمد بن براهيم شاه من فرخشاه من شاهنشاه أيوب صاحب بعلبك والمنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حمص ثم وصل الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان فاتفقوا على عقد ذي كد وعهد بينهم ورحل العزيز إلى مرج الصفر لكون القمام به أرق فرض حتى أيسر ثم أفاق وأرسل إلى من جانيه

في أخبار (٢٢٩) الدولتين

لاسير غفر الدين يا زكريا وعتمد عليه في هذه النوبة فوصل الى العادل في تعديل الامور فقتل ربيهم الصلح
يتزوج العزيزانية عمه العادل وخرج الملوك لتوديع الملك العزيز في قول شعبان واحدا بعد واحد فخرج الظاهر
أولا والقيانوا ولا يخرج الصغريات عند هدية ثم رجع وخرج العادل ثم الافضل فلما اجتمع باخيه فارقه وما توى
ورجع كل الى بلده ولما استقر الافضل يستحق قضى حقوق الجماعة وشكرهم ورحل الظاهر صوب حلب رابع
عشر شعبان وأقام العادل الى تاسع شهر رمضان ورحل الى بلدته هار وحران ثم ان الافضل نظم أيا ما يتكئها
الى أخيه العزيز في استطاعه واسمائه وقال كنت فارقت اخي منذ تسع سنين وما التقينا الا في هذه السنة فقلت

فتارتك نظارة من جدت * تقصت بالترق من سنين
وغض الدهر عنها طرف غدر * مسافة قرب عين من جبين
وعاد الى محبته فاجرى * يفرقتا العين من العين
فوج الدهر لم يسم بوصول * يعود به المجمع الى الجفن
فراهما ثم يقبضه بين * يبعد الى الجناح عدم السكن
ولا يدي جيوش القرب حتى * يرتب جيش بعد في الكين
ولا يدي محلى منك الا * اداد ارتدى الحرب الزبون
فليت الدهر يعجلي باخرى * ولو امضى بها حكم المنون

قال ثم كثر التمرس حول الافضل في حق الامراء الكبار ذوي التقاد فانه من ذلك وأزعجوا على الانفصال
لسوكتا لالحال فمن سار الى مصر عز الدين سامقة وحرض العزيز على القيام لنصرة الدولة للناصرية وعرفه ان أخاه
الافضل مسلوب الاختيار مع من حوله من الاشرار ومن سار الى مصر القاضي محي الدين محمد بن أبي عمرو
وتولى بعد أشهر قضاء القضاة بمصر وأعمالها وذلك سنة احدى وتسعين فاستقرت ولايته الى ان عاد العزيز زمن الشام
وتبعه العادل فصره وأعاد القضاء الى زير الدين علي بن شرف الدين يوسف الدمشقي وكان نائباً لصدور الدين
عبد الملك بن عيسى بن دباس ثم استقل عز الدين بن أبي عمرو ثم أعيدانيه وسكان الافضل قد اشتغل بعد
انصراف أخيه بالذات وتشاغل عن أمور الناس بامان الشراب مع من حوله من الاصحاب ثم ألق عن ذلك
وتلب وجسد في الذكرا والرحمة وأتاب وشرع في كتب محبس بخطه وحسنت طريقته وظهرت حقيقته وذلك
في اوائل سنة احدى وتسعين وفي هذه السنة في ربيع الآخر وصل القبربان العزيز بقادم بمصر دمشق مرة ثانية
فاشتدع الافضل فاشير عليه بان رحل الى عمه العادل وياق به لرفع هذا القضاء النازل فرحل رابع عشر
جادي الاول والتقى بجمه بصغين وطلب منه الرجوع معه الى دمشق ففعل ووصل العادل اليه تاسع جادي الاخرة
وتلقب عنه الافضل وقصد حلب لئلا يشتهر باخيه الظاهر فوثق معه الايمان على ما كان عليه من الصفا وكذلك
قبل بيان تقي الدين بجمه ووصل الى دمشق واجتمع مع عمه العادل وكان العادل أبا يشير بصرف الوزر بالجزري
وكان قد استولى على الافضل فلم يقبل فكان العادل أبا شمساً لذلك فبال الافضل في اكرامه وازالة غمه حتى
ترك له سخيقة صرار كرك في خدمة عمه وضايق أخوه الظاهر من هذا الحال وكان الظاهر قد نشر عليه جماعة من
الملوك والامراء من هم في طاعته من جلهم صاحب حام وعز الدين ابن التميم صاحب بارين فراسلا العادل
في الاعتماد به وكان من جهاتهم يد الدين خلد بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب تل بارتفاعه القلاع وروى عمه
وطلب منه تسليم حصنه فسمع العادل همهم وكفل انه يكفهم ويكفيهم واستعجبهم الى دمشق فطلب منه الظاهر
الوفاء بضمائه فتمنع عليه ردهم وتيسره وذهب فغضب الظاهر لذلك وراسل العزيز يجهته على الاسراع في القدوم
فاقبل العزيز ونجم بالقوار وشرع الطول في تدبير امور الافضل فكتب الامر الى الاسدي من اصحاب العزيز بجمعهم
على تركه والاتطلاع الى حزب الافضل وسلطه وكانت الاسدي قد ادى غناهم من تهمم الزامه وراسل
العادل أيضا العزيز بخبرهم من قبل الاسدي ويعرفهم انه وده عليه فلوهم من الغل فكانوا ان يقبضهم عرفوا
في وجهه التغير عليهم فرغبوا عنه وحسنوا لكرامتهم فاقبضهم في الانصراف عنه فنهوا وكان أميراً لكرام

كتاب (٢٣٠) الروضتين

أبو الحجاج السمين فدارت الاكراد حوله وقالوا لا نأمن عليك من الناصر فبايعوا أمرهم وبجأوا برحيلهم فرحل أبو الحجاج والمهرانية والاسديّة عشية الاثنين رابع شوال وكانوا كثر العسكر واعلم العزير بهم فبايعوا ناصر فاهم وقال صفوننا من اكدارهم وليأمر أحجابه بآتاعهم وردّهم وبقي في خواصه مقيماً تلك الليلة ثم رحل عائداً الى مصر فجا رسول أبي الحجاج السمين الى العادل ليأمره برحيل العزير فأتاه بأمره بالقدوم ليحلقه ويأخذوه ويتسلموا ملكاً لله بالامصر به فتحاقف العادل والافضل على ملك مصر ان يكون للعادل الثلث والا فضل الثلثان وخرجا يوم الاربعاء في الجيوش واستأبب الافضل بدمشق أثناء الاسير قطب الدين موسى وأما العزير فزانه ساروا أخذوا طريق الجيوش والرملة وفروا من الاسديّة الذين بالقاهره فان بقوا ففضل اخوانهم فبقيهم من دخول البلد وكان مقدمهم الامير بهاء الدين قراقوش وهو اكبر الامراء الاسديّة قد استأببه العزير بالدار المصريه فهو مقيم على الصفاء والمودة والاخاء فلما وصل العزير لتلقوه والى ذرورة سلطنته تمزقه وأما العادل والافضل فاجتمعوا بالمخلفين عن العزير وحوصت الاسديّة ان يسبقوا العزير فلقبوا بقرى واجتهدوا ان يدركوه ويستقدوا فأتوا قاهرهم العادل بالكتاب وتسلم القدس واعلمه وما يجاوره من اعمال الساحل أبو الحجاج السمين بأمر الافضل والعادل فربط فيم انزابه وأسكنها أصحابه ومحبهم الى الدار المصريه بخالفة الاسديّة وبخالفة المصريه قتل بهم العادل على يديس وكان اوان أخذ زيادة النيل في الانتهاء والسهرغال وتظهرت نداهة للاسديّة وضعفت معوتهم وضوعت مؤزنتهم تخاف من مكرهم والعدول الى مستقرهم فاسر الى القاضى الفاضل يستوفد ملا ستراره ويسترشده بالاستشارة فازمه العزير باجابة سؤاله فخرج الى مصر استبشر الناس بخروجه رجاء الصلح وركب العادل وتلقاه على فراصحه واجتمعوا وأصلحوا الامور على ما يجب الفريقان وعفا العزير عن الاسديّة وأقام العادل عند العزير وأما الافضل فان العزير خرج اليه وودعه فأنصرف معه أبو الحجاج السمين وتولى القدس ووصل الافضل الى دمشق غرة المحرم سنة اثننتين وتسعين ثمان الافضل لازم صياده وتياممه وقل شرابه وطعامه وحسن شعاره واستوى ليله ونهاره ووزيره بالجزيرة قنبل الناس منه بلايا وهو في شغلته عن تلك القضايا وكان يدخل اليه ويوجهه من قبل أوام انهم عليه وانهم يملكون الى أخيه فيصدق الافضل فيما يدعيه فصار يبلغ العادل عنه أحوال ما تبعه بل تقضيه وصار يتصل به كل من هاجر من الشام الى مصر وما منهم الا من يشككون الوزير بالجزيرة وكان فاما ز النجوى فالتصق بالعادل وكذلك عز الدين سامة وصاهر العادل ونظاره وكان العادل بمصر مستوطناً مصر فوعدا لجامعة بار القيد الوزير بالجزيرة وردّه الى بلاده وقرع العزير زنجير عسكره معه الى الشام لعمدة له قاعدة الملك في سائر بلاد الاسلام فان خرج العساكر الى كركنا لاجب وخرج العزير لتشيده وذلك مسهل ربيع الاول ووصل الملك الزاهر مجير الدين داود من حلب الى أخيه العزير من جانب الصاهر لتكبير هذا الريح الثائر معه سابق الدين عثمان صاحب شيز والقاضي بها الدين ابن شداد ثمان العادل أشار على العزير بان يوافق على المسير ورافقه فيه قرآ عين التدبير فساروا بالصاكر نحو الشام ولما انصرفت رسل الظاهر من مصر بما طلبوا مروا بدمشق فاعلموا الملك الافضل بما أبرم من الامر فضايق صدره وطال فكره واستشار أصحابه فاشاد عليه شيخ الدولة بلن يستقبل أناموهم ويسلم لهم حكمه وأشار بالجزيرة وأحجابه بالمعصية على الخالفة وترك الجملة والملاخفة ثم دخل عليه أخوه الملك الظاهر فخر ففجعهم صبره وتولى أسباب التخصير وحلفوا الامر اموالاً المقدمين وقطعوا ما فوق المصلى عند مسجد فلوس بفضيل وزرير بالاحوالى البلية يتأبون لحقته في البكرة والاصل ولتفرق الامر اعلى الاسوار والاراج وجاءت الرسل الظاهرية لالظهار المظاهرة ونذب الافضل ملك الدين أنما العادل اليه منه عرس ولا فوصل الى العسكر العزير بالداروم وغره ولقي عند العزير من قوله الغره فيبي ملك الدين هناك أيام في اصلاح ذات البين ولا شك انهم اشتروا على الافضل شروطا وردّوه بها وأنما ما ينتظرون الجواب فتعلمن ذلك ان الافضل أبى ذلك فلما رأى الاكابر وشيوخ الدولة ان الافضل لا يسع من رأيهم وانته عازم على الحاربه ولا يعدل عن رأي وزيره مع ما قدره من شؤم تدبيره شرعوا في اصلاح أموره في الباطن فرأوا العزير والعادل واستظهروا كل لنفسه وأقام العسكر مدعاً عشرين رجلاً على البلد مستظهِراً بالعدو والعدد لا يحدث حدثاً ولا يعيث بالبلد الا هبنا فكاتب الاوليا من البلد الى العزير والعادل

في أخبار (٢٣١) الدولتين

بانتهاز الفرصة فركبوا وأهوا يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فهاصدهم عن قصد البلد أحد
وما كان في طريقهم إلا الملك النظار معه عسكر حلب قاتل على نخل قتال الجماعة وما عنده علم بمدبره ومن
الخامسة فغادوا ولم يكرهوا ووصل العزيز إلى الميدان الأخضر ووصل العادل إلى باب توما وكان الأمير الأمين به
قد استنفضه إليه بكتبة ففحصه فدخل العادل وأصحابه من باب توما والباب الشرقي وبات العادل في الدار
الاسدية ودخل العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية وخرج إليه الأفضل ولقبه وتجرع من هم
زوال ملكه ماسقيه فلما ملك العزيز دمشق أقام أياما بالميدان الأخضر الكبير إلى أن انتقل الأفضل من
المنامة بأهله وأصحابه وأخرج وزيره الجزري مخفيا في صندوقه أشفاقا عليه من قتله وتجرعه
وتحول الأفضل تلك الأيام إلى محبختون وما يجاوره ومعه وزيره فورييل إلى بلاده وقد أخذ فيها أموال
دمشق وأعمالها ثلاثين قال لو كان العزيز يرتزع العادل أن يقدم العزيز بدمشق ويتنكب العادل بمصر
فلما ملك دمشق ندم على ما ترتزه ورجع عماد بصره ونفذ إلى أخيه الأفضل في مصر بعد زيارته ويشير بما كان
أشترط عليه فأظهر الأفضل هذا السر لعمه والخصوصين لقربه فقالوا لا تتخضع بهذا القول فما كانت خديعة
وأطلع عمك العادل على هذا السر فانهى بذلك عين البر فأرسل إلى العادل من أعمه بذلك فغضب عليه مراسلة العزيز
الأفضل واجتمع العزيز زوجته وقرعه بالنيابة وأنه وقال له ابني وتهدم وأوجد مصالحك وتقدم فأنكر الحال
وأحالها لتفض الأسير قبل إرغامه ووجهه إلى الأفضل من أن يجبه وإلى مصر خدأ أخرجه وسد طريق الاستنصار على
أخيه لأننا فرحتي أسلم في تسليم بصري للظفر بسلامته وبذلها ولم يسمع هانداته ورحل إلى حلب وأظهر الظاهر
الاحتمال به وأما الأفضل فانه سار إلى قلعة مصر خدوسكتها وقول أهل وأناه طلب الدين إليها ونوطنها وعند
خروج الأفضل من قلعة دمشق دخل العزيز إليها يوم الأربعاء رابع شعبان وجلس يوم الجمعة في دار العدل
واعتقد الناس أنه يطول مقامه عندهم فلما شعر بأنه لا بد من الرحيل وتقدم إلى العادل بأن يتولى البلاد وفارق
دمشق عشية الاثنين تاسع الشهر ونزل في الخيم فوق مهدها تقدم ثم تحول إلى الكسرة وودعها يوم السبت رابع
عشر الشهر فلما عاد العادل من دواع العزيز برز في بالجامع من ذوره العزيز بالبلاد والأعمال والذمار في جميع
الأحوال وأشاع أنه نائب العزيز وهو سلطانه وأبقى الخطبة باسم العزيز تخالفا من اسمه حاله بصره ومزب الدينار
والدرهم على شكله وأظهره أقوى بشوكة وشكته وجلس يوم الاثنين والخميس للعدل وبسط يده لجمع الأموال
وخزنها لوقت عموم الحاجة إلى صرفها

(فصل ١٠) هذا آخر ما أنطوت عليه رسالة العتي من أخبار ما جرى بعده موت السلطان رحمه الله والعهاد أيضا
كتاب آخر سماه بفضله المرحله ذكر فيه أيضا ما كان من ذلك وهو أن الأحوال اختلفت وتغيرت بعد موت السلطان
وأراد العباد الرجوع إلى مصر فاجتمع إليه الأفضل رسالة إلى أخيه العزيز فغضب إليه هو عنده عنه العادل فلم يكن من
الرجوع إلا معهما فلما خرجا بالياسا كرفد كرا الحديث في أخذ البلاد قال وخرج الملك الأفضل واجتمع بالعزيز
في الميدان ودخل من باب الفرج متصاحبين إلى الضريح الناصري وصعد العزيز بالقلعة يوم الأربعاء على هذه
الجمعة عند شرج والده في هيئة المدع وأظهر بالبكاء والحبيب عنده سر القلب للوجع ودخل دار الأمير سامية
في جوار تلك القبة وأمر القاضي محي الدين ابن الزكي بأن ينيها مدرسته فالتزمه قلت هي المدرسة المعروفة
بالعزيزية ووقفه بأخرة عظيمة تعرف بحججه فهذا أقدم ما في كتاب الفخلة بما يتعلق بما نحن فيه ولم يكن ذكره مثل هذا
من شرط كتابنا هذا لأنه موضوع للدولتين الذين اتفقا عليه لا بد من ذكر ما يتعلق بهما معا وقع فيه ما عظيمهما
وتبعنا العباد فيما ذكر في العتي لكونه أشار إليها في كتاب البرق واستوفيت ما في كتاب البرق والفتح القدسي
والسراج الأتابكي وكتاب الفاضل أبي الحسن وأتينا على ما قبله من المحاسن وأضاف إلى ذلك قطعة كبيرة
من مواضع مرفقة كثيرة من عدة مصنفات ودواوين ومراسلات والله تعالى يوفق ملوكنا لالاتحاد بسيرة سلفنا
في إقامة فرض الجهاد وتقلد من البلاد من أيدي الكفرة والنظر في مصالح العباد ومن كتاب فاضل (أما هذا
البيت فان الأبا منه اتفقوا فلكوا وإن الابن منهم اختلفوا فلهلكوا واذا غرِبَ نفعهم في الحيلة في تشريقه واذا

بما تفرق ثوب فإليه الاقرنه وهبنا ان يدع على قدر طرقة وقد قدر طرقة واذا كان الله مع خصم على خصم فمن كان الله معه فمن بطيحه

(فصل) بعد انتهائهم هذا الكتاب واما معاه مرة وقفت على ما حسن لي الحاقه بهذا الكتاب من ذلك ان القاضي الفاضل كتب في (سنة ثلاث وتسعين) الى القاضي محي الدين ابن الرزقي كتابا قال فيه (وما جرى في هذه المدة من الملات الجارية والمعضلات العارضة بأس من الله طريقا ونحن نيام وظن الناس ان اليوم الموعد قد طرق في الليل الممدود فاذانهم قيام ان الله تعالى أنى بساعة كالبساعة كانت تكون للدنيا كساعة في الثلث الاول من ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة وذلك انه أنى عارض فيه ظلمات متكاثرة وبروق خاطفة ورياح عاصفه قوى لحوها واشتد هبوبها وارتفعت لها مصفات وتداقت لها اعنة مطلقات فرجعت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتقت وثامر من السماء والارض عجا فقبل لعل هذه على هذه قد انطبقت وتوالت البروق من جهة المقطم على نظام وتبع الواحدة الاخرى فتفي الثانية على اثر الاولى وتزى البروق واقعة وهي تتعاقب وقائمه وتعي تجاذب ولا تحسب الا ان جهنم قد مال منها واد وعدا منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطاعت سرج النجوم وضربت ادم السماء ومحت ما كان فوقه من الرقوم ولا تزال هذه الريح تسكن سكونا خفيفا ثم تعاد عودا عنيفا فكذا قال الله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواحق وكما قلنا ويردون ايديهم على أعينهم من البروق لا عاصم من الخطف الا بصار ولا ملجأ من الخطب الا معاقل الاستغفار وقر الناس رجالا ونساء واطفالا ونهوضا من دورهم خفافا وثقالا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اذ يستغيثون ربهم ويذكرون ذنبهم لا يغفرون العذاب لانهم على موجباتهم مصرون وفي وقت وقوع واقعاته يستحقونه مقررون معتمدين بالمساجد الجامعة ومطلقين الآية النازلة من السماء بالاعتناق المتناضعة بوجوه عابسه ونفوس عن الاموال والاهل ساليه ينظرون من طرف خفي ويتوعدون أى خطب جلى قد انقطع من الحياة علقهم وفت عن الخفا طرقتهم ووقعت الذكر فبهاهم عليه فادعون ويندعوا ويخجلون ان تنعم بهم بأنهم نادعون وقاموا الى صلاتهم وودوا أن لو كانوا من الذين علموا ثم ادعوا ولم يزل ذلك دأبهم كلما سكنت الريح فحزرت وكلما قيل استقلت بركت وكلما أخذت قيل ما تركت حتى التفت الاخير من الليلة المذكورة والقلوب الى الخسار بالغة والابصار عن سنننا زانقة الى ان أذن الله في الركود واسحبها جدين بالامر لها بالمجود وأصبح كل يسلم على رقيقه وبنيته بسلامه بغيره ويرى انه قد بعث بعد النخه وأفاق بعد الصيحة والمرسخه وان الله قد رد له الذكره وأدب بعبادان كاد يأخذ على القهر وورد من الخبر ان المراكب كسرهما كان معترضا في القعر للعارض والاصل العاردين من الشجر عدت عليهم الريح بجهاها النافض وان في الطرق من المسافرين من كان قائما فدفنته الريح حيا وربك فاعغى القرار مما هو امامه شيئا ولا يجيب المجلس انى أرسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر لهم اعظم ولكن الله سلم والخطب اشق وما بلغت ولا قضيت بهذا التكرير بعض الحق وترجوا ان الله سبحانه قد يقننا بما وهبنا ونهينا بما وهبنا فامن عبادهم من رأى القيامة عيانا ولم يلمس عليهم بعد مرها ان الأهل بلادنا خافوا انتمس الاولون مثلها في المثلث ولا سبقت لها سابقة في المعضلات والحدائق التي من فضلها ان جعلنا تخبر عنها ولا تخبر عنها ونسأل الله أن يصرف هذا عارض المحرض والقهر واذاعنا وشغلنا خدمته بهذا المهم وحطته على علم من هذا العالم فالسعيد من وعظ بغيره وقد كنت لنا ذوقنا لوعظته وللذكرى حدود ونفوس ذابحة من افامة حدوده الغلظة (ومن كتاب له آخر) العادى في سنة ثلاث وتسعين ايضا) وقد تجد من وصول العدو واللعين وحركته الى جانب بيروت وخطر البلاد ما أشغل كل مرضعه وأوقع في ضائقة تنفق الافكار فيها من سعة والاسلام اليرم قلتم ان زلزل وهما لم تلت فان النصر منه مل وتلك اقدم القدم العذولة وتلك المهمة المهمة المسابقة السيفيه فافقه الله ثبوتنا في الفؤاد ودمشوا ذفا المهاد واسهر وراق الله فليس بليسة لقاد ولا ينظر في حديث زيد ولا عور ولا ان قلنا انهم ولا ضر ولا ان من الجماعة من جاء ولا ان فيهم من مر انظر والى انكم الاسلام كالمقدبر زالى الشراكه وانكم لطف الله فان صحتم تلك النسبة فان الله لا تافخ لخاله واصبر وان الله مع الصابرين ولا تهووا وان ذهب الناصر فان الله خير الناصرين

فهاهي الاغرتوتجلى وحيمة وتقتضى وليه وتصيح وتجاره وترج) ومن كتابه آخر الى الملك العادل (أدام الله ذلك الاسم تاجا على مفارق المتأبر والطورس وحياته للدينيا وما فيها من الاجساد والنفس وعرف المأمولك معرفة من الامر الذي اقتضته المشاهدة وحسنته العاقبة في بيروت ولا من يدعي تشبيه الحمال بقوله
ألم تر ان المرء يندوي بعينه * فيقطعها عمد السيل ساره
ولو كان فيها تدبير لكان مولا نافذ سبق اليه ومن قلم من الاصبع ظفرا قد جلب الى الجسد بدفله نفعاً ودفع عنه ضرراً

{ وتجشم المكر وليس بضائر * ما خلته سبيلا الى المحمود }

وأخر كل شقوه أول كل غزوه فلا يأم مولانا في الرباط وفعلها وتجشم الكلف وجلها فهو اذا صرف وجهه الى وجه واحد هو وجه الله صرف الله الى وجهه كلها والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) ومن كتابه آخر (هذه الاوقات التي أنتم فيها عرائس الاعمار وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهورا وخور في دار القرار وما أسعد من أودع بد القه ما في يديه فذلك نعم الله عليه وتوفقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه وسواد الحاج في هذه المواقف يياض ماسودة الذنوب من الصحائف فما أسعدت تلك الوضعات وما أعود بالطمأنينة تلك الرحقات)

(فصل) وللعادل الكاتب رحمه الله كتاب آخر سماه خطفة البارق وعطفه الشارق ذكر فيه أشياء من حوادث سنة ثلاث وتسعين الى أن توفى هورجه الله في سنة سبع وتسعين وخمسمائة واشتغل ذلك على قوائد تنطق بما تقدم فأحببت الحاقها به من ذلك وفاة سيف الاسلام طغتكين بن أيوب باين في شوال سنة ثلاث وتسعين وتوفى ابنه شمس الملوك * بعد هذا والملك العادل يدمشق وقد انتقل الملك الظافر الى حلب بعد أخذ عهده منه بصرى وعزم على قصد بغداد فصره أخوه الظاهر عن ذلك وذهب الأمير أبو الحيجا العمير الى بغداد بأصحابه فأكرم شمس في جيش الى هذا ثم بعد رجوعه مات بدوقواق انتصت مدهة الفرعج التي عقدوها مع الملك الناصر رحمه الله فخر جوا وانتقموا الملك السادر برأس الماء بروج عكا فكسرهم وفتح يافاغوة وكانوا كتابا مملوكا للامان وكان قد ملكه حقله فانها اليه تلك البلية وقالوا ان عظام أبيه الى الآن في صوري تاوت مكل بالدياج وكان في الامر منتظرا لافراج فانه لا يقرب الا بالبيت المقدس اذا استخلص والان ما كان غلامه استرخص فان المسلمين قد اشغل بعضهم بعض ولها عن كل سنة وفرض قد افعت الى عكاسفهم وتدفق من منهم وامتلأت بهم في الساحل مدتهم وقصدوا بيروت وبها الأمير عز الدين سامة فلما سمع بوصولهم الى صيدا خرج بجماسته منها وسار بأهله ومال من وعمر الامر الى سهل ودخلها الفرعج بعد يوم من غير مطاولة سوم ولا مطاولة روم وكثر فيه الحديث وذكر الطبيب والمجيب فن قائل يجنب ويجنب ومن قبل أن يشكب تشكب ومن قائل جاله هابوا فابرا ولوانه دعاهم ما أبجوا وانتاع القول ووقع المول حتى نظام بعضهم والفرعج على تبين

سلم الحصن ما عليك ملامه * ما بلام الذي يروم السلامة

قطعا الحصون من غير حرب * سنة سنباير وت سامه

وتصرف الفرعج في بيروت واعلمها الساحلية وبقي سامة جميع الولاية الجبلية ثم توجه الى مصر (ودخلت سنة أربع وتسعين) قتل الفرعج سادس عشر المحرم على تبين وأرسل العادل القاضي محيي الدين محمد بن علي القرشي الى الملك الناصر بفرعج يبيوشه ووصل في الثالث والعشرين من ربيع الأول فجعلت الفرعج بعد ان كانوا ضايقا للحصن ورر الوابوا هم الحزب هلاك ملك الامان ثم انتقل عسكر المسلمين الى جانب الطور ومع الفرعج اخوته الظافر والمعر ولماؤد وكان الافضل قد جاء الى قاه قتلهم وكان معهم على تبين الجماع صاحب حصن والا محمد صاحب بعلبك وعز الدين ابن القهظ وبلد الدين داهر وغيرهم من الاعيان ثم اجعوا في بلادهم بعد عقد الهدنة ورجع الفرعج الى مصر بعد ان خلع على ابنه الملك العظيم بمضى من العادل وخصه بالسحق والاولاء المشور لملي اللاه وعاد العظيم الى دمشق وقد قرت به العيون وحسنت فيه القلوب فكان أعز وأولد

كتاب (٢٣٤) الروميين

العدل عنده وأعطاهم ظهيه وأخصهم بحبه فقلوا لسلطنت دمشق وأطاب قبل بئس كرمه لانشق وأقام العدل حتى استقرت لهجه وظهرت في عمارتين الملكة ثم عاد إلى دمشق وأقام قليلا ثم شرق ووقع بها من الامم ما تقرق ورتق ما تقق ورد بلادا ولا د بلاد الدين زكي البهم لانه توفي في هذه السنة واسنولى عليه ابن عمته صاحب الموصل فأجدهم عليه السلطان الملك العدل وتوفي جماعة من أمراء الموصل منهم الأمير عز الدين جرديك وكان فارس الاسلام ومقدامه وشجاعه وهما معا وبارح من أيام نور الدين إلى آخر أيام صلاح الدين زحهما الله ليث الفرين أئمة العربين وهو الذي أعان صلاح الدين على القبض على شاو ورولا صلاح الدين القدس في آخر عهده فقام بمصالحهم بعده ثم تسلمه منه الملك الأفضل وسله إلى أبي الهيثم العيين فلبا خرج الأفضل من دمشق وصل إلى الموصل وانتقل من حوض الكوثر إلى أعنب منهل قال ونزل السلطان العدل على قلعة ماردن في شهر رمضان وملك شربها ومنهنا وولا ياتها واصلف عليها وشتا وصبر وصابر ولم يقل ق ق صومتي وما شك أحدنا ماردن في ملكه مضاغة إلى ملكه وقدهنا بها الشعر منهم إبراهيم مردان من أهل رأس عين لهم قصيدة

فان تك مصر أم ملك فارد * اذا ذكر البلدان اعلى الممالك

تخلص عنها سحر وابن ع * وقصر عنها عز زكي الانليكي

فان تك قدشورك في جمع غيرها * فاك في أمنا لها من مشارك

(ودخلت سنة خمس وتسعين) والملك العدل نازل على ماردن وقد وصل إليه أصحاب الاراف معاهدين وقد أصبح بين صاحب الموصل وبين عمه عماد الدين وردهم إلى شجار والخابور وقصبيين وقد أذن له الجاهه باطلاعه واناب في تلك البلاد ودار بكر ولده الملك الكامل محمد قال وفيه ليلة الاحد العشرين من المحرم توفي الملك العزيز بدار بلقاهرة وكان على عزم الصلبي في ٤٤٠٠ سال الفيموم فخم تلك الليلة عند الاهرام فقبل انه أصبح ورخص خلف صيد فكباه الفرس مرة بعد أخرى فقتله سقطه عت بها على الزمان سقطه فغناقم الله وأقام يومين أو ثلاثة لا يستطيع له مخلوق اعانة ولا عاثة ثم حم حمامه وانزلت فنجحت أبله وقبر في داره لنقل منها إلى دار قراه ثم حوّل منها في أيام الأفضل إلى التربة بقادسية الشافعية وورد كتاب القاضى الفاضل تزييه به الملك العدل (أدام الله سلطان مولا الملك العدل وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره وأعز نصره الاسلام بنصره وفننه الانفس الكرمه وأصغرائه العظام بنعمته فيه العظيمة وأحياها الله حياة طيبة يقف هوشها والاسلام في مواقف الفتح الجسيمة ويتقلب عنها بالامور المسئلة والعواقب السليمة ولا تنص له رجال ولا أعدا ولا أعدمه تنفلا ولدا ولا قصر له ذلا ولدا ولا آمن له تلبلا ولا كيدا ولا كدر له خاطر ولا موردا ولما قدر الله ما قدر في الملك العزيز رجة الله عليه وتحياته مكرهه من اغتصابه وحضور أجه كانت بغيره المصاب عظيمه وطالمة المكر ره إليه فرحم الله ذلك الوجوه منصره ثم السبل إلى الجنة بصره

وإذا نحاسن أوجه بليت * ففعا الثرى عن وجهه الحسن

فأعز زعي الملوك وعلى الاولي ابل على قلب مولا بالاسلبة الله ثوب الزاير عقمصره وانقلابه إلى منجبه وليس له ثوب البلا قبل أن يبيلى ثوب التباب وزفاه إلى التراب وسرره مخوفه بالسلات والارباب وكانت مدة المرض بعد العود من الفيموم أسبوعين وكانت في الساعة السابعة من ليلة الاحد العشرين من المحرم هو الملوك في حال تطهيرها مجموع لهين مرض قلب وحسد ووجع أطراف وغليل كبد وقبح هذا المولى بالعهده بوالده رحمه الله غير بعيد والامم في كل يوم عليه جديد) ووصل قبل هذا إلى الصاد كتاب من الفاضل فيه (وأنا على ما يعطه المولى من العزلة لأنها بلاسكون وفي الزاوية المسنونة لاهل العافية الأتقى على مثل خداتون وكيف يعيش العاقل في الزمان المجنون ونحن على انتظار البق الشامي أن يطر وطحن ذمة الوعده أن تحفر واشتغال سيدنا في هذا الوقت بالدرس والتدريس والتصور والتكيف والتصانيف التي تصرف فيها بالسلافة أحسن التصاريف نعمة تشع شكرها على العلماء ويصنع لائق بها منهم من القهله) قال الصاد ولما توفي الملك العزيز خلف بينه وبينه

في اخير (٢٣٥) الدولتين

من شبه مخيله مداده وقد اختص لديه ونص عليه فاجتمع الامراء الصلاحية وكبرهم ومقدمهم غفر الدين اياز
 سر كس ومنهم أسد الدين سراسنق وزين الدين قراجه وعقدوا الامر لولده ناصر الدين وقتلوا الملك المنصور وأخذوا
 له ايمان الجمهور قال وكانت الاسدية في الايام الغريزية الناصرية مغمورين وبالا سخيلا عليهم مفهوبين
 وكبرهم سيف الدين يازكوج وكان عند وفاته الغريزيات باسوان فلما بلغه ذلك حضر وجمع الاسدية واجتمعوا
 هم والصلاحية ظاهرا للهرة فقال لهم نعم ما رأيتموه من حفظ الغريزي في ولده لكنه صغير السن لا يحتمل تحمل هذا القن
 ولا بد من كبر من أهل البيت يري عيذر الدواوين ويرتب القوانين وماها هنا الملك العادل وهو الآن في بلاد
 الشرق مشغول وهاهنا من هو أقرب منه وهو الملك الافضل فقال الاسدية هذا هو الرأي اراجع ولم يسع الصلاحية
 مخالفتهم فاتفقوا على استدعاء الافضل من صرخدخج منها ليله الاربعاء التاسع والعشرين من صفر وسلك البرية
 فوصل الى القدس يوم الخميس وخرج اليه عسكره وساروا معه الى بيت جبريل ثم أعاد السير فلما قرب منهم في ماسع ربيع
 الأول تلقوه والى أعلى مراتق العارقه وسروا بقدومه وجر المرسومه قال وكان الناصرية تتجأ الى رفاقهم
 بالشام انا أحوحنا الى الوفاق وثنا كيد الميثاق وقد كتب الى نور الدين بالحضور وضبط الامور وهو عندكم في صرخد
 وان وصل اليه انتقم أمره وتهيأ فاجتهدوا في حصره وهو في حصنه ولا تسميها بقل رحته ووصل الى دمشق
 بعض الكتب يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر فخرج عسكره الى صرخد فوصلوا الى بصرى يوم الاربعاء
 فقبل لهم ان الافضل ادخل ليلا واستعجب فحيا وخبلا فرجعوا الى دمشق وقول لماء عبر الافضل بالبيت المقدس
 وجد في طريقه فقبلا سرعا فاستحضره واستكشف بوردته وصدره فقال انا نأجب فخر الدين يازكوج وسعي كتيه
 الى من يأنس به ويحبه فسلم منه الكتب وعاد النجاش في خدمته فلما وصل الى القاهرة احتفل سر كس لهواضاف
 وقدم وغرم أموالا ثم ابصر نجابه واقباليه فأخبره الخبر فاستشعر من ذلك وتصور فخصي وتبعه عسكره من الدين
 قراجه فوصلوا الى القدس وسكابه وعرف الناصرية جلية الحال فاخذوا في الانتقال ونوهم الافضل من الباقين
 فقبضهم وحوى جوهرهم وعرضهم ففرقت الكلمة المجتمعه وتوقفت المهم للمسرعه وأمر الافضل بالخطبة
 لابن الغريزي على جميع المنابر ثم أعادها في الآخر ونشبت السكة أيضا باسم الولد في البلد وغير البلد قال ولما استقر
 الافضل في صرخد على قصد دمشق وحصرها وقالوا له اطلب بذلك الذي منه أخرجت وعن اللقم فيه أزعجت
 وملك في مصر ما يكتفيك ودمشق لك بوصية أبيك وجاءته رسل أخيه الظاهر من حلب وهذا باه وقال له انتبه الفرصة
 فعمنا غامضة قول والى ابنه من ماردن مراده وينضم الى بياض سواده فخرج دمشق عن يده وبجمله اليوم فها
 عن غده وأما أهل اليك وأقدم عليك بالبنود والجنود والاساود والاسود فازالوا به حتى خرج بالعسكر واستناب
 سيف الدين يازكوج مكانه قال ووصل الى الملك العادل الامير سراسنق أحد الامراء الناصرية المفارقين فاستخفه
 على مفارقة ماردن وتواصل من الناصرية جماعة بعهده وعندهم من الاستحثاث ما عنده فحرك القول ويحذر عن
 العسكر واستعجب معه الامير بن عز الدين ابن المقدم ويدلوا في دلدرد وسرى ليلا الخمس بقين من رجب وأوصى ولده
 الكامل ان يسير في مضايقة حصن ماردن بسيرة ويقتدى بغيرته ووصل الى دمشق يوم الاثنين حادي عشر
 شعبان وأخذه فخصن البلد ووصلت العساكر للبرية يوم الخميس وأحاطت بدمشق ودخلها جماعة منهم من باب
 السلامه يفلو الى السوق الكبير وأعلنوا الفتح بالتكبير ولم ينبهم أحد على هذا التدبير فخرجوا من باب الفروايس
 وكررا على أعقابهم ولم يفلحهم من الكرايس واما الافضل فانه وصل الى الميدان الاخضر وصر فيه دهليز
 سرادقه وأقدم رعا واعدوا لورقه فأشار عليه أمر اؤملا تأخرهن تلك المنزلة وكانت منهزله فتولوا عند مسيدان
 الحصا ثم تأخروا الى مسجد القديم وامتلا ذلك الفضاضا برب الخيم ففترت الصدمة الاولى وقصرت الصدعة
 الطولى وخذل الجرف صارمادا واستحالت تلك الامواج المتلاطمة شتادا وزموا منازطهم أكثر من ستة أشهر هنالك
 وقت فلو لم تعدت الاستدراك وامتدت خيامهم من اقصى داريا الى القنوطه وظنوا انهم أخذون بمخنق دمشق
 المعضوطه وكاتب الملك العادل جماعة من أمر العسكر المصري فصار قومه يدخلوا دمشق فاصكرهمهم
 واحترمهم منهم فطرل المهراني ويازال سياسي وابن كهدان ومنقال الحادمان ابن أنت السلطان ابن سعد الدين

مكتب (٢٣٦) الروميين

كشبهه وكثر الواصلون القاطعون من وراءهم وأحسن العادل براءهم فكانت الرضا والطعام وتابعت الرؤس والاتباع ووصل الملك الظاهر ومعه أخوه الظاهر والمزباج، هم الملك المجاهد صاحب حصن وعسكر حامدين سلطتها وحسام الدين بشاره صاحب ناياس وهو شيخ الدولة وكبيرها وأمينها وأميرها وفي حمايته حصنتانين وهونين ومابزال أسرى من كبراء الفرنج يدين الله عندهم هونين فرغمهم في السلام وتوالى السلم والاحوال والحلم وأشار على كل من الجانبين بتجنب المجابهة والتقرب بالمقاربة والمراقبة وجاءهم أيضا سعد الدين مسعود صاحب حشد وأخوه نور الدين مودود قال ولما اجتنبوا عن مضايقة الحصار وأصلوا قطع الأشجار وكسر الأتجار ومنع كل ما يدخل البلد من نعمة وثمن وغنية وغنى حتى رزقوا القوافل وصعدوا الفروض والنوافل قال وكان الناصرية المقيمين بالقدس قد استولوا عليه وطفوا من ارتابوا به حواله وأخرجوا منه الغنائه ورباه وأجناد مال أتابه ومعهم الأمير فارس الدين ميمون صاحب نابلس وعز الدين سامه صاحب كوكب ويسان ثم وصل المغير بن مكرس ومن معه واصولوا إلى دمشق فحصرهم المحاصر بن عسكر إلى طريقهم وكانوا قد وصلوا إلى طبرية وعبروا منها إلى البقاع وتكثرت خواتم تلك الضياع وسيروا إلى بعلبك معاهم من الاتصال والاحال وكان صاحبها المجدد بجانب الملك العادل وقبر دواخيلوا وقطعوا عايلوا وتوقلوا الجبال حتى أشرفوا على دمشق من عقبه دمر وقذفوا العسكر فتقوى عسكر البلد فصار لهم بعض الحصار شغل شاغل قال وعلى الجبله فانه ظهر منهم صنع إلى قطع الماء ومنع الميرة والمضايقة الكبيرة وأحرق السائقين وتخرب الطواحين حتى إذا انحصرت المواد وقتبت في البلد الزيادة واضطر والى التسليم واضطر وعلى التأخير والتقديم قسلا الرعية على الملك العادل وجعلوا على التسليم والاستسلام فتباينت أراء الملوك المحاصرين بإدبره العادل سيف الدين ولا بد لك من الاحتيال إذا صمم الصغار على الاغتيال وليس في ذلك بدعه فان الحرب خدعه فنقدالى الظاهر في الباطن وقال له أنت الساعن وحكك على جميع الاماكن والمواضع وأنا أسلم إليك دمشق على انها تكون لك لا تعزك فقال الظاهر لا خيه الا افضل قلدى في الانعام بدمشق منه المتفضل فقال له هذه لا تخولم اقسام الجالبات لا مقام اذك ان لا تتولاهن انا ولاهاتولة اللائب وان أخذت منادى في التواب وان أعطيتني عنها عوضا مما أعرفك بغير غرض فالك ما يصلح ان تقاضيه بدمشق وأنت لا تدعى لها العشق فتغير هذا رأى الظاهر والله المطلع على الضمائر وقيل أرسل العادل وقال أسلم إليك دمشق وبدمسية أشهر وزمن وتصر فخذوا يميني وكلفوا إلى دى وظن انهم لا يوافقون وفي الحصر يضابقون فلما أجابوه إلى هذا المجلس وقصصوا في الاستضاء بهذا القيس عرف انهم نادى فيهم عا من الحصر قادمون فعاد عن هذا البطل ورزهم إلى سن العادل وقيل كان يكتب إلى الفضل ان الامر انفسل مع الظاهر وانه يعامله معاملة الامراء لا المجاهر فخذل نفسك وابدل معي وحشك بانك وبكتب ايضا الى الظاهر ان الفضل قد صالحتي وعلى الرضى سالحتي وانك تحصل على الصاغنة وستغنى بك المايتاتالى المغاينه وقيل انه كان يكتب في كل يوم أجوبة كتب قوم لي يكتبوه ويحييهم عافيه لم يضا طبوه وشجرت تلك اللطافات في عيبي لم تترك على من يقصد العسكر من المساكين فاذا قشوا عفر على تلك اللطافات فنتعت من كتب اليه ولا على بالافات وعذوا من المخاضرين فصارا كثر العسكر من المتهمين

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة وهم على ذلك والتلفد بهم وكل يأمرهمهم ودهمهم أيضا خبره ووصل الملك الكامل من الشرق وخرج من دمشق جماعة يظفرون انهم من الناصيين وزقدوا اليهم ومنهم فادين ورافحين وأبرقوا وأرعدوا وقالوا هذا يكون قدوم الملك الكامل في الحقل الحافل ومعهم من المال الصامت إلى أبيه العادل فيستظهر بولاه والمال والرجال فلا يقصد عن النهوض إلى القتال والصواب ان تأخر قليلا فحلوا إلى فتح جبل العقبة وبقيت أسواقهم مملوءة واتوا تلك الليلة وهم لكل ما يحتاج اليه عاصدون وعلى ما فرط منهم نادى وقعدوا حتى لما عظم الشرب وكانت تلك الحالة كمره قبل الحرب فاضطر بوا المحل الحميل واضطر والى الراحة الرحيل ووصل الكامل تاسع عشر صفر وقد جمع التركان واستعجب جند الرها وحران ونزل في جوسق أبيه فاستبشر

السلطان برحيلهم وقدم ابنته وقضت خشيته اقامته واقام الكامل حتى توجه اباها الى مصر فخرج معه ايلما ثم عادوا الى قريتهم واثبتوا الى الحارث والرها واستقام به امرها وذلك حادي عشر ربيع الاول واما المحاصرون فانهم اتفقوا من الكسوة الى مرج الصفر وسير المكان الظاهر والمجاهد بعض الاتحال الى بانياس واصحاب بقية الاجال الملك الافضل الى مصر وفتحها وكلاهما سار جريدا الى مقره واستقر بعد ذلك على امر امرأته وكلما رحل القوم عن منزل احرقوا ما لم يظفروا له يجعل وانتقلوا من مرج الصفر الى بلوا على أحد ولم يرجعوا الى بلد وأخذوا في السير والسري وذهبت أسادهم ثموم معاودة الثرى وتبعهم الصلاحية يتولون بعدهم في منازلهم ويحفظونهم في منازلهم وكان القوم يظنوا انهم يقدرين بمرج الصفر على اقامته فلقوا من البرد ما حزنهم على النجاة والسلامة وهذا المرج يقرب جبل النبلج في عز ولا يقيم به الا لابس فروة فكيف في كانوا وقد عرفوا انهم الجانون حيث لم يزلوا القانون وأرسلت الصلاحية الى الملك العادل يستجلبونه ويحشونه ولا يملونه فخرج يوم الخميس تاسع ربيع الاول ووقع امان البلد وسار وتلامم هدمه الى تل الجبول واقام حتى اجتمع اتباعه وأرسل الى الافضل العدل الخبيب ابنا محمود كان صلاح الدين رحمه الله يعتقد في صلاح دينه ويمكنه من خواص حاجته ورسله في مهام الرسائل وكان مذكور في الرسالة ارفق في السير ووافق على الخير فاعتدك اليوم من يصدقك وأمالك كالدول والملك مقصودك وأحالفك ولا أخالفك وأوافقك ولا أنافرك فاشار على الافضل جماعته بان يرجعوا بالرسالة ان مقارنتك بعباعتك للصلاحية منوطه وموافقتي بخالفتهم مشروطه فلما سمع ذلك الصلاحية استشاطوا ونفروا واستدوا به على ان ينفروا ويحذوهم واحتذوهم فطووا المراحل الى السامح وكان الافضل على بلبس وقد تفرق معظم أصحابه الى أخبارهم وجماعته منهم مع العادل في الباطن كاتبه وعلى الايطاء عاتبوه فساووا الجعان بعضهم الى بعض والفقراء فانهكسوا أصحاب الافضل وانهمزوا فدخلوا القاهرة وأغلقوا الابواب للمحاصره وانتهى الى الافضل ان جماعة منهم أرسلوا الى العادل في اصلاح أحوالهم ولفجاح آمالهم فقال سيف الدين يازكوج لا افضل لكل زمان عمل ولكل اوان أسمل فاصح الامر كيف تنها فلاملام على اقيب باي زى تريا فشرع الافضل في اصلاح الامر مع عمه وراسله على ان يكون يحكمه ثم لم الامر ومسا ما وحصل له من الغيرة ما عاده بالعواقب عالما قال وخيم العادل بالبركة واستبدع مصرية امنان الشركه ونفذ لقطعي الى اقطاعهم ونظر للصلاحية في صلاح ضياعهم وأرسل الى الافضل ان وافقتي على ما أعطيتك وقبلت سعدت فهو ولا الذين عندك ما منهم الامن كتب الى ونفرت وانتظر بوى هذا ورتب وهذه اشارة كتبهم فأنطلمها وان لم تصدقني فتناسها واعلم انهم غرتك وضرتك وساؤك بامتراك وقبل لم يبق من الامراء من لم يكتب اليه ولم يخاصم الا أربعة أخلاصهم سيف الدين يازكوج فلما عرف الافضل صدق عمه سلم المشه وسأل المعهله فقرر لا فضل في ديار بكر ما فارقين واعماله لوجيل جور وناجوليين والمعاقل والحصون المحسوبة من مياخزين فرضي بما همكها وخرج الى الشام متوجها ليلة السبت سابع عشر ربيع الاخر في الليلة التي دخل العادل في بكرتها القاهرة فاستقر بدار السالطة وقدم سيف الدين يازكوج وحكمه واستبقى رضى الناصرية باقيا الخطبة لابن العزيز ولم ينافهم مع حصول المعنى له في الفضيل والتخير واقام وهو كل يومى لرتناع وسياحه وقوته في تورياده قال ورد القضاء الى القاضي صدر الدين عبد الملك بن دباس الكردى ولزم رضى القاضي القضاء ببلد يار مصرية من الايام الناصرية وكان نائبه القاضي زين الدين على بن يوسف الدمشقي وتصب الامر المتفعلين على الملك العزيز في مراتبه بصرف صدر الدين وتولية نائبه ولم يزل صدر الدين مصر وفا تارة بمضى الدين ابن ابى عمرو بن تاوريز بن الدين حتى تصب العادل له وبث العزيز على وده فلما انقضت أيام العزيز وجاء الافضل كان أول ما جمل عليه ان صدر الدين يعزل وتولى زين الدين الفضله فلما جاءت فوبه العادل في هذه السنقره صدر الدين الى منصبه ورد التدريس بالمرسة الشافعية في التربة المقدسه وبالمشهد الشريف الحسيني الذي أجرى عليه حكم المدرسة الى شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حويه وكتب اليه وهو بمشقي فاستدعاه وقد كان ذلك ولاده في حاله كالمجزية أمور الناصب الشرعية والاموزا ليينه ومدارس الشافعية وربط الصرفية وهو قاضي قضائها والى مدانتها وهادى ولايتها واه

مكتتاب (٢٣٨) الروميين

في مناصبه تواب وفي مراتبه أصعاب قال ولما دخل العادل القاهرة استنصر أمهات الدواوين مهابة الوزير صفي الدين ابن شكر الظاهر ونزل في الدار السلطانية في الحجرة الفاضلة وتصدق في مكان مكاتبه وشهر من قلمه غضب شهامته وسيف صرامته وقمع التجبرين ووضع التكرين وأخذ قوس الزورق بارها وأجرى الله الامور أحسن مجاريها قال وندب العادل من الاسديّة والصلاحية أميرين كبيرين الى الشام لاصلاح ذات البين بين وجه وحلب وغيرهما وهما سارق وكرجي قال ولما ودع الافضل عمه بالبركة تسار الى مصر خدوا فقام بها وندب الى البلاد التي يديار بكر من تيسلها ولما انفصل عن مصر وجد المواسلين له لصحبه مفارقين وكذا الدنيا ما تقبل على أحد ولا تمده بمدد الا تاروت على حياضها لجوع وتراحم في رياضه التروع فاذا صرف عنه وجوهها صرف أهلها عنه الوجوه وأحبابه فيها مكره المكره قال وأما الظاهر فان عمه أحسن اليه وعدده بعظامه جزيل وودعه بنته جميل وأقطعها أعمال دمشق خزمران ضياع السواد وشق عليه انه لا يجتمع يعبوده وهو من الاجواد موصل الى دمشق رابع جمادى الآخرة وسكن في جو سقى يستأنه بالنير بسلك طريفة الاحتراز والاحتباس واختار البعد عن مقاربه الناس ولزم السكنى ولم يدخل المدينه وطلب من القاضي بجامع التريب خطيبا شافعي ليكون بالصلوة فيه عن حضور الجامع بالبلد غنيا واحتياط غاية الاحتياط وطوى بساط النشاط

(فصل) قال العماد استدعى العادل ابنه الكامل الى مصر ليستنيبه فيها وكان بجران وهو في تلك البلاد نائب السلطان فسلم تلك الولاية الى أخيه الفاتر ووصل الى دمشق سادس عشر شعبان ونزل بموسق أبيه في بيستانه ومعهم خمس الذين المعروف بقصاصي دارا وهو وزيره ومستخذه على المكارم ومشيره قال وخدمته بكلمة أولها

أنتم تحبون بالأعراض تعذيب * وتقصدون بخلق الصنّ تهذيب
ساروا فيا سمعتي من هجتي ارتقى * غابوا فيا سنتي عن مقلتي غيبي
قد كان يهمني دهرى فادركني * محمد بن أبي بكر بن أيوب
الكامل المالك الاملاك حيث له * رق الاعاجم منهم والاعارب
معطر عرفه عرفا ومكرمة * مخزومينه بالطهر والطيب
لا بدى جوده البحر الحضم ولا * يلنى تأنيه في النهم الشناخيب
دعك مصر الى سلطانها فاجب * دعاهما فهو حق غير مكذوب

قال وعزمت على محبته في هذه السفر الى مصر فخرج في الثالث والعشرين من شعبان الى الكسوة وخرج سلطان دمشق الملك المعظم ليودع سلطان مصر أخاه الكامل ومحبته الى رأس الماء مع عذّة من الامراء ثم ودعه وانصرف وتوشّ مزاج الكامل بعده وانصرف ووصل الى العباسية في الحادى والعشرين من رمضان والثقاء والله العادل وأزله بالقهر ثم ركب اليه بعد يومين واستحببه الى الدار ورتب أحواله على الايز وكان قد عهد له على اية عمه الملك الناصر رحمه الله فادخله اليه اليه عليها قال وأصبح العادل يوم الاثنين سابع عشر شوال وركب بالسجى السلطاني والركب الحسروانى والسيف والسلطة والقودا لمحلوله وأمر الخطيبين بجماع مصر والقاهرة بالخطبة له ولولده الكامل من بعد ليس يعددعا بالخليفة الا الله دعاهما واطعتهما الخطبة لابن العزيز وكان أحضر جماعة من الفقهاء والقضاة والكبراء والولاء وقال لهم قول المستفتى المستشير هل تصح ولا يثقل الصغير فقالوا هذا مولى عليه فلا يثقل وغيايات الحوادث بظاره لا تنصايح ولا تنجلى فقال فهل يجوز للولى الكبير ان ينوب عنه الى أن يكبر ويرتب الامور بحكم النيابة ويدير فقالوا انا كانت الولاية غير صحفة فلا تصح النيابة ومن رام صوابا انحطأ به الاصابه لا سيما السلطنة التي هي خلافة الخليفة فلا حق فيه الا للكبير الذي بين على الحقيقة ورى منهم في هذا المعنى الامعان فلا عرف الشرع أحضر الامراء والنس منهم الطائفة والسمع واطعهم في العيين له والميثاق والزمهم في الوفاء والوفاء فابوا واطعهم بمجارعهم وملأ القريب اسمعاهم ثم قال قد علمتم ما هو الواجب من النظار على حفظ ثغور الاسلام وتبديل الممالك بمصر والشام وما هذا أمر ساط بالعبيدان أو يحاط بغير

في اخبار (٢٣٩) الدولتين

ذي القدر والسلطان فازعنوا وأطاعوا وحصل الائتلاف ورفع الخلاف قال ولما أصبحنا يوم السبت شاهدنا الملك الكامل قدركب مثل والده معقودا بسجقه بمعاقله والمتاصل بمجذوبه والصواهل بمجنوبه والاعين ناظره والالسن ذاكره ومشي في ركابه من اليه متعجب والى السلطان تقترب قال بوركب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال الى برج المقسم والمقسم موضع على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يترك به الاربار وهو المكان الذي قعمت فيه الغنية عند استيلاء العصاة رضي الله عنهم على مصر ولما أمر صلاح الدين رحمه الله بإدارة السور على مصر والقاهرة وتولاهما الأمير قراقوش جعل نهايته التي تلى القاهرة عند المقسم وبني فيه برجاً هو مشرف على النيل ذو شرفات ومعقل وذو طبقات وثيق البناء رفيع الفناء وبني مسجداً جامعاً وانصلت العمارة منه الى البلد متتابعة المدد وهو منتره عن الاككدار والاقذار منتره والجنات مشبهه والى العرواء البر بمنظرة الشيايبك موجه فاختار الكامل أن يجلس فيه يوماً للتفرج فجلس في الطبقة العليا واجتمع الامراء والاعيان في الطبقة الدنيا ثم مد السعاط في الجامع ثم ذكر العمادانه مدحه ثم كلمة أوّله

مفرم القلب مدنف * وجده ليس بوصف * وعدونا واخلفوا * ووقينا ولم يفوا

قال وفي الحادي والعشرين من شوال قدم فلاح الدين أخو العادل من دمشق قلت هو أخوه لاه واسمه أبو منصور سليمان ابن شرويه بن جلندك واليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي باب القرايس بدمشق وبها قبره قال العادل وفي هذا اليوم خطب للعادل وابنه الكامل والعادل في مهاء يستشيره ويستدعيه والمراء كثير بأخيه ثم عاد الى دمشق بعشرون قال وفي العشرين من الشهر خرج حاج مصر الى البركة وأمر عليهم نصير الدين الحضرمي بن بهرام وكان والى المحلة وهو مستر الولاية من الايام الصلاحية وجميعه من معروف الاجناد وأمر انهاء عذرة وكذلك حج في هذه السنة حاج دمشق وبهم الامير عز الدين سامه وكانت السنة بباركه والتم مشدركه والخير عام والمحبب تام قال وانتظرنا زيارته بجزر النيل في أوقاتها فبلغ الى احدى وعشرين أصبعاً من ثلاث عشرة ذراعاً فعاد بذلك ككل قلب من ناعاً ثم أخذ في النقص وهو من جواز زياده مأمول الوفاء على العادة فقطت الناس وقع الياس واشتد المحل وغلا السعر وفسد الفلاحين من الفلاح واجفوا من البلاد لا تراح وطار واباحجة النجاة في طلب النجاة وقيل ان هذا النقص لم يعهد من عهد العصاة وشرعنا في الاستغفار والانا به وصام الناس ثلاثة أيام قبل يوم الترويه وكأنا أصابهم مصيبة فهم في التعزير ثم استسقوا ثلاثة أيام الى العيد وأفاض الخطيب في ذكر الوعيد وغصت بالخلائق الامكنه ونهبت بالادعية والضرعات الالسنه قال وفي السنة التي قبلها وهي سنة خمس وتسعين استدعى القاضي ضياء الدين أبو الفضائل المقسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الى بغداد وولى قضاء القضاة وكان متولى القضاء بموصل فخرج في أوخر شعبان فلما وصل بغداد بجل وعظم وكان قدر تدالي بغداد فعات في الايام الصلاحية بسبب الرسالة فهو كان المعين لها كما تقدم ذكره

(فصل) في وفاة جماعة من الاعيان في هذه السنة أعني سنة وتسعين قال العماد وفيها ثالث عشر جمادى الاولى توفي في داره بدمشق الامير صارم الدين قايماز النجمي وكان متولى أسباب صلاح الدين رحمه الله في منجيه ميوتيه بعمل عمل أسنان الدار وانا فخرج بلداً عليه واستأنه عليه فيكون أول من اقتض عذرتيه وشام ديمته وحصل له من بلاد أمد عند فقحه ومن ديار مصر عند موت عاضدها أموال عظيمة ونهض في يوم واحد بسبعة آلاف دينار مصرية عنياً وأظهر انه قضى من حقوق الله في ذمته ديناً وهو البصر معروف والحرر موصوف يجب اقتناؤه المفاخر ببناء الربط والقناطر ومن جملتها رباط خسفين ورباط نوى وله مدرسة بمجاورة داره لما كني الله دمشق المحصر نهض وراء العادل الى مصر فردد الى دمشق ليس لازم خدمة الملك ولا المعظم ويكون من أقوى عدده وأوفى عدده وكان في خلقه زعارة وكانت حصافته مستعاره قال ولما دفن نبشت أمواله وقسنت رحاله وحضر أمناه القاضي وخمئة والواي واخر جواً خبايا الزوايا وبموط النقود وخطوط النساء وغيره ورسم المنزل ومعاله واستنيطوا دنائهم وداراهم وحرقوا أما كن في الدار وركبة الجمام في الجولر فحملوا أوقاراً من النضار وظهروا على الكنوز الخفية والفاش الاقيه قليل زادت على مائة ألف دينار وهو قليل في جنب ما حوز به من كذا وكذا انتظار

واستقل ما طواه الحزن وأخفاه الدفن وقيل كان يكثر في محاري ضياعه ومعارات اقتضاه ثلث وأتمهم بعده جماعة فإن له عندهم ودائع وتاذى بذلك إلى أن مات منهم والناقم وداره بمسقط هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل دار الحديث في سنة ثلاثين وستمائة وأخرب الحجام الذي كان محاربا والها وادخله في ربهها وذلك في جولة تلمذ دمشق بينهم الخندق والطريق ونم مدرسته المعروفة بالقياريه قال العادوقي جادى الآخر من هذه السنة توفي يعنى بمصر الحاجب لؤلؤ وكان في أيام صلاحية أنجع الشجعان وأفرس الفرسان وله مقامات في الغزاه ومواقف مع العدا وهوالذى نهض وراءه أكابر الفخ على الزادضة في بحراية إلى الرخاز وأتى في كسرهم وأسروهم بالانحجاب والانحياز وكانوا قطعوا الطريق في بحر عذاب على التجار وحصلت أموالهم تحت الاستيلاء بعد حصولهم تحت الأسار فأخذوا مستنقذ وما نزل حتى أخذ وساق إلى القاهرة وأولئك الكفار مقهورين واعتقلهم بهما - وروى قلت وفيه يقول الرضى بن أبي حصينة المصرى يخاطب الفرج
عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * ولقد رى البحر لا يخشى من الغير
فأمر حسانك أن يحظى بغيرهم * فالدرم كان منسوب إلى النحر

وقد قيل فيه أشعار كثيرة تقدم بعضها في أخبار سنة ثمان وسبعين قال العمادون دلائل سماحه ما شهدته بالقاهرة في سنة إحدى وتسعين من مبراته القاهرة أنه لما حط القمطر رحله وصل المحل عمله وتم الغلا وعم البلا ابتكر هذا الحجاب الكبير مكرم لم يبق إليها وذلك أنه كان يميز كل ليلة ثمانى عشر ألف رغبة فإذا أصبح جلس على باب الموضوع الذى فيه عشر ألف رقة ثم يشق من الباب مقدار ما يميز منه واحد بعد واحد ويصل أنه غير عائد فيتناول كل منهم قرصه ويرى ذلك من خيراتة قرصه فأمر بالقاعد حتى يفرق الألوف على الألوف وكان هذا أبه في هذا الغلاء حتى هب رضاء الرخاء حيث تدرت صدفاته واستغرقت بالصلوات أوقاته وكان بهى السيب نقي الحبيب قد جعل الله البركة في عمره وخصه مدحياته بأمر أرمه فأجبد في أولان ضففة بضعف برة والملك أنه من الأولياء الأبدال والهادين الصالحى الأعمال قال وفي يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة وأنا بالدار المصرية توفي الفقيه الكبير شهاب الدين الطوسى وهو أكبر الأئمة الشافعية ورئيسها واليه قتيابها وتدريسها وهومن أصحاب محمد بن يحيى وكما وجه الملوك بالحق المبر وأنكر عليهم ما ينكرونه من العرف ويعرفونه من النكر ولما وصل إلى مصر كان تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب تولى ما فاجبه سمع المذكور فولا مدرسته بمصر وهي المعروفة بمنازل الزهولها وأقام فيها مقبدا حتى فاز في جنة النعيم بفوزه ونلت منازل العزم من منازل عزه وأصبح الناس حول سره من دجيجين وعليه متوجين فوصلوا به إلى القاهرة معان إلى حقاوالة وهناك الأصغر والأكابر من الملوك والأمراء مشاه وجنازته بما فيه من لباس التقوى معشاه ولما تقضوا أيديهم من تراه انفضوا من أبيادى بركتهم متبرين وبنار الهل والتاب عليه مضطرمين ونفى الخبر إلى ما هو عرف بن تقي الدين فوفى قاضى دمشق يحيى الدين بن الزكي بمصر ووفى أبيه وسيرتائه تسلم ذلك وتوايه وكان اتفق حضوره عنده في إرساله فاهتدى برشده إلى الضلالة فالوفى العشرين من جادى الآخر توفي الفقيه العالم بالدين بن عسكر رئيس الحنفية بدمشق قلت وقيل كانت وفاته في تلمع عشر جادى الأولى ويعرف بابن القادة قال وفي سابع عشر شعبان توفي بحلب الفقيه الكبير تلميذ الدين عبد السلام الفارمى وكان أبرع فقيهه وأفقهه بارع ورور إلى اصفهان سنة تسع وأربعين ولحق بها العلماء المبرزين وخالد صدور هابى الجندى وكان تقه بكمكان وقرأ على فخر الدين الرازى من أكبر كلامه محمد بن يحيى وتفضل في بلاد العراق ولسان ولقيته بمصر سنة اثنتين وسبعين في العهد الصالحى وسامه السلطان المقام بها ليقض إليه التدريس فبه الشافعى رضى الله عنه فغير بواسر وعاد إلى البلاد ثم وفد إلى دمشق في جادى الأولى سنة خمس وتسعين ثم سار إلى حلب في ثمانى شعبان فكان من وفاته بهما كان قال وفي هذا السنة توفي شيخنا الفقيه الكبير يحيى الدين ابن يحيى الدين محمد بن يحيى وفيها توفي صاحب آمد قطب الدين سكران ابن نور الدين قرا أرسلان وفيه ليلات بدمشق في العشر الاوسط من شعبان المهام العبدى الشاعر البغدادى وهو أبو الحسن على بن نصر بن عقيل بن أحمد بن على بن عبد القيس بن ربيعة

في أخير (٢٤١) الدولتين

وقدم دمشق سنة خمس وتسعين وهو أشهر من رايته في هذا الزمان وسمعه يشهد الملك العادل ودمشق محصوره كلمة شاعره ومصدقها سمعت حسن وقصاحة وحصافة ولسن ومعدنيون شعره بجوى قلندر موفرا لندسره وتوفروا على مدح الابد صاحب بطيك ومن شعره

وما للناس الا كامل الخطا نقص * وآخر منهم ناقص الحظ كامل

وانى ناستر من حياء وعفة * وان لم يكن عتدى من المال طائل

قال وتوفى في هذه السنة قبل الفاضل بثلاثة أيام الا تير بنان وكان شهيدا في الدولتين بكل قبول واحترام واحسان وكان السلطان لما تصرف في القصر ولا يبيع موجوده وجل في نصرته غاية مجهوده وما فرغ من شغله أبقاه على رسم انعامه كله واستمر امراره واستقر قراره وجلس في بيته يسمع عليه روايات العالمة حتى أدرك أيام الملك العزيز ولم يدرك في العز املا ولم يملك علا حتى تغير خلقه وتقل رزقه وتبطل حقه وآل أمره الى اعتقاله بالديون واحتياسه في الزهون ومن غاظه وزير العزيز وكان مؤذبه في الصغر واستوزره في الكبر واسمها كرهه وقال له ما أحسن ما أدبت بخدومك وخرجته وعلى مراتب اخلاقك درجته وقال للفاضل أنا خلتك في أيام شاور مرتين ودافعت عنك دفعتين وهذه تصانك في مدعى ومقاصدك الخفى وكان يعرف لتقدم عهدده وانتقاله في الحالات مبادئ أبواب المناصب الى الغايات فكراهه النوايب وحضوه ولما مرض النوايب عزضوه وكان بانها ماهر تجارى وباب دار عمقيل باب دارى وأنا أعينه في أيام اصلاحه باصلاحه واصونه بأرغمه

(فصل) في وفاة القاضي الفاضل رحمه الله قال العماد في هذه السنة تمت الرزية الكبرى والبالية العظمى وبيعة أهل الفضل بالدين والدنيا وذلك بانتقال القاضي الفاضل من دار الفنا الى دار البقاء في داره بالقاهرة سادس ربيع الآخر يوم الثلاثاء وكان يعني ذلك اليوم بمعاى الافضل يوم الكسرة ومصاب الفضل يوم الحفرة وذكر انه ليلة الثلاثاء في مدرسته صلى العشاء وجلس مع الفقيه ابن سلامة مدرسا وتحدث معه ما شاء وشوهد من كل ليلته أبش وأبسم وأهش وقد طابت المحاضرة وطالت المحاضرة وانفصل الى منزله فصحب البدن فسمع اللسن وقال لقلمه رتب حوائج الجام وعرفنى حين أقضى معنى المنام فوافاه صهر الاعلام فما كثر بصوت الغلام ولم يدركان كلها الجام حتى من الكلام وان توفقه بطهارته من الكورث أغناه عن الجام فبادر اليه بوله فالفاه وهو ساكت باحت عرف ان القدر له باغت فليث يومه لا يسمع له الا أن يثنى خفى علم منه انه يسمع الله وفي ثم قضى سعيدا ومعنى شهيدا جيدا فوفاه الله تعالى الوصية فكانت له بسيد الاولين والآخرين اسوه وان تزدى عن رده العرف له من حلل البقاء على عين كسوه ولانه لم يبق في مدته حياته علاصا لجال الاوقمة ولا عهدا في المنة الا انكبه ولا عقدا في البر الا برمه فان صنائعه في الرقاب وأوقاهه على سبل الخيرات متجاوزة عن الخراب لاسميا وأوقاهه لشكلا أسرى المسلمين الى يوم الحساب وأعان طلبه الناشئة بمالكية عند دله بالدرسة والايام بالكتاب والخبرات الدار على الايام فكانت حياة ثانية الى يوم البعث وأعادة حياة الانام وكان رحمه الله له حقوق فاضيا وفي الحقائق فاضيا سلطانه مطاع والسلطان له مطمع وفضله جامع وتعمل الفضل به جميع وهو واحد الزمان وصاحب القران قد خصه الله بالمكانة والامكان والسلطان رحمه الله من مفتحات قوسه ومختتماتها ومبادئ أمور دله وغاياتها ما افتتح الاقاليم الابواب ليدارها وآرائه ومقاليد غناه وغناؤه وكنت من حسنة محسوبا والى مناسب الاية تنسوبا أعرف صناعته ويعرف صناعته وأعارض بضاعته النجينة ببراءة بضاعته ولم يلج بجذب بعضي وجلبت نفعي وما أوسع درعه للخطاب في شغلي اذا ضاق بالخطب الشاغل ذري وكانت كاتبة كتاب النصر وبراعتها رافة الدهر وبراعتها راية كبرى وبعبارة نافذة في عقد السهر وكانت بلاغته لدولة مجله وللملكة ملكه ولعصر الصلاحى على سائر الاعصار فضله ومفتحاته في الفتوحات اليدومة بديعه ومختمراته في الصنائع المختصرة منيحه وانما نسجت على منواله ومزجت من جرماله وروبت برلاله وهو الذى

مكتوب (٢٤٢) الروشتين

نعم أساليب التقدم بما أقدمه من الأساليب وأغريه من الإبداع وأبدعه من التقريب وما ألقينه كرد عاكره في مكتبته ولا رد قلنا في مخالفته بل تأتي قصوره مبتكرة مبتدعة لمبتكرة بالعرف والعرفان معرفة لا تتركه وكانت الدولة تادته ذال والرهيز لانه تزال والكرام في ظله يقبلون ومن هثران الثواب بفضل يستقبلون ويعزى جهته يعززون ولمر عطف عطفه يهتزون فاني من الوفاة بعده ومن الأخادد وفيه السيادة ومن السعادة والهدنة الذي له القريب والتهادة واتاقه واما الدير اجعون ولا امر متقادون وقد وصفه العباد أيضا في كتاب الخريد في القسم الرابع في ذكر محاسن فضلا مصر واما لها فقال وقيل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحسنها ومزايا فضلا لم يزلها اقنم ذكر من جميع أفاضل الدهر واما تل العصر كالمطرفة في تل مصره بل كالمزني في أنوار غيره وهو الولد القاصي الاجل للفاضل الاسعد أبو علي عبد الرحمن بن القاضي الاشراف أبي المجد علي بن الحسن بن البيسان صاحب القربان القديم الاقران وواحد الزمان العظيم الشأن رب القلم والبيان واللسان والامان والفرجة الوفاة والبصيرة النفاة واللبية المجترة والبدعية المطرزة والفضل التي ماسمع له مما في الأوائل من لوعاش في زمانه لتعلق بشره أخرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نعت الشرائع ورسمت بها الصنائع يمتدح الافكار وندفع الافكار ويطلع الانوار ويبدع الازهار وهو ضابط الملك بارائه وروابط السلك بالآله ان شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة مألودين لكان لاهل الصناعت خيرة بضاعه أين فس في مقام حداثته ومن حاتم وعروفي سماحته وحسنه فضله بالافضل حال ونجم قوله في أفق الاقبال عال لامن في فعله ولا ميسر في قوله ولا خلف في وعده ولا بطل في وعده الصادق الشيم السابق بالكرم ذوالوفاة والمروة والصفا والفتوة والتقى والصلاح والندى والسماح منشرفات العلم وناسر راياته وجلي غيايات الفضل وتالي آياته وهو من أولياء الله الذين خصه وابكر امته وأخلصوا لولايته قد وفقه الله لتسركه وفضل هذا العصر على الاعصار السالفة بفضلها وبه فهو مع ما يتولا من اشغال الملكة المشاغل ومهامها المسترفة في العاجلة لا يغفل عن الآجلة ولا يفتقر عن المواظبة على زواجل صلاته وفواضل صلاته وحفظ أوردته ووظائفه وبيت أصفاده وعوارفه ويحتمل كل يوم من القرآن المجيد ويضيف اليها ما شاء الله من التردد وانا أوران أفرده لنظمه ونثره كتابا فاني أثار من ذكر مع الذين هم كالشمس في ذلك شمسون كانه وكالتري عند شراعه لم يذ كانه فانما تبدوا النجوم اذ لم تبرز الشمس حاجبا وتجب نور القز التي عند شراقتها كواكبها وانه لا يؤثر أيضا اثبات ذلك فانما يمثل لامره المطاع ملقزم لقانون الانبعاث واضع أدنى لادنه قابض عيني على عينه واهكك بعلي العركنه فاطن برحاني في ظل امنه افترض رضاه ولا اعترض على ما يحكم به وراه ولا أقوم الاحيث يقتضي ولا أسوم الا ما يوسني ولا أعرف يد المكتنى غير يده ولا أنصدى الا لما جطني بصدده وأسأل الله التوفيق لثبات على هذا السن وابتهاج جسده وهو أحق مدوح بمدحى واقضاهم بحقه وأسلمهم في آفته واولاهم بصدته وأهداهم الى طرقة ولي فيه مناخ منظومة ومشورة ومقاصد معاهدا معجزة وقصائد غلاذها على مجده موفوره ثم ذكر منها بعض ما تقدم ذكره في مواضع من هذا الكتاب وله فيمن قصيدة أولها

بجياتكم ما عندكم بعدي * فؤاد الاسي ما بعدكم عندى
ما لا حجة لا عندتم * رغبوا عن الاسعد في الزهد
ان لم يغوا فاقه وفي كراما * عبد الرحمن بن محمد
ذو الرتبة الثناء والشرف السعالي السنا والسود العبد
الناس كلهم له تبع * في فضله والزهو كالعبد
كم غاص بحر زمانه قدنا * ذو البيان يساق في السعد
ان سؤ البجانيه منس * ثوب الليالي كحل مسود
قلنا أقاليم البلايه * وتورها العنط والسعد

في اختيار (٢٤٣) الدولتين

ملك كتيسته كتابته • فرد بجيش النصر في جند
الاسمر الخطى تابعه • في حكمة والايض الهندى
والنائبات مجده ايدا • مثومة مغولة الحسد

وهي طويلة ثم قال ولواوردت من كلامه طرفا الظهر يحز الافاضل واعترفت بالقصور وذو الفضائل فلا يحسن ذكر
البحر في الجداول والاعرش في المنازل فانا اؤثر ان افرد به قسم لا يستريح بسواه ولا يتبرج به من في جلته
لوردناه وله باذن في ذلك فلا قيل اليه الا باذنه ولا تفاذل تصرف الا بعد الفكاك من رهنه تلت وقد قالت
الشعراء فيه فاكثروا وقد تقدم لاى الحسن بن الذررى فيه أبيات حصة عامي حجه والتاج ابي الفتح البلطى فيه

لله عبيد رحيم • بدعى بعبد الرحيم
على صراط سوى • من الهدى مستقيم
ينقى الى شرف في • ذرى المعالي صميم
مهدب حاز ما شئت من تقى وعلوم
نسل ابن مريم عيسى • وهدى موسى الكلم
برى التجدد انسا • في جنح ليل بيم
مسهد الطرف يتلو • أى القرآن العظم

وللقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك فيه من قصيده

عبد الرحيم على البرية زجة • امتت بصحبها حلول عقابها
يلسا ثلث اعنه وعن اسبابه • نال السعاه فسله عن اسبابها
والدهر يعلم ان فيصل خطبه • بخطى راعته وفصل خطابها
ولقد علت رتب الاجل على الورى • بسمو نصيبها وطيب نصابها
واتم مخاطبة اليه وزارة • واطالما اعيت على خطابها
ما قبضوه بها لان بعلمها • اسماء اغنته عن القابها
مال الزمان افسره انزامها • تربت عيىك لست من اترابها
اذهب طريقك لست من آرابها • وارجع وراءك لست من أربابها
وبعز سيدنا وسيد غسيرنا • ذلت من الايام شمس صعابها
واتت سعادته الى ابوابه • لا كالذى يسقى الى ابوابها
تفتوا الملوك لوجهه بوجوهها • لا بيل تساق لبابه بربابها
شغل الملوك بما يقول ونفسه • مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصلوات اتعب نفسه • وضمان راحته على اتعابها
وتجهل الاصلاح عن لذاته • ثقة بحسن ما لها وما بها
ظن فقر الدنيا بسائس ملكها • منه ودلرس علمها وكلمها
صوامها قوامها علامها • عمالها بذالها وهابها

وله فيه ايضا من أخرى

وسألت من أى للعادن ثغرها • فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
ابصرت جوهر ثغرها وكلامه • فعلت حقا ان هذا من هنا
ذاك الكلام من الكمال بمنزل • لا يدرك الساعى اليه سوى الغنا
يدو من الافهام الا انه • تلقاه ابعد ما يمكن اذا دنا

مكتاب (٢٤٤) الروستين

قلت كان والد تولى القضاء بصفلان واتخذ ولده الفاضل الى مصر فاتفصل بكتاب الدولة المصرية ابى الفتح ابن قادوس وغيره ورجع الله عليه في سنة الصناعة فهاى فيها أهل عصره مضافا الى ما صنع الله تعالى من علوقه وقدره وقدرته من تروسلاته ما شهد لعظيم أمره وقرأت من نظمته

وسيف عتيق لاله لافان يزل * رأيت ابا بكر قتل وعتيق
فزر بابه وهو الطريق الى الندى * ودع كل بابا اليه طريق

وله ايضا

سبقتكم باداء الجليل تكوما * وما مثلكم فحين تحدث أو حكي
وقد كان ظني ان اسابقكم به * ولكن بكت قلبي فيهم الى البكا

ودفن رحمه الله بمقبرته بالقراقة وقرأت في تاريخ ابى على حسن بن محمد بن اسماعيل القليوبى الذى ذيله على تاريخ ابى القاسم السمئاني قال حدثني الملك الحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين ان يوم موت الفاضل اتفق دخول الملك العادل الى مصر وأخذها من ابن أخيه الأفضل قال دخل العادل من باب وخرجنا نصر على الجنازة من باب آخر قال وأكثر أهل مصر يدكرون ان كتبته التي جمعها مقدار مائة الف مجلد وكان يجمعها من سائر البلاد قال وسجعت فاضى القضاء ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزورى بغدادا أيام ولايته يحدث ان القاضي الفاضل لما سمع ان العادل أخذ الديار المصرية دعا على نفسه بالموت خشية ان يستدعيه وزيره صفى الدين بن شكر الكليه او يجبر في حقها ما لا يوافقها وكان بينهما مقارصا فصاح صريحا وكذبت له معاملته حسنة مع الله تعالى وصلاته بالليل كاذرا وعنه رحمه الله قلت واخبرني القاضي الشهيد ضياء الدين بن ابى الخجاج صاحب ديوان الجيش رحمه الله ان القاضي الفاضل بعد صلاح الدين لم يخدم أحد من اولاده وكانت الدولة يأسرها تاتى الى خدمته الى ان توفي قال ولما قدم العادل مصر وملاها بآيات واسمى بفرار قبر الشافعى رضى الله عنه وجاء الى قبر الفاضل فزاره قال ابن ابى الخجاج وانا حاضر ذلك

ثم دخلت سنة سبع وتسعين * قال التمام في تاريخ الامير عز الدين ابراهيم بن شمس الدين بن محمد بن المقدم فى حصن افاميه وقيم اوقى سنة ثمان قبلها توفي السلطان خوارزم شاه بن تكش بن ايل ارسلان بن انشز بن محمد وهو الذى زالت دولة السلجوقية بملكه واجتمع لهم خوارزم شاه خراسان والعراق ولما مات قام ولده علاء الدين مقامه قال وفيها كتب السلطان العادل لالامير خضر الدين بايز شركس باعمال تبينيه وهوتين وبانياس والحولة وما يجرى معها وكانت مع الامير حسام الدين بشاره فحاصره وانجده الملك المعظم عيسى بن السلطان من دمشق فسلم البلاد وخرج قال وفيها توفي الامير بهاء الدين قراقوش وهو من القديماء الكرماء وشيوخ الدولة الكبرياء امير الاسديه ومقدمها وكرماها ومكرمها ولم ير غيرهم خصام تقاومه الفحول ولم يؤثر في محال ما أثره المحول وله في الغزوات والفحوات مواقف معروفة ومقامات موصوفة وهو الذى احتاط على القصر حين استتب على متوليه ما أسباب النصر وذلك قبل موت العاضد بعدة ولما خطب ليني العباس بالديار المصرية تسلم القصر بما فيه واستظهر على آقارب العاضد وبنيه وتولى عمارة الاسوار المحيطة بمصر والقاهرة وبنى فيها بالجانب الظاهر وكان معاذ الانجاء وملاذ الانجاء غير انه نسب الى الخجاج لشدة ثباته وفروط جوده ولا يكاد يهجم لصلاية عوده ولما تولى تسلم العادل داره بما حوونه من الذخائر وصارت اقطاعاته لملك الكامل قال وفيها نقل الى العادل عن غلام الامير ابيك الفطيس ان جماعة قد عزوا على الفتنك بالعادل حال ركوبه وأسند اصل ذلك الى الملك بن المعز اسحق والمؤيد معمود وادى صلاح الدين رحمه الله حاضر القلام وعصره فان لم يقر واعتقل المعز والمؤيد ونزع من اثمهم في ذلك من الامراء الصلاحية وكلم الناس بالحديث في هذا القضية قال وفي هذه سنة ثمان الفلا واستدبلا وتحققت الجماعة وهك القوى فكيف الضعيف ونهك السمين فكيف الضعيف وخرج الناس حذوا الموت من الدار وتفرق فرق بمصر في الامصار ورأيت الارامل على تلك الرمال والجاليل باركن تحت الاحمال وراكب الفرج على ساحل البحر على القمم تسترق الجياح بالقمم قتل من الى الشام خلص الايمان قتل عداه له وقص قتل من زان تلك الكثرة بعدمه وتولى العادل

في أخبار (٢٤٥) الدولتين

الكاتب رحمه الله مصنف هذا الكتاب الفخيم والبرق وهذه الرسائل الثلاث التي والله تعاليها ولحظتها في أول شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ودفن بمقابر الصوفية بالشرف القبلي وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ وغيرهم رحمه الله وتوفي الملك الأفضل بمصر في سنة اثنين وعشرين وستمائة ورجل إلى حلب ودفن بها وتوفي الملك الظاهر بطنط في سنة ثلاث وعشرين وستمائة وفيها توفي بدمشق الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ودفن بالجبل وغيرهم رحمه الله وتوفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب بدمشق في سنة خمس عشرة وستمائة وابنه المعظم في أوخر سنة أربع وعشرين وستمائة وأخوه الأشرف والكامل في سنة خمس وثلاثين وستمائة رحمه الله ووفق من يق من أهل دينهم وأصلح ذات بينهم آمين ثم الجزء الثاني من الروضتين ونجمته تم جمع الكتاب والمجلد في صلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسناته وتم الوكيل واقف الفراغ من نسخة في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين وستمائة والف غفر الله لكاتبه وقارؤه ولن رأى عيباً وأصلحه والسليم والمسلم والمؤمنين والمؤمنات والذين آمنوا ولن يقول آمين

قال الفقير إلى مولا المعيد المبدى المدعو إلى السعد أقنذى المترجم بقلم الترجمة بدويان ٤٠٠ يوم المدارس المصرية والقائم بولاية قنطرة بحقيقة وادى النيل المصري تم بحمد الله طبع هذا الأثر الجليل والسفر المجد الجليل بمطبعة وادى النيل المملوكة له الكائنة الآن في داره بمطبعة درب الشيخ بشارع باب الشعرية من الحاضرة القاهرة وقد كان هذا الكتاب طيلاً من تحريف التساخ عافيا فباعنا طبعه سبحانه وأحييناه وكان زعمان تصحيح الكتاب وأهيا في قدره الله جل شأنه رفعا لمناره وأعطناه وكان جدار يريد أن يتقضى مرور الزمن فيتوفى الله الحسن أثناه رجاء أحياء الشعائر الإسلامية وإقامتها آثار التاريخية العلمية عسى أن يطلع على أحوال من ذكر فيه بعض من يوقه الله للإطلاع عليه من أرباب الجاه والسطوة فيكون له فيه ان شاء الله تعالى أجل عبدة وأحسن أسوة وكان ختام طبعه وتمام تجميع نفعه من نسخة أصل باليد فريدة ظفرنا بها في الكتبخانة المصرية الخديوية في أوخر شهر رجب القدر سنة ١٢٨٨ م في الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية والسلام ولا عتاب إذا كن قدفات علينا بعض غلط في تصحيح هذا الكتاب فان سير الطبع لا يعمل المهل والعمل صعب والنقد سهل وهل سلم كتاب مطبوع من فهرست خطأ وصواب وآخذ عواما من فضل الانتخاب وغاية رجاءنا من محبة الاحباب وان تجد عينا أفضل للجلال * بقل من لا عيب فيه وعلا

(ترجمة المؤلف)

وهذه هي ترجمة مؤلف الكتاب المسمى بالروضتين في أخبار الدولتين
وجدت على نسخة الأصل متعولة من كتاب فوائد الوفيات لابن شاكر فأوردناه هنا أحياء لذكر
صاحب التصنيف وتعرف القيمة هذا التأليف الشريف

وهو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان الإمام العلامة ذوالفقون شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل
الدمشقي الشافعي الفقيه المقرئ النحوي ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق وكانت وفاته سنة خمس وستين
وسمائه ودفن بمقابر باب كيسان قرأ القرآن العظيم وله دون العشر وجمع القراءات كلها سنة ست عشرة على
الشيخ علم الدين السعادي وجمع بالاسكندرية من السج أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز وغيره وحصل له سنة
تسع وثلاثين عناية بالحديث وسمع أولاده وقرأ نفسه وكتب الكثير من العلوم وأغنى الفقه ودرس
وأفتى ورع في العريسة وصنف شرحا في الشاطبية واختصر تاريخ دمشق مرتين الأولى في عشر مجلدات
والثاني في عشر وشرح القصائد النبوية للسعادي في مجلد له كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية وكتاب الذيل على كتاب شرح الحديث المقتنى في مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم وكتاب
ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري والمحقق في علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول وكتاب البسملة الأكب
في مجلد وكتاب البسملة الأصغر وكتاب الباعث على انكار البدع والحوادث وكتاب السواك وكشف حال
بن عبيد والأصول في الأصول ومقررات التروا ومقدمة نحو ونظم المغاصل للزخشرى وشيوخ البيهقي وغير
ذلك وذكر أنه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة وولى مشيخة الإقراء بقرية الأشرية ومنشأة دار
الحديث الأشرية وكان متواضعا مطرحا لكلف أخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين الكفري والشهاب أجد
اللبنان وزين الدين أبو بكر بن يوسف المري وجماعة وقرأ عليه الشاطبية الشيخ شرف الدين الفراري
الخطيب ودخل عليه أنشجان جليلان إلى بيته الذي مات المرحور في طواحين الأشنان ومعهم فتوى فخر بابه ضرابا
ميرحاضا كاد يتلف منه ولم يدبره أحد ولا أعانته وتوفي رحمه الله في ناسع عشر رمضان ودفن باب الأفراد بس وقيل
باب كيسان قال رحمه الله تعالى جرت لي محنة بداري بطواحين الأشنان فالهم الله العصبه وطف ونبيل لي
اجتمع بولانا لا امر فقلت أنا قد قوضت أمري إلى الله تعالى وهو كفيتهنا وظفت في ذلك شعرا

قلت لمن قال أمانتكم * ما قدر جرى فهو عظيم جليل
يقض الله لنا عاجلا * من يأخذ الحق وبشي الغليل
إذا توكلنا عليه كفي * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن نظم في السجعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل الا ظله قوله شعر

إمام محب ناشئ متصدق * وبالكفصل خاتم سماء الباس
بظلمهم الله الجليل بظلمه * إذا كان يوم العرض لا ظل للباس
أشرت بألفاظ تدل عليهم * فذكرهم بالنظم في بعضهم قاسي
وقال في المعنى أيضا

وقال النبي المصطفى إن سبعة * يظلمهم الله العظيم بظلمه
محب عفيف ناشئ متصدق * وبالكفصل والإمام بعده
(اه من كتاب فوائد الوفيات لابن شاكر)

(فهرست)

مالايدمن التنبیه به من الخطا والصواب فی الجزء الثانی من هذا الكتاب

صفحه	سطر	خطا	صواب
۲	۱۲	لثقیل	الثقیل
۹	۷	بطشه	یبطه
۹	۲۴	قلج	قلج ارسلان (وهكذا)
۱۷	۱۹	فلاد	بلاد
۲۰	۵۵	المجبرین	المجبرین
۲۲	۳۶	أوعذا	أوعزا
۴۰	۳۳	نقوة	بقوة
۴۴	۴۱	سحق	سحق
۴۷	۳۴	یبطشه	یبطه
۴۸	۷	یبطشه	یبطه
۵۳	۱۵	عزیر المروءة	عزیر المروءة
۵۴	۳۶	قرام لیرد	قرص البرد
۹۴	۳۲	بن ملک	بن فک
۱۴۰	۳۲	فتقنطر	فتقطر
۱۴۱	۲۳	تقنطرت	تقطرت
۱۴۱	۲۴	فتقنطرت	فتقطرت
۱۷۴	۴۱	وإنا عمایاک	وإنا عمایاک
۲۰۱	۲۹	ویسألناه	ویسألناه
۲۰۸	۴۱	بدیع التحمل	بدیع التحمل

هذا ورنه المیزل يوجد في طبع هذا السفر الشريف بعض تحريف وتقصيف كتبه بعض قط
او عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تتفق على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده
هو المتزن عن الخط والسقط وهو العظيم الخبير

